مطبوعات الكتبخانة الخديوية

النشرة السابعة عشرة

كتاب

صبح الأعشى

تأليف

الشيخ ابى العباس احمد القلقشندى

الجزء الاول

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٩٠٣ افرنجيه

مطبوعات الكتبخانة الخديوية

---

(١) فهرست مختصرة فى جزأين ١٢٨٩ (١٨٧٢) و ١٢٩٢ (١٨٧٥)

(٢) فهرست وافية . الكتب العربية سبعة أجزاء فى ثمان مجلدات ١٣٠١ – ١٣٠٨ (١٨٨٢ – ١٨٩١) والجزء الاول منها طبع طبعا ثانيا فى سنة ١٨٩٣

(٣) فهرست الكتب التركية والفارسية والجاوية فى مجلدين ١٣٠٦ (١٨٨٩)

(٤) الجزء الاول من فهرست الكتب الافرنكية : مصر (١٨٩٢)

(٥) مرشد لاودة المتفرجين ١٨٨٧ بالعربى والفرنساوى

(٦) تقارير عن حالة الكتبخانة ١٨٨٨ و ١٨٩١ و ١٨٩٧

(٧) الجزء الرابع والخامس من كتاب الانتصار لابن دقماق فى وصف مصر فى مجلد ١٨٩٣

(٨) بدائع الزهور لابن إياس فى ثلاث مجلدات ١٨٩٤

(٩) فهرست الأعلام الواردة فى كتاب الانتصار وبدائع الزهور فى مجلدين ١٨٩٦

(١٠) كتاب الآثار الفكرية فى مجلد ١٨٩٧

(١١) فهرست النقود العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية للمستر ستانلى لين بول فى مجلد ١٨٩٧

(١٢) كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية سنة ١٨٩٨

(١٣) تاريخ الفيوم وبلاده لأبى عثمان النابلسى ١٨٩٩

(١٤) الجزء الثانى من فهرست الكتب الافرنكية : الشرق ١٨٩٩

(١٥) الجزء الاول « « « : مصر ١٩٠١ الطبعة الثانية

(١٦) الخطوط العربية القديمة ١٩٠٥

فهرست

الجزء الاول من كتاب صبح الاعشى للقلقشندى

صحيفة

صحيفة

(تمت فهرست الجزء الاول)



الجزء الأول

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٩٠٣ افرنجيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جاعل المرء بأصغريه قلبه ولسانه والمتكلم بأجليه فصاحته وبيانه راقم حقائق المعانى باقلام الالهام على صفحات الافكار جامع اللسان والقلم على ترجمة مافى الضمائر ذلك للاسماع وهذا للابصار الذى حفظ برسوم الخطوط ماتكل الاذهان السليمة عن حفظه وتبلغ بوسائطها على البعد مايعسر على المتحمل تأديته بصورة معناه ولفظه أحمده على أن وهب من بنات الافكار مايربو فى الفخر على ذكور الصوارم ومنح من جواهر الخواطر مايزكو مع الانفاق ولا ينقص بالمكارم وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة يوقع لصاحبها بالنجاة من النار ويكتب قائلها فى ديوان الابرار وأن محمدا عبده ورسوله الذى اهتزت لهيبته الاسرة وشرفت بذكره المنابر وضاقت عن درك وصفه الطروس ونفدت دون احصاء فضله المحابر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قلدوا أمور الدين فقاموا بواجبها وحملوا أعباء الشريعة فانتشرت بهم فى مشارق الارض ومغاربها صلاة تسطر فى الصحف وتفوق بهجتها الروض الانف (وبعد) فلما كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها وأربح البضائع وأنفعها وأفضل المآثر وأعلاها وآثر الفضائل وأغلاها لاسيما كتابة الانشاء التى هى منها بمنزلة سلطانها وانسان عينها بل عين انسانها لاتلتفت الملوك الا اليها ولا تعول فى المهمات الا عليها يعظمون أصحابها ويقربون كتابها خليفها أبدا خليق بالتقديم جدير بالتبجيل والتكريم

تسر مجانيها اذا ماجنى الظما * وتروى مجاريها اذا بخل القطر

وكانت الديار المصريه والمملكة اليوسفيه أعزالله تعالى حماها وضاعف علاها قد تعلقت من الثريا بأقراطها ورجحت سائر الاقاليم بقيراطها بشر بفتحها الصادق الأمين فكانت أعظم بشرى وأخبر سيد المرسلين أن لاهلها نسبا وصهرا فتوجهت اليها عزائم الصحابة زمن الفاروق فجاسوا خلال الديار وعرها وسهلها واقتطعتها أيدى المسلمين من الكفار وكانوا أحق بها وأهلها ثم لم يزل يعلو قدرها ويسمو ذكرها الى أن صارت دار الخلافة العباسيه

وقرار المملكة الاسـلاميه وفخرت مملكتها بخدمة الحرمين وخدمها سائر الملوك والامم لحيازة القبلتـــين

تناهت علاء والشباب رداؤها * فما ظنكم بالفضل والرأس أشيب

وحظيت من فضلاء الكتاب بعالم تحظ مملكة من الممالك ولا مصر من الامصار وحوت من أهل الفضـل والادب مالم يحو قطر من الاقطار فبرحت متوجة بأهل الادب فى الحـديث والقديم مطرزة من فضلاء الكتاب بكل مكين أمين وحفيظ عليم

نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

هـذا والمؤلفون فى هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم فى التصنيف وتباينت مواردهم فى الجمع والتأليف ففرقة أخذت فى بيان أصول الصنعة وذكر شواهدها وأخرى جنحت الى ذكر المصطلحات وبيان مقاصـدها وطائفة اهتمت بتدوين الرسائل ليقتبس من معانيها ويتمسك بأذيالها وتكون أنموذجا لمن بعدهم يسلك سبيلها من أراد أن ينسج على منوالها ولم يكن فيها تصنيف جامع لمقاصدها ولا تأليف كافل بمصادرها الجليلة ومواردها بل أكثر الكتب المصنفة فى بابها والتآليف الدائرة بين أربابها لايخرج عن علم البلاغة المرجوع فيها اليه أو الالفاظ الرائقة مما وقع اختيار الكتاب عليه أو طرف من اصطلاح قد رفض وتغير أنموذجه ونقض فلا يغنى النظر فيه المقلد من كتاب الزمان ولا يكتفى به القاصر فى أوان بعد أوان على أن معرفة المصطلح هى اللازم المحتم والمهم المقدم لعموم الحاجة اليه واقتصار القاصر عليه

ان الصنيعة لاتكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

وكان الدستور الموسوم بالتعريف بالمصطلح الشريف صنعة الفاضل الالمعى والمصقع اللوذعى ملك الكتابة وامامها وسلطان البـلاغة ومالك زمامهـا المقر الشهابى أحمد بن فضل الله العدوى العمرى سقى الله تعالى عهده العهاد وألبسه سوابغ الرحمة والرضوان يوم المعاد هو أنفس الكتب المصنفة فى هـذا البـاب عقدا وأعدلها طريقا وأعذبها وردا قد أحاط من المحاسن بجوانبها وأعمت الافكار عن مثله ففاز من الصنعة بأحد مذاهبها فكان حقيقا بقوله فى خطبته

ياطالب الانشاء خذ عله * عنى فعلمى غـير منكور
ولا تقف فى باب غيرى فما * تدخله الا بدسـتورى

الا أنه قد أهمل من مقاصد المصطلح أمورا لايسوغ تركها ولا ينجبر بالفـدية لدى الفوات نسكها كالبطائق والملطفات والمطلقات المكبرة فى جملة كثيرة من المكاتبات فلم يقع الغنى

به عما سواه ولا الاكتفاء بالنظر فيه عما عداه ثم تلاه المقر التقوى ابن ناظر الجيش رحمه الله بوضع دستوره المسمى بتثقيف التعريف مقتفيا أثره في الوضع وجاريا على سننه في التأليف مع ايراد ما أهمله في تعريفه وذكر ما فاته من مصطلح ما يكتب أو حدث بعد تأليفه فاشتهر ذكره وعز وجوده ووقع الضن به حتى بخل باعارته من عرف كرمه وجوده وكان مع ذلك قد ترك مما تضمنه التعريف مقاصد لا غنى بالكاتب عنها ولا بد للمتلبس بهذه الصناعة منها كالوصايا والأوصاف التي هي عمدة الكاتب ومراكز البريد وابراج الحمام وغير ذلك من متممات الواجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فصار كل من الدستورين منفردا عن الآخر بقدر زائد ولم تقع الغنية بأحدهما عن الآخر وان كانا في معنى واحد وكيفما كان فالاقتصار على معرفة المصطلح قصور والاضراب عن تعرف أصول الصنعة ضعف همة وفتور والمقلد لا يوصف بالاجتهاد وشتان بين من يعرف الحكم عن دليل ومن جمد على التقليد مع جزم الاعتقاد

ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

وقد ثبت في العقول أن البناء لا يقوم على غير أساس والفرع لا ينبت الا على أصل والثمر لا يجتنى من غير غراس وكنت في حدود سنة احدى وتسعين وسبعمائة عند استقراري في كتابة الانشاء بالابواب الشريفة السلطانية عظم الله تعالى شانها ورفع قدرها وأعز سلطانها أنشأت مقامة بنيتها على انه لا بد للانسان من حرفة يتعلق بها ومعيشة يتمسك بسببها وأن الكتابة هي الصناعة التي لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها ولا يجوز له العدول عنها الى ما عداها وجنحت فيها الى تفضيل كتابة الانشاء وترجيحها وتقديمها على كتابة الاموال وترشيحها ونبهت فيها على ما يحتاج اليه كاتب الانشاء من المواد وما ينبغي أن يسلكه من الجواد وضمنتها من أصول الصنعة ما أربت به على المطولات وزادت وأودعتها من قوانين الكتابة ما استولت به على جميع مقاصدها أو كادت وأشرت فيها الى وجه تعلقي بحبال هذه الصنعة وان لم أكن بمطاوبها مليا وانتسابي الى أهلها وان كنت في النسبة اليها دعيا

وليس دعي القوم في القوم كالذي * حوى نسبا في الأكرمين عريقا

الا أنها قد وقعت موقع الوحي والاشارة ومالت الى الايجاز فاكتفت بالتلويح عن واسع العبارة فعز بذلك مطلبها وفات على المجتني ببعد التناول أطيبها فأشار من رأيه مقرون بالصواب ومشورته عرية عن الارتياب أن أتبعها بمصنف مبسوط يشتمل على أصولها وقواعدها ويتكفل بحل رموزها وذكر شواهدها ليكون كالشرح عليها والبيان لما أجملته والتتمة لما لم يسقه الفكر اليها فامتثلت أمره بالسمع والطاعه ولم أتلكأ وان لم أكن من أهل هذه الصناعه

غير أن القريحة بذلك لم تسمح وصار المقتضى يضعف والمانع يترجح لأعذار قد تشابه محكمها وضرورات ان لم يعلمها الخلق فالله يعلمها الى أن لاحت لى بوارق الفتح وظهـرت ولله الحمد آثار المنح فعنـد ذلك بلغت النفس أملها وأضـفت مواهب الامتنان حللها وتلا لسان العناية على الغبى الحاسـد ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لهـا فشرعت فى ذلك بعـد أن استخرت الله تعالى وما خاب من استخار وراجعت أهل المشورة وما ندم من استشار مسـتوعبا من المصطلح ما اشتمل عليه التعريف والتثقيف موضحا لما أبهماه بتبيين الامثلة مع قرب المأخذ وحسن التأليف متبرعا بأمور زائدة على المصطلح الشريف لا يسع الكاتب جهلها متنقلا من توجيـه المقاصد وتبيين الشواهد عما يعرف به فرع كل قضية وأصلها آتيا من معالم الكتابة بكل معنى غريب نافلا الناظر فى هـذا المصنف عن رتبة أن يسأل فلا يجاب الى رتبة أن يسئل فيجيب منبها على ما يحتاج اليه الكاتب من الفنون التى يخرج بمعرفتها عن عهدة الكتابة ودركها ذاكرا من أحوال الممالك المكاتبة عن هذه المملكة ما يعرف به قدر كل مملكة وملكها مبينا جهة قاعدتها التى هى محل الملك شرقا أو غربا أو جنوبا أو شمالا معرفا الطريق الموصل اليها برا أو بحرا وانقطاعا أو اتصـالا ذاكرا مع كل قاعدة مشاهير بلدانها اكمالا للتعريف ضابطا لاسمائها بالحروف كى لا يدخلها التبديل والتحريف وسميته (صبح الاعشى فى كتابة الانشا) راجيا من الله تعالى أن يكون بالمقصود وافيا وللغليل شافيا وليعذر الواقف عليه فنتائج الافكار على اختلاف القرائح لا تتناهى وانما ينفق كل أحد على قدر سعته لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ورحم الله من وقف فيه على سهو أو خطأ فأصلحه عاذرا لا عاذلا ومنيلا لا نائلا فليس المبرأ من الخطل الا من وقى الله وعصم وقد قيل الكتاب كالمكلف لا يسلم من المؤاخذة ولا يرتفع عنه القلم والله تعـالى يقرنه بالتوفيق ويرشـد فيه الى أوضح طريق وما توفيقى الا بالله عليـه توكلت واليه أنيب . وقد رتبته على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة

المقـــدمة

في مبادٍ يجب تقديمها قبل الخوض فى كتابة الانشاء وفيها خمسة أبواب

الباب الاول

فى فضل الكتابة ومدح فضلاء أهلها وذم حمقاهم وفيه فصـــلان

الفصـــل الاول ـ فى فضل الكتابة

الفصـــل الثانى ـ فى مدح فضلاء الكتاب وذم حمقاهم

الباب الثانى

فى ذكر مدلول الكتابة لغة واصطلاحا وبيان معنى الانشاء واضافة الكتابة اليه ومرادفة لفظ التوقيع لكتابة الانشاء فى عرف الزمان والتعبير عنها بصناعة الترسل وتفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح النثر على الشعر وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول ـ فى ذكر مدلولها و بيان معنى الانشاء واضافتها اليه ومرادفة التوقيع لكتابة الانشاء فى عرف الزمان والتعبير عنها بصناعة الترسل

الفصل الثانى ـ فى تفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة

الفصل الثالث ـ فى ترجيح النثر على الشعر

الباب الثالث

فى صفات الكتاب وآدابهم وفيه فصلان

الفصل الاول ـ فى صفاتهم الواجبة والعرفية

الفصل الثانى ـ فى آدابهم

الباب الرابع

فى التعريف بحقيقة ديوان الانشاء وأصل وضعه فى الاسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك وفيه فصلان

الفصل الاول ـ فى التعريف بحقيقته

الفصل الثانى ـ فى أصل وضعه فى الاسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك بالديار المصرية وغيرها

الباب الخامس

فى قوانين ديوان الانشاء وترتيب أحواله وآداب أهله وفيه أربعة فصول

الفصل الاول ـ فى بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله ولقبه الجارى عليه فى القديم والحديث

الفصل الثانى ـ فى صفة صاحب هذا الديوان وآدابه

الفصل الثالث ـ فيما يتصرف فيه متولى هذا الديوان ويدبره ويصرفه بقلمه

الفصل الرابع ـ فى ذكر وظائف ديوان الانشاء بالديار المصرية وما يلزم رب كل وظيفة منهم وما كان عليه الامر فى الزمن القديم وما استقر عليه الحال بعد ذلك

المقـالة الاولى

فيما يحتاج اليـه الكاتب وفيها بابان

الباب الاول

فى الامور العلميـة وفيـه ثلاثة فصـول

الفصـل الاول - فيما يحتاج اليه الكاتب فى الجملة

الفصـل الثانى - فيما يحتاج الكاتب الى معرفتـه من مواد الانشاء من معرفة اللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان والبديع وحفظ كتاب الله تعالى والكثير من الاحاديث النبوية وخطب البلغاء ورسائلهـم ومكاتباتهم ومحاوراتهم ومراوضاتهم وأشعار العرب والمولدين والمحدثين وأمثال العرب ومن جرى مجراهم والمعرفة بالتاريخ وأنساب العرب ومفاخراتهم ومنافراتهم وحروبهم وأوابدهم فى الجاهلية وأحوال الامم والاحكام السلطانية وأصناف العلوم ومن برع فى كل علم منها والكتب الفائقة فى كل فن من فنونها وما يجرى مجرى ذلك والمعرفة بصـنعة الكلام وكيفية انشائه ونظمه وتأليفه وترصـيفه وما يحمد من ذلك وما يذم

الفصـل الثالث - فى معـرفة الازمنـة والاوقات من الايام والشهور والسـنين على اختـلاف الامم فيها وتفاصـيل أجزائها وما ينخرط فى سلك ذلك من الفصول الاربعـة وأعياد الامم

الباب الثانى

فيما يحتاج اليه الكاتب من الامور العملية من الخط وتوابعه ولواحقه وفيه فصلان

الفصـل الاول - فى ذكر آلات الخط من الدوى وما تتخذ منـه ومقاديرها وكيفياتها ومعرفة أصناف الأقلام وصنعة برايتها فتحا ونحتا وشقا وقطا ومقادير أطوالها وعدد ما يكون فى الدواة منها وكيفيـة عمل الحبر وحل الذهب واذابة اللازورد والمغرة العراقيـة وغير ذلك مما يحتاج اليه فى كتابة الديوان

الفصـل الثانى - فى الكلام على نفس الخط وأصـل وضعه واختـلاف الامم فيـه وما يختص من ذلك بالخط العربى من تنويع أقلامه التى أحدثها أئمة الكتابة وتباين أشكالها واختـلاف أوضاعها وما يسـتعمل منها فى ديوان الانشاء وما يلتحق بذلك من النقط والشـكل والهجاء

المقالة الثانية

فى المسالك والممالك وفيها أربعة أبواب

الباب الاول

فى ذكر الارض على سبيل الاجمال وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول — فى معرفة شكل الارض واحاطة البحر بها وبيان جهاتها الاربع وما اشتملت عليه من الاقاليم السبعة الطبيعية وبيان موقع الاقاليم العرفية كمصر والشام من الاقاليم الطبيعية وذكر حدودها الجامعة لها

الفصل الثانى — فى ذكر البحار التى يتكرر ذكرها بذكر البلدان فى التعريف بها والسفر اليها من البحر المحيط والبحار المنبثة فى أقطار الارض ونواحى الممالك مما هو متصل به ومنقطع عنه ومابها من الجزائر المشهورة

الفصل الثالث — فى استخراج جهات البلدان والابعاد الواقعة بينها

الباب الثانى

فى ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ومقراتهم فى القديم وما انطوت عليه ممالكهم من الاقطار وفيه فصلان

الفصل الاول — فى ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم وخلفاء بنى أمية بالشام وخلفاء بنى العباس بالعراق ثم بالديار المصرية وخلفاء الفاطميين بمصر وخلفاء بنى أمية بالاندلس والمدّعين الخلافة من بقايا الموحدين بأفريقية

الفصل الثانى — فيما انطوت عليه الخلافة العباسية فى الزمن القديم وما كانت عليه من الترتيب وماهى عليه الآن

الباب الثالث

فى ذكر الديار المصرية ومضافاتها من البلاد الشامية ومايتصل بها وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول — فى الديار المصرية وذكر فضائلها ومحاسنها وخواصها وعجائبها ومابها من الآثار القديمة وذكر نيلها ومبدئه ونهايته وزيادته ونقصه ومقاييسه ومايتنهى

اليه فى الزيادة ومايصل اليه فى النقص والخلجان المتفرعة عنه وجسورها الحابسة لمياه النيل على أرضها وبحيرات الديار المصرية وجبالها وزروعهـا ورياحينها وفواكهها ومواشيها ووحوشها وطيورها وذكر حدودها وابتداء عمارتها وتسميتها مصر وتفرع الاقاليم التى حولها عنها وذكر أعمـالها وقواعدها القـديمة والمبانى العظيمة الباقيـة على ممر الازمان وقواعدهـا المسـتقرة وما اشتملت عليه من محاسن الابنية وذكر من ملكها جاهلية واسلاما قبل الطوفان وبعده وترتيب أحوالها وذكر معاملاتها ونقودها وترتيب مملكتها فى القديم والحديث وبيان وظائف دولهـا القديمة والمستقرة لأرباب السيوف والاقلام

الفصـــل الثانى – فى البلاد الشامية ومايتصـل بها من بلاد الجزيرة الفراتية وبلاد الثغور والعواصم المعبر عنها الآن ببلاد الارمن وبلاد الدربندات المعروفة الآن ببلاد الروم مما هو مضاف الى مملكة الديار المصرية وفضل الشام وخواصه وعجائبه وحدوده وابتداء عمـارته وتسميته شاما وذكر أنهاره وبحـيراته وجباله المشهورة وذكر زروعه وفواكهه ومواشـيه ووحوشه وطيوره وذكر أعماله وجهاته وأجناده وكوره القديمة والمستقرة وقواعده العظام وما كانت عليـه فى الزمن السابق ومن ملكها جاهليـة واسلاما وما اسـتقرت عليه الآن من النيابات وترتيب أحوالها وذكر معاملاتها ونقودها وترتيب نياباتها وما بها من وظائف أرباب السيوف والأقلام وما اشتملت عليه من العربان

الفصـــل الثالث – فى البلاد الحجازية وماينخرط فى سلكها وذكر فضل الحجاز وخواصه وعجائبه وابتـداء عمـارته وتسميتـه حجازا وذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وقواعده وأعمـاله ونواحيه ومعاملاته ونقوده وملوكه جاهلية واسلاما

الباب الرابع

فى الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية من الجهات الاربع والطرق الموصلة اليها وفيـــه أربعـــة فصـــول

الفصـــل الاول – فى الممالك والبلدان الشرقية عن الديار المصرية وما سامت ذلك ووالاه من الجهة الجنوبية والجهة الشمـالية وما اشتملت عليه هذه الجهة من مملكة ايران التى هى مملكة الفرس قديما وما انطوت عليه من بلاد الجزيرة الفراتية وبلاد العراق وبلاد خوزستان وبلاد الاهواز وبلاد فارس وبلاد كرمان وبلاد سجستان وبلاد أرمينية واذربيجان وبلاد الجبال المعـبر عنها بعراق العجم وبلاد الديلم وبلاد الجيـل المعبر عنهـا بكيلان وبلاد مازندران

وبلاد قومس وبلاد زابلستان وبلاد الغور وغيرها ومملكة توران المعروفة بمملكة الترك قديما وما اشتملت عليه من قسم ماوراء النهر من بخارى وسمرقند ومضافاتهما وبلاد تركستان وما مع ذلك وقسم خوارزم ودشت القفجاق المشتمل على خوارزم والدشت وأعمال السراى وبلاد القرم وبلاد الأزق وماينضم الى ذلك من بلاد السرب والبلغار وبلاد الاولاق وبلاد الآص وبلاد الروس وغيرها وقسم مابيد صاحب التخت المعبر عنه بالقان الكبير المشتمل على بلاد الخطا وبلاد الصين وما اتصل بهاتين المملكتين ممايلى الجنوب من بلاد البحرين ومملكة اليمن ومامنها بيد أولاد رسول ومامنها بيد امام الزيدية وممالك الهند المتصلة ببلاد الصين والواقعة فى جزائر البحر الهندى

الفصل الثانى — فى الممالك والبلدان الغربية عن مملكة الديار المصرية من مملكة تونس المشتملة على بلاد افريقية ومملكة تلمسان المشتملة على بلاد الغرب الأوسط ومملكة فاس المشتملة على بلاد الغرب الأقصى الى البحر المحيط وما الى ذلك من ممالك جزيرة الاندلس ومابقى منها بيد المسلمين وما استعاده منها ملوك الكفر

الفصل الثالث — فى الممالك والبلدان الجنوبية عن مملكة الديار المصرية وما اشتملت عليه من بلاد السودان من مملكة البرنو ومملكة الكانم ومملكة مالى ومملكة الحبشة وبيان مامن ذلك بيد ملوك المسلمين ومامنه بيد ملوك الكفر

الفصل الرابع — فى الممالك والبلدان الشمالية عن مملكة الديار المصرية ممابيد المسلمين من البلاد المعروفة الآن ببلاد الروم ومابيد ملوك النصارى من جزائر بحر الروم كجزيرة قبرس وجزيرة رودس وجزيرة اقريطش وجزيرة المصطكى وجزيرة صقلية وغيرها وما الى ذلك مما شمالى بحر الروم من مملكة القسطنطينية ومملكة البندقية ومملكة جنوه ومملكة رومية ومملكة فرنسة وغير ذلك

المقالة الثالثة

فى ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتبات والولايات وغيرهما من ذكر الاسماء والكنى والالقاب وكيفية تعيين صاحب ديوان الانشاء القصص والمربعات ونحوها على كتاب الانشاء ومقادير قطع الورق ومايناسب كل مقدار منها من الاقلام ومقادير البياض فى أول الدرج وحاشيته وبعد مابين السطور فى الكتابة وبيان المستندات التى يصدر عنها مايكتب من ديوان الانشاء من المكاتبات والولايات وغيرها وكتابة الملخصات وبيان الفواتح والخواتم وفيها أربعة أبواب

الباب الاول
فى الاسماء والكنى والالقاب وفيه فصلان

الفصـــل الاول ـ فى الاسماء والكنى ومواضع ذكرهما فى المكاتبات والولايات وما يجرى مجراهما

الفصـــل الثانى ـ فى ذكر الالقاب وأصل وضعها وما استعمله الكتاب منها وما كان يلقب به أهل كل دولة وما حدث من الزيادة بعد ذلك حتى صار الامر الى ما عليه الحال فى زماننا والالقاب التى اصطلح عليها لأرباب السيوف والاقلام وغيرهم وما وضع منها لأهل الكفر وبيان معنى كل لقب فى اللغة ومن يقع عليه فى الاصطلاح وكيفية ترتيب بعضها على بعض

الباب الثانى
فى بيان مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ومقادير البياض الذى يراعيه الكاتب فى كتابته وفيـه فصـلان

الفصـــل الاول ـ فى مقادير قطع الورق المستعملة بدواوين الانشاء فى القديم والحديث

الفصـــل الثانى ـ فى بيان ما يناسب كل مقـدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر من الاقلام ومقادير البياض الذى يراعيـه الكاتب فى أعلى الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور فى الكتابة

الباب الثالث
فى بيان المستندات وكتابة الملخصات وكيفية التعيين ومقادير قطع الورق وما يناسبها من الاقلام وفيـه فصـلان

الفصـــل الاول ـ فى بيان المستندات التى يصدر عنها كتابة ما يكتب من تلقى كاتب السر الامر فى ذلك عن السلطان أو تلقيه وتلقى كتاب الدست بدار العدل أو شمول القصة بالخط الشريف أو كونه برسالة الدوادار أو باشارة النائب الكافل أو اشارة أستاذ الدار أو اشارة الوزير أو بقائمة من ديوان الخاص وغيره وكتابة الملخصات التى تكتب من الكتب المطولات الواردة على الديوان وترجمة الكتب الواردة بغير العربية الى العربية

الفصـــل الثانى ـ فى بيان كيفية تعيين صاحب ديوان الانشاء القصص والمربعات وما فى معناها وبيان مقادير قطع الورق المستعمل فى دواوين الانشاء من الكامل والثلثين والنصف والثلث والعادة وما يناسب كل مقدار منها من مختصر الطومار وثقيل الثلث وخفيفه والتوقيعات والرقاع ومقادير البياض المرعية فى الكتابة فى أعلى الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور

الباب الرابع

فى الفواتح والخواتم واللواحق وفيه فصلان

الفصل الاول – فى الفواتح من البسملة والحمدلة والتصلية والسلام فى أول الكتب والبعدية التى يقع بها فصل الكلام وبيان أصول ذلك وأصل مشروعيته

الفصل الثانى – فى الخواتم واللواحق من كتابة ان شاء الله فى آخر المكتوب وكتابة التاريخ ومعرفة معناه ومعرفة التواريخ القديمة وأصل وضع التاريخ فى الاسلام والتاريخ بالهجرة والوقت الذى يؤرخ فيه وبيان بناء التاريخ العربى على الليالى دون الايام واختلاف مذاهب النحاة والكتاب فى التعبير عن ذلك وبناء تاريخ العجم على الايام دون الليالى ومعرفة استخراج كل تاريخ من تواريخ الامم من الآخر وكتابة المستند والحمدلة فى آخر الكتب والتصلية على النبى صلى الله عليه وسلم بعدها والاختتام بالحسبلة وبيان مواضع ذلك جميعه من الورق وكيفية وضعه

المقالة الرابعة

فى المكاتبات وفيها بابان

الباب الاول

فى أمور كلية تتعلق بالمكاتبات وفيه فصلان

الفصل الاول – فى مقدمات المكاتبات من أصول يعتمدها الكاتب فيها من حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال وتقديم مقدمة تناسب المكتوب فيه فى أول المكاتبة ومعرفة الفرق بين الالفاظ الجارية فى الخطاب ونحوه فى المكاتبات وما يناسب المكتوب اليه منها ومواقع الدعاء فيها والاتيان لكل مقصد من مقاصد المكاتبات بما يناسبه ومخاطبة كل أحد من المكتوب اليهم على قدر طبقته من اللغة العربية ومراعاة الفصاحة والبلاغة فى الكتابة الى من يتعاناها ومراعاة رتبة المكتوب عنه والمكتوب اليه ومواقع الشعر من المكاتبات وحسن الاختتام وما يجرى مجرى ذلك وبيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البسط والايجاز وما يلائمها من المعانى ومعرفة ما يختص من ذلك بالأجوبة وبيان ترتيبها

الفصل الثانى – فى بيان أصول المكاتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ومذاهب الكتاب فيما تفتتح به المكاتبات فى القديم والحديث وما يخاطب به أهل الاسلام وأهل الكفر فى المكاتبات وبيان كيفية طى الكتاب وختمه وحمله وتأديته وفضه وقراءته وحفظه فى الإضبارة

الباب الثانى

فى مصطلح المكاتبات الدائرة بين كتاب الاسلام فى كل زمن من الصدر الاول والى زماننا وفيـــه ثمانية فصـــول

الفصـــل الاوّل ـ فى الكتب الصادرة عن النبى صلى الله عليه وسلم الى أهل الاسلام وملوك الكفر واختلاف افتتاحها بحسب المقاصد

الفصـــل الثانى ـ فى الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم وخلفاء بنى أميـة وخلفاء بنى العباس وخلفاء الفاطميين وخلفاء بنى أميـة بالاندلس وبقـايا الموحدين بافريقية ابتداء وجوابا

الفصـــل الثالث ـ فى الكتب الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم مما كتب به الى النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم وخلفاء بنى أمية وخلفاء بنى العباس وخلفاء الفاطميين بالديار المصرية وخلفاء بنى أمية بالاندلس وبقايا الموحدين بافريقية وما كتب به عن الملوك ومن فى معناهم الى الملوك ومن فى معناهم من المكاتبات الدائرة بين ملوك الديار المصرية وملوك الشرق والغرب ووزراء الخلفاء ومنفذى أمر الخلافة اللاحقين بشأو الملوك وما يلتحق بذلك من المكاتبات الصادرة الى ملوك الكفر واختلاف الافتتاح فى ذلك

الفصـــل الرابع ـ فى الكتب الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استقر عليه الحال من ابتـداء الدولة التركية والى زماننا على رأس الثمانمائة مما أكثره مأخوذ من ترتيب الدولة الايوبية التى هى أصل الدولة التركية مما هو صادر عنهم الى خلفاء بنى العباس والى أهل المملكة بمصر والشام والحجاز والى عظماء القانات بممالك الشرق كقان مملكة ايران الجامع لحدودها على ما كان الامر عليه الى آخر أيام أبى سعيد ثم من بعده ممن لم يبلغ شأوه من القـانات الصغار كالشيخ اويس ومن تلاه الى زماننا ومن بهذه المملكة من صغار الملوك والحكام وقانات مملكة توران من صاحب ماوراء النهر من بخارى وسمرقند وما معهما وصاحب خوارزم والدشت والقان الكبير صاحب التخت وصاحب الهند وصاحب اليمن وامام الزيدية بها وملوك بلاد المغرب كصاحب تونس وصاحب تلمسان وصاحب فاس وصاحب غرناطة من الاندلس وملوك بلاد السودان كملك البرنو وملك الكانم وصاحب مالى وملوك الاتراك بالبلاد المعروفة ببلاد الروم من الجهة الشمالية وملوك الكفر كملك الحبشة من البلاد الجنوبية وملك القسطنطينية وسائر ملوك الفرنج وحكامهم بجزائر الروم وغيرها ممن تقدم ذكره فى الكلام على المسالك والممالك

الفصـــل الخامس ـ فى الكتب الواردة على الابواب السلطانيـة بالديار المصرية من ملوك الممالك المتقدمة الذكر وحكامها من أهل الاسلام والكفر ممن ترد مكاتبته على هذه المملكة

الفصـــل السادس – فى المكاتبات الاخوانيات مما كان عليـه مصطلح السلف فمن بعدهم فى كل زمن وما استقر عليه الحال فى زماننا

الفصـــل السابع – فى مقاصد المكاتبات من الامور الخاصة بالملوك والخلفاء كالكتب بالبشارة بولاية الخلافة والجلوس على تخت السـلطنة والدعاية الى الدين والحث على الجهاد والاحتساب عن الفتوحات والامر بلزوم الطاعة والتنبيه على مواسم العبادة والمواعظ عند حدوث الآيات السماوية والاوامر والنواهى والنهى عن التنازع فى الدين والكتب الى من نكث العهد أو خلع الطاعة والتضييق على أهل الجرائم والبشارة بالمواسم والاعياد ووفاء النيل وركوب الميادين والعود من الغزو والكتب بالتلقيب على ما كان الامر عليـه فى الزمن المتقدم وبالاحاد والاذمام والكتب قرين الانعام السلطانى من الخيـل والجوارح وسائر أصناف الانعام والاعتذار عن السلطان فى الهزيمة ونحوها والاجوبة عن ذلك ومايشترك فيه الملوك ومن عداهم من التهانى كالتهنئة بالوظائف وتكرمة السلطان وتجدد الأولاد والمساكن والعود من الحج والقدوم من السفر والابلال من المرض ورضاء السلطان وغرة السنة وشهر رمضان وعيد الفطر وعيد الاضحى والنيروز والمهرجان والدخول فى دين الاسلام والصرف عن الخدمة فى سلامة ومن التعازى كالتعزية بالاب والام والولد والقريب والصديق والتشوقات والشفاعات والتهادى والاستزارة واستماحة الحوائج واختطاب المودة وخطبة التزويج والشكر والشكوى والاعتذار والعتاب والمداعبة وغير ذلك

الفصـــل الثامن – فى معرفة اخفاء ما فى الكتب من السر إما بطريق المترجم وإما بالكتابة بما يظهر بالمعالجة من عرضه على النار أو جعل دواء عليه وما أشبه ذلك

المقالة الخامسة

فى الولايات وفيها أربعـــة أبواب

الباب الاول

فى بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت وفيـــه ثلاثة فصول

الفصـــل الاول – فى بيان طبقات الولايات وما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابتها مما يكتب فى ولاية الخلافة والسـلطنة والولايات الصادرة عن الخلفاء والملوك ومايكتب عن السلطان بالديار المصرية والشام والحجاز لأرباب السيـوف وأرباب الاقلام وأرباب الوظائف الديوانية والوظائف الدينية وغير ذلك

الفصـــل الثانى – فى بيان ما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة الولايات على سبيـل الاجمال

الفصـــل الثالث – فى بيان ما يقع به التفاوت فى رتب الولايات

الباب الثانى

فى البيعات وفيـــه فصـــلان

الفصـــل الاول – فى معنى البيعات

الفصـــل الثانى – فى ذكر تنويع البيعات مما يكتب للخلفاء وأصل مشروعيتها وبيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية وما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة البيعة وبيان صورة ما يكتب فيها واختـلاف مذاهب الكتاب فى ذلك وذكر نسخ من بيعات الخلفاء مما كان يكتب به فى الخلافة العباسيـة بالعراق وخلفاء الفـاطميين بالديار المصرية وخلفاء بنى أميـة بالاندلس وما يلتحق بذلك مما يكتب به لخلفاء بنى العباس الآن بالديار المصرية وما يكتب من البيعات للملوك على ما اصطلح عليه كتاب بلاد الغرب والاندلس

الباب الثالث

فى العـــهود وفيـــه فصـــلان

الفصـــل الاول – فى معنى العهد

الفصـــل الثانى – فى بيان أنواع العهود مما يكتب به للخلفاء عن الخلفاء وما يكتب به للملوك عن الخلفاء وما يكتب به عن الملوك لولاة العهـد بالسـلطنة وللملوك المنفردين بصغار البلدان ومذاهب الكتاب فى ذلك وذكر نسخ من ذلك جميعه مما كتب به ببلاد الشرق والمغرب والديار المصرية

الباب الرابع

فى الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب من أصحاب السيوف والأقلام وغيرهم وفيـــه ثلاثة فصـــول

الفصـــل الاول – فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم وخلفاء بنى أميـة بالشـام وخلفاء بنى العباس بالعراق وخلفاء بنى أميـة بالاندلس وخلفاء الفاطميين بمصر ومدعين الخلافة من بقايا الموحدين ببلاد المغرب ومذاهب كتاب الدول فى ذلك

الفصل الثانى ـ فيما يكتب من الولايات عن الملوك لأرباب السيوف والاقلام وغيرهم من مصطلح كتاب المشرق بعد انقراض الخلافة العباسية من العراق ومصطلح كتاب المغرب والاندلس فى القديم والحديث ومصطلح كتاب الديار المصرية فى الدولة الطولونية وما وليها من الدولة الاخشيدية والدولة الايوبية وما وليها من الدولة التركية وما استقر عليه الحال فيها الى زماننا مما يكتب لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم عن الابواب السلطانية بالديار المصرية من التقاليد والتفاويض والمراسيم والتواقيع على اختلاف مراتبها

الفصل الثالث ـ فيما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك الشامية لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم وذكر نسخ من ذلك

المقالة السادسة

في الوصايا الدينية والمسامحات والاطلاقات والطرخانيات وتحويل السنين والتذاكر وذكر نسخ من ذلك وفيها أربعة أبواب

الباب الاول

في الوصايا الدينية وفيه فصلان

الفصل الاول ـ فيما لقدماء الكتاب من ذلك

الفصل الثانى ـ فيما يكتب من ذلك فى زماننا

الباب الثانى

في المسامحات والاطلاقات وفيه فصلان

الفصل الاول ـ فيما يكتب فى المسامحات

الفصل الثانى ـ فيما يكتب فى الاطلاقات

الباب الثالث

في الطرخانيات وفيه فصلان

الفصل الاول ـ فى طرخانيات أرباب السيوف

الفصل الثانى ـ فى طرخانيات أرباب الاقلام

الباب الرابع

في تحويل السنين وما يكتب في التوفيق بين السنين القمرية والشمسية وما يكتب في التذاكر
وفيـه فصـلان

الفصـل الاول – في تحويل السنين والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية
الفصـل الثاني – في التـذاكر

المقالة السابعة

في الاقطاعات والمقاطعات وذكر نسخ من ذلك وفيها بابان

الباب الاول

في ذكر مقدمات الاقطاعات وفيـه فصلان

الفصـل الاول – في ذكر أمور تتعلق بالاقطاعات من بيان معناها وأصل وضعها في الشرع وأول من وضع ديوان الجيش في الاسلام ومن يستحق اثباته في الديوان وكيفية ترتيبهم فيـه
الفصـل الثاني – في بيان حكم الاقطاع وانقسامه الى اقطاع تمليك واستغلال

الباب الثاني

فيما يكتب في الاقطاعات في القديم والحديث وفيـه فصلان

الفصـل الاول – في أصل ذلك في الشرع وبيان ما أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم من البلاد والارضين

الفصـل الثاني – في صورة ما كان يكتب في الاقطاعات في الزمن القديم عن خلفاء بني العباس بالعراق وخلفاء الفاطميين بمصر وعن الملوك القائمين على الخلفاء بالعراق وملوك بني أيوب بالديار المصرية وما يكتب في الاقطاعات في زماننا مما استقر عليه الحال وما يكتب في ذلك من ديوان الجيش من المربعات وماهي مترتبة عليه وما يكتب في ذلك من ديوان الانشاء من المناشير وبيان مراتبها وذكر قطع الورق الذي يكتب فيه وما يكتب في طرز المناشير وما يلتحق بذلك من الطغراوات المشتملة على الالقاب السلطانية التي كانت تلصق بأعلى المناشير بين الطرة والبسملة وما يختص من ذلك بالزيادات والتجديدات

المقالة الثامنة

فى الايمان وفيها بابان

الباب الاول

فى أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض فى الايمان وفيه فصلان

الباب الثانى

فى نسخ الايمان الملوكية وفيه فصلان

المقالة التاسعة

فى عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك وفيه خمسة أبواب

الباب الاول

فى الامانات وفيه فصلان

الباب الثانى

فى الدفن وفيه فصلان

الباب الثالث

فيما يكتب فى عقد الذمة وما يتفرع على ذلك وفيـــه فصلان

الفصـــل الاول – فى الاصول التى يرجع اليها هذا العقد

الفصـــل الثانى – فى صورة ما يكتب فى متعلقات أهـــل الذمة والزامهـــم بالجرى على ما يقتضيه عقد الذمة لهم

الباب الرابع

فى الهدن الواقعة بين ملوك الاسلام وملوك الـكفر وفيـــه فصلان

الفصـــل الاول – فى أصول يتعين على الكاتب معـــرفتها من بيان معنى الهـــدنة وما يرادفها من الالفاظ وبيان أصل وضعها فى الشرع وما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابتها

الفصـــل الثانى – فى صورة ما يكتب فى المهـــادنات واختـــلاف مذاهب كتاب الشرق والغـــرب والديار المصرية فى ذلك وذكر نسخ منهـــا وبيان ما يكتب من ذلك من ديوان الانشاء بالابواب السلطانية بالديار المصرية وما يرد من ذلك مما يكتب عن ملوك الـكفر

الباب الخامس

فى عقود الصلح الواقعة بين ملكين مسلمين وفيـــه فصلان

الفصـــل الاول – فى أصول تعتمد فى ذلك

الفصـــل الثانى – فيما يكتب فى عقد الصلح وذكر نسخ من ذلك مما كتب به عن الخلفاء والملوك فى القديم والحديث الى زماننا

المقـــالة العـــاشرة

فى فنون من الكتابة يتداولها الكتاب ويتنافسون فى عملها ليس لها تعلق بكتابة الدواوين السلطانية ولا غيرها وفيها بابان

الباب الاول

فى الجـــديات وفيـــه ســـتة فصول

الفصـــل الاول – فى المقامات وذكر نسخ منها

الفصـــل الثانى – فى الرسائل من الرسائل الملوكية المشتملة على الغزو والصـــيد ونحو ذلك والرسائل الواردة مورد المدح والرسائل الواردة مورد الذم ورسائل المفاخرات بين الاشياء

النفيسة كالمفاخرة بين العلوم والسيف والقلم ونحو ذلك والرسائل المشتملة على الأسئلة والأجوبة والرسائل المكتتبة بالحوادث والماجريات وذكر نسخ من ذلك جميعه

الفصل الثالث – فى قدمات البندق وذكر نسخ منه

الفصل الرابع – فى الصدقات الملوكية وصدقات الاعيان

الفصل الخامس – فيما يكتب عن العلماء وأهل الادب من الاجازة بالفتاوى وعراضات الكتب والمرويات وما يكتب على الكتب المصنفة والقصائد من التقريظات وما يكتب عن القضاة من التقاليد الحكمية واسجالات العدالة والمطلقات وغير ذلك

الفصل السادس – فى العمرات التى تكتب للحاج

الباب الثانى

فى الهزليات وفيه فصلان

الفصل الاول – فيما اعتنت الملوك ببعضه

الفصل الثانى – فى سائر أنواع الهزل

الخاتمة

فى ذكر أمور تتعلق بديوان الانشاء غير أمور الكتابة وفيها أربعة أبواب

الباب الاول

فى الكلام على البريد وفيه فصلان

الفصل الاول – فى مقدمات يحتاج الكاتب الى معرفتها من معرفة معنى البريد وأول من وضعه فى الجاهلية والاسلام وبيان معالمه

الفصل الثانى – فى ذكر مراكز البريد بالديار المصرية والبلاد الشامية على اختلاف طرقها

الباب الثانى

فى مطارات الحمام الرسائل وذكر أبراجها المقررة بالديار المصرية والبلاد الشامية وفيه فصلان

الفصل الاول – فى ذكر مطاراته واعتناء الملوك بشأنه فى القديم والحديث ومسافات طيرانه

الفصل الثانى – فى الابراج المقررة له بالديار المصرية والبلاد الشامية

الباب الثالث

في ذكر مراكب الثلج الواصل من البلاد الشامية الى الملوك بالديار المصرية
وفيـــه فصـــلان

الفصـــل الاول ـ في مراكبه

الفصـــل الثاني ـ في هجنـــه

الباب الرابع

في المناور والمحرقات وفيـــه فصـــلان

الفصـــل الاول ـ في المناور التي كان يستعلم بها حركة التتار الى البلاد الاسلامية

الفصـــل الثاني ـ في المحرقات التي كان يتوسل بها الى احراق زروع التتار ومراعيهم بأطراف بلادهم

المقدمة

فى المبادى التى يجب تقديمها قبل الخوض فى كتابة الانشاء

وفيها خمسة أبواب

الباب الاول

فى فضل الكتابة ومدح فضلاء أهلها وذم حمقاهم وفيه فصلان

الفصل الاول

(فى فضل الكتابة)

أعظم شاهد لجليل قدرها وأقوى دليل على رفعة شأنها ان الله تعالى نسب تعليمها الى نفسه واعتدّه من وافر كرمه وافضاله فقال عز اسمه (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) مع ما يروى أن هذه الآية والتى قبلها مفتتح الوحى وأول التنزيل على أشرف نبي وأكرم مرسل صلى الله عليه وسلم وفى ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها مالا خفاء فيه ثم بين شرفها بان وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلت قدرته (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) ولا أعلى رتبة وأبذخ شرفا مما وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته ثم زاد ذلك تأكيدا ووقر محله اجلالا وتعظيما بأن أقسم بالقلم الذى هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدست عظمته (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون) والاقسام لا تقع منه سبحانه الا بشريف ما أبدع وكريم ما اخترع كالشمس والقمر والنجوم ونحوها الى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها ثم كان نتيجة تفضيلها وأثرة تعظيمها وتبجيلها أن الشارع ندب الى مقصدها الأسنى وحث على مطلبها الاغنى فقال صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتاب مشيرا الى الغرض المطلوب منها وغايتها المجتناة من ثمرتها وذلك أن كل ذى صنعة لا بدله فى معاناتها من مادة جسمية تظهر فيها الصورة وآلة تؤدى الى تصويرها وغرض ينقطع الفعل عنده وغاية تستثمر من صنعته والكتابة احدى الصنائع فلا بد فيها من الامور الاربعة فمادتها الالفاظ التى يخيلها الكاتب فى أوهامه وتصوّر من ضم بعضها الى بعض صورة باطنة

تامة فى نفسـه بالقوة والخط الذى يخطه القلم ويقيد به تلك الصور وتصـير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة وآلتها القلم وغرضها الذى ينقطع الفعل عنده تقييد الالفاظ بالرسوم الخطية فتكمل قوة النطق وتحصـل فائدته للابعد كما تحصـل للاقرب وتحفظ صوره ويؤمن عليه من التغير والتبدل والضياع وغايتها الشئ المستثمر منها وهى انتظام جمهور المعاون والمرافق العظيمة العائدة فى أحوال الخاصة والعامة بالفائدة الجسيمة فى أمور الدين والدنيا ولما كان التقييد بالكتابة هو المطلوب وقع الحض من الشارع عليه والحث على الاعتناء به تنبيها على أن الكتابة من تمام الكمال من حيث ان العمر قصير والوقائع متسعة وماذا عسى أن يحفظه الانسان بقلبه أو يحصله فى ذهنه قال ذو الرمة لعيسى بن عمر اكتب شـعرى فالكتاب أعجب الى من الحفظ ان الاعرابى لينسى الكلمة قد سهرت فى طلبها ليلة فيضع موضـعها كلمة فى وزنها لا تساويها والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام وقد أطنب السلف فى مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأوا لمـادح حتى قال سعيد بن العـاص من لم يكتب فيمينه يسرى وقال معن ابن زائدة اذا لم تكتب اليد فهى رجل وبالغ مكحول فقال لا دية ليد لا تكتب قال الجاحظ ولو لم يكن من فضـل الكتابة إلا أنه لا يسجل نبى سجلا ولا خليفة مرضى ولا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا الا استفتح بذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الخليفة ثم بذكر الكاتب كما هو مشهور فى السجلات التى سجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل نجران وغيرهم وأكثرهـا بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى شرفه ونبله وسابقتـه ونجدته ومن ثم قال المؤيد الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة اليها ينتهى الفضل وعندها تقف الرغبة ومن كلام أبى جعفر الفضـل بن أحمد فى جملة رسالة الكتابة أس الملك وعمـاد المملكة وأغصان متفرقة من شجرة واحدة والكتابة قطب الادب وملاك الحكمة ولسان ناطق بالفصل وميزان يدل على رجاحة العقل والكتابة نور العـلم وقدامة العقول وميدان الفضـل والعدل والكتابة حلية وزينة ولبوس وجمال وهيبة وروح جارية فى أقسام متفرقة والكتابة أفضـل درجة وأرفع منزلة ومن جهل حق الكتابة فقـد وسم بوسم الغواة الجهـلة وبالكتابة والكتاب قامت السيـاسة والرياسة ولو أن فضـلا ونبلا تصورا جميعا تصورت الكتابة ولو أن فى الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صـنعة قال صاحب مواد البيان ومن المعلوم أن جميع الصنـائع وسائل الى درك المطالب وسـبل الرغائب وان عوائدها متفاضلة فى الكثرة والقلة بحسب تفاضلهـا فى الرفعة والضـعة اذ كان منها ما لا يفى بالبلغة من قوام العيش نحو الصـنائع المهينة السوقية الداخلة فى المرافق العامية ومنها ما يوصل الى الثروة ويجاوز حد الكفاية ويحظى بالمـال والنعم الخطيرة وهى الصنائع الخاصة وإذا تؤمل ما هذه صفته منها علم أنه ليس منها ما يلحق

بصناعة الكتابة ولا يساويها فى هذا النوع ولا ما يكسب ما تكسبه من الفوائد والمعاون مع حصول الرفاهية والتنزه عن دناءة المكاسب ولا ما يوصل اليه من الحظوية ورفاهية العيش ومشاركة الملوك فى اقتناء المساكن الفسيحة والملابس الرفيعة والمراكب النبيلة والدواب النفيسة والخدم المستحسنة وغير ذلك من آلات المروءة والادوات الملوكية فى أقرب المدد وأقل الأزمنة وناهيك بذلك من فضل هذه الصناعة وشرفها وارتفاع خطرها وسموّ قدرها اذ كان لها سعة لمثل هذه الجدوى التى لا يوجد مثلها فى غيرها من الصنائع وكفى بالكتابة شرفا أن صاحب السيف يزاحم الكاتب فى قلمه ولا يزاحمه الكاتب فى سيفه قال فى مواد البيان ومن ثم صار السلطان الذى هو رئيس الناس ومستخدم أرباب كل صناعة ومصرفهم على أغراضه يفتخر بأن تكون فضيلتها حاصلة له مع ترفعه عن التلبس بصناعة من الصنائع الحسنة وأنفته أن يقع اسم من أسمائها عليه قال وذلك انا نرى كل ملك وسلطان يؤثر أن يكون له حظ من بلاغة العبارة وجودة الخط وفى ذلك ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتبة وأعلاها درجة وأن المشاركين للسلطان فيها ممن تكتنفه سياسته أفضل من سائر المتحلين بغيرها من الصنائع الاخر فقد علم أن الصنائع كلها معاون ومرافق لا تنتظم عمارة العالم الا بتضافرها ومرافدة بعضها البعض وأنها على ضربين خاصية وعامية فالعامية صنائع المهنة وأهل الاسواق والحرف وان شاركهم الخاصة فى الحاجة اليها لأن بها تنتظم أمور المعاملات وتعمر البلاد والخاصية التى تقع فى حيز الملوك والسلاطين ويتوزعها أعوانهم وأتباعهم وهذه الصنائع انما يقع التمييز بين أقدارها بالنظر الى مقدار عائدتها فى أمور الملك والسلطان والرعية مما كان معلقا بالامر الأهم وكانت الحاجة اليه ألزم وقدر المنفعة به أجسم والفساد العائد بوقوع خلل فيه على أسباب المملكة أعظم ومرتبته فى الصنائع الخاصة أشرف وألطف وليس من الصنائع صناعة تجمع هذه الفضائل الا صناعة الكتابة وذلك لان الملك يحتاج فى انتظام أمور سلطانه الى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها أحدها رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهى وترغيب ووعد ووعيد واحماد واذمام والثانى استخراج الاموال من وجوهها واستيفاء الحقوق السلطانية فيها والثالث تفريقها فى مستحقيها من أعوان الدولة وأوليائها الذين يحمون حوزتها ويسدون ثغورها ويحفظون أطرافها ويذبون عنها وعن رعاياها وغير ذلك من وجوه النفقات الخاصة والعامة ومعلوم أن هذه الاعمال لا يقوم بها الا كتاب السلطان ولا سبيل للكتاب الى الكتابة فيها الا بالتدبر فى صناعة الكتابة فهى اذن من أشرف الصنائع لعظيم عائدتها على السلطان ودولته قال الجاحظ من أبين فضلها أن جعلت فى علية الناس قال صاحب مواد البيان وقد عرف أن الذين وضعوها وابتدهوها ورسموا

رسومها هم الانبياء عليهم السلام وقد ذكر علماء التاريخ أن يوسف عليه السلام كان يكتب للعزيز وهارون ويوشع ابن نون كانا يكتبان لموسى عليه السلام وسليمان بن داود كان يكتب لأبيه وآصف بن برخيا ويوسف بن عنقا كانا يكتبان لسليمان عليه السلام ويحيى بن زكريا كان يكتب للمسيح عليه السلام وقد انتقل جماعة منها الى الخلافة فأبو بكر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة اليه بعد ذلك وعمر بن الخطاب كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة اليه وعثمان بن عفان كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب لابى بكر بعده ثم صارت الخلافة اليه ومعاوية كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة اليه بعد الحسن ومروان بن الحكم كان يكتب لعثمان بن عفان ثم صار الامر اليه فيما بعد وعبد الملك ابن مروان كان يكتب لمعاوية بن أبى سفيان ثم انتقل الامر اليه الى غير هؤلاء من أهل هذه الصنعة ممن قرع الذروة العلية من السيادة والسنام الباذخ من الرياسة على تغير الدول وتنقلها بين العرب والعجم وفى ذلك ما يدل على علو خطرها وارتفاع قدرها قال صاحب العقد وقد تنبه قوم بالكتابة بعد الخمول وصاروا الى الرتب العلية والمنازل السنية منهم سرجون بن منصور الرومى كان روميا خاملا فرفعته الكتابة وكتب لمعاوية ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ومنهم حسان النبطى كاتب الحجاج وسالم مولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الاكبر وعبد الصمد وجبلة بن عبد الرحمن وقحذم جد الحجاج بن هشام القحذمى وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية الى العربية والربيع والفضل بن الربيع ويعقوب بن داود ويحيى بن خالد وجعفر بن يحيى وابن المقفع والفضل بن سهل وجعفر بن الاشعث وأحمد ابن يوسف وابن عبد السلام الجندساورى وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب وابراهيم بن العباس ونجاح بن سلمة وأحمد بن عبد العزيز وزاد صاحب الريحان والريعان مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان قلت وهؤلاء بعض من شرفته الكتابة ورفعت قدره ولو اعتبر من شرف بالكتابة وارتفع قدره بها لفاتوا الحصر وخرجوا عن الحد وهذا الوزير المهلبى كان فى أول أمره فى شدة عظيمة من الفقر والمضايقة وكان قد سافر مرة ولقى فى سفره ضيقة حتى اشتهى اللحم ولم يقدر عليه فقال ارتجالا

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتى * يخلصنى من الموت الكريه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

وكان معه رفيق له فاشترى لحما وأطعمه ثم ترقى بالكتابة حتى وزر لمعز الدولة بن بويه الديلمى فى جلالة قدره . وهذا القاضى الفاضل أصله من بيسان من غير بيت الوزارة رفعته الكتابة حتى

وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وعلت رتبته عنده حتى بلغ من رتبته لديه أن كان يكتب فى كتب السلطان صلاح الدين عن نفسه بما أحب فكتب مرة السلام على الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين فى كتاب عن أبيه ثم كتب شعرا منه

وغريبة قد جئت فيها أولا * ومن اقتفاها كان بعدى الثانى

فرسولى السلطان فى ارسالها * والناس رسلهم الى السلطان

وأبلغ من ذلك كله أبو اسحاق الصابى صاحب الرسائل المشهورة كان على دين الصابئة مشددا فى دينه وبلغت به الكتابة الى أن تولى ديوان الرسائل عن الطائع والمطيع وعز الدولة ابن بويه وجهد فيه عز الدولة أن يسلم فلم يفعل ولما مات رثاه الشريف الرضى بقصيدة فلامه الناس لكونه شريفا رثى صابئيا فقال انما رثيت فضله . قال فى مواد البيان ولا عبرة عن قعد به الجد وتخلف عنه الحظ من أهل هذه الصناعة اذا العبرة بالاكثر لا بالقليل النادر على أن المبرز فى هذه الصناعة ان قعدت به الايام فى حال فلا بد أن يرفع قدره فى أخرى لأن دولة الفاضل من الواجبات ودولة الجاهل من الممكنات خصوصا اذا صادف الكاتب الفاضل ملكا فاضلا أو رئيسا كاملا فانه يوفيه حقه ويرقيه الى حيث استحقاقه فمن كلام بعض الحكماء تسقط الحظوظ فى دولة الملك الفاضل فلا يتسنم الرتبة العلية الا مستوجبها بالفضيلة وبالجملة ففضل الكتابة أكثر من أن يحصى وأجل من أن يستقصى وانما حرمت الكتابة على النبى صلى الله عليه وسلم ردا على الملحدين حيث نسبوه الى الاقتباس من كتب المتقدمين كما أخبر تعالى بقوله وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وأكذلك بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وقد كان صلى الله عليه وسلم يأتى من القصص والاخبار الماضية من غير مدارسة ولا نظر فى كتاب بما لا يعلمه الا نبى كما روى أن قريشا بعثت وجهت الى اليهود أن عرفونا شيأ نسأله عنه فبعثوا اليهم أن سلوه عن أنبياء أخذوا أحدهم فرموه فى بئر وباعوه فسألوه فنزلت سورة يوسف جملة واحدة بما عندهم فى التوراة وزيادة . قال العتبى الأمية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة وفى غيره نقيصة لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكن الانسان بها من الحيلة فى تأليف الكلام واستنباط المعانى فيتوسل الكفار الى أن يقولوا اقتدر بها على ما جاء به . قال صاحب مواد البيان وذلك ان الانسان يتوصل بها الى تأليف الكلام المنثور واخراجه فى الصور التى تأخذ بمجامع القلوب فكان عدم علمه بها من أقوى الحجج على تكذيب معانديه وحسم أسباب الشك فيه . وقد حكى أبو جعفر النحاس أن المأمون قال لأبى العلاء المنقرى بلغنى أنك أمى وانك لا تقيم الشعر وأنك تلحن فى كلامك فقال يا أمير المؤمنين أما اللحن فربما سبقنى لسانى بالشئ منه وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا

وكان لا ينشد الشعر فقال له المأمون سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل بالجاهل ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفي أمثالك نقيصة . قال الجاحظ وكلام أبي العلاء المنقري هذا من أوابد ما تكلم به الجهال على أن أصحابنا الشافعية رحمهم الله قد حكوا وجهين في أنه صلى الله عليه وسلم هل كان يعلم الكتابة أم لا وصححوا أنه لم يكن يعلمها معجزة في حقه كما تقدم . قال أبو الوليد الباجي من المالكية ولو كتب صلى الله عليه وسلم لكان معجزة لخرق العادة قال ولبست بأول معجزاته صلى الله عليه وسلم واذا كانت الكتابة من بين سائر الصناعات بهذه الرتبة الشريفة والذروة المنيفة كان الكتاب كذلك من بين سائر الناس . قال الزبير بن بكار الكتاب ملوك وسائر الناس سوقة . وقال ابن المقفع الملوك أحوج الى الكتاب من الكتاب الى الملوك ومن كلام المؤيد كتاب الملوك عيونهم المبصرة وآذانهم الواعية وألسنتهم الناطقة وكانت ملوك الفرس تقول الكتاب نظام الامور وجمال الملك وبهاء السلطان وخزان أمواله والأمناء على رعيته وبلاده وهم أولى الناس بالحباء والكرامة وأحقهم بمحبة السلامة . ومن كلام أبي جعفر الفضل بن أحمد للكتاب أقرت الملوك بالفاقة والحاجة واليهم ألقيت الأعنة والأزمة وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة وعليهم اتكلوا في الاهل والولد والذخائر والعقد وولاة العهد وتدبير الملك وقراع الاعداء وتوفير الفيء وحياطة الحريم وحفظ الاسرار وترتيب المراتب ونظم الحروب . قال في مواد البيان وما من أحد يتوسل الى السلاطين بالادب وعت اليهم من العلم بسبب الا وهو بأقله لا ينول ما ينوله الاعلى وجه الارفاق خلا الكاتب فانه ينول الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق لموضع الافتقار اليه والحاجة ومن المعلوم أنه لا بد من واسطة تقوم بين الملوك والرعية لبعد ما بين الطبقتين العليا والدنيا وليس من طبقات الناس من يساهم الملوك في جلالة القدر وعظيم الخطر ويشارك العامة في التواضع والاقتصاد سوى الكتاب فاحتيج اليهم للسفارة في مصالح الرعية عند السلاطين واستيفاء حقوق السلاطين من الرعية والتلطف في الصلة بينهما قال ولعلم الملوك بخطر هذه الصناعة وأهلها وعائدتها في أمور السلطان صرفوا العناية الى الكتبة وخصوهم بالحظوة وعرفوا لهم فضل ما جمعوه من الرأي والصناعة وكانت ملوك الفرس لرفعة رتبة الكتابة عندهم تجمع أحداث الكتاب وتواشيهم المعترضين لأعمال الملك ويأمرون رؤساء الكتابة بامتحانهم فمن رضي أقر بالباب ليستعان به ثم يأمر الملك بضمهم الى العمال واستعمالهم في الاعمال وينقلهم في الخدم على قدر طبقاتهم من حال الى حال حتى ينتهي بكل واحد منهم الى ما يستحقه من المنزلة ثم لا يمكن أحد ممن عرض اسمه على الملك من الخدمة عند أحد الا باذن الملك وفي عهد سابور وليكن كاتبك مقبول القول عندك رفيع المنزلة لديك يمنعه مكانه منك وما يظن به من لطافة موضعه عندك من الضراعة لاحد والمداهنة له ليحمله

ما أوليته من الاحسان على محض النصيحة لك ومنابذة من أراد عيبك وانتقاص حقك ولم يكن يركب الهمالج فى أيامهم الا الملك والكاتب والقاضى قلت ولشرف الكتابة وفضل الكتاب صرف كثير من أهل البلاغة عنايتهم الى وضع رسائل فى المفاخرة بين السيف والقلم إشارة الى أن بهما قوام الملك وترتيب السلطنة بل ربما فضل القلم على السيف ورجح عليه بضروب من وجوه الترجيح كما قال بعضهم مفضلا القلم بقسم الله تعالى به

ان افتخر الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة * مدا الدهر ان الله أقسم بالقلم

وكما قال ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شئ يغالبه * ما زال يتبع ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

فالمعنى فى ذلك أنها تؤثر فى ارهاب العدو على بعد والسيوف لا تؤثر الا عن قرب مع ما فضل به القلم من زيادة الجدوى والكرم والى ذلك يشير بعضهم بقوله مشيرا للقلم

فلكم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ما سلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشا بها * كرم السيول وصولة الآساد

الفصل الثانى

(فى مدح فضلاء الكتاب وذم حمقاهم)

أما فضلاء الكتاب فلم يزل الشعراء يلهجون بمدح أشراف الكتاب وتقريظهم ويتغالون فى وصف بلاغاتهم وحسن خطوطهم فمن أحسن ما مدح به كاتب قول ابن المعتز

اذا أخذ القرطاس خلت يمينه * تفتح نورا أو تنظم جوهرا

وقول الآخر

يؤلف اللؤلؤ المنثور منطقه * وينظم الدر بالاقلام فى الكتب

وقول الآخر

وكاتب يرقم فى طرسه * روضا به ترتع ألحاظه
فالدر ما تنظم أقلامه * والسحر ما تنثر ألفاظه

وقول الآخر

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمي هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وقول الآخر

لا يخطر الفكر فى كتابته * كأن أقلامه لها خاطـر
القول والفعل يجريان معا * لا أول فيهـما ولا آخر

وقول الآخر

وشادن من بنى الكتاب مقتـدر * على البلاغة أحلى الناس انشاء
فلا يجاريه فى ميـدانه أحد * يريك سحبان فى الانشاء ان شاء

وكذلك أولعوا بذم حمقى الكتاب ولهجوا بهجوهم فى كل زمن فمن ذلك قول بعض المتقدمين يهجو كاتبا

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها * ولو غرقت ثيابك فى المداد

وقول الآخر

وكاتب كتبه تذكرنى الـ * ـقرآن حتى أظل فى عجب
فاللفظ قالوا قلوبنا غلف * والخط تبت يدا أبى لهب

وقول الآخر

يعى غير ما قلنا ويكتب غير ما * يعيه ويقرا غير ما هو كاتب

وقول الآخر

وكاتب أقلامه * معودات بالغلط يكشط ما يكتبه * ثم يعيد ما كشط

وقول ابن أبى العينا يهجو أسد بن جهور الكاتب

أوما ترى أسد بن جهور قد غدا * متشـبها بأجلة الكتاب
لكن يخرق ألف طومار اذا * ما احتيج منه الى جواب كتاب

وقد أكثر الناس من الحكايات المضحكة عن هذا النوع من الكتاب مما صاروا به هزؤا على ممر الزمان وتعاقب الايام . كما حكى عن محمد بن يحيى الكاتب أنه قرأ على بعض الخلفاء كتابا يذكر فيه حاضر طى فصحفه جاضرطى فسخر منه أهل المجلس ويروى ان كتاب الدواوين ألزموا بعض العمال مالا يخرجا عليه فبعث بحسابه الى عبيد الله بن سليمان فوقع عليه هذا هذا ورد الحساب الى العامل فقدر العامل بضعف آدابه أنه صحح حجته وقبل الحساب منه كما يقال فى تثبت الشئ هو

هو وأخرج التوقيع الى الكتّاب وناظرهم على أن ذلك يوجب ازالة المال الذى لزمه عنه فلم يفهم أحدمنهم ماأراد عبيدالله بن سليمان فردّ التوقيع الى عبيدالله فلم يزده فى الجواب على ان شدد الكلمة الاخيرة ووقع تحتها الله المستعان اعلاما له أن لفظ هٰذا بالتشديد يعنى الهذيان . وحكى العباس بن أسد أن أبا الحسن على بن عيسى كتب الى أبى الطيب احمد بن عيسى كتابا من مكة(١) فقرأه ثم رمى به الىّ فقال اقرأ فقرأت كتابى اليك يوم القُرّ بالرفع فقال ما معنى يوم القرّ فقلت القرّ البرد فقال انما هو يوم القرّ بالفتح حين يقرّ الناس بمنى وهو اليوم الثانى من النحر ومثل ذلك كثير . قال صاحب نهاية الأدب وقد اتسع الخرق فى ذلك ودخل فى الكتابة من لا يعرفها البتة وزادوا عن الاحصاء حتى ان فيهم من لا يفرق بين الضاد والطاء . قال ولقد بلغنى عن بعض من أدخل نفسه فى الكتابة وتوسل الى أن كتب فى ديوان الرسائل انه رسم له بكتاب يكتبه فى حق رجل اسمه طرنطاى فقال لكاتب الى جانبه طرنطاى يكتب بالساقط أو بالقائم قال وصار الآن حد الكاتب عند هؤلاء الجهال أنه يكتب على المجود مدة ويتقن بزعمه أسطرا فاذا رأى من نفسه أن خطه قد جاد أدنى جودة أصلح بزته وركب برذونه أو بغلته وسعى فى الدخول الى ديوان الانشاء والانضمام الى أهله ولعل الكتابة انما يحصل ذمها بسبب هؤلاء وأمثالهم ولله درّ القائل

تعس الزمان فقد أتى بعجائب * ومحا فنون الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتّاب

قلت وانما تقاصرت الهمم عن التوغل فى صناعة الكتابة والأخذ منها بالحظ الاوفى لاستيلاء الأعاجم على الامر وتوسيد الامر لمن لا يفرق بين البليغ والالكن لعدم المامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها حتى صار الفصيح لديهم أعجما والبليغ فى مخاطبتهم أبكما ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ إلا أن ينشد

وصناعتى عربية وكأننى * ألقى بأكثر ماأقول الروما
فلمن أقول وما أقول وأين لى * فأسير لابل أين لى فأقيما

وقد حكى أبو جعفر النحاس عن بعضهم أنه قال حضرت مجلس رجل فأجمت عن مسئلة حاجتى لكثرة جمعه فرأيته وقد أملى على كاتبه ولم أكتب بخطى اليك خوفا من أن تقف على رداوته فكتب كاتبه رداته على ما يجب فقال أما تحسن الهجاء أين الواو فأثبتها الكاتب فخسّ حينئذ فى عينى فاجترأت عليه فدنوت منه وسألته حاجتى . وحكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء أنه تقدم الى كاتبه بأن يكتب ألقاب أمير ليثبتها على برج أنشأه فكتب أمر بعمارة هذا البرج أبو فلان فلان واستوفى القابه الى آخرها ودفع المثال الى الوزير ليقف عليه فلما قرأه غضب

(١) فى ضوء الصبح (من منى)

حتى ظهر الغضب فى وجهه وأنكر على الكاتب كونه كتب أبو فلان بالواو ولم يكتب أبى فلان بالياء محتجا عليه بأن أبو من ألفاظ العامة فلا تعظيم بها فقال الكاتب ان الحال اقتضت رفعه من حيث انه فى هذا الموضع فاعل فزاد انكاره عليه وقال متى رأيت الامير فاعلا فى هذا الموضع يحمل الطين وينقل الحجارة على رأسه حتى تنسبه الى هذا والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك .
قال ابن حاجب النعمان ولما كان أرباب الامور وولاة مهام الخلفاء فمن دونهم ينفذون ما يكتب به الكتاب عنهم وما يرد عليهم من الكتب ويناقشون على ما يقع فيهما من خطأ أو يدخلهما من خلل ويقدمون الفاضل ويرفعون درجته ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته كان الكتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيلة ويترفعون عن أن يعلق بهم من الجهل أدنى رذيلة ويجهدون فى معرفة ما يحسن ألفاظهم ويزين مكاتباتهم لينالوا بذلك أرفع رتبة ويفوزوا بأعظم منزلة ولما انعكست القضية فى تقديم من غلط بهم الزمان وغفل عنهم الحدثان واستولت عليهم شرة الجهل ونفرت منهم أوانس الرياسة والفضل وصار العالم لديهم حشفا والأدب محارفا والمعرفة منكرة والفضيلة منقصة والصمت لكنة والفصاحة هجنة اجتنبت الآداب اجتناب المحارم وهجرت العلوم هجر كبائر المآثم ولو أنصف أحد هؤلاء الجهال لكان بالحشف أولى وبالحرفة والمنقصة أجدر وأحرى لكنه جهل الواجبات وأوضاعها وسفه حق المروءة وأفسد أوضاعها ويوصف بالحى الناطق والصامت أرجى منه عند أهل النظر وذوى الحقائق

الباب الثانى
من المقـــدمة

فى ذكر مدلول الكتابة لغة واصطلاحا وبيان معنى الانشاء واضافة الكتابة اليه ومرادفة لفظ التوقيع لكتابة الانشاء فى عرف الزمان والتعبير عنها بصناعة الترسل وتفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح النثر على الشعر وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول

فى ذكر مدلولها وبيان معنى الانشا واضافتها اليه ومرادفة التوقيع لكتابة الانشا فى عرف الزمان والتعبير عنها بصناعة الترسل

الكتابة فى اللغة مصدر كتب يقال كتب يكتب كتبا وكتابا وكتابة ومكتبة وكتبة فهو كاتب ومعناها الجمع يقال تكتبت القوم اذا اجتمعوا ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة وكتبت البغلة

اذا جمعت بين شفريها بحلقة أو سير ونحوه ومن ثم سمى الخط كتابة لجمع الحروف بعضها الى بعض كما سمى خرز القربة كتابة لضم بعض الخرز الى بعض . قال ابن الاعرابى وقد تطلق الكتابة على العلم ومنه قوله تعالى (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى يعلمون وعلى حد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه لأهل اليمن حين بعث اليهم معاذا وغيره انى بعثت اليكم كاتبا . قال ابن الاثير فى غريب الحديث أراد عالما سمى بذلك لأن الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده علما ومعرفة وكان الكاتب عندهم قليلا وفيهم عزيزا أما فى الاصطلاح فقد عرفها صاحب مواد البيان بأنها صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها ولم يبين مقاصد الحد ولا ما دخل فيه ولا ما خرج عنه غير أنه فسر فى موضع آخر معنى الروحانية فيها بالالفاظ التى يتخيلها الكاتب فى أوهامه ويصور من ضم بعضها الى بعض صورة باطنة قائمة فى نفسه والجثمانية بالخط الذى يخطه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة وفسر الآلة بالقلم وبذلك يظهر معنى الحد وما يدخل فيه ويخرج عنه ولا شك أن هذا التحديد يشمل جميع ما يسطره القلم مما يتصوره الذهن ويتخيله الوهم فيدخل تحته مطلق الكتابة كما هو المستفاد من المعنى اللغوى على أن الكتابة وان كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج عن أصلين هما كتابة الانشاء وكتابة الاموال وما فى معناهما على ما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة بصناعة الانشاء حتى كانت الكتابة اذا أطلقت لا يراد بها غير كتابة الانشاء والكاتب اذا أطلق لا يراد به غير كاتبها حتى سمى العسكرى كتابه الصناعتين الشعر والكتابة يريد كتابة الانشاء وسمى ابن الاثير كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر يريد كاتب الانشاء اذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الانشاء من علم البلاغة وغيرها ثم غلب فى زماننا بالديار المصرية اسم الكاتب على كاتب المال حتى صار الكاتب اذا أطلق لا يراد به غيره وصار لصناعة الانشاء اسمان خاص يستعمله أهل الديوان ويتلفظون به وهو كتابة الانشاء وعام يتلفظ به عامة الناس وهو التوقيع فأما تسميتها بكتابة الانشاء فتخصيص لها بالاضافة الى الانشاء الذى هو أصل موضوعها وهو مصدر أنشأ الشئ اذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتذيه بمعنى ان الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعانى فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرهما أو أن المكاتبات والولايات ونحوها تنشأ عنه . وأما تسميتها بالتوقيع فأصله من التوقيع على حواشى القصص وظهورها كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الانشاء أو كتاب الدست ومن جرى مجراهم بما يعتمد فى القضية التى رفعت القصة بسببها ثم أطلق على كتابة الانشاء جملة . قال ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب ومعناه فى كلام العرب التأثير القليل الخفيف

يقال جنب هـذه الناقة موقع اذا أثرت فيه حبال الاحمال تأثيرا خفيفا . وحكى ان اعرابية قالت لجارتها حديثك ترويع وزيارتك توقيع تريد أن زيارتها خفيفة قلت ويحتمل أن يكون من قولهم وقع الامر اذا حق ولزم ومنه قوله تعالى (ووقع القول عليهم بما ظلموا) أى حق أو من قولهم وقع الصيقل السيف اذا أقبل عليه بميقعته يجلوه لأنه بتوقيعه فى الرقعة يجلو اللبس بالارشاد الى ما يعتمد فى الواقعة أو من موقعة الطائر وهى المكان الذى يألفه من حيث ان الموقع على الرقعة يألف مكانا منها يوقع فيه كحاشية القصة ونحوها أو من الموقعة بالتسكين وهو المكان المرتفع فى الجبل لارتفاع مكان الموقع فى الناس وعلو شأنه أو غير ذلك ووجه اطلاقه على كتابة الانشاء أنه قد تقدم أن التوقيع فى الاصل اسم لما يكتب على القصص ونحوها وسيأتى ان ما يكتب من ديوان الانشاء من المكاتبات والولايات ونحوها انما يبنى على ما يخرج من الديوان من التوقيع بخط صاحب ديوان الانشاء أو كتاب الدست ومن فى معناهم وحينئذ فيكون التوقيع هو الاصل الذى يبنى عليه المنشى وقد يكون سمى بأصله الذى نشأ عنه مجازا وقد يعبر عنها بصناعة الترسل تسمية للشئ بأعم أجزائه اذ الترسل والمكاتبات أعظم كتابة الانشاء وأعمها من حيث انه لا يستغنى عنها ملك ولا سوقة بخلاف الولايات فانها مختصة بأرباب المناصب العلية دون غيرهم وعلى ذلك بنى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى رحمه الله تسمية كتابه حسن التوسل الى صناعة الترسل

الفصل الثانى

(فى تفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة)

قد تقدم فى الفصل الذى قبله أن الكتابة وان كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج عن أصلين كتابة الانشاء وكتابة الاموال . فأما كتابة الانشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة الى تأليف الكلام وترتيب المعانى من المكاتبات والولايات والمسامحات والاطلاقات ومناشير الاقطاعات والهدن والامانات والأيمان وما فى معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها. وأما كتابة الاموال فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتاب الى تحصيل المال وصرفه وما يجرى مجرى ذلك ككتابة بيت المال والخزائن السلطانية وما يجبى اليها من أموال الخراج وما فى معناه وصرف ما يصرف منها من الجارى والنفقات وغير ذلك وما فى معنى ذلك ككتابة الجيوش ونحوها مما ينجر القول فيه الى صنعة الحساب ولا شك أن لكل من النوعين قدرا عظيما وخطرا جسيما الا أن أهل التحقيق من علماء الادب ما برحوا يرجحون كتابة الانشاء ويفضلونها ويميزونها على

سائر الكتابات ويقدمونها ويحتجون لذلك بأمور منها ان كتابة الانشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من الكتابة ضرورة أن كاتب الانشاء يحتاج فيما يكتبه من ولاياته ومكاتباته مما يتعلق بكتابة الاموال الى أن يمثل لهم فى وصاياه من صناعتهم ما يعتمدونه ويبين لهم ما يأتونه ويذرونه فلا بد أن يكون عالما بصناعة من يكتب له بخلاف كاتب الاموال فانه انما يعتمد على رسوم مقررة وانموذجات محررة لا يكاد يخرج منها ولا يحتاج فيها الى تغيير ولا زيادة ولا نقص ومنها اشتمال كتابة الانشاء على البيان الدال على لطائف المعانى التى هى زبد الأفكار وجواهر الالفاظ التى هى حلية الألسنة وفيها يتنافس أصحاب المناصب الخطيرة والمنازل الجليلة أكثر من تنافسهم فى الدر والجوهر ومنها ما تستلزمه كتابة الانشاء من زيادة العلم وغزارة الفضيلة وذكاء القريحة وجودة الروية لما يحتاج اليه من التصرف فى المعانى المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير الالفاظ التى عبر بها من سبق الى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها الى حقائقها وفى ذلك من المشقة ما لا يخفاء فيه على من مارس الصناعة خصوصا اذا طلب الزيادة والعلو على من تقدمه فى استعمالها أو حذا حذو رسوم المبرزين الذين ينتحلون الكلام ويوقعونه مواقعه مع مراعاة رشاقة اللفظ وحلاوة المعنى وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع المعانى الابكار للامور الحادثة التى لم يقع مثلها ولا سبق سابق الى كتابتها لأن الحوادث والوقائع لا تتناهى ولا تقف عند حد ومن هنا تنقص الوزير ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر المقامات الحريرية وازدراها جانحا الى أنها صور موضوعة فى قوالب حكايات مبنية على مبدإ ومقطع بخلاف الكتابة فان أمورها غير متناهية ولو روعى حال ما يكتبه الكاتب فى أدنى مدة لكان مثل المقامات مرات ومنها اختصاص كاتب الانشاء بالسلطان وقربه منه واعظام خواصه واعتمادهم فى المهمات عليه مع كونه أحرز بالسلامة من أرباب الاقلام المتصرفين فى الاموال . وقد قال بعض الحكماء الكتاب كالجوارح كل جارحة منها ترفد الاخرى فى عملها بما به يكون فعلها وكاتب الانشاء بمنزلة الروح الممازجة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواسه قال فى مواد البيان ولا شك فى صحة هذا التمثيل لأن كاتب الانشاء هو الذى يمثل لكل عامل فى تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه بالامر والنهى على ما يؤدى الى استقامة ما عدق به وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذى يرفع قدرها ويعلى ذكرها ويعظم خطرها ويدل على فضل ملكها وهو المتصرف عن السلطان فى الوعد والوعيد والترغيب والاحماد والاذمام واقتضاب المعانى التى تقر الوالى على ولايته وطاعته وتعطف العدو العاصى عن عداوته ومعصيته على أن بعض المتعصبين قد رجح كتابة الاموال على كتابة الانشاء بمغالطات أوردها وتزويرات زخرفها وغثها لا تخفى على متأمل ولا تتغطى على ذى ذهن سليم وقد أورد الحريرى فى المقامة الثانية والعشرين

المعروفة بالفراتية ألفاظا قلائل فى المفاخرة بين كاتبى الانشاء والاموال فقال على لسان أبى زيد السروجى اعلموا أن صناعة الانشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغة تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشئ جهينة الاخبار وحقيبة الاسرار ونجى العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصى وتملك النواصى ويقتاد العاصى ويستدنى القاصى وصاحبه برىء من التبعات آمن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجامعات ثم عقب كلامه بأن قال الا أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين إتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس اذ الاتاوة تملأ الاكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الاوارج يغنى الناظر واستخراج المدارج يعنى الخاطر ثم ان الحسبة حفظة الاموال وحملة الاثقال والنقلة الاثبات والسفرة الثقات وأعلام الانصاف والانتصاف والشهود المقانع فى الاختلاف ومنهم المستوفى الذى هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الأعمال والمهيمن على العمال واليه المآل فى السلم والهرج وعليه المدار فى الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفى يده رباط الاعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على أن يراع الانشاء متقول ويراع الحساب متأول والحاسب مناقش والمنشئ أبو براقش ولكليهما حمة حين يرقى الى أن يلقى ويرقى واعنات فيما ينشا حتى يغشى ويرشى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) قلت وقد أوردت فى المقامة التى أنشأتها فى كتابة الانشاء المشار اليها بالذكر فى خطبة هذا الكتاب من فضل الكتابة ما يشدو بذكره المترنم وأودعتها من شرف الكتاب ما يذعن له الخصم ويسلم

الفصل الثالث

(فى ترجيح النثر على الشعر)

اعلم أن الشعر وان كان له فضيلة تخصه ومزية لا يشاركه فيها غيره من حيث تفرده باعتدال أقسامه وتوازن أجزائه وتساوى قوافى قصائده مما لا يوجد فى غيره من سائر أنواع الكلام مع طول بقائه على ممر الدهور وتعاقب الازمان وتداوله على ألسنة الرواة وأفواه النقلة

لتمكن القوة الحافظة منه بارتباط أجزائه وتعلق بعضها ببعض مع شيوعه واستفاضته وسرعة انتشاره وبعد مسيره ومايؤثره من الرفعة والضعة باعتبار المدح والهجاء وانشاده بمجالس الملوك الحافلة والمواكب الجامعة بالتقريظ وذكر المفاخر وتعديد المحاسن ومايحصل عليه الشاعر المجيد من الحبا الجسيم والمنح الفائق الذى يستحقه بحسن موقع كلامه من النفوس ومايحدثه فيها من الاريحية وقبوله لما يرد عليه من الألحان المطربة المؤثرة فى النفوس اللطيفة والطباع الرقيقة وما اشتمل عليه من شواهد اللغة والنحو وغيرهما من العلوم الادبية ومايجرى مجراها ومايستدل به منها فى تفسير القرآن الكريم وكلام من أوتى جوامع الكلم ومجامع الحكم صلى الله عليه وسلم وكونه ديوان العرب ومجمع تمكنها والمحيط بتواريخ أيامها وذكر وقائعها وسائر أحوالها الى غير ذلك من الفضائل الجمة والمفاخر الفخمة فان النثر أرفع منه درجة وأعلى رتبة وأشرف مقاما وأحسن نظاما اذ الشعر محصور فى وزن وقافية يحتاج الشاعر معها الى زيادة الالفاظ والتقديم فيها والتأخير وقصر الممدود ومد المقصور وصرف مالا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف واستعمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها وغير ذلك مما تلجئ اليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه والكلام المنثور لا يحتاج فيه الى شئ من ذلك فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه ويؤيد ذلك انك اذا اعتبرت ما نقل من معانى النثر الى النظم وجدته قد انحطت رتبته ألا ترى الى قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسن انه لما نقله الشاعر الى قوله

فيالائمى دعنى أغالى بقيمتى * فقيمة كل الناس ما يحسنونه

قد زادت ألفاظه وذهبت طلاوته وان كان قد أفرد المعنى فى نصف بيت فانه قد احتاج الى زيادة مثل ألفاظه مرة أخرى توطئة له فى صدر البيت ومراعاة لاقامة الوزن وزاد فى قوله فقيمة فاء مستكرهة ثقيلة لا حاجة اليها وأبدل لفظ امرئ بلفظ الناس ولا شك ان لفظ امرئ هنا أعذب وألطف وغير قوله يحسن الى قوله يحسنونه والجمع بين نونين ليس بينهما الاحرف ساكن غير معتدّ به مستوخم واذا اعتبرت ما نقل من معانى النظم الى النثر وجدته قد نقصت ألفاظه وزاد حسنا ورونقا ألا ترى الى قول المتنبى يصف بلدا قد علقت القتلى على أسوارها

وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائم

كيف نثره الوزير ضياء الدين بن الاثير فى قوله يصف بلدا بالوصف المتقدم وكانما كان بها جنون فبعث لها من عزائمه عزائم وعلق عليها من رؤس القتلى تمائم فانه قد جاء فى غاية الطلاوة خصوصا مع التورية الواقعة فى ذكر العزائم مع ذكر الجنون وهذا فى النظم والنثر الفائقين ولا عبرة بما عداهما وناهيك بالنثر فضيلة ان الله تعالى أنزل به كتابه العزيز ونوره المبين الذى لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه ولم ينزله على صفة نظم الشعر بل نزهه عنـه بقوله (وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون) وحرّم نظمه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا لمحله وتنزيها لمقامه منبها على ذلك بقوله (وما علمناه الشـعر وما ينبغي له) وذلك أن مقاصـد الشعر لا تخلو عن الـكذب والتحويل على الامور المستحيلة والصـفات المجاوزة للحد والنعوت الخارجة عن العادة وقذف المحصنات وشهادة الزور وقول البهتان وسب الاعراض وغير ذلك مما يجب التنزه عنه لآحاد الناس فكيف بالنبي صلى الله عليه وسـلم ولا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأخله بخلاف النثر فان المقصود الاعظم منـه الخطب والترسـل وكلاهما شريف الموضوع حسـن التعلق اذ الخطب كلام مبني على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسـه وتوحيده والثناء عليـه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم والتذ كير والترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا والحض على طلب الثواب والأمر بالصلاح والاصلاح والحث على التعاضد والتعاطف ورفض التباغض والتقاطع وطاعة الائمة وصـلة الرحم ورعاية الذمم وغير ذلك مما يجري هـذا المجرى مما هو مستحسن شرعا وعقلا وحسبك رتبة قام بهـا النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده والترسل مبنيّ على مصالح الامة وقوام الرعية لما يشـتمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس في مهمات الدين وصلاح الحـال وبيعات الخلفاء وعهودهم وما يصـدر عنهم من عهود الملوك وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والاقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدهـا الى غير ذلك من المصالح التي لا تـكاد تدخل تحت الاحصاء ولا يأخذها الحصر . قال في مواد البيـان وقد أحست العرب بانحطاط رتبة الشـعر عن الـكلام المنثور كما حكي أن امرأ القيس بن حجر همّ أبوه بقتله حين سمعه يترنم في مجلس شرابه بقوله

اسقنا حجـرا[1] على علاته * من كميت لونها لون العلق

وما روي ان النابغة الجعدي كان سيدا في قومه لا يقطعون أمرا دونه وان قول الشعر نقصه وحط رتبته قال ولا عبرة بمـا ذهب اليه بعضهم من تفضيل الشعر على النثر اتباعا للهواه بدون دليل واضح قال في الصناعتين ومع ذلك فان أ كمل صفات الخطيب والـكاتب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتبا قال والذي قصر بالشعر كثرته وتعاطي كل أحد له حتى العامة والسفلة فلحقه بالنقص ما لحق الشطرنج حين تعاطاه كل أحد وسـيأتي الكلام على احتياج الـكاتب للشعر في بيان ما يحتاج اليه الـكاتب فيمـا بعد ان شاء الله تعالى

(١) كذا في الاصـل

الباب الثالث
فى صفاتهم وآدابهم وفيه فصلان

الفصل الاول
(فى صفاتهم وهى على ضربين)

الضرب الاول
(الصفات الواجبة التى لا يسع اهمالها وهى عشر صفات)

الصفة الاولى الاسلام ـ ليؤمن فيما يكتبه ويمليه ويوثق به فيما يذره ويأتيه إذ هو لسان المملكة المرهب للعدو بوقع كلامه والجاذب للقلوب بلطف خطابه فلا يجوز أن يولى أحد من أهل الكفر اذ يكون عينا للكفار على المسلمين ومطلعا لهم على خفاياهم فيصلون به الى ما لا يمكن استدراكه وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) والمراد بالبطانة فى الآية من يطلع على حال المسلمين كالاطلاع على مقدار خزائنهم من المال واعداد جيشهم من الخيل والرجال . قال أبو الفضل الصورى فى تذكرته وان من الفطرة التى جبل كل أحد عليها حنين كل شخص من الناس الى من يرى رأيه ويدين دينه قال وهذا أمر يجده كل أحد فى نفسه ولذلك شرط بعضهم فى الكاتب أن يكون على مذهب الملك الذى يتمذهب به من مذاهب المسلمين ليكون موافقا له من كل وجه

ولما فتحت الصحابة رضوان الله عليهم مصر بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص يأمره أن لا يستعمل فى عمل من أعمال المسلمين كافرا فأجابه عمرو بأن المسلمين الى الآن لم يعرفوا حقيقة البلاد ولم يطلعوا على مقادير خراجها وقد اجتهدت فى نصرانى عارف منسوب الى أمانة الى حين معرفتنا بها فنعزله فغضب عمر رضى الله عنه وقال كيف تؤمنهم وقد خونهم الله وكيف تعزهم وقد أذلهم الله وكيف تقربهم وقد أبعدهم الله ثم تلى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية) وقال فى آخر كتابه مات النصرانى والسلام . وقد روى أن أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه كاتب نصرانى

فأعجب عمر بخطه وحسابه فقال عمر احضر كاتبك ليقرأ فقال أبو موسى انه نصراني لا يدخل المسجد فزبره عمر رضى الله عنه وقال لا تؤمنوهم وقد خونهم الله ولا تدنوهم وقد أبعدهم الله ولا تعزوهم وقد أذلهم الله وقد قال الشافعي رضى الله عنه في كتابه الأم ما ينبغي لقاض ولا وال أن يتخذ كاتبا ذميا ولا يضع الذمي موضعا يفضل به مسلما ويعز على المسلمين أن يكون لهم حاجة الى غير مسلم وجزم الماوردى والقاضى أبو الطيب والبندنيجى وابن الصباغ وغيرهم من أصحابنا الشافعيــة رحمهم الله انه يشترط في كاتب القاضي أن يكون مسلما وهو الاصح الذي عليه الفتيا في المذهب واذا اشــترط الاسلام في كاتب القاضي والوالى ففي كاتب السلطان أولى لعموم النفع والضرّ به . قال أبو الفضــل الصورى ولا شك أن كاتب الانشاء من أحوج الناس الى الاستشهاد بكلام الله تعالى في أثنــاء محاوراته وفصول مكاتباته والتمثل بنواهيــه وأوامره والتــدبر لقوارعه وزواجره وهو حلية الرسائل وزينة الانشا آت وهو الذي يشد قوى الكلام ويثبت صحته في الافهام فتى خلت منــه كانت عاطلة من المحاسن عارية من الفضائل لانه الحجة التي لا تدحض والحقيقة التي لا ترفض فاذا كان الكاتب غير مسلم لم يكن لديه من ذلك شئ وكانت كتابته مغسولة من أفضل الكلام وخالية مما يتبرك به أهل الايمان والاسلام ومقصرة عن رتبة الكمال ومنسوبة الى العجز والاخلال فان تعاطى الكاتب الذمي حفظ شئ منــه وكتبه فقد أبيحت حرمة كتاب الله تعالى وانتهكت وأمكن منــه من يتخذه هزوا ولعبا والله سبحانه يقول في كتابه المكنون (لا يمسه الا المطهرون) فقد صح أنه لا يجوز أن يرقى الى هــذه الرتبة الا مســلم قال ولا يحتج بالصابي وانه كتب للطيع والطائع من خلفاء بنى العباس ومعز الدولة وعز الدولة من ملوك الديلم وهما يومئذ عمدة الاســلام وعضد الخلافة وهو على دين الصابئة فان الصابي كان من أهل ملة قليل أهلها ليس لهم ذكر ولا مملكة وليس منهم محارب لأهل الاسلام ولا لهم دولة قائمة فتخشى غائلته وتخاف عاقبته

الصفة الثانيــة المذكورة ـ فقد صرح أصحابنا الشافعية بأنه يشــترط في كاتب القاضي أن يكون ذكرا واذا اشترط ذلك في كاتب القاضي ففي كاتب السلطان أولى لما تقدم من عموم النفع والضرّ به . وقد روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنــه قال في حق النساء جنبوهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف واستعينوا عليهن بلا فان نعم تضرّ بهن في المسئلة . ومرّ على كرّم الله وجهه على رجل يعلم امرأة الخط فقال لا تزد الشر شرا . ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم الكتابة فقال أفعى تسقى سما ولله البسامى حيث يقول

ما للنساء وللــكتا * بة والعمــالة والخطابه
هــذا لنا ولهن منا أن يبــتن على جنابه

فان قيل قد كن جماعة من النساء يكتبن ولم يرد أن أحدا من السلف أنكر عليهن ذلك . فقد روى أبو جعفر النحاس بسنده الى الحسن ان عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كانت تكتب فى مكاتباتها بعد البسملة من المرأة عائشة بنت أبى بكر حبيبة حبيب الله . وحكى جعفر ابن سعيد انه ذكر لعمرو بن مسعدة كاتب المأمون توقيعات جعفر بن يحيى فقال قرأت لام جعفر توقيعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعانى . وذكر محمد بن على المدائنى فى كتاب القلم والدواة أن عاملا لزبيدة كتب اليها كتابا فوقعت فى ظهره ان أصلح كتابك والا صرفناك عن عملك فتأمله فلم يظهر له فيه شئ فعرضه على بعض اخوانه فرأى فيه فى الدعاء لها وأدام كرامتك فقال انها تخيلت انك دعوت عليها فان كرامة النساء دفنهن فغير ذلك وأعاد الكتاب اليها فقبلته ومن كان هذا شأنه فكيف يقال انه لم يؤهل للكتابة فالجواب أن حديث عائشة لم يصرح فيه بانها كتبت بنفسها ولعلها أمرت من يكتب فكتب كذلك باملائها أو دونه وان ثبت ذلك عنها فغيرها لا يقاس عليها ومن عداها من النساء لا عبرة به

الصفة الثالثة الحرية — فقد شرطوا فى كاتب القاضى أن يكون حرا لما فى العبد من النقص فلا يعتمد فى كل القضايا ولا يوثق به فى كل الأحوال فكاتب السلطان كذلك بل أولى كما تقدم

الصفة الرابعة التكليف — كما فى كاتب القاضى فلا يعول على الصبى فى الكتابة اذلا وثوق به ولا اعتماد عليه

الصفة الخامسة العدالة — فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسقا فانه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يحكم بها فى أرواح الناس وأموالهم لانه لو زاد أدنى كلمة أو حذف أيسر حرف أو كتم شيأ قد علمه أو تأول لفظا بغير معناه أو حرفه عن جهته أدى ذلك الى ضرر من لا يستوجب الضرر ونفع من يجب الاضرار به وكان قد موه على الملك حتى مدح المذموم وذم الممدوح فمتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المآثم ويزعه عن احتقاب المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع وأثر فعله من الاضرار ما لم تؤثره السيوف ولله القائل

واضربة من كاتب بينانه * أمضى وأقطع من رقيق حسام
قوم اذا عزموا عداوة حاسد * سفكوا الدما بأسنة الاقلام

وأيضا فانه لا يقبل قول الفاسق فتضيع به المصالح وربما حمله الفسق وعدم الاكتراث بأمور الدين على وهن يدخله على الدين بقلمه أو ضرر يجلبه بلسانه وأيضا فالكتابة ولاية شرعية والفاسق لا تصح توليته شيأ من أمور المسلمين وقد أطلق القاضى أبو الطيب والماوردى من أصحابنا الشافعية القول باشتراط العدالة فى كاتب القاضى فيجب مثله فى كاتب السلطان بل أولى على ما تقدم

الصفة السادسة البلاغة ـ بحيث يكون منها بأعلى رتبة وأسنى منزلة فانه لسان السلطان الذى ينطق به ويده التى بها يكتب ورب كاتب بليغ أصاب الغرض فى كتابته فاغنى عن الكتائب وأعمل القلم فكفاه اعمال البيض القواضب واذا كان جيد الفطنة صائب الرأى حسن الالفاظ تتأتى له المعانى الجزلة فيجلوها فى الالفاظ السهلة ويختصر حيث يكون الاختصار ويطيل حيث لا يجد عن الاطالة بدا ويتهدد فيملأ القلوب روعة ويشكر فيلقى على النفوس مسرة وان كتب الى ملك كبير وذى رتبة خطير عظم مملكة سلطانه وفخمها فى معارض كلامه من غير أن يوجد أن ذلك قصـــده

الصفة السابعـة وفور العقل وجزالة الرأى ـ فان العقل أس الفضائل وأصـل المناقب ومن لا عقل له لا انتفاع به وكلام المرء ورأيه على قدر عقله فاذا كان تام العقل كامل الرأى وضع الاشياء فى مكاتباته ومخاطباته فى مواضعها وأتى بالكلام من وجهه وخاطب كل أحد عن سلطانه بما يقتضيه الحال التى يكون عليها فيشـتد ما كانت الشدة نافعـة ويلين حين يكون الى اللين محتاجا ويوبخ من لا يقتضى فعله أكثر من التوبيخ ويذم من تعدى الى ما يستوجب الذم ويأتى بالمكاتبات التى يقتضيها اختلاف الاحوال واقعة مواقعها صائبـة مراميها

الصفة الثامنـة العلم بمواد الاحكام الشرعيـة والفنون الادبيـة وغيرها مما يأتى بيانه ـ اذ الجاهل لا تمييز له بين الحق والباطل ولا معرفة ترشـده الى الطرق المعتبرة فى الكتابة ومن سلك طريقا بغير دليل ضل أو تمسك بغير أصل زل

الصفة التاسعة قوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس ـ فانه يكاتب الملوك عن ملكه وكل كاتب يجذبه طبعه وجبلته وخيمه فى الكتابة الى ما يميل اليـه ومكاتبة الملوك أحوج شئ الى التفخيم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة والاشـياء المرغبـة فكلما كان الكاتب أقوى نفسا وأشد عزما وأعلى همة كان فى ذلك أمضى وعليه أقدر ومهما نقص فى ذلك نقص من كتابته

الصفة العاشرة الكفاءة لما يتولاه لأن العاجز يدخل الضرر على المملكة ويوجب الوهن فى أمر المسلمين وربما عاد عليهم عجزه بالوبال أو أدى بهم ضعفه الى الاضطراب والاختلال

الضرب الثانى

(الصفات العرفيـــة)

قال المهذب بن مماتى فى كتابه قوانين الدواوين ينبغى أن يكون الكاتب أديبا حاد الذهن قوى النفس حاضر الحس جيـد الحدس حلو اللسان له جراءة يثبت بها الامور على حكم البديهة وفيه تؤدة يقف بها فيما لا يظهر له على حد الروية شريف الانفة عظيم النزاهة كريم الاخلاق

مأمون الغائلة مؤدب الخدام . قال محمد بن ابراهيم الشيبانى من صفة الكاتب اعتدال القامة وصغر الهامة وخفة اللهازم وكثافة اللحية وصدق الحس ولطف المذهب وحلاوة الشمائل وخطف الاشارة وملاحة الزى . قال ومن حاله أيضا أن يكون بهى الملبس نظيف المجلس ظاهر المروءة عطر الرائحة دقيق الذهن حسن البيان رقيق حواشى اللسان حلو الاشارة مليح الاستعارة لطيف المسلك مستفره المركب ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة متفاوت الاجزاء طويل اللحية عظيم الهامة فانهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة ولله القائل

وشمول كأنما اعتصروها * من معانى شمائل الكتاب

وقال أبو الفضل الصورى ينبغى أن يكون الكاتب فصيحا بليغا أديبا سنى الرتبة قوى الحجة شديد المعارضة حسن الالفاظ له ملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذم المحمود . قال المهذب بن مماتى أما حسن الهيئة فانه يرجع فى ذلك الى ما يعلمه من حال مخدومه من ايثاره اظهار نعمته على من هو فى خدمته أو اخفاءها . قلت وهذا قد يخالف ما تقدم من أنه ينبغى أن يكون الكاتب بهى الملبس وبالجملة ففصاحة اللسان وقوة البيان والتقدم فى صناعة الكتابة هو الذى يرفع الرجل ويعظمه دون أثوابه البهية وهيئته الزاهية بل ربما كان التعظيم فى الفضل لرث الحالة المنحط الجانب أكثر وترجيحه على غيره أقرب . وقد قال سهل بن هرون كاتب المأمون وهو من أئمة هذه الصناعة لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا بهيا ولباسا نبيلا وذا حسب شريف وكان الآخر قليلا قميئا وباذ الهيئة دميما وخامل الذكر مجهولا ثم كان كلامهما فى مقدار واحد من البلاغة وفى درب واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم يقضى للقليل الدميم على النبيل الجسيم وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ويشغلهم التعجب منه عن مناواة صاحبه ولصار التعجب على مساواته له سببا للتعجب به والاكثار فى شأنه علة للاكثار فى مدحه لأن النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أيأس ومن حسده أبعد فلما ظهر منه خلاف ما قدروه وتضاعف حسن كلامه فى صدورهم كبر فى عيونهم لأن الشئ من غير معدنه أغرب وكلما كان أبعد فى الوهم كان أطرف وكلما كان أطرف كان أعجب وكلما كان أعجب كان أبدع وانما ذلك كنوادر الصبيان وملح المجانين فان استغراب السامعين لذلك أعجب وتعجبهم منه أكثر . قال والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البديع وليس لهم فى الموجود الراهن ولا فيما تحت قدرتهم من الرأى والهوى مثل الذى معهم فى الغريب القليل وفى النادر الشاذ وعلى هذا السبيل يستطرفون القادم اليهم ويرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعا وأكثر فى وجوه العلم تصرفا وأخف مؤنة وأكثر فائدة

الفصـــل الثانى
(فى آداب الكتاب وهى على نوعين)

النوع الاول
(حسن السيرة وشرف المذهب ولذلك شروط ولوازم)

منها اعتماد تقوى الله تعالى فى الاسرار والاعلان والاظهار والابطان والمحافظة عليها والاستناد اليها فى مبادى الامور وعواقبها فانها العروة التى لا تنفصم والحبل الذى لا ينصرم والركن الذى لا ينهدم والطريق التى من سلكها اهتدى ومن حاد عنها ضل وتردى والمحافظة على شرائع الدين التى فرضها الله تعالى على خلقه والحذر من الاستخفاف فيها بحقه وتوقى غضبه بتأديتها والاستجنان من شقاء الدنيا والآخرة بتوقيها. ومنها طلب الأجر بما ينيله من عز سلطانه ويجديه من فواضل نعمائه وهذا هو أصح الاغراض التى يجب على كل عاقل أن يقدمه على كل غرض ويحصل منه على السهم الوافر فلا خير فى دنيا تنقطع السعادة عنها وانما السعادة بعد الموت والدار الآخرة خير ومن اختار الفانى المنصرم على الباقى الدائم فقد خسرت صفقته وبارت تجارته والطريق الموصل الى هذا المقصد صلاح النية فيما يتولاه من أمور السلطان وقصد النفع العام له ولرعيته والاجتهاد فى اغاثة الملهوف والاخذ بيد الضعيف والنفع بجاهه عند سلطانه وحمله على العدل فى الرعية فاذا توخى ذلك فاز بثواب الله تعالى وقضى حق السلطان فيما عرضه له من الشكر والاجر وقابل نعمة الله التى أقدره بها على هذه الافعال الجميلة بما يرتبطها عنده ويستقر بها لديه . ومنها مجانبة الريب والتنزه عنها والطهارة منها فانها تسخط الله تعالى وتذهب بمهابة المرء وتسقطه من العيون والقلوب وأحق من راعى ذلك من نفسه من بين أتباع السلطان أهل هذه الصناعة لاختصاصهم به ولطف منزلتهم عنده اذ المشهور عند نقلة الآثار أن الذين تقدموا من صدورها ومشايخها كانوا من جلة العلماء وسادة الفقهاء وأفاضل أهل الورع المبرئين من الدنس والطمع المميزين على القضاة والحكام فى الاستقلال بعلوم الاسلام المتميزين عنهم بفضل الآداب ورواية الاشعار والعلم بالايام والسير والارتياض بآداب الملوك وعشرتهم ورسوم صحبتهم وغير ذلك مما ينتظم فى صناعتهم فقد ساووهم فى علم الدين وفاقوهم فيما تقدم ذكره مما لا يشاركونهم فيه والسلطان والدين قرينان لا يفترقان وعونان على صلاح البلاد والعباد فلا يحتمل السلطان ما ينكره الدين لأنه تابعه ورديفه . ومنها لزوم العفاف والصيانة فيما يتولاه للسلطان من أعماله ويتصرف فيه من أشغاله

والتعفف عن المطامع الذميمة والمطاعم الوخيمة والترفع عن المكاسب اللئيمة فان ذلك يجمع القربة الى الله تعالى والحظوة عند السلطان وجميل السيرة عند الرعية حتى ان هذه الطريقة قد تقدم بها عند السلطان المتخلفون فى الفهم والمعرفة وسادوا على من لا يقاربونهم فى غناء ولا كفاية وحصلوا على الاحوال السنية والمنازل العلية وقرب بها من كان بعيدا على من كان قريبا ومن لا مكانة له ولا حرمة على من له مكانة وحرمة واستدنى لأجلها من لا يترشح لخدمة السلطان . ثم الذى يلزمه أن يعتمد التمسك بالصيانة والعفاف الذى عليه نظام معيشته والارتفاق فيما يحل ويطيب له من جاه خدمته فانه قد قيل الزم العفة[1] يلزمك العمل لانه يمتنع من المنافع التى تصل اليه من أطيب المكاسب وتسلم من تبعات العاجل والآجل وتخلص من قبيح الاحدوثة واطلاق ألسن الحسدة بالطعن والتأنيب وينال بجاه السلطان ونفوذ الامر من غير خيانة للمؤتمن ولا اشتكاء للرعية فانه لولا هذه المنافع لغنى الانسان بالقناعة ورضى بالكفاف وسلم من المخاطرة بدينه ودنياه فى سلامة السلطان اذ لا يجوز أن يستفرغ وسعه ويعرض نفسه للخطر فيما لا يحسن له عائدة ولا يخلص منه فائدة فى جاه ولا مال وقد علم ما كان عليه أهل هذه الطبقة فى سائر الدول وما حصلوه من الذخائر واقتنوه من القنيات النفيسة التى أقدرتهم على اظهار مروآتهم واتخاذ الصنائع عند الاحرار وحراسة النعم على الدوائر والاعقاب وانما حصلوا على ذلك من حيث معرفتهم بوجوه المكاسب وأبواب المرافق لا من الخيانة وذميم الطمع لانهم كانوا فى أزمنة لا يغضى فيها عن مكسب من رشوة ولا مصانعة ولا اغتصاب ولا سبب من أسباب الظلم وان جلت منزلته وعظمت مرتبته . ومنها طلب الثناء والحمد وهو من أفضل المقاصد السنية وأعلاها رتبة لانه يتلو الأجر فى البقاء والدوام وكلما كانت الهمة أعظم وأشرف كانت اليه أرغب وبه أكلف ولفضل هذا رغب فيه الأشراف وعلية الناس حتى قال الخليل عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وأولى الناس باقتناء ذخائر الحمد وافتراض فرض الشكر من عرّض الله تعالى جاهه وطوّل يده وأمضى عند السلطان لسانه فينبغى أن يختار هذه المكرمة ويقوم بالنصيب الأوفر منها ولا يبخل بجاهه ولا ماله على قاصد ولا مؤمل ولا ذى رحم ونمام ولا يُقَصِّر فى أمر بطانته وحاشيته وأصحابه ولا يضيق عليهم مع سعته ولا يقصر بهم فى كفايته ويجعل اكتسابها بجاهه وماله دون أموال سلطانه فان كثيرا من المتصرفين بذلوا ما ائتمنوا عليه فى هذا الغرض ورضوا به أهل الشفاعات والرسائل فأعقبهم ذلك زوال النعم وسقوط الرتبة وذهاب المال والوسم بميسم الخيانة والبوار الى الابد ولا يبالغ فى ابتناء المعالى واقتناء المحامد وبذل الرغائب وارتفاع الهمم فان ذلك مما يختص بالملوك ولا ينبغى لأحد من أتباعهم من كاتب

---

(١) هكذا بالاصل

ولاغيره الاقدام عليه مفاخرا ولا مكاثرا ولا مقايسا فيكون قد عدا طوره وأضل رشده وتعرض للعطب مع سلطانه وأوجد الطريق الى سوء الظن به وفوق سهام الحسدة اليــه وأطلق ألسنتهم بالطعن عليه وربما أدى به ذلك الى سقوط المنزلة ان سلمت نفسه . ومنها الاقتصاد فى طلب اللذة والاقتصار من ذلك على ما يقيم المروءة من أفضل الاخلاق وأشرفها بأن يكون تناولهم ما يتناولونه من ذلك بسلوك طريقة محمودة يظهر فيها أثر التدبير السـديد والرأى الأصيـل من غير خروج الى الاقبال على اللذات والانهماك فى الشهوات فان ذلك غير مستحسن للملك ولا سوقة لانه جالب للاسـقام قاطع عن الامور المهمة التى يجب صرف العناية اليها فى صلاح المعاش وأمر الآخرة ولكن لا يكلف ترك اللذات جملة اذ لا بد لكل أحد من ذوى الرتبة العلية من الاخذ بنصيب منها لما جبلت عليه الطبائع من الميل اليها والرغبة فى الاستمتاع بالنعم والملاذ ولكل منهم حظ يضاهى رتبته وأهل هـذه الصناعة لاختلاطهم بالملوك ومشاركتهم لهم فى آدابهم لا غنى بهم عما يقيم مروآتهم من اللذات المشابهة لأقدارهم ومواضعهم من السلطان

النوع الثانى

حسن العشرة التى هى من أفضل الخلائق الموجودة فى الغرائز طبعا والحاصلة بالتخلق تكسبا وتطبعا وأعونها لمصالح الحياة والمعاش ومحبته الخاصة والعامة وحصول الثناء والشكر والمودة من الأفاضل الأخيار وكفاية الاراذل الاشرار وان لم يلتزمها الكاتب طوعا حمل عليها كرها . واعلم ان أدب المعاشرة على خمسة أضرب

الضرب الاول

(عشـــرة الملوك والعظماء)

قال على بن خلف ولا يقوم بآدابها وأكمل رسومها الا من علت فى الأدب درجته وسمت فى رجاحة العقـل منزلته وتميز بغريزة فاضلة وأدب مكتسب وصبر على المشاق فى التحلى بالهمم الشريفة والسمو الى المنازل اللطيفة من عز السلطان ومساعدة الزمان وتمكن من تصريف النفسين الحيوانية والشهوانية على أغراض الناطقية ومطاوعتها وأخذهما بقبول ما ترشد اليه وتبعث عليــه لان صحبة السلطان أمر عظيم وصاحبه راكب خطر جسيم بتمليكه نفسه لمتحكم فى شـعره وبشره قادر على نفعه وضره لا يرده على مقابلته على يسير الخيـانة بكبير النكاية الا ما يؤمل من صفحه ومسامحته ويرجو من عطفه ورأفتــه وأول ما يجب على المتصـل بخدمة السلطان النظر فى عواقب أموره وحفظ نفســه من جريرة يجرها عليها باغفاله فرضا من فروض طاعته وتضييعه المحافظة على حقوق خدمته والعلم بأن لكل مصحوب خلقا يغلب عليه ويرجع

بغريزة الطبع اليه لايمكنه النزوع عنه ولا المفارقة له اذ الانتقال عن الطباع شديد الامتناع في الخدم والاتباع فكيف الملوك والرؤساء الذين لايقابلون بلوم على خلق مذموم بل العادة جارية في أدب خدمتهم بأن يصوبوا مايركبونه من خطأ و يحسنوا مايواقعونه من قبح فعليه أن ينزل عن أخلاقه لأخلاق سلطانه وماخالف سجيته في اصلاح زمانه وأن ينزل عن هواه لهواه ويتبع فيما يسخطه ويأباه مايؤثره سلطانه ويرضاه و ينبغي أن لايعرض نفسه لما يسقط منزلته و يفسد عاقبته ولايوجد للزمن طريقا الى التنكرله و يعينه بتفويق سهامه والتصدي لمواقعها وقد علم أن الزمان وان عم بنوائبه فانه يخص صاحب السلطان منها بما يزيد على نصيب غيره ومن أشق الاحوال أن يدفع الانسان الى تغير السلطان مع كون السبب في ذلك شيئا جره الى نفسه بسوء اختياره لما يجتمع عليه في ذلك من مرارة النكبة وحرارة المغبة وتقريع من يزرى على عقله ويؤنبه بجهله ثم انه يلزمه بعد الاحتياط فيما تقدم عدة خصال أيضا . منها الاخلاص وهو قوام الامر في المصاحبة فان من صحب سلطانا بعقيدة مدخولة في ولايته مشوبة في محبته لم ينتظم له ولا السلطانه أمر لأن الضمائر المذوقة والنيات السقيمة لابد أن يصرح عافيها ويظهر مافي دخيلتها واذا اتضح ذلك للسلطان لم يقنع الا باتلاف نفسه واذهاب مهجته . ومنها النصيحة وهي ترب الاخلاص والطريق الموصل الى التوفية بها أن يطالع السلطان بكل مايفتقر الى العلم به من خاص أموره وعامها وعلى من استخلصه السلطان لنفسه وائتمنه على رعيته وأنطقه بلسانه وأخذ وأعطى بيده وأورد وأصدر برأيه وتخيره لهذه المنزلة من بين رؤساء دولته وأعيان مملكته أن لايستر عنه دقيقا ولا جليلا من أحوال مافوضه اليه ولا يقف عن انهاء تفاصيله وجمله توقيا من لوم لائم ولا يحمله فرط النصح له على الاضرار برعيته ولا الرغبة في اثبات حقه على تضييع حقوقها ولا القيام بما يجب له دون مايجب لها فانها به وهو بها . ومنها الاجتهاد فيما يباشره من أحوال سلطانه بما يعود عليه نفعه بحيث لايبقى في ذلك ممكنا ولا يدع فيه شأوا للاحق . ومنها كتمان السر وهو من أفضل الآداب في صحبة السلطان وغيره وأعودها بالفلاح على صاحبها لأن كثرة الانتشار الداخل على الدول انما توجه بتفريط بطائنها وصاحبها في أسرارها واظهارهم عما تقرر في اذهان الملوك وعزائمهم قبل أن يظهروه فيجد العدو بذلك الطريق الى معالجة آرائهم بما ينقضها ومقابلتها بما يفسدها على ان افشاء السر من الأخلاق التي طبع أكثر الناس عليها وحيل بينهم وبين الاقلاع عنها فمن علم من نفسه ذلك فليحذر معاملة السلطان في أسراره وبواطن اموره ولاسيما ماوجد منها في باب حروبه ومكائده فانه ان ظهر منه على خيانة في السر عرض نفسه للهلكة . ومنها الشكر فانه وان كان واجبا على الانسان مع أكفائه ونظرائه فانه مع السلطان الذي يستظل بظله و يستدر اخلاف فضله أوجب اذ المرء

قد يقدر على مكافأة عارفة صـديقه بمـا يضاهيها ويزيد عليها ولا يقدر على مكافأة سلطانه الا بشكر نعمته والمحافظة على حقوق خدمتـه ثم الشكر بالقول يرتفع بين الرئيس والمرؤس والخادم والمخدوم الا اليسير الذى يقضى به حق الخدمة لان الاكثار منه داخل فى حكم الملق والتثقيل وانمـا يظهر شكر الخادم من أفعاله . ومنها الوفاء وهو من أهم الخصال اللازمة وآكدها اذ هو الطريق الى صلاح العباد وعمارة البلاد بل هو رأس مال الكاتب وربحه ودوام عمله والسبب الذى لأجله ترغب السلاطين فى صحبته لأنهم ما برحوا يقربون صاحب هـذه الخصلة ويرونه أهلا للاختصاص وموضعا للثقة ولأسوأ حالا ممن نزل هذه المنزلة وهو بخلافها ثم الوفاء يكون باظهار النصيحة وبذل الاجتهاد وقصد المخالصة ومقابلة كل نعمة تفاض عليه بالنهضة فيما استند اليه ليدعو ذلك سلطانه الى رب النعمة لديه واقرارها عليه ومن شروط الوفاء أن يلتزمه صاحبه لسلطانه فى حال سعادته واقبال دولته وفى حال توليها عنه وعطلته أما فى حال اقبال الدولة عليه فانه يصحبه بقلبـه دون بدنه ولا يتطلب صاحبا غيره ينتقل الى صحبته ويستبدل بخدمتـه من خدمته ولا يحدث نفسه بأنه متى وجد أنفع منه عدل اليـه ولا أن يرتب له جهة أخرى يجعلها مقدمة لأمر يترقبه لما فى ذلك كله من الخروج عن حد الاخلاص المقدم وجوبه وأما فى حال انصراف الدولة عن صاحبه فانه لا يباينه مباينة المساعد للزمان عليـه الموافق للقادر فيـه ولا يخونه عند حاجته اليه ولا يضيع حقوقه عنده وصنائعه لديه ولا ينحاز بكليته الى من أقبلت أمور السلطان عليـه فان ذلك مما يدل على خبث السجيـة ومقابلتها على الاحسان بالاساءة واستعمال العقوق واطراح الحقوق . ومنها مجانبة الادلال اذ الدالة على السلطان والرئيس من أعظم مصارع التلف وأقرب الأشياء الى زوال النعم ولأجلها هلك من هلك من بطانة السلطان وخاصتـه ووزرائه وفى قصصهم عبرة لمن أنعم النظر فى تأملها وعليـه أن يعول فى الاعتداد بخدمه ونصائحه له على اشتهارها وظهورهـا ولا يفيض فى تعـديدها وذكرهـا ولا يواصـل التثقيل بأغراضه والالحاف بأسئلته ولا يظهر التسحب عند التقصير به ولا الغضب اتكالا على سالف خدمته وقليل حرمته وأن يتنـاسى ما أسلفه من الخدمة والصحبة ويكون فى كل حال عارفا بعوارفه معتدا بفواضـله موجبا الفروض له لا عليـه فان السلطان مجبول على أنفة النفس وعزتها ولا يحتمل التنازل لأحد لتنزيله الكل منازل الخدم والارقاء واعتقاده أنه سبب النعمة السابغة على الكافة ونقته بوجود العوض عمن يفقده من الأعوان والأصحاب ومثابرة الناس على خدمته والانتساب الى متابعته لما يصلون اليه من الحظوة وينالونه من الجاه والثروة وان كان فى باطن حاله على خلاف ما يؤثر أظهر الشكر والاعتداد وتلطف فى بلوغ الغرض بأحسن تعريض ولم يطلق قلمه كاتبا ولا لسانه مخاطبا فان ذلك ازراء على همـة المصحوب ودلالة

على اخلاله بتفقد الصاحب لكن يذكر النعمة وسبوغها والمنة وشيوعها ويسأل الزيادة فيهما ومضاعفتها فان ذلك يفضي ببلوغ آماله وسداد أموره وسهولة مطالبه واذا زاده السلطان رفعة وتشريفا ازداد له تعظيما وتوقيرا واذا بسط يده أن ينقبض عن كل ما يشينه واذا خصه بأثرة وتقريب أن يزيد الخاصة والعامة بشرا وايناسا وان اتهمه بهفوة لم ينته فى اقامة العذر والاحتجاج على براءة الساحة الى الغاية القصوى بل يتوسط فى ذلك ويسأل من حسن الصفح والاقالة وجميل التغمد والعفو ما يجعل للاحسان وجها ولتعقبه السخط سببا فانه اذا اصدع بالحجة فى براءة الساحة فلا وجه لمعذرته وفيه تكذيب لرئيسه وربما أدى الى فساد ومفاقة . ومنها التمسك بآداب الخدمة بالمواظبة عليها وصرف الاهتمام اليها اذ هى أعظم الذرائع الى نيل الرتب وبلوغ المآرب والسبب الذى يقرب البعداء ويرفعهم على أهل الوسائل والحرم وذوى المواتّ والخدم ويحمى عن كل شين ويصم عن كل طعن وما نال أحد عند السلطان مرتبة الا والمواظبة على خدمته سببها والمواصلة موجبها وأولى الناس بلزوم السلطان كتابه الذين لا غنى به عن حضورهم فى ليله ونهاره وأحيان شغله وفراغه لأنه ربما بدهه ما يحتاج الى استكفائه اياه واسناده اليه وان تأخر عنه فى تلك الحال استدعى من موجدته واستجر من لائمته ما لا يزيله العذر الا فى المدة الطويلة وربما اضطر لغيبته الى احضار من يستكفيه ما عرض له وأدى ذلك الى اصطناعه وتصييره فى مقامه وان كان لا يساويه فى فضل ولا علم ولا غناء بخلاف ما اذا وجده مسارعا الى أمثلته فان ذلك يزيد فى حظوته ويدعو الى استخلاص مودته فيجب عليه أن يخص سلطانه من زمانه بالقسم الاوفر والنصيب الاغزر ولا يؤثر نيل لذة عليه ولا بلوغ وطر اذا أدى الى نكره فان استطاع أن يوافقه على وقت يفرضه له يتمكن فيه من بلوغ أوطاره والوصول الى مقاصده كان أحمد لعاقبته وأبلغ لقصده وأحسم لأسباب اللائمة فى غيبته ولا ينهمك فى الملاذ انهماك الآمن بل يقف عند الحد الذى يبقى فيه فضلة لعوارض السلطان ومهماته الحادثة فى اثناء الليل وساعات النهار فان تعبه فى صلاح زمانه وراحة سلطانه مستبق لنعمته مستدع لزيادته ولا يشتغل بكبير الامور عن صغيرها ولا يبتهج بما أصلحه منها حتى ينظر فى عواقبه ويسوس ما يرد اليه بالسياسة الفاضلة فيلين فى غير ضعف ويشتد فى غير عنف ويعفو عن غير خور ويسطو من غير جور ويقرب بغير تدله ويبعد بغير نكر ويخص فى غير مجازاة ويعم فى غير تضيع فلا يشتق به الحق وان كان عدوا ولا يسعد به وان كان وليا . ومنها اذا حضر بين يدى سلطانه أو رئيسه فى المجلس الخاص أو العام أن يعتمد مقابلته بالاجلال والاعظام والتوقير والاكرام ولا يحمله تأكد الخدمة وتطاول الصحبة على اهمال ذلك بل يحفظ رسمه ولا يغير عادته . ومنها أن يتخير لخطابه فى الاغراض والاوطار أوقاتا يعلم خلو سره فيها وفراغ باله وانشراح صدره وارتفاع

الافكار عن خاطره الا ان كان ما يخاطبه فيــه أمرا عائدا بانتظام سلطانه واستقامة زمانه داخلا فى مهمات أعماله التى متى أخرهــا نسب الى التقصير فيقدم الكلام فيها خف أو ثقــل واذا خاطبه رئيسه من سلطان أو غيره فى أمر من الامور فعليه أن يرعيه عينه وينصت اليه سمعه ويشغل به فكره ولا يستعمله فيما يعوقه عنه حتى يستوعب ما يلقيه اليه ويجيبه عنه أحسن الجواب ولا يلتفت فى حال اقباله عليه الى غيره ولا يصغى الى كلام متكلم ولا حديث متحدث حتى لو امتحنه باستعادة ما فاوضه فيه وجده قد أحرز جميعه فان التقصير فى ذلك مما ينكره الملوك والرؤساء ويستدلون به على ضعف المخاطب وان كان فيما خاطبه فيه أمر يحتمل التأخير بادر بالاعتذار عنه لئلا ينسب الى التقصير بتأخيره عند الكشف عنه وان كان فيه ما يخالف الصواب أمضاه وان تعذر السبيل الى فعله لم يظهر التقاعس عنــه لتخطئته بل يقابله بالاستصواب ثم يتلطف فى تعريفه مكان الخطأ فيما رآه . ومنها أن يجرى فى الحال فى مجالسه على ما يعود بوفاته وارادته فان مال الى الانبساط أطلق عنانه فيه اطلاق المتجنب للهجر والفحش ورفث القول تابعا لايثاره قاضيا لاوطاره وان أظهر الانقباض ذهب مذهبــه فى ذلك ولا ينبغى أن يخالفــه فى حال من أحواله فان من شروط هــذه الخدمة أن يتصرف صاحبها فى كل ما يصرف فيــه ويسرع الانقياد الى كل ما يدعى اليه ولا يكثر من الدعاء لرئيســه والثناء عليــه والشكر على ما يوليه من العوارف فان مثــل ذلك يستثقل . ومنها أن لا يحضر سلطانه فى ملابسه التى جرت العــادة أن ينفرد بها كالوشى ونحوه الا أن يكون هو الذى يشرفه بها وأن يقتصــد فى لباســه فينحط عما يلبســه سلطانه ويرتفع عما يلبسه السوقة ويصرف عنايتــه الى التنظف والتعطر وقطع الرائحة الكريهــة من العرق وغيره حتى لا تقع عين رئيســه على دنس فى أثوابه ولا يجد منــه كريه رائحة فى حال دنوه منه ويواصل استعمال الطيب والبخور الفائق والتضمخ بالمسك فان الملوك ترى أن من أغفل تعهد نفسه كان لغيرها أشــد اغفالا . ومنها أن يتجنب التفاصح والتعمق فى مخاطبة رئيسه والافتخار عليه بالبلاغة والبيان لما فى ذلك من الترفع عليــه فى الكلام بل يجعل ما يلقيه اليه ضمن ألفاظ تدل على معانيها بسهولة مع غض من صوته وخفض من طرفه وسكون من أعضائه لانه انما يتسامح بالاتيان بالفصاحة والذهاب بمذهب الجزالة للخطباء الذين يثنون على الملوك فى المواقف العامة ضرورة احتياجهــم الى استعمال ألفاظ تقع فى الاسمــاع أحسن المواقع . ومنها أنه اذا تميز عند رئيسه وارتفعت رتبته لديه أن يجمل القول فى خاصــته وعامته ويحسن الوساطة لحاشيته ورعيته ويتجنب القدح عنده فى أكفائه ونظرائه من بطانته والمقــربين من حضرته ليكون ذلك داعيا الى محبته والثناء عليــه مكافأة له وامساك الألسن عن الطعن فيه . ومنها أن يبادر الى المشورة عليه بالصواب فيما يستشيره فيه ويورده ايراد مستفيد

لامفيد ومتعلم لامعلم و يتلطف فى أن يوقعه من نفسه موقعا يدعوه الى العمل به فان من عادة الملوك والرؤساء الانفة من الانقياد الى ما ينتحله غيرهم من الآراء ولو كانت صائبة وان تمكن من صياغة حديث يودعه فيه فعل مخادعة بذلك لنفسه الأبية وعزته المتقاعسة

الضرب الثانى

(آداب عشرة الاكفاء والنظراء)

قال على بن خلف ولاشك ان طريقة الاعتدال فى ذلك الموافاة فى الاخاء والمساواة فى الصفاء ومقابلة كل حالة بما يضاهيها أما المسامحة بالحقوق والاغضاء عمن قصر والمحافظة على ودّ من فرّط فلا خلاف فى فضله والتمدح بمثله لاسيما مثل أهل هذه الصناعة التى يرتفع حق الاعتزاء اليها عن حقوق القرابات الدانية والانساب الراسخة ولذلك وقع فى كلام بعضهم الكتابة نسب . قال على بن خلف والمعنى فيه ان التناسب الحاصل بين أهلها تناسب نفسانى لاجسمانى يحصل عن تناسب الصور القائمة فى نفوسهم بالقوة وعن تناسبها بعد خروجها وظهورها من القوة الى الفعل بدليل ما نراه من اتفاق خواطرهم على كثير من المعانى التى يستنبطونها وتواردهم فيها ولولا تناسب الغرائز وتشابهها لم يكن أن يتواطؤا فى أكثر الاحوال على معان متكافئة متوافية قال واذا كنا نحفظ من مت الينا بالانساب الجسمية التى لاتعارف بينها فأولى أن نحفظ من مت الينا بالانساب النفسانية التى يصح منها التعارف ولذلك قال الحسن بن وهب الكتابة نفس واحدة تجزأت فى أبدان متفرقة وقال لاعبرة بما يقع بين بعضهم من التنافر والتباين لأن المناسبة انما تقع عند المساواة أما من وقع دون رتبة الآخر من الفضيلة فليس بمناسب له فيصير القاصر حاسدا لمن فوقه للتقصير الذى فيه وبكل حال فانه يجب عليه أن يعرف لاكفائه حقهم و يحفظ مناسبتهم و يتوخى مساهمتهم و يتلقاهم بالاكرام والتمييز و يجعلهم فى أعلى المراتب عنده و يزيدهم على الانصاف ولا يقصر بهم عما يستوجبونه و يستحقونه و يتخول بمثل ذلك نظراءه فى الرئاسة من غير الكتاب وان تعذر عليه الوصول الى ملتمسهم أطاب قلوبهم بالوعد الجميل فى المستقبل واجتهد فى الوفاء به

الضرب الثالث

(آداب عشرة الاتباع)

قال على بن خلف وهى لاحقة بعشرة الاكفاء لان الذين يستعين بهم الكاتب يدعون كتابا ولا يدعون أعوانا وانما الاعوان خدام الشرطة ومن يجرى مجراهم قال وهم وان كانوا أصحاب الكاتب ومرؤسيه وأتباعه فاسم الكتابة يجمع بينه وبينهم ومعاشرتهم داخلة فى باب التكرم

والتفضيل والاستئثار بمحاسن الافعال ومكارم الشيم ثم قال بعد ذلك و ينبغي أن يخصهم بالنصيب الأوفر بن ا كرامه والقسم الأغزر من ملاحظته واهتمامه و يفرض لهم من التقديم والاختصاص وتفقد الاحوال والشؤن والذى ينتهى اليـه أمل المرؤس من الرئيس ليجعل خدمتهم له بذلك خدمة مقة ومودة لا خدمة خوف ورهبـة وان يحبب خدمتـه اليهم بترك مناقشتهم والتضييق عليهم وانالتهم من الترفية فى بعض الاوقات ما يجدون به السبيل الى الاخذ بنصيب من لذاتهم وأوطارهم التى تميـل النفوس اليها وتتهافت عليها فانهم متى لحقهم التعب والنصب اعترضهم الضجر والملال فقصروا فى الاعمال وتهاونوا بالاشغال فلابد لهم من راحة تصفو بها أذهانهم ويزول عنها الكلال ولا يفسح لهم فى مواصلة الراحة والاخلال بما يلزمهم فان ذلك يحمل على سوء العادة وقبح المذهب وعليـه أن يحفظ لهـم حقوق الصحبة والخدمة و يوجدهم من الاعانة ما فيه صلاح حالهم فانه يستعبدهم بذلك و يستخلص مودتهم اذ القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها

الضرب الرابع

(آداب عشرة الرعيـــــة)

قال ابن خلف وهو أمر عظيم النفع جسيم العائدة فاض بالسلامة اذ لا يطيب لأحد عيش مع بغض الرعية له وتفردهم عنـه وان علت عنـد السلطان رتبتـه وارتفعت طبقته وظن بنفسه الاستغناء عنهم قال فينبغي أن يوفر العناية على استصلاحهم له واستمالة أهوائهم اليه ولين الجانب ووطأة الكنف وخفض الجناح والبسط والايناس وتألفهم كما يوفرها على استصلاح السلطان وسياسته لتصح له رتبة التوسط بين الطبقتين و يسلم من طعن الطاعن ولوم اللائم و يبرأ من البغض والشحناء وينقلهم عما تسرع اليه الطباع الرديئة من الحسد والايذاء الى التألف والمودة وقد أدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

الضرب الخامس

(آداب عشرة من يمت اليه بحرمة كالجار والقاصد والآمل والمدل بحق المفاوضة والمطاعمة والمحاضرة والسلام والمعرفة فى الصبا والصداقة بين الآباء وغير ذلك من الحرم التى لا يطرحها أهل المروآت)

قال ابن خلف وينبغي أن يوفيهم حقوقهم و ينهض بما يسنح من أوطارهم ومهماتهم ويعينهم على ما يحدث من نوائب زمانهم و يسعد فى بلوغ مطالبهم من سلطانهم ولا يضن عليهم بجاه

ولا مالى ولا يخيب أمل آملهم ولا قاصده ويفرض لهم من اذعانه واعتنائه ما يعزبه جانبهم ويسهل مآربهم ويكف الضيم والظلم عنهم ويبسط العدل والانصاف عليهم فانه اذا التزم ذلك لهم التزموا له الاعظام والاجلال وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه والاعتداد بأياديه وأشاعوا ذلك بين أمثالهم فاجتلبوا له مودتهم وتعصبهم له . قلت ومن تمام آداب الكاتب وكمالها أن يعرف حقوق مشايخ الصناعة وأئمتها الذين فتحوا أبوابها وذللوا سبلها وسهلوا طرقها ويعاملهم بالانصاف فيما أعملوا فيه خواطرهم وأتعبوا فيه روياتهم فينزلهم منازلهم ولا يبخسهم حقوقهم فن آفات هذه الصنعة على ذوى الفضل من أهلها ان القاصر منهم لا يمتنع من ادعاء منزلة المبرز بل لا يعصيه من ادعاء التقدم فى الفضل عليه والمبرز فى الفضل لا يقدر على اثبات نقص المتخلف والله يعلم المفسد من المصلح ثم أصل هذه الآداب التى ترجع اليه وينبوعها الذى تفجرت منه رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب التى كتبها الى الكتاب يوصيهم فيها وهى

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وان كانوا فى الحقيقة سواء وصرفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معايشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات أهل الادب والمروءة والعلم والرواية بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلادهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج من صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن يكون حليما فى موضع الحلم فهيما فى موضع الحكم ومقداما فى موضع الاقدام ومحجما فى موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتى من النوازل ويضع الامور مواضعها والطوارق أماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلوم فأحكمه فان لم يحكمه أخذ منه بمقدار يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم

وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليـه هممكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناآت واربؤا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيـه أهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبـة من غير إحنـة وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق بأهل الفضـل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره وان أقعد أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقدم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليـه أحفظ منه على ولده وأخيه فان عرضت فى الشـغل محمدة فلا يضفها إلا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه الى القراء وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صحبه الرجل يبذل له من نفسـه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة اليـه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا ذلكم وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة فاذا ولى الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعياله ثم ليكن بالعـدل حاكما وللاشراف مكرما وللفىء موفرا وللبلاد عامرا وللرعية متألفا وعن ايذائهم متخلفا وليكن فى مجلسه متواضعا حليما وفى سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقا واذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسـياستها التمس معرفة أخلاقها فان كانت رموحا لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوبا اتقاها من قبل يديها وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها فى طريقها فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها وفى هـذا الوصف من السـياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وداخلهم والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناظره ويفهم عنـه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبـه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التى لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا إلا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها

الراكب عليها ألا فأمعنوا رحمكم الله فى النظر واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاه والشفقة ان شاء الله تعالى ولا يجاوزن الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فإنهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب وللامور اشتباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهى الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى من منطقه وليوجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للتشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه أو مقالته الى أن يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقل أحد منكم انه أبصر بالامور وأحمل لعبء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن صاحبه أعقل منه وأحمد فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وأنا أقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل من يلزم (١) الصحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخرا وتممته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) فى نسخة النصيحة

البـــاب الرابع
من المقدمة
فى التعريف بحقيقة ديوان الانشاء وأصل وضعه فى الاسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك وفيه فصلان

الفصـــل الاول
(فى التعريف بحقيقته)

لاخفـاء فى أنه اسم مركب من مضاف وهو ديوان ومضاف اليه وهو الانشـاء أما الديوان فاسم للموضع الذى يجلس فيه الكتاب وهو بكسر الدال . قال النحاس فى صناعة الكتاب وفتحها خطأ قال وأصله دوّان فأبدلت احدى الواوين ياء فقيل ديوان ويجمع على دواوين واختلف فى أصله فذهب قوم الى انه عربى . قال النحاس والمعروف فى لغة العرب ان الديوان الاصـل الذى يرجع اليـه و يعمل بمافيه ومنـه قول ابن عباس اذا سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب ويقال دوّنته أى أثبته واليـه يميل كلام سيبويه وذهب آخرون الى انه عجمى وهو قول الاصمعى وعليه اقتصر الجوهرى فى صحاحه فقال الديوان فارسى معرب . وقد حكى الماوردى فى الاحكام السلطانيـة فى سبب تسميتـه بذلك وجهين أحدهما ان كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه فى مكان لهم وهم يحسبون مع أنفسهم فقـال ديوانه أى مجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان وعليـه اقتصر أبو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب والثانى أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين وسمى الكتاب بذلك لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى منها والخفى وأما الانشاء فقـد تقدم أنه مصـدر أنشأ الشئ ينشئه اذا ابتدأه واخترعه وحينئذ فاضـافة الديوان للانشـاء تحتمل أمرين أحدهـما ان الامور السلطانيـة من المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبتدأ منه والثانى أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا وقد كان هذا الديوان فى الزمن المتقدم يعبر عنـه بديوان الرسائل تسمية له بأشهر الانواع التى تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الانشاء وأعمها وربمـا قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه الى الآن

الفصل الثانى

(فى أصل وضعه فى الاسلام وتفرقه عنه بعد ذلك فى الممالك)

اعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع فى الاسلام وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه وكتب الى من قرب من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام وبعث اليهم رسله بكتبه فبعث عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشة وعبد الله بن حذافة الى كسرى ابرويز ملك الفرس ودحية الكلبى الى هرقل ملك الروم وحاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس صاحب مصر وسليط بن عمرو الى هوذة بن على ملك اليمامة والعلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى ملك البحرين الى غير ذلك من المكاتبات وكتب لعمرو بن حزم عهدا حين وجهه الى اليمن وكتب لتميم الدارى واخوته باقطاع بالشام وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية وكتب الامانات أحيانا الى غير ذلك مما يأتى ذكره فى الاستشهاد به فى مواضعه ان شاء الله تعالى وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الانشاء بخلاف ديوان الجيش فان أول من وضعه ورتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته على أن القضاعى قد ذكر فى تاريخه عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف أن الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كانا يكتبان للنبى صلى الله عليه وسلم أموال الصدقات وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له خرص النخل وأن المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير كانا يكتبان المداينات والمعاملات فان صح ذلك فتكون هذه الدواوين أيضا قد وضعت فى زمنه صلى الله عليه وسلم إلا أنها ليست فى الشهرة وتواتر الكتابة فى زمانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم من متعلقات كتابة الانشاء وقد رأيت فى سيرة لبعض المتأخرين أنه كان للنبى صلى الله عليه وسلم نيف وثلاثون كاتبا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وعامر بن فهيرة وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وأبان أخوه وسعيد أخوهما وعبد الله بن الارقم الزهرى وحنظلة بن الربيع الأسدى وأبى بن كعب وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن ثابت وشرحبيل ابن حسنة ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن زيد وجهيم بن الصلت والزبير ابن العوام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمى وعمرو بن العاص وعبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبى ومعيقب بن أبى فاطمة وطلحة بن زيد بن أبى سفيان والارقم ابن الارقم الزهرى والعلاء بن عتبة وأبو أيوب الانصارى وبريدة بن الحصيب والحصين بن نمير وأبو سلمة المخزومى وحويطب بن عبد العزى وأبو سفيان بن حرب وحاطب بن عمرو وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وكان ألزمهم له فى الكتابة معاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت وكتب لابى بكر

عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وعثمان هو الذى كتب عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالخلافة عن أبى بكر رضوان الله عليه كما سيأتى فى موضعه ان شاء الله تعالى وكتب لعمر رضى الله عنه زيد بن ثابت وعبد الله بن خلف وكتب لعثمان رضى الله عنه مروان بن الحكم وكتب لعلى عبد الله بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعيد بن نجران الهمدانى وكتب للحسن بن على رضى الله عنهما عبد الله بن أبى رافع كاتب أبيه ثم كانت دولة بنى أمية فتوالت خلفاؤهم من معاوية ابن أبى سفيان فمن بعده وأمر ديوان الانشاء فى زمن كل أحد مفوض الى كاتب يقيمه الى حين انقراض دولتهم وكان الخليفة هو الذى يوقع على القصص و يحدثها بنفسه والكاتب يكتب ما يبرز اليه من توقيعه و يصرفه بقلمه على حكمه وكان ممن اشتهر من كتابهم بالبلاغة وقوة الملكة فى الكتابة حتى سار ذكره فى الآفاق وصار يضرب به المثل على ممر الازمان عبد الحميد ابن يحيى كاتب مروان بن محمد آخر خلفائهم فلما بزغت شمس الخلافة العباسية بالعراق وولى الخلافة أبو العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس استوزر أبا سلمة الخلال وهو أول من لقب بالوزارة فى الاسلام على ما سيأتى وتوالت الوزراء بعده لخلفاء بنى العباس من يومئذ وكان ديوان الانشاء تارة يضاف الى الوزارة فيكون الوزير هو الذى ينفذ أموره بقلمه ويتولى أحواله بنفسه وتارة يفرد عنه بكاتب ينظر فى أمره ويكون الوزير هو الذى ينفذ أموره بكلامه و يصرفها بتوقيعه على القصص ونحوها وصاحب ديوان الانشاء يعتمد ما يرد عليه من ديوان الوزارة ويمشى على ما يلقى اليه من توقيعه وربما وقع الخليفة بنفسه حتى بعد غلبة ملوك الاعاجم من الديلم وبنى سلجوق وغيرهم على الامر والامر على ذلك تارة وتارة الى انقراض الخلافة من بغداد وكان ممن اشتهر من وزرائهم بالبلاغة حتى صار يضرب به المثل يحيى بن خالد وزير الرشيد والحسن بن سهل وعمرو بن مسعدة كاتب المأمون وابن المقفع مترجم كتاب كليله ودمنه وسهل بن هرون الذى ترجمها والاستاذ أبو الفضل بن العميد والصاحب كافى الكفاة اسماعيل بن عباد وأبو اسحاق الصابى فى جماعة آخرين منهم ثم لما انقرضت الخلافة من بغداد فى وقعة هولاكو ملك التتار فى سنة ست وخمسين وستمائة واستولت المغل والاعاجم على بغداد بطل رسم الكتابة المعتبرة وصار أكثر ما يكتب عن ملوك التتار بالمغلية أو الفارسية والامر على ذلك الى زماننا على ما سيأتى بيانه فى الكلام على دواوين الامصار فى المكاتبات والولايات وغيرهما ان شاء الله تعالى وكانت بلاد الغرب والاندلس بأيدى نواب الخلفاء من حين الفتح الاسلامى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ولا عناية لهم بديوان الانشاء للتقرب من البداوة وغايته المكاتبة الى ديوان الخلافة ونحو ذلك فلما غلب بنو العباس على الخلافة هرب طائفة من بنى أمية الى بلاد المغرب وجازت البحر الى الاندلس فانتزعوه من النواب الذين كانوا به وملكوه وصاروا ينصبون فيه خليفة

بعد خليفة جارين على سنن ما كانوا عليه بالشام من ألقاب الخلافة مضاهين لخلافة بنى العباس
ببغداد من اقامة شعار الخلافة واتخاذ ديوان الانشاء واستخدام بلغاء الكتاب وتعدت دولتهم
الى برّ العدوة من بلاد المغرب فملكوه ثم تقاصر أمرهم بعد ذلك شيأ فشيأ باستيلاء المستولين
المستبدين عليهم بالامر الى أن انقرضت دولتهم من الاندلس وبلاد المغرب واستولت عليهما
طوائف من الملوك وتنقلت بهم الاحوال فى استيلاء الملوك على كل ناحية منهما وتتابعت الدول
فى كل حين كلما خبت دولة نجمت أخرى على ماسيأتى ذكره فى مكاتبات ملوكهما ان شاء الله تعالى
وكان حال ديوان الانشاء فيهم بحسب مايكونون عليه من الحضارة والبداوة فأوائل الدول
القريبون عهدا بالبادية لاعناية لهم بكتابة الانشاء واذا استحضرت الدولة صرفت اهتمامها
الى ديوان الانشاء وترتيبه الى أن استقر مابقى من الاندلس بعدما ارتجعته الفرنج منه بايدى بنى
الاحمر والغرب الاقصى بيد بنى مرين والغرب الاوسط بيد بنى عبد الواد وأفريقه بيد بقايا
الموحدين من أتباع المهدى بن تومرت وداخلتهم الحضارة فاخذوا فى ترتيب دواوين الانشاء
بهذه الممالك ومعاناة البلاغة فى المكاتبات ونحوها واستمر الحال على ذلك الى زماننا وممن اشتهر
بالبلاغة من كتاب المغاربة والوزراء به أبو الوليد بن زيدون والوزير أبو حفص بن برد الاصفر
الاندلسى وذو الوزارتين أبو المغيرة بن حزم والوزير أبو القاسم محمد بن الحد فى جماعة أخرى من
متقدمى كتابهم ومن متأخريهم عبد المهيمن كاتب السلطان أبى الحسن المرينى وأربى على كثير
من المتقدمين ابن الخطيب وزير ابن الاحمر صاحب غرناطه من الاندلس ممن أدركه من عاصرناه .
أما الديار المصرية فلديوان الانشاء بها خمس حالات

الحالة الاولى ما كان الأمر عليه من حين الفتح والى بداية الدولة الطولونية ونواب الخلفاء
تتوالى عليها واحدا بعد واحد فلم يكن لهم عناية بديوان الانشاء ولا صرف همة اليه للاقتصار
على المكاتبات لأبواب الخلافة والنزر اليسير من الولايات ونحو ذلك ولذلك لم يصدر عنهم مايدوّن
فى الكتب ولا يتناقل بالألسنة

الحالة الثانية ما كان الأمر عليه فى الدولة الطولونية من ابتداء ولاية أحمد بن طولون
واستقلال ملك الديار المصرية فى الاسلام وترتيب أمرها والى حين انقراض الدولة الاخشيديه
وفى خلال ذلك ترتب ديوان الانشاء بها وانتظم أمر المكاتبات والولايات وكان ممن اشتهر من
كتابهم بالبلاغة وحسن الكتابة أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود بن عبد كان كاتب أحمد بن طولون
وكان مبدأ الكتاب المشهورين بها وكتب بعده لخمارويه بن أحمد بن طولون اسحق بن نصر
العبادى النصرانى وتوالت الكتاب بالديوان بعد ذلك

الحالة الثالثة ما كان الأمر عليه من ابتداء الدولة الفاطمية والى انقراضها ولما ولى الفاطميون الديار المصرية صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الانشاء وكتابه فارتفع بهم قدره وشاع فى الآفاق ذكره وولى ديوان الانشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمى فكتب للعزيز بالله ابن المعز أبو المنصور بن سوردين النصرانى ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات فى أيامه فكتب للحاكم القاضى أبو الطاهر البهزكى ثم كتب بعده لابنه الظاهر وكتب للمستنصر القاضى ولى الدين بن خيران ثم ولى الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله الى الوزارة وأبو سعيد العميدى وكتب للآمر والحافظ الشيخ الاجل أبو الحسن على بن أبى اسامة الحلبى الى أن توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فكتب بعده ولده الاجل أبو المكارم الى أن توفى فى أيام الحافظ وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين تاج الرآسة أبو القاسم على بن سليمان بن منجد المبصرى المعروف بابن الصيرفى والقاضى كافى الكفاة محمود ابن القاضى الموفق أسعد بن قادوس وابن أبى الدم اليهودى ثم كتب بعد الشيخ أبى المكارم بن أبى اسامة المتقدم ذكره القاضى الموفق ابن الخلال أيام الحافظ والى آخر أيام العاضد وبه تخرج القاضى الفاضل البيسانى ثم شرك العاضد مع الموفق ابن الخلال فى ديوان الانشاء القاضى جلال الملك محمود ابن الانصارى وكان فى أيامه القاضى المؤتمن كاسيبويه ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى الموفق ابن الخلال قرب وفاته فى سنة ست وستين وخمسمائة فى وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكتب من انشائه عدة سجلات ومكاتبات عن العاضد آخر خلفائهم

الحالة الرابعة ما كان الامر عليه من ابتداء دولة بنى أيوب الى آخر انقراضها قد تقدم أن القاضى الفاضل رحمه الله كان قد كتب بين يدى الموفق ابن الخلال فى وزارة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين فلما استقل السلطان صلاح الدين المذكور بالملك وخطب لبنى العباس على ما تقدم فى الكلام على ملوك مصر فوض الى الفاضل الوزارة وديوان الانشاء فكان يتكلم فيهما جميعا وأقام على ذلك الى أن مات السلطان صلاح الدين فكتب بعده لابنه العزيز وأخيه العادل أبى بكر ثم مات وكتب للكامل بن العادل القاضى أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدرج الى أن توفى فكتب بعده للكامل الشيخ أمين الدين عبد المحسن الحلبى مدة قليلة وتوالت كتاب الانشاء فى الولاية الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب فولى ديوان الانشاء الصاحب بهاء الدين زهير ثم صرفه وولى بعده الصاحب فخر الدين ابراهيم بن لقمان الاسعردى فبقى الى انقراض الدولة الأيوبية

الحالة الخامسة ما كان الامر عليه فى الدولة التركية مما هو مستقر الى الآن قد تقدم أن الصاحب فخر الدين بن لقمان بقى فى ديوان الانشاء الى آخر الدولة الايوبية ولما صارت المملكة

الى الدولة التركية بقى فى صحابة ديوان الانشاء أيام أيبك التركمانى ثم أيام المظفر قطز ثم أيام الظاهر بيبرس ثم أيام المنصور قلاوون فباشر ديوان الانشاء فى أيامه مدة ثم نقله الى الوزارة وولى مكانه بديوان الانشاء القاضى فتح الدين ابن القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى حياة والده فبقى حتى توفى المنصور قلاوون واستقر بعده ابنه الاشرف خليل واستمر عنده فى كتابة السر برهة من الزمان وسافر معه الى الشام فمات بالشام فولى الاشرف مكانه القاضى تاج الدين أحمد بن الاثير وقفل السلطان راجعا الى مصر فمات القاضى تاج الدين فى أثناء الطريق بعد مضى شهر من ولايته فولى مكانه القاضى عماد الدين اسماعيل بن الاثير بعد وصوله الى مصر فبقى حتى توفى فولى مكانه القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله فأقام بقية أيام الاشرف بن قلاوون وأيام أخيه الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الاولى وأيام العادل كتبغا وأيام المنصور لاجين وأيام الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الثانية وأيام المظفر بيبرس الجاشنكير وبرهة من أيام الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الثالثة ثم نقله الى كتابة السر بدمشق المحروسة عوضا عن أخيه القاضى محيى الدين بن فضل الله وولى مكانه بمصر علاء الدين بن الاثير لسابق وعده له منه حين كان معه فى الكرك وبقى حتى مرض بالفالج وبطلت حركته فاستدعى الملك الناصر القاضى محيى الدين بن فضل الله من الشام فولاه ديوان الانشاء بالديار المصرية فى المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة وكان ولده القاضى شهاب الدين هو الذى يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمات الى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأعادهما الملك الناصر الى دمشق وولى مكانهما القاضى شرف الدين ابن الشهاب محمود فى شعبان من السنة المذكورة فبقى حتى حج السلطان وعاد الى مصر فأعاد القاضى محيى الدين وولده القاضى شهاب الدين الى ديوان الانشاء بالديار المصرية فبقيا الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وفى أواخر ذلك تغير السلطان على القاضى شهاب الدين المذكور وصرفه عن المباشرة وأقام أخاه القاضى علاء الدين مكانه يباشر مع والده وبقى الامر على ذلك مدة لطيفة ثم سأل القاضى محيى الدين السلطان فى العود الى دمشق وقد كبر سنه وضعفت حركته فأعاده وصحبته ولده القاضى شهاب الدين وكتب له تقليد فى قطع الثلثين بان يستمر على صحابة دواوين الانشاء بالممالك الاسلامية وأن يكون جميع المباشرين بهذه الوظيفة بالباب الشريف فمن دونه نوابه وانه حيث حل يقرأ القصص والمظالم ويقرر الولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ويوقع فيها بما يراه ويجهز الى مصر ليعلم عليها العلامة الشريفة وفوض أمر ديوان الانشاء بالديار المصرية لولده القاضى علاء الدين استقلالا وتجهز القاضى محيى الدين للسفر فمرض ومات بعد أيام قلائل فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة ثم نقل الى دمشق سنة تسع وبقى ولده القاضى علاء الدين فبقى فى الوظيفة بقية أيام الملك الناصر ثم أيام ولده المنصور أبى بكر ثم أخيه الاشرف كجك ثم أخيه

الملك الناصر أحمد فلما خلع الناصر أحمد نفسه فى سنة ثلاث وأربعين وتوجه الى الكرك توجه القاضى علاء الدين معه فأقام عنده واستقر الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون فى السلطنة بعد أخيه أحمد فقرر فى ديوان الانشاء القاضى بدر الدين محمد بن محيى الدين بن فضل الله فبقى فى الوظيفة الى أن عاد أخوه القاضى علاء الدين من الكرك فأعيد الى منصبه وبقى بقية أيام الملك الصالح اسماعيل ثم أيام أخيه الكامل شعبان ثم أيام أخيه المظفر حاجى ثم أيام أخيه الناصر حسن فى سلطنته الاولى ثم أيام أخيه الصالح صالح ثم أيام الناصر حسن ثانيا ثم أيام المنصور محمد بن حاجى بن محمد بن قلاوون ثم أيام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فتوفى وولى الوظيفة بعده ولده القاضى بدر الدين محمد فبقى بقية أيام الاشرف شعبان ثم أيام ولده المنصور على ثم أيام أخيه الصالح حاجى بن شعبان الى أن خلع وجاءت الدولة الظاهرية برقوق فقرر فى ديوان الانشاء القاضى أوحد الدين عبد الواحد بن التركمانى فبقى حتى توفى فأعيد القاضى بدر الدين المذكور وبقى حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حاجى بن الاشرف شعبان الى السلطنة وهو مستمر المباشرة فلما عاد الظاهر برقوق من الكرك حضر معه القاضى علاء الدين على الكركى فولاه كتابة السر وبقى حتى توجه صحبة السلطان الى الشام فى طلب منطاش فمات القاضى علاء الدين وكان القاضى بدر الدين صحبته فأعيد الى الوظيفة فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وعاد مولى صحبة الركاب الشريف السلطانى ثم توجه صحبته الى الشام عند وصول تمر لبغداد فمرض ومات هنالك فولى الظاهر مكانه القاضى بدر الدين محمود السراى الكلستانى فى شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة وحضر صحبة الركاب الشريف الى الديار المصرية فبقى حتى توفى فى جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة فولى الظاهر مكانه المقر العالى الفتحى فتح الله ففتح الله به من أبواب ديوان الانشاء ما كان مغلقا وأصفى به من ورد مما كان مكدرا وانتقلت السلطنة بعد وفاة الظاهر برقوق الى ولده الناصر فرج فأجراه من المباشرة والاجلال والتعظيم على عادة أبيه ثم صرفه عن الوظيفة فى شهور سنة ثمان وثمانمائة وأقام مكانه فى الوظيفة المقر السعدى ابراهيم ابن غراب وهو يومئذ مشير الدولة بعد تنقله فى وظائف الديار المصرية والمشار اليه وأقام بها مدة لطيفة وعادت الى المقر الفتحى فتح الله المشار اليه وقيل هذه بضاعتنا ردت الينا فجرى فيها على الاسلوب الاول والمهيع السابق من العدل والانصاف والاحسان الى الخلق وايصال البر الى مستحقيه والمساعدة فى الله لمن عرف ومن لم يعرف والله هو المكافئ لعباده على جميل الصنع

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه * لن يذهب العرف بين الله والناس

الباب الخامس
من المقدمة
فى قوانين ديوان الانشاء وترتيب أحواله وآداب أهله وفيه أربعة فصول

الفصل الاول
(فى بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله ولقبه الجارى عليه فى القديم والحديث)

أما رفعة محله وشرف قدره فأرفع محل وأشرف قدر يكاد أن لا يكون عند الملك أخص منه ولا ألزم لمجالسته ولم يزل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك فى كل زمن مقدما لديهم على من عداه يلقون اليه أسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ويطلعونه على مالم يطلع عليه أخص الاخصاء من الوزراء والاهل والولد وناهيك برتبة هذا محلها قال صاحب مواد البيان ليس فى منزلة خدم السلطان والمتصرفين فى مهماته أخص من كاتب الرسائل فانه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه ولا غنى له عن مفاوضته فى آرائه والافضاء اليه بمهماته وتقريبه من نفسه فى آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته فهو لذلك لا يثق باحد من خاصته ثقته به ولا يركن الى قريب ولا نسيب ركونه اليه ومحله منه فى عائدة خدمته وأثر دولته محل قلبه الذى يؤامره فى مشكل رأيه حتى يتنقح ويراجعه فى مهم تدبيره حتى يتضح ولسانه الذى يقرر بترغيبه أولياءه على الطاعة والموافقة ويستقر بترهيبه عن المعصية والمشاقة ويقرر أوامره ونواهيه أمور سلطانه وينزلها منازلها فى ممهد مجالسها ويتمكن من سياسة أجناده وعمارة بلاده ومصلحة رعيته واجتلاب مودتهم واستخلاص نياتهم وعينه التى تلاحظ أحوال سلطانه ويرعى بها مهمات شانه وأذنه التى يثق بما وعته ولا يرتاب بما سمعته ويده التى يبسطها بالانعام ويبطش بها فى النقض والابرام قال ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذى رتبه فيها أفضل الاسباب وأجدرها بالتقدم على الاستحقاق والاستحباب قال ابن الطوير فى ترتيب الدولة الفاطمية وكان هذا المنصب لا يتولاه فى الدولة الفاطمية الا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالاجل واليه تسلم المكاتبة واردة مختومة فيعرضها على الخليفة من يده وهو الذى يأمر بتنزيلها والاجابة عنها وربما بات عند الخليفة ليالى وهذا أمر لا يصل اليه غيره قال وهو أول أرباب الاقطاعات فى الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه أحد

ولا يجتمع باحد من كتابه الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وله فى مجلسه المرتبة العظيمة والمخاد والمسند والدواة العظيمة الشأن ويحمل دواته أستاذ من خواص الخليفة عند حضوره الى مجلس الخلافة . قلت ومرتبته فى زماننا أرفع مرتبة ومحله أعظم محل اليه تلقى أسرار المملكة وخفاياها وبرأيه يستضاء فى مشكلاتها وعلى تدبيره يعوّل فى مهماتها واليه ترد المكاتبات وعنه تصدر ومن ديوانه تكتب الولايات السلطانية كافة ويقوم توقيعه على القصص فى نفوذ الاوامر مقام توقيع السلطان وجميع ما يعلم عليه السلطان من جليل وحقير فى مرتبته حتى ما يكتب من ديوان الجيش من المناشير وما يكتب من ديوان الوزارة وديوان الخاص وغيرهما من المربعات ونحوها وليس لاحد من المتولين لهذه المناصب التعرض لاخذ علامة سلطانية البتة وناهيك بذلك رفعة وشرفا باذخا . وأما لقبه الجارى عليه فى كل زمن فقد تقدم أنهم كانوا فى زمن بنى أمية وما قبله يعبرون عنه بالكاتب لا يعرفون غير ذلك كما أشار اليه القضاعى فى عيون المعارف فلما جاءت الدولة العباسية واستقر السفاح أول خلفائهم فى الخلافة لقب كاتبه أبا سلمة الخلال بالوزارة وترك اسم الكاتب واستقر لقب الوزارة على من يليها من أرباب السيوف والاقلام الى انقراض الخلافة من بغداد وتقدم أيضا ان هذا الديوان كان تارة يضاف الى الوزارة فيكون الوزير هو الذى يباشره بنفسه أو يفوضه الى من يتحدث فيه عنه وتارة ينفرد عنها فحيث انفرد عن الوزارة لقب متوليه بما يتضمن اضافته الى صحابة الديوان وولايته بحسب ما يشتهر به الديوان فى ذلك الزمن فحيث كان الديوان مشهورا بديوان الرسائل كما كان فى الزمن الاول لقب متوليه بصاحب ديوان الرسائل أو متولى ديوان الرسائل وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات أو متولى ديوان المكاتبات وحيث كان الديوان مشهورا بديوان الانشاء كما فى زماننا بالديار المصرية لقب متوليه بصاحب ديوان الانشاء وربما جمعوا لفظ الديوان تعظيما لمتوليه فقالوا صاحب دواوين الانشاء بالممالك الاسلامية وعلى هذا اصطلح كتاب الديوان فى زماننا فى تعريفه فيما يكتب له من تقليد أو غيره على أنه لو قيل ناظر دواوين الانشاء لكان أعلى فى الرتبة لما اشتهر فى العرف من أن لفظ ناظر الديوان أعلى من صاحب الديوان قال ابن الطوير وكانوا يلقبونه فى الدولة الفاطمية بالديار المصرية كاتب الدست . قلت وانتهى الامر الى أوائل الدولة التركية والحال فى ذلك مختلف فتارة يلى الديوان كاتب واحد يعبر عنه بكاتب الدست وربما عبر عنه بكاتب الدرج وتارة يليه جماعة يعبر عنهم بكتاب الدست ويقال انهم كانوا فى أيام الظاهر بيبرس ثلاثة نفر أرفعهم درجة القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وبقى الامر على ذلك الى أن ولى الديوان القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر فى أيام المنصور قلاوون على ما تقدم ذكره فلقب بكاتب السر ونقل لقب كاتب الدست الى طبقة دونه من كتاب الديوان واستمر ذلك لقبا على كل

من ولى الديوان الى زماننا على ماسيأتى ذكره ويضاهيه فى ذلك من العرف العام متولى ديوان الانشاء بدمشق وبحلب وبطرابلس وبحماه وبصفد الا أنه لا يقال فى واحد منهم فى مصطلح الديوان صاحب دواوين الانشاء كما يقال فى متولى ديوان الانشاء بالديار المصرية بل يقال فى متولى ديوان دمشق صاحب ديوان الانشاء بالشام وفى متولى ديوان حلب صاحب ديوان المكاتبات بحلب وكذا فى الباقيات أما غزة والكرك والاسكندرية وغيرها من النيابات الصغار فانما يقال فى متولى شئ من دواوينها كاتب درج ولا يطلق عليه كاتب سر توجه واعلم أن العامة يبدلون الباء من كاتب السر ميم فيقولون كاتم السر وهو صحيح المعنى إما لأنه يكتم سر الملك أو من باب ابدال الباء بالميم على لغة ربيعة وان كانوا لا يعرفون الثانى

الفصل الثانى
(فى صفة صاحب هذا الديوان وآدابه)

قال أبو الفضل الصورى فى مقدمة تذكرته يجب أن يكون صبيح الوجه فصيح الالفاظ طلق اللسان أصيلا فى قومه رفيعا فى حيه وقورا حليما مؤثرا الجد على الهزل كثير الاناة والرفق قليل العجلة والخرق نزر الضحك مهيب المجلس ساكن الظل وقور النادى شديد الذكاء متوقد الفهم حسن الكلام اذا حَدث حسن الاصغاء اذا حُدث سريع الرضا بطيء الغضب رؤفا بأهل الدين ساعيا فى مصالحهم محبا لاهل العلم والادب راغبا فى نفعهم وان يكون محبا للشغل أكثر من محبته للفراغ مقسما للزمان على أشغاله يجعل لكل منها جزأ منه حتى يستوعبه فى جميع أقسامها ملازما لمجلس الملك اذا كان جالسا وملازما للديوان اذا لم يكن الملك جالسا ليتأسى به سائر كتاب الديوان ولا يجدوا رخصة فى الغيبة عن ديوانهم وأن يغلب هوى الملك على هواه ورضاه على رضاه ما لم ير فى ذلك خللا على المملكة فانه يجب ان يهدى النصيحة فيها للملك من غير أن يوجده فيما تقدم من رأيه فسادا أو نقصا لكن يتحيل لنقض ذلك وتهجينه فى نفسه وايضاح الواجب فيه بأحسن تأن وأفضل تلطف وأن ينحل الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه ومهما حدث من الملك من رأى صائب أو فعل جميل أو تدبير جيد أشاعه وأذاعه وعظمه وفخمه وكرر ذكره وأوجب على الناس حمده عليه وشكره واذا قال الملك قولا فى مجلسه أو بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقا للصواب فلا يجبهه بالرد عليه واستهجان ما أتى به فان ذلك خطأ كبير بل يصبر الى حين الخلوة ويدخل فى أثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تلق برد ولا يتبجح بما عنده ويكون متابعا للملك على أخلاقه الفاضلة وطباعه الشريفة من بسط المعدلة ومد رواق

الأمنـة ونشر جناح الانصاف واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وجبر الكسير والانعام على المعتر المستحق والتوفر على الصدقات وعمارة بيوت الله تعالى وصرف الهمم الى مصالحها والنظر فى أحوال الفقهاء وحملة كتاب الله العزيز بما يصلح والالتفات الى عمارة البلاد وجهاد الاعداء ونشر الهيبة واقامة الحدود فى مواضعها وتعظيم الشريعة والعمل باحكامها فيكون لجميع ذلك مؤكدا ولأفعاله فيه موطدا ممهدا وان أحس منه بخلة تنافى هذه الخلال أو فعلة تخالف هذه الافعال نقله عنها بألطف سعى وأحسن تدريج ولا يدع ممكنا فى تبيين قبحها و إصلاح رداءة عاقبتها وفضيلة مخالفتها الا بينه وأوضحه الى ان يعيده الى الفضائل التى هى بالملوك النبلاء أليق وأن يكون مع ذلك بأعلى مكانة من اليقظة والاستدلال بقليل القول على كثيره وببعض الشئ على جميعه ويستغنى عن التصريح بالاشارة والايماء بل الرمز والايحاء لينبه الملك على الامور من أوائلها ويعرفه خواتم الاشياء من مفتتحاتها ويحذره حين تبدو له لوائح الامر من قبل أن يتساوى فيه العالم والجاهل كما حكى عن خالد بن برمك انه كان مع قحطبة فى معسكر جالسين فى خيمة اذ نظر خالد الى سرب من الظباء قد أتى حتى كاد يخالط العسكر فأشار على قحطبة بالركوب فسأله عن السبب فقال الامر أعجل أن أبين سببه فركب وأركب العسكر فلم يستتموا الركوب الا والعدو قد دهمهم وقد استعدوا له فكانت النصرة لهم على العدو فلما انقضى الحرب سأل قحطبة خالدا من أين أدرك ذلك فقال رأيت الظباء وقد أقبلت حتى خالطت العسكر فعرفت أنها لم تفعل ذلك مع نفورها من الانس الا لأمر عظيم قد دهمها من ورائها وأن لا يكتب عن الملك الا ما يقيم منار دولته ويعظمها ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكة ولا ذم لها على غابر الايام ومستأنف الاحقاب وان أمر بشئ يخرج عن ذلك تلطف فى المراجعة بسببه وبين وجه الصواب فيه الى أن يرجع به الى الواجب وأن يكون من كتمان السر بالمنزلة التى لا يدانيه فيها أحد ولا يقاربه فيها بشر حتى يقرر فى نفسه امانة كل حديث يعلمه ويتناسى كل خبر يسمعه وأن لا يطلع والدا ولا ولدا ولا أخا شفيقا ولا صديقا صدوقا على مادق أو جل ولا يعلمه بما كثر منه ولا قل ويتوهم بل يتحقق ان فى اذاعته ما يعلم به وضع منزلته وحط رتبته ويجتهد فى ان يصير له ذلك طبعا مركبا وأمرا ضروريا . قلت وهذه الصفة هى الشرط اللازم والواجب المحتم بما شهر وبالاضافة اليها عرف وقد قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكانا وأوسعهم علما الملوك تحتمل كل شئ الا ثلاثة أشياء القدح فى الملك وافشاء السر والتعرض للحرم ومن كلام بعض الحكماء سرك من دمك قال صاحب العقد يعنون أنه ربما كان فى افشاء سرك سفك دمك والى ذلك يشير أبو محجن الثقفى بقوله

قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرض * واكتم السر فيه ضربة العنق

وقال الوليد بن عتبة لأبيه ان أمير المؤمنين أسرّ الىّ حديثا أفلا أخبرك به قال يابنى ان من كتم سره كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه فلا تكن مملوكا بعد أن كنت مالكا وقد كانت ملوك الفرس تقول أعظم الناس حقا على جميع الطبقات من ولى أسرار الملوك واعلم انه اذا كان افشاء السر ربما أفضى الى الهلكة خصوصا أسرار الملوك فعلى صاحب هذه الوظيفة القيام من ذلك بواجبه وكتمان السر حتى عن نفسه فقد حكى صاحب الريحان والريعان أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس فى مجلسه حفظ السر فقال عبد الله

ومستودعى سرا تضمنت ستره * فأودعته فى مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبيد الله وهو صبى

وما السر من قلبى كناو بحفرة * لأنى أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكننى أخفيه حتى كأننى * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

وعلى صاحب هذه الرتبة الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك بان لا يتلقاه عنه بحضرة أحد فقد حكى ان بعض ملوك العجم استشار وزيريه فقال أحدهما لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا الا خاليا فانه أموت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض فان افشاء السر الى رجل واحد أوثق من افشائه الى اثنين وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه الى جماعة لان الواحد رهن بما أفشى اليه والثانى مطلق عليه ذلك الرهن والثالث علاوة واذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يظهره رغبة أو رهبة وان كان عند اثنين كان على شبهة واتسعت عن الرجلين المعاريض فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه . قلت وكما يجب عليه الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك فكذلك يجب عليه الاحتياط حالة القائه الى كاتب يكتبه فلا يلقيه الى كاتبين جميعا ولا يخاطب فيه أحدهما بحضرة الآخر لتكون العهدة فى دركه على واحد بعينه على انه ربما أفشى السر مع احترازصاحبه عن افشائه فقد قيل ان الجن تنقل الاخبار وتفشى ما تطلع عليه من الاسرار . وقد حكى عن على بن الجهم انه قال دخلت على أمير المؤمنين المتوكل فرأيت الفتح بن خاقان وزيره واقفا على غير مرتبته التى يقوم عليها متكئا على سيفه مطرقا الى الارض فأنكرت حاله وكنت اذا نظرت اليه نظر الخليفة الىّ واذا صرفت وجهى الى نحو الخليفة أطرق فقال لى الخليفة يا على أنكرت شيأ قلت نعم يا أمير المؤمنين قال ما هو قلت وقوف الفتح بن خاقان فى غير منزلته قال سوء اختياره أقامه ذلك المقام قلت ما السبب يا أمير المؤمنين قال خرجت من عند جارية لى فأسررت اليه سرا فما عدانى السر أن عاد الىّ قلت لعلك أسررت الى غيره قال ما كان هذا قلت فلعل مستمعا استمع اليكما قال لا ولا هذا أيضا

قال فأطرقت مليا ثم رفعت رأسى فقلت يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه مخرجا قال وما هو قلت خبر أبى الجوزاء حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبى الجوزاء قال طلقت امرأتى فى نفسى وأنا فى المسجد ثم انصرفت الى منزلى فقالت لى امرأتى طلقتنى يا أبا الجوزاء قلت من أين لك هذا قالت حدثتنى به جارتى الانصارية قلت ومن أين لها هذا قالت ذكرت ان زوجها خبرها بذلك قال فغدوت على ابن عباس رضى الله عنهما فقصصت عليه القصة فقال أما علمت ان وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل فمن هنا يفشو السر فضحك المتوكل وقال الى يا فتح فصب عليه خلعة وحمله على فرس وأمر له بمال وأمر لى بدونه فانصرفت الى منزلى وقد شاطرنى الفتح فيما أخذ فصار الى الاكثر . قال أبو نعيم وكان فى نفسى من حديث أبى الجوزاء شئ حتى حدثنى حمزة بن حبيب الزيات قال خرجت سنة أريد مكة فبينا أنا فى الطريق اذ ضلت راحلتى فخرجت أطلبها فاذا أنا باثنين قد قبضا على أحس حسهما ولا أرى شخصهما بل أسمع كلامهما فأخذانى الى شيخ قاعد وهو حسن الشيبة فسلمت عليه فرد على السلام فأفرخ روعى ثم قال من أين والى أين قلت من الكوفة الى مكة قال ولم تخلفت عن أصحابك قلت ضلت راحلتى فجئت أطلبها فرفع رأسه الى قوم عنده وقال أنيخوا راحلته فأنيخت بين يدى ثم قال تقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ فقرأت حم الاحقاف حتى أتيت واذ صرفنا اليك نفرا من الجن فقال مكانك أتدرى كم كانوا قلت لا قال كنا أربعة وكنت أنا المخاطب عن النبى صلى الله عليه وسلم لهم فقلت يا قومنا أجيبوا داعى الله ثم قال أتقول الشعر قلت لا قال فترويه قلت نعم قال هاته فانشدته قصيدة زهير بن أبى سلمى أمن أم أوفى فقال لمن هذه قلت لزهير بن أبى سلمى قال الجنى قلت لا بل الانسى ثم رفع رأسه الى قوم عنده فقال ائتونى بزهير فأتى بشيخ كأنه قطعة لحم فألقى بين يديه قال يا زهير قال لبيك قال أمن أم أوفى لمن هى قال لى قال هذا حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبى سلمى قال صدق وصدقت قال وكيف هذا قال هو إلفى من الانس وأنا تابعه من الجن أقول الشئ فألقيه اليه فى فهمه ويقول الشئ فآخذ عنه فأنا قائلها فى الجن وهو قائلها فى الانس . قال أبو نعيم فصدق عندى حديث أبى الجوزاء أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل

الفصل الثالث

(فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان بتدبيره ويصرفه بقلمه
ومتعلق ذلك اثنا عشر أمرا)

الامر الاول

(التوقيع والتعيين)

أما التوقيع فهو الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الامور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم وهو أمر جليل ومنصب حفيل اذ هو سبيل الاطلاق والمنع والوصل والقطع والولاية والعزل الى غير ذلك من الامور المهمات والمتعلقات السنية . واعلم أن التوقيع كان يتولاه في ابتداء الامر الخلفاء فكان الخليفة هو الذي يوقع في الامور السلطانية وفصل المظالم وغيرهما

الامر الثانى

(نظره في الكتب الواردة عليه)

قال أبو الفضل الصورى كان الواجب أن لا يقرأ الكتب الواردة على الملك الا هو بنفسه ولما كان ذلك متعذرا عليه لوفورها واتساع الدولة وكثرة المكاتبين من أصناف أرباب الخدم ووصول الكتب اليه من الاقطار النائية والممالك المتباعدة وضيق الزمان عن تفرغه لذلك وجب تفويضه الى متولى ديوان رسائله . قال ولما كان حال متولى صاحب الديوان كذلك لاشتغاله بالحضور عند الملك في بعض الاوقات لقراءة الكتب الواردة وتقرير ما يجاب به عن كل منها مع شغله بتصفح ما يكتب في الديوان والمقابلة به احتاج أن يرد أمرها الى كاتب يقوم مقامه على ما سيذكر في صفات كتاب الديوان فيما بعد ان شاء الله تعالى

الامر الثالث

(نظره فيما يتعلق برده الاجوبة عن الكتب الواردة على لسانه)

قال أبو الفضل الصورى ومن أهم ما يلزم صاحب هذا الديوان إشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة ويعلمه أن من أعظمها خطرا أن يصدر جواب كل كتاب يصل اليه في يومه ولا يؤخره الى غده ويؤرخ في آخره بتاريخ ذلك اليوم فيقال وكتب في يوم وصول كتابك وهو يوم كذا فان ذلك يقيم للملك هيبة كبيرة ويدل على تطلعه للامور وانتصابه للتدبير وقلة اهماله لامور دولته

وكثرة احتفاله باستقامة شؤنها ويؤثر فى نفس المكاتبين تأثيرا كبيرا ويستشعرون منــه حذرا وخيفة . قال وينبغى أن يأخذ جميع أرباب الخدم فى البلاد بتاريخ كتبهم ويحذرهم من ترك ذلك فان فى اهماله ضررا كبيرا من حيث انه اذا ورد غير مؤرخ لم يعلم بعد العهد عما ذكر فيــه من قربه ولا هل فات وقت النظر فيما تضمنه أم لا واذا كان مؤرخا عرف ذلك وزالت الشبهة فيه واذا وصل اليــه كتاب اقتضى تاريخه زيادة زمن على مسافة الطريق أنكر ذلك على حامله فان خرج عن العهدة باقامة الحجة على أنه لم يتأخر به قدرا زائدا على مسافة طريقه وان العذر من تقدم التاريخ قبل ارساله أنكر ذلك على مرسله انكارا يردعه عن ذلك ويزجره عنه

الامر الرابع

(نظره فيما تتفاوت به المراتب فى المكاتبات والولايات من الافتتاح والدعاء والالقاب وقطع الورق ونحو ذلك)

وقد كان هذا الباب فى الزمن المتقدم فى غاية الضبط والتحرير خصوصا فى زمن الخلفاء من بنى العباس والفاطميين لا يزاد أحد فى الالقاب على مالقبه به الخليفة كبيرا كان أو صغيرا ولا يسمح له بزيادة الدعوة الواحدة فضلا عما فوقها أما الآن فقد صار ذلك موكولا الى نظر صاحب ديوان الانشــاء ينزل كل أحد من المكاتبين وأرباب الولايات منزلتــه على ما يقتضــيه مصطلح الزمان من علو وهبوط وحينئذ فعليه أن يحتاط فى ذلك ويؤاخذ كتاب الانشاء بالمشاحة فيه والوقوف عنــد ماحد لهم من غير افراط ولا تفريط . فقد قال صاحب مواد البيــان ان الملوك تسمح ببدرات المــال ولا تسمح بالدعوة الواحدة وناهيك بذلك تشديدا واحتياطا

الامر الخامس

(نظره فيما يكتب من ديوانه وتصفحه قبل اخراجه من الديوان)

قال أبو الفضــل الصورى على متولى الديوان أن يتصفح ما يكتب من ديوانه من الولايات والمناشير والمكاتبــات اذ الــكاتب غير معصوم من الخطا واللحن وسبق القلم وعيب الانسان يظهر منه لغيره مالا يظهر له فما أبصر من لحن أو خطا أصلحه ونبه كاتبه عليــه فيحذر من مثله فيما يســتأنفه فان تكرر منه زجره عن ذلك وردعه عن العود الى مثله اذ الغرض الاعظم أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضــيلة خطا ولفظا ومعنى واعرابا حتى لا يجد طاعن فيه مطعنا فربما زل الــكاتب فى شئ فيزل بسببه متولى الديوان بل السلطان بل الدولة بأسرها قال واذا فرغ من عرض الكتاب والوقوف عليــه كتب عليــه بخطه ما يدل على وقوفه عليه ليكون ملتزما بدركه وكأنه يشــير الى ما تقدم من كلامه من أنه ان كان رسالة كتب عنوانها بخطه

وان كان منشورا ونحوه كتب تاريخه بخطه ثم قال وان كان متولى الديوان مشتغلا بحضور مجلس السلطان ومخاطباته والتلقى عنه ولا يمكنه مع ضيق الزمان توفية كل ما يكتب بالديوان حق النظر فيه وتصفح ألفاظه ومعانيه نصب له فى ذلك نائبا كامل الصنعة حسن الفطنة موثوقا به فيما يأتى ويذر يقوم مقامه فى ذلك . قال وليس ذلك لانه يغنى عن نظر متولى الديوان ولكن ليتحمل عنه أكثر الكل ويصير اليه وقد قارب الصحة أو بلغها فيحصل على الراحة من تعبها ويصرف نظره الى ما لعله خفى على المتصفح من دقائق المعانى وغويص المدارك فيقل زمن النظر عليه ويظفر بالغرض المطلوب فى أقرب وقت

الامر السادس

(نظر فى أمر البريد ومتعلقاته وهو من أعظم مهمات السلطان وآكد روابط الملك)

قال زياد لحاجبه وليتك حجابى وعزلتك عن أربع هذا المنادى الى الله فى الصلاة والفلاح فلا تعوجنه عنى ولا سلطان لك عليه وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد وطارق الليل فلا تحجبه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء فى تلك الساعة ورسول الثغر فانه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة فأدخله على ولو كنت فى لحافى وقد تقدم أن صاحب ديوان الانشاء هو الذى يتلقى المكاتبات الواردة ويقرأها على السلطان ويجاوب عنها فيجب على صاحب هذه الوظيفة أن يكون متيقظا لما يرد على السلطان من نواحى ممالكه وقاصيات أعماله فانه المعتمد عليه فى ذلك والمعوّل عليه فى أمره وقد كان أمر البريد فى الزمن المتقدم والدوادارية يومئذ أمراء صغار وأجناد معدون لصاحب ديوان الانشاء تخرج رسالة السلطان على لسان بعض الدوادارية بما يرسم به لمن يركب البريد فى المهمات السلطانية وغيرها ويأتى بها الى صاحب ديوان الانشاء فيعلق رسالته على ما تقدم فى تعليق الرسالة ويعمل بمقتضاها وكان للبريد ألواح من نحاس كل لوح منها بقدر راحة الكف أو نحوها منقوش على أحد وجهيه ألقاب السلطان وعلى الوجه الآخر لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وفى رقبته شرابة من حرير أصفر يجعلها راكب البريد فى عنقه ويرسل اللوح على صدره علامة له فاذا حضرت الرسالة الى كاتب السر دفع الى البريدى لوحا من تلك الالواح وكتب له ورقة بخطه الى أمير اخور البريد بالاسطبل السلطانى بما تبرز به الرسالة من الخيل ويكتب اسمه فى آخر الكتاب الذى ينفذ معه بين السطور ويختم الكتاب ويسلم اليه ويكتب له ورقة طريق بالتوجه الى جهة قصده وحمله على ما رسم له به من خيل البريد على ما سيأتى ذكره فى الكلام على كتابة أوراق الطريق ويترك اسمه وتاريخ سفره والجهة التى توجه اليها والشغل

الذى توجه بسببه بدفتر بالديوان فلما عظم أمر الدوادارية واستقر عند الدوادار كاتب من كتاب الدست يعلق عنه الرسالة على ما تقدم فى الكلام على تعليق الرسالة رجع أكثر الأمر فى ذلك الى الدوادار وصار كاتب الدست الذى يخدمه يعلق الرسالة عنه بذلك كما يعلقها عنه فى غيره على ما تقدم فان كان البريد الى جهة الشام كتب فى ورقة لطيفة برسم برسالة المقر المخدوم الفلانى أمير دوادار الناصرى أو الظاهرى مثلا أعز الله تعالى أنصاره أن يكتب ورقة طريق شريفة باسم فلان الفلانى المرسوم له بالتوجه الى الجهة الفلانية ويحمل على فرس أو فرسين أو أكثر من خيل البريد ثم يؤرخ وان كان البريد الى الوجه القبلى أو البحرى أو غير ذلك كتب أن يكتب ورقة فرس بريد باسم فلان الفلانى من غير تعرض لذكر ورقة طريق وباقى الكلام على نحو ما تقدم ويؤرخ ويجهز تلك الورقة صحبة البريدى الى صاحب ديوان الانشاء فيخلد الورقة بديوانه عند دواداره فى جملة أضابير الديوان ويكتب له فى ورقة صغيرة أيضا ما مثاله أمير اخور البريد المنصور يحمل فلان الفلانى على فرس واحد أو أكثر من خيل البريد المنصور عند توجهه الى الجهة الفلانية ويؤرخ ويدفع الى البريدى ليدفعها الى أمير اخور البريد تخلد عنده ويكتب اسم البريدى فى آخر الكتاب على ما سيأتى فى أول المكاتبات ان شاء الله تعالى ويختم الكتاب ويدفع اليه . قلت وقد بطل الان ما كان من أمر الالواح وتركت وصار كل بريدى عنده شرابة حرير صفراء يجعلها فى عنقه من غير لوح اللهم الا أن يتوجه البريدى الى مملكة من الممالك النائية فيحتاج الى اللوح لتعارف أمر المملكة القديمة وكذلك الحكم فيمن يتوجه الى الابواب السلطانية من نيابة من نيابات المملكة فى ورقة الطريق وخيل البريد ولصاحب ديوان الانشاء التنبه على مصالح مراكز خيل البريد فى الديار المصرية وغيرها وسيأتى الكلام على مراكز البريد بمصر والشام مفصلة فى موضعها بعد ان شاء الله تعالى . واعلم أنه يجب على الناظر فى أمر البريد من الملك فمن دونه أن يحتاط فيمن يرسله فى الامور السلطانية فيوجه فى كل قضية من يقوم بكفايتها وينهض باعبائها ويختص الملوك وأكابر النواب باكابر البريدية وعقلائهم وأصحاب التجارب منهم خصوصا فى المهمات العظيمة التى يحتاج الرسول فيها الى تمنيق الكلام وتحسين العبارة وسماع شبهة المرسل اليه ورد جوابه واقامة الحجة عليه فانه يقال يستدل على عقل الرجل بكتابه وبرسوله وقد قيل من الحق على رسول الملك أن يكون صحيح الفكرة والمزاج ذا بيان وعارضة ولين واستحكام منعة وأن يكون بصيرا بمخارج الكلام وأجوبته مؤديا للالفاظ عن الملك بمعانيها صدوقا بريئا من الطمع وعلى مرسله امتحانه قبل توجيهه فى مقاصده ولا يرسل الى الملوك الاجانب الا من اختبره بتكرير الرسائل الى نوابه وأهل مملكته فقد كان الملوك فيما سلف من الزمن اذا آثروا ارسال شخص لهم قدموا امتحانه بارساله الى بعض خواص الملك

ممن فى قرار داره فى شئ من مهماته ثم يجعل عليه عينا فيما يرسل به من حيث لا يشعر فاذا أدى الرسول رسالته رجع بجوابها وسأل الملك عنه فان طابق ما قاله الرسول ما أتى به من هو عين عليه وتكرر ذلك منه صارت له المزية والتقدمة عند الملك ووجهه حينئذ فى مهمات أموره وكان أزدشير بن بابك آخر ملوك الفرس يقول حق على الملك الحازم اذا وجه رسولا الى ملك أن يردفه بآخر وان وجه رسولين وجه بعدهما باثنين وان أمكنه أن لا يجمع بين رسله فى طريق فعل ومن الحزم أن الرسول اذا أتاه برسالة أو كتاب فى خير أو شر أن لا يحدث فى ذلك شيأ حتى يرسل مع رسول آخر يحكى له كتابه أو رسالته حرفا حرفا ومعنى معنى فان الرسول ربما فاته بعض ما يؤمله فافتعل الكتب وغير ما شوفه به فافسد ما بين المرسل والمرسل اليه من ملك أو نائب ونحوهما وربما أدى ذلك الى وقوع فتنة بين الملكين أو خروج النائب عن الطاعة وتفاقم الأمر بسبب ذلك وسرى الى ما لا يمكن تداركه . وقد حكى ان الاسكندر وجه رسولا الى بعض ملوك الشرق فجاء برسالة شك الاسكندر فى حرف منها فقال له ويلك ان الملوك لا تخلو من مقوم ومسدد اذا مالت وقد جئتنى برسالة صحيحة الالفاظ بينة المعانى وقد وجدت فيها حرفا ينقضها أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شاك فيه فقال بل على يقين منه أنه قاله فأمر الاسكندر أن تكتب الالفاظ حرفا حرفا ويعاد الى الملك الذى جاء ذلك الرسول من عنده مع رسول آخر فيقرأ عليه ويترجم له فلما وصل الرسول الثانى الى ذلك الملك وقرأ عليه ما كتب اليه به الاسكندر فى أمر ذلك الرسول أنكر ذلك الحرف الذى أنكره الاسكندر وقال للترجم ضع يدك على هذا الحرف فوضعها فأمر أن يعلم بعلامة وقال انى أجل ما وصل عن الملك أن أقطعه بالسكين ولكن ليصنع هو فيه وفى قائله ما شاء وكتب الى الاسكندر ان من أس المملكة صحة لهجة الرسول اذ كان عن لسانه ينطق والى أذنه يؤدى فلما عاد الرسول الى الاسكندر دعا برسوله الاول وقال ما حملك على كلمة قصدت بها افساد ما بين ملكين فأقر أن ذلك كان منه لتقصير رآه من الملك فقال له الاسكندر فأراك قد سعيت لنفسك لا لنا فاتك ما أملت بما لا تستحقه على من أرسلت اليه فجعلت ذلك نارا توقعه فى الانفس الخطيرة الرفيعة ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه وكأنه رأى اتلاف نفس واحدة أولى من اتلاف نفوس كثيرة بما كان يوقعه بين الملكين من العداوة وكثير من الاحن وضغائن الصدور وقد كان أزدشير بن بابك يقول كم من دم سفكه الرسول بغير حله وكم من جيوش هزمت وقتل أكثرها وكم حرمة انتهكت .وكم مال نهب وعقد نقض بجناية الرسل وأكاذيب ما يأتون به

الامر السابع
(نظره فى أمر ابراج الحمام ومتعلقاته)

سيأتى فيما بعد ان شاء الله تعالى أن بالديار المصرية أبراجا للحمام الرسائلى يحمل البطائق فى أجنحته من مكان الى مكان منها برج بقلعة الجبل وأبراج بطريق الشام بمدينة بلبيس وأبراج بطريق الاسكندرية وكان قبل ذلك يدرج الى قوص ومنها الى أسوان وعيذاب ما يقطع ذلك الآن وحمام كل برج ينقل منه فى كل يوم الى البرج الذى يليه ليطلب برجه الذى هو مستوطنه اذا أرسل فاذا عرض أمر مهم أو ورد بريد أو غيره ممن يحتاج الى مطالعة الابواب السلطانية به الى مكان من الامكنة التى فيها برج من أبراج الحمام كتب واليها المتحدث فيها بذلك للابواب السلطانية وبعث بها على أجنحة الحمام وقد جرت العادة أن تكتب بطاقتان وتؤرخان بساعة كتابتهما من النهار ويعلق كل منهما فى جناح طائر من الحمام الرسائلى ويرسلان ولا يكتفى بواحد لاحتمال أن يعرض له عارض يمنعه من الوصول الى مقصده فاذا وصل الطائر الى البرج الذى وجه به اليه أمسكه البراج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذى يليه أى من المنقول الى ذلك البرج وعلى ذلك حتى ينتهى الى برج القلعة فيأخذ البراج الطائر والبطاقة فى جناحه ويحضره بين يدى الدوادار الكبير فيعرض عليه فيضع البطاقة عن جناحه بيده فان كان الأمر الذى حضرت البطاقة بسببه خفيفا لا يحتاج الى مطالعة السلطان به استقل الدوادار به وان كان مهما يحتاج الى اعلام السلطان به استدعى كاتب السر وطلع لقراءة البطاقة على السلطان كما يفعل فى المكاتبات الواردة وكذلك الحكم فيما يطرأ من المهمات بالابواب السلطانية فانه يوجه بالحمام من برج القلعة الى الجهة المتعلقة بذلك المهم وفى معنى ذلك كل نيابة من النيابات العظام بالممالك الشامية كدمشق وحلب وطرابلس ونحوها مع ما تحتها من النيابات الصغار والولايات على ما سيأتى ذكره فى مواضعه ان شاء الله تعالى

الامر الثامن
(نظره فى أمور الفــداوية)

وهم طائفة من الاسماعيلية المنتسبين الى اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين السبط ابن على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فرقة من الشيعة معتقدهم معتقد غيرهم من سائر الشيعة أن الامامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم انتقلت بالنص الى على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم الى ابنه الحسن ثم الى أخيه الحسين ثم تنقلت فى بنى الحسين الى جعفر الصادق ثم هم يدعون انتقال الامامة

من جعفر الصادق الى ابنه اسماعيل ثم تنقلت فى بنيه وسموا الفداوية لانهم يفادون بالمال على من يقتلونه ويسموا فى بلاد العجم بالباطنية لانهم يبطنون مذهبهم ويخفونه وتارة بالملاحدة لان مذهبهم كله الحاد وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية وسيأتى الكلام عند ذكر تحليفهم فى الكلام على الأيمان ان شاء الله تعالى وكانوا فى الزمن المتقدم قد علت كلمتهم واشتدت شكيمتهم وقويت شوكتهم واستولوا على عدة قلاع ببلاد العجم وبلاد الشام . فأما بلاد العجم فكان بداية قوتهم وانتشار دعوتهم فى دولة السلطان ملكشاه السلجوقى فى المائة الخامسة وذلك انه كان من مقدميهم رجل اسمه عطاش فنشأ له ولد يسمى أحمد فتقدم فى مذهبهم وارتفع شأنه فيهم والم به من فى بلاد العجم منهم فغلب على قلعة باصبهان كان قد بناها السلطان ملكشاه المتقدم ذكره وقلعة بالطالقان تعرف بقلعة الموت وكان من تلامذته رجل يقال له الحسن بن الصباح ذو شهامة وتقدم فى علم الهندسة والحساب والنجوم والسحر فاتهمه بالدعوة للخلفاء الفاطميين وهم من جملة طوائف الاسماعيلية ففر الحسن بن الصباح منه هاربا الى مصر وبها يومئذ المستنصر بالله خامس خلفاء الفاطميين فاكرمه وأحسن نزله وأمره بأن يخرج الى البلاد للدعوة الى امامته فاجابه الى ذلك وسأله من الامام بعده فقال له ابنى نزار وهو الذى تنسب اليه النزارية منهم فخرج ابن الصباح من مصر وسار الى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم يدعو الى امامة المستنصر ثم ابنه نزار من بعده وسار الى خراسان وجاوزها الى ماوراء النهر ودخل كاشغر يدعو الى ذلك ثم عاد الى الطالقان واستولى على قلعة الموت فى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ثم استولى على قلعة أصبهان واستضاف اليها عدة قلاع بتلك النواحى فى سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقويت شوكة هذه الطائفة بتلك البلاد وعظم أمرها وخافها الملوك وسائر الناس وبقى ابن الصباح على ذلك حتى مات فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وتنقلت تلك القلاع بعده حتى صار أمرها الى شخص من عقبه يسمى جلال الدين بن حسن الكيا الصباحى فأظهر التوبة فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة وبقى على ذلك الى سنة ثمان وستمائة فأظهر شعائر الاسلام وكتب الى جميع قلاع الاسماعيلية ببلاد العجم والشام فأقيمت فيها وبقى حتى توفى سنة ثمان عشرة وستمائة وقام بعده ابنه علاء الدين محمد وتداول مقدموهم تلك القلاع الى أن خرج هولاكو على بلاد العجم فى سنة ست وخمسين وستمائة باستصراخ أهل تلك البلاد من عيثهم وفسادهم فخرب قلاعهم عن آخرها . وأما بلاد الشام فكان أول قوتهم بها أنه دخل منهم الى الشام رجل يسمى بهرام بعد قتل خاله ابرهيم الاسدابادى ببغداد فى أيام تاج الملوك بورى صاحب الشام وصار الى دمشق ودعا الى مذهبه بها وعاضده سعيد المردغانى وزير بورى حتى علت كلمته فى دمشق وسلم له قلعة بانياس فعظم أمر بهرام وملك عدة حصون بالجبال أظنها القلاع المعروفة بهم الى الآن

وهي سبع قلاع بين حماه وحمص متصلة بالبحر الرومي على القرب من طرابلس وهي مصياف والرصافة والخوابي والقدموس والكهف والعليقة والمينقة ومن هنا سميت بقلاع الدعوة وكان آخر الأمر من بهرام أنه قتل في حرب جرت بينه وبين أهل وادي التيم وقام مقامه بقلعة بانياس رجل منهم اسمه اسماعيل وأقام الوزير المردغاني عوض بهرام بدمشق رجلا منهم اسمه أبو الوفا فعظم أمره بدمشق حتى صار الحكم له بها وهم بتسليمها للفرنج على أن يسلموا له صور عوضا منها فشعر به بوري صاحب دمشق فقتله وقتل وزيره المردغاني ومن كان بدمشق من هذه الطائفة ولم يزل أمرهم يتنقل بالشام لواحد بعد واحد من مقدميهم الى أن كان المقدم عليهم في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبو الحسن راشد الدين سنان البصري وكان بينهم وبين السلطان صلاح الدين مباينة ووثبوا عليه مرات ليقتلوه فلم يظفروا بذلك الى أن حاصر قلاعهم في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وضيق عليهم فسألوه الصفح عنهم فأجابهم الى ذلك وبقي راشد الدين سنان مقدما عليهم حتى مات في سنة ثمان وثمانين وخمسمائه . قال في مسالك الابصار وهم يعتقدون أن كل من ملك مصر كان مظهرا لهم ولذلك يتولونه ويرون اتلاف نفوسهم في طاعته لما ينتقل اليه من النعيم الاكبر بزعمهم . قال ولصاحب مصر بهم مزية يخافه بها أعداؤه لانه يرسل منهم من يقتله ولا يبالي أن يقتل بعده ومن بعثه الى عدو له فجبن عن قتله قتله أهله اذا عاد اليهم وان هرب تبعوه وقتلوه . قلت وكانوا في الزمن المتقدم يسمون كبيرهم المتحدث عليهم تارة مقدم الفداوية وتارة شيخ الفداوية أما الآن فقد سموا أنفسهم بالمجاهدين وكبيرهم بأتابك المجاهدين وقد كانت السلاطين في الزمن المتقدم تمنع هؤلاء من مخالطة الناس فلا يخرجون من بلادهم الى غيرها الا من رسم له بالخروج لما يتعلق بالسلطان ولا يمكن أحد من التجار من الدخول الى بلادهم لشراء قماش وغيره وكان يكتب بذلك مراسيم من ديوان الانشاء بالابواب السلطانية ويوجه بها الى نائب الشام المحروس وسيأتي ايراد شيء من نسخ هذه المراسيم عند ذكر مرسوم أتابكهم في الولايات ان شاء الله تعالى

الامر التاسع

(نظره في أمر العيون والجواسيس)

وهو جزء عظيم من أس الملك وعماد المملكة وعلى صاحب ديوان الانشاء مداره واليه رجوع تدبيره واختيار رجاله وتعريفهم فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر البريدية والرسل لان الرسول قد يتوجه الى الصديق وقد يتوجه الى العدو والجاسوس لا يتوجه الا الى العدو واذا وثق بجاسوسه فانه الى ما يأتي به صائر وعليه معتمد وبه فاعل وقد

شرطوا فى الجاسوس شروطا . منها أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه فان الظنين لا ينتفع بخبره وان كان صادقا لانه ربما أخبر بالصدق فاتهم فيه فتفوت فيه المصلحة بل ربما آثر الضرر لمن هو عين له اذ المتهم فى الحقيقة عين عليك لا عون لك وكيف يكون المتهم أمينا لا سيما فيما يصرف فيه جليل الاموال من القضايا العظيمة ان سلمت نفيسات النفوس . ومنها أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو بالمشاهدة ما كتموه عن النطق به ويستدل فيما هو فيه ببعض الامور على بعض فاذا تفرس فى قضية ولاح له أمر آخر يعضدها قوى بحثه فيها بانضمام بعض القرائن الى بعض . ومنها أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل بدهائه الى كل موصل ويدخل بحيلته فى كل مدخل ويدرك مقصده من أى طريق أمكنه فانه متى كان قاصرا فى هذا الباب أوشك أن يقع ظفر العدو به أو يعود صفر اليدين من طلبته . ومنها أن يكون له دربة بالاسفار ومعرفة بالبلاد التى يتوجه اليها ليكون أغنى له عن السؤال عنها وعن أهلها فربما كان فى السؤال تنبه له وتيقظ لأمره فيكون ذلك سبب الهلاك بل ربما وقع فى العقوبة وسئل عن حال ملكه فدل عليه وكان عينا عليه لا له . ومنها أن يكون عارفا بلسان أهل البلاد التى يتوجه اليها ليلتقط ما يقع من الكلام فيما ذهب بسببه ممن يخالطه من أهل تلك المملكة وسكان البلاد العالمين باخبارها ولا يكون مع ذلك ممن يتهم بممالأة أهل ذلك اللسان من حيث ان الغالب على أهل كل لسان اتحاد الجنس والجنسية علة الضم . ومنها أن يكون صبورا على ما لعله يصير اليه من عقوبة ان ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال ملكه ولا يطلع على وهن فى مملكته فان ذلك لا يخلصه من يد عدوه ولا يدفع سطوته عنه بل ولا يعترف أنه جاسوس أصلا فان ذلك مما يحتم هلاكه ويفضى الى حتفه الى غير ذلك من الامور التى لا يسع استيعابها فاذا وجد من العيون والجواسيس من هو مستكمل لهذه الشرائط وما فى معناها فعليه أن يظهر لهم الود والمصافاة ولا يطلع أحدا منهم فى زمن تصرفه له أنه يتهمه ولا انه غير مأمون لديه فربما أداه ذلك فى أضيق الاوقات أن يكون عينا عليه فان الضرورة قد تلجئه لمثل ذلك خصوصا ان جذبه الى ذلك جاذب يستميله عنه مع ما هو عليه من الضرورة والضرورة قد تحمل الانسان على مفاسد الامور ويجزل لهم الاحسان والبر ولا يغفل تعاهدهم بالصلات قبل احتياجه اليهم ويزيد فى ذلك عند توجههم الى المهمات ويتعهد أهليهم فى حضورهم وغيبتهم ليملك بذلك قلوبهم ويستصفى به خواطرهم وان قضى على من بعثه منهم بقضاء أحسن الى من خلفه من أهله وجعل لهم من بعده من الاحسان ما كان يجعله له اذا ورد بنفسه عليه ليكون ذلك داعيا لغيره على النصيحة وان قدر ان عاد منهم أحد غير ظافر بقصد أو حاصل على طلبه وهو ثقة فلا يستوحش منه بل يوليه الجميل ويعامله بالاحسان فانه ان لم ينجع المرة نجع

الأخرى وعليه أن يحترز عن أن تعرف جواسيسه بعضهم بعضا لاسيما عند التوجه للمهمات وان استطاع أن لا يجعل بينه وبينهم واسطة فعل وان لم يمكنه ذلك جعل لكل واحد منهم رجلا من بعض خاصته يتولى ايصاله اليه فانه اذا علم بعضهم بعض ربما أظهره بخلاف ما اذا اختص الواحد بالسرّ وأيضا فانه لا يؤمن اتفاقهم عليه ومما لأتهم لعدوّه وكذلك يحترز عن تعرّف أحد من عسكره عيونه وجواسيسه فان ذلك ربما يؤدي الى انتشار السرّ والعود بالمفسدة وعليه أن يصغى الى ما يلقيه اليه كل من جواسيسه وعيونه وان اختلفت أخبارهم ويأخذ بالاحوط فيما يؤديه اليه اجتهاده من ذلك ولا يجعل اختلافهم ذنبا لاحد منهم فقد تختلف أخبارهم وكل منهم صادق فيما يقوله اذ كل واحد قد يرى ما لا يرى الآخر ويسمع ما لا يسمعه واذا عثر على أحد من جواسيسه بزلة فليسترها عنه وعليه ولا يعاقبه على ذلك ولا يوبخه عليه فان وبخه ففي خلوة بلطف مذكرا له أمر الآخرة وما في ممالأة العدو والخيانة من الوبال في الآخرة ولا بأس بأن يجرى له ذكر ما عليه من مصافاته ومودته وأنه مع العدوّ على غرر لا يدرى ما هو صائر اليه فان ذلك أدعى لاستصلاحه ولاشك ان استصلاحه إما في الوقت أو فيما بعد خير من ثبات فساده فربما أداه ذلك الى ممالأة العدوّ ومباطنته لاسيما اذا كان العدوّ معروفا بالحلم والصفح وكثرة البذل والعطاء واذا حضر اليه جاسوس بخبر عن عدوّه استعمل فيه التثبت ودوام البشر ولا يظهر تهافتا عليه تظهر معه الخفة ولا اعراضا عنه يفوت معه قدر المناصحة ولا يظهر له كراهة ما يأتيه به من الاخبار المكروهة فان ذلك مما يستدعى فيه كتمان السرّ عنه فيما يكره فيؤدى الى الاضرار به . وقد حكى عن بعض الملوك أنه كان يعطى من يأتيه بالاخبار المكروهة من الجواسيس أكثر مما يعطى من يأتيه بالاخبار السارّة . واعلم أنه لا يمكن أحدا ممن يمنع بلاده أو عسكره من جواسيس عدوّه فيجب الاحتراز منهم بكتمان السرّ وستر العورة ما أمكنه على أنه ربما دعت الضرورة في بعض الاحيان الى أن يعرّف الملك عدوّه بعض أموره على حقيقته لأمر يحاول به مكيدته والطريق في ذلك أن يتلطف الى أن يصير جاسوس عدوّه جاسوسا له بأن يتودد اليه بالاستمالة والبرّ وكثرة البذل حتى يستخرج نصيحته فحينئذ يلقى اليه ما أراد تبليغه الى صاحبه الاول مما فيه المكيدة فيوصله اليه فيكون أقرب لقبوله من بلوغه له من غيره ممن يتهمه

الأمر العاشر

(نظره في أمور القصاد الذين يسافرون بالملطفات من الكتب عند تعذر وصول البرد الى ناحية من النواحي)

وهو من أعظم مهمات السلطنة وآكدها وقد ذكر ابن الاثير في تاريخه أن أول من اتخذ السعاة من الملوك معز الدولة بن بويه أول ملوك الديلم بعد الثلاثين والثلاثمائة وكان سبب ذلك أنه كان

ببغداد وأخو معز الدولة ركن الدولة ابن بويه باصبهان ومامعها فأراد معز الدولة سرعة اعلام أخيه ركن الدولة بتجددات الاخبار فأحدث السعاة وانتشى فى أيامه ساعيان اسم أحدهما فضل والآخر مرعوش وكان أحدهما ساعى السنة والآخر ساعى الشيعة وتعصب لكل منهما فرقة وبلغ من شأنهما أن كل واحد منهما كان يسير فى كل يوم نيفا وأربعين فرسخا واستمر حكم السعاة ببغداد الى زماننا حتى إن منهم ساعيين لركاب السلطان يمشيان أمامه فى المواكب وغيرها على قرب . قلت وقد رأيتهما فى خدمة السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد حين قدم مصر فى دولة الظاهر برقوق فارًا من تمر . أما الديار المصرية فانه لا يتعانى ذلك عندهم الا الخفاف الشباب من مكارية الدواب ونحوهم ممن يعتاد شدة العدو الا أنه اذا طرأ مهم سلطانى يقتضى ايصال ملطف مكاتبة عن الابواب السلطانية الى بعض النواحى وتعذر ايصاله على البريد لحيلولة عدو فى الطريق أو انقطاع خيل البريد من المراكز السلطانية لعارض انتدب كاتب السر بأمر السلطان من يعرف بسرعة المشى وشدة العدو للسفر ليوصل ذلك الملطف الى المكتوب اليه والاتيان بجوابه وربما كتب الكتابان فأكثر الى الشخص الواحد فى المعنى الواحد ويجهز كل منها صحبة قاصد مفرد خوف أن يعترض واحد فيمضى الآخر الى مقصده كما تقدم فى بطائق الحمام الرسائلى وقد أخبرنى بعض من سافر فى المهمات السلطانيــة من هؤلاء أنهم فى الغالب عند خوف العدو يمشون ليلا ويكمنون نهارا واذا مشوا فى الليل يأخذون جانبا عن الطريق الجادة يكون بين كل اثنين منهم مقدار رميــة سهم حتى لا يسمع لهم حس فاذا طلع عليهم النهار كمنوا متفرقين مع مواعدتهم على مكان يتلاقون فيه فى وقت المسير

الامر الحادى عشر

(نظره فى أمر المناور والمحــرقات)

أما المناور فسيأتى أنه فى الزمن المتقدم عند وقوع الحروب بين التتار وأهل هذه المملكة كان بين الفرات بآخر الممالك الشامية والى قريب من بلبيس من أعمال الديار المصرية أمكنة مرتبة برؤس جبال عوال بها أقوام مقيمون فيها لهم رزق على السلطان من اقطاعات وغيرها اذا حدث حادث عدو من بلاد التتار واتصل ذلك عين بالقلاع المجاورة للفرات من الاعمال الحلبية فان كان ذلك فى الليــل أوقدت النار بالمكان المقارب للفرات من رؤس تلك الجبال فينظره من بعــده فيوقد النار فينظره من بعــده فيوقد النار وهكذا حتى ينتهى الوقود الى المكان الذى بالقرب من بلبيس فى يوم أو بعض يوم فيرسل بطاقته على أجنحة الحمام بالاعلام بذلك فيعلم أنه قد تحرك عدو فى الجملة فيؤخذ فى التأهب له حتى تصل البرد بالخبر مفصلا . وأما المحرقات فسيأتى أنه كان

أيضا قوم من هذه المملكة مرتبون بالقرب من بلاد التتار يتحيلون على احراق زروعهم بان تمسك الثعالب ونحوها وتربط الخرق المغموسة فى الزيت بأذناب تلك الثعالب وتوقد بالنار وترسل فى زروعهم اذا يبست فيأخذها الذعر من تلك النار المربوطة بأذنابها فتذهب فى الزروع آخذة يمينا وشمالا فما مرت بشئ منه الا أحرقته وتواصلت النار من بعضها الى بعض فتحرق المزرعة عن آخرها . قلت وهذان الامران قد بطل حكمهما من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار على ماسيأتى ذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى

الامر الثانى عشر

(نظره فى الامور العامة مما يعود نفعه على السلطان والمملكة)

قد تقدم فى أول هذا الفصل فى الكلام على بيان رتبة صاحب ديوان الانشاء من كلام صاحب مواد البيان أنه ليس فى منزلة خدم السلطان والمتصرفين فى مهماته أخص منه من حيث انه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه وأنه لا غنى به عن مفاوضته فى آرائه والافضاء اليه بمهماته وتقريبه من نفسه فى آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره العامة وخلواته والاطلاع على حوادث دولته ومهمات مملكته وأنه لا يثق بأحد من خاصته ثقته به ولا يركن الى قريب ولا نسيب ركونه اليه ومن كان بهذه الرتبة من السلطان والقرب منه وجب عليه أن لا يألوه نصحا فيما يعلم أنه أصلح لمملكته وأعمر لبلاده وأرغم لأعاديه وحساده وأثبت لدولته وأقوى لاسباب مملكته . فقد حكى عن على بن زيد الكاتب أنه صحب بعض الملوك فقال للملك أصحبك على ثلاث خلال قال وماهى قال لا تهتك لى سترا ولا تشتم لى عرضا ولا تقبل فى قول قائل حتى تستبرئ فقال له الملك هذه لك عندى فمالى عندك قال لا أفشى لك سرا ولا أؤخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستصحب أنت . فاذا انتهى الى صاحب الديوان خبر يتعلق بجلب منفعة الى المملكة أو دفع مضرة عنها أطلع السلطان عليه فى أسرع وقت وأعجله قبل فوات النظر فيه ونحله فيه صائب رأيه ثم رد النظر فيه الى رأى السلطان ليخرج عن عهدته وان ارتاب فى خبر المخبر أحضره معه الى السلطان ليشافهه فيه حتى يكون بريئا عن تبعته ولا يهمل تبليغ خبره بمجرد الريبة لاحتمال صحته فى نفس الامر فيلحق بواسطة اهماله ضرر لا يمكن تداركه وكذلك الحال فى سائر ما يرجع الى صلاح المملكة وحسن تدبيرها

الفصل الرابع

في ذكر وظائف ديوان الانشاء بالديار المصرية وما يلزم رب كل وظيفة منهم فيما كان الامر عليه في الزمن القديم واستقر عليه الحال في زماننا أما في الزمن القديم فقد ذكر أبو الفضل الصورى في مقدمة تذكرته ان أرباب الوظائف فيه على ضربين

الضرب الاول

(الكتاب وقد عداهم الى سبع كتاب)

الاول — كاتب ينشئ ما يكتب من المكاتبات والولايات تتصدى للانشاء ملكته وغريزة طبعه . قال ويجب ان يكون هذا الكاتب لاحقا بصفات متولى الديوان بحيث يكون كاملا في الصفات مستوفيا الشروط الكتابة عارفا بالفنون التي يحتاج اليها الكاتب مشتملا على التقدم في الفصاحة والبلاغة قوى الحجة في المعارضة واسع الباع في الكلام بحيث يقتدر بملكته على مدح المذموم وذم المحمود وصرف عنان القول الى حيث شاء والاطناب في موضع الاطناب والايجاز في موضع الايجاز فانه أجل كتاب الديوان وأرفعهم درجة لانه يتولى الانشاء من نفسه وتلقى اليه الكلمة الواحدة والمعنى المفرد فينشئ على ذلك كلاما طويلا ويأتي منه بالعبارة الواسعة وهو لسان الملك المتكلم عنه فمهما كان كلامه أبدع وفي النفوس أوقع عظمت رتبة الملك وارتفعت منزلته على غيره من الملوك وهو الذي ينشئ العهود والتقاليد في الولايات والكتب في الحوادث الكبار والمهمات العظيمة التي تتلى فيها الكتب على صياصي المنابر ورؤس الاشهاد . فقد حكى أن يزيد بن الوليد كتب الى ابراهيم بن الوليد وقد هم بالعصيان أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت والسلام فكان سببا لاقلاعه عما هم به

الثاني — كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه وقد شرط فيه مع ما شرط في المتصدى للانشاء المتقدم ذكره ان كان هو الذي ينشئ المكاتبات بنفسه عن الملك أن يكون على دين الملك الذي يكتب عنه ومذهبه لما يحتاج اليه في مكاتبة الملك المخالف من الاحتجاج على صحة عقيدته ونصرة مذهبه واقامة الدلائل على صحة ذلك ولن يحتج لملة أو المذهب من اعتقد خلافه بل المخالف انما تبدو له مواضع الطعن لا مواضع الحجاج وكذلك أن يكون من علو الهمة وقوة العزم وشرف النفس بالمحل الاعلى والمكان الارفع فانه يكاتب عن ملكه وكل كاتب فانه يجره طبعه وجبلته وخيمه الى ما هو عليه من الصفات فكلما كان الكاتب أقوى جانبا وأشد عزما وأعلى همة كان على التفخيم والتعظيم والتهويل والترغيب والترهيب أقدر وكلما نقص من ذلك

نقص من كتابتـــه بقدره وأن يكون عالما بقدر طبقة المكتوب اليـــه فى معرفة اللسان العربى فيخاطب كل قوم على قدر رتبتهم فى ذلك وما يعرف من فهمهم

الثـالث ــ كاتب يكتب مكاتبات أهل الدولة وكبرائهـا وولاتها ووجوهها من النواب والقضاة والكتّاب والمشارفين والعمال وانشاء تقليـدات ذوى الخدم الصـغار والامانات وكتب الايمـان والقسامات قال وهى وان كانت دون الرتبتين المتقدمتين فهى جليلة الخطر عالية القدر ويجب أن يكون لاحقا برتب الخدمة منها وأن يكون مأمونا على الاسرار كاف اليد نزه النفس عن العرض الدنيوى لانه يطلع على أكثر ما يجرى فى الدولة ويعلم بالوالى قبل توليـــه والمصروف قبـل صرفه ويكون مع ذلك سريع اليـد فى الكتابة حسن الخط اذ كان هـذا الفن أكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل فى وقت من الاوقات

الرابـع ــ كاتب يكتب المناشير والكتب اللطاف والنسخ . قال وهذه المنزلة لاحقة بالمنزلة التى قبلها وكأنها جزء منها ويجب أن يكون هـذا الكاتب مأمونا كتوما للسر فيـــه من الادب ما يأمن معـــه من الخطأ واللحن فى لفظه وخطه ويكون حسن الخط أو بالغا فيه القدر الكافى ولكن لما كان هذا الشغل واسعا وهو أكثر عمل الديوان والذى لا ينفك منه لم يكد يســتقل به رجل واحد فيحتاج الى معاضـدته بآخر يكون دونه فى المنزلة ويجعـل برسم تسطير المناشـير والفصول المتقدمة الى المقيمين بالحضرة وكتابة تذاكر المستخدمين ونقلها مما يمليه صاحب الديوان ويصدر عنه فى نسخ تكون مخلدة فيه لا تغادر المبيضة بحرف لتكون موجودة متى احتيج اليها

الخامس ــ كاتب يبيض ما ينشـــئه المنشى مما يحتاج الى حسن الخط كالعهود والبيعات ونحوها . قال الصورى لما كانت البلاغة التامة التى يصلح صاحبها للانشاء وحسن الخط قلما يجتمعـان فى أحد وجب أن يختار للديوان مبيض برسم الانشاآت والسجلات والتقليـدات ومكاتبـات الملوك وأن يكون حســن الخط الى الغـاية الموجودة بحيث لا يكاد يوجد فى وقتـه أحسن خطا منه لتصدر الكتب عن الملك بالالفاظ الرائقة والخط الرائع فان ذلك أكمل للمملكة وأكثر تفخيما عند من يكاتبه وتعظيمـا لها فى صدره ويجب أن يكون مع ذلك فى الامانة وكتمـان السر ونزاهة النفس على ما تقدم

السادس ــ كاتب يتصفح ما يكتب فى الديوان قد تقدم انه لما كان كل واحد ممن تقـدم ذكره غير معصوم من السهو والزلل والخطأ واللحن وعثرات القلم وكل واحد يتغطى عنه عيب نفسه ويظهر له عيب غيره وكان زمن متولى الديوان أضيق من أن يوفى بكل ما يكتب بديوانه حق النظر وكان القصد أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطا ولفظا ومعنى واعرابا

حتى لا يجد طاعن فيه مطعنا وجب أن يستخدم متولى الديوان معينا يتصفح جميع الانشاآت والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يسطر فى ديوانه . قال أبو الفضل الصورى وينبغى أن يكون هذا المتصفح عالى المنزلة فى اللغة والنحو وحفظ كتاب الله تعالى ذكيا حسن الفطنة عاقلا مأمونا وأن يكون مع ذلك بعيدا من الغرض والعداوة والشحناء حتى لا يبخس أحدا حقه ولا يحابى أحدا فيما أنشأه أو كتبه بل يكون الكل عنده فى الحق على حذو واحد لا يترجح واحد منهم على الآخر وعليه أن يلزم الكتاب بعرض جميع ما يكتبونه وينشؤنه عليه قبل عرضه على متولى الديوان فاذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه بما يعرف رضاه عنه ليلتزم بدرك ما فيه ويبرأ منشئه

السابع — كاتب يكتب التذاكر والدفاتر المضمنة لمتعلقات الديوان . قال الصورى ويجب أن يختار لذلك كاتب مأمون طويل الروح صبور على التعب قال والذى يلزمه من متعلقات الديوان امور (أحدها) أن يضع فى الديوان تذاكر تشتمل على مهمات الامور التى تنهى فى ضمن الكتب ويظن انه ربما سئل عنها أو احتيج اليها فيكون استخراجها من هذه التذاكر أيسر من التنقيب عليها والتنقير عنها من الاضابير قال ويجب أن تسلم اليه جميع الكتب الواردة بعد أن يكتب بالاجابة عنها ليتأملها وينقل منها فى تذاكره ما يحتاج اليه وان كان قد أجيب عنه بشئ نقله ويجعل لكل صفقة أوراقا من هذه التذاكر على حدة تكون على رؤس الاوراق علامات باسم تلك الصفقة أو الجهة ويكتب على هذه الصفقة فصل من كتاب فلان الوالى أو المشارف أو العامل ورد بتاريخ كذا مضمونه كذا أجيب عنه بكذا أو لم يجب عنه الى أن تفرغ السنة يستجد للسنة الاخرى التى تتلوها تذكرة أخرى وكذلك يجعل له تذكرة يسطر فيها مهمات ما تخرج به الاوامر فى الكتب الصادرة لئلا تغفل ولا يجاب عنها ويكون على الهيئة المتقدمة من ذكر النواحى وأرباب الخدم واذا ورد جواب عن شئ مهم نزل عنده فيقول ورد جوابه عن هذا الفصل بتاريخ كذا يتضمن كذا فانه اذا اعتمد هذا وجد السلطان جميع ما يسئل عنه حاضرا فى وقته غير متعذر عليه (الثانى) أن يضع فى الديوان دفترا بألقاب الولاة وغيرهم من ذوى الخدم وأسمائهم وترتيب مخاطباتهم وتحت اسم كل واحد منهم كيف يخاطب بكاف الخطاب أو هاء الكناية ومقدار الدعاء الذى يدعى له به فى السجلات والمكاتبات والمناشير والتوقيعات لاختلاف ذلك فى عرف الوقت وكذلك يضع فيه القاب الملوك الاباعد والمكاتبين من الآفاق وكتابهم وأسماءهم وترتيب الدعاء لهم ومقداره ويكون هذا الدفتر حاضرا لدى كتاب الانشاء ينقلون منه فى المكاتبات ما يحتاجون اليه لانه ربما تعذر حفظ ذلك عليهم ومتى تغير شئ منه كتبه تحته ويكون لكل خدمة ورقة مفردة فيها اسم متوليها ولقبه ودعاؤه ومتى صرف كتب عليه صرف بتاريخ كذا واستخدم عوضا منه فلان بتاريخ كذا واجرى فى الدعاء على منهاجه أو زيد كذا أو نقص ولا يتغافل عن ذلك فانه

متى أهمل شئ من ذلك زل بزلله الكتاب وصاحب الديوان بل والسلطان نفسه (الثالث) أن يضع بالديوان دفترا للحوادث العظيمة وما يتلوها مما يجرى فى جميع المملكة ويذكر كلا منهما فى تاريخه فان المنفعة به كثيرة حتى انه لوجمع من هذين الدفترين تاريخ لاجتمع (الرابع) أن يعمل فهرستا للكتب الصادرة والواردة مفصلا مسانهة ومشاهرة ومياومة ويكتب تحت اسم كل من ورد من جهته كتاب ورد بتاريخ كذا ويشير الى مضمونه اشارة تدل عليه أو ينسخه جميعه ان دعت الحاجة الى ذلك ويسلمه بعد ذلك الى الخازن ليتولى الاحتفاظ به على ما سيأتى ذكره (الخامس) أن يعمل فهرستا للانشا آت والتقاليد والامانات والمناشير وغير ذلك مشاهرة فى كل سنة بجميع شهورها واذا انقضت سنة استجد آخر وعمل فيه على مثل ما تقدم (السادس) أن يعمل فهرستا لترجمة ما يترجم من الكتب الواردة على الديوان بغير اللسان العربى من الرومى والفرنجى وغيرهما مصرحا بمعنى كل كتاب ومن ترجمه على ما تقدمت الاشارة اليه . قال الصورى فاذا روعيت هذه القوانين انضبطت أموره ولم يكد يخل منه شئ وكان جميع ما يلتمس منه موجودا بأيسر سعى فى أسرع وقت

الضرب الثانى

(غير الكتاب وهما اثنان)

أحدهما الخازن . قال الصورى ينبغى أن يختار لهذه الخدمة رجل ذكى فطن عاقل مأمون بالغ فى الامانة والثقة ونزاهة النفس وقلة الطمع الى الحد الذى لا يزيد عليه فان زمام جميع الديوان بيده فمتى كان قليل الامانة ربما أمالته الرشوة الى اخراج شئ من المكاتبات من الديوان وافشاء سر من الاسرار فيضر بالدولة ضررا كبيرا ويجب أن يكون ملازما للحضور بين يدى كتاب الديوان فمتى كتب المنشئ أو المتصدى لمكاتبة الملوك أو المتصدى لمكاتبة أهل الدولة أو لكتابة المناشير وغيرها شيئا سلمه للمتصدى للنسخ فينسخه حرفا بحرف ويكتب بأعلى نسخه كتاب كذا ويذكر التاريخ بيومه وشهره وسنته على ما تقدم فى موضعه ويسلمه للخازن وكذلك يفعل بالكتب الواردة بعد أن يأخذ خط الكاتب الذى كتب جوابها بما مثاله ورد هذا الكتاب من الجهة الفلانية بتاريخ كذا وكتب جوابه بتاريخ كذا وان كان لاجواب عنه أخذ عليه خط صاحب الديوان انه لاجواب عنه لتبرأ ذمته منه ولا يتأول عليه فى وقت من الاوقات انه أخفاه ولم يعلم به ثم يجمع كل نوع الى مثله ويجمع متعلقات كل عمل من أعمال المملكة من المكاتبات الواردة وغيرها ويجعل لكل شهر اضبارة يجمع فيها كتب من يكاتب من أهل تلك الأعمال ويجعل عليها بطاقة مثل أن يكتب اضبارة لما ورد من المكاتبات بالاعمال الفلانية فى الشهر الفلانى

ثم يجمع تلك الاضابير ويجعلها اضبارة واحدة لذلك الشهر ويكتب عليها بطاقة بذلك ليسهل استخراج ما أراد يستخرجه من ذلك . قال ويجب على هذا الخازن أن يحتفظ بجميع ما فى هذا الديوان من الكتب الواردة ونسخ الكتب الصادرة والتذاكر وخرائط المهمات وضرائب الرسوم احتفاظا شديدا

الثانى — حاجب الديوان . قال الصورى ينبغى لصاحب ديوان الانشاء أن يقيم لديوانه حاجبا لا يمكن أحدا من سائر الناس أن يدخل اليه ما خلا أهله الذين هو معدوق بهم فانه يجمع أسرار السلطان الخفية فمن الواجب كتمها ومتى أهمل ذلك لم يؤمن أن يطلع منها على ما يكون باظهاره سبب سقوط مرتبته واذا كثر الغاشون له والداخلون اليه أمكن أهل الديوان معه اظهار الاسرار اتكالا على انها تنسب الى أولئك فاذا كان الامر قاصرا عليهم احتاجوا الى كتمان ما يعلمونه خشية أن ينسب اليهم اذا ظهر . وأمّا ما استقر عليه الحال فى زماننا فكتّاب الديوان على طبقتين

الطبقة الاولى — كتّاب الدست وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل فى المواكب على ترتيب منازلهم بالقدمة ويقرؤن القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر وسموا كتّاب الدست اضافة الى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه وهؤلاء هم أحق كتّاب ديوان الانشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم وقد تقدم أنهم كانوا فى أوائل الدولة التركية فى الايام الظاهرية بيبرس وما والاها قبل أن يلقب صاحب ديوان الانشاء بكاتب السر ثلاثة كتّاب رأسهم القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر ثم زادوا بعد ذلك قليلا الى أن صاروا فى آخر الدولة الاشرفية شعبان بن حسين عشرة أو نحوها ثم تزايدوا بعد ذلك شيأ فشيأ خصوصا فى سلطنة الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج حتى جاوزوا العشرين وهم آخذون فى التزايد وقد كانت هذه الرتبة لاحقة بشأو كتابة السر فى الرفعة والرئاسة الى أن دخل فيها الدخيل وقدم فيها غير المستحق ووليها من لا يؤهل لما هو دونها وانحطت رتبتها وصار أهلها فى الحضيض الأوهد من الرئاسة بعدأوجها الا الأفراد ممن علت رتبته وقليل ما هم

الطبقة الثانية — كتّاب الدرج وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كتّاب الدست أو اشارة النائب أو الوزير أو رسالة الدوادار ونحو ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والايمان والامانات ونحو ذلك مما يجرى مجراه وسموا كتّاب الدرج لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها فى دروج الورق والمراد بالدرج فى العرف العام الورق المستطيل

المركب من عدة أوصال وهو فى عرف الزمان عبارة عن عشرين وصــلا متلاصقة لاغير . قال ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب وهو فى الاصل اسم للفعل أخذا من درجت الكتاب أدرجه درجا اذا أسرعت طيه وأدرجته ادراجا فهو مدرج اذا أعدته على مطاويه وأصله الاسراع فى حالة ومنه مدرجة الطريق التى يسرع الناس فيها وناقة دروج اذا كانت سريعة ويجوز أن يطلق عليهم كتاب الانشاء لانهم يكتبون ماينشأ من المكاتبات وغيرها مما تقدم ذكره ولايجوز أن يطلق عليهم لقب الموقعين لما تقدم من أن المراد من التوقيــع الكتابة على جوانب القصص ونحوهــا وكما زاد كتاب الدست فى العــدد زاد كتاب الدرج حتى خرجوا عن الحد وبلغوا نحوا من مائة وثلاثين كاتبــا وسقطت رئاسة هذه الوظيفة وانحط مقدارها حتى انه لم يرضها الامن لم يكن أهلا على ان كتاب الدست الآن هم المتصــدون لكتابة المهم من كتابة الدرج كمتعلقات البريد المختصة بالسلطان من المكاتبات والعهود والتقاليد وكبار التواقيــع والمراسيم والمناشير وصار كتاب الدرج فى الغالب مخصوصين بالمكاتبــات فى خلاص الحقوق ومافى معناها وكذلك صغار التواقيــع والمراسيم والمناشير مما يكتب فى القطع الصغير وربما شارك أعلاهم كتاب الدست فى التقاليد وكبار التواقيــع ومافى معناهما اذا كان حسن الخط ولانظر الى البلاغة جملة بل كل أحد يلفق مايتهيأ له من كلام المتقدمين غير مبال بتحريفه ولاتصحيفه مبتهجا بذلك مطالعا لغيره فى أنه الذى ابتدعه وابتكره وكل من لفق منهم شــيأ أو أنشأه كتبه بخطه على أى طبقة كان فى الخط ماخلا عهود الســلطنة ومكاتبــات القانات من ملوك الشرق فانه ربمــا انتخب لهــا أعلى أهل الزمان خطا تنويها بذكرها ورفعة لقدرهــا . أما كتابة التذاكر والدفاتر فقد كان الامر مســتمرا فى بعضها ككتابة مافى المكاتبــات الواردة والصادرة بدفتر فى الديوان الى آخر مباشرة القاضى بدر الدين بن فضل الله فى الدولة الظاهرية برقوق ثم رفض ذلك وترك واقتصر على مايرد من المكاتبات ومايكتب من المخلصات وكتابة الموقع الذى يكتب الجواب بسد كل فصل تحته ليس الا وترك ماوراء ذلك واكتفى من الخازن بدواداركاتب السر وصار هو المتولى لحفظ ذلك وايداعه فى الاضابير على نحو ماتقدم وكذلك صار أمر حجابة الديوان اليه ثم للديوان أعوان يسمون المدرا جمع مدير شأنهم أخذ القصص ونحوها وادارتها على كاتب السر فمن دونه من كتاب الديوان ليكتب كل منهم مايلزمه من متعلقها ولذلك سموا بهذا الاسم

———

المقالة الاولى
بعد المقدمة
فى بيان مايحتاج اليه كاتب الانشاء من المواد وفيه بابان

الباب الاول
فيما يحتاج اليه الكاتب من الامور العلمية وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول
(فيما يحتاج اليه الكاتب على سبيل الاجمال)

وقد اختلفت مقاصد المصنفين فى ذلك فابن قتيبة بعد أن بنى كتابه أدب الكاتب على أمور من اللغة والتصريف وطرف من الهجاء قال وليس كتابنا هذا لمن لم يتعلق من الانسانية إلا بالجسم ولا من الكتابة إلا بالوسم ولم يتقدم من الاداة إلا بالقلم والدواة ولكنه لمن شدا شيأ من الاعراب فعرف الصدر والمصدر وانقلاب الياء عن الواو والالف عن الياء وأشباه ذلك من النظر فى الاشكال لمساحة الأرضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية والمثلث الحاد والمثلث المنفرج ومساقط الاحجار والمربعات المختلفات والقسى والمدورات والعمودين وتمتحن معرفته بالعمل فى الارضين لا فى الدفاتر فان المخبر عنه ليس كالمعاين . وذكر أن العجم كانت تقول من لم يكن عالما باجراء المياه وحفر فرض المشارب وردم المهاوى ومجارى الايام فى الزيادة والنقصان ودوران الشمس ومطالع النجوم وحال القمر فى استهلاله واتصاله ووزن الموازين وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ونصب القناطر والجسور والدوالى والنواعير على المياه وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب كان ناقصا فى حال كتابته ثم قال ولابد له مع ذلك من النظر فى جمل من الفقه والحديث ودراسة أخبار الناس وحفظ عيون الاخبار ليدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا بها اذا كتب أو يصل بها كلامه اذا حاور وختم ذلك بأن قال ومدار الامر فى ذلك كله على القطب وهو العقل وجودة القريحة فان القليل معهما باذن الله تعالى كاف والكثير مع غيرهما مقصر وتابعه أبو هلال العسكرى فى بعض ذلك فقال فى بعض أبواب كتابه الصناعتين ينبغى أن تعلم ان الكتابة تحتاج الى آلات كثيرة وأدوات جمة من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة

المعنى والى الحساب وعلم المساحة والمعرفة بالازمنة والشهور والاهلة وغير ذلك مما ليس هـذا
موضع ذكره وشرحه ولا يخفى أن ماذكره وبعض ماذكره ابن قتيبة يتواردان فيـه فى المعنى وان
اختلف اللفظ وخالف أبو جعفر النحاس فى كثـير من ذلك فذكر فى أول كتابه صناعة الكتاب
فى المرتبة الثانية منه بعـد ما يتعلق بالخط أن من أدوات الكتابة البـلاغة ومعرفة الاضداد
مما يقع فى الكتب والرسائل والعلم بترتيب أعمال الدواوين والخبرة بمجارى الاعمال والدربة
بوجوه استخراج الاموال مما يجب ويمتنع ثم قال فهذه الآلات ليس لواحد منها تميز بذاته ولا انفراد
باسم يخصـه وانما هو جزء من الكتابة وأصـل فى اركانها أما الفقه والفرائض والعلم بالنحو
واللغة وصناعة الحساب والمساحة والنجوم والمعرفة باجراء المياه والعلم بالانساب فكل واحد منها
منفرد على حدته وان كان الكاتب يحتاج الى أشـياء منها نحو ما يكتب بالالف والياء والى شئ
من المقصور والممدود ولو كلف الكاتب ماذكره من ذكره لجعل الاصعب طريقا للاسهل
والاشق مفتاحا للاهون وفى طباع الناس النفار عما ألزمهم من جميع هذه الاشـياء . قلت
والتحقيق أن ذلك يختلف باختلاف حال الكتابة بحسب تنوعها فكل نوع من أنواعها يحتاج الى
معرفة فن أو فنون تختص به . وقد حكى أن عمرو بن مسعدة وزير المعتصم قال لما خرج المعتصم
من بلاد الروم وصار بناحية الرقة قال لى ويلك يا عمرو لم تزل تخدعنى حتى وليت عمرو بن الفرج
الرخجى الاهواز وقد قعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما فقلت يا أمير المؤمنين فأنا أبعث اليه
حتى يؤخذ بالاموال ولو على أجنحة الطير قال كلا بل تخرج اليـه بنفسك كما أشرت به فقلت
لنفسى ان هذه منزلة خسيسة بعد الوزارة أكون مستحثا لعامل خراج ولم أجد بدا من الخروج
رضا لأمير المؤمنين فقلت ها أنا خارج اليـه بنفسى يا أمير المؤمنين قال فضع يدك على رأسك
واحلف أنك لا تقيم ببغداد ففعلت وأحدثت عهدا باخوانى ومنزلى وأتى الى بزورق ففرش لى فيه
ومضيت حتى اذا صرت بين دير هرقل ودير العاقول اذا شاب على الشط يقول يا ملاح رجل غريب
يريد دير العاقول فاحملنى يا جزاك الله فقلت يا غلام قرب له فقال جعلت فداك يؤذيك ويضيق
عليـك فقلت قرب له لا أم لك فقرب له وحمله على مؤخر الزورق وحضر الطعام فهممت
أن لا أدعوه الى طعامى ثم قلت هلم يا فتى فوثب وجلس فأكل أكل جائع نهم الا أنه نظيف الاكل
فلما فرغ من الطعام أحببت أن يفعل ما يفعل العوام فيتنحى ويغسل يديه ناحية فلم يفعل فغمزه
الغلمان ليقوم فلم يفعل فتناومت عمد النهض فلم يفعل فاستويت جالسا وقلت يا فتى ما صناعتك
فقال جعلت فداك أنا حائك فقلت فى نفسى أنا والله جلبت هـذه البلية وتغـير لونى ففطن
أنى استثقلته فقال جعلت فداك انك قد سألتنى عن صناعتى فأجبتك فأنت ما صناعتك فقلت
هـذه والله أضر من الاولى ألا ينظر الى غلمانى ونعمتى فيعلم أن مثل هـذا لا يسئل عن الحرفة

ولم أجد بدّا من الجواب فلم اذهب الى المرتبة العظمى من الوزارة لكنى قربت عليه فقلت أنا كاتب فقال جعلت فداك الكتّاب خمس فأيهم أنت فأورد علىّ مالم أسمع به قبل فقلت بينهم لى قال نعم هم كاتب رسائل يحتاج الى أن يعرف الفصول والوصول والمقصور والممدود والابتداء والجواب حاذقا بالعقود والفتوح قلت أجل وماذا قال كاتب خراج يحتاج أن يعرف السطوح والمساحة والتقسيط خبيرا بالحساب والمقاسمات قلت وماذا قال كاتب قاض يحتاج أن يعرف الحلال والحرام والتأويل والتنزيل والمتشابه والحدود القائمة والفرائض والاختلاف فى الاموال والفروج حافظا للاحكام حاذقا بالشروط قلت وماذا قال وكاتب جند يحتاج أن يعرف الحلا والشيات قلت وماذا قال وكاتب شرطة يحتاج أن يعرف القصاص والجراحات وموضع الحدود ومواقع العفو فى الجنايات قلت حسن قال فأيهم أنت فكنت متكئا فاستويت جالسا متعجبا من قوله فقلت أنا كاتب رسائل قال فان أخا من اخوانك واجب الحق عليك معتنيا باموك لا يغفل منها عن صغير ولا كبير يكاتبك فى كل محبوب ومكروه وأنت له على مثل ذلك تزوجت أمه كيف تكتب اليه أتهنيه أم تعزيه قال أهنيه قال فهنه فلم يتجه لى شئ فقلت لا أعزيه ولا أهنيه فقال انك لا تغفل له عن شئ ولا تجد بدا من أن تكتب اليه فقلت أقلنى فأنا كاتب خراج قال فان أمير المؤمنين وجهك الى ناحية من عمله وأمرك بالعدل والانصاف وانك لا تدع شيأ من حق السلطان يذهب ضياعا وحذرك الظلم والجور فخرجت حتى قدمت الناحية فوقفوك على قراح أرض خطه قابل قسيا كيف تمسحه قلت آخذ وسطه وآخذ طوله فأضربه فيه قال تختلف عليك العطوف قلت آخذ طوله وعرضه من ثلاثة مواضع قال ان طرفيه محدودان وفى تحديده تقويس وذلك يختلف فاعيانى ذلك فقلت أقلنى فأنا كاتب قاض قال فان رجلا هلك وخلف زوجة حرّة وسرّية حاملتين فوضعتا فى ليلة واحدة وضعت الحرة جارية ووضعت السرية غلاما فوُضعت الجارية فى مهد السرية فلما أصبحت السرية قالت الغلام لى وقالت الحرة بل هو لى كيف تحكم بينهما قلت لا أدرى فأقلنى فأنا كاتب جند قال فان رجلين من أصحاب السلطان أتياك اسمهما واحد وأحدهما مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق الشفة السفلى ورزق أحدهما مائة والآخر ألف كيف تحليهما قلت فلان الاعلم وفلان الاعلم قال اذن يجيء هذا ورزقه مائة فيأخذ الالف ويجيء هذا ورزقه ألف فيأخذ المائة قلت أقلنى فأنا كاتب شرطة قال فان رجلين تواثبا فشج أحدهما صاحبه موضحة وشجه الآخر مأمومة كيف يكون الحكم فيهما قلت لا أدرى فاقلنى قال فقلت انك قد سألتنى فبين لى قال نعم . أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه أما بعد فان الامور تجرى على غير محاب المخلوقين والله يختار لعباده فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبور أكرم الاكفاء والسلام . وأما القراح من الارض

فانك تمسح اعوجاجه حتى تعلم كم قبضة تكون فيه فاذا استوى فى يدك عقد تعرفه ضربت طرفه فى وسطه . وأما الحرة والسرية فيوزن لبنهما فأيهما كان لبنها أخف فالبنت لها . وأما المشقوق الشفة العليا فأعلم والمشقوق الشفة السفلى فأفلح . وأما المأمومة ففيها ثلث الدية وهى ثلاث وثلاثون من الابل وثلث وأما الموضحة ففيها خمس من الابل فقلت ألست تزعم أنك حائك فقال أنا حائك كلام لا حائك نساجة . قال عمرو بن مسعدة فأحسنت جائزته واستصحبته معى حتى عدت الى المعتصم فسألنى عما لقيت فى طريقى فقصصت عليه القصة فأعجب به وقال لم يصلح فقلت للعمائر فقرّره فيها وعلت رتبته فكنت ألقاه فى الموكب النبيل فيترجل لى فأنهاه فيقول هذه نعمتك وأنت أفدتها . فقد تبين بهذه الحكاية أن لكل نوع من الكتابة مادة تحتاج اليها بمفردها وآلة تخصها لا يستغنى عنها على أن كاتب الانشاء فى الحقيقة لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن فقد قال الوزير ضياء الدين ابن الاثير فى المثل السائر ان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التشبث بكل فن من الفنون حتى انه يحتاج الى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء والماشطة عند جلوة العروس والى ما يقوله المنادى فى السوق على السلعة فما ظنك بما فوق هذا وذلك لانه مؤهل أن يهيم فى كل واد فيحتاج الى أن يتعلق بكل فن بل قد قيل ان كل ذى علم يسوغ أن ينسب اليه فيقال فلان النحوى وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يجوز أن ينسب المتعلق بالكتابة اليها فلا يقال فلان الكاتب لما يفتقر اليه من الخوض فى كل فن واعلم أن كاتب الانشاء وان كان يحتاج الى التعلق بجميع العلوم والخوض فى سائر الفنون فليس احتياجه الى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات وهى مواد الانشاء التى يستمدمنها ويقتبس من مقاصدها كاللغة التى منها استمداد الألفاظ والنحو الذى به استقامة الكلام وعلوم البلاغة من المعانى والبيان والبديع التى هى مناط التحقيق والتحسين والتقبيح ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى وعلى هذا اقتصر الوزير ضياء الدين ابن الاثير فى المثل السائر وتبعه على ذلك الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى رحمه الله فى كتابه حسن التوسل . ومنها ما يحتاج اليه بطريق العرض كالطب والهندسة والهيئة ونحوها من العلوم فانه يحتاج الى معرفة الالفاظ الدائرة بين أهل كل علم والى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه لينظم ذلك فى خلال كلامه فيما يكتب به من متعلقات كل فن من هذه الفنون كالالفاظ الدائرة بين أهل الطب ومشاهير أهله وكتبه مما يكتب به لرئيس الطب ونحو ذلك من الهيئة فيما يكتب به لمنجم ونحوه من الهندسة فيما يكتب به لمهندس وربما احتاج الى معرفة ما هو دون ذلك فى الرتبة كمعرفة مصطلح رماة البندق فيما يكتب به فى قدمات البندق ومعرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به فى دسكرة فتوة ونحو ذلك بل ربما احتاج الى معرفة مصطلح سفل الناس لكتابة أمور هزلية

كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب به لطفيلى اقتراحا أو امتحانا للخاطر أو ترويحا للنفس مع معرفة ما يجب عليه من وصف ما يحتاج الى وصفه كأوصاف الابطال والشجعان والجوارى والغلمان والخيل والابل وجليل الوحش وسائر أصنافه وجوارح الوحش والطير وطير الواجب والحمام الهدى وسائر أنواع الطير والسلاح بأنواعه وآلات الحصار والآلات الملوكية وآلات السفر وآلات الصيد وآلات المعاملة وآلات اللهو والطرب وآلات اللعب وآلات الشربة والمدن والحصون والمساجد وبيوت العبادات والرياض والاشجار والازهار والثمار والبرارى والقفار والمفاوز والجبال والرمال والأودية والبحار والانهار وسائر المياه والسفن والكواكب والعناصر والازمنة والأنواء والرياح والمطر والحر والبرد والثلج وما يتعلق بكل واحد من هذه الاشياء أو ينخرط فى سلكه ونحو ذلك مما تدعو الحاجة الى وصفه فى حالة من حالات الكتابة على ما سيأتى بيانه فى آخر الفصل الثانى من هذا الباب ان شاء الله تعالى

الفصل الثانى

(من الباب الاول من المقالة الاولى)

(فيما يحتاج الكاتب الى معرفته من مواد الانشاء وفيه طرفان)

الطرف الاول

(فيما يحتاج اليه من الأدوات ويشتمل الغرض منه على خمسة عشر نوعا)

النوع الاول

(المعرفة باللغة العربية وفيه أربعة مقاصد)

المقصد الاول

(فى فضلها وما اختصت به على سائر اللغات)

أما فضلها فقد أخرج ابن أبى شيبة بسنده الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال تعلموا اللحن والفرائض فانه من دينكم قال يزيد بن هارون اللحن هو اللغة ولا خفاء أنها أمتن اللغات وأوضحها بيانا وأذلقها لسانا وأمدها رواقا وأعذبها مذاقا ومن ثم اختارها الله تعالى لأشرف رسله وخاتم أنبيائه وخيرته من خلقه وصفوته من بريته وجعلها لغة أهل سمائه وسكان جنته وأنزل بها كتابه المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قال فى صناعة الكتاب وقد انقادت اللغات كلها للغة العرب فأقبلت الامم اليها يتعلمونها .
وأما ما اختصت به على غيرها من اللغات فقد حكى فى صناعة الكتاب أنها اللغة التامة الحروف
الكاملة الألفاظ لم ينقص عنها شئ من الحروف فيشينها نقصانه ولم يزد فيها شئ فيعيبها زيادته
وان كان لها فروع أخرى من الحروف فهى راجعة الى الحروف الاصلية وسائر اللغات فيها حروف
مولدة وينقص عنها حروف أصلية كاللغة الفارسية تجد فيها زيادة ونقصانا وكذلك يوجد فيها
من الاسماء مالا يوجد فى الفارسية وغيرها كالحق والباطل والصواب والخطأ والحلال
والحرام فلا ينطق به أهل تلك اللغة الاعربيا . قال الفراء وجدنا للغة العرب فضلا على لغة جميع
الامم اختصاصا من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها ومن خصائصها أنه يوجد فيها من الايجاز
مالا يوجد فى غيرها من اللغات قال ومن الايجاز الواقع فيها ان للضرب كلمة واحدة فتوسعوا فيها
فقالوا للضرب فى الوجه لطم وفى القفا صفع وفى الرأس اذا أدمى شج فكان قولهم لطم أوجز
من ضرب على وجهه قال فى المثل السائر حضرت مع رجل يهودى عارف باللغات لجرى ذكر
اسم الجمل فقال لاشك أن العربية أوجز اللغات فان اسم الجمل بالعبرانية كومل فسقط منه
الواو وحولت الكاف الى الجيم قال أبو عبيد والعرب فى كلامها علامات لايشركهم فيها أحد
من الامم كعلامة ادخالهم الالف واللام فى أول الاسم والزامهم اياه الاعراب فى كل وجه مع
نقلهم كل ما احتاجوا اليه من كلام العجم الى كلامهم فقد نقل ماقالت حكماء العجم والفلاسفة
الى العربية ولم يقدر أحد من الامم على نقل القرآن الى لغته لكمال لغة العرب على أن الكثير
من الناس حاولوا ذلك فعسر عليهم نقله وتعذرت عليهم ترجمته بل لم يصلوا الى ترجمة البسملة
الا بنقل بعيد

المقصد الثانى

(فى وجه احتياج الكاتب الى اللغة)

لامرية فى أن اللغة هى رأس مال الكاتب وأس كلامه وكنز انفاقه من حيث ان الألفاظ
قوالب للمعانى التى يقع التصرف فيها بالكتابة وحينئذ فيحتاج الى طول الباع فيها وسعة الخطو
ومعرفة بسائطها من الاسماء والافعال والحروف والتصرف فى وجوه دلالتها الظاهرة والخفية
ليقتدر بذلك على استعمالها فى محالها ووضعها فى مواضعها اللائقة بها ويجد السبيل الى التوسع
فى العبارة عن الصور القائمة فى نفسه فيتسع عليه نطاق النطق وينفسح له المجال فى العبارة
وينفتح له باب الأوصاف فيما يحتاج الى وصفه وتدعو الضرورة الى نعته فيستظهر على ماينشيه
ويحيط علما بما يذره ويأتيه اذ المعانى وان كانت كامنة فى نفس المعبر عنها فانما يقوى على ابرازها

وابانتهما من توفر حظه من الألفاظ واقتداره على التصرف فيها ليأمن تداخلها وتكريرها المهجنين للمعانى وناهيك أن ابن قتيبة لم يضمن كتابه أدب الكاتب غير اللغة الا النزر اليسير من الهجاء وأبا جعفر النحاس ضمن كتابه صناعة الكتاب جزأ وافرا من اللغة وأبا الفتح كشاجم لم يزد فى كتابه كنز الكتاب على ذكر الألفاظ وصورة تركيبها

المقصد الثالث

(فى بيان ما يحتاج اليه الكاتب من اللغة ويرجع المقصود منه الى خمسة أصناف)

الصنف الاول — الغريب وهو ماليس بمألوف الاستعمال ولادائر على الالسنة وذلك أن مدار الكتابة على استخراج المعانى من القرآن الكريم والاحاديث النبوية والشعر وألفاظها لاتخلو عن الغريب بل ربما غلب الغريب منها فى الشعر على المألوف لاسيما الشعر الجاهلى وقد قال الاصمعى توسلت بالملح ونلت بالغريب . قال صاحب الريحان والريعان والغريب وان لم ينفق منه الكاتب فانه يجب أن يعلم ويتطلع اليه ويستشرف قرب لفظة فى خلال شعر أوخطبة أومثل نادر أوحكاية فان بقيت مقفلة دون أن تفتح لك بقى فى الصدر منها حزازة تحوج الى السؤال وان صنت وجهك عن السؤال رضيت بمنزلة الجهال وقد عاب ابن قتيبة رجلا كتب فى وصف برذون وقد بعثت به أبيض الظهر والشفتين فقيل له هل لاقلت فى بياض الشفتين أرثم ألمظ فقال لهم فبياض الظهر قالوا لاندرى فقال انما جهلت من الشفتين ما جهلتم من الظهر وذم قوما من وجوه الكتاب بأنه اجتمع معهم فى مجلس فتذاكروا عيوب الرقيق فلم يكن فيهم من يفرق بين الوكع والكوع ولابين الحنف والقدع ولابين اللمى واللطع ثم قال وأى مقام أخزى لصاحبه من رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء وارتضاه لسره فقرأ عليه يوما كتابا فيه مطرنا مطرا كثر عنه الكلا فقال له الخليفة ممتحنا له وما الكلا فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال لاأدرى فقال سل عنه قال أبو القاسم الزجاجى فى شرح مقدمة أدب الكاتب وهذا الخليفة هو المعتصم والكاتب أحمد بن عمار وكان يتقلد العرض عليه وكان المعتصم ضعيف البصر بالعربية فلما قرأ عليه أحمد بن عمار الكتاب وسأله عن الكلا فلم يعرفه قال انا لله وانا اليه راجعون خليفة أمى وكاتب عامى ثم قال من يقرب منا من كتاب الدار فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات وكان يقف على قهرمة الدار فأمر باشخاصه فلما مثل بين يديه قال له ما الكلا قال النبات كله رطبه ويابسه فاذا كان رطبا قيل له خلا واذا كان يابسا قيل له حشيش وأخذ فى ذكر النبات من ابتدائه الى اكتهاله الى هيجه فقال المعتصم ليتقلد هذا العرض علينا ثم خص به حتى استوزره فقد ظهر أن معرفة الغريب من الامور الضرورية للكاتب التى هى

من أهم شأنه وأعيا مقاصده وجل كتب اللغة المصنفة فى شأنها راجعة اليه كصحاح الجوهرى ومحكم ابن سيده ومجمل ابن فارس وغيرها من المصنفات التى لا تكاد تحصى كثرة والصحاح أقربها مأخذا والمحكم أمثلها طريقة وأكثرها جمعا وأكملها تحقيقا وقد صرف قوم من المصنفين العناية من ذلك الى الاقتصار على ذكر الاسماء والاوصاف كأوصاف الرجال والنساء المحمودة والمذمومة وما يختص من ذلك بالرجال والنساء وأوصاف الخيل وأعضائها وألوانها وشياتها وأسنانها وسيرها وعدوها وما يخص الذكور والاناث منها وأوصاف الوحوش من السباع والظباء والوعول والبقر والحمر الوحشيين وأسماء الطيور من الجوارح الصائدة والطيور المصيدة وبغاث الطير كالرخم وصغاره كالنحل والجراد وأوصاف الهوام كالحشرات من الحيات والوزغ ونحو ذلك وأوصاف العلويات من السماء والسحاب والرياح والامطار والازمنة كأوقات الليل والنهار وأوقات الشهر وفصول السنة ونحو ذلك وأسماء النبات من الشجر البرى كالطلح والاراك والبستانى كالنخل والعنب والنبات البرى كالشيح والقيصوم وأنواع المرعى وأسماء الاماكن من البرارى والقفار والرمال والجبال والاحجار والمياه والبحار والانهار والعيون والسيول والرياض والمحال والابنية وأسماء جواهر الارض من اليواقيت ونحوها وسائر مستخرجات المعادن كالنحاس والرصاص وما يجرى مجراها ومستخرجات البحر من اللؤلؤ والعنبر والمرجان وغيرها وأسماء المأكولات من الحبوب والفواكه والاطعمة المصنوعة والاطبخة وأسماء الاشربة كالماء واللبن والعسل والخمر وأسماء السلاح من السيوف والرماح والقسى والسهام والدروع وغيرها وأسماء اللباس من الثياب على اختلافها وأسماء الامتعة والآنية وسائر الآلات وأسماء الطيب من المسك والند والغالية والزعفران وما أشبهها وكذلك كل ما يجرى هذا المجرى وكفاية المتحفظ لابن الاجدابى والمذهبة والمعقبة لابن أصبغ كافلتان بالكثير من ذلك وفى أدب الكاتب لابن قتيبة وفقه اللغة للثعالبى الجزء الوافر من ذلك وصرف آخرون عنايتهم الى التأليف فى الافعال وتصاريفها كابن درستويه وغيره وفى فصيح ثعلب جزء وافر من ذلك ولعصرينا الشيخ مقبل الصرغتمشى النحوى كتاب زاد فيه عليه جمعا ووضوحا

الصنف الثانى — الفروع المتشعبة فى المعانى المختلفة وهى فروع كثيرة متسعة الارجاء متباينة المقاصد لا يكاد يجمعها مصنف وان كان الكاتب لا يستغنى عن شئ منها ولا يحسن به تركه . منها المتباين والمترادف فأما المتباين فهو ما دل لفظ الكلمة منه على خلاف ما دلت عليه الكلمة الاخرى كالسواد والبياض والطول والعرض ويحتاج اليه فى التعبير عن المعانى المختلفة لاتساع نطاق الكلام وأما المترادف فهو المتوارد الالفاظ على مسمى واحد كالاسد

والسبع والحيوان المفترس والثنية والقلوص للناقة ونحوذلك ويحتاج الى معرفة ذلك للمخلص عند ضيق الكلام عليه فى موضع لطول لفظة أو قصرها أو اختلاف وزنها فى شعر أو رعاية الفاصلة آخر الفقرة فى نثر أو غير ذلك مما يضطر فيه الى ايراد بعض الالفاظ بدل بعض كما فى قوله

وثنية جاوزتها بثنية * حرف يعارضها جنيب أدهم

فانه أراد بالثنية الاولى العقبة وبالثنية الثانية الناقة والجنيب الأدهم استعارة لظلها فالثنية من حيث وقوعها على الناقة والعقبة أوفق للتجنيس من الناقة اذ لو ذكر الناقة مع الثنية التى هى الطريق لفاته التجنيس ومحل الكلام عليهما كتب الفقه ونحوها . ومنها الحقيقة والمجاز والحقيقة هى اللفظ الدال على موضوعه الاصلى كالأسد للحيوان المفترس والحمار للحيوان المعروف والمجاز هو ما أريد به غير الموضوع له فى أصل اللغة كالأسد للرجل الشجاع بعلاقة الشجاعة فى كل منهما والحمار للبليد بعلاقة البلادة فى كل منهما ويحتاج اليه لنقل الألفاظ من حقائقها الى الاستعارة والتمثيل والكناية لما بينهما من العلاقة والمناسبة كاليد فانها فى أصل اللغة للجارحة أطلقت على القوة والنعمة مجازا من حيث ان القوة تظهر فى اليد والنعمة تولى بها ومحل ذكرهما أصول الفقه وما فى معناها . ومنها الألفاظ المتضادة وهى التى تقع كل لفظة منها على ضد ما تقع عليه الاخرى كالامانة والخيانة والنصيحة والغش والفتق والرتق والنقض والابرام ونحو ذلك فان الكلام كثيرا ما يبنى على الاضداد وربما غلط الكاتب فجعل مقابل الشئ غير ضده فيلزمه النقص فى صناعته وفوات ما يقصده من المقابلة والطباق اللذين هما من أحسن أنواع البديع وفى صناعة الكتاب لأبى جعفر النحاس جملة صالحة من ذلك وفى كنز الكتاب لأبى الفتح كشاجم جملة جيدة منه أيضا . ومنها تسمية المتضادين باسم واحد كالجون للاسود والابيض والقرء للطهر والحيض والصريم لليل والنهار ووراء للخلف وقدام ونحو ذلك ويحتاج اليه للتمييز بين الحقائق التى يقع اللبس فيها وفى أدب الكاتب جملة من ذلك . ومنها المقصور والممدود كالندى للجود وندى الارض والحفا كلال القدم والحافر والممدود كالسماء للفلك وكل ما علاك والبقاء لضد الفناء ونحو ذلك وما يجوز فيه المد والقصر جميعا كالزناء والسراء وما اشبههما ويحتاج اليه الكاتب من ثلاثة أوجه أحدها أن الدلالة تختلف باعتبار المد والقصر كلفظ الهوى فانه ان قصر كان بمعنى هوى النفس وان مد كان بمعنى ما بين السماء والارض الثانى انه اذا أضيف الممدود أضيف بزيادة واو فى الكتابة فى حالة الرفع وزيادة ياء فى حالة الخفض واذا أضيف المقصور لم يحتج الى زيادة واو ولا ياء ولو كان مما يجوز فيه المد والقصر جاز فيه بعض حركاته وربما بعد كالبلاء والقلاء فانه اذا كسر أولهما قصرا وكتبا بالياء واذا فتح مدا وكتبا بالالف وكالباقلا فانه اذا خفف مد واذا شدد قصر فمتى لم يعرف الكاتب ذلك كان قاصرا فى صناعته

وفى أدب الكاتب من ذلك جملة . ومنها المذكر والمؤنث فانه تختلف أحواله باعتبار التذكير والتأنيث فى كثير من الامور وذلك ان المؤنث على ضربين أحدهما ما فيه علامة من علامات التأنيث الثلاث وهى الهاء نحو حمزة وطلحة والالف الممدودة نحو حمراء والالف المقصورة نحو حبلى وضرب لا علامة فيه وانما يؤخذ من السماع كالسماء والارض والقوس والحرب وما أشبهها وربما كان منه ما يجوز فيه التذكير والتأنيث كالطريق والسبيل والموسى واللسان والسلطان وما أشبهها فان من العرب من يذكر ذلك ومنهم من يؤنثه وربما وقع لفظ التأنيث على الذكر والانثى جميعا كالسخلة والحية والحمامة والنعامة والبطة ونحوها وأيضا فان من وصف المؤنث ما يحذف منه الهاء باعتبار تأويل آخر كصيغة فعيل فانه ان كان بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وخضيب بمعنى مخضوب حذفت الهاء من مؤنثه فيقال امرأة قتيل وكف خضيب وما أشبه ذلك وان كان بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم ورحيم بمعنى راحم تثبت الهاء فى مؤنثه فتقول فيه عليمة ورحيمة وعلى العكس من ذلك فعول فانه ان كان بمعنى فاعل كان بغير هاء نحو امرأة صبور وشكور بمعنى صابرة شاكرة وان كان بمعنى مفعول كان مؤنثه بالهاء كالحلوبة بمعنى المحلوبة والركوبة بمعنى المركوبة وصيغة مفعل مما لا يوصف به الذكور تكون بغير هاء كامرأة مرضع فان أرادوا الفعل قالوا مرضعة وصيغة فاعل مما لا يكون وصفا لمذكر تكون بغير هاء أيضا نحو امرأة طالق وحامل وربما حذفت الهاء مما يكون للمذكر والمؤنث جميعا فتقول امرأة عاقر ورجل عاقر وفى أدب الكاتب وفصيح ثعلب جملة من ذلك وفى كتب النحو المبسوطة قواعد موصلة الى مقاصده . ومنها المهموز وغير المهموز فان المعنى قد يختلف فى اللفظ الواحد باعتبار الهمز وعدمه كما تقول عبأت المتاع بالهمز وعبيت الجيش بغير همز وبارأت الكرى بالهمز من الابراء وباريت فلانا من المفاخرة بغير همز وتقول زنا من الزنا بغير همز وزنأ فى الجبل اذا رقى فيه ونحو ذلك وربما جاء الهمز وعدمه فى الكلمة الواحدة كما تقول شئت بالهمز وشيت باسكان الياء من غير همز ونحو ذلك فتى لم يكن الكاتب عارفا بالهمز ومواضعه ضل فى طريق الكتابة وفى أدب الكاتب باب مفرد لذلك . ومنها ما ورد من كلام العرب مزدوجا كقولهم الطم والرم يريدون بالطم البحر وبالرم الثرى وكقولهم الجرو المدر فالجر معروف والمدر التراب الندى ونحو ذلك فاذا عرف الكاتب ذلك تمكن من وضعه فى مواضعه لتحسين الكلام وتمبقه فى الطباق والمقابلة وفى أدب الكاتب نبذة من ذلك . ومنها ما ورد من كلامهم مثنى إما على سبيل التغليب كقولهم القمران يريدون الشمس والقمر والعمران يريدون أبا بكر وعمر وإما على الحقيقة كقولهم ذهب منه الاطيبان يريدون الاكل والنكاح واختلف عليه الملوان أو الجديدان يريدون الليل والنهار ونحو ذلك وفى أدب الكاتب أيضا طرف منه . ومنها ما ورد من كلام العرب

مرتبا كقولهم أول النوم النعاس وهو الاحتياج الى النوم ثم الوسن وهو ثقل النعاس ثم الكرى والغمض وهو أن يكون بين النائم واليقظان ثم التغفيق وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم ثم الاغفاء وهو النوم الخفيف ثم التهجاع وهو النوم القليل ثم الرقاد وهو النوم الطويل ثم الهجوع وهو النوم الغرق ثم التسبيخ وهو أشد النوم وما أشبه ذلك وفى فقه اللغة للثعالبى قدر صالح من ذلك . ومنها ما ورد من كلامهم مورد الدعاء إما على بابه فى الدعاء كقولهم استأصل الله شأفته يريدون أذهب الله أثره كما يذهب أثر الشأفة وهى قرحة تخرج فى القدم فتكوى فتذهب وقولهم أباد الله خضراهم أى سوادهم ومعظمهم أو لم يقصد به حقيقة الدعاء كقولهم تربت يداك أى ألصقت بالتراب من الفاقة وقولهم أرغم الله أنفه أى ألصقه بالرغام وهم لا يقصدون به الدعاء وفى أدب الكاتب جملة من ذلك . ومنها ما تختلف أسماؤه مع المشابهة فى المعنى كالظفر للانسان والحافر للفرس والبغل والحمار والظلف للبقر والمنسم للبعير والبرثن للسباع وما يجرى هذا المجرى وفى فقه اللغة جزء وافر منه . ومنها ما تختلف اسماؤه وأوصافه باختلاف أحواله كالكاس لا يقال فيه كأس إلا اذا كان فيه شراب والا فهو قدح ولا مائدة إلا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ولا قلم إلا اذا كان مبريا والا فهو أنبوبة ولا خاتم إلا وفيه فص والا فهو فتخة ونحو ذلك وفى فقه اللغة جملة منه . ومنها معرفة الاصول التى تشتق منها الاسماء كتسمية القمر قمرا لبياضه اذ الأقمر هو الابيض وكتسمية ليلة الرابع عشر من الشهر ليلة البدر لمبادرة الشمس القمر بالطلوع أو لتمامه وامتلائه حينئذ من حيث ان كل تام يقال له بدر وكتسمية النجم نجما أخذا من قولهم نجم اذا طلع ونحو ذلك وفى أدب الكاتب جملة من ذلك . ومنها ما نطقت به العجم على وفق لغة العرب لعدم وجوده فى لغتهم[1] وهو المعرب كالكف والساق والدلال والوزان والصراف والجمال والقصاب والبيطار وما أشبه ذلك وفى فقه اللغة جزء من ذلك كاف . ومنها ما اشترك فيه العربية والفارسية كالتنور والخمير والدينار والدرهم والصابون وما أشبه ذلك وفى فقه اللغة أيضا نبذة منه . ومنها ما اضطرت العرب الى تعريبه واستعماله فى لغتهم من اللغة العجمية كالكوز والابريق والطشت والخوان والطبق وغيرها من الآنية والسكباج والزيرباج والطباهج والجرداب ونحوها من الاطعمة والجلاب والسكنجبين ونحوهما من الاشربة والخولنجان والكافور والصندل وغيرها من الأدويه والطيب ونحو ذلك وفى فقه اللغة من ذلك جملة جيدة الى غير ذلك من الامور التى لا يتسع استيفاؤها مما فى أدب الكاتب وفقه اللغة الكثير منه . ومنها ما تعددت لغاته ولتعلم أن لغة العرب متعددة اللغات متسعة أرجاء الألسن بحيث لا تساويها فى ذلك لغة فمن ذلك ما فيه لغتان كقولهم

(١) قوله وهو المعرب كذا بالاصل

رطل ورَطل بكسر الراء وفتحها وسم وسم بفتح السـين وضمها ومافيه ثلاث لغات مثل برقع بضم القاف وبرقع بفتحها وبرقوع بضم الباء وزيادة الواو وخاتم بكسر التاء وخاتم بفتحها وخيتام ومافيه أربع لغات مثل نطع بكسر النون وفتحها وسكون الطاء ونطع بفتح النون والطاء جميعا وكسر النون وصداق بفتح الصاد وصداق بكسرها وصداق بضمها وصدقة بضم الصاد وسكون الدال ومافيه خمس لغات كقولهم ريح الشمال بفتح الشين من غير همز والشمأل بالهمز والشامل بغير همز والشمل بفتح الميم والشمل بسكونها ومافيه ست لغات كفسطاط بضم الفاء وفسطاط بكسرها وفستاط بضم الفاء وابدال الطاء تاء وفستاط بكسر الفاء وفساط بضم الفاء وتشديد السـين وفساط بكسر الفاء ومافيه تسع لغات كالانملة بفتح الهمزة وضمها وكسرها مع فتح الميم وضمها وكسرها ومافيه عشر لغات كالاصبع بفتح الهمزة وضمها وكسرها مع فتح الباء وضمها وكسرها والعاشرة أصبوع وفى أدب الكاتب جملة من هذا النمط

الصنف الثالث ــ الفصيح من اللغة واعلم أن اللغة العربية قد تنوعت واختلفت بحسب تنوع العرب واختلاف ألسنتهم والذى اعتمده حذاق اللغة وجهابذة العربية من ذلك ما نطق به فصحاء العرب وهم الذين حلوا أوساط بلاد العرب ولم يخالطهم من سواهم من الامم كثير مخالطة ولم يصاقبوا بلاد العجم فبقيت ألفاظهم سالمة من التغيير والاختلاط بلغة غيرهم كقريش وهذيل وكنانة وبعض تميم وقيس عيلان ونحوهم من عرب الحجاز وأوساط نجد بخلاف الذين حلوا فى أطراف بلاد العرب وجاوروا الاعاجم فتغيرت ألفاظهم بمخالطتهم كحمير وهمدان وخولان والأزد لمجاورتهم بلاد الحبشة وطيئ وغسان لمجاورتهم بلاد الروم بالشام وبعض تميم وعبد القيس لمجاورتهم أهل الجزيرة وفارس . واعلم ان التغيير يدخل فى لغـة العرب من عدة وجوه . منها أن تبدل كلمة بغيرها كما تستعمل أهل اللغة الحميرية ثب بمعنى اجلس وهى فى عامة لغة العرب للامر بالطفرة قال القاضى الرشيد فى شرح أمنية الالمعى وربما غلبت العجمة على أحدهم حتى لا يفهم عنه شئ . ومنها أن تبدل حرفا من الكلمة بحرف آخر كما تبدل حمير كاف الخطاب شينا معجمة فيقولون فى قلت لك قلت لش وربما أبدلوا التاء أيضا كافا فيقولون فى قلت قلك وكما تبدل ربيعة الباء الموحدة ميما فيقولون فى بكر مكر ونحو ذلك وكما تبدل بعض العرب الصاد المهملة بالسين المهملة فيقولون فى صابر سابر وكما تبدل بعضهم الطاء المهملة بتاء مثناه فوق فيقولون فى طال تال وتسمع من عرب أهـل الشرق كثيرا وكما تبـدل قوم التـاء المثناة فوق بضاد معجمة فيقولون فى أتر أضر . ومنهـا أن يعاقب بين حرفين فى الكلمة كما يقول بعضهـم فى بلخ فلخ وفى أصبهان أصفهان . ومنها أن يأتى بحرف بين حرفين فيأتون بكاف كجيم فيقولون فى كل جل قال ابن دريد وهى لغـة فى اليمن كثيرة فى أهل بغداد ويأتون بجيم ككاف على العكس من الاول

فيقولون فى رجل ركل يقربونها من الكاف ويأتون بشين معجمة كجيم فيقولون فى اجتمعوا اشتمعوا ويأتون بصاد مهملة كزاى فيقولون فى صراط زراط ويأتون بجيم كزاى فيقولون فى جابر زابر ويأتون بقاف بين القاف والكاف المعقودة قاله ابن سعيد عن سماعه من العرب ولا يكاد يوجد منهم من ينطق بها على أصلها الموصوف فى كتب النحويين وقد ذكر الشيخ أثير الدين أبو حيان ذلك جميعه فى شرحه على تسهيل ابن مالك

الصنف الرابع — ما تلحن فيه العامة وتغيره عن موضعه بأن يكون مفتوح الاول والعامة تكسره كقولهم فى جفن العين بفتح الجيم جفن بكسرها أو مفتوح الاول والعامة تضمه كقولهم فى القبول الذى هو خلاف الرد قبول بضمها أو مكسور الاول والعامة تفتحه كقولهم فى درهم بكسر الدال درهم بفتحها أو مكسور الاول والعامة تضمه كقولهم فى التمساح بكسر التاء تمساح بضمها أو مضموم الاول والعامة تفتحه كقولهم فى العصفور بضم العين عصفور بفتحها أو مضموم الاول والعامة تكسره كقولهم فى الظفر بضم الظاء ظفر بكسرها أو مفتوح الوسط كقولهم فى القالب بفتح اللام قالب بكسرها أو مكسور الوسط والعامة تفتحه كقولهم فى الرجل الموسوس والبر المسوّس والجبن المدوّد بكسر الواو فى الثلاثة موسوس ومسوّس ومدوّد بفتحها أو مضموم الوسط والعامة تفتحه كقولهم فى الجدد جمع جديد جدد بفتحها أو محرك الوسط والعامة تسكنه كقولهم فى التحفة بفتح الحاء تحفة باسكانها أو ساكن الوسط والعامة تحركه كقولهم فى الحلقة باسكان اللام حلقة بفتحها أو مشددا والعامة تخففه كقولهم فى العارية بتشديد الياء عارية بتخفيفها أو مخففا والعامة تشدده كقولهم فى الكراهية بتخفيف الياء كراهية بتشديدها أو مهموزا والعامة تحذف الهمز من أوله كقولهم فى الاهليلج باثبات همزة فى أوله هليلج بحذفها أو مهموز الوسط والعامة تسهله كقولهم فى المرآة باثبات الهمزة مراة بحذفها أو غير مهموز الاول والعامة تثبت الهمز فى أوله كقولهم فى الكرة أكرة أو كان بالظاء المعجمة فجعلته بالضاد المعجمة كالوظيفة ونحوها أو بالضاد فجعلته بالظاء كقول بعضهم فى البيضة بيظة أو بالذال المعجمة فجعلته بالدال المهملة كالذراع أو كان بالجيم فجعلته بالقاف كقولهم فى مجاديف السفينة مقاديف أو بالدال المهملة فجعلته بالتاء المثناة فوق كقولهم فى دخاريص القميص تخاريص ونحو ذلك مما شاع وذاع وفى أدب الكاتب لابن قتيبة نبذة من لحن أهل المشرق وكتاب تثقيف اللسان لابن مكى التونسى موضوع فى لحن أهل الغرب وفصيح ثعلب مشتمل على كثير من هذا المقصد

الصنف الخامس — الالفاظ الكتابية وهى ألفاظ انتخبها الكتاب وانتقوها من اللغة استحسانا لها وتمييزا لها فى الطلاوة والرشاقة على غيرها . قال الجاحظ ما رأيت أمثل طريقة من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا حوشيا ولا ساقطا سوقيا

وقد ذكر ابن الاثير فى المثل السائر أن الكتاب غربلوا اللغة وانتقوا منها ألفاظا رائقة استعملوها ثم هذه الالفاظ أسماء وأفعال فالاسماء كقولك فى المدح فلان غرة القبيلة وسنامها وذؤابتها وذروتها وهو نبعة أرومتـه وأبلق كتيبته ومدره عشـيرته ونحو ذلك والافعال كقولك فى اصلاح الفاسد أصلح الفاسد ولم الشعث ورأب الشعب وضم النشر ورم الرث وجمع الشتات وجبر الكسر وأسى الكلم ورقع الخرق ورتق الفتق وشـعب الصـدع وفى كتاب الالفاظ لعبد الرحمن بن عيسى الكاتب كفاية من ذلك وله مختصر أربى عليـه وفى كنز الكتاب لكشاجم ما فيه مقنع

المقصد الرابع

(فى كيفية تصرف الكاتب فى الالفاظ اللغوية وتصريفها فى وجوه الكتابة)

لاخفاء أنه اذا أكثر من حفظ الالفاظ اللغوية وعرف الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد والمتقاربة المعانى تمكن من التعبير عن المعانى التى يضطر الى الكتابة فيها بالعبارات المختلفـة والالفاظ المتباينة وسهل عليـه التعبير عن مقصوده وهان عليـه انشاء الكلام وترتيبه وفى الأمثلة التى أوردها كشاجم فى كنز الكتاب حيث يعبر عن المعنى الواحد بعبارات متعددة ما يرشد الى الطريق فى ذلك ويهدى الى سلوك الجادة الموصلة الى القصـد منه . وهـذه نسخة مكاتبة منه فى التهنئة بمولود يستضاء بها فى ذلك وهى

قد جعلك الله من نبعة طابت مغارسها أرومة رسخت عروقها شجرة زكت غصونها فرع شرفت منابته معـدن زكت علائقـه جوهر شاعت مكارمه عنصر بسقت فروعه محتد ذاعت محامده أصـل نجبت مآثره سنخ حلصت مناقبـه نصاب صرحت مفاخره نجر نمت مساعيه أصل فضلت معالمه عنصر نضرت محاسنه منتمى كثرت مناقبـه فالزيادة فيها زيادة فى جوهر الكرم مظاهر فى محوترى الافضال ذخيرة نفيسة لذوى الآمال نعمة كاملة السعادة غبطة شاملة البشاشـة سرور بواجه الاولياء حبور تحتوى به الاعداء غبطة تصل الى الاحرار ابتهاج لذوى الاخطار فتولى الله نعمه عندك بالحراسة الوافية بالولاية الكافية الكفاية المتظاهرة الدفاع الكالى الحفاظ الداعى الصنع الجميل الدفاع الحسن العافية المتكاثفة وبلغنى الخبر بهبة الله المسـتجدة الولد المبارك الفرع الطيب السليل الرضى الولد الصالح الابن السار الثمرة المثمرة السـلالة الزكية النجل الميمون الذى عمر أفنية السيادة زاد فى مواثيق العهـد والرئاسة أرسى قواعد السيادة ثبت أساس الرفعة أوثق عرا المجد مكن أركان الفضل وطد أساس المكارم أكد علائق الشرف أبد أواخى الكرم أبرم حبال الجود أمر أسباب الطول

شيد بنيان الكمال أخصف أيدى السماحة أحكم قوى الرجاحة أوثق عقد العلا رفع دعائم الطهارة أنار أعلام الغارة أظهر علامات الخير فتباشرت به ابتهجت احتذلت اغتبطت فرحت سررت استبشرت جعله الله برا تقيا سيدا حميدا ميمونا مباركا طيبا عزيزا سعيدا ظهيرا عونا ناصرا راجحا زكيا وزرا ملجأ يتقيل سلفه ويقتفى أثرهم يسلك منهاجهم يستن سنتهم يتبع قصدهم يسير سيرتهم يسعى مساعيهم ينحو مثالهم يحذو حذوهم يتخلق بأخلاقهم يتبصر بصيرتهم ينوط أفعالهم يترسم رسومهم وأيمن به عددك كثر به ذريتك أراك فيه غاية أملك شفعه الله باخوة بررة وفقه الله لأداء حقك جعله خير خلف كما هو لخير سلف زين به العشيرة وهب له النما بلغ به أكلأ العمر مكن له فى رفيع المراتب حقق فيه فراستك وهب له تمام الفضيلة وأوزعك الشكر عليه أجارك فيه من الثكل سرك بفائدته أسعدك برؤيته أطاب عيشك به متعك بعطيته ألهمك شكر ما خولك واصلك المزيد برحمته فانه اذا أراد الكاتب أن يستخرج من ألفاظ هذا الكتاب عدة كتب بتهنئة بولد فعل كما اذا قال قد جعلك الله من نبعة طابت مغارسها فالزيادة فيها زيادة فى جوهر الكرم فتولى الله نعمه عندك بالحراسة وبلغنى الخبر بهبة الله الجديدة المستجدة الولد المبارك الذى عمر أفنية السيادة فتباشرت به جعله الله تعالى برا تقيا يتقيل سلفه وأيمن به عددك وأوزعك الشكر عليه وواصل لك المزيد برحمته كان ذلك كتابا كافيا فى هذا النوع فتأمل ذلك وقس عليه

النوع الثانى

(المعرفة باللغة العجمية وهى كل ما عدا العربية من التركية والفارسية والرومية والفرنجية والبربرية والسودان وغيرهم وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(فى بيان وجه احتياج الكاتب الى معرفة اللغات العجمية)

لا يخفى أن الكاتب يحتاج فى كماله الى معرفة لغة الكتب التى ترد عليه لملكه أو أميره ليفهمها ويجيب عنها من غير اطلاع ترجمان عليها فانه أصون لسر ملكه وأبلغ فى بلوغ مقاصده . وقد روى محمد بن عمر المدائنى فى كتاب القلم والدواة بسنده الى زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يرد على أشياء من كلام السريانية لا أحسنها فتعلم كلام السريانية فتعلمتها فى ستة عشر يوما وفى رواية قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحسن السريانية فانه يأتينى كتب بها قلت لا قال فتعلمها فتعلمتها فى سبعة عشر يوما فكنت أجيب

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرأ كتب يهود اذا وردت عليه وفى رواية قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يازيد تعلم كتاب يهود فانى والله لا آمن يهود على كتابى قال فتعلمت كتابتهم فما مرلى ست عشرة ليلة حتى حذقته فكنت أقرأ له كتبهم اذا كتبوا اليه وأجيب اذا كتب وفى رواية العبرانية بدل السريانية قال محمد بن عمر المدائنى بل قد قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وان كان عربيا لان الله تعالى بعثه الى الناس كافة ولم يكن الله بالذى يبعث نبيا الى قوم لا يفهم عنهم ولذلك كلم سلمان بالفارسية وساق بسنده الى عكرمة أنه قال سئل ابن عباس هل تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية قال نعم دخل عليه سلمان فقال له درسته وسادته قال محمد بن أميل أظنه مرحبا وأهلا وحينئذ فيكون النبى صلى الله عليه وسلم انما أمر زيدا بتعلم كتابة السريانية أو العبرانية لتحريم الكتابة عليه لا أنه أمره بتعلم لغتهم

المقصد الثانى

(فى بيان ما يتصرف فيه الكاتب من اللغة العجمية)

اعلم أن الذى ينبغى له تعلمه من اللغات العجمية هو ما تتعلق به حاجته فى المخاطبة والمكاتبة. أما المخاطبة فبأن يكون لسان ملكه بعض الالسن العجمية أو كان الغالب عليه لسان عجمى مع معرفته بالعربية كما غلبت اللغة التركية على ملوك الديار المصرية وكما غلبت اللغة الفارسية على ملوك بلاد العراق وفارس وكما غلب لسان البربر على ملوك بلاد المغرب مع تبعية عسكر كل ملك فى اللسان الغالب عليه له فى ذلك فيحتاج الكاتب الى معرفة لسان السلطان الذى يتكلم به هو وعسكره ليكون أقرب الى حصول قصده من فهم الخطاب وتفهيمه وسرعة ادراك ما يلقى اليه من ذلك وتأدية ما يقصد تأديته منه مع ما يحصل له من الحظوة والتقريب بالموافقة فى اللسان فان الشخص يميل الى من يخاطبه بلسانه لاسيما اذا كان من غير جنسه كما تميل نفوس ملوك الديار المصرية وأمرائها وجندها لمن يتكلم بالتركية من العلماء والكتاب ومن فى معناهم على ما هو معلوم مشاهد وأما المكاتبة فبأن يكون يعرف لسان الكتب الواردة على ملكه ليترجمها له ويجيب عنها بلغتها التى وردت بها فان فى ذلك وقعا فى النفوس واستحلاء بالقلوب وصونا للسر عن اطلاع ترجمان عليه وأمر النبى صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت بتعلم السريانية أو العبرانية على ما تقدم ظاهر فى طلب ذلك من الكاتب وحثه عليه. ثم اللغات العجمية على ضربين أحدهما ماله قلم يكتب به فى تلك اللغة كاللغة الفارسية واللغة الرومية واللغة الفرنجية ونحوها فان لكل منها قلما يخصه يكتب به فى تلك اللغة والثانى ما ليس له قلم يكتب به وهى لغات القوم الذين تغلب عليهم

البداوة كالترك والسودان ولاجل ذلك ترد الكتب من القانات ملوك الترك ببلاد الشمال المعروف في القديم ببيت بركة والآن بمملكة أزبك باللغة المغلية بالخط العربي وترد الكتب الصادرة عن ملوك السودان باللفظ العربي والخط العربي . أما اللغات التي لها أقلام تخصها فان كتبهم ترد بخطهم ولغتهم كالكتب الواردة من ملوك الروم والفرنج ونحوهما من للغته قلم يخصه على اختلاف الالسنة واللغات

النوع الثالث

(المعرفة بالنحو وفيه مقصدان)

المقصد الاول

(في بيان وجه احتياج الكاتب اليه)

لا نزاع أن النحو هو قانون اللغة العربية وميزان تقويمها وقد تقدم في النوع الاول أن اللغة العربية هي رأس مال الكاتب وأس مقاله وكنز انفاقه وحينئذ فيحتاج الى المعرفة بالنحو وطرق الاعراب والاخذ في تعاطي ذلك حتى يجعله دأبه ويصيره ديدنه ليرتسم الاعراب في فكره ويدور على لسانه وينطلق به مقال قلمه وكلمه ويزول به الوهم عن سجيته ويكون على بصيرة من عبارته فانه اذا أتى من البلاغة بأعلى رتبة ولحن في كلامه ذهبت محاسن ما أتى به وانهدمت طبقة كلامه وألغى جميع ماحسنه ووقف به عند ماجهله قال في المثل السائر وهو أول ماينبغي اثبات معرفته على انه ليس مختصا بهذا العلم خاصة بل بكل علم لا بل ينبغي معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معرة اللحن قال صاحب الريحان والريعان ولم تزل الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحثون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها اذ هي من الدين بالمكان المعلوم والمحل المخصوص قال عثمان المهري أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونحن باذربيجان يأمرنا بأشياء ويذكر فيها تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد في المروءة وكان خالد بن يزيد بن معاوية أخ فجاءه يوما فقال ان الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) الآية فقال خالد (واذا أردنا أن نهلك قرية) الآية فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني وقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا فقال خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد في كلام كثير طويل ليس هذا موضع ذكره . وقال الرشيد يوما لبنيه ماضر أحدكم لو تعلم من العربية مايصلح به لسانه أيسر أحدكم أن يكون

لسانه كلسان عبده وأمتـــه ومن كلام مالك بن أنس الاعراب حلى اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حليها ولله در أبى سعيد البصرى حيث يقول

النحو يبسط من لسان الألكن * والمرء تكرمـــه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلهـا * فأجلها عنـدى مقيم الألسن

قال صاحب الريحان والريعان واللحن قبيح فى كبراء الناس وسراتهم كما ان الاعراب جمال لهم وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقى به الى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصنفه قال واذا لم يتجه الاعراب فسد المعنى فان اللحن يغير المعنى واللفظ ويقلبه عن المراد به الى ضده حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه . وقد روى أن اعرابيا سمع قارئا يقرأ (ان الله برىء من المشركين ورسوله) بجر رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقـال أو برئ الله من رسوله فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن الا من يحسن العربية على أن الحسن قد قرأها بالجر على القسم وقد ذهب على الاعرابى فهم ذلك لخفائه وقرأ آخر (انما يخشى الله من عباده العلماء) برفع الاول ونصب الثانى فوقع فى الكفر بنقل فتحة الى ضمة وضمة الى فتحة فقيل له يا هذا ان الله تعـالى لا يخشى أحدا فتنبه لذلك وتفطن له وسمع اعرابى رجلا يقول أشهد أن محمدا رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على النعت فقـال يفعل ماذا وقال رجل لآخر ما شانك بالنصب فظن أنه يسأله عن شين به فقال عظم فى وجهى وقال رجل لاعرابى كيف أهلك بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلبا ودخل رجل على زياد ابن أبيه فقال ان أبونا مات وان أخينا وثب على مال أبانا فأكله فقال زياد للذى أضعته من كلامك أضر عليك مما أضعته من مالك وقيل لرجل من أين أقبلت فقال من عند أهلونا فحسده آخر حين سمعه وظن ذلك فصاحة فقـال أنا والله أعلم من أين أخذها من قوله شـغلتنا أموالنا وأهلونا فأضحك كل منهما من نفسه . قال صاحب الريحان والريعان وكان من يؤثر عقله من الخلفاء يعـاقب على اللحن وينفر من خطا القول ولا يجيز أن يخاطب به فى الرسائل البلدانيـه ولا أن يوقف به على رؤسهم فى الخطب المقاميه قال وهو الوجه فأنديتهم مطلب الكمال ومظان الصواب فى إحكام الافعال فكيف فى إحكام الاقوال . قال ابن قادم النحوى وجه الىّ اسحاق ابن ابراهيم المصعبى وهو أمير فأحضرنى فلم أدر ما السبب فلما قربت من مجلسه تلقانى كاتبه على الرسائل ميمون بن ابراهيم وهو على غاية الهلع والجزع فقال لى بصوت خفى انه اسحـاق ومر غير متلبث حتى رجع الى اسحاق فراعنى ما سمعت فلما مثلت بين يديه قال كيف يقال وهذا المـال مال أو وهذا المـال مالا فعلمت ما أراد ميمون الكاتب فقلت له الوجه وهذا المـال مال ويجوز وهذا المـال مالا فأقبل اسحـاق على ميمون كاتبـه بغلظة وفظاظة ثم قال الزم الوجه فى كتبك

ودع ما يجوز ورمى بكتاب كان فى يديه فسألت عن الخبر فاذا بميمون قد كتب عن اسحاق الى المأمون وهو ببلاد الروم وذكر مالا حمله اليه فقال وهذا المال مالا فخط المأمون على الموضع من الكتاب ووقع بخطه فى حاشيته تكاتبنى باللحن ويقال انه لم يتجاوز موضع اللحن فى قراءة الكتاب فقامت عند اسحاق فكان ميمون الكاتب بعد ذلك يقول لا أدرى كيف أشكر ابن قادم بقى على روحى ونعمتى . ووقف بعض الخلفاء على كتاب لبعض عماله فيه لحن فى لفظه فكتب الى عامله قنع كاتبك هذا اسوطا معاقبة على لحنه قال أحمد بن يحيى كان هذا امقدار أهل العلم وبحسبه كانت الرغبة فى طلبه والحذر من الزلل قال صاحب الريحان والريعان فكيف لو أبصر بعض كتاب زماننا هذا . قلت قد قال ذلك فى زمانه هو وفى الناس بعض الرمق والعلم ظاهر وأهله مكرمون والا فلو عمر الى زماننا نحن لقال تلك أمة قد خلت . ثم المرجع فى معرفة النحو الى التلقى من أفواه العلماء الماهرين فيه والنظر فى الكتب المعتمدة فى ذلك من كتب المتقدمين والمتأخرين واعلم أن كتب النحو من المبسوطات والمختصرات والمتوسطات أكثر من أن يأخذها الحصر ومن الكتب المعتمدة فى زماننا عند أبناء المشرق المفصل للزمخشرى والكافية لابن الحاجب وعند المصريين كتب ابن مالك كالتسهيل والكافية الشافية والالفية وغير ذلك من كتب ابن مالك وغيرها قال أبو جعفر النحاس وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمى العربية جهلا وتعديا حتى انهم يحتجون بما يزعمون أن القاسم بن مخيمرة قاله النحو أوله شغل وآخره بغى قال وهذا كلام لا معنى له لان أول الفقه شغل وأول الحساب شغل وكذا أوائل العلوم أفترى الناس تاركين العلوم من أجل ان أولها شغل قال وأما قوله وآخره بغى ان كان يريد به أن صاحب النحو اذا حذقه صار فيه زهو واستحقر من يلحن فهذا موجود فى غيره من العلوم من الفقه وغيره فى بعض الناس وان كان مكروها وان كان يريد بالبغى التجاوز فيما لا يحل فهذا كلام محال فان النحو انما هو العلم باللغة التى نزل بها القرآن وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم وكلام أهل الجنة وكلام أهل السماء ثم قال بعد كلام طويل وقد كان الكتاب فيما مضى أرغب الناس فى علم النحو وأكثرهم تعظيما للعلماء حتى دخل فيهم من لا يستحق هذا الاسم فصعب عليه باب العدد فعابوا من أعرب الحساب وبعدت عليهم معرفة الهمزة التى ينضم وينفتح ما قبلها أو تختلف حركتها وحركة ما قبلها فيكتبون يقرؤه بزيادة ألف لا معنى لها فى كلام آخر يتعلق بالهجاء ليس هذا موضع ذكره . أما التعمق فى الاعراب والمبالغة فيه فان حكمه فى الاستكراه حكم التقعر فى الغريب وقد كانوا يذمون من يتعاناه ويسخرون بمن يتعاطاه قال الاصمعى خاصم عيسى بن عمر النحوى رجلا الى بلال بن أبى بردة فجعل عيسى يشبع الاعراب ويتعمق فى الالفاظ وجعل الرجل ينظر اليه فقال له القاضى لأن يذهب بعض حق هذا أحب اليه من تركه الاعراب فلا تتشاغل به واقصد بحجتك .

وخاصم نحوى نحويا آخر عند بعض القضاة فى دين عليه فقال أصلح الله القاضى لى على هذا درهمان فقال خصمه والله أصلحك الله ان هى الا ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما فهذا وشبهه قد صار مذموما والمتشبث به ملوما ولذلك كان بعض الكتاب لشدة اقتداره على الاعراب يعرب كلامه ولا يخيل الى السامع أنه يعرب فان عرض مع التعمق فى الاعراب لحن كان ذلك أبلغ فى الشناعة وأجدر بتوجه اللوم على صاحبه والسخرية من المتكلم به وقد قال الجاحظ ان أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتشديق والتمطيط والجهورية والتفخيم قال وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طريق السابلة وبقرب مجامع الاسواق وعلى الجملة فالنحو لا يستغنى عنه ولا يوجد بد منه اذ هو حلى الكلام وهو له كما قيل كالملح فى الطعام قال فى المثل السائر والجهل بالنحو لا يقدح فى فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح فى الجهل به نفسه لانه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم ولذلك لم ينظم الشاعر شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما وانما غرضه ايراد المعنى الحسن فى اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة قال ولذلك لم يكن اللحن قادحا فى نفس الكلام لانه اذا قيل جاء زيد راكب بالرفع لو لم يكن حسنا الا بان يقال جاء زيد راكبا بالنصب لكان النحو شرطا فى حسن الكلام وليس كذلك فتبين أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب كلماته وانما الغرض أمر وراء ذلك وهكذا يجرى الحكم فى الخطب والرسائل من المنثور مع ما حكى أن اللحن وقع لجماعة من الشعراء المتقدمين فى شعرهم كقول أبى نواس فى محمد الامين

يا خير من كان ومن يكون * الا النبى الطاهر المأمون

فرفع المستثنى من الموجب . وكقول المتنبى

أرأيت همة ناقتى فى ناقة * نقلت يدا سرحا وخفا مجمرا
تركت دخان الرمث فى أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا
وتكرمت ركباتها عن مبرك * تقعان فيه وليس مسكا أذفرا

فجمع فى حالة التثنية لأن الناقة ليس لها الا ركبتان وقد قال ركباتها واعلم أن اللحن قد فشا فى الناس والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالاعراب عيبا والنطق بالكلام الفصيح عيا . قلت والذى يقتضيه حال الزمان والجرى على منهاج الناس أن يحافظ على الاعراب فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية وفى الشعر والكلام المسجوع وما يدوّن من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها ويغتفر اللحن فى الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به فى مخاطباتهم وعلى ذلك جرت سنة الناس فى الكلام مذ فسدت الالسنة وتغيرت اللغة حتى حكى أن الفراء مع جلالة قدره وعلو رتبته فى النحو دخل يوما على الرشيد

فتكلم بكلام لحن فيه فقال جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين انه قد لحن فقال الرشيد للفراء أتلحن يا يحيى فقال يا أمير المؤمنين ان طباع أهل البدو الاعراب وطباع أهل الحضر اللحن فاذا حفظت أو كتبت لم ألحن واذا رجعت الى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد كلامه . وقد قال الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب فاياك أن تحكيها الا مع اعرابها ومخارج ألفاظها فانك ان غيرتها بأن لحنت فى اعرابها أو أخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير وان سمعت نادرة من نوادر العوام وملحة من ملحهم فاياك أن تستعمل لها الاعراب أو تتخير لها لفظا حسنا فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها التى وضعت لها ويذهب استطابتهم اياها . قال واللحن من الجوارى الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور أيسر وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ولكن اذا كان اللحن على سجية سكان البلد كما يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن فاذا أسنت واكتهلت سئم ذلك الاستملاح قال وممن استملح اللحن فى النساء مالك بن أسماء فقال فى بعض نسائه

أمغطى منى على بصرى للـ ـحب أم أنت أكمل الناس حسنا

وحديث ألذه هو مما * تشتهيه الاسماع يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحيا * نا وخير الحديث ما كان لحنا

والناس فى ذلك كله بحسب البلاد وأهلها ألا ترى أن العرب وان تغيرت ألسنتهم بمخالطة من عداهم فانهم لا يخلو كلامهم من موافقة الاعراب فى بعض الكلام والجرى على قواعد العربية خصوصا عرب الحجاز وأهل البادية منهم وقد قال الجاحظ فى أثناء كلامه ولأهل المدينة ألسنة ذلقة وألفاظ حسنة وعبارة جيدة واللحن فى عوامهم فاش وعلى من لم ينظر منهم فى النحو غالب

المقصد الثانى

(فى كيفية تصرف الكاتب فى علم العربية)

واعلم أن انتفاع الكاتب بالنحو من وجهين . أحدهما الاعراب وما يلحق به ومن أهم ما يعتنى به من ذلك النسب لكثرة استعماله فى الالقاب ونحوها وكذلك العدد فانه مما يقع فيه اللبس على المبتدى ومحل ذلك كله كتب النحو . الثانى فيما يقع الكاتب فيه بطريق العرض فيحتاج من ذلك الى معرفة النحاة ومشاهير أهل العربية كأبى الاسود الدؤلى وسيبويه والفراء وأبى على وأبى عثمان المازنى وغيرهم من المتقدمين وابن عصفور وابن مالك وابن معطى وغيرهم

من المتأخرين وكذلك أسماء كتبهم المشهورة فى هذا الفن من المبسوطات والمختصرات من كتب المتقدمين والمتأخرين ومصطلحاتهم التى اصطلحوا عليها من ذكر الاسم والفعل والمعرفة والنكرة والمبتدا والخبر والحال والتمييز وألقاب الاعراب من الرفع والنصب والجرّ والجزم وغير ذلك مما تجرى به عباراتهم ويدور على ألسنتهم فى استعمالاتهم من قولهم ضرب زيد عمرا ونحو ذلك ليدرج ما عنّ له من ذلك فى خلال كلامه حيث احتاج اليه فى التواقيع والمكاتبات وغيرها قال فى التعريف فى وصية نحوى وهو زيد الزمان الذى يضرب به المثل وعمرو الاوان وقد كثر من سيبويه الملل ومازنى الوقت لكنه لم يستبح الابل وكسائى الدهر الذى لو تقدم لما اختار غيره الرشيد للمأمون وذوالسودد لا أبوالاسود على أنه ذو السابقة والاجر الممنون وهو ذو البرّ المأثور والقدر المرفوع ولواؤه المنصوب وذيل فخاره المجرور والمعروف بما لا ينكر لمثله من الحزم والذاهب عمله الصالح بكل العوامل التى لم يبق منها لحسوده الا الجزم وهو ذو الابنية التى لا يفصح عن مثلها الاعراب ولا يعرف أفصح منها فيما أخذ عن الأعراب والذى أصبحت أهدابه فوق عمائم الغمائم ثلاث ولم يزل طول الدهر يشكر منه أمسه ويومه وغده وانما الكلمات ثلاث فليتصد للافادة وليعلمهم مثل ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة وليكن للطلبة نجما به يهتدى وليرفع بتعليمه قدر كل حبر يكون خبراله وهو المبتدا وليقدم منهم كل من صلح للتبريز واستحق أن ينصب اماما بالتمييز وليورد من موارده أعذب النطاف وليجرّ اليه كل مضاف اليه ومضاف وليوقفهم على حقائق الاسماء ويعرفهم دقائق البحوث حتى اشتقاق الاسم هل هو من السموّ أو من السماء وليبين لهم الاسماء العجمية المنقولة والعربية الخالصة ويدلهم على أحسن الافعال لا ما يتشبه بصفات كان وأخواتها من الافعال الناقصة وليحفظهم المثل وكلمات الشعراء ولينصب نفسه لحد أذهان بعضهم ببعض نصب الاغراء وليعامل جماعة المستفيدين منه بالعطف ومع هذا كله فليترفق بهم فما بلغ أحد علما بقوة ولا غاية بعسف وكما قال الشيخ جمال الدين ابن نباتة رحمه الله من جملة توقيع مدرس ولانه فى البيان ذو الانتقاد والانتقاء والعربى الذى ان كان لرقاب الفضلاء ابن مالك فان قريبه أبو البقاء . وكما كتب القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر فى رسالة اقترحت عليه فى هذا الباب وهى حرس الله نعمة مولاى ولا زال كلم السعد من اسمه وفعله وحرف قلمه يأتلف ومنادى جوده لا يرخم وأحمد عيشه لا ينصرف ولا عدم مستوصل الرزق من براعته التى لا يقف الوصل (١) ولا عدمت نحاة الجود من نواله كل موزون ومعدود ومن فضله وظله كل مقصور وممدود ولا خاطبت الايام ملتمسه الا بلام التوكيد ولا عدوه الا بلام الجحود هذه المفاوضة اليه أعزه الله تفهمه انا بلغنا

(١) بياض بالاصل

أن فلانا قد أضمر سيدنا له فعلا غدا به منتصبا للكائد ومعتلا وليس موصولا كالذى بصلة وعائد وماذاك الالأن معرفتها داخلها التنكير وقدرلها من الاحتمالات أسوأ التقدير ونعوت محبته نكرورت فجاز قطعها بسبب ذلك التكرير وسيدنا يعلم بالعلمية المذكون من الانافة وما لاضافته الى جلالته من الانتماء الذى يجب أن يكون لأجله عيشه به خفضا على الاضافة وكان الظن أن الاشغال التى جعت له لاتكون جمع تكسير بل جمع سلامة وآية لاتكلف تعلما على وصول لانه فى الديوان كالحرف لايخبر به ولا عنه والحرف ليست له علامة وحاش لله أن يصبح معرب احسانه مبنيا وان نزيل كرمه يكون للنكرات بأى محكيا أوأن يأتى سيدنا بالماضى من الافعال فى معنى الاستقبال أوأن يجعل بدل غلطه الابدال للاشتمال أويدغم من مودته مظهرا أوأنه لايجعل لمبتدا محبته مخبرا أوأن لايكون له من أبنية تدبير سيدنا مصدرا ولابرح سيدنا نسيج وحده فى أموره ولازال حله يتناسى الهفوات لايشتغل مفعوله عن فعله بضميره

النوع الرابع
(المعـرفة بالتصـريف)

ويجب على الكاتب المعرفة به ليعرف أصل الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها فيتصرف فيها بالجمع والتصغير والنسبة اليها وغير ذلك لانه اذا أراد جمع الكلمة أوتصغيرها أوالنسبة اليها ولم يعرف الأصل فى حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها ضل حينئذ عن السبيل ونشأ من ذلك مجال للعائب والطاعن . قال ضياء الدين ابن الاثير فى المثل السائر وتظهر لك فائدة ذلك ظهورا واضحا فيما اذا قيل للنحوى الجاهل بعلم التصريف كيف تصغر لفظة اضطراب فانه يقول ضطيريب ولا يلام فى ذلك لأنه الذى تقتضيه صناعة النحو لأن النحاة يقولون اذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أولم يكن حذفته منها نحو قولهم فى منطلق مطيلق وفى جحمرش جحيمرش ولفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الاأن الميم زيدت فيها لمعنى فلذلك لم تحذف وحذفت النون . وأما لفظة جحمرش فخماسية لازيادة فيها وحذف منها حرف أيضا فاذا بنى النحوى على هذا الاصل فاما أن يحذف من لفظة اضطراب الالف أوالضاد أوالطاء أوالراء أوالباء وهذه الحروف غير الالف ليست من حروف الزيادة فلا تحذف بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الاصلى فيصغر لفظة اضطراب حينئذ على ضطيريب ولم يعلم النحوى أن الطاء فى اضطراب مبدلة من تاء وأنه اذا أريد تصغيرها تعاد الى الاصل الذى كانت عليه فيقال ضتيريب فان هذا انما لايعلمه الا التصريفى والنحاة أطلقوا ما أطلقوه من ذلك اتكالا منهم على تحقيقه من علم التصريف اذ كل من النحو

والتصريف علم منفرد برأسه فتكليف النحوى الجاهل بعلم التصريف الى معرفة ذلك كتكليفه ماليس من علمه قال فثبت بما ذكر أن علم التصريف مما يحتاج اليه لئلا يغلط فى مثل ذلك قال ومن العجب أن يقال انه لا يحتاج الى معرفة التصريف وهذا نافع بن أبى نعيم وهو من أكبر القرّاء السبعة قدرا وأفخمهم شأنا قد قال فى معايش معائش بالهمز وهذه اللفظة مما لا يجوز همزه باجماع من علماء العربية لان الياء فيها ليست مبدلة من همزة وانما الياء التى تبدل من الهمزة فى هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا يكون عينا نحو سفائن ولم يعلم نافع الاصل فى ذلك فأخذ عليه وعيب عليه من أجله وذلك أنه اعتقد أن معيشة على وزن فعيلة تجمع على فعائل ولم ينظر الى أن الاصل فى معيشة معيشة على وزن مفعلة لأن أصل هذه الكلمة من عاش لكن أصلها عيش على وزن فعل و يلزم مضارع فعل المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يعيش ثم تنتقل حركة العين الى الفاء فتصير يعيش ثم يبنى من يعيش مفعول فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال معيش به كما يقال مسير به ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير معيشة ومن جملة من عابه أبو عثمان المازنى فقال فى كتابه فى التصريف ان نافعا لم يدر ما العربية . وحكى أبو جعفر النحاس أن عبيد الله بن سليمان نظر فى كتب بعض الكتاب واذا فيه حرف مصلح هو وقد لهوت عن جباية الخراج فاغتاظ وقال لا يحكه غيرى فحكه فأصلحه وقد لهيت بالياء بدل الواو قال وحكى عن أحمد بن اسرائيل مع تقدمه فى الكتابة أنه قال وكانت رسومهم مساناة ثم صارت مشاهرة ثم صارت مياومة ثم صارت مساعاة فأخطأ وكان يجب أن يقول مساوعة قال فى المثل السائر وكثيرا ما يقع أهل العلم فى مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها واذا علم حقيقة الامر فى ذلك لم يقع الغلط فيما يوجب قدحا ولا طعنا قال وقد وقع الغلط لأبى نواس فيما هو أظهر من ذلك وهو قوله فى صفة الخمر

كان صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء درّ على أرض من الذهب

وان فعلى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام منها وإنما يجوز حذفهما من فعلى التى لا أفعل لها نحو حبلى الا أن تكون فعلى أفعل مضافة وهاهنا قد عريت عن الاضافة وعن الألف واللام وكان الصواب أن يقال كان الصغرى والكبرى أو كان صغراها وكبراها فانظر كيف وقع أبو نواس فى مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وغلط أبو تمام أيضا فى قوله

بالقائم الثامن المستخلف اطّأدت * قواعد الملك ممتدًا لها الطول

فقال اطّأدت والصواب اتّطدت لأنّ التاء تبدل من الواو فى موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لأنك اذا بنيت افتعل من الوعد قلت اتّعد وكذلك اتّطدت فى البيت فانه

من وطد يطد كما يقال وعد يعد فاذا بنى من افتعل قيل اتطدت ولا يقال اطأد وأما غير المقيس فقولهم فى وجاه تجاه وقالوا تكلان وأصله الواو لأنه من وكل فأبدلت الواو تاء للاستحسان ثم قال ان المخطئ فى التصريف أندر وقوعا من المخطئ فى النحو لأنه قلما تقع له كلمة يحتاج الى الابدال فى استعمالها والنقل فى حروفها والمعصوم من عصمه الله والكلام فى تصرف الكاتب فى التصريف على ما تقدم فى النحو

النوع الخامس
(المعرفة بعلوم المعانى والبيان والبديع وفيه مقصدان)

المقصد الاول
(فى وجه احتياج الكاتب الى ذلك)

اعلم أنه لما كانت صناعة الكتابة مبنية على سلوك سبل الفصاحة واقتفاء سنن البلاغة وكانت هذه العلوم هى قاعدة عمود الفصاحة ومسقط حجر البلاغة اضطر الكاتب الى معرفتها والاحاطة بمقاصدها ليتوصل بذلك الى فهم الخطاب وانشاء الجواب جاريا فى ذلك على قوانين اللغة فى التركيب مع قوة الملكة على انشاء الاقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء من الخطب والرسائل والأشعار من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن وتأديتها المطلوب بها وتكميل الاقاويل الشعرية نثرا كانت أو نظما فى بلوغها غايتها وتأديتها ما هو مطلوب بها وانها كيف تتعين بحسب الاغراض لتفيد ما يحصل بها من التخيل الموجب لانتقال النفس من بسط وقبض والشئ يذكر بضده فيذكر المحاسن بالذات والعيوب بالعرض قال أبو هلال العسكرى فان صاحب العربية اذا أخل بطلب هذه العلوم وفرط فى التماسها فاتته فضيلتها وعلقت به رذيلة فوتها عفى على جميع محاسنه وعمى سائر فضائله لأنه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر ردىء ولفظ حسن وآخر قبيح وشعر نادر وآخر بارد بان جهله وظهر نقصه واذا أراد أن ينشئ رسالة أو يضع قصيدة وقد فاتته هذه العلوم مزج الصفو بالكدر وخلط الغرر بالعرر فجعل نفسه مهواة للجاهل وعبرة للعاقل وكذلك اذا أراد تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذه ساء اختياره وقبحت آثاره فأخذ الردىء المردود وترك الجيد المقبول فدل على قصور فهمه وتأخر معرفته مع ما فى هذه العلوم الثلاثة من الوسيلة الى فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اللذين منهما يستمد الكاتب شريف المعانى ويستعير فصيح الألفاظ بل منهما تستفاد سائر العلوم وتقتبس نفائس الفضائل قال وقبيح لعمرى بالفقيه المؤتم به والقارئ المقتدى بهديه والمتكلم

المشار اليه فى حسن مناظرته وتمام آلته فى مجادلته وشدة شكيمته فى حجاجه وبالعربى الصليب والقرشى الصريح أن لا يعرف فهم اعجاز كتاب الله إلا من الجهة التى يعرفها منها الزنجى والنبطى وأن يستدل عليه بما يستدل به الجاهل الغبي على أن الشيخ بهاء الدين السبكى رحمه الله قد ذكر فى شرح تلخيص المفتاح أن أهل مصر لا يحتاجون الى هذه العلوم وأنهم يدرونها بالطبع فقال فى أثناء خطبته أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التى هى أرق من النسيم وألطف من ماء الحيا فى المحيا الوسيم أكسبهم النيل تلك الحلاوة وأشار اليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الاعمار الاعمار ويرون فى مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار

والسيف مالم يلف فيه صيقل * من طبعه لم ينتفع بصقال

فيالها غنيمة لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب ولم يزحف اليها بعدو عيدية ولا بلحاق لاحق وانسكاب سكاب فلذلك صرفوا هممهم الى العلوم التى هى نتيجة أو مادة لعلم البيان كاللغة والنحو والفقه والحديث وتفسير القرآن ثم قال وأما أهل بلاد الشرق الذين لهم اليد الطولى فى العلوم ولاسيما العلوم العقلية والمنطق فاستوفوا هممهم الشامخة فى تحصيله واستولوا بجدهم على جملته وتفصيله ووردوا مناهل هذا العلم فصدروا عنها بملء سجلهم وكيف لا وقد أجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم فلذلك عمروا منه كل دارس وعبروا من حصونه المشيدة ما رقد عنه الحارس وبلغوا عنان السماء فى طلبه ولو كان الدين فى الثريا لناله رجال من فارس الى أن خرج عنهم المفتاح فكأن الباب أغلق دونهم وظهر من مشكاة بلاد الغرب المصباح فكأنما حيل بينه وبينهم وأدارت المنون على قطبهم الدوائر فتعطلت بوفاته من علومه أفواه المحابر وبطون الدفاتر وانقطعت زهراتهم الطيبة عن المقتطف وتسلط على العضد لسان من يعرف نيف تؤكل الكتف فلم نظفر بعد هؤلاء الأئمة رحمهم الله من أهل تلك البلاد بمن مخض هذا العلم فألقى للطالب زبدته ومحض النصح فنشر على أعطاف العارى بردته ولا جلت قبول القبول الينا عنهم بطاقة ولا حصلت للمتطلعين لهذا العلم على تلك الابواب طاقة ولا رأينا بعد أن انطمست تلك الشموس المشرقة واندرست طبقة تحرى الفرقة ولم يبق إلا رسوم هى من فضائلهم مسترقة من أطلع غصن قلمه من روض الاذهان زهرة على ورقة بل ركدت بينهم فى هذا الزمان ريحه وخبت مصابيحه وناداهم الأدب سواكم أعنى ورب كلمة تقول دعنى

وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى الا بلاء

فعند ذلك أزمع هذا العلم الترحل وآذن بالتحول

واذا الكريم رأى الخمول نزيله * فى منزل فالرأى أن يتحولا

وفزع الى مصر فألقى بها عصا التسيار وأنشد من نادى من تلك الديار

أقمت بأرض مصر فلا ورائى * تخب بى الركاب ولا أمامى

ولقد أحسن رحمه الله فى بيان السبب والتعويل فى انجبال أهل مصر على هذا العلم على علاقة الصهر والنسب حيث قال فى أوائل خطبته فى أثناء الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما خفقت للبلاغة راية مجد فى بنى غالب بن فهر وتعلقت بأزمة الفصاحة أهل مصر لما لهم من نسب وصهر . قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى رحمه الله فى كتابه حسن التوسل الى صناعة الترسل وهذه العلوم وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب والطبع السليم والقريحة المطاوعة والفكرة المنقحة والبديهة المجيبة والروية المتصرفة لكن العالم بها متمكن من أزمة المعانى وصناعة الكلام يقول عن علم ويتصرف عن معرفة وينتقد بحجة ويتخير بدليل ويستحسن ببرهان ويصوغ الكلام بترتيب وحقيق ما قاله فان الاديب والكاتب العاريين عن هذه العلوم قاصران عن أدنى رتب الكمال يجيدان ولا يدريان كيف يجيبان فلو سئل كل منهما عن علة معنى استحسنه أو لفظ استحلاه أو تركيب استجاده لم يقدر على الاتيان بدليل على ذلك . وقد حكى الامام عبد القادر الجرجانى قال ركب الكندى المتفلسف الى أبى العباس وقال له انى أجد فى كلام العرب حشوا فقال له أبو العباس فى أى موضع قال وجدت العرب تقول عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ متكررة والمعنى واحد فقال له أبو العباس لا بل المعانى مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه فما أحار المتفلسف جوابا فاذا ذهب مثل هذا على الكندى فما الظن بغيره وان كان من محاسن الكلام ما لا يحكم فى امتزاجه بالقلوب غير الذوق الصحيح كما قال الشاعر

شئ به فتن الورى غير الذى * يدعى الجمال ولست أدرى ما هو

لكن الغالب فى الكلام أن يعلم سبب تحسينه وتعليل مواد تمكينه ويجاب عن العلة فى انحطاطه وارتفاعه ويذكر المعنى فى ارتقائه من حضيض القول الى يفاعه . قلت وهذا العلم وان شحن أئمة الكتاب كما قال أبو هلال العسكرى فى كتابه الصناعتين والوزير ضياء الدين ابن الأثير فى المثل السائر والشيخ شهاب الدين محمود الحلبى فى حسن التوسل فانه ليس مختصا بفن الكتابة بل هو آلة لكل كلام اقتضى البلاغة كما أن المنطق آلة لكل العلوم العقلية التى يحتاج منها الى تصحيح الفكر وقد أكثر الناس من المصنفات فيه كالرمانى والجرجانى وغيرهما وأكثر اعتماد أهل الزمان فيه على تلخيص المفتاح للقاضى جلال الدين القزوينى فأغنى ما وضع فيه عن ايراده هنا

المقصـــد الثـانى
(فى كيفية انتفاع الكاتب بهذه العلوم)

غير خاف أنه اذا مهر فيها وعرف طرقها أتى فى كلامه بالسحر الحلال وصاغ من ألفاظه ومعانيه ما يقضى له بالفصاحة التامة والبلاغة الكاملة من وجوه تحقيق الكلام وتحسينه وتدبيجه وتنميقه واذا فاتته هذه العلوم أو كان ناقصا فيها نقصت صناعته بقدر ما ينقص من ذلك ثم كما يحتاج الى هـذه العلوم بطريق الذات كذلك يحتاج اليها بطريق العرض من جهة المعرفة بالبلغاء الذين يضرب بهم المثل فى البـلاغة كقس بن ساعده وسحبان وائل وعمرو بن الاهتم ونحوهم من بلغاء العرب وابن المقفع ونحوه من المحدثين . وكما قيل فى عى باقل وهو رجل انتهى به العى الى أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فسأله سائل فى الطريق وهو ممسك الظبى بكم اشتريته فلم يحسن التعبير عن أحد عشر ففرق أصابعه العشرة وأخرج لسانه مشيرا الى أحد عشر فتفلت الظبى وفر هاربا . وكمعرفة أئمة الصناعة كالجرجانى والرمانى وكذلك المعرفة بالاسماء التى اصطلح عليها أهلها من الفصل والوصل والتشبيه كما تقدم والمقابلة والمطابقة وغير ذلك من أنواعها .
أما احتياجه الى المعرفة بأسماء البلغاء ولغة أهل الصناعة فلأنه ربما احتاج الى تفضيل بعض من يكتب له ممن ينسب مثـله الى البلاغة فيفضله بمساواته لبليغ من البلغاء أو امام من أئمة الصنعة كما كتب الوزير ضياء الدين ابن الأثير فى ذم كاتب هذا وهو يدعى أنه فى الفصاحة أمة وحده ومن قس اياد وسحبان وائل عنده وكما قال بعضهم يهجو ضيفا له

أتانا وما داناه سحبان وائل * بيـانا وعلما بالذى هو قائل
فمـا زال عند اللقم حتى كأنه * من العى لمـا أن تكلم باقل

ومما أثنى على ذكر جماعة من أهل هذا الشأن قولى فى كلام قليل جاء ذكره فى آخر رسالة كتبت بها فى تقريظ المقر الفتحى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالابواب السلطانية بالديار المصرية وهو على أنى أستقيل من التقصير فى اطرائه والتعرض من مدحه لما لا أنهض باعبائه فلو أن الجاحظ نصيرى وابن المقفع ظهيرى وقس بن ساعدة يسعدنى وسحبان وائل ينجدنى وعمرو ابن الاهتم يرشدنى لكان اعترافى بالتقصير أبلغ مما آتيه واقرارى بالقصور أولى مما أخفيه من توالى طوله وأياديه

وأما احتياجه الى معرفة ألفاظ أهل الصناعة فلأنه ربما ورى بها فى تفاصيل كلامه ونحو ذلك كما كتب الشيخ زين الدين أبو بكر بن العجمى على البديعية التى نظمها عيسى العالية الشاعر مضاهيا بها بديعية الصفى الحلى . فقال وبعد فقد وقفت على هذه المعجزة التى أحيا بها عيسى

بيت البديع وجوّد ماشاء فيهامن التصريع والترصيع ورقم لأعطافها حلل التوشيح والتوشيع ونظم لأجياد أبياتها فرائد المعانى المستخرجة من بحر فكره على يد براعه المريع وقلدها من درر لفظه بماهو أزهى من زهر الزهر على نهر المجرّة وهالات البدور وشنف المسامع منها بما هو أبهى من النور فى العيون وأوقع من الشفاء فى الصدور وأولج الليل فى النهار بما طرس به الطروس وأطلع فى ذلك الليل من ناصع معانيه نجوما تزهى على الشموس وأودع المهارق شذورا تزيف ذهب الاصائل وتسفر عن وجوه حسان تفوق ابتسام ثغور الازاهر بين الخمائل وسلك فى البديع طريقة مثلى أظهر فيها من شهد ألفاظه وجواهر معانيه ما حلا وحلى ولم يدع للحلى فى بهجتها محلا وأحسن التذييل والترشيح والتهكم عليه من غير التفات لما أهمله ولم يتعرض اليه وعادت المعانى تأوى من حسن تصرفه الى ركن شديد وتحوى بشبا أقلامه كل ما رامه من تأييد التأييد وتلقى مقاليدها منه الى ملىّ بحسن التخيل والتحول فى نظمه ونثره وتحكم لمن حكم له بكمال وصفه ووصف كماله بأنه نسيج وحده وفريد عصره وأجرى فى حلبة البديع جياد أقلامه فحاز قصب الرهان وأصفى لها موارد النفس فارتوت واستخرجت من ظلماته جواهر البيان ونطقت بما هو المألوف من غرائب حكمه الحسان وتأملتها فوجدتها قد أجاد فيها براعة المطلع وبالغ فى تحسين المنزع والمقطع ودخل جنان الجناس فاجتنى من قطوفها الدانية ما راق واطردت له أنهارها فاستطرد منها فى أعلى الطباق وقابل وجوه حورها أحسن المقابلة آمنا فيها من الاشتراك والمماثلة وأوضح الفروق بين التورية والايهام والتوجيه والاستخدام وأبان فى التتميم نقص أبى تمام وأوجب فى ابهامه عقد الخناصر على نظمه وفوض بنزاهته التسليم له وطلب سلمه ولم يقنع بما فيه الاكتفاء من التذييل والتذنيب بل أتى فى الاستدراك على من تقدمه بالعجب العجيب معتمدا فى تكميل مقاصده الاقتصار والايجاز ولو ادّعى الاعجاز على الحقيقة لا المجاز لجاز وتحققت أن ليس له فى هذا الفن مقاو ولا مقاوم ولا مساو ولا مساوم فكم جلب من بحر براعته درّة أشرقت فى ليالى الفترة المسودّة وكم حلب من ثدى براعته درّة لها ألف زبدة وكم بلغ الناظر من وصف بيانه مجمع البحرين وسمع ورأى من فصله الجزل وفضله الجزيل ما هو غنية المراد ومراد العين وكم جلا من عرائس أفكاره وابتكاره صباح الوجوه الصباح وخفق فى الخافقين لمقاصده وبصائره جناح النجاح قد أصبحت كلماته لخصور الفرائد مناطق ولبدور الفوائد مشارق ولطلائع أسرار المثانى آلات ولمطالع أقمار المعانى هالات وقد وقعت حين وقفت على بديعيته هذه بين داءين كل منهما الاخطر وبين أمرين كل منهما الاعسر ان لم أكتب عليها شيأ فقد أخللت بالفرض الواجب وان كتبت فقد فضحت نفسى وعرضتها للعائب ولكنى رحت على ظلعى متحاملا وغدوت على حسب طاقتى فى هذا الباب قائلا

عاش البديع وكان ميتا وانثنى * بادى المحاســن زاهيا محروسا
أحيـاه عيسى نجل حجاج وكم * من ميت أحياه قدما عيسى

النوع السادس

(حفظ كتاب الله العزيز وفيه مقصدان)

المقصـــد الاول

(فى بيان احتياج الكاتب الى ذلك فى كتابته)

قال فى حسن التوسـل ولا بد للكاتب من حفظ كتاب الله تعـالى وادامة قراءته وملازمة درسه وتدبر معانيه حتى لا يزال مصورا فى فكره دائرا على لسانه ممثلا فى قلبه ليكون ذاكرا له فى كلامه وكل ما يرد عليـه من الوقائع التى يحتاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى قيام قواطع الادلة عليها فلله الحجة البالغـة وكفى بذلك معينا له على قصده ومغنيا له عن غيره . قال تعـالى (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) وقال جل وعز (تبيانا لكل شئ) . قال فى المثل السائر كان بعضهم يقول لو ضاع لى عقـال لوجدته فى القرآن الكريم . قال فى حسن التوسـل وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهـد لكل ما يدور بين النـاس فى محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه وعجز الانس والجن عن الاتيان بسورة من مثله كما حكى أن سائلا سأل بعض العلماء أين تجد فى كتاب الله معـنى قولهم الجار قبل الدار . قال فى قوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فطلبت الجار قبل الدار ونظائر ذلك كثيرة . وقد اختلف فى جواز الاستشهاد بالقرآن الكريم فى المكاتبات ونحوها فذهب أكثر العلماء الى جواز ذلك ما لم يحل عن لفظه ولم يتغير معناه . فقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فى كتابه الى هرقل (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله مسلمون) وروى ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . فكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى عهده لعمر بن الخطاب (ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) على ما سـيأتى فى ذكر عهود الخلفاء عن الخلفاء ان شاء الله تعالى . وكتب على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى آخر كتاب الى معاوية وقد علمت مواقع سيوفنا فى جدك وخالك وأخيك (وما هى من الظالمين ببعيد) وقال للمغيرة بن شعبة لما أشار عليـه بتولية معاوية (وما كنت متخذ المضلين عضدا) . وكتب الى عامل من عماله بعـد البسملة (قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم

ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) وقال الحسن بن على لمعاوية حين نازعه فى الخلافة (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) ويروى عن ابن عباس مثله . وكتب الحسن الى معاوية أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) . وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن على الى المنصور فى صدر كتاب (طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون الى قوله ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) ولم يزل العلماء وفضلاء الكتاب يستشهدون بالقرآن الكريم فى مكاتباتهم فى القديم والحديث من غير نكير وذلك كله دليل الجواز . ونقل عن الحسن البصرى ما يدل على كراهة ذلك حيث بلغه أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية فقال أنسى نفسه حين كتب الى عبد الملك بن مروان بلغنى أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما . قال فى حسن التوسل واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره على الحجاج لكونه أنكر على غيره ما فعله هو وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز الاستشهاد به الا فيما يضاف الى الله سبحانه مثل قوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) ونحو ذلك مما يقتضيه الادب مع الله تعالى فأما تغيير شئ من اللفظ أو احالة معنى عما أريد به فلا يجوز بحال قال فى المثل السائر واذا ضمنت الآيات فى أماكنها اللائقة بها ومواضعها المناسبة لها فلا شبهة فيما يصير الكلام من الفخامة والجزالة والرونق قال فى حسن التوسل ومن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم اقامة الحجة وقطع النزاع واذعان الخصم قال فى حسن التوسل وأين قول العرب القتل أنفى للقتل لمن أراد الاستشهاد فى هذا المعنى من قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) . وقد روى أن الحجاج قال لبعض العلماء أنت تزعم أن الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتنى على ذلك بشاهد من كتاب الله تعالى والا قتلتك فقرأ عليه (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى) فعيسى ابن بنته فأسكت الحجاج وأيضا فان الآية الواحدة تقوم فى بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والادلة القاطعة فمن أخصر ما وقع فى ذلك وأبلغ أنه كان على الروم بهرقلة فى أيام الرشيد امرأة منهم وكانت تلاطف الرشيد ولها ابن صغير فلما نشأ فوضت الامر اليه فعاث وأفسد وخاشن الرشيد فخافت على ملك الروم فقتلت ولدها فغضب الروم لذلك فخرج عليها رجل منهم يقال له يقفور فقتلها واستولى على الملك وكتب الى الرشيد أما بعد فان هذه المرأة وضعتك موضع الشاه ووضعت نفسها موضع الرخ وينبغى أن تعلم أنى أنا الشاه وأنت الرخ فأد الى ما كانت المرأة تؤدى اليك فلما قرأ الكتاب قال للكتاب أجيبوا عنه

فأتوا بعالم يرتضه وكان الرشيد خطيبا شاعرا . فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
هارون أمير المؤمنين الى يقفور كلب الروم أما بعد فقد فهمت كتابك والجواب ما تراه لا ما تسمعه
والسلام على من اتبع الهدى ثم خرج فى جمع لم يسمع بمثله فتوغل فى بلاده وقتل وسبى فأوقد
يقفور فى طريقه نارا شديدة فخاضها محمد بن يزيد الشيبانى وتبعه الناس حتى صاروا من ورائها
فلما رأى يقفور أنه لا قبل له به صالحه على الجزية يؤديها عن رأسه وعن سائر أهل مملكته .
وكتب ملك الروم الى المعتصم يتوعده ويتهدده فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه فلم يعجبه مما
كتبوا شيأ فقال لبعضهم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت
خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع (وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) هذا مع ما ينسب اليه
المعتصم من ضعف البصر بالعربية كما تقدم فى الكلام على اللغة ولا يستنكر مثل ذلك على
الطبع السليم والرجوع الى سلامة العنصر وطيب المحتد ومثل ذلك فى الجواب وأخصر منه
أن الادفونش ملك الفرنج بالاندلس كتب الى يعقوب بن عبد المؤمن أمير المسلمين بالاندلس
بخط وزير له يقال له ابن الفخار باسمك اللهم فاطر السموات والارض والصلاة على السيد المسيح
ابن مريم الفصيح أما بعد فلا يخفى على ذى ذهن ثاقب وعقل لازب أنى أمير الملة النصرانية
كما أنك أمير الملة الحنيفية وقد علمتم ما هم عليه رؤساء جزيرة الاندلس من التخاذل والتواكل
والاخلاد الى الراحة وأنا أسومهم الخسف وأخلى منهم الديار وأجوس البلاد وأسبى الذرارى
وأقتل الكهول والشبان لا يستطيعون دفاعا ولا يطيقون امتناعا فلا عذر لك فى التخلف
عن نصرهم وقد أمكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون أن الله عز وجل فرض عليكم قتال عشرة منا
بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فلتقاتل عشرة منكم الواحد منا
ثم بلغنى أنك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة الاقبال وتماطل نفسك عاما بعد عام
وأراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولست أدرى ان كان الجبن أبطأك أو التكذيب بما أنزل عليك
ربك ثم حكى لى أنك لا تجد الى الجواز سبيلا لعلة لا يجوز لك التقحم معها فأنا أقول ما فيه الراحة
لك وأعتذر لك وعنك على أن تفى لى بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهن وترسل الى جملة
من عبيدك بالمراكب والشوانى وأجوز بجملتى اليك وأبارزك فى أعز الاماكن عليك فان
كانت لك فغنيمة وجهت اليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك
وأستوجب سيادة الملتين والحكم على الدينين والله تعالى يسهل ما فيه الارادة ويوفق للسعادة
لا رب غيره ولا خير الا خيره . فكتب رحمه الله جوابا على أعلى كتابه (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) ونظير ذلك أن السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب كتب الى الديوان العزيز ببغداد كتابا يعدد فيه مواقفه فى اقامة دعوة بنى العباس بمصر

فكتب جوابه من ديوان الخلافة (يمنون عليك ان أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين)

المقصد الثانى

(فى كيفية استعمال آيات القرآن الكريم)

واعلم أن تضمين الكلام بعض آى القرآن الكريم ينقسم عند أهل البلاغة الى قسمين

أحدهما — الاستشهاد بالقرآن الكريم وهو أقلهما وقوعا فى الكلام ودورانا فى الاستعمال وهو أن يضمن الكلام شيأ من القرآن الكريم وينبه عليه مثل قول الحريرى فى مقاماته فقلت وأنت أصدق القائلين (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) . وقول أبى اسحاق فى عهد لملك عن خليفة بعد الامر بالتقوى والحث عليها فاذا اطلع الله منه على نقاء جيبه وطهارة ذيله وصحة مروءته واستقامة سيرته أعانه على حفظ ما استحفظه وأنهضه بثقل ما حمله وجعل له مخلصا من الشبهة ومخرجا من الحيرة فقد قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقد قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال عز اسمه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) الى آى كثيرة حضنا بها على كرم الخلق وأسلم الطرق فالسعيد من نصبها رأى ناظره والشقى من نبذها وراء ظهره وأشقى منه من يحث عليها وهو صادف عنها فأجاب اليها وهو بعيد منها وله ولامثاله يقول الله عز وجل (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وأكثر مشى الصابى فى كتابه على هذا الاسلوب من الاستشهاد والتنبيه على آى القرآن فى خلال كلامه دون الاشارة اليه والاقتصار على اقتباس معناه ومن ذلك قول علاء الدين ابن غانم من خطبة قدمة كتب بها للمظفر الدين موسى بن أقوش وقد صرع لغلغة وادعى بها للملك المؤيد صاحب حماه نحمده على توفيقه الذى ساد به من ساد وسما وأصاب بتفويقه بمعونة ربه طير السما فحسن أن يتلى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ومن ذلك قولى فى المقامة التى أنشأتها فى كتابة الانشاء فى الكلام على فضل الكتابة فقد نطق القرآن الكريم بفضلها وجاءت السنة الغراء بتقديم أهلها فقال تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه (اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فأخبر تعالى أنه علم بالقلم حيث وصف نفسه بالكرم اشارة الى أن تعليمها من جزيل نعمه وايذانا بأن منحها من أوفر جوده وفائض ديمه وقال جلت قدرته (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون) فأقسم بالقلم وما سطرته الاقلام وأتى بذلك فى آكد قسم فكان من أعظم الاقسام وقال جلت عظمته (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) فجعل الكتابة من وصف الكرام

كما قد جاء فعلها عن جماعة الانبياء عليهم السلام وانما منعها النبي صلى الله عليه وسلم معجزة قد بين الله تعالى سببها حيث ذكر أخبارهم بقوله (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها) وقولي من هذه المقامة فى التعبير عن المقر البدرى ابن فضل الله . قلت حسبك قد دلني عليه عرفه وأرشدنى اليه وصفه وبان لى محتده الفاخر وحسبه الصميم وعرفت أصله الزاكى وفرعه الكريم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقولي فى اختتام هذه المقامة معبرا عن المقر البدرى المشار اليه فلما تحققت أني قد أثبت فى ديوانه وكنت من جملة غلمانه رجعت القهقرى عن طلب الكسب وتساوى عندى المحل والخصب فاستغنيت بنظرى اليه عن الطعام والشراب وتحققت أن نظرة منه ترقيني الى السحاب وتلوت بلسان الصدق على الملأ وهم يسمعون (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وقولي فى بيعة خليفة أنشأتها بعد ذكر تحليف أهل البيعة وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس العقد من الأئمة الاعلام والشهود والحكام وجعلوا الله على ما يقولون وكيلا فاستحق عليهم الوفاء بقوله تعالى (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) وهم يرغبون الى الله تعالى أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور ويلجؤن اليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى اليه بقوله (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) وقولي فى بيعة أخرى والله يجعل انتقالهم من أدنى الى أعلى ومن يسرى الى يمنى ويحقق لهم عن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)

الثانى - الاقتباس وهو أن يضمن الكلام شيأ من القرآن ولا ينبه عليه كقوله فى خطبة التعريف نحمده على فوائد زادت محاسن العلوم وعرفت تفاوت درجات الأولياء اذ قالوا (وما منا الا له مقام معلوم) وقوله بعد ذلك وسماء الشبيبة بضحى المشيب قد تجلت والنفس قد ألقت ما فيها وتخلت . وقول ابن نباتة السعدى فى بعض خطبه فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون مالكم لا تسمعون (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون) . وقوله يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) . وقول غيره أتظنون أنكم دون غيركم مخلدون (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) . وقول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب . وقوله (أنا آتيكم بتأويله) وأميز صحيح القول من عليله .

وقول ضياء الدين ابن الاثير فى فصل من كتاب فى مدح الجود وذم البخل وقد علم أن المال الذى يختزن كالماء الذى يحتقن فكما أن هذا يأجن بتعطيل الايدى عن امتياح مشاربه فكذلك يأجن هذا بتعطيل الايدى عن امتناع مواهبه وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تملك به القلوب وتقل به الخطوب ويركب به ظهر العزم الذى ليس بركوب ومن بسط يده فيه ثم قبضها بخله فانه يقعد دون الرجال مغمورا ويقعد عن نيل المعالى محسورا واذا أدركته منيته مضى وكأنه لم يكن شيأ مذكورا . وقوله فى وصف كاتب له بنت فكر ما تمخضت بمعنى الا انتجته من غير ما تمهله (وأتت به قومها تحمله) ولم تعرض على ملأ من البلغاء الا ألقوا أقلامهم أيهم يستعيره لا أيهم يكفله . وقول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي من عهد لسلطان وجمع بك شمل الامة بعد أن كاد يزيغ قلوب فريق منهم وعضدك لاقامة امامته بأولياء دولتك الذين رضى الله عنهم وخصك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمر وابه من طاعتك وهم فارهون (وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) . وقوله من عهد السلطان الملك المنصور لاجين وجعل عدوه وان أعرض بجيوش الرعب محصورا وكفاه بالنصر على الاعداء التوغل فى سفك الدماء (فلم يسرف فى القتل انه كان منصورا) . وقوله فى خطبة صداق فى وصف نكاح وأحيا به الامم وقد تفضى دينهم وجمع بين متفرقين لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم . وقوله من توقيع بامامة صلاة وليعلم أنه فى المحراب مناجيا لربه واقفا بين يدى من يحول بين المرء وقلبه . وقولى فى خطبة هذا الكتاب فى الاشارة الى فتح الديار المصرية فتوجهت اليها عزائم الصحابة زمن الفاروق فجاسوا خلال الديار وعرها وسهلها واقتطعتها أيدى المسلمين من الكفار وكانوا أحق بها وأهلها . وقولى فى المقامة المتقدمة الذكر قال اذن قد تعلقت من الصنعة بأسبابها وأتيت البيوت من أبوابها . وقولى فيها قلت قد بانت لى علومها فما رسومها قال ان أعباءها الباهظة لجلا وانها الكبيرة الا ولكن سأحدث لك ذكرا وأنبئك بما لم تحط به خبرا . وقولى فى المفاخرة بين السيف والقلم فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قامت بنصرتهم دولة الاسلام فسمت بهم على سائر الدول وكرعت فى دماء الكفر سيوفهم فعادت بخلوق النصر لا بحمرة الخجل صلاة تنقضى دون انقضائها تعاقب الايام وتكل ألسنة الاقلام عن وصفها ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وربما اقتصر على التلويح والاشارة خاصة كقول القاضى الفاضل فيما كتب به عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى الديوان العزيز ببغداد فى الاستصراخ وتهويل أمر الفرنج رب انى لا أملك الا نفسى وها هى فى سبيلك مبذولة وأخى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبولة . وقول ضياء الدين ابن الاثير فى وصف غبار الحرب وعقد العجاج سقفا فانعقد وأرانا كيف رفع السماء بغير عمد غير أنها

سماء بنيت بسنابك الجياد وزينت بنجوم الصعاد ففيها ما يوعد من المنايا لاما يوعد من الارزاق ومنها يقذف شياطين الحرب لا شياطين الاستراق . قال الوزير ضياء الدين ابن الاثير رحمه الله والطريق فى استنباط المعانى من القرآن الكريم واستعمال الآيات فى خلال الكلام أن تعمد الى سورة من القرآن وتأخذ فى تلاوتها وكلما مر بك معنى أثبته فى ورقة مفردة حتى تنتهى الى آخرها ثم تأخذ فى استعمال تلك المعانى التى ظهرت وادخالها فى خلال الكلام وكلما عادت التلاوة وكررتها ظهر لك من المعانى ما لم يظهر لك فى المرة التى قبلها ولتعلم أن الآية الواحدة قد تقع فى الاستعمال على عدة وجوه يورده الناثر فى معنى ثم ينقله لمعنى آخر غيره كما فعل ضياء الدين ابن الاثير فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) . فقال فى دعاء كتاب وصل كتاب من الحضرة السامية أحسن الله أثرها وأعلى خطرها وقضى من العلياء وطرها وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها ثم أبرزه فى معنى آخر فقال أكرم النعم ما كان فيه ذكرى للعابدين وتقدمه انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين فهذه النعمة هى التى تأتى بتيسير العسير وتجلو ظلمة الخطب بايضاح المنير فانظر الى أثر رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ثم نقله الى معنى آخر فقال من تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء وقد علم أن أمير المؤمنين أدنى مجلسه من سمائه وآنسه على وحدة الانفراد بمحفل نعمائه ورفعه حتى ودت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من ندمائه وذلك مقام لا تستطيع الجدود أن ترقى الى رتبته ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ولا الشفاه أن تتشرف بتقبيل تربته فليزدد اعجابا بما ناله من مواطئ أقدامه ولينظر الى سجود الكواكب له فى يقظته لا فى منامه . قال فى حسن التوسل والناس فى استخراج المعانى من القرآن الكريم واستعمالها فى الكلام على قدر طبقاتهم وتفاوت درجاتهم فمفرط فى الحسن ومفرط وفوق كل ذى علم عليم . قلت وكما يحتاج الكاتب الى حفظ كتاب الله تعالى والعلم بتفسيره ليقتبس من معانيه كذلك يحتاج الى معرفة العلوم المختصة به كالعلم بالقرا آت السبع والشواذ ومعرفة رجالها ومن اشتهر منهم وعرف بجودة القراءة ومعرفة أعيان المفسرين ورؤسهم ليماثل بافاضلهم ويقايس باعيانهم فى خلال ما يعرض له من الكلام مطابقا لذلك كما قال فى التعريف فى وصية مقرى فى القسم الثالث من الكتاب وليدم على ما هو عليه من تلاوة القرآن فانه مصباح قلبه وصلاح قربه وصباح القبول المؤذن له برضا ربه وليجعل سوره له اسوارا وآياته تظهر بين عينيه أنوارا وليتل القرآن بحروفه واذا اقرأ استعاذ وليجمع طرقه وهى التى عليها الجمهور ويترك الشواذ ولا يرتدون غاية لاقصار ولا يقف فبعد أن أتم لم يبق

بحمد الله احصار وليتوسع فى مذاهبه ولا يخرج عن قراءة القراء السبع أئمة الامصار وليبذل للطلبة الرغاب وليشبع فان ذوى النهمة سغاب وليرى الناس ماوهبه الله من الاقتدار فانه احتضن السبع ودخل الغاب وليتم مبانى ما أتم ابن عامر وأبو عمرو له التعمير ولفه الكسائى فى كساه ولم يقل جدى ابن كثير وحمى به لحمزة أن يعود ذاهب الزمان وعرف أنه لا عاصم من أمر الله يلجأ معه اليه وهو الطوفان وتدفق يتفجر علما وقد وقفت السيول الدوافع وضرأ كثر قراء الزمان لعدم تفهيمهم وهو نافع وليقبل على ذوى الاقبال على الطلب وليأخذهم بالتربية فما منهم الا من هو اليه قد انتسب وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النعماء ووصل سببه منه بحبل الله الممتد من الارض الى السماء فليقدر حق هذه النعمة بحسن اقباله على التعليم والانصاف اذا سئل فعلم الله لا يتناهى وفوق كل ذى علم عليم

النوع السابع

(الاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام وفيه مقصدان)

المقصد الاول

(فى بيان وجه احتياج الكاتب الى ذلك)

قال فى حسن التوسل لابد للكاتب من حفظ الكثير من الاحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم وخصوصا فى السير والمغازى والاحكام وتأمل فصاحتها والنظر فى معرفة معانيها وغريبها وفقه ما لابد من معرفته من أحكامها لينفق منها على سعة ويستشهد بكل شئ فى موضعه ويحتج بمكان الحجة ويستدل بموضع الدليل ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ويبنى كلامه على أصل لا يزلزل ويسوق مقاصده الى سبيل لا يضل عنه فان الدليل على المقصد اذا استند الى النص قويت فيه الحجة وسلم له الخصم وأذعن له المعاند والفصاحة والبلاغة اذا طلبت غايتها فانها بعد كتاب الله فى كلام من أوتى جوامع الكلم وقال أنا أفصح من نطق بالضاد وقد كان الصدر الاول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم يحتجون بالحديث ويستدلون به فى مواطن الخلاف والنزاع فينقاد الجموح ويستسهل الصعب وقد رجع الانصار يوم السقيفة الى حديث الائمة من قريش حين رواه لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأذعنوا له وبايعوه بعدما اجتمعوا الى سعد بن عبادة وقالوا منا أمير ومنكم أمير على ما سيأتى بيانه فى موضعه ان شاء الله ورجع عمر رضى الله عنه لحديث النهى عن دخول بلد الطاعون فعاد الى المدينة بعد أن قارب الشام حين بلغه أن به الطاعون . وقال على رضى الله عنه فى حق الانصار

لو زالوا لزلت معهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أزول معكم حيث مازلتم ثم الذى أشار اليه ابن قتيبة فى أدب الكاتب أن الأحاديث التى ينبغى للكاتب حفظها الأحاديث المتعلقة بالفقه وأحكامه كقوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه والخراج بالضمان وجرح العجماء جبار ولا يغلق الرهن والمنحة مردودة والعارية مؤداة والزعيم غارم ولا وصية لوارث ولا قطع فى ثمر ولا كثر ولا قود الا بحديدة والمرأة تعاقل الرجل الى ثلث ديتها ولا تعقل العاقلة عمدا ولا عبدا ولا صلحا ولا اعترافا ولا طلاق فى اغلاق والبيعان بالخيار مالم يتفرقا والجار أحق بصقبه والطلاق بالرجال والعدة بالنساء وكنهيه فى البيوع عن المخابرة والمحاقلة والمزابنة والمعاومة والثنيا وعن ربح مالم يضمن وعن بيع مالم يقبض وعن بيعتين فى بيعة وعن شرطين فى بيع وعن بيع وسلف وعن بيع الغرر وبيع المواصفة وعن الكالئ بالكالئ وعن تلقى الركبان وما أشبه ذلك ليعتنى بحفظها وتدبر معانيها عن اطالات الفقهاء . قلت والتحقيق أن حاجة الكاتب لا تختص بأحاديث الأحكام ودلائل الفقه بل تتعلق بما هو أعم من ذلك خصوصا الحكم والامثال والسير وما أشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به فى الكتابة والاقتباس من معانيه قال فى المثل السائر وينبغى أن يكون أول ما يحفظه من الاخبار ما تضمنه كتاب الشهاب فى المواعظ والآداب للقضاعى فانه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لأنه يتضمن حكما وآدابا فاذا حفظته وتدربت باستعماله حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل فى الاستعمال وما لا يدخل وعند ذلك بتصفح كتاب صحيح البخارى ومسلم والموطأ والترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى وغيرها من كتب الحديث وبأخذ ما يحتاج اليه وأهل مكة أخبر بشعابها قال والذى تأخذه ان أمكنك درسه وحفظه فهو المراد لأن ما لا تحفظه فلست منه على ثقة وان كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم ودواوين كثيرة من الشعر وما ورد من الامثال السائرة وغير ذلك مما تقدمت الاشارة اليه وما يأتى ذكره فعليك بمداومة المطالعة للاخبار والاكثار من استعمالها فى كلامك حتى ترتقم على خاطرك فتكون اذا احتجت منها الى شئ وجدته وسهل عليك أن تأتى به ارتجالا فتأمل ذلك واعمل به ثم قال وكنت جردت من الاخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلاثة آلاف خبر تدخل كلها فى الاستعمال ومازلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين فكنت أنهى مطالعته فى كل اسبوع مرة حتى دار على ناظرى وخاطرى ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ منه عنى شئ

المقصـــد الثانى

(فى بيـان كيفية استعمـال الأحاديث والآثار فى الكتابة)

قال الوزير ضياء الدين ابن الاثير واعلم ان أكثر الأحاديث تدخل فى الاستعمال ولا يخرج عنه الا القليل النادر ولقد دار بينى و بين بعض علماء الأدب فى هـذا الاسلوب كلام فاستوعره واستنكره وقال هذا لا يتهيا الا فى الشئ اليسير من الاخبار النبوية فقلت لا بل يتهيأ فى الأكثر منها فقال قد ورد عن النبى صـلى الله عليه وسـلم انه اختصم اليه فى جنين فقضى على من أسقطه بغرة عبد أو أمة فأين تستعمل هـذا فأفكرت فيما ذكره ثم أنشأت هـذا الفصل من الكلام وأودعته فيه وهو قد كثر الجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وضرب المثل بباقل وكم فى هذه الصورة المماثلة من باقل ولو عرف كل انسان قدره لما مشى بدن الا تحت رأسه ولا انتصب رأس الاعلى بدنه ولكان صاحب العمامة أحق بعمامته وصاحب الرسن أحق برسنه وكنت سمعت بكاتب من الكتاب كله الى عشائه وقلمه بغاثه لا يستنسر وأى بطش لبغاثه واذا وجب الوضوء على غيره بالخارج من السبيلين وجب عليه من سبل ثلاثة هذا وهو يدعى انه فى الفصاحة أمة وحده ومن قس اياد أو سحبان وائل عنـده واذا كشف خاطره وجد بليدا لا يخرج عن العمه والكمه وان رام أن يستنتجه فى حين من الاحيان قضى عليه بغرة عبـد أو أمه وكثيرا ما يتقدم ونقيصته هـذه على الأفاضل من العلماء وقد صار الناس الى زمان يعلو فيـه حضيض الارض على هام السماء فلما أوردته عليـه ظهرت أمارة الحسد على صفحات وجهه مع اعجابه به واستغرابه فيه اياه ثم قال وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وهو لا تدخل الملائكة بيتا فيـه صورة ولا تمثال فهذا أين يستعمل من المكاتبات فتر وّيت فى قوله تر وّيا يسيرا ثم قلت هـذا يستعمل فى كتاب الى ديوان الخلافه وأمليت عليـه الكتاب فجاء هـذا الحديث فى فصل منه وهو اذا أفاض الخـادم فى وصف ولائه نكصت هم الأولياء عن مقامه وعلموا أنه أخذ الامر بزمامه فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والايمان فهذا يظهر أثره فى طاعة السر وهـذا فى طاعة الاعلان وما عداهما فان دخوله الى قلبه من الاشـياء المحظورة والملائكة لا تدخل بيتا فيـه تمثال ولا صورة فليعول الديوان العزيز منه على سيف من سـيوف الله يفرى بلا ضارب ويسرى بلا حامل ولا يسل الا بيد حق ولا يغمد الا فى ظهر باطل وليعلم أن كرشه وعيبته فى تضمن الاسرار وانه أحد سعد به اذا عدت مواقف الانصار فلما رأى هـذا الفصل بهت له وعجب منه قال ولم أقنع بايراد الحديث الذى ذكره حتى أضفت اليـه حديثا آخر وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى

ثم تضمين الكلام شيأ من الاحاديث على ما تقدم فى القرآن الكريم فينقسم الى الاستشهاد والاقتباس على ما تقدم

فأما الاستشهاد فهو ان يضمن الكلام شيأ من الحديث وينبه عليه كقول أبى اسحاق الصابى فى وصية عهد من خليفة لسلطان وأن يقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين فان ذمته ذمة جميع المؤمنين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وكما كتب بعض الكتاب فى صدر كتاب لديوان الخلافة والحمد لله على أن صار الى أمير المؤمنين ميراث الطاهرين من آبائه وخصه بما حازله من جزيل الفضل وحبائه وحقق للدولة العباسية وعد النبى صلى الله عليه وسلم اذ يقول لعمه العباس رضوان الله عليه ألا أبشرك ياعم بى ختمت النبوة وبولدك تختم الخلافة الى غير هذا من الاخبار التى ضل من أظهر عنادشئ منها وأسر خلافه وكقوله من عهد آخر وأمره أن يضع الرصد على من يختار فى الجمالة من أباق العبيد والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم الى أن قال وأن يعرفوا اللقطة ويتبعوا أثرها ويشيعوا خبرها فاذا احضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت اليه ولم يعترض فيها عليه والله جل وعز يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ضالة المؤمن حرق النار الى غير ذلك من الاستشهادات

وأما الاقتباسات فهو أن يضمن الكلام شيأ من الحديث ولا ينبه عليه فمن ذلك ما ذكره الحريرى فى مقاماته من قوله وكتمان الفقر زهاده وانتظار الفرج بالصبر عبادة وقوله شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه وقد أكثر الوزير ضياء الدين ابن الأثير من هذا الباب فمن ذلك قوله فى دعاء كتاب أعاذ الله أيامه من الغير وبين بخطر مجده نقص كل خطر وجعل ذكره زادا لكل ركب وأنسا لكل سمر ومنحه من فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف نعيم الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنقله الى الدعاء . ومن ذلك ما ذكره فى النصر على العدو فى مواطن القتال وهو أخذنا بسنة رسول الله فى النصر الذى نرجوه ونبذنا فى وجه العدو كفا من التراب وقلنا شاهت الوجوه فثبت الله ما تزلزل من أقدامنا وأقدم حيزوم فأغنى عن اقدامنا أخذ المعنى الاول من حديث غزوة حنين وان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ قبضة من التراب وألقى بها فى وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه وأخذ المعنى الثانى من حديث من غزوة بدر وذلك أن رجلا من المسلمين لاقى رجلا من المشركين وأراد أن يضربه فخر على الارض ميتا قبل أن يصل اليه وسمع الرجل المسلم صوتا من فوقه وهو يقول أقدم حيزوم فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ذلك من مدد السماء الثالثة . ومن ذلك ما ذكره فى ضيق مجال الحرب وهو وضاق الضرب

بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور وتصافحت الغرر بالغرر والصدور بالصدور واستظل حينئذ بالسيوف لاشتباك مجالها وتبوئت مقاعد الجنة التى هى تحت ظلالها أخذ ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ومن ذلك ماذكره فى وصف بعض البلاد الوخمة وهو ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينة مجموع لها بين حرمكة ولأواء المدينة إلا أنها لم يؤمن حرها من الخطفة ولا نقلت حماها الى الجحفة أخذ المعنى الاول من قوله صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ولأواء المدينة ضمنت له على الله الجنة والمعنى الثانى من قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه للمدينة اللهم حببها الينا كما حببت الينا مكة وانقل حماها الى الجحفة ورشح ذلك بمعنى قوله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) حيث قال إلا أنها لم يؤمن حرها من الخطفة ومن ذلك ماذكره فى وصف كريم وهو فأغنى بجوده إغناء المطر وسما الى المعالى سمو الشمس وسار فى منازلها مسير القمر ونتج من أبكار فضائله ما اذا ادعاه غيره قيل للعاهر الحجر أخذ ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر الى غير ذلك من مقتبساته المستكثرة واستنباطاته التى هى غير قاصرة ولا مستنكرة ومن ذلك ماذكرته أنا فى المفاخرة بين السيف والقلم وهو وبدأ القلم فتكلم ومضى فى الكلام بصدق عزم فما توقف ولا تلعثم فقال بسم الله تعالى أستفتح وبحمده أتيمن وأستنجح اذ من شأنى الكتابة ومن فنى الخطابة وكل أمر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله تعالى فهو أجذم وكل كلام لا يفتتح بحمد الله فأساسه غير محكم أخذت ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله أو بحمد الله فهو أجذم على اختلاف الرواية فى ذلك

واعلم أنه كما يحتاج الكاتب الى حفظ الأحاديث والآثار بطريق الذات للاستشهاد بها والاقتباس من معانيها على ما تقدم بيانه كذلك يحتاج الى المعرفة بأنواع الحديث وأقسامها كالصحيح والحسن والمرسل والمرفوع والمسند والمتصل والمنقطع ونحو ذلك وكذلك المعرفة بأسماء الرجال والمشاهير من المحدثين كالبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى وغيرهم ليورد ما يحتاج اليه من ذلك فى غضون كلامه عند احتياجه اليه فى كتابة ما يتعلق بذلك من توقيع محدث ونحوه كما قال فى التعريف فى وصية لمحدث فى قسم الوصايا من الكتاب وقد أصبح بالسنة النبوية مضطلعا وعلى ما جمعه طرق أهل الحديث مطلعا وصح الصحيح أن حديثه الحسن وأن المرسل منه فى الطلب مقطوع عنه كل ذى لسن وأن مسنده هو المأخوذ عن العوالى وسماعه هو المرقص منه طول الليالى وأن مثله لا يوجد فى نسبه المعرق ولا يعرف مثله للحافظين ابن عبد البر بالمغرب وخطيب بغداد بالمشرق وهو يعرف مقدار طلب الطالب فانه طال ما شد له النطاق وسعى له سعيه وتجشم المشاق ورحل له يشتد به حرصه والمطايا مزمومة وينبهه له طلبه

والجفون مقفـلة والعيون مهومة وقف على الابواب لا يضجره طول الوقوف حتى يؤذن له في ولوجها وقعـد القرفصاء في المجالس لا تضـيق به فروجها فليعامل الطلبة اذا أتوه للفـائدة معاملة من جرّب وليبسط للاقرباء منهـم و يؤنس الغرباء فما هو الا من طلب آونة من قريب وآونة تغرّب وليسفر لهم صباح قصده عن النجاح وليفتق لهم من عقوده الصحاح وليوضح لهم الحديث وليرح خواطرهم بتقريبه ما كان يسار اليه السير الحثيث وليؤتهم مما وسع الله عليه فيــه المجال و يعلمهم ما يجب تعليمه من المتون والرجال و يبصرهم بمواقع الجرح والتعـديل والتوجيه والتعليل والصحيح والمعتل الذى تتناثر أعضاؤه سقما كالعليل وغير ذلك مما الرجال هذا الشأن به عناية وما ينقب فيه عن دراية أو يقنع فيه بمجرد رواية ومثله ما زاد حلما ولا يعرف عمن رخص في حديث موضوع أو كتم علما وسـيأتى ذكر هذه الوصية فى موضعها ان شاء الله تعالى وكما قال الشيخ جمال الدين ابن نبـاتة من جملة توقيع لبعض مدرّسى الشام ولأنه الحافظ الذى أحيـا ذكر ابن نقطة بعـد ما دارت عليه الدوائر وأغنى وحدة دمشق عمن أتى فى النسب بعسـاكـر

النوع الثامن

(الاكثار من حفظ خطب البلغاء والتفنن فى أساليب الخطباء وفيه مقصدان)

المقصــــد الاول

(فى وجه احتياج الكاتب الى ذلك)

قال أبو جعفر النحاس وهى من آكد ما يحتاج اليه الكـاتب وذلك ان الخطب من مستودعات سرّ البلاغة ومجامع الحكم بها تفاخرت العرب فى مشاهدهم و بها نطقت الخلفاء والامراء على منابرهــم بها تميز الـكلام و بها يخاطب الخاص والعام وعلى منوال الخطابة نسجت الكتابة وعلى طريق الخطباء مشت الكتاب وقد قال أبو هلال العسـكرى رحمه الله فى الصناعتين والرسـائل والخطب متشاكلتان فى أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية وقد يتشـاكلان أيضا من جهة الالفاظ والفواصل فألفاظ الخطب تشـبه ألفاظ الكتاب فى السهولة والعذوبة وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل قال والفرق بينهما ان الخطبة يشافه بها بخلاف الرسالة والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة فى أيسر كلفة واعلم انه كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب الريحان والريعان ان ما تكلمت به العرب من أهل المدر والوبر من جيد المنثور ومزدوج الكلام أكثر مما تكلمت به من الموزون إلا أنه لم يحفظ من المنثور عشره

ولا ضاع من الموزون عشره لأن الخطيب انما كان يخطب فى المقام الذى يقوم فيه فى مشافهة الملوك أو الحالات أو الاصلاح بين العشائر أو خطبة النكاح فاذا انقضى المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه بخلاف الشعر فانه لا يضيع منه بيت واحد قال ولولا أن خطبة قس ابن ساعدة كان سندها مما يتنافسه الانام وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى رواها عنه فأطارذكرها ماتميزت عما سواها . قلت وليس ما أشار اليه لرفض النثر عندهم وقلة اعتنائهم به بل لسهولة حفظ الشعر وشيوعه فى حاضرهم وباديهم وخاصهم وعامهم بخلاف الخطابة فانه لم يتعاطها منهم إلا القليل النادر من الفصحاء المصاقع فلذلك عز حفظها وقل عنهم نقلها وقد كانت تقوم بها فى الجاهلية سادات العرب ورؤساؤهم ممن فاز بقدح الفضل وسبق الى ذرى المجد ويخصون ذلك بالمواقف الكرام والمشاهد العظام والمجالس الكريمة والمجامع الحفيلة فيقوم الخطيب فى قومه فيحمد الله ويثنى عليه ثم يذكر ماسنح له من مطابق قصده وموافق طلبه من وعظ يذكر أو فخر أو اصلاح أو نكاح أو غير ذلك مما يقتضيه المقام . فمن خطبهم فى الجاهليــة

خطبة كعب بن لؤى جد النبى صلى الله عليه وسلم فيما ذكره أبو هلال العسكرى فى كتاب الاوائل وهى : اسمعوا وعوا وتعلموا تعلموا وتفهموا تفهموا ليل ساج ونهار صاح والارض مهاد والجبال أوتاد والاولون كالآخرين كل ذلك الى بلاء فصلوا أرحامكم وأصلحوا أموالكم فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتا نشر الدار أمامكم والظن خلاف مايقولون زينوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم قال

نهار وليل واختلاف حوادث * سواء علينا حلوها ومريرها
يؤبان بالاحداث حتى تأوبا * وبالنعم الضافى علينا ستورها
صروف وأنباء تقلب أهلها * لها عقد مايستحيل مديرها
على غفلة يأتى النبي محمد * فيخبر أخبارا صدوقا خبيرها

ثم قال

ياليتنى شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

ومن ذلك خطبة قس بن ساعدة الايادى بسوق عكاظ فيما نقله أصحاب السير عن اخبار النبى صلى الله عليه وسلم عنه وهى : أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت ليل داج ونهار ساج وسماء ذات ابراج ونجوم تزهو وبحار تزخر وجبال مرساة وأرض مدحاة وأنهار مجراة ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مابال الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا يقسم قس بالله قسما لا اثم فيــه

ان الله دينا هو أرضى له وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه انكم لتأتون من الامر منكرا ويروى أن قسا انشأ بعد ذلك يقول

في الذاهبين الأولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر
أيقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

قال صاحب الأوائل ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرض هذا الكلام يوم القيامة على قس بن ساعدة فان كان قاله لله فهو من أهل الجنة

ومن ذلك خطبة أبى طالب حين خطب النبى صلى الله عليه وسلم خديجة وهى : الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم وذرية اسماعيل وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا ثم ان محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ابن أخى من لا يوازن بأحد الا رجحه ولا يعدل باحد الا فضله وان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وله فى خديجة رغبة ولها فيه مثلها وما كان من صداق ففى مالى وله نبأ عظيم وخبر شائع

ومن خطب النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب وكأن الذى نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل من تراثهم كأنا مخلدون بعدهم ونسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية وجالس أهل الفقه والحكمة وخالط أهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذلت وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة

ومن خطب أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيما ذكره أبو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب وهى : الا ان أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك الملك اذا ملك زهده الله جل وعز فيما عنده ورغبه فيما فى يدى غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق واذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحى ظله حاسبه الله جل ثناؤه وأشد حسابه وأقل عفوه وسترون بعدى ملكا عضوضا وأمة شعاعا ودما مباحا وان كانت للباطل نزوة ولأهل الحق جولة يعفو لها الأثر وتموت السنن فالزموا المساجد واستشيروا القرآن وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد التناظر

ومن خطب عمر رضى الله عنه : أيها الناس انه أتى على حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن انما يريد به الله وما عنده الا وانه قد خيل الىّ ان أقواما يقرؤن القرآن يريدون ما عند الناس ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم فانما كنا نعرفكم اذ الوحى ينزل واذ النبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فقد رفع الوحى وذهب النبى عليه السلام فانما أعرفكم بما أقول لكم ألا فمن أظهر لنا خيرا ظننا به خيرا وأثنينا به عليه ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها ملقة وانكم الا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرىء وان الباطل خفيف وبىء وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا

ومن خطب عثمان رضى الله عنه وقد أنكروا عليه تقديم بنى أمية على غيرهم : أما بعد فان لكل شئ آفة وآفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيابون طعانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون أما والله يا معشر المهاجرين والانصار لقد عبتم علىّ أشياء ونقمتم منى أمورا قد أقررتم لابن الخطاب بمثلها ولكنه وقمكم وقما ودمغكم حتى لا يجترئ أحد منكم يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه الا مسارقة اليه أما والله لأنا أكثر من ابن الخطاب عددا وأقرب ناصرا وأجدر ان قال هلم أن يجاب هل تفقدون من حقوقكم وأعطياتكم شيأ فانى الا أفعل فى الفضل ما أريد فلم كنت إماما اذن أما والله ما عاب علىّ من عاب منكم أمرا أجهله ولا أتيت الذى أتيت الا وأنا أعرفه

ومن خطب على كرم الله وجهه حين بويع بالخلافة : ان الله أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض أدوها الى الله تؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرما غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل أذى المسلم الا بما يجب فأدوا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فان الناس أمامكم وانما خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس أخراهم اتقوا الله عباد الله فى عباده وبلاده فانكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض

ومن خطب الحسن بن على رضى الله عنه : اعلموا ان الحلم زين والوقار مودة والصلة نعمة والاكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والقلق ورطة ومجالسة أهل الدناءة شين ومخالطة أهل الفسوق ريبة

ومن خطب معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه بصفين : أيها الناس ان الحرب صعبة وان السلم منّ ومبرّة الا وقد زبنتنا الحرب وزبناها وألفتنا وألفناها فنحن بنوها وهى أمنا أيها الناس استقيموا على سبيل الهدى ودعوا الاهواء المضلة والبدع المردية ولست أراكم تزدادون بعد الوصاة الا استجراء ولن أزداد بعد الاعذار والحجة عليكم الا عقوبة وقد التقينا نحن وأنتم عند السيف فمن شاء فليتحرك أو يتقهقر وما مثلى ومثلكم الا كما قال ابن قيس بن رفاعة الانصارى

من يصل نارى بلا ذنب ولا ترة * يصلى بنار كريم غير غدار
أنا النذير لكم منى مجاهرة * كى لا ألام على نهيى وانذارى

ومن خطب عتبة بن أبى سفيان وهو يومئذ أمير مصر وقد بلغه عن أهلها أمور أن صعد المنبر وقال : يا حاملى الأم أنوف ركبت بين أعين انما قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى اياكم وسألتكم صلاحكم لكم اذ كان فسادكم راجعا عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على الامراء أو العتب على السلف والخلفاء فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت مستشرى دائكم والا فالسيف من ورائكم فكم من عظة لنا قد صمت عنها آذانكم وزجرة منا قد مجتها قلوبكم ولست أبخل عليكم بالعقوبة اذا جدتم علينا بالمعصية ولا مؤيسا لكم من المراجعة الى الحسنى ان صرتم الى التى هى أبر وأتقى

ومن خطب زياد ابن أبيه حين قدم الى البصرة : أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغى الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور التى ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرؤا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لا يزول انه ليس منكم الا من طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه من تركم الضعيف يقهر والضعيفة المسلوبة فى النهار لا تنصر والعدد غير قليل والجمع غير مفترق ألم تكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغضون على النكر كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنع من لا يخاف عقابا ولا يرجو معادا فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى أسوى هذه المناخير بالارض هدما واحراقا انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما يصلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وانى لاقسم بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن والمطيع بالعاصى حتى يلقى الرجل أخاه فيقول انج سعد

فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم ان لذبة الأمير بلقاء مشهورة فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى وقد كان بينى و بين قوم احن فجعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته فاذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم وراعوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس أيها الناس انا قد أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفىء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا فقام اليه عبد الله بن الاهتم وقال أشهد أيها الامير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب قال كذبت ذاك نبى الله داود

ومن خطب عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو الاشدق ابن سعيد بن العاص : ارموا بابصاركم نحو أهل المعصية واجعلوا اسلفكم لمن غير منكم عظة ولا تكونوا أغفالا من حسن الاعتبار فتنزل بكم جائحة السطوات وتجوس خلالكم بوادر النقمات وتطأ رقابكم بثقلها العقوبة فتجعلكم همدا رفاتا وتشتمل عليكم بطون الارض أمواتا فاياى من قول قائل . ورشقة جاهل فانما بينى وبينكم أن أسمع النعوة فاصمم تصميم الحسام المطرود وأصول صيال الحنق الموتور وانما هى المصافحة والمكافحة بظبات السيوف وأسنة الرماح والمعاودة لكم بسوء الصباح فتاب تائب وهلك خائب والتوب مقبول والاحسان مبذول لمن عرف رشده وأبصر حظه فانظروا لانفسكم واقبلوا على حظوظكم ولتكن أهل الطاعة يدا على أهل الجهل من سفهائكم واستديموا النعمة التى ابتدأتكم برغيد عيشها ونفيس زينتها فانكم من ذلك بين فضيلتين عاجل الخفض والدعة وآجل الجزاء والمثوبة عصمكم الله من الشيطان وفتنته ونزغه وأمدكم بحسن معونته وحفظه انهضوا رحمكم الله الى قبض أعطياتكم غير مقطوعة عنكم ولا مكدرة عليكم فخرج القوم من عنده بدارا كلهم يخاف أن تكون السطوة به

ومن خطب الحجاج بن يوسف الثقفى عند قدومه الكوفة أميرا على العراق : يا أهل العراق أنا الحجاج بن يوسف

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

والله يا أهل العراق انى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها والله لكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحايا يا أهل العراق ما يغمز جانبى كتغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وأجريت من الغاية وان أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها عودا عودا فوجدنى أمرّها عودا وأشدها مكسرا فوجهنى اليكم ورماكم بى يا أهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق لانكم طالما أوضعتم فى الفتنة

واضطجعتم فى منام الضلال وسننتم سنن الغى وايم الله لألحونكم لحو العود ولأقرعنكم قرع المروة ولأعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غريبة الابل انى والله لاأحلف الاصدقت ولاأعد الاوفيت اياى وهذه الزرافات وقال ومايقول وكان ومايكون وماأنتم وذاك ياأهل العراق انما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واعتدلوا ولاتميلوا واسمعوا وأطيعوا وشايعوا وبايعوا واعلموا أن ليس منى الاكثار والاهذار ولامع ذلك النفار ولا الفرار انما هو انتضاء هذا السيف ثم لايغمد الشتاء ولا الصيف حتى يذل الله لامير المؤمنين عزكم ويقيم له أودكم وصعركم ثم انى وجدت الصدق من البر ووجدت البر فى الجنة ووجدت الكذب من الفجور ووجدت الفجور فى النار وان أمير المؤمنين أمرنى أن أعطيكم أعطياتكم وأشخصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين وقد أمرت لكم بذلك وأجلتكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذنى به ويستوفيه منى لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه أحد لأضربن عنقه وأنهبن ماله ثم التفت الى أهل الشام فقال أنتم البطانة والعشيرة والله لريحكم أطيب من ريح المسك الاذفر وانما أنتم كما قال الله تعالى (وضرب الله مثلا كلمة طيبة) الآية والتفت الى أهل العراق فقال والله لريحكم أنتن من ريح الابخر وانما أنتم كما قال الله (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) الآية

ومن خطبه لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق و يتوعدهم أيها الناس من أعياه داؤه فعندى دواؤه ومن استطال أجله فعلى أن أعجله ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه ان للشيطان طيفا وللسلطان سيفا فمن سقمت سريرته صحت عقوبته ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة ومن سبقته بادرة فه سبق بدنه بسفك دمه انى أنذر ثم لاأنظر وأحذر ثم لاأعذر وأتوعد ثم لاأعفو انما أفسدكم ترنيق ولاتكم ومن استرخى لبه ساء أدبه ان الحزم والعزم سلبانى سوطى وأبدلانى به سيفى فقائمه فى يدى ونجاده فى عنقى وذبابه قلادة لمن عصانى والله لاآمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه الاضربت عنقه

ولعمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك من خلفاء بنى أمية وأبى جعفر المنصور وهارون الرشيد ولبنه المأمون من خلفاء بنى العباس وغيرهم من خلفاء الدولتين وأمرائهم خطب فائقة وبلاغات معجبة رائقة يضيق هذا الكتاب عن ايرادها وقد أوردنا من ذلك مافيه كفاية للبيب ومقنع للاريب

ومن خطب أبى بكر بن عبد الله أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام وقد بلغه عن قوم من أهل المدينة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام

والتحية والاكرام أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسعفهم آخرون على ذلك : أيها الناس انى قائل قولا فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه ومن لم يعه فلا يعدمن ذمامها ان قصرتم عن تفصيله فلن تعجزوا عن تحصيله فارعوه أبصاركم واوعوه أسماعكم وأشعروه قلوبكم فالموعظة حياة والمؤمنون اخوة وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين فأتوا الهدى تهتدوا واجتنبوا الغى ترشدوا وأنيبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والله جل جلاله وتقدست أسماؤه أمركم بالجماعة ورضيها لكم ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها جعلنا الله واياكم ممن يتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن به وله وان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين واختاره على العالمين واختار له أصحابا على الحق وزراء دون الخلق اختصهم به وانتخبهم له فصدقوه ونصروه وعزروه ووقروه فلم يقدموا الا بأمره ولم يحجموا الا عن رأيه وكانوا أعوانه بعهده وخلفاءه من بعده فوصفهم فأحسن وصفهم وذكرهم فأثنى عليهم فقال وقوله الحق (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) الى قوله (مغفرة وأجرا عظيما) فمن غاظوه كفر وخاب وفجر وخسر وقال الله جل وعز (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الى قوله (ربنا انك رؤف رحيم) فمن خالف شريطة الله عليه لهم وأمره اياه فيهم فلا حق له فى الفىء ولا سهم له فى الاسلام فى آى كثيرة من القرآن فمرقت مارقة من الدين وفارقوا المسلمين وجعلوهم عضين وحزبوا أحزابا اشابات وأوشابا فخالفوا كتاب الله فيهم فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مالى أرى عيونا خزرا ورقابا صعرا وبطونا بجرى شجى لا يسيغه الماء وداء لا يشرب فيه الدواء أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين كلا والله بل هو الهناء والطلاء حتى يظهر العذر ويبوح السر ويضح العيب ويشوس الحيب فانكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى ويحكم انى لست أتاويا أعلم ولا بدويا أفهم قد حلبتكم أشطرا وقلبتكم أبطنا وأظهرا فعرفت انحاءكم وأهواءكم وعلمت أن قوما أظهروا الاسلام بألسنتهم وأسروا الكفر فى قلوبهم فضربوا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض وولدوا الروايات فيهم وضربوا الامثال ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أبنائهم أعوانا يأذنون لهم ويصغون اليهم مهلا مهلا قبل وقوع القوارع وطول الروائع هذا لهذا ومع هذا فلست أعيش آسيا ولا تائبا عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام فاسروا خيرا وأظهروه واجهروا به وأخلصوه

وطالما مشيتم القهقرى ناكصين وليعلم من أدبر وأصر أنها موعظة بين يدى نقمة ولست أدعوكم الى هوى يتبع ولا الى رأى يبتدع انما أدعوكم الى الطريقة المثلى التى فيها خير الآخرة والاولى فمن أجاب فالى رشده ومن عمى فعن قصده فهلم الى الشرائع الجدائع ولا تولوا عن سبيل المؤمنين ولا تستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير بئس للظالمين بدلا اياكم وبنيات الطريق فعندها الترنيق والترهيق وعليكم بالجادة فهى أسد وأورد ودعوا الامانى فقد أودت من كان قبلكم وان ليس للانسان الا ما سعى ولله الآخرة والاولى ولا تفتروا على الله الكذب فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

ومن خطب خالد بن عبد الله أمير البصرة : أيها الناس نافسوا فى المكارم وسارعوا الى المغانم واشتروا الحمد بالجود ولا تكسبوا بالمطل ذما ولا تعتدوا بالمعروف مالم تعجلوه ومهما يكن لأحد منكم عند أحد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن لها جزاء وأجزل عليها عطاء واعلموا أن حوائج الناس اليكم نعمة من الله عليكم فلا تملوا النعم فتحولوها نقما واعلموا أن أفضل المال ما أكسب أجرا وأورث ذكرا ولو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ولو رأيتم البخل رجلا رأيتموه مشوها قبيحا تنفر عنه القلوب وتغضى عنه الابصار أيها الناس ان أجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأعظم الناس عفوا من عفا عن قدرة وأوصل الناس من وصل من قطعه ومن لم يطب حرثه لم يزك نبته والاصول عن مغارسها تنمو وباصولها تسمو أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

ومن خطب قطرى بن الفجاءة خطبته المشهورة فى ذم الدنيا والتحذير عنها وهى : أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور لا تقوم نصرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة وحائلة زائلة ونافدة بائدة أكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا) مع أن امرأ لم يكن منها فى حبرة الا أعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله غيثة رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحرية اذا أصبحت له منتصرة ان تمسى له خاذلة متنكرة وأى جانب منها اعذوذب واحلولى أمر عليه منها جانب وأوبا فان آتت امرأ من غصونها ورقا أرهقته من نوائبها تعبا ولم يمس منها امرؤ فى جناح أمن الا أصبح منها على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير فى شئ من زادها الا التقوى من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكى عينه كم واثق بها قد فجعته وذى حكم تنته اليها قد صرعته وذى احتيال فيها

قد خدعته وكم ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا وذى نخوة قد ردته ذليلا ومن ذى تاج قد كبته لليدين والفم سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام نظامها سلع حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم منيعها بعرض اهتضام وملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجارها محروب مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ألستم فى مساكن من كان قبلكم أطول منكم أعمارا وأوضح منكم آثارا وأعد عديدا وأكثف جنودا وأشد عتودا تعبدوا الدنيا أى تعبد وآثروها أى ايثار وظعنوا عنها بالكرة والصغار فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب بل أرهقتهم بالفوادح وضعضعتهم بالنوائب وعقرتهم بالفجائع وقد رأيتم تنكرها لمن رادها وآثرها وأخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد الى آخر الأمد هل زودتهم الا السغب وأحلتهم الا الضنك أو نورت لهم الا الظلمة أو أعقبتهم الا الندامة أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم اليها تطمئنون يقول الله جل ذكره من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون بئست الدار لمن أقام فيها فاعلموا اذ أنتم تعلمون انكم تاركوها الأبد فانما هى كما وصفها الله تعالى باللعب واللهو وقد قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين الى غير ذلك من خطب خلفاء الدولتين وأمرائهم مما يطول القول بايراده ويخرج الكتاب بذكره عن حده

المقصد الثانى

(فى كيفية تصرف الكاتب فى الخطب)

قد تقدم فى أول المقصد الاول من هذا النوع قول أبى هلال العسكرى ان الرسائل والخطب متشاكلتان فى أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية والمشاكلة فى الفواصل وان الخطب يشافه بها بخلاف الرسالة والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة فى أيسر كلفة وحينئذ فاذا أراد الكاتب نقل الخطبة الى الرسالة أمكنه ذلك فاذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الخطب البليغة وعلم مقاصد الخطابة وموارد الفصاحة ومواقع البلاغة وعرف مصاقع الخطباء ومشاهيرهم اتسع له المجال فى الكلام وسهلت عليه مستوعرات النثر وذللت له صعاب المعانى وفاض على لسانه فى وقت الحاجة ما كمن من ذلك بين ضلوعه فأودعه فى نثره وضمنه فى رسائله فاستغنى عن شغل الفكر فى استنباط المعانى البديعة ومشقة التعب فى تتبع الالفاظ الفصيحة التى لا تنهض فكرته بمثلها ولو جهد ولا يسمح خاطره بنظيرها ولو دأب على أن الخطب جزء

من أجزاء الكتابة ونوع من أنواعها يحتاج الكتاب اليها فى صدور بعض المكاتبات وفى البيعات والعهود والتقاليـد والتفاويض وكبار التواقيـع والمراسيم والمناشير على ماسـيأتى بيـانه فى موضعه ان شاء الله تعالى وما لعله ينشـيه من خطبة صـداق أو رسالة أو نحو ذلك وكذلك يعرف مصاقع الخطباء ومشاهير الفصحاء والبلغاء كقس بن ساعدة الايادى الذى تقدمت خطبته آنفا فى صدر الخطب وسحبان الوائلى وهو رجل من بنى وائل لسن بليغ يضرب به المثل فى البيان وغيرهما ممن يضرب به المثل فى الفصاحة والبلاغة ومن ينسب الى العى والغباوة كباقل وهو رجل من العرب اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فقيل له بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق أصابعه العشرة وأخرج لسانه يشير بذلك الى أحد عشر ولم يحسن التعبير عنها فانفلت الظبى فضرب به المثل فى العى فاذا عرف البليـغ وغير البليـغ وعالى الرتبة وسافلها عرض حينئذ بذكر من أراد منهم مقايسا للفاضل بمثله وللغبى بنظيره كما قال القاضى الفاضل فى بعض رسائله فى جواب كتاب ورد عليـه من بعض اخوانه (١) . فأما شوقه لعبده فالمولى قد أبقاه الله قد أوتى فصاحة لسان وسحب ذيل العى على سحبان وكما قال الشـيخ ضياء الدين أحمد القرطبى من رسالة كتب بها للشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يصف رسالة وردت منه عليه ان كلمها تميس فى صدورها وأعجـازها وتنثال عليها أعراض المعانى بين اسهابها وايجازها فهى فرائد ائتلفت فى أبكار الوائلى والايادى

النوع التـاسع

(مما يحتاج اليه الكاتب من حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الاول ومحاوراتهم ومراجعاتهم وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه والنظر فى رسائل المتقدمين من بلغاء الكتاب وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصـــد الاول

(فى وجه احتياج الكاتب الى معرفة ذلك)

أما حفظ مكاتبات الصدر الاول ورسائلهم فلأنها مع (٢) مبتدع البلاغة وكنز الفصاحة غير ملابسـة لطريقة الكتاب فى أكثر الامور فيستعان بحفظها على مواقع البـلاغة ولا يطمع الخاطر بالاتكال على ايراد فصل منها برمته لمخالفته لأسلوب الكتاب فى أكثر الامور

وأما النظر فى رسائل البلغاء من فضلاء الكتاب فلما فى ذلك من تنقيح القريحة وارشاد الخاطر وتسهيل الطرق والنسج على منوال المجيـد والاقتداء بطريقة المحسن واستدراك مافات

(١) كذا بالاصل . (٢) بياض بالاصل

والاحتراز مما أظهره النقد وزدما بهرجه السبك واقتصر على النظر فيها دون حفظها للا يتكل الخاطر على ما يأتى به بأصله مما ليس له فيتشبع بما لم يعط فيكون كلابس ثوبى زور اللهم الا أن يريد بحفظها المحاضرة دون الانشاء فان اللائق به الحفظ دون غيره

المقصـــد الثانى

(فى ذكر شئ من مكاتبات الصدر الاول يكون مدخلا الى معرفة ما يحتاج الى حفظه من ذلك)

أما مكاتباتهم المشتملة على المحاورة والمراجعة . فمنها ما كتب به معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمن المشاجرة بينهما وهى[1]

أما بعد فان الله اصطفى محمدا وجعله الأمين على وحيه والرسول الى خلقه واختار له من المسلمين أعوانا أيده بهم وكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الاسلام فكان أفضلهم فى الاسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة والخليفة الثالث فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك فى نظرك الشزر وتنفسك الصعداء وابطائك على الخلفاء وأنت فى كل ذلك تقاد كما يقاد البعير المخشوش حتى تبايع وأنت كاره ولم تكن لأحد منهم أشد حسدا منك لابن عمك عثمان وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك به فى قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه وألبت عليه الناس حتى ضربت اليه آباط الابل وشهر عليه السلاح فى حرم الرسول فقتل معك فى المحلة وأنت تسمع فى داره الهائعة لا تؤدى عن نفسك فى أمره بقول ولا فعل بر أقسم قسما صادقا لو قمت فى أمره مقاما واحدا تنهين الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحد ولمحا ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغى عليه وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ضنين ايواؤك قتلة عثمان فهم بطانتك وعضدك وأنصارك فقد بلغنى أنك تنتفى من دمه فان كنت صادقا فادفع الينا قتلته نقتلهم به ثم نحن أسرع الناس اليك والا فليس لك ولا لأصحابك عندنا الا السيف والذى نفس معاوية بيده لأطلبن قتلة عثمان فى الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله

فكتب اليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى جواب ذلك : أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر فيه اصطفاء الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لدينه وتأييده اياه بمن أيده به من أصحابه فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا أطفقت تخبرنا بآلاء الله عندنا فكنت كناقل التمر الى هجر أو داعى

(١) كتاب معاوية بيض له فى الاصل فنقلناه من العقد الفريد لابن عبد ربه جزء ٢ صحيفة ٢٨٥

مســـدده الى النضال وزعمت أن أفضل الناس فى الاســـلام فلان وفلان فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما أنت والفاضـــل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ألا تربع على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك القـــدر فما عليك غلبـــة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب فى التيه رواغ عن القصد ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث ان قوما استشهدوا فى سبيل الله ولكل فضل حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه أولا ترى أن قوما قطعت أيديهم فى سبيل الله ولكل فضل حتى اذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار فى الجنة وذوا الجناحين ولولا ما نهى عن تزكية المرء نفســـه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا ومديد طولنا على قومك ان خلطناهم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الاكفاء ولســـتم هناك وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبى ومنكم المكذب ومنا أسد الله ومنكم أسد الاحلاف ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب فاســـلامنا قد سمع وجاهليتنا لا تدفع كتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله سبحانه وتعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقوله تعالى ان أولى النـــاس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وســـلم فلجوا عليهم فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم وزعمت أنى لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك فتكون المعذرة اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وقلت انى كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت وأن تفضح فافتضحت وما على المســـلم من غضاضة فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا فى دينه ولا مرتابا فى يقينه وهـــذه حجتى الى غيرك قصـــدها ولكنى أطلقت لك منها بقدر ما سنح لك من ذكرها ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمر عثمـــان فأينا كان أعدى له وأهدى الى مقاتله أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه أم من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه حتى أتى قدره عليه كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقـــائلين لاخوانهـــم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليـــلا وما كنت أعتذر من أنى كنت أنقم عليه احداثا فان يكن الذنب اليه ارشادى وهدايتى له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح وما أردت الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله

عليه توكلت واليه أنيب وذكرت أنه ليس لى ولأصحابى الا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار متى ألفيت بنى عبد المطلب عن الاعداء ناكلين أو بالسيوف مخوفين (ف) لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل سيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وأنا مرقل نحوك فى جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم مسربلين سرابيل الموت أحب اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرّية بدرية وسيوف هاشمية قد علمت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدك وأهلك وماهى من الظالمين ببعيد

وكما كتب أبوجعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وهو يومئذ خليفة الى محمد بن عبد الله ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط حين بويع له بالخلافة وخرج على المنصور يريد انتزاعها منه : من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ولك ذمة الله وعهده وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن يقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وجميع شيعتك وأن أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضى لك ماشئت من الحاجات وأن أطلق من فى سجنى من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتبع أحدا منكم بمكروه وان شئت أن تتوثق لنفسك فوجه الىّ من يأخذ لك من الميثاق والعهد والأيمان ما أحببت والسلام

فأجابه محمد بن عبد الله بما نصه من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد أما بعد : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذى أعطيتنى فقد تعلم أن الحق حقنا وأنكم انما أعطيتموه بنا ونهضتم فيه بسعينا وخطبتموه بفضلنا وأن أبانا عليا عليه السلام كان الوصى والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قدمنا وحديثنا ونسبنا وانا بنو أم أبى رسول الله فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة فى الاسلام من بينكم فأنا أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا لم تلدنى العجم ولم تعرق فىّ أمهات الاولاد وان الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم

ومن أصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما وأ كثرهم جهادا علي بن أبي طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى الى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ومن المولودين في الاسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت أن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن والحسين مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدي الحسن والحسين فما زال الاله يختار لي حتى اختار لي في النار فولدني أرفع الناس درجة في الجنة وأهون أهل النار عذابا يوم القيامة فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله تعالى أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك في ذلك فأنا أوفى بالعهد منك وأنت أحرى بقبول الامان مني فأما أمانك الذي عرضت علي فأي الامانات هو أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم والسلام

فأجابه المنصور من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله : أما بعد فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة الأولياء وقد جعل الله تعالى العم أبا وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه السلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب (١) ولقد علمت ان الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجاب اثنان أحدهما أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك وأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين على قدر الانساب وحق الاحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه (٢) وأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الحسين وان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل قد أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم قرابة ابنته وانها قرابة ذريته غير أنها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد طلبها أبوك من كل وجه فاخرجها تخاصم ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجالا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها وبايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده

وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وخرج الى المدينة فدفع الأمر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه . وأما قولك ان الله اختارك فى الكفر فجعل أبوك أهون أهل النار عذابا فليس فى الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الاخر أن يفتخر بالنار سترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . وأما قولك انه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد وانك أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده فانظر ويحك أين تكون من الله تعالى غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على بن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولدته أم ولد ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانه وكان الناس معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتاب من غير أوطية كالسبى المجلوب الى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فادركنا بثاركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثنا كم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فنعناهم وكفرناهم وبينا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا بما ذكرنا من فضل على قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين سلم منهم وابتلى أبوك بالكرماء ولقد علمت أن مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحاج الاعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازع فيهما أبوك الى عمر فقضى لنا عمر بها وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا الا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب فطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا العباس أخرج الى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يتجشمان جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التى أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقدمنا كم فى الكفر وفدينا كم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا بثاركم اذ عجزتم عنه ووضعنا كم حيث لم تضعوا أنفسكم والسلام

ومن مكاتبات ملوك الفرس البلغاء ما كتب به ارسطوطاليس الى الاسكندر انه انما تملك الرعية بالاحسان اليها وتظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك

بعنفك واعلم أنه انما تملك الابدان فاجمع اليها القلوب بالمحبة واعلم أن الرعية اذا قدرت على أن تقول قدرت أن تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل . ومما كتب به أبرويز الى ابنه شيرويه يوصيه بالرعية كتابا فيه ليكن من تختاره لولايتك رجلا كان فى وضيعة فرفعته وذا شرف كان مهملا فاصطنعته ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ولا أحدا ممن يقع بقلبك أن ازالة سلطانك أحب اليه من ثبوته واياك أن تستعمله ضريعا غمرا كبيرا اعجابه بنفسه قليلا تجربته فى غيره ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه .
وكما كتب به ابرويز الى ابنه شيرويه أيضا إن كلمة منك تسفك دما وأخرى تحقن دما وان سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه وان رضاك بركة مفيدة على من رضيت عنه وان نفاذ أمرك مع ظهور كلامك فاحترس فى غضبك من قولك أن يخطئ ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يخف فان الملوك تعاقب جرما وتعفو حلما . ومما كتب به أزدشير الى رعيته من أزدشير المؤيد ملك الملوك وارث العظماء الى الفقهاء الذين هم حملة الدين والأساورة الذين هم حفظة البيضة والكتاب الذين هم زين المملكة وذوى الحروب الذين هم عمدة البلد السلام عليكم فانا نحمد الله اليكم سالمين وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا بها إتاوتها الموظفة عليها ونحن مع ذلك كاتبون بوصية لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ولا تحتكروا فيشملكم القحط وتزوجوا القرائب فانه أمس للرحم وأثبت فى النسب ولا تعدوا هذه الدنيا شيأ ولا ترفضوها فان الآخرة لا تدرك الا بها

وأما رسائلهم ومخاطباتهم . فمن ذلك رسالة الصديق رضى الله عنه الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه حين تلكأ عن مبايعته على لسان أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه مع ما انضم الى ذلك من كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما كان من جواب على عنها قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى البغدادى سمرنا ليلة عند القاضى أبى حامد أحمد بن بشر المروذى ببغداد فتصرف فى الحديث كل متصرف وكان غزير الرواية لطيف الدراية فجرى حديث السقيفة فركب كل مركبا وقال قولا وعرض بشئ ونزع الى فن فقال هل فيكم من يحفظ رسالة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وجواب على عنها ومبايعته اياه عقيب تلك المناظرة فقال الجماعة لا والله فقال هى والله من بنات الحقائق ومخبآت الصناديق ومنذ حفظتها ما رويتها الا لأبى محمد المهلبى فى وزارته فكتبها عنى بيده وقال لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين وانها لتدل على علم وحلم وفصاحة ونباهة وبعد غور وشدة غوص فقال له العباد انى أيها القاضى فلو أتممت المنة علينا بروايتها أسمعناها فنحن أوعى لك من المهلبى وأوجب ذماما عليك فاندفع وقال حدثنا الخزاعى بمكة عن أبى ميسرة قال حدثنا محمد بن أبى فليح

عن عيسى بن دوأب بن المتاح قال سمعت مولاى أبا عبيدة يقول لما استقامت الخلافة لأبى بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والانصار بعد فتنة كاد الشيطان بها فدفع الله شرها ويسر خيرها بلغ أبا بكر عن على تلكؤ وشماس وتهمم ونفاس فكره أن يتمادى الحال فتبدو العورة وتشتعل الجمرة وتتفرق ذات البين فدعانى بحضرته فى خلوة وكان عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحده فقال يا أبا عبيدة ما أيمن ناصيتك وأبين الخير بين عينيك وطالما أعز الله بك الاسلام وأصلح شأنه على يديك ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط والمحل المغبوط ولقد قال فيك فى يوم مشهود لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة ولم تزل للدين ملتجا وللمؤمنين مرتجا ولأهلك ركنا ولاخوانك ردأ قد أردتك لأمر خطر مخوف واصلاحه من أعظم المعروف ولئن لم يندمل جرحه بمسبارك ورفقك ولم تجب حيته برقيتك وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعد ذلك الى ما هو أمر منه وأعلق وأعسر منه وأغلق والله أسأل تمامه بك ونظامه على يديك فتأت له أبا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذه العصابة غير آل جهدا ولا قال حمدا والله كالئك وناصرك وهاديك ومبصرك ان شاء الله امض الى على واخفض له جناحك واغضض عنه صوتك واعلم أنه سلالة أبى طالب ومكانه ممن فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه وقل له البحر مغرقة والبر مفرقة والجو أكلف والليل أغدف والسماء جلواء والارض صلعاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحق عطوف رؤف والباطل عنوف عسوف والعجب قداحة الشر والضغن رائد البوار والتعريض شعار الفتنة والقحة ثقوب العداوة وهذا الشيطان متكئ على شماله متحيل بيمينه نافخ حضنيه لأهله ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة عنادا لله عزوجل أولا ولآدم ثانيا ولنبيه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثا يوسوس بالفجور ويدلى بالغرور ويمنى أهل الشرور يوحى الى أوليائه زخرف القول غرورا بالباطل دأبا له منذ كان على عهد أبينا آدم صلى الله عليه وسلم وعادة له منذ أهانه الله تعالى فى سالف الدهر لا ينجى منه الا بعض الناجذ على الحق وغض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله بالأشد فالاشد والآكد فالآكد واسلام النفس لله عزوجل فى ابتغاء رضاه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غبه ولقد أرشدك من أفاء ضالتك وصافاك من أحيا مودته بعتابك وأراد لك الخير من آثر البقاء معك ما هذا الذى تسول لك نفسك ويدوى به قلبك ويلتوى به عليك رأيك ويتخاوص دونه طرفك ويسرى فيه ظعنك ويترادّ معه نفسك وتكثر عنده صعداؤك ولا يفيض به لسانك أعجمة بعد افصاح أتلبيس بعد ايضاح أدين غير دين الله أخلق غير خلق القرآن أهدى غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم أمثلى يمشى له الضراء ويدب له الخمر أم مثلك ينقبض عليه الفضاء ويكسف فى عينه

القمر ماهذه القعقعة بالشـنان وماهـذه الوعوعة باللسـان انك والله جد عارف باستجابتنا لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وبخروجنا عن أوطاننـا وأموالنا وأولادنا وأحبتنا هجرة الى الله عزوجل ونصرة لدينه فى زمان أنت فيه فى كن الصبا وخدر الغرارة وعنفوان الشبيبة غافل عمـا يشيب ويريب لاتعى مايراد ويشاد ولاتحصل مايساق ويقاد سوى ما أنت جار عليه الى غايتك التى اليها عدى بك وعندها حط رحلك غير مجهول القدر ولامجحود الفضل ونحن فى أثناء ذلك نعانى أحوالا تزيل الرواسى ونقاسى أهوالا تشيب النواصى خائضين غمارها راكبين تيارها نتجرع صابها ونشرج عيابهـا ونحـكم أساسها ونبرم أمراسها والعيون تحدج بالحسـد والانوف تعطس بالكبر والصدور تستعر بالغيظ والاعناق تتطاول بالفخر والشفار تشحذ بالمكر والارض تميد بالخوف لاننتظر عند المساء صباحا ولاعند الصباح مساء ولاندفع فى نحر امرئ الابعد أن نحسو الموت دونه ولانبلغ مرادا الابعد الاياس من الحياة عنده فادين فى جميع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسـلم بالاب والام والخـال والعم والمـال والنشب والسـبد واللبد والهلة والبلة بطيب أنفس وقرة أعين ورحب أعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة أوجه وذلاقة ألسن هـذا مع خفيات أسرار ومكنونات أخبار كنت عنها غافلا ولولا سنك لم تكن عن شئ منها ناكلا كيف وفؤادك مشهوم وعودك مجموم والآن قد بلغ الله بك وأنهض الخير لك وجعـل مرادك بين يديك وعن علم أقول ما تسمع فارتقب زمانك وقلص أردانك ودع التقعس والتجسس لمن لايظلع لك اذا خطا ولايتزحزح عنك اذا عطا فالامر غض والنفوس فيها مض وانك أديم هذه الامة فلاتحلم لجاجا وسيفها العضب فلاتنب اعوجاجا وماؤها العذب فلاتحل أجاجا والله لقد سألت رسول الله صـلى الله عليه وسلم عن هذا الامر فقال لى يا أبابكر هو لمن يرغب عنه لالمن يجاحش عليه ولمن يتضاءل عنه لالمن يتنفج اليه هو لمن يقال هو لك لالمن يقول هو لى ولقد شاورنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصهر فذكر فتيانا من قريش فقلت أين أنت من على فقال صلى الله عليه وسلم انى أكره لفاطمة ميعة شبابه وحداثة سـنه فقلت له متى كنفته يدك ورعته عينك حفت بهـما البركة وأسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خاطبته به رغبـة فيك وما كنت عرفت منك فى ذلك حوجاء ولالوجاء فقلت ماقلت وأنا أرى مكان غيرك وأجد رائحـة سوالك وكنت اذ ذاك خيرا لك منـك الآن لى ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الامر فلم يكن معرضا عن غيرك وان كان قال فيك فـا سكت عن سوالك وان تلجلج فى نفسك شئ فهلم فالحكم مرضى والصواب مسموع والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عزوجل وهو عن هذه العصابة راض وعليها حذر يسره ماسرها ويسوؤه ماساءها ويكيده ما كادها ويرضيه ما أرضاها ويسخطه ما أسخطها

أما تعلم أنه لم يدع أحدا من أصحابه وأقاربه وسجرائه الا أبانه بفضيلة وخصه بمزية وأفرده بحالة أتظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الامة سدا بددا عباهل مباهل طلاحى مفتونة بالباطل مغبونة عن الحق لا رائد ولا زائد ولا ضابط ولا حائط ولا ساقى ولا واقى ولا هادى ولا حادى كلا والله ما اشتاق الى ربه تعالى ولا سأله المصير الى رضوانه وقربه الا بعد أن ضرب المدا وأوضح الهدى وأبان الصوى وأمن المسالك والمطارح وسهل المبارك والمهايع والا بعد أن شدخ يافوخ الشرك باذن الله وشرم وجه النفاق لوجه الله سبحانه وجدع أنف الفتنة فى ذات الله وتفل فى عين الشيطان بعون الله وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل وبعد فهذه المهاجرون والانصار عندك ومعك فى بقعة واحدة ودار جامعة ان استقالونى لك وأشاروا عندى بك فأنا واضع يدى فى يدك وصائر الى رأيهم فيك وان تكن الاخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفاتح لمغالقهم والمرشد لضالتهم والرادع لغوايتهم فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى والتناصر على الحق ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ونلقى الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن وبعد فالناس ثمامة فارفق بهم واحن عليهم ولن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيدا وطائر الشر واقعا وباب الفتنة مغلقا فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيع والله على ما نقول شهيد وبما نحن عليه بصير

قال أبو عبيدة فلما تأهبت للنهوض قال عمر رضى الله عنه كن لدى الباب هنيهة فلى معك دور من القول فوقفت وما أدرى ما كان بعدى إلا أنه لحقنى بوجه يندى تهللا وقال لى قل لعلى الرقاد محلمة والهوى مقحمة وما منا الا له مقام معلوم وحق مشاع أو مقسوم ونبأ ظاهر أو مكتوم وان أكيس الكيس من منح الشارد تألفا وقارب البعيد تلطفا ووزن كل شىء بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبره دينا كان أو دنيا ضلالا كان أو هدى ولا خير فى علم مستعمل فى جهل ولا خير فى معرفة مشوبة بنكر ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجان والذنب وكل صال فبناره وكل سيل فالى قراره وما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعى وشى ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق وقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذى كبر وقصم ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك ما هذا الشجا المعترض فى مدارج أنفاسك ما هذه القذاة التى تغشت ناظرك وما هذه الوحرة التى أكلت شراسيفك وما هذا الذى لبست بسببه جلد النمر واشتملت عليه بالشحناء والنكر ولسنا فى كسروية كسرى ولا فى قيصرية قيصر تأمل لاخوان فارس وأبناء الاصفر قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا ودريئة لرماحنا ومرمى لطعاننا وتبعا لسلطاننا بل نحن فى نور نبوة

وضياء رسالة وثمرة حكمة وأثرة رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين أمة مهدية بالحق والصدق مأمونة على الرتق والفتق لهامن الله قلب ابى وساعد قوى ويد ناصرة وعين باصرة أتظن ظنا ياعلى ان أبابكر وثب على هـذا الامر مفتاتا على الامة خادعا لها أو متسلطا عليها أتراه حل عقودها وأحال عقولها أتراه جعل نهارها ليلا ووزنها كيلا ويقظتها رقادا وصلاحها فسادا لا والله سلا عنها فولهت له وتطامن لها فلصقت به ومال عنها فمالت اليه واشمأز دونها فاشتملت عليه حبوة حباه الله بها وعاقبة بلغه الله اليها ونعمة سربله جمالها ويد أوجب الله عليه شكرها وأمة نظر الله به اليها والله أعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وانك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة ولا يجحد حقك فيما آتاك الله ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك وقرب أمس من قرابتك وسن أعلى من سنك وشيبة أروع من شيبتك وسيادة أصل فى الجاهلية وفرع فى الاسلام ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة ولا تذكر منها فى مقدمة ولا سافة ولا تضرب فيها بذراع ولا أصبع ولا تخرج منها ببازل ولا هبع ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة نفسه وعيبة سره ومفزع رأيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدليل عليه ولعمرى انك أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولكنه أقرب منك قربة والقرابة لحم ودم والقربة نفس وروح وهـذا فرق عرفه المؤمنون ولذلك صاروا اليه أجمعون ومهما شككت فى ذلك فلا تشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لأهل الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غدا والفظ من فيك ما يعلق بلهاتك وانفث سخيمة صدرك عن نفاثك فان يك فى الامد طول وفى الاجل فسحة فستأكله مريئا أو غير مرىء وستشربه هنيأ أو غير هنىء حين لا راد لقولك الا من كان آيسا منك ولا تابع لك الا من كان طامعا فيك يمص اهابك ويعرك أديمك ويزرى على هديك هنالك تقرع السن من ندم وتجرع الماء ممزوجا بدم وحينئذ تأسى على ما مضى من عمرك ودارج قوتك فتود أن لو سقيت بالكاس التى أبيتها ورددت الى حالتك التى استغويتها ولله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه وغيب هو شاهده وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها وهو الولى الحميد الغفور الودود قال أبو عبيدة فتمشيت متزملا أنوء كأنما أخطو على رأسى فرقا من الفرقة وشفقا على الامة حتى وصلت الى على رضى الله عنه فى خلاء فابتثثته بثى كله وبرئت اليه منه ورفقت به فلما سمعها ووعاها وسرت فى مفاصله حمياها قال حلت معلوطة وولت مخروطة وأنشأ يقول

احدى لياليك فهيسى هيسى * لا تنعمى الليلة بالتعريس

نعم يا أباعبيدة أكل هذا فى نفس القوم ويحسون به ويضطبعون عليه قال أبو عبيدة فقلت لاجواب لك عندى انما أنا قاض حق الدين وراتق فتق المسلمين وسادثلمة الامة يعلم الله ذلك من جلجلان قلبى وقرارة نفسى فقال على رضى الله عنه والله ما كان قعودى فى كن هذا البيت قصدا للخلاف ولا انكارا للمعروف ولازراية على مسلم بل لما قد وقذنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراقه وأودعنى من الحزن لفقده وذلك انى لم أشهد بعده مشهدا الاجدد على حزنا وذكرنى شجنا وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه وأجمع ما تفرق رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله وسلم لعلمه ومشيئته وأمره ونهيه على انى ما علمت أن التظاهر على واقع ولا عن الحق الذى سبق الى دافع واذ قد أفعم الوادى بى وحشد النادى من أجلى فلا مرحبا بما أساء أحدا من المسلمين وسرنى وفى النفس كلام لولا سابق عقد وسالف عهد لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى وخضت لجته بأخمصى ومفرقى ولكننى ملجم الى أن ألقى الله ربى وعنده أحتسب ما نزل بى وانى غاد الى جماعتكم مبايع صاحبكم صابر على ما ساءنى وسركم (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) قال أبو عبيدة فعدت الى أبى بكر رضى الله عنه فقصصت عليه القول على غره ولم أختزل شيأ من حلوه ومره وبكرت غدوة الى المسجد فلما كان صباح يومئذ واذا على يخترق الجماعة الى أبى بكر رضى الله عنهما فبايعه وقال خيرا ووصف جميلا وجلس زمينا واستأذن للقيام فمضى وتبعه عمر مكرما له مستأثرا لما عنده فقال على رضى الله عنه ما قعدت عن صاحبكم كارها ولا أتيته فرقا ولا أقول ما أقول تعلة وانى لأعرف منتهى طرفى ومحط قدمى ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكن قد ازمت على فأسى ثقة بربى فى الدنيا والآخرة فقال له عمر رضى الله عنه كفكف غربك واستوقف سربك ودع العصى بلحائها والدلاء على رشائها فانا من خلفها وورائها ان قدحنا أورينا وان متحنا أروينا وان قرحنا أدمينا ولقد سمعت أماثيلك التى لغزت بها عن صدر أكل بالجوى ولو شئت لقلت على مقالتك ما ان سمعته ندمت على ما قلت وزعمت أنك قعدت فى كن بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقده فهو وقذك ولم يقذ غيرك بل مصابه أعظم وأعم من ذلك وان من حق مصابه أن لا تصدع شمل الجماعة بفرقة لا عصام لها ولا يؤمن كيد الشيطان فى بقائها هذه العرب حولنا والله لو تداعت علينا فى صبح نهار لم نلتق فى مسائه وزعمت أن الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فمن علامة الشوق اليه نصرة دينه وموازرة أوليائه ومعاونتهم وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه فمن العكوف على عهد الله النصيحة لعباد الله والرأفة على خلق الله وبذل ما يصلحون به ويرشدون عليه وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر واقع عليك وأى حق لبط دونك قد سمعت وعلمت ما قال الانصار بالامس سرا وجهرا

وتقلبت عليه بطناوظهرا فهل ذكرت أوأشارت بك أووجدت رضاهم عنك هل قال أحدمنهم بلسانه انك تصلح لهذا الامر أو أومأ بعينه أوهمّ فى نفسه أتظن أن الناس ضلوا من أجلك وعادوا كفارا زهدا فيك وباعوا الله تحاملا عليك لا والله لقد جاءنى عقيل بن زياد الخزرجى فى نفر من أصحابه ومعهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجى وقالوا ان عليا ينتظر الامامة ويزعم أنه أولى بها من غيره وينكر على من يعقد الخلافة فأنكرت عليهم ورددت القول فى نحرهم حيث قالوا انه ينتظر الوحى ويتوكف مناجاة الملك فقلت ذاك أمر طواه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أكان الامر معقودا بأنشوطة أومشدودا بأطراف ليطة كلا والله لا عجماء بحمد الله الا أفصحت ولا شوكاء الا وقد تفتحت ومن أعجب قولك ولولا سالف عهد وسابق عقد لشفيت غيظى وهل ترك الدين لأهله أن يشفوا غيظهم بيد أوبلسان تلك جاهلية وقد استأصل الله شأفتها واقتلع جرثومتها وهوّر ليلها وغوّر سيلها وأبدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان وزعمت أنك ملجم ولعمرى ان من اتقى الله وآثر رضاه وطلب ما عنده أمسك لسانه وأطبق فاه وجعل سعيه لما وراءه فقال على رضى الله عنه مهلا يا أبا حفص والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكثه ولا أقررت ما أقررت وأنا أبتغى حولا عنه وان أخسر الناس صفقة عند الله من آثر النفاق واحتضن الشقاق وفى الله سلوة عن كل حادث وعليه التوكل فى جميع الحوادث ارجع يا أبا حفص الى مجلسك ناقع القلب مبرود الغليل فسيح اللبان فصيح اللسان فليس وراء ما سمعت وقلت الا ما يشد الازر ويحط الوزر ويضع الاصر ويجمع الالفة بمشيئة الله وحسن توفيقه قال أبو عبيدة رضى الله عنه فانصرف على وعمر رضى الله عنهما وهذا أصعب ما مرّ على بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك كلام عائشة رضى الله عنها فى الانتصار لأبيها يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها ان أقواما يتناولون أبا بكر رضى الله عنه فأرسلت الى أزفلة من الناس فلما حضروا أسدلت أستارها وعلت وسادها ثم قالت أبى وما أبيه أبى والله لا تعطوه الايدى ذاك طود منيف وفرع مديد هيهات كذبت الظنون أنجح اذ أكديتم وسبق اذونيتم سبق الجواد اذا استولى على الامد فتى قريش ناشئا وكهفها كهلا يفك عانيها ويريش مملقها ويرأب شعبها ويلم شعثها حتى حليته قلوبها ثم استشرى فى دين الله فما برحت شكيمته فى ذات الله عزوجل حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيى فيه ما أمات المبطلون وكان رحمه الله غزير الدمعة وقيذ الجوانح شجى النشيج فانقضت اليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزؤن به (الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) فأكبرت ذلك رجالات من قريش فحنت قسيها وفوقت سهامها وانتثلوه غرضا فما فلوا له صفاة ولا قصفوا له قناة ومر على سيسائه حتى اذا ضرب الدين بجرانه

ورست أوتاده ودخل الناس فيه أفواجا ومن كل فرقة ارسالا وأشتاتا اختار الله لنبيه ما عنده فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله وأجلب بخيله ورجله واضطرب حبل الاسلام ومرج عهده وماج أهله وبغى الغوائل وظنت رجال ان قد أكثبت اطماعهم نهزها ولات حين الذى يرجون وانى والصديق بين أظهرهم فقام حاسرا مشمرا فجمع حاشيته ورفع قطريه فرد رسن الاسلام على غربه ولم شعثه بطبه وانتاش الدين فنعشه فلما أراح الحق على أهله وقرر الرؤس على كواهلها وحقن الدماء فى أهبها أتته منيته فسد ثلمه بنظيره فى الرحمة وشقيقه فى السيرة والمعدلة ذاك ابن الخطاب لله در أم حملت به ودرت عليه لقد أوحدت به ففنخ الكفرة وديخها وشرد الشرك شذر مذر وبعج الارض وبخعها فقاءت أكلها ولفظت جنينها ترأمه ويصدف عنها وتصدى له ويأباها ثم وزع فيها فيئها وودعها كما صحبها فأرونى ماذا ترتأون وأى يومى أبى تنقمون أيوم اقامته اذ عدل فيكم أم يوم ظعنه اذ نظر لكم أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيأ قالوا اللهم لا

ومن ذلك كلام أم الخير بنت الحريش البارقية يوم صفين فى الانتصار لعلى رضى الله عنه روى أن معاوية كتب الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير بنت الحريش البارقية برحلها وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا وبالشر شرا فلما ورد عليه كتابه ركب اليها فأقرأها الكتاب فقالت أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج فى صدرى فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها يا أم الخير ان أمير المؤمنين كتب الى أنه مجازينى بقولك فى بالخير خيرا وبالشر شرا فما عندك قالت يا هذا لا يطمعنك برك بى أن أسرك بباطل ولا تؤيسك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق فسارت خير مسير حتى قدمت على معاويه فأنزلها مع حرمه ثم أدخلها عليه فى اليوم الرابع وعنده جلساؤه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال لها وعليك السلام يا أم الخير وبالرغم منك دعوتينى بهذا الاسم قالت مه يا أمير المؤمنين فان بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه (ولكل أجل كتاب) قال صدقت فكيف حالك يا خالة وكيف كنت فى مسيرك قالت لم أزل فى عافية وسلامة حتى صرت اليك فأنا فى مجلس أنيق عند ملك رفيق قال معاوية بحسن نيتى ظفرت بكم قالت يا أمير المؤمنين أعيذك بالله من دحض المقال وما تردى عاقبته قال ليس هذا أردنا اخبرينى كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر قالت لم أكن والله زورته قبل ولا رويته بعد وانما كانت كلمات نفثهن لسانى حين الصدمة فان شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت قال لا أشاء ذلك ثم التفت الى أصحابه فقال أيكم يحفظ كلام ام الخير فقال رجل من القوم أنا أحفظه يا أمير المؤمنين

لحفظي سورة الحمد قال هاته قال نعم كأني بها يا أمير المومنين في ذلك اليوم عليها برد زبيدي كثيف الحاشــية وهي على جمل أرمك وقد أحيط حولها وبيدها سوط منتشر الظفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول يا أيها النـاس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ان الله قد أوضح الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم فلم يدعكم في عمياء مبهمة ولا سوداء مدلهمة فأنى تريدون رحمكم الله أفرارا عن أمير المؤمنـين أم فرارا من الزحف أم رغبة عن الاسـلام أم ارتدادا عن الحق أما سمعتم الله عز وجل يقول (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبــة وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والوصي الوفي والصديق الأكبر انها إحن بدرية وأحقاد جاهلية وضغائن أحدية وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبد شمس ثم قالت (قاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) صــبرا معشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم وكأني بكم غدا قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة لا تدري أين يسلك بها من فجاج الارض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصــيرة بالعمى عما قليل ليصبحن نادمين حين تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالة إنه والله من ضــل عن الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنــة نزل في النار أيها الناس ان الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطؤا مدة الآخرة فسعوا لها والله أيها الناس لولا ان تبطل الحقوق وتعطل الحدود ويظهر الظالمون وتقوى كلمة الشيطان لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبــه فالى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صــلى الله عليه وســلم وزوج ابنته وأبي ابنيه خلق من طينته وتفرع عن نبعته وخصه بسره وجعله باب مدينته وأعلم بحبه المسلمين وأبان ببغضه المنـافقين فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعونته ويمضي على سنن استقامته لا يعرج لراحة اللذات وهو مفلق الهام ومكسر الأصنام اذ صلى والناس مشركون وأطاع والناس مرتابون فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر وأفنى أهل أحد وفرق جمع هوازن فيالها وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا وردة وشقاقا قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . فقال معاوية والله يا أم الخير ما أردت بهذا الا قتلي والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك قالت والله ما يسوؤني يا ابن هند أن يجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقائه قال هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان قالت وما عســيت أن أقول فيه استخلفه الناس وهم كارهون وقتلوه وهم راضون فقال إيها يا أم الخير هذا والله أصلك الذي تبنين عليه قالت لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا

ولقد كان سباقا الى الخيرات وانه لرفيع الدرجة . قال فما تقولين فى طلحة بن عبيد الله قالت وما عسى أن أقول فى طلحة اغتيل من مأمنه وأتى من حيث لم يحذر وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة قال فما تقولين فى الزبير قالت ياهذا لاتدعنى كرجيع الضبع يعرك فى المركن قال حقا لتقولن ذلك وقد عزمت عليك قالت وما عسيت أن أقول فى الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولقد كان سباقا الى كل مكرمة فى الاسلام وإنى أسألك بحق الله يامعاوية فان قريشا تحدث أنك من أحلمها أن تسعنى بفضل حلمك وأن تعفينى من هذه المسائل وامض لما شئت من غيرها قال نعم وكرامة قد أعفيتك وردها مكرمة الى بلدها * ونحو ذلك كلام الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية يوم صفين أيضا يروى أنها ذكرت عند معاوية يوما فقال لجلسائه أيكم يحفظ كلامها قال بعضهم نحن نحفظه ياأمير المؤمنين قال فأشيروا على فى أمرها فأشار بعضهم بقتلها فقال بئس الرأى أيحسن بمثلى أن يقتل امرأة ثم كتب الى عامله بالكوفة أن يوفدها اليه مع ثقة من ذوى محرمها وعدة من فرسان قومها وأن يمهد لها وطاء لينا ويسترها بستر خصيف ويوسع لها فى النفقة فلما دخلت على معاوية قال مرحبا بك وأهلا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك قالت بخير ياأمير المؤمنين أدام الله لك النعمة قال كيف كنت فى مسيرك قالت ربيبة بيت أو طفلا ممهدا قال بذلك أمرناهم أتدرين فيم بعثت اليك قالت وأنى لى بعلم مالم أعلم ومايعلم الغيب الا الله عز وجل قال ألست الراكبة الجمل الاحمر والواقفة بين الصفين بصفين تحضين الناس على القتال وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك قالت ياأمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ولن يعود ماذهب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر قال لها معاوية أتحفظين كلامك يومئذ قالت لا والله ولقد أنسيته قال لكنى أحفظه لله أبوك حين تقولين أيها الناس ارعووا وارجعوا انكم أصبحتم فى فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها فتنة عمياء صماء بكماء لاتسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها ان المصباح لايضىء فى الشمس والكواكب لاتنير مع القمر ولا يقطع الحديد الا الحديد ألا من استرشد أرشدناه ومن سألنا أخبرناه أيها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبرا يامعاشر المهاجرين والانصار على الغصص فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة التقوى ودمغ الحق باطله فلا يجهلن أحد فيقول كيف العدل وانى ليقضى الله أمرا كان مفعولا ألا وان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم مابعده والصبر خير فى عواقب الامور إيها الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين ثم قال لها يازرقاء لقد شركت عليا فى كل دم سفكه قالت أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك فمثلك من بشر بخير وسر جليسه

قال و يسرك ذلك قالت نعم سررت بالخبر فأنى لى بتصديق الفعل فضحك معاوية وقال لوفاؤكم له بعد موته أعجب عندى من حبكم له فى حياته اذكرى حاجتك قالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسى أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا ومثلك من أعطى من غير مسألة وجاد من غير طلبة قال صدقت وأمر لها وللذين جاؤا معها بجوائز وكسا * وقريب من ذلك كلام عكرشة بنت الاطرش يوم صفين أيضا يروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على عكازلها فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية الآن صرت عندك أمير المؤمنين قالت نعم اذلا على حى قال ألست المتقلدة حمائل السيف بصفين وأنت واقفة بين الصفين تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يحزن من قطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم مستظهرين على حقهم ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم الى الباطل فأجابوه واستدعاهم الى الدنيا فلبوه فالله الله عباد الله فى دين الله واياكم والتواكل فان ذلك ينقض عرى الاسلام و يطفئ نور الحق هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى يامعشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تقصع قصع البعير ثم قال فكأنى أراك على عصاك هذه قد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطرش فان كدت لتقلين أهل الشام لولا قدر الله وكان أمر الله قدرا مقدورا فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين يقول الله جل ذكره (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) الآية وان اللبيب اذا كره أمرا لا يحب اعادته قال صدقت فاذكرى حاجتك قالت كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا وقد فقدنا ذلك فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير فان كان عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة وان كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة قال معاوية يا هذه انه ينو بنا من أمور رعيتنا ثغور تنفتق وبحور تندفق قالت سبحان الله والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا لغيرنا وهو علام الغيوب قال معاوية هيهات يا أهل العراق نبهكم على فلن تطاقوا ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وانصافهم والشاهد فى هذه الحكايات كلام هؤلاء النسوة مع ما فيها من المراجعات والمخاطبات والمقاولات والمحاورات الصالحة للاستشهاد للفصل المتقدم قبل ذلك وهذا باب متسع لا يسع استيفاؤه ولا يمكن استيعابه وفيما ذكرنا مقنع * ومن ذلك ما روى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أرسل الى معاوية بالشام كتابا صحبة صعصعة بن صوحان فسار به حتى أتى دمشق فأتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين على بن أبى طالب وبالباب جماعة من بنى أمية فأخذته النعال والأيدى

لقوله أمير المؤمنين وكثرت عليه الجلبة فاتصل ذلك بمعاوية فأذن له فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبي سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية في الكلام وأراد أن يستخبره ليعرف طبعا أم تكلفا فقال له ممن الرجل قال من نزار قال وما كان نزار قال كان اذا غزا انكمش واذا لقي افترش واذا انصرف احترش قال فمن أي أولاده أنت قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان يطيل النجاد ويعول العباد ويضرب ببقاع الارض العماد قال فمن أي أولاده أنت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان في الحرب سيفا قاطعا وفي المكرمات غيثا نافعا وفي اللقاء لهبا ساطعا قال فمن أي أولاده أنت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان حسنا أبيض وهابا يقدم لضيفه ما وجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحي من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله يا ابن أبي سفيان تركت لهم ما لا يصلح الا لهم تركت لهم الاحمر والابيض والاصفر والسرير والمنبر والملك الى المحشر ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها قال صدقت يا ابن صوحان إن ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما أراد فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك اصدار ولا ايراد بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء قال ولم ذلك ويلك يا ابن صوحان فقال الويل لأهل النار ذلك لبني هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الوعد بيني وبينك لا الوعيد من أراد المناجزة يقبل المحاجزة فقال معاوية لشيء ما سوده قومه ووددت أني من صلبه ثم التفت الى بني أمية فقال هكذا فلتكن الرجال * ومن ذلك ما روي أن سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على معاوية وابنه يزيد الى جانبه فقال له ائتمنك أبي واصطنعك حتى بلغت باصطناعه اياك المدى الذي لا يجارى والغاية التي لا تسامى فما جازيت أبي بآلائه حتى قدمت هذا علي وجعلت له الأمر دوني وأومأ الى يزيد والله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه ولأنا خير منه فقال له معاوية أما ما ذكرت يا ابن أخي من تواتر آلائكم علي وتظاهر نعمائكم لدي فقد كان ذلك ووجب علي المكافأة والمجازاة وكان من شكري اياه ان طلبت بدمه حتى كابدت أهوال البلاء وغشيت عساكر المنايا الى أن شفيت حزازات الصدور وتجلت تلك الامور ولست لنفسي باللائم في التشمير ولا الزاري عليها في التقصير وذكرت أن أباك خير من أب هذا وأشار بيده الى يزيد فصدقت لعمر الله لعثمان خير من معاوية أكرم كريما وأفضل قديما وأقرب الى محمد صلى الله عليه وسلم رحما وذكرت أن أمك خير من أمه فلعمري ان امرأة من قريش خير من امرأة من بني كلب وذكرت أنك خير من يزيد فوالله يا ابن أخي ما يسرني أن الغوطة عليها رجال مثل يزيد فقال له يزيد مه يا أمير المؤمنين

ابن أخيك استعمل الدالة عليك واستعتبك لنفسه واستزادمنك فزده وأجل له فى ردك واحمل على نفسك ووله خراسان بشفاعتى وأعنه بمال يظهر به مروءته فولاه معاوية خراسان وأجازه بمائة ألف درهم فكان ذلك أعجب ماظهر من حلم يزيد * ومن ذلك مايروى أن زيد بن منبه قدم على معاوية فشكا اليه دينا لزمه فأعطاه ستين ألف درهم وكان عتبة بن أبى سفيان قد تزوج ابنة يعلى أخى زيد بن منبه وهو يومئذ عامل بمصر فقال له معاوية الحق بصهرك يعنى عتبة فقدم عليه مصر فقال انى سرت اليك شهرين أخوض فيهما المتالف ألبس أردية الليل مرة وأخوض فى لجج السراب أخرى موفرا من حسن الظن بك وهاربا من دهر قطم ودين أزم بعد غنى جدعنا به أنوف الحاسدين فلم أجد الا اليك مهربا وعليك معولا فقال عتبة مرحبا بك وأهلا ان الدهر أعاركم غنى وخلطكم بنا ثم استرد وأخذ ماأمكنه أخذه وقد أبقى لكم منا مالاضيعة معه وأنا رافع اليك يدى بيد الله فأعطاه ستين ألفا كما أعطاه معاوية * ومن ذلك مايحكى أن عبد العزى بن زرارة وفد على معاوية وهو سيد أهل الوبر فلما أذن له وقف بين يديه وقال ياأمير المؤمنين لم أزل أهز ذوائب الرجاء اليك ولم أجد معولا إلا عليك أمتطى الليل بعد النهار وأسم المجاهل بالآثار يقودنى اليك أمل ويسوقنى اليك بلوى والمجتهد يعذر واذ بلغتك فقط فقال معاوية فاحطط عن راحلتك رحلها وخرج عبد العزى هذا مع يزيد بن معاوية الى الصائفة وأبوه زرارة عند معاوية فهلك هنالك فكتب يزيد الى أبيه معاوية بذلك فقال معاوية لزرارة أتانى اليوم نعى سيد شباب العرب قال زرارة ياأمير المؤمنين هو ابنى أو ابنك قال بل ابنك فقال للموت ماتلد الوالدة أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وللموت تغذو الوالدات سخالها * كما لخراب الدهر تبنى المساكن

* ومن ذلك مايروى أن مروان بن الحكم وهو وال على المدينة فى خلافة معاوية حبس غلاما من بنى ليث فى جناية جناها بالمدينة فأتته جدة الغلام وهى أم سنان بنت جشيمة بن حرشة المذحجية فكلمته فى الغلام فأغلظ لها مروان فخرجت الى معاوية فدخلت عليه فانتسبت له فعرفها فقال مرحبا يابنة جشيمة ماأقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتمينا وتحضين علينا عدونا قالت ياأمير المؤمنين إن لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة وأعلاما ظاهرة لايجهلون بعد علم ولا يسفهون بعد حلم ولا ينتقمون بعد عفو وان أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت قال صدقت نحن كذلك فكيف قولك

عزب الرقاد فمقلتى ما ترقد * والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لامقام فشمروا * إنّ العدوّ لآل مذحج يقصد
هذا علىّ كالهلال تحفه * وسط السماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق وابن عم محمد * ان يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفرا * والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت قد كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجوا أن تكون لنا خلفا بعده فقال رجل من جلسائه كيف يا أمير المؤمنين وهى القائلة

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل * بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت * فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفا لنا * أوصى اليك بنا وكنت وفيا
واليوم لا خلف يؤمل بعده * هيهات نأمل بعده انسيا

قالت يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق ولئن تحقق فيك ما ظننناه لحظك الاوفر والله ما أورثك الشنآن فى قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض مقالتهم وابعد منزلتهم فانك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المسلمين حبا قال وانك لتقولين ذلك قالت سبحان الله والله ما مثلك من مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلبنا كان على والله أحب الينا منك وأنت أحب الينا من غيرك قال ممن قالت من مروان وسعيد بن العاص قال وبم استحققت ذلك عندك قالت بسعة حلمك وكريم عفوك قال وانهما يطمعان فى ذلك قالت هما والله من الرأى على ما كنت عليه لعثمان بن عفان قال لقد قاربت فما حاجتك قالت يا أمير المؤمنين ان مروان تبنك فى المدينة تبنك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة يتتبع عورات المؤمنين حبس ابن ابنى فأتيته فقال كيت وكيت فأسمعته أخشن من الحجر وألقمته أمر من الصبر ثم رجعت الى نفسى باللائمة وقلت لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو منه فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظرا وعليه معديا قال صدقت لا أسئلك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها باطلاقه قالت يا أمير المؤمنين وأنى بالرجعة وقد نفد زادى وكلت راحلتى فأمر لها براحلة موطأة وخمسة آلاف درهم * ومن ذلك ماروى أن معاوية حج فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل الحجون يقال لها الدارمية وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فجىء بها فقال ما حالك يا ابنة حام قالت لست لحام أدعى ان عبتنى أنا امرأة من بنى كنانة قال صدقت أتدرين لم أرسلت اليك قالت لا يعلم الغيب إلا الله قال بعثت اليك لأسألك علام أحببت عليا وأبغضتنى وواليته وعاديتنى قالت أو تعفينى يا أمير المؤمنين قال لا أعفيك قالت أما اذ أبيت فانى أحببت عليا على عدله فى الرعية وقسمه بالسوية وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك بحق وواليت عليا على ما عقد له من الولاية وعلى حبه المساكين واعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وجورك

فى القضاء وحكمك بالهوى قال ولذلك انتفخ بطنك وعظم ثديالك وربت عجيزتك قالت ياهذا بهند كانت تضرب الأمثال لابى قال ياهذه اربعى فانا لم نقل الاخيرا انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها واذا عظم ثدياها تروى رضيعها واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها فرجعت وسكنت قال لها فهل رأيت عليا قالت لقد كنت رأيته قال كيف كنت رأيتينه قالت رأيتـه لم يفتنه الملك الذى فتنك ولم تشغله النعمة التى شغلتك قال لهـا فهل سمعت كلامه قالت نعم والله كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطشت من الصـدا قال صـدقت فهل لك من حاجة قالت وتفعل اذا سألتك قال نعم قالت تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها قال تصنعين بها ماذا قالت أغذى بألبانها الصغار وأستحيى بها الكبار وأصلح بها بين العشائر قال فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل على قالت ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك ياسبحان الله أودونه فانشأ معاوية يقول

اذا لم أعد بالحلم منى اليكم * فمن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم
خذيها هنيئا واذكرى فعل ماجد * جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال أما والله لو كان على اما أعطاك منها شيأ قالت والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

*ومن ذلك ماروى أن أم البراء بنت صفوان استأذنت على معاوية فأذن لها فدخلت عليه وعليها ثلاثة دروع برود تسحبها ذراعا قد لاثت على رأسها كورا كالمنسف فسلمت وجلست فقال لها معاوية كيف أنت ياابنة صفوان قالت بخير ياأمير المؤمنـين قال كيف حالك قالت كسلت بعد نشاط قال شتان بينك اليوم وحين تقولين

يازيد دونك صارما ذا رونـق * عضب المهـزة ليس بالخوار
أسرج جوادك مسرعا ومشمرا * للحرب غـير معود لفـرار
أجب الأمام ودب تحت لوائه * والق العـدو بصـارم بتار
ياليتنى أصبحت لست قعيـدة * فأذب عنـه عساكر الفجار

قالت قد كان ذلك ومثلك من عفا عما سلف (ومن عاد فينتقم الله منه) قال هيهات أما والله لو عاد لعدت ولـكنه اخترم منك قالت أجل والله انى لعلى بينة من ربى وهدى من أمرى قال كيف كان قولك حين قتل قالت أنسيته قال بعض جلسائه هو والله حين تقول

يالارجال لعظم هول مصيبـة * فدحت فليس مصابها بالحائل
الشمس كاسفة لفقد إمامنا * خـير الخلائق والامام العادل
حاشى النبى لقد هددت قواءنا * فالحق أصبح خاضـعا للباطل

فقال معاوية قاتلك الله فما تركت مقالا لقائل اذكرى حاجتك قالت أما الآن فلا وقامت فعثرت فقالت تعس شانئ علىّ فقال زعمت أن لا قالت هو كما علمت فلما كان من الغد بعث اليها بجائزة وقال اذا ضيعت الحلم فمن يحفظه * ومن ذلك أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عدى ابن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة فول القضاء أنفذهما فجمع بينهما وكانا غير راغبين فى القضاء فقال اياس أيها الرجل سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتى الحسن وابن سيرين واياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنه ان سألهما عنه أشارا به فقال له لا تسأل عنى ولا عنه فوالله الذى لا إله إلا هو ان اياس بن معاوية أفقه منى وأعلم بالقضاء فان كنت كاذبا فما أشير عليك ان توليني وانا كاذب وان كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل قولى قال له اياس انك جئت برجل فوقفت به على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما كان قال له عدى أما اذ فهمتها فأنت لها فاستقضاه * ومن ذلك ما حكاه صاحب العقد عن زياد عن مالك بن أنس قال خطب أبو جعفر المنصور فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اتقوا الله فقام اليه رجل من عرض الناس فقال أذكرك الذى ذكرتنا به فأجابه أبو جعفر بلا فكر ولا روية سمعا سمعا لمن ذكر بالله وأعوذ بالله أن أذكرك به وأنساه فتأخذنى العزة بالاثم لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وأما أنت فوالله ما الله أردت بهذا ولكن ليقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها لو كانت وأنا أنذركم أيها الناس أختها فان الموعظة علينا نزلت ومنا انبثت ثم رجع الى مكانه من الخطبة * ومن ذلك ما يحكى عن الربيع قال كنا وقوفا على رأس المنصور وقد طرحت للمهدى بن المنصور وسادة اذ أقبل صالح بن المنصور وكان قد رشحه أن يوليه بعض أمره فقام بين السماطين والناس على قدر أنسابهم ومواضعهم فتكلم فأجاد فمد المنصور يده اليه ثم قال يا بنى واعتنقه ونظر فى وجوه أصحابه هل فيهم أحد يذكر مقامه ويصف فضله فكلهم كره ذلك وهاب المهدى فقام شبة بن عقال التميمى فقال لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه وأحسن بيانه وأمضى جنانه وأبل ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهدى أخوه وهو كما قال زهير بن أبى سلمى

يطلب شأو امرأين قدما حسنا * بذّ الملوك وبذّا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدّما من صالح سبقا

قال الربيع فأقبل علىّ بعض من حضر وقال والله ما رأيت مثل هذا تخلصا أرضى أمير المؤمنين ومدح الغلام وسلم من المهدى فالتفت الىّ المنصور وقال يا ربيع لا ينصرف التميمى الا بثلاثين ألف درهم * ومن ذلك ما حكى أن رجلا دخل على المهدى ولى عهد المنصور

فقال يا أمير المؤمنين ان أمير المؤمنين المنصور شتمني وقذف أمي فاما أمرتني أن أحلله وإما عوضتني فاستغفرت له قال ولم شتمك قال شتمت عدوه بحضرته فغضب فقال ومن عدوه الذي غضب لشتمه قال ابراهيم بن عبد الله بن حسن قال ان ابراهيم أمس به رحما وأوجب عليه حقا فان كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذب وعن عرضه دفع وما أساء من انتصر لابن عمه قال فانه كان عدوه قال فلم ينتصر للعداوة انما انتصر للرحم فأسكت الرجل فلما ذهب ليولي قال لعلك أردت أمرا فلم تجد له ذريعة عندك أبلغ من هذه الدعوى قال نعم فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم * ومن ذلك ما حكي أن المنصور قال لبعض قواده صدق الذي قال أجع كلبك يتبعك فقال له أبو العباس الطوسي أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يلوح له غيرك رغيفا فيتبعه ويدعك * ومن ذلك ما يحكى أنه وفد أهل الحجاز من قريش على هشام بن عبد الملك بن مروان وفيهم محمد بن أبي الجهم ابن حذيفة العدوي وكان أعظمهم قدرا وأكبرهم سنا فقال أصلح الله أمير المؤمنين ان خطباء قريش قد قالت فيك وأقلت وأكثرت وأطنبت وما بلغ قائلهم قدرك ولا أحصى مطنبهم فضلك وان أذنت في القول قلت قال قل وأوجز قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى وزينك بالتقوى وجمع لك خير الآخرة والاولى ان لي حوائج أفأذكرها قال هاتها قال كبرت سني ودق عظمي ونال الدهر مني فان رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري وينفي فقري قال وما الذي ينفي فقرك ويجبر كسرك قال ألف دينار وألف دينار وألف دينار فأطرق هشام طويلا ثم قال هيهات يا ابن أبي الجهم بيت المال لا يحتمل ما سألت فقال أما ان الامر لواحد ولكن الله آثرك لمجلسك فان تعطنا فحقنا أديت وان تمنعنا نسأل الذي بيده ما حويت ان الله جعل العطاء محبة والمنع مبغضة ولئن أحبك أحب الي من أن أبغضك قال فألف دينار لماذا قال أقضي بها دينا قد حم قضاؤه وحناني حمله وأضرني أهله قال فلا بأس تنفس كربة وتؤدي أمانة وألف دينار لماذا قال أزوج بها من بلغ من ولدي قال نعم المسلك سلكت أغضضت بصرا وأعففت ذكرا ورجوت نسلا وألف دينار لماذا قال أشتري بها أرضا يعيش بها ولدي وأستعين بفضلها على نوائب دهري وتكون ذخرا لمن بعدي قال فانا قد أمرنا لك بما سألت قال فالمحمود الله على ذلك وخرج فقال هشام ما رأيت رجلا أوجز في مقال ولا أبلغ في بيان منه وانا لنعرف الحق اذا نزل ونكره الاسراف والبخل وما نعطي تبذيرا ولا نمنع تقتيرا وما نحن الا خزان الله في بلاده وأمناؤه على عباده فان أذن أعطينا واذا منع أبينا ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا ولا رددنا سائلا فنسأل الذي بيده ما استحفظنا أن يجريه على أيدينا فانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا فقالوا يا أمير المؤمنين لقد تكلمت فأبلغت وما بلغ في كلامه ما قصصت فقال انه مبتدي وليس المبتدي كالمقتدي والحكايات والاخبار

فى ذلك كثيرة والاطناب يخرج عن المقصود ويؤدى الى الملال وفيما ذكرنا من ذلك مقنع والله أعلم

المقصد الثالث

(فى كيفية تصرف الكاتب فى مثل هذه المكاتبات والرسائل)

غير خاف على من تعاطى صناعة النثر والنظم أنه لا يستقل أحد باستخراج جميع المعانى بنفسه ولا يستغنى عن النظر فى كلام من تقدمه لاقتباس ما فيه من المعانى الرائقة والالفاظ الفائقة مع معرفة ترتيب أهل كل زمن واصطلاحهم فينسج على منوالهم أو يقترح طريقة تخالفهم وتوارد الكتاب والشعراء على المعانى غير مجهول فان التوارد يقع فى الشعر الذى هو مبنى على أصل واحد من وزن وقافية فانه اذا وقف على المعنى وترتيب الكلام عرف كيف ينسج الكلام مثل أن يكتب فى تهنئة بمولود قد جعلك الله من نبعة طابت مغارسها ورسخت عروقها فالزيادة فيها زيادة فى جوهر الكرم وذخيرة نفيسة لذوى الاقبال فتولى الله نعمه عندك بالحراسة الوافية والولاية الكافية وقد بلغنى الخبر بحدوث الولد المبارك والفرع الطيب الذى عمر أفنية السيادة وأضحك مطلع السعادة فتباشرت بذلك وابتهجت به فجعله الله برا تقيا سعيدا حميدا يتقيل سلفه ويقتفى أثرهم وأعزبه عددك وكثر به ذريتك وأوزعك الشكر عليه وأجارك فيه من الثكل برحمته . فيأخذ آخر المعنى ويورده بالفاظ أخرى فيقول قد جعلك الله من شجرة زكت غصونها وفرع شرفت منابته فالنمو فيها نعمة كاملة السعادة وغبطة شاملة السرور فتولى الله فضله عليك بالحفاظ الراعى والدفاع الكالى وقد اتصل بى خبر السليل الرضى والولد الصالح الذى جدد فوائد السيادة وثبت أساس الرفعة فاغتبطت به واستبشرت جعله الله تعالى ولدا ميمونا ونجلا سعيدا يسلك مناهج سلفه ويحذو فى المحاسن حذوهم وزاد به فى ثروتك وأراك فيه غاية أملك وسرك بوجوده وأسعدك برؤيته . فالمعنى والفصل واحد والالفاظ مختلفة وكذلك ما يجرى هذا المجرى وما فى معناه . قلت ولا ينهض بمثل ذلك الا من رسخت فى صنعة الكتابة قدمه وامتزج بأجزاء الفصاحة والبلاغة لحمه ودمه وهذا المنهج هو أحد أنواع الاعجاز فى القرآن الكريم فان القصة الواحدة تتكرر فيه مرارا فى سور متعددة ترد فى كل سورة بلفظ وتركيب غير الذى وردت به فى الأخرى مع استيفاء حد البلاغة ونهاية أمد الفصاحة ولذلك قل من سلك هذا المنهج أو ارتقى هذه الذروة وقد أتى على بن حمزة بن طلحة فى كتابه الاقتداء بالافاضل من ذلك بالعجب العجاب فانه قد استحسن كلام الخطيب ابن نباتة الفارقى والامير قابوس الخراسانى والوزير أبى القاسم المغربى والصاحب ابن عباد وأبى اسحاق الصابى الذين هم رؤساء الكتابة وأئمة الخطابة من الرسائل والعهود البديعة والخطب الموجزة الرائقة فجرد معانيها

من ألفاظها واخترع لها ألفاظا غير ألفاظها مع زيادة تنميق ومراعاة ترصيف على أتم نظام وأحسن التئام وهاتان نسختا كتابين الاولى منهما كتب بها أبو اسحاق الصابى عن عز الدولة ابن بويه جوابا عن كتاب وصل اليه عن أخيه عضد الدولة يخبره بمولود ولد له والثانية عارض بها على بن حمزة المذكور أبا اسحاق الصابى فى ذلك بألفاظ أخرى مع اتحاد المعنى . فأما التى كتب بها أبو اسحاق الصابى عن عز الدولة الى عضد الدولة فهى وصل كتاب سيدى الامير عضد الدولة أطال الله بقاءه بالخبر السار للاولياء الكابت للاعداء فى الولد الحبيب الاثير والسيد المقبل الخطير الذى زاد الله به فى عددنا وجدد نعمه عندنا وحقق فيه آمالنا والآمال لنا فأخذ ذلك منى مأخذ الاغتباط ونزل عندى على منازل الابتهاج وسألت الله تعالى أن يختصه بالبقاء الطويل والعمر المديد وأن يجعل مواهبه لسيدى الامير نامية بنموه ناشئة بنشوه ليكون كل يوم من أيامه ممدا له من فضله عادة وواعدا له من غده بزيادة ومجددا له به منحة تتضاعف الى ماسبق من أمثالها ومجددا له عازمة تتلو ماسلف من أشكالها وأن يريه اياه غرة فى وجه دولته ووارثا بعد سالفه البقاء لمنزلته قائما للملك قيامه وسادا منه مكانه ويهب له بعد الاكابر النجباء والسابقين أترابا من الاخوة لاحقين تابع منهم من مباراة المتبوع وشافع من مجاراة المشفوع فى فائدة تقدم بمقدمه وعائدة ترد بمورده ويحرس هذه السعادة من خلل يعرض اتصالها أو فترة تخترم زمانها أو نائبة تشوبها أو تنغصها أو رزية تثلمها أو تنقصها الا انها الأمد الأبعد والعمر الاطول ثم يقضى به غضارة هذه الدار الدنيا الى قرارة الدار الاخرى مبوأ أوفى مراتبها مبلغا أقصى مبالغها حالا أرفع درجاتها مختصا بأنعمها متبحبحا بها مستثمرا ماقدمه لصالح سعيه ومستوفيا ماأفاءه عليه متجره الرابح وآثاره البادية لانفاقه فى أيام نظرى التى استشعرت نورا من سنائه وآنست جمالا من بهائه وثابت مصالحها ببركته وتوافت خيراتها بيمنه واعتقدت أن السعادات طالعة على مطلعه وأسبابها ناجمة الى منجمه فلو استطعت أن أكون مكان كتابى هذا مشافها بالتهنئة لسيدى الامير عضد الدولة أطال الله بقاءه ومقبلا لبساطه لكنت أولى عبيده بالمسارعة الى بابه وأحقهم بالمبادرة الى فنائه لأنى معوق عن تلك الخدمة بخدمة أنا فيها من قبله ومقيم بهذه الحضرة اقامة المتصرفين تحت أمره وقد وفيت نعمة الله تعالى الواهب منه أيده الله تعالى ما يقر عين الولى ويقذى عين العدو ويطرفها حقها من الشكر المترى للقام والمزيد بدوام العز والتأييد وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك مقبولا عنه ونافعا له وعائدا عليه وعلينا بطول العمر ويباهى النشو والنماء وأن يعرف سيدى الامير عضد الدولة أيده الله بركة مولده ويمن مورده ويبقيه حتى يراه والامراء السابقين أيدهم الله تعالى آباء أمثالهم وأشياخ ذريتهم مبلغا فى كل منهم أفضل مارشحته له أمانيه وأعلى ما انبسطت آماله فيه بقدرته وأنا أتوقع

الكتاب بما يقرر عليه اسم الامير السيد وكنيته أعلاها الله تعالى لاستأنف اقامة الرسم فى مكاتبته وتأدية الفرض فى خدمته وسيدى عضد الدولة أطال الله بقاءه أعلى عينا فيما براه بمطالعتى بذلك وبكل ما يوليه الله من مستأنف نعمه ويجدده له فى حادث مواهبه له لآخذ بحظى منهما فأضرب بسهمى فيهما وتصريفى بين أمره ونهيه وتشويفى بعوارض خدمته ان شاء الله تعالى . وأما التى عارضها بها على بن حمزة بن طلحة فهى وصلنى كتاب سيدى الأمير عضد الدولة أطال الله بقاءه بالبشرى المبتسمة عن ناجذ السعد الآنف والنعمى المنقسمة عن صبا المجد المتضاعف التى أشرقت مطالع الاقبال عن محياها وتضوعت نفحات درك الآمال عن رباها وصدقت من الأولياء ظنونهم المرتقبة وانتحبت من الاعداء عيونهم المرتعبة بالولد النجيب الخطير الأمير الحبيب الطهير المجيد المعمر المقبل المؤمر الذى كثر الله به عددنا معشر أهليه وعددنا بما نرتقبه منه ونراعيه وهو تكرمة يحقق ظنوننا بماله نرتجيه ومانؤمله من السعادة المقبلة فيه فاستفزتنى غبطة استحوذت على جوامع لبى وتملكتنى بهجة ثوت فى مرابع قلبى وطفقت مبتهلا وتضرعت متوسلا الى ذى العرش المجيد الفعال لما يريد أن يجمع له بين العمر المديد والجد السعيد كفاء ما قرن له بين المجد العتيد والملك الوطيد وأن يجعل تحيات أياديه لدى سيدى الأمير متضاعفة الأعداد مترادفة الامداد مبشرة بنجباء الاولاد يرى آنفها على السالف بسعده ويلهى عن تالدها الطارف بعلو مجده وأن يريه إياه على مفرق دولته وغرة تشرق فى جبهة ذريته وناهضا بأعباء مملكته وقائما بنصرة دعوته حتى يرى أولاد أولاده جدودا مظفرا سعيدا وأن يتبعه أترابا من الاخوة النجباء الاماجد السعداء متجارين فى حلبات علو الهمم متبارين فى مزيات ايلاء النعم ليتزايد ازدحام وفود السعادة فى عتبات بابه ويترافد اقتحام جنود الاقبال رحيب جنابه ويحرس لديه ما خوله من مواهبه وأياديه ويحفظ عليه ما به فضله من مناقبه ومعاليه ويقيه من كيد عاند اذا عند ويحميه من شر حاسد اذا حسد وأن يؤتيه عائدتى العاجلة والعقبى ويحظيه بسعادتى الآخرة والأولى وأن يجعل سعيه فى مصالح عباده مشكورا ونظره فى مناجح بلاده مبرورا وأن يغادر متاجر بره وتقواه رابحة كما جعل خواطر سره ونجواه صالحة فرياض الايام بعدله نواضر ونواظر الانام الى فضله نواظر ومصالحهم يمنه وبركته متوافية ومراعتهم بهمته وسعادته مؤاتية وانى لأعتقد أن مقيلى فى أفناء السعادة ونيلى كل مأمول وارادة وتوفيقى فيما أوفق فيه بما أعتمده وآتيه جدول من تيار فضله وسعادته منوط العرى بسمو همته وأود أن أكون عوضا عن كتابى هذا اليه وخطابى الوارد آنفا عليه لأسعد بلألاء غرته وأحظى بالأشرف من خدمته أدام الله أيام دولته لأنى أجدر عبيده بالمهاجرة الى بابه وأدنى خدمه بالمبادرة الى جنابه ولولا تحملى أعباء خدمته التى طوقنيها وكونى نائبه لدى هذه

الحضرة فيها ثاويا بأوامره ونواهيه في مغانيها لماشق غباري من أم ذراه ولا تبع آثاري مسرع رام لقياه ولقد قمت بالواجب على للنعمة أيده الله المنزلة الى والموهبة بمقدمه كلأه الله المكملة لدى التي أضحت بها نواجذ المخلص ضاحكة مستبشرة وأمست بسببها وجوه الكاشحين عابسة مستبسرة من وافر شكر يمترى المزيد وعتق الإماء والعبيد والصدقة الدارة على التأبيد وأنا أرغب الى الله تعالى رغبة متوسل اليه آمل عائدته أن يجعل بركة كل خير درت به أخلافه وكرت لاجله أحلافه عائدة عليه وميامنه ثائبة اليه مؤذنة بتعميره ملكا حلا حلا لا يلقى مؤملوه لبم فضله ساحلا وأن يمد لسيدى عضد الدولة فى البقاء ويمتعه به وبسابقيه من اخوته الامراء ويريه فيهم وفيه قصوى ما تسمو اليه هممه وأمانيه وإنى لمتوكف لما يصلنى من كتاب ينبئ عن اسمه الكريم وكنيته لأعتمد ما أستوجبه فى خدمته ومكاتبته وسيدى عضد الدولة أدام الله علاه ولى ما يستصوبه ويراه من الأمر بمكاتبتى بذلك وبمتجددات النعم وأوانف المواهب الغالية القيم لآخذ وافر سهمى من السرور وجزيل قسمى من الجذل والحبور وتصريفى بين أمره الممتثل المطاع ونهيه المقابل بالاتباع ان شاء الله تعالى

النوع العاشر

الاستكثار من حفظ الاشعار الرائقة خصوصا أشعار العرب وما توفرت دواعى العلماء بها على اختياره كالحماسة والمفضليات والأصمعيات وديوان هذيل وما أشبه ذلك وفهم معانيها واستكشاف غوامضها والتوفر على مطالعة شروحها ويلتحق بذلك شعر المولدين من العرب وهم الذين كانوا فى أول الاسلام كجرير والفرزدق والاخطل وغيرهم وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المفلقين من المحدثين كأبى تمام ومسلم بن الوليد والبحترى وابن الرومى والمتنبى ونحوهم وفيه مقصدان

المقصد الاول

(فى بيان احتياج الكاتب الى ذلك)

أما شعر العرب والمولدين فلما فى ذلك من غزارة المواد وصحة الاستشهاد وكثرة النقل وصقل مرآة العقل وانتزاع الامثال والاحتذاء فى اختراع المعانى على أصح مثال والاطلاع على أصول اللغة وشواهدها والاضطلاع من نوادر العربية وشواردها وقد كان الصدر الاول يعتنون بذلك غاية الاعتناء قال محمد بن سلام عن بعض مشايخه كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر وذكر صاحب الريحان والريعان عن سعيد بن المسيب أنه

قال كان أبو بكر وعمر وعلى يجيدون الشعر وعلى أشعر الثلاثة قال وكان عمر بن الخطاب يقول أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها بين يدى حاجته يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم وقد ذكر عن الشافعى رضى الله عنه أو غيره من بعض الائمة الاربعة أنه كان يحفظ ديوان هذيل وأما قول الشافعى رضى الله عنه

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم أشعر من لبيد

فانه يريد من صرف همته الى الشعر بحيث صار شأنه وديدنه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لأن يملأ أحدكم جوفه قيحا خير من أن يملأه شعرا أى أراد صرف همته اليه حتى يملأ جوفه منه وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وكان عمر رضى الله عنه يسمع البيت يعجبه فيكرره مرات كما ذكره الجاحظ وغيره وقد ذكر أبو البركات ابن الانبارى فى كتاب طبقات الادباء فى ترجمة أبى جعفر أحمد بن اسحاق البهلول بن حسان الانبارى أنه كان فقيها عالما واسع الادب وتقلد القضاء لعدة من الخلفاء ثم حكى عن ولده أبى طالب أنه قال كنت مع والدى فى جنازة بعض أهل بغداد من وجوه الناس والى جانبه أبو جعفر الطبرى فأخذ أبى يعظ صاحب المصيبة ويسليه وينشده أشعارا ويروى له أخبارا فداخله الطبرى فى ذلك ثم اتسع الامر بينهما فى المذاكرة وخرجا الى فنون كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاضرون وأعجبوا بها وتعالى النهار وافترقنا فقال لى أبى يا بنى من هذا الشيخ الذى داخلنا فى المذاكرة فقلت يا سيدى كأنك لم تعرفه فقال لا فقلت هذا أبو جعفر الطبرى فقال انا لله ما أحسنت عشرتى معه فقلت كيف يا سيدى قال ألا نبهتنى فى الحال فكنت أذاكره بغير تلك المذاكرة هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع فى صنوف العلوم ماذا كرته بحسبها ومضت على ذلك مدة فحضرنا فى حق آخر وجلسنا واذا بالطبرى قد دخل الى الحق فقلت له أيها القاضى هذا أبو جعفر الطبرى قد جاء مقبلا فأومأ اليه بالجلوس عنده فعدل اليه وجلس الى جانبه وأخذ يجاريه فكلما جاء الى قصيدة ذكر الطبرى منها أبياتا قال أبى هاتها يا أبا جعفر الى آخرها فيتلعثم الطبرى فينشدها أبى الى آخرها وكلما ذكر شيأ من السير قال أبى هذا كان فى قصة فلان ويوم بنى فلان مر يا أبا جعفر فيه فربما مر فيه وربما تلعثم فيمر أبى فى جميعه ثم قمنا فقال لى أبى الآن شفيت صدرى . وأما أشعار المحدثين فلالطف مأخذهم ودوران الصناعة فى كلامهم ودقة توليد المعانى فى أشعارهم وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة والكتابة وخصوصا المتنبى الذى كأنه ينطق عن ألسنة الناس فى محاوراتهم وكثر الاستشهاد بشعره حتى قل من يجهله فاذا أكثر المترشح للكتابة من حفظ الاشعار وتدبر معانيها ساقه الكلام الى ابراز ذخيرة ما فى حفظه منها فاستعملها فى محلها ووضعها فى أماكنها على حسب ما يقتضيه الحال فى ايرادها واقتباس معانيها

المقصـــد الثانى

(فى كيفية استعمال الشعر فى صناعة الكتابة)

اعلم أن للكاتب فى استعمال الشعر فى كتابته ثلاث حالات

الحالة الاولى

الاستشهاد

وهو أن يورد البيت من الشـعر أو البيتين أو أكثر فى خلال الكلام المنثور مطابقا لمعـنى ما تقدم من النثر ولا يشترط فيه أن ينبه عليه بقال ونحوه كما يشترط فى الاستشهاد بآيات القرآن والاحاديث النبوية فان الشعر يتميز بوزنه وصـيغته عن غيره من أنواع الكلام فلا يحتاج الى التنبيه عليه وأكثر ما يكون ذلك فى المكاتبات الاخوانيات مثل ما كتب به القاضى الفاضـل الى بعض اخوانه يستوحش منه ويتشوق اليه

فيارب ان البين أضحت صروفه * علىّ ومالى من معين فكن معى
على قرب عذالى وبعـد أحبتى * وأمواه أجفانى ونيران أضلعى

هذه تحية القلب المعذب وسريرة الصبر المذبذب وظلامة عزم السلو المكذب أصدرتها الى المجلس وقد وقد فى الحشا نارها الزفير أوارها والدموع شرارها والشـوق آثارها وفى الفؤاد ثارها

لو زارنى منكم خيال هاجر * لهـدته فى ظلمائه أنوارها

أسـفا على أيام الاجتماع التى كانت مواسم السرور والاسرار ومباسم الثغور والاوطار وتذكرا لأوقات عذب مذاقها وامتد بالانس رواقها وزوجت بكرها وروعت ذكرها

والله مانسيت نفسى حـلاوتها * فكيف أذكر أنى اليوم أذكرها

ومذ فارقت الجناب لازال جنا جنابه نضيرا وسنا سنائه مستطيرا وملكه فى الخافقين خافق الاعلام وعزه على الجديدين جديد الايام لم أقف منـه على كتاب تخاف سطوره ماغسل الدمع من سواد ناظرى ويقدم ببياض منظومه ومنثوره ماوزعه البين من سويداء خاطرى

ولم يبق فى الاحشاء الا صـبابة * من الصبر تجرى فى الدموع البوادر

وأسأله المناب بشريف الجناب وأداء فرض تقبيل الارض حيث تلتقى وفود الدنيا والآخرة وتعمر البيوت العامرة المنن الغامرة وفضل الظل غير منسوخ بهجيره ويبشر المجد بشخص لاتسمح الدنيا بنظيره

تظاهر فى الدنيا بأشرف ظاهر * فلم تر أنقى منـــه غير ضميره
كفانى فخرا أن أسمى بعبـده * وحسبى هديا أن أسير بنوره
فأى أمير ليس يشرف قدره * اذا ما دعاه صادقا بأميره

وانى فى السؤال بكتبه أن يوصلها ليوصل بها لدى تهانى تملأ يدى ويودع بها عندى مسرة تقدح فى الشكر زندى

عهد تلذ اعهد هو الورد نضرة * وما هو مثل الورد فى قصر العهد

وأنا أترقب كتابه ارتقاب الهلال لتفطر عين عن الكرى صائمة وترد نفس عن موارد الماء حائمة بل ربما كان كل المكاتبة أو جلها شعرا وقد يكون صدر المكاتبة شعرا وذيلها نثرا وبالعكس وقد يكون طرفاها نثرا وأوسطها شعرا وعكس ذلك بحسب ما يقتضيه الترتيب ويسوق اليه التركيب وربما اكتفى بالبيت الواحد من الشعر فى الدلالة على المقصد وبلوغ الغرض فى المكاتبة كما كتب بعض ملوك الغرب الى من كرر كتبه ورسله اليه بقول المتنبى

ولا كتب الا المشرفية عنده * ولا رسل الا الخميس العرمرم

الى غير ذلك من المكاتبات المتضمنة للاشعار . أما مكاتبات الملوك الآن فقل أن تستعمل فيها الاشعار أو يستشهد فيها بالمنظوم والمنثور وقد تجىء التلقيحات بابيات الشعر فى غير المكاتبات من الرسائل الموضوعة لرياضة الذهن وتنقيح الفكر كالرسائل الموضوعة فى صيد ملك أو فتح بلد أو نحو ذلك وقد أودعت المقامة التى أنشأتها فى كتابة الانشاء جملة من الابيات الشعرية أوردتها مورد الاستشهاد على ما يقتضيه المقام ويسوق اليه سياق الكلام على ما سلف ذكره عند الكلام على فضل الكتابة فيما تقدم وعنـد مطالعة كلامهم والوقوف على رسائلهم ترى من أصناف الاستشهادات ما يروق نظره ويطرب سمعه

الحالة الثانية

(التضمين)

وهو أن يضمن البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة . أما تضمين البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة فمثل ما كتب به القاضى الفاضل وصل من الحضـــرة

كتاب به ماء الحياة ونفعه الـ * ـحيا فكأنى اذ ظفرت به الخضر

فوقفت عنده منه على

عقود هى الدر الذى أنت بحره * وذلك ما لا يدعى مثله البحر

ووقعت منه في

رياض يد تجنى وعين وخاطر * تسابق فيها النور والزهر والثمر

وكرعت منه في حياض

تسر مجانيها اذا ما جنا الظما * وتروى مجاريها اذا بخل القطر

ومازلت منه أنشده

كأنى سار في سريرة ليـــلة * فلما بدا كبرت اذ طلع الفجر

ووافى على ما كنت أعهد

نخلت بأن العين من سحب كفه * فمن ذا ومن ذا فيه ينتثر الدر

واسترجع فائت الدمى من مورده

وما كان عندى بعد ذنب فراقه * بانى أرى يوما به بعـــد الدهر

ونفس عن النفس بأبيض أثماده وعين العين بأسود إثمده

به لهما سح طويل فهــــذه * على خاطر برد وفى خطر بدر

وجدد اليه أشواقا جديدها

يعز به ثوب الجديدين دائما * فيبلى ولا يبلى وان بلى الدهر

وذكر أياما لا يزال يستعيدها

وهيهات ان يأتى من الامر فائت * فدع عنك هذا الأمر قد قضى الأمر

وأما تضمين نصف البيت فمثل قول القاضي الفاضل

وصل كتاب مولاى بعدما . . . . * أجاب المنادى للصلاة فأعتما *

فلما استقر لدى . . . . * تجلى الذى من جانب البـدر أظلما *

فقـــرأته . . . . * بعين اذا استمطرتها أمطرت دما *

وساءلتــه . . . . * فساءلت مصروفا عن النطق أعجما *

ولم يرد جوابا . . . . * وماذا عليـــه لو أجاب المتيما *

ورددته قراءة . . . . . . * فعوجلت دون الحلم ان أتحلما *

وحفظتــه . . . . * كما يحفظ الحر الحـديث المكتما *

وكررته . . . . * فمن حيث ما واجهتــه قد تبسما *

وقبلتـــه . . . . * فقبلت درا فى العقود منظـما *

ووقته . . . . * فكنت بمفروض المحبــة قيما *

وأخلصت لكاتبه . . . . * وليس على حكم الحوادث محكما *

ولم أصدقه (!) . . . . * ولكنـــه قد خالط اللحم والدما *

وأرخت وصوله . . . . * (!) فكان لأيدى الوسائم موسما *
وشفيت بهغليل . . . . * فؤاد أمنيه وقد بلغ الظما *
وداويت عليل . . . . * حشا ضرمافيه من النار ضرما *
فأما تلك الايام التى . . . . * حماها على اللوم المقام على الحما *
والليالى العذاب التى . . . . * ملأت بحور الليل بيضا وأنجما *
وأرسلت الزفرة . . . . * فلو صافحت رضوى لرض وهدما *
وأسبلت العبرة . . . . * كما أنشأ الافق السحاب المدعما *
وخطبت السلوة . . . . * فأسأل معدوما وآمل معدما *
فأما الشكر فانما . . . . * أفض به مسكا عليه مختما *
وأقوم منه بقرض . . . . * أرانى به دون البرية أقوما *
وأوفى واجب فرض . . . . * وكيف توفى الارض فرضا من السما *

وربما ركبت القرينة الكاملة على البيت أو نصف البيت كما كتب به القاضى الفاضل أيضا

وردكتاب الحضرة بعد أن عددت الليالى ليلة بعد ليلة لطلوع صديعه . . . . * وقد عشت دهرا لاأعد اللياليا *
وبعدان انتظرت القيظ والشتاء لفصل ربيعه * فما للنوى ترمى بليلى المراميا *
واستروحت الى نسيم سحره . . . . . * اذا الصيف ألقى فى الديار المراسيا *
ومددت يدى لاقتطاف ثمره . . . . . * فلله ما أحلى وأحمى الجانيا *
ووقفت على شكواه من زمانه . . . . . * فبت اشكواه من الدهر شاكيا *
وعجبت لعمى الحظ عن مكانه . . . . . * وقد جمع الرحمن فيه المعانيا *
وتوقعت له دولة يعلو بها الفضل . . . . * اذا هز من تلك اليراع عواليا *
ورتبة يرتقى صهوتها بحكم العدل . . . . * فرب مراق يعتدون مهاويا *
والى الله أرغب فى اطلاع سعوده . . . . * زواهر فى أفق العلاء زواهيا *
وفى انهاض عثرات جدوده . . . . . * فقد عثرت بعد النهوض العواليا *

وربما ركب نصف البيت على نصف القرينة كما ذكرت فى المفاخرة بين السيف والقلم فى الكلام على لسان السيف فى مخاطبته للقلم وهو وأنت وان ذكرت فى التنزيل وتمسكت من الامتنان بك فى قوله (علم بالقلم) بشبهة التفضيل فقد حرم الله تعالى تعلم خطك على رسوله وحرمك من مس أنامله الشريفة ما يوسى على فوته ويسر بحصوله لكننى قد نلت من هذه الرتبة أسنى المقاصد وشهدت معه من الوقائع مالم تشاهد وحلانى من كفه شرفا لا يزول حليه أبدا

وقت بنصره فى كل معترك * فسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا * فركبت نصف بيت البردة على نصف قرينة وماذكرته فى الرسالة التى كتبتها للقرالفتى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالابواب السلطانية بالديار المصرية وهو قد لبس شرفا لا تطمع الايام فى خلعه ولا يتطلع الزمان الى نزعه وانتهى اليه المجد فوقف وعرف الكرم مكانه فانحاز اليه وعطف وحلت الرئاسة بغنائه فاستغنت به عن السوى وأناخت السيادة بفنائه * فألقت عصاها واستقر بها النوى * وقد يضمن الكاتب بعض القرينة نصف بيت ثم يستطرد فيذكر أبياتا كاملة الاجزاء على نمط أنصاف الابيات التى يوردها كما فعل الشيخ ضياء الدين احمد بن عمر بن يوسف القرطبى فى رسالته للشيخ تقى الدين بن دقيق العيد تغمدهما الله برحمته فى قوله

وينهى ورود عذرائه التى . . . . * لها الشمس حدن والنجوم ولائد *

وحسنائه التى . . . . * لها الدر لفظ والدرارى قلائد *

ومشرفته التى . . . . * لها من براهين البيان شواهد *

وكريمته التى . . . . * لها الفضل ورد والمعالى موارد *

وآيتها الكبرى التى دل فضلها * على أن من لم يشهد الفضل جاحد

وانك سيف سله الله للهدى * وليس لسيف سله الله غامد

وقد يخالف بين قوافى أنصاف الابيات التى يمزجها ببعض القرائن كما يخالف بين فواصل القرائن كما فى قول البديع الهمذانى

أنا لقرب دار مولاى . . . . . . * كما طرب النشوان مالت به الخمر *

ومن الارتياح الى لقائه . . . . . * كما انتفض العصفور بلله القطر *

ومن الامتزاج بولائه . . . . . . * كما التقت الصهباء والبارد العذب *

ومن الابتهاج بمزاره . . . . . . * كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب *

الى غير ذلك من فنون الامتزاج التى يرواح فيها بين المنثور والمنظوم وينتهى فيها الكاتب الى ما يبلغ به القدر المحتوم . أما تضمين بعض أبيات العرب فى بعض قصائد المحدثين كما فعل القاضى الارجانى فى قوله من قصيدة مدح بها بعض الوزراء

وأهد الى الوزير المدح يحمل * لك المرباع منها والصفايا

ورافق رفقة رحلوا اليه * فآبوا بالنهاب وبالسبايا

وقل للراحلين الى ذراه * ألستم خير من ركب المطايا

ولا تسلك سوى طرقى فانى * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

فان ذلك من وظيفة الشاعر لا الكاتب وان كان الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى رحمه الله قد أشار فى كتابه حسن التوسل الى التمثيل بذلك لما نحن بصدده

الحالة الثالثة

(الحـــل)

وهو أن يعمد الكاتب الى الابيات من الشعر ذوات المعانى فيحلها من عقد الشعر و يسبكها فى كلامه المنثور فان الشعر هو المادة الثالثة للكتابة بعد القرآن الكريم والاخبار النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام وخصوصا أشعار العرب فانها ديوان أدبهم ومستودع حكمهم وأنفس علومهم فى الجاهلية به يفتخرون واليه يحتكمون فاذا أكثر من حفظ الشعر وفهم معانيه غزرت لديه المواد وترادفت عليه المعانى وتواردت على فكره فيسهل عليه حينئذ حلها ووضعها فى مكانها اللائق بها بحسب مقتضيات الكتابة . قال صاحب الريحان والريعان وهو شأن حذاق الكتاب فى زماننا وفيه من الجمال فنون . منها أنه يدل على حفالة أدب المجيد واتساع الحفظ والتيسير والتأتى لسبك اللفظ . ومنها أنه ليس يشعر منها الا النادر للغاية فى الحسن فهى اذا حلت يجاورها المنشئ بما يناسب حسنها فى البراعة وهذا كثير فى هذه الصناعة . قال فى المثل السائر وانما جعل المنظوم مادة للمنثور بخلاف العكس لان الاشعار أكثر والمعانى فيها أغزر قال وسبب ذلك ان العرب الذين هم أهل الفصاحة كان جل كلامهم شعرا ولا يوجد الكلام المنثور فى كلامهم الا يسيرا ولو كثر فانه لم ينقل عنهم بل المنقول عنهم الشعر فأودعوا أشعارهم كل المعانى كما قال تعالى (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) ثم جاء الطراز الاول من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ثم استمر الحال على ذلك فكان الشعر هو الاكثر والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر فلذلك صارت المعانى كلها مودعة فى الاشعار . قال فى حسن التوسل والحل باب متسع على المجيد مجاله وتتصرف فى كلام العارف به رويته وارتجاله . قال صاحب الريحان والريعان وأول من فك رقاب الشعر وسرح مقيده الى النثر عبد الحميد الاكبر كاتب بنى أمية الى انقضاء خلافتهم قال وربما رامه غير المطبوع المتصرف فعقده وأفسده كما قال القائل وبعضهم يحل فيعقد قال وكيفية الحل أن يتوخى هذا البيت المنظوم وحل فرائده من سلكه ثم ترتيب تلك الفرائد وما شابهها ترتيب متمكن لم يحظره الوزن ولا اضطرته القافية ويبرزها فى أحسن سلك وأجمل قالب وأصح سبك ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع اذا أمكن ذلك من غير كلفة ويتخير لها القرائن واذا تم معه المعنى المحاول فى قرينة واحدة فيفرض له من حاصل فكره أو من ذخيرة حفظه ما يناسبه وله أن ينقل المعنى اذا لم يفسده الى ما شاء فان كان نسيبا وتأتى له أن يجعله مديحا فليفعل وكذلك غيره من الانواع واذا أراد الحل بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة لالفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها فمتى قصرت ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعد معيبا واذا حل اللفظ فلا يتصرف بتقديم وتأخير ولا تبديل

الامع مراعاة تدبير الفصاحة واجتناب ما ينقص المعنى أو يحط رتبته قال وهـذا البـاب لا تنحصر المقاصد فيه ولا حجر على المتصرف فيه . ثم حل الابيات الشعرية واستعمالها فى النثر على ثلاثة أضرب .

الضرب الاول

(أن يأخذ الناثر البيت من الشعر فينثره بلفظه وهو أدنى مراتب الحل)

قال فى المثل السائر وهو عيب فاحش اذ لم يزد فى نثره على أنه أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير قال ومثله كمن أخذ عقدا قد أتقن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاه وبدده وكان يقوم عذره فى ذلك لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله أو أحسن منه وأيضا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال هـذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شئ وبالجملة فحل الشعر بلفظه لا يخرج عن حالين .

الحال الاول — أن يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها وله فى حله طريقان

الطريق الاول — أن يحله بالتقديم والتأخير من غير زيادة فى لفظه كما ذكر صاحب الصناعتين عن بعض الكتاب أنه حل قول البحترى

أطل جفوة الدنيا وتهوين شأنها * فما الغافل المغرور فيها بعاقل
يرجى الخلود معشر ضل سعيهم * ودون الذى يرجون غول الغوائل
اذا ما حريز القـوم بات وماله * من الله واق فهو بادى المقاتل

فقال فى نثرها أطل تهوين شأن الدنيا وجفوتها فما المغرور الغافل فيها بعاقل ويرجو معشر ضل سعيهم الخلود وغول الغوائل دون ما يرجون واذا بات حريز القوم وماله من الله واق فهو بادى المقاتل فلم يزد فى ألفاظها شيأ

الطريق الثانى — أن يحله بزيادة على لفظه كما حكى الجاحظ عن قليب المعتزلى أنه سمع منشدا ينشد للعتبى

أفلت بطالته وراجعه * حلم وأعقبه الهوى ندما
ألقى عليه الدهر كلكله * وأعاره الاقتار والعدما
فاذا ألم به أخو ثقة * غض الجفون ومجمج الكلما

فنثرها فقال يستعطف بعض الملوك على رجل من أهله جعلنى الله فداك ليس هو اليوم كما كان انه وحياتك أفلت بطالته إى والله وراجعه حلمه وأعقبه وحقك الهوى ندما أخنى الدهر

عليه والله بكلكله فهو اليوم اذا رأى أخا ثقة غض بصره و مجمج كلامه فزاد فى نثره ألفاظا على ألفاظ الشعر . ونحو ذلك ما حكاه ضياء الدين بن الاثير عن بعض العراقيين أنه نثر قول بعض شعراء الحماسة

وألد ذى حنق على كأنما * تغلى عداوة صدره فى مرجل
أرجيته عنى فأبصر قصده * وكويته فوق النواظر من عل

فقال فى نثره فكم لقى ألد ذا حنق كأنه ينظر الى الكواكب من عل وتغلى عداوة صدره فى مرجل فكواه فوق ناظريه وأكبه لفمه ويديه

الحال الثانى — أن يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها فيحتاج فى نثره الى الزيادة فيه والنقص منه وتغيير بعض ألفاظه حتى يستقيم كقول الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

فان المصراع الثانى من البيت لا يمكن حله بالتقديم والتأخير لانك تقول فى المصراع الاول فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف ولا يمكن ذلك فى المصراع الثانى حتى يزيد فيه أو ينقص منه فيقول مثلا فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف على ما تقدم ثم يقول وصورته من اللحم والدم فضلة لاغناء بها دونهما ولا معول عليها الا معهما . قال فى الصناعتين وزيادة الالفاظ التى تحصل فيه ليست بضائرة لان بسط الالفاظ فى أنواع المنثور شائع ألا ترى أنها تحتاج الى الازدواج ومن الازدواج ما يكون بتكرير كلمتين لهما معنى واحد وليس ذلك بقبيح الا اذا اتفق لفظاهما الا أن أكثر ما يحسن فيه ايراد المعنى على غاية ما يمكن من الايجاز ومعنى قوله فلم يبق الا صورة اللحم والدم داخل فى قوله لسان الفتى نصف ونصف فؤاده والمصراع الثانى تذييل للمصراع الاول قال فاذا أردت أن تحله حلا مقتصرا بغير لفظه قلت الانسان شطران لسان وجنان وقريب من ذلك قول أبى نواس

ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا * أما والله ما ذهبوا لتبقى

فان المصراع الاول يمكن حله بأن تقول ألا يا ابن الذين بادوا وفنوا فيكون مستقيما أما المصراع الثانى فانه ان قدم فيه أو أخر بأن قيل ما ذهبوا لتبقى أما والله فانه لا يستقيم فتحتاج فى نثره الى تغيير وزيادة فتقول ألا يا ابن الذين ماتوا ومضوا وظعنوا ونأوا أما والله ما ظعنوا لتقيم ولا راموا لتريم ولا موتوا لتحيا ولا فنوا لتبقى قال فى الصناعتين وفى هذه الالفاظ طول وليس بضائر على ما تقدم قال وان أردت اختصاره قلت أما والله ان الموت لم يصبك فى أبيك الا ليصبك فيك

———

الضرب الثـانى

(وهو أعلى من الضرب الاول أن ينثر المنظوم ببعض ألفاظه ويغرم عن البعض ألفاظا أخر ويحسن ذلك فى حالين)

الحال الاول ـ أن يكون فى الشعر ألفاظ لا يقوم غيرها من الالفاظ مقامها بأن تكون مثلا سائرا أو جارية مجرى المثل كقول بعض شعراء الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

فان لفظ بنى اللقيطة لا يقوم غيره من الالفاظ مقامه لكونه علما على قوم مخصوصين فيحتاج الناثر أن يبقيه بلفظه كما فعل ضياء الدين بن الاثير فى قوله فى نثر البيت المذكور لست ممن تستبيح ابله بنو اللقيطة ولا الذى اذا هم بأمر كانت الآمال اليه وسيطة ولكنى أحمى الهمل وأفوت الامل وأقول سبق السيف العذل وكذلك كل ما جرى هذا المجرى ونحوه

الحال الثانى ـ أن يكون فى البيت لفظ رائق قد أخذ من الفصاحة بزمامها وأحاط من البلاغة بجوانبها فيبقيه على حاله ويقرنه بلفظ يماثله ويوازنه قال فى المثل السائر وهنالك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشاكلة ومؤاخاة الالفاظ الباقية بالالفاظ المرتجلة فانه اذا أخذ لفظا لشاعر مجيد قد نقحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ولا خفاء بما فى ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن قال وهو عندى أصعب منالا من نثر الشعر بغير لفظه لانه يسلك مضيقا لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو فى غاية الحسن والجودة بخلاف نثر الشعر بغير لفظه فان ناثره يتصرف فيه على حسب ما يراه ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر الى مؤاخاته ومثل لذلك بقول أبى تمام فى وصف قصيدة له

حذاء تملأ كل أذن حكمة * وبلاغة وتدر كل وريد

ثم قال فقوله تملأ كل أذن حكمة من الكلام الحسن وهو أحسن ما فى البيت وأشهر فلو قال قائل لمن هـذا قيل وهل يخفى القمر واذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة ولم يخش عليه سرقة اذ لو سرق لدلت عليه الوسامة ومن خصائص صفاته أنه يملأ كل أذن حكمة ويجعل فصاحة كل لسان عجمة فبقى لفظ تملأ كل أذن حكمة وأتى معها بما يناسبها من الالفاظ الحسنة الرائقة . ونحو ذلك ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى أنه يؤاخى القرينة المحلولة بمثلها من عنده كما فعل هو فى تقليد من التقاليد فقال * فكم مل ضوء الصبح مما يغيره * ثم قال وظلام النقع مما يثيره وقال أيضا * وفل حديد الهند مما يلاطمه * ثم قال والاجل مما يسابقه الى قبض النفوس ويزاحمه والقرينتان الاوليان نصفا بيتين للمتنبى فأضاف الى كل قرينة ما يناسبها قال وهذا من أكثر ما يستعمل فى الكتابة

الضرب الثالث

(وهو أعلى من الضربين الاولين أن يأخذ المعنى فيكسوه ألفاظا من عنده ويصوغه بألفاظ غير ألفاظه)

قال فى المثل السائر وثم يتبين حذق الصائغ فى صياغته فان استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية والا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الاول ولتعلم أن الابيات الشعرية فى حلها بالمعنى لها حالان

الحال الاول — أن يكون البيت الشعر مما يتسع المجال لناثره فى نثره فيورده بضروب من العبارات قال ابن الاثير وذلك عندى شبيه بالمسائل السيالة فى الحساب التى يجاب عنها بعدة من الأجوبة فمن ذلك قول أبى الطيب المتنبى

لاتعذل المشتاق فى أشواقه * حتى تكون حشاك فى أحشائه

فهذا البيت يتصرف فى نثره فى وجوه من المعانى وقد نثر ابن الاثير هذا البيت فقال لاتعذل المحب فيما يهواه حتى تطوى القلب على ما طواه . ونثره على وجه آخر فقال اذا اختلفت العينان فى النظر فالعذل ضرب من الهذر وكذلك قول المتنبى أيضا

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

نثره ابن الاثير فقال القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المنون غير أن ذلك لا يجرد من غمده ولا يقاد صاحبه بعمده فزاد على المعنى الذى تضمنه البيت عدم القود بالعمد . ونثره على وجه آخر فقال دم المحب ودم القتيل متفقان فى التشبيه والتمثيل ولا تجد بينهما بونا سوى أنهما يختلفان لونا قال وهذا أحسن من الاول وعلى هذا النهج يجرى قول ابن الرومى فى وصف الحديث

وحديثها السحر الحلال لو آنه * لم يجن قتل المسلم المتحرز

نثره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى فى وصف السيوف فقال وكفى السيوف فخرا أنها الجنة ظلال والى النصر مآل واذا كان من بيان الحديث سحر فان بيان حديثها عن كلمته هو السحر الحلال ثم نقله الى وصف الأسنة فقال حسب ألسنة الأسنة شرفا ان كشف خبايا القلوب بذم الامنها وان بث أسرار الضمائر تكره روايته الاعنها فكرر حديثها فى ذلك لا يفضى الى ملال واذا لم يكن حسن حديثها الذى يسحر الالباب مما يحل فليس فى الحديث سحر حلال . ثم نقله الى وصف البلاغة فقال البلاغة تسحر الالباب حتى تخيل العرض جوهرا وتخيل الهواء المدرك بالسمع لانسجامه وعذوبته فى الذوق نهرا لكنه سحر لم يجن قتل المسلم المتحرز فيتأول

فى حله واذا كان فى الحديث ما هو عقله للمستوفز فهذا أنشوطة نشاط البليغ وحل عقال عقله . ونقله الى وصف الكتابة فقال خطه شرك العقول وفتنة تشغل المطمئن علاحة المرئى المكتوب عن فصاحة المسموع المقول ولولم يكن البيان سحرا لما تجسدت منه فى طرسه هذه الدرر ولولم يكن بعض السحر حلالا لما انجلى ظلام النقس عما يهتدى به من هذه الاوضاح والغرر

الحال الثانى — أن يكون البيت الشعر مما يضيق المجال فيه فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه وذلك قليل بالنسبة الى ما يتسع فى حله المجال قال فى المثل السائر وسببه أن المعنى ينحصر فى مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتى الا فذا فمن ذلك قول أبى تمام الطائى من قصيدة

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * بها الليل الا وهى من سندس خضر

فان أبا تمام قصد المؤاخاة فى ذكر لونى الثياب من الاحمر والاخضر وجاء ذلك واقعا على المعنى الذى أراده من لون ثياب القتلى وثياب الجنة فان ثياب القتلى حمر وثياب الجنة خضر . قال ابن الاثير فاذا فك نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير لفظه لم يمكن فيجب على الناثر أن يحسن الصنعة فى فك نظامه لانه يتصدى لنثره بألفاظه فان كان عنده قوة تصرف وبسطة عبارة فانه يأتى به حسنا رائقا وقد نثر هذا البيت فقال لم تكسه المنايا نسج شفارها حتى كسته الجنة نسج شعارها فبدل أحمر ثوبه بأخضره وكأس حمامه بكأس كوثره قال وهذا من الحسن على غاية يكون كد حسودها من جملة شهودها . ومن ذلك قول أبى الطيب

وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائم

فان أبا الطيب بنى بيته على واقعة مخصوصة وذلك أن حصنا من حصون سيف الدولة قصده الروم وانتزعوه وخربوه فنهد سيف الدولة اليه واسترجعه وجدد بناءه وهزم الروم ونصب جملة من جثث القتلى على السور فنظم أبو الطيب فى هذا قصيدا أوله

* على قدر أهل العزم تأتى العزائم *

ولما انتهى الى ذكر الحصن جاء بهذا البيت فى جملة أبيات فشرح صورة الحال فى ارتجاع الحصن بالقتال وتعليق القتلى عليه وأبرز ذلك فى معنى التمثيل بالجنون والتمائم وهذا لا يمكن تبديل لفظه فيجب على الناثر حسن الصنعة فى حله ونثره . وقد نثره ابن الاثير أيضا فقال سرى الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعها العدو اختلاسا وأخذها مخادعة لا افتراسا فما نازلها حتى استقادها ولا نازلها حتى استعادها فكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمه عزائم وعلق عليها من رؤس القتلى تمائم ثم قال وفى هذا من الحسن ما لا خفاء فيه فمن شاء أن ينثر شعرا فلينثر هكذا والا فليترك ثم نقله الى معنى آخر وأبرزه فى صورة أخرى فأضاف اليه البيت الذى قبله من القصيدة فصار على هذه الصورة

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا * وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائم

ثم نثرهما فقال بناها والأسنة في بنائها متخاصمة وأمواج المنايا فوق أيدي البانين متلاطمة وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد وأصيبت بمثل الجنون فعلقت عليها تمائم من الرؤس والاجساد ولاشك أن الحرب تعرّدعن من عزجانبه وتقول ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه قال وهذا أحسن من الاول وأتم معنى ثم تصرف فيه بزيادة على هذا المعنى فقال بناها ودون ذلك البناء شوك الأسل وطوفان المنايا الذي لا يقال سآوي منه الى جبل ولم يكن بناؤها الا بعد أن هدمت رؤس عن أعناق وكأنما أصيبت بجنون فعلقت القتلى عليها مكان التمائم أو شينت بعطل فعلقت مكان الاطواق قال وهذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذي قبله قلت وكما ينبغي الاكثار من حفظ الاشعار على ما تقدم ليوردها في خلال كلامه استشهادا وتضمينا أو يحلها و يقتبس معانيها في نثره على ما تقدم بيانه كذلك ينبغي له معرفة المشاهير من الشعراء الطائري السمعة من شعراء الجاهلية كامرئ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وطرفة بن العبد وأوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى والأفوه الأودي والمتلمس والاعشى وعلقمة بن عبدة وعمرو ابن كلثوم والمرقش والنمر بن تولب ومهلهل وطفيل الغنوي وعروة بن الورد وقيس بن الحطيم والشماخ بن ضرار وعنترة والسموأل بن عاديا ومن جرى مجراهم . ومن المخضرمين وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام جميعا كحسان بن ثابت رضي الله عنه ولبيد بن أبي ربيعة وكعب ابن زهير وزيد الخيل الطائي والنابغة الجعدي وأمية بن أبي الصلت والحطيئة وعمرو ابن معدي كرب والزبرقان بن بدر التميمي والعباس بن مرداس السلمي والخنساء بنت عمرو ابن الشريد ومن في معناهم . ومن المولدين وهم الذين ولدوا من العرب في الاسلام كالفرزدق وجرير والاخطل والقطامي والكميت بن زيد الاسدي والمساور بن هند وعدي بن الرقاع وكثير عزة وعمر بن أبي ربيعة والراعي وابن مقبل وابن مفرغ وليلى الأخيلية ومن انخرط في سلكهم . ومن المحدثين وهم الذين أتوا بعد المولدين كابراهيم بن هرمة وابن أذينة وأبي نواس وأبي العتاهية وطفيل الكناني وسلم الخاسر وابن مياده وصالح بن عبد القدوس وأبي عيينة والعباس بن الاحنف والعتابي وأشجع السلمي والعكوك وابن أبي زرعة الدمشقي وأبي الشيص والحمدوني والعتبي ودعبل الخزاعي واسحاق بن ابراهيم الموصلي وابراهيم بن اسحاق الموصلي وأبي علي البصير وأبي تمام الطائي وأبي عبادة البحتري وأبي الطيب المتنبي وابن بسام والسري الموصلي وأبي الفتح كشاجم وأبي الفتح العبسي وأبي الفرج الببغا وابن الساعاتي وابن قلاقس والواوا الدمشقي والعفيف التلمساني وابنه وابن سنا الملك وابن شمس الخلافة وابن النبيه

والصفى الحلى ونحوهم . ومعرفة الفرسان منهم كامرئ القيس وخفاف بن ندبة والزبرقان
ابن بدر وعنترة وعمرو بن معدى كرب ودريد بن الصمة . ومن كان منهم راجلا يسعى على رجليه
كسليك بن السلكة وابن براقة وتأبط شرا والشنفرى وغيرهم . ومن تقدم منهم فى نوع من
الشعر كمعرفة طفيل الغنوى بوصف الخيل وأميــة بن أبى الصلت فى أمر الآخرة وذكر الحرب
وعمر بن أبى ربيعــة فى وصف النساء وعتيبة بن مرداس بعراكب الابل وكثير فى الامثال
والفرزدق فى الاخبار وجرير فى المعانى . ومعرفة من هو أكثرهم حفظا كالاغلب الشاعر قيل
انه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة ومعرفة أى القبائل كانت الشعراء فيها أكثر كهذيل
فقد قيل انه كان فيها أربعون شاعرا مفلقا كلهم يعدو على رجليه ليس فيهم فارس وأى قبيلة
كان الشعر فيها أقل كشيبان وكلب فقد قيل انه ليس فى الدنيا قبيلة أقل شعراء منهما وأنه ليس
لكلب فى الجاهلية شاعر قديم على أنها مثل شيبان أربع مرات . وقد ذكر ابن رشيق فى عمدته
عن عبــد الله بن سلام الجمحى وغيره أن الشعر كان فى الجاهليــة فى ربيعة فكان منهم مهلهل
ابن ربيعة وهو خال امرئ القيس بن حجر ويقال انه أول من قصد القصائد والمرقشان الأكبر
والاصغر وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئــة والحارث بن حلزة والمتلمس والاعشى والمسيب
ابن علس وغيرهم ثم تحول الشعر الى قيس فكان منهم النابغتان الذبيانى والجعدى وزهير بن
أبى سلمى وابنه كعب ولبيد والحطيئة والشماخ ثم استقر الشعر فى تميم فكان منهم أوس بن حجر
ولم يتقدمه أحد حتى كان النابغة وزهير فأخملاه . قلت والمراد أن الشعر غلب فى هذه القبائل
وظهر فيها وكان فيها الشــعراء المجيدون والا فالشعر موجود فى قبائل العرب قبــل ذلك كحمير
وكهلان من اليمن بل فى عاد وثمود على ماتشهد به كتب السير والأخبار فاذا عرف الكاتب ذلك
استعان به فى المساواة عن شاء منهم فى التقريظات والتفضــل عليــه كما كتبت فى تقريظ شاعر
فامرؤ القيس يغرق فى مقياس معانيه والنابغة الذبيانى يقصر عن أن يبلغ مدى شأوه أو يدانيه
وزهير يقتطف زهرات البــلاغة من أفانينه وأوس بن حجر ينسج على منواله ويأتم بقوانينــه
وطفيل الغنوى يتطفل على موائد شعره وطرفة بن العبد يقصر عنه فى شيوع ذكره والاعشى
يعشو الى ضوء ناره وعمرو بن كلثوم يسعى الى بابه ويقف بفناء داره وكثير فى أمثاله لايعد
من أمثاله وجرير فى مفاخره يتمسك من الفخــار بأذياله والفرزدق فى أوصافه يقلبه مابين يمينه
وشمــاله فلو رآه عبد الملك بن مروان لاختاره على الاخطل أو اجتمع مع أبى نواس لدى الامين
لقال هــذا هو المقدم الافضــل أو أدركه أبو تمام لاعترف له بالتمــام أو بصر به أبو عبادة لقال
أناله عبــد وغلام أو عاصره المتنبى لاعترف بفضله أو ابن الساعاتى لقال لايأتى الزمان دون قيام
الساعة بمثله ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى . وكذلك ينبغى أن يعرف مصطلح أهل العروض

الذى هو ميزان الشعر مثل الوتد والسبب والفاصلة والعروض والضرب وأسماء البحور من الطويل والمديد والبسيط وأخواتها وألقاب الزحاف كالخبن والخبل والقبض وغيرها ليدخلها تضاعيف كلامه عند احتياجه الى ذلك كما قال صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثارى فى أول ألفيته فى العروض

الحمد لله المليك الغافر * ذى الطول والفضل المديد الوافر
سبحانه ماذا يقول البارع * فى كامل ليس له مضارع
ورزقه فى عدله بسيط * وعلمه بخلقه محيط

وما ينخرط فى هذا السلك من الكلام المنثور أيضا

النوع الحادى عشر
(الاكثار من حفظ الأمثال وفيه مقصدان)

المقصد الاول
(فى وجه احتياج الكاتب الى ذلك)

اعلم ان الكاتب يحتاج الى النظر فى كتب الأمثال الواردة عن العرب نثرا ونظما والنظر فى الكتب المصنفة فى ذلك كأمثال الميدانى والمفضل بن سلمة الضبى وحمزة الاصبهانى وغيرهم وكذلك أمثال المولدين الواردة فى أشعارهم كالأمثال الواردة فى شعر جرير والفرزدق ونحوهما الى غير ذلك من الأمثال الواردة نثرا ونظما والنظر فى أمثال المحدثين الواردة فى أشعارهم كأبى العتاهية وأبى تمام والمتنبى لحكم ما ورد من الأمثال فى شعر المولدين والمحدثين حكم أمثال العرب الشعرية أما فى شعر المولدين فلجريهم على أسلوب العرب وركوب جادتهم وأما المحدثين فللطافة مأخذهم واستظراف ما يأتون به مما يجرى مجرى النثر والنظم من الأمثال الموضوعة على ألسنة الحيوان عن العرب وغيرهم فيستشهد به فى موضعه ويورده فى مكانه عارفا بأصل ذلك وما بنى عليه وذلك ان المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم وهذه الألفاظ الواردة فى المثل دالة عليها معبرة عن المراد بها بأخصر لفظ وأوجزه ولولا تلك المقدمات المعلومة والأسباب المعروفة لما فهم من هذه الألفاظ القلائل تلك الوقائع المطولات فأما الأمثال الواردة نثرا فانها كلمات مختصرة تورد للدلالة على أمور كلية مبسوطة كما تقدمت الاشارة اليه وليس فى كلامهم أوجز منها ولما كانت الأمثال كالرموز والاشارات التى يلوح بها على المعانى تلويحا صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا وحيث كانت بهذه المكانة لا ينبغى

الاخلال بمعرفتها قال صاحب العقد والأمثال هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان على كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شيء كسيرها ولا عم عمومها حتى قالوا أسير من مثل قال الشاعر

ما أنت الا مثل سائر * يعرفه الجاهل والخابر

وقد ضرب الله تعالى الأمثال في كتابه فقال (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) وقال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا) الآية وقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) الآية وقال (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) الآية وقال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) الى غير ذلك من آي القرآن وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال فقال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا فالصراط الاسلام والستور حدود الله والأبواب محارم الله والداعي القرآن الى غير ذلك من الأمثال التي ضربها صلى الله عليه وسلم ومحل الكلام على أمثال القرآن وأمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ما تقدم من الكلام على القرآن الكريم والأخبار ثم هي على ضربين قريب الفهم لظهور معناه وكثرة دورانه بين الناس وبعيد الفهم لخفائه وقلة دورانه بين الناس فالقريب من الفهم الكثير الدوران على الألسنة مثل قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى وهو مثل يضرب للترغيب في السير في الليل والحث عليه وأول من أرسله مثلا خالد بن الوليد رضي الله عنه قاله في صبح ليلة قطع فيها مفازة كانت في طريقه من العراق الى الشام وقولهم أساء سمعا فأساء اجابة وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو وكان تزوج صفية بنت أبي جهل فولدت له ابنه أنسا فرآه الأخنس بن شريق الثقفي معه فقال من هذا فقال سهيل ابني فقال الاخنس حياك الله يا بني أين أمك فقال لا والله ما أمي ثم انطلقت الى بيت أم حنظلة تطحن دقيقا فقال أبوه أساء سمعا فأساء اجابة فلما رجعا قال أبوه فضحني ابنك اليوم قال كذا وكذا فقالت انما ابني صبي وأنت لا تحبه فقال أشبه أمرؤ بعض بزه فأرسلها مثلا والبعيد من الفهم مثل قولهم ان يبغ عليك قومك لا يبغي عليك القمر وهو مثل يضرب لمن ينكر الامر الظاهر عنادا والاصل في ذلك كما ذكره المفضل بن سلمة الضبي ان بني ثعلبة ابن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس فقالت طائفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس فتراضوا برجل جعلوه بينهم حكما فقال واحد منهم ان قومي يبغون علي فقال الحكم ان يبغ عليك قومك لا يبغي عليك القمر فجرت مثلا ومن المعلوم

أن قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغى عليك القمر اذا أخذ على حقيقته من غير نظر الى القرائن المنوطة به والأسباب التى قيل من أجلها لا يعطى من المعنى ما قد أعطاه المثل بل ما كان يفهم من هذا القول معنى يفيد لأن البغى هو الظلم والقمر ليس من شأنه أن يظلم احدا فكان يصير معنى المثل ان كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر وهو كلام مختل المعنى ليس بمستقيم وقد أكثر الناس فى تصنيف كتب الأمثال فمن ذلك الامثال لأبى عبيد وهو مرتب على ترتيب الوقائع التى تقع فيها الأمثال ومن ذلك أمثال الميدانى وهى مرتبة على حروف المعجم وفى آخرها جملة من أيام حروب العرب الى غير ذلك من كتب الامثال المصنفة فى هذا الباب كأمثال الضبى والقمى وغيرها وأما الأمثال الواردة نظما فهى كلمات استحسنت فى الشعر وطابقت وقائع عامة جارية بين الناس فتداولها الناس وأجروها مجرى الأمثال النثرية وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بقول طرفة * ويأتيك بالأخبار من لم تزود * وهو نصف بيت مجموعه

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

و يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يخرجه عن الوزن ويحيله عن طريق الشعر فكان يقول و يأتيك من لم تزود بالاخبار فرارا من قول الشعر المنزه عنه مقامه العلى وشرفه الرفيع لكن قد ثبت فى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * والمحرم عليه صلى الله عليه وسلم انما هو نظم الشعر دون انشاده وسماعه وقد بسطت القول على ذلك فى كتابى المسمى بالغيوث الهوامع فى شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع فى الفقه فراجعه هناك ويروى أن عمر رضى الله عنه تمثل بقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

ثم قال لمن هذا فقيل له للنابغة فقال ذاك أشعر شعرائكم والمثل السائر فيه فى قوله أى الرجال المهذب وأمثال ذلك مما تمثل به الصحابة رضوان الله عليهم كثير ولذلك وقع فى أمثال المحدثين الواردة فى أشعارهم ما يستطرف ويستحلى كقول القاضى الارجانى

تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا فى الزوايا

يشير بذلك الى المثل الجارى على ألسنة الناس فى قولهم فى الزوايا خبايا وهو من الأمثلة المستفيضة على ألسنة العامة الشائعة بينهم وقول ابن عبد ربه

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم * هل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا باثنين

وقول الآخر

وعاد من أهواه بعد القلا * شقيق روح بين جسمين
وأصبح الداخل ما بيننا * كساقط بين فراشين
قد ألبس البغضاء من ذا وذا * لا يصلح الغمد لسيفين
ما بال من ليست له حاجة * يكون أنفا بين عينين

قال الاصمعي ولم أجد في شعر شاعر بيتا أوله مثل وآخره مثل إلا ثلاثة أبيات بيت الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وبيتا امرئ القيس

وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركنه صفر الوطاب
وقاهم جدهم ببني أبيهم * وبالأشقين ما كان العقاب

قال صاحب العقد ومثل هذا كثير في القديم والحديث ولا أدري كيف أغفل القديم منه الاصمعي ومنه * ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * البيت المتقدم وهو من أشرف الابيات وأعظمها بابا . وأما الأمثال الموضوعة على ألسنة الحيوانات فكما روى ان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين رأى خلاف أصحابه وتخاذلهم تمثل بقولهم إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض يعني إنما خذلت يوم خذل عثمان وحكاية هذا المثل أنهم قالوا اصطحب أسد وثور أحمر وثور أبيض وثور أسود في أجمة فقال الأسد للاحمر والأسود هذا الابيض يفضحنا بلونه ويطمع فينا من يقصدنا فلو تركتماني آكله أمنا فضيحة لونه فأذناله في ذلك فأكله ثم قال للاحمر هذا الاسود يخالف لوني ولونك ولو بقيت أنا وأنت ظنك من يراك أسدا مثلي فدعني آكله فسكت عنه فأكله ثم قال للثور الاحمر لم يبق إلا أنا وأنت وأريد أن آكلك فقال ان كنت فاعلا ولا بد فدعني أصعد تلك الهضبة وأصيح ثلاثة أصوات فقال افعل ما تريد فصعد وصاح ثلاثة أصوات ألا انما أكلت يوم أكل الثور الابيض فجرت مثلا . ويحكى أن عبد الملك بن مروان حج وقدم المدينة فقال على المنبر يا أهل المدينة انكم قتل عثمان بين أظهركم فنحن لا نحبكم وأرسلنا مسلمة ابن عقبة فقتلكم في وقعة الحرة فأنتم لا تحبونا فمثلنا ومثلكم كما قال النابغة

كما لقيت ذات الصفا من حليفها * وكانت تريه المال غبا وظاهره
فلما رأى أن قد تثمر ماله * وأثل موجودا وسد مفاقره
أكب على فاس يحد غرابها * مذكرة من المعاول باتره
فلما وقاها الله ضربة فأسه * ولله عين لا تغمض ناظره
فقال تعالى نجعل الله بيننا * على مالنا أو تنجزى لي آخره

فقالت يمين الله أفعل اننى * رأيتك سحراً يا يمينك فاجره
أبالى قبر لا يزال مقابلى * وضربة فاس فوق رأسى فاقره

وهذه الحكاية مشهورة فى الموضوعات على ألسن الحيوان وهى ان أخوين هبطا بغنمهما واديا يرعيان فيه فخرجت حية من تحت الصفا وفى فيها دينار فألقته اليهما وأقامت كذلك أياما فقال أحدهما لابدّ من قتل هذه الحية وأخذ هذا الكنز فنهاه أخوه فلم يقبل فخرجت فضربها بفأس فى يده فشجها وشدّت عليه فقتلته فدفنه أخوه مقابلها فلما خرجت قال لها هل لك أن نتعاهد على المودّة وعدم الأذية وتعطينى ذلك الدينار كل يوم فقالت لا قال ولم قالت لأنك كلما نظرت الى قبر أخيك لا تصفولى وكلما ذكرت الشجة التى فى رأسى لا أصفو لك

المقصد الثانى

(فى كيفية استعمال الامثال فى الكتابة)

فاذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الامثال السائغ استعمالها انقادت اليه معانيها وسبقت اليه ألفاظها فى وقت الاحتياج الى نظائرها من الوقائع والاحوال فأودعها فى مكانها واستشهد بها فى موضعها والطريق فى استعمالها فى النثر كما فى حل الاشعار واستعمالها الا أن الامثال لا يجوز تبديل ألفاظها ولا تغيير أوضاعها لأنها بذلك قد عرفت واشتهرت فمما استعمله أهل الصناعة من الامثال المنثورة وأوردوه فى كلامهم قول المقر الشهابى ابن فضل الله فى التعريف فى وصية أمير مكة المعظمة ولأنه أحق بنى الزهراء بما أبقته له آباؤه وألقته اليه من حديث قصى جده الاقصى أبناؤه وهو أجدر من طهر هذا المسجد من أشياء ينزه أن يلحق به فحش عابها وشنعاء هو يعرف كيف يتتبعها وأهل مكة أخبر بشعابها فاستعمل المثل السائر فى قوله وأهل مكة أخبر بشعابها وقد وقع هذا المثل فى كلامه أحسن موقع وجاء على أجل نظام لأنه قد أتى به فى مكانه اللائق به ومحله المخصوص بوصفه وقد نقله الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله فاستعمله فى غير هذا المعنى فجاء منحطا عن هذه الدرجة وقاصرا عن رتبتها فقال فى وصية خطيب ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو كأهل مكة أخبر بشعابها وأحوالها مترتبة وهو على كل حال أدرب وأدرى بها الا أنه قد ظرف بذكر الجناس الاشتقاقى فى قوله متشعبة مع قوله بشعابها . ومن ذلك قول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى رحمه الله فى خطبة تقليد بفتوة عن ملك ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى نور شر يعته جلى وجاه شفاعته ملى و بسيفه و به جاء النصر والشرف من انتمائنا اليه فلا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على وهذا على ماهو شائع على الألسنة وأن ذلك قيل فى يوم ضرب على رضى الله عنه كافرا اسمه مرحب فشق البيضة على رأسه نصفين وتمادى السيف

فيه وفى جواده فشقهما كذلك وخلص السيف بينهما فغاص فى الارض شبرين الا أن المعروف عند المحدثين وأصحاب السير أن ذا الفقار اسم سيف للنبى صلى الله عليه وسلم اصطفاه من خيبر لنفسه حين اصطفى صفية بنت حيى بن أخطب رضى الله عنها ولعله صلى الله عليه وسلم أعطاه عليا رضى الله عنه بعد ذلك . ومن ذلك ماذكرته فى المفاخرة بين السيف والقلم فى الكلام على لسان القلم وهو أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وكريمها المبجل وعالمها المهذب فالقرينة الاولى فيها مثلان وأول من قالهما الحباب بن المنذر الانصارى يوم السقيفة حين اجتمع الانصار الى سعد بن عبادة يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم فى سقيفة بنى ساعدة وأرادوا تأميره فذهب اليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير الى أن كان من كلامه هذين المثلين والجذيل تصغير جذل واحد الاجذال وهى أصول الشجر العظام وكانت العرب اذا جربت الابل نصبت لها جذلا فى باطن الوادى تحتك فيه فلذلك قال جذيلها المحكك أراد أنه يستشفى برأيه كما تستشفى الابل بالحك فى ذلك الجذل والعذق بفتح العين النخلة بحملها وكان من عادتهم أن النخلة الكريمة يبنى حولها بناء يمنعها من السقوط فذلك هو الرجيب أراد أنه كريم فى قومه عزيز عليهم وماذكرته فى المفاخرة بين السيف والقلم أيضا على لسان السيف وهو فالشمس من شعاعى فى خجل والليل من ضوئى فى وجل وما أسرعت فى طلب ثار الاقيل فات ماذبح وسبق السيف العذل ففى القرينة الاخيرة مثلان أحدهما فات ماذبح وهو مثل يضرب لمن طلب الشئ بعد فواته وأصله أن بعض الملوك رأى مع اعرابى بازيا فأعجبه فأرسل فى طلبه قاصدا فأتى الاعرابى ولم يكن عنده ما يضيفه به فذبح البازى وطبخه وقدمه اليه غير عالم بقصده فلما فرغ من أكله ذكر للاعرابى أمر البازى وما كان من طلب الملك له فقال فات ماذبح انك أتيتنى ولم يكن عندى ما أضيفك به فذبحت البازى وطبخته وهو الذى قدمته اليك والمثل الثانى سبق السيف العذل وهو مثل لمن يلوم على فعل شئ بعد وقوعه وفوات أمره ومما حل من الامثال الواردة نظما واستعمل فى النثر قول القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى التعريف فى وصية أمير مكة المعظمة أيضا فى الوصية على وفود الحجيج وكل هؤلاء انما يأتون فى ذمام الله ببيته الذى من دخله كان آمنا والى محل ابن بنت نبيه الذى يلزمه من طريق بر الضيف ما أخذلهم وان لم يكن ضامنا فليأخذ عن أطاع من عصى وليردع كل مفسد ولاسيما العبيد فان العبد لا يردعه الا العصا فقوله فان العبد لا يردعه الا العصا يشير به الى قول ابن دريد فى مقصورته

والاوم للحر مقيم رادع * والعبد لا يردعه الا العصا

وقد اشتهر النصف الثانى من هذا البيت حتى جرى مجرى المثل ولعله كان مثلا سائرا قبل أن ينظمه ابن دريد ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباته رحمه الله من توقيع بنظر مدرسة بعد أن قدم

أن أهلها رفعوا قصصهم في طلب ذلك الا الآثار وكيف لا وهو نعم الناظر والانسان وفي مصالح القول والعمل ذو اليدين واللسان وذو العزائم الذي تقيدت في حبه الرتب ومن وجد الاحسان يريد البيت المشهور * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * وقد أتى فيه بالاكتفاء فزاد في كلامه حسنا وطلاوة وأغلى منه وأوقع في النفوس قوله بعد ذلك في التوقيع المذكور فاقتضى علو الرأى أن يجاب في طلبه اليهم سؤال القوم وأن يتصل أمس الاقبال باليوم وأن تبلغ هذه الوظيفة أملها فيه بعد ما مضت عليها من الدهر ملاوه وهذه المدرسة لولا تداركه لكانت كما قال الخزاعي مدارس آيات خلت من تلاوه . ومن ذلك قول المولى علاء الدين بن غانم في قدمة باسم مظفر الدين غانم وقد صرع لغلغة وادعى بها الملك المؤيد صاحب حماه الحمد لله الذي ظفر المظفر باصابة الواجب من الطير ووفر من السعادة حظ من أصاب ووافق الصواب فمن انتمى اذ تشرف به وتميز على الغير وخفر من أسراه الى من يحمد له به صبح سراه اذ يصحبه من بشره وبره كل خير أشار في القرينة الاخيرة الى المثل السائر من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى وقد تقدم أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه ومما استعمله أهل الصناعة من أمثال المحدثين نثرا قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله في وصف خطيب من جملة توقيع ومن اذا قام فريدا عد بألف من فرائد الرجال تنتظم واذا أقبل في سواد طيلسانه قيل جاء السواد الأعظم فاستعمل المثل السائر في قولهم السواد الاعظم يريدون الجم الغفير وهو من أمثال المحدثين وحسن ذلك لمناسبة لبس الخطيب السواد على ما جرت به العادة وان كان خلاف السنة كما صرح به الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله من أصحابنا الشافعية ومن ذلك ما ذكرته في المفاخرة بين السيف والقلم وهو وأظهر كل منهما ما كان يخفيه فكتب وأملى وباح بما يكنه صدره والمؤمن لا يكون حبلى واستعملت المثل في قولهم المؤمن لا يكون حبلى وهو من أمثال المحدثين الى غير ذلك مما يجري هذا المجرى وقد تستعمل أمثال المحدثين في الشعر أيضا فتحلو ويروق موقعها ويستطرف كما قال القاضي الارجاني

تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا في الزوايا

النوع الثاني عشر

(معرفة أنساب الأمم من العرب والعجم)

ويحتاج اليه الكاتب في المكاتبات لانه بصدد أن يكتب عن ملكه الى أمير قبيلة من العرب أو ملك أمة من الامم فلم يكن عارفا بأنسابها كان قاصرا فيما يكتبه من ذلك . ومن غريب ما وقع في ذلك أن ملك البرنو من ملوك السودان كتب كتابا الى الابواب السلطانية بالديار المصرية في الدولة

الظاهر بيبرقوق يذكر فيه أن المجاورين لهم من عرب جذام قد أغاروا عليهم وسبوا جماعة من نسائهم وذراريهم وباعوهم بالديار المصرية وما حولها ثم قال ونحن من ذرية سيف بن ذي يزن العربي القرشي فخلط القحطانية بالعدنانية لأن سيف بن ذي يزن من بقايا التبابعة من حمير من القحطانيـة وقريش من العدنانيـة وناهيك بذلك عيبا أن لو وقع من كاتب معتبر . ويشتمل الغرض منه على ثلاثة مقاصد

المقصــــد الاول

(معرفة عمود النسب النبوى من النبي صلى الله عليه وسلم الى آدم من حيث ان سائر الانساب تتعلق به وترجع فى البعد والقرب اليه)

وها أنا أورده على ما أورده ابن اسحاق فى السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وتبعه عليه ابن هشام فى سيرته اذ كانا عمدة فى هذا الباب . فأقول هو محمد رسول الله ابن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معـد ابن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السـلام ابن تارح وهو آزر بن راغو بن فالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السـلام ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم عليه السـلام . قال النووى والاتفاق على هذا النسب الشريف الى عدنان وليس فيما بعده الى آدم طريق صحيح وفيما بعد عدنان الى اسماعيل عليه السـلام خلاف كثـير قال القضاعى فى عيون المعـارف فى أحكام الخلائف وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجاوزوا معد بن عدنان كذب النسابون ثم قرأ وقرونا بين ذلك كثيرا ولو شاء أن يعلمه لعلمه قال والصحيح أنه من قول ابن مسعود رضى الله عنه

المقصــــد الثـانى

(فى انساب العرب وفيـه مهيعان)

المهيع الاول

(فى أمور تجب معرفتها قبل الخوض فى النسب)

وأول ما تجب معرفته من ذلك من يقع عليه لفظ العرب قال الجوهرى العرب جيل من الناس وهم أهل الامصار والاعراب سكان البادية والنسبة الى العرب عربى والى الاعراب اعرابى

والتحقيق اطلاق لفظ العرب على الجميع وان الاعراب نوع من العرب ثم اتفقوا على تنويع العرب الى نوعين عاربة ومستعربة . فالعاربة هم العرب الاول الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها قال الجوهرى وقد يقال فيهم العرب العرباء . والمستعربة هم الداخلون فى العربية بعد العجمية قال الجوهرى وربما قيل لهم المتعربة وقد اختلف فى العاربة والمستعربة فذهب ابن اسحاق والطبرى الى أن العاربة هى عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل والعمالقة وعبد ضخم وجرهم الاولى ومن فى معناهم . والمستعربة بنو قحطان ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وبنو اسماعيل أغلبهم لان لغة عابر واسماعيل كانت سريانية أو عبرانية فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كان فى زمانهم كعاد ونحوهم وتعلم اسماعيل العربية من جرهم من بنى قحطان النازلين على اسماعيل وأمه بمكة وذهب آخرون منهم المؤيد صاحب حماه الى أن بنى قحطان هم العاربة وأن المستعربة هم بنو اسماعيل فقط والذى رجحه صاحب العبر الاول ثم قد قسم المؤرخون العرب أيضا الى بائدة وغيرها فالبائدة هم الذين بادوا ودرست آثارهم كعاد وثمود وطسم وجديس وغير البائدة هم الباقون فى القرون المتأخرة بعد ذلك من القحطانية كطى ولخم وجذام ونحوهم ومن العدنانية كفزاره وسليم وقريش ومن فى معناهم ثم قد عدّ الماوردى وغيره طبقات أنساب العرب ست طبقات

الطبقة الاولى — الشعب بفتح الشين وهو النسب الأبعد الذى تنسب اليه القبائل كعدنان ويجمع على شعوب وسمى شعبا لان القبائل تتشعب منه

الطبقة الثانية — القبيلة وهى ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومضر وتجمع على قبائل وسميت قبيلة لتقابل الانساب فيها وربما سميت القبائل جماجم

الطبقة الثالثة — العمارة بكسر العين وهى ما انقسم فيه انساب القبيلة كقريش وكنانة وتجمع على عمائر وعمارات

الطبقة الرابعة — البطن وهى ما انقسم فيه انساب العمارة كبنى عبد مناف وبنى مخزوم وتجمع على بطون وأبطن

الطبقة الخامسة — الفخذ وهى ما انقسم فيه انساب البطن كبنى هاشم وبنى أمية وتجمع على أفخاذ

الطبقة السادسة — الفصيلة بالصاد المهملة وهى ما انقسم فيه انساب الفخذ كبنى العباس وبنى أبى طالب وتجمع على فصائل فالفخذ يجمع الفصائل والبطن تجمع الافخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل قال النووى وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة قال الجوهرى وعشيرة الرجل رهطه الأدنون وحكى أبو عبيد عن

ابن الكلبي عن أبيه تقديم الشعب على القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم الفخذ فأقام الفصيلة مقام العمارة فى ذكرها بعد القبيلة والعمارة مقام الفصيلة فى ذكرها قبل الفخذ وبالجملة فأكثر ما يدور على الالسنة من الطبقات الست المذكورة القبيلة ثم البطن وقل ان تذكر العمارة والفخذ والفصيلة وربما عبروا عن كل من الطبقات الست بالحى إما بالعموم مثل أن يقال حى من العرب وإما على الخصوص مثل أن يقال حى من بنى فلان . ومما يجب على الناظر فى الانساب أن يعرف عشرة أمور . الاول قال الماوردى اذا تباعدت الانساب صارت القبائل شعوبا والعمائر قبائل يعنى وتصير البطون عمائر والافخاذ بطونا والفصائل أفخاذا والحادث من النسب بعد ذلك فصائل . الثانى قد ذكر الجوهرى أن القبيلة هم بنو أب واحد وقال ابن حزم جميع قبائل العرب راجعة الى أب واحد سوى ثلاث قبائل وهى تنوخ والعتق وغسان فان كل قبيلة منهم مجتمعة من عدة بطون وذلك أن تنوخا اسم لعشرة قبائل اجتمعوا وأقاموا بالبحرين فسموا بتنوخ أخذا من التنخ وهو المقام . والعتق جمع اجتمعوا على النبى صلى الله عليه وسلم فظفر بهم فأعتقهم فسموا بذلك . وغسان عدة بطون من الازد نزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به . الثالث تخصيص الرجل من رجال العرب بانتساب القبيلة اليه دون غيره من قومه بأن يشهر اسمه بهم لرئاسة أو شجاعة أو كثرة ولد أو غيره فتنسب بنوه وسائر أعقابه اليه وربما انضم الى النسبة اليه غير أعقابه من عشيرته كاخوته ونحوهم فيقال فلان الطائى واذا أتى من عقبه من اشتهر منهم أيضا بسبب من الاسباب المتقدمة نسبت اليه بنوه وجعلت قبيلة ثانية فاذا اشتمل النسب على طبقتين فأكثر كهاشم وقريش ومضر وعدنان جاز لمن فى الدرجة الأخيرة من النسب أن ينسب الى الجميع فيجوز لبنى هاشم أن ينسبوا الى هاشم والى قريش والى مضر والى عدنان فيقال فى أحدهم الهاشمى والقرشى والمضرى والعدنانى بل قال الجوهرى ان النسبة الى الأعلى تغنى عن النسبة الى الاسفل فاذا قلت فى النسبة الى كلب بن وبرة الكلبى استغنيت أن تنسبه الى شىء من أصوله وذكر غيره أنه يجوز الجمع فى النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى مثل أن يقال القرشى العدوى وبعضهم يرى تقديم السفلى على العليا فيقال العدوى القرشى . الرابع قد ينضم الرجل الى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينسب اليهم فيقال فلان حليف بنى فلان أو مولاهم . الخامس اذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل فى قبيلة أخرى جاز أن ينسب الى قبيلته الاولى وأن ينسب الى القبيلة الثانية التى دخل فيها وأن ينسب اليهما جميعا مثل أن يقال التميمى ثم الوائلى أو الوائلى ثم التميمى وما أشبه ذلك . السادس القبائل فى الغالب تسمى باسم أب القبيلة كربيعة ومضر والأوس والخزرج وما أشبه ذلك وقد تسمى القبيلة باسم الأم كخندف وبجيلة ونحوهما وقد تسمى باسم خاصة خصت أصل تلك القبيلة ونحو ذلك وربما وقع النسب على القبيلة لحدوث سبب كغسان

حيث نزلوا على ماء باليمن (!) كسعد والحارث وغيرهما. السابع أسماء القبائل فى اصطلاح العرب على خمسة أضرب . أولها أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد وثمود ومدين ومن شا كلهم وبذلك ورد القرآن الكريم كقوله تعالى (والى عاد والى ثمود والى مدين) يريد بنى عاد وبنى ثمود وبنى مدين ونحو ذلك وأكثر ما يكون ذلك فى الشعوب والقبائل العظام بخلاف البطون والافخاذ ونحو ذلك . وثانيها أن يطلق على القبيلة لفظ البنوّة فيقال بنو فلان وأكثر ما يكون ذلك فى البطون والافخاذ . وثالثها أن يرد ذكر القبيلة بلفظ الجمع مع الالف واللام كالطالبيين والجعافرة ونحوهما وأكثر ما يكون ذلك فى المتأخرين دون غيرهم . ورابعها أن يعبر عنها بآل فلان كآل ربيعة وآل فضل وآل مرّ وآل على وما أشبه ذلك وأكثر ما يكون ذلك فى الازمنة المتأخرة لاسيما فى عرب الشام فى زماننا والمراد بالآل الأهل . وخامسها أن يعبر عنها بأولاد فلان ولا يوجد ذلك الا فى المتأخرين من أفخاذ العرب على قلة كقولهم أولاد زعازع وأولاد قريش ونحو ذلك . الثامن أسماء غالب العرب منقولة عما يدور فى خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه إما من الحيوان المفترس كأسد ونمر وإما من النبات كنبت وحنظلة وإما من الحشرات كحية وحنش وإما من أجزاء الارض كفهر وصخر ونحو ذلك . التاسع الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الاسماء ككلب وحنظلة ومرة وضرار وحرب وما أشبه ذلك وتسمية عبيدهم بمحبوب الاسماء كفلاح ونجاح ونحوهما والمعنى فى ذلك ما حكى أنه قيل لابى الدقيش الكلابى لم تسمون أبناءكم بشرّ الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمى أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد أن الابناء معدّة للاعداء واختاروا لهم شر الاسماء والعبيد معدّة لانفسهم فاختاروا لانفسهم خير الاسماء. العاشر اذا كان فى القبيلة اسمان متوافقان كالحارث والحارث وأحدهما من ولد الآخر أو بعده فى الوجود عبروا عن الوالد أو السابق منهما بالاكبر وعن الولد أو المتأخر منهما بالاصغر وربما وقع ذلك فى الأخوين اذا كان أحدهما أكبر من الآخر

المهيع الثانى

(فى معرفة تفاصيل أنساب العرب واعلم أن العرب على قسمين)

القسم الاول

(العرب البائدة)

وهم الذين بادوا ودرست آثارهم وانقطعت تفاصيل أخبارهم الا القليل والمنهم ومنهم قبائل

القبيلة الاولى — عاد وهم بنو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانت منازلهم بالاحقاف بين اليمن وعمان من البحرين الى حضرموت والشحر وهم الذين بعث الله تعالى اليهم هودا عليه السلام فلم يؤمنوا فأهلكهم بالريح كما ورد به القرآن الكريم

القبيلة الثانية — ثمود وهم بنو ثمود بن جاثر ويقال كاثر بالكاف بدل الجيم ابن ارم بن سام ابن نوح عليه السلام وكانت منازلهم بالحجر ووادى القرى بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال مراعاة لطول أعمارهم بعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام فلم يؤمنوا فأهلكهم الله بصيحة من السماء كما ورد به القرآن الكريم

القبيلة الثالثة — العمالقة وهم بنو عمليق ويقال عملاق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح وهم أمة عظيمة يضرب بهم المثل فى الطول والجثمان قال الطبرى وتفرقت منهم أمم فى البلاد فكان منهم أهل عمان والبحرين والحجاز وملوك العراق والجزيرة وجبابرة الشام وفراعنة مصر

القبيلة الرابعة — طسم وهم بنو طسم قال ابن الكلبى وهم بنو طسم بن لاود بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وذكر الجوهرى أنهم من عاد قال وكانت منازلهم الأحقاف باليمن وذكر فى العبر أن ديارهم كانت باليمامة وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين اخوانهم جديس الآتى ذكرهم

القبيلة الخامسة — جديس وهم بنو جديس بن ارم بن سام بن نوح وقال الطبرى جديس ابن لاود بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانت مساكنهم بجوار طسم المقدم ذكرهم وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين المذكورين أيضا

القبيلة السادسة — عبد ضخم وهم بنو عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح قال فى العبر كانوا يسكنون الطائف فهلكوا فيمن هلك قال ويقال انهم أول من كتب بالخط العربى

القبيلة السابعة — جرهم الاولى قال ابن سعيد وهم قبيلة من العرب كانوا على عهد عاد فبادوا

القبيلة الثامنة — مدين وهم بنو مدين بن ابراهيم عليه السلام وهم أمة كبيرة قبائل وشعوب وكانت ديارهم ديار عاد وأرض معان من أطراف الشام مما يلى الحجاز قريبا من عشيرة قوم لوط بعث الله تعالى اليهم شعيبا فلم يؤمنوا

القسم الثانى

(من العرب الباقية أعقابهم على تعاقب الزمان)

وأكثر من تدعو حاجة الكاتب الى معرفته من بقى أعقابه منهم متفرقة فى أقطار الارض الى الآن وهم على ثلاثة أضرب

الضرب الاول

(العـــرب العاربة)

قال الجوهرى ويقال فيهم العرب العرباء وهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام وهم عرب اليمن والمشهور منهم شعبان

الشعب الاول — جرهم بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء وهم بنو جرهم بن قحطان وهم غير جرهم الاولى المقدم ذكرها فى جملة العرب البائدة وكانت منازلهم أولا اليمن ثم انتقلوا الى الحجاز فنزلوه فأقاموا به حتى كان من نزول اسماعيل عليه السلام مع أبيه مكة ما كان فنزلوا عليه بمكة واستوطنوها على ما سيأتى ذكره فى الكلام على العرب المستعربة ان شاء الله تعالى

الشعب الثانى — يعرب وهم بنو يعرب بن قحطان المقدم ذكره ويقال ان العرب انما سميت عربا به وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به ومنه تناسلوا فولد له يشجب وولد يشجب سبأ ومنه تفرعت جميع قبائلهم ومرجع المشهور فيه الى قبيلتين

القبيلة الاولى — حمير وهم حمير بن سبأ بكسر الحاء واسمه العرنجج وقد ذكر ابن الكلبى أنه كان لحمير عشرة أولاد من عقبه وكان غالب وجل قبائل حمير من ابنيه الهميسع ومالك ملوك اليمن وكانت بلادهم مشارق اليمن فظفار وما حولها ولحمير بقايا موجودون الى الآن ومنه غالب قبائل قضاعة ومنه عادت قبائل حمير وهو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك ابن حمير وقيل قضاعة بن مالك بن حمير وذهب بعض النسابة الى ان قضاعة من العدنانية الآتى ذكرهم قال السهيلى والصحيح ان أم قضاعة وهى جكرة مات عنها مالك بن حمير وهى حامل فتزوجها معد بن عدنان فولدت قضاعة على فراشه فتبناه فنسب اليه قال المؤيد صاحب حماه وكان قضاعة مالكا لبلاد الشحر وقبره بجبل الشحر موجود ولقضاعة بقايا الى الآن ينسب اليهم واليهم ينسب القضاعى المصرى صاحب كتاب الشهاب فى المواعظ والآداب فى الحديث وخطط مصر وغيرهما والمشهور من قضاعة سبعة أحياء

الحى الاول — بلى بفتح الباء وهم بنو بلى بن عمرو بن الحافى بن قضاعة ولهم بقايا بالديار المصرية بصعيدها الاعلى منهم بنو ناب وغيرهم وبقايا بالحجاز وغيرهما والنسبة اليهم بلوى بزيادة واو مكسورة قبل ياء النسب

الحى الثانى — جهينة بضم الجيم وفتح الهاء والنون وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود ابن أسلم بن الحافى بن قضاعة وهى قبيلة عظيمة ولهم بقايا ببلاد الصعيد من الديار المصرية وبالحجاز وغيرهما والنسبة اليهم جهنى بحذف الياء بعد الهاء

الحى الثالث — كلب وهم بنو كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاعة ومنهم حارثة الكلبى أبو زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صاحب حماه وكان بنو كلب فى الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام قال ابن سعيد ومنهم الآن خلق عظيم على خليج القسطنطينية مسلمون قال فى مسالك الابصار وبشيزر وحلب وبلادها وتدمر والمناظر أقوام منهم والنسبة اليهم كلبى

الحى الرابع — عذرة بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة وهم بنو عذرة بن سعيد بن هديم ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة والى عذرة هؤلاء ينسب العشق والتيم ومنهم عروة بن حزام صاحب عفراء أحد المتيمين وجميل صاحب بثينة ومن أحسن ما يحكى أنه قيل لرجل منهم ما بال العشق يقتلكم يا بنى عذرة قال لان فينا جمالا وعفة وقيل لآخر منهم ما بال الرجل منكم يموت فى هوى امرأة انما ذلك ضعف فيكم يا بنى عذرة فقال أما والله لو رأيتم النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج فوقها الحواجب الزج لاتخذتموها اللات والعزى ولهم بقايا بالدقهلية والمرتاحية من الديار المصرية وبقايا بالشام أيضا

الحى الخامس — بهراء بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وألف بعد الراء المهملة وهم بنو بهراء بن عمرو بن الحافى بن قضاعة ومنهم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم منهم المقداد ابن الاسود أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان خالد بن برمك من آل بهراء قال فى العبر وكانت منازلهم شمالى منازل بلى من الينبع الى عقبة ايله ثم جاور بحر القلزم منهم خلق كثير وانتشروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر وكثروا هنالك وغلبوا على بلاد النوبة وهم يحاربون الحبشة الى الآن

الحى السادس — بنو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة وكانت منازلهم باليمن واليهم كتب النبى صلى الله عليه وسلم كتابه المشهور وكان منهم طائفة بالشام أيضا فيما ذكره أبو عبيد ومن مشاهير نهد الصقعب قال صاحب حماه وكان رئيسا فى الاسلام

الحى السابع — جرم وهم بنو جرم واسمه علاق بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحافى ابن قضاعة قال الحمدانى ومنهم بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف قال فى العبر ومنهم جماعة من الصحابة رضى الله عنهم قلت وهم القاضى ولى الدين بن خلدون فجعلهم هم الذين ببلاد غزة وقد تقدم أن أولئك هم جرم طى لا جرم قضاعة وعد صاحب حماه فى تاريخه منهم تنوخ بفتح التاء المثناة فوق وضم النون وخاء معجمة فى الآخر قال الجوهرى ولا تشدد نونه والتحقيق ما قاله أبو عبيد أنهم ثلاثة أبطن من القحطانية نزار والاحلاف قال وسموا بذلك لانهم حلفوا على المقام بمكان بالشام والتنخ المقام قال ابن سعيد ومن الناس من يطلق تنوخ على القحاغمة ودوس

الذين تنخوا بالبحرين قال صاحب حماه وكان بينهم وبين اللخميين ملوك الحيرة حروب ولتنوخ بقايا بالمعرة من بلاد الشام فيما ذكره الحمدانى

القبيلة الثانية – من القحطانية كهلان بفتح الكاف وسكون الهاء وهم بنو كهلان بن سبأ قال أبو عبيد وشعوبهم كلها متشعبة من زيد بن كهلان وكانوا امتداولين الملك باليمن مع بنى حمير انفرد بنو حمير بالملك وبقيت بطون كهلان على كثرتها تحت ملكهم قال فى العبر ثم تقاصر ملك حمير وبقيت الرئاسة على العرب بالبادية لبنى كهلان وهم أحياء كثيرة والمشهور منهم أحد عشر حيا

الحى الاول – الازد بفتح الهمزة وسكون الزاى وبالدال المهملة قال أبو عبيد ويقال بالسين بدل الزاى قال الجوهرى بالزاى أفصح وهم بنو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد ابن كهلان وهم من أعظم الاحياء وأكثرهم بطونا وقد قسم الجوهرى الأزد الى ثلاثة أقسام . أحدها أزد شنوءة وهم بنو نصر بن الازد وشنوءة لقب لنصر غلب على بنيه . الثانى أزد السراة باضافة أزد الى السراة بالسين المهملة وهو موضع بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعرفوا به . الثالث أزد عمان باضافة أزد الى عمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم وهى مدينة بالبحرين نزلها قوم منهم فعرفوا بها وللازد بقايا ببلاد الشام بزرع وبصرى فيما قاله فى مسالك الابصار . ثم الازد بطون كثيرة منها غسان بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ونون فى الآخر قال أبو عبيد وهم بنو جفنة والحارث وهو محرق وثعلبة وهو العنقاء وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف بن عمرو بن عامر ماء السماء ابن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق ويقال البهلول ابن ثعلبة بن مازن بن الازد وانما سموا غسان لماء نزلوا عليه اسمه غسان فشربوا منه فسموا به قال فى العبر وهو على القرب من بلاد اليمن قال أبو عبيد وفى ذلك يقول بعض الانصار

إما سألت فانا معشر نجب * الأزد نسبتنا والماء غسان

ولغسان هؤلاء كان ملك العرب بالشام بعد سليح المقدم ذكرهم الى ان كان آخرهم جبلة ابن الايهم الذى أسلم فى زمن عمر ثم ارتد ولحق ببلاد الكفر . وقد ذكر فى مسالك الابصار ان لهم بقايا ببلاد الشام بالبلقاء واليرموك وحمص . ومنها الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق ابن ثعلبة بن مازن ابن الازد وكانت منازلهم يثرب ومنهم كانت أنصار النبى صلى الله عليه وسلم ولهم بقايا كثيرة متفرقة بالمشرق والمغرب وقد ذكر الحمدانى ان منهم جماعة بمنفلوط من صعيد مصر من عقب حسان بن ثابت وسعد بن معاذ سيد الاوس رضى الله عنهما

الحى الثانى - من كهلان طيئ بفتح الطاء وتشديد الياء بهمزة فى الاخر أخذا من الطاءة على وزن الطاعة وهى الايغال فى المرعى وهم بنو طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان والنسبة اليهم طائى واليهم ينسب حاتم الطائى المشهور بالكرم وأبو تمام الطائى الشاعر المشهور وهم كثير . قال فى العبر وكانت منازلهم باليمن فخرجوا منها على إثر خروج الازد عند تفرقهم بسيل العرم فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من بنى أسد ثم غلبوا بنى أسد على جبلى أجأ وسلمى من بلاد نجد فنزلوهما فعرفا بجبلى طيئ الى الآن ثم افترقوا فى أول الاسلام زمن الفتوحات فى الاقطار ولهم بطون كثيرة . منها ثعل بضم الثاء المثلثة وفتح العين المهملة ولام فى الآخر وهم بنو ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ قال أبو عبيد . ومنهم البيت والعدد قال صاحب حماه ومنهم زيد الخيل . ومنها جديلة بفتح الجيم وكسر الدال وسكون الياء وفتح اللام وهاء فى الآخر ذكرهم الجوهرى ولم يرفع نسبهم ثم قال وجديلة أمهم عرفوا بها وهى جديلة بنت سبيع بن عمرو بن حمير . ومنها نبهان بفتح النون وسكون الباء الموحدة ونون بعد الألف وهم بنو نبهان واسمه سودان بن عمرو بن الغوث بن طيئ . ومنها بولان بفتح الباء الموحدة وسكون الواو ونون بعد اللام ألف وهم بنو بولان واسمه غصين بن عمرو بن الغوث بن طيئ . ومنهم الثلاثة نفر الذين يقال انهم وضعوا الخط العربى على ماسيأتى ذكره فى الكلام على الخط فيما بعد ان شاء الله . ومنها هنا وهم بنو هنا بن عمرو بن الغوث بن طيئ . ومنهم اياس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان بن المنذر . ومنها سدوس بضم السين والدال المهملتين وسين مهملة فى الآخر وهم بنو سدوس بن اصمع من بنى سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ . ومنهم جعفر بن عطية الذى يقول

مدحت نسيبى جعفرا ان جعفرا * تحلب كفاه الندى وأنامله

ومنها سلامان بفتح السين المهملة ونون فى الآخر وهم بنو سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيئ ومنها بحتر بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة فوق وراء مهملة فى الآخر وهم بنو بحتر بن عتود بن عنيز بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ منهم أبو عبادة البحترى الشاعر الاسلامى المشهور . ومنها زبيد بضم الزاى وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة فى الآخر وهم بنو زبيد بن معن بن عمرو بن عنيز بن سلامان بن عمرو ابن الغوث بن طيئ قال ابن سعيد وزبيد هؤلاء هم الذين ببرية سنجار من الجزيرة الفراتية وهم الذين ذكرهم المقر الشهابى بن فضل الله وسماهم زبيد الاحلاف . ومنها سنبس بضم السين المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسين مهملة فى الآخر وهم بنو سنبس بن معاوية ابن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ . وقد ذكر الحمدانى أن منهم طائفة بثغر دمياط

وانه كان لهم شأن أيام الخلفاء الفاطميين وعدّ منهم ثلاث بطون وهم الخزاعلة وعبيد وجوح والامرة فى زماننا هذا فيهم فى الخزاعلة فى بنى يوسف بمدينة سخا من الاعمال الغربية قال الحمدانى ومنهم طائفة بالبطائح من بلاد العراق . ومنها جرم بفتح الجيم وسكون الراء وميم فى الآخر وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيئ . وقال الحمدانى جرم اسم أمه غلب عليه وهى جرم بنت الغوث بن طيئ وهؤلاء هم جرم الذين ببلاد غزة من البلاد الشامية قال الحمدانى وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على تدافع الفرنج عن المسلمين فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد دخلت طائفة منهم مصر وبقى بقاياهم بمكانهم ببلاد غزة وقد ذكر الحمدانى منهم ثلاث بطون وهم شمجان وقران وحيان ثم قال والمشهور من جرم الآن جذيمة ويقال ان لهم نسبا فى قريش وزعم بعضهم أنها ترجع الى مخزوم وقيل بل من جذيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر ثم قال وجذيمة هؤلاء هم آل عوسجة وآل أحمد وآل محمود . ثم قال ومنهم أسلم وشبل ورضيعة ونيور والقدره والأحامدة والرفثة وكور وموقع . ومنهم من بنى غوث العاجلة والعبادلة وبنو تمام وبنو جميل وبنو مقدام وآل نادر . ومنهم من بنى غوث بنو بها وبنو خوله وبنو هرماس وبنو عيسى وبنو سهيل وأرضهم الداروم وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببنى فهيد ثم اختلطوا بهم . ومنها ثعلبة وضبطه معروف وهم بنو ثعلبة بن سلامان بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيئ وهم رعيان درما وزريق ابنى عوف بن ثعلبة وقيل ابنا ثعلبة واسم درما عمرو ودرما اسم أمه غلب عليه قال الحمدانى وكانوا مع جرم بالشام يدا مع الفرنج على المسلمين فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد انتقلت طائفة منهم الى مصر ونزلوا أطراف بلاد الشرقية فمن بطون درما سلامة والأحمر وعمرو وقصير وأويس وشبل والحنابلة والمراونة والحيانيون ومن بطون زريق بهابنو وهم والطليحيون ومن الطليحيين آل حجاج وآل عمران وآل حصنان والمصالحة ومن بنى زريق أيضا الصبحيون ومن الصبحيين الغيوث والزموت والروايات والنمول والسحمين والسعالى والرمالى والمعامرة والسنديون والبحابحة والعقيليون والمساهرة والمعافرة ومنهم أيضا العليميون قال الحمدانى وكان مقدمهم قديما عمرو بن عسيلة أمر بالبوق والعلم ومن العليميين القمعة والرياحين والغوفة قال الحمدانى وكان فيهم رجال ذو ذكر ونباهة خدموا الدول وعضدوا الملوك وقاموا ونصروا . ومنهم من أمر بالبوق والعلم . ومن بطون ثعلبة هؤلاء أيضا الجواهرة . ومنها غزية بفتح الغين المعجمة وكسر الزاى وتشديد الياء المثناة تحت وهاء فى الآخر وهم بنو غزية بن أفلت بن ثعل بن عمرو ابن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ قال الحمدانى وهم بالشام والعراق والحجاز وفيما بين العراق والحجاز قال فى العبر وفيهم الامارة فى العراق الى الآن ولهم صولة عظيمة

وهم بطون كثيرة . فمن بطونهم البطنين وأفخاذهم آل دعيج وآل روق وآل رفيع وآل سرية وآل مسعود وآل تميم وآل شرود ومن بطونهم الاجود وأفخاذهم آل منيع وآل سند وآل منال وآل أبي الحزم وآل على وآل عقيل وآل مسافر هذا ماذكره الحمداني وزاد في مسالك الابصار عن نصر بن برجس المشرقي وأولاد الكافرة وساعدة وبنى جميل وآل أبي مالك قال في المسالك وديار آل أجود منهم الرخيمة والرقبي والفردوس ولبنه والحدق وديار آل عمرو بالحوف وديار بقاياهم النصيف والكن والجموم والأم والمعينة . ويليهم ساعدة وديارهم من الحضر الى برية زرود الى سقارة الى البقعاء الى التيب الى الساسة الى حضر .
ومنها لام وهم بنو لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن بجيلة بن مالك بن جدعا بن ذهل ابن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طيئ قال ابن سعيد ومساكنهم المدينة النبوية وماحولها وقال الحمداني ديارهم جبلا أجا وسلمى ثم قال وظفير من لام ومنازلهم الطعن قبالة المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . ومنها آل ربيعة عرب الشام وهم بنو ربيعة بن حازم بن على بن مفرح بن دغفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب ابن السكن بن ربيع بن علق بن حوط بن عمرو بن خالد بن معبد بن عدى بن أفلت بن سلسلة ابن غنم بن ثوب بن معن بن عتود بن عنيز بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ قال في مسالك الابصار وتقول بنو ربيعة الآن انهم من ولد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك من العباسة بنت المهدى أخت الرشيد ويزعمون أنه كان يحضر مع الرشيد مجلسه الخاص وأنه كلمه في تزويجها ليحل له نظرها الاجتماعهما بمجلسه فعقدله عليها بشرط أن لا يطأها فعانقها على حين غفلة من الرشيد فحملت منه بولد كان ربيعة هذا من ولده قال ويقولون في نسبه انه ربيعة ابن سالم بن شبيب بن حازم بن على بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ويزعمون أن نكبة البرامكة كانت بسبب ذلك ثم قال وأصلهم اذا نسبوا اليه أشرف لهم لأنهم من سلسلة ابن عنيز بن سلامان بن طيئ وهم كرام العرب وأهل البأس والنجدة والبرامكة وان كانوا قوما كراما فانهم قوم عجم وشتان بين العرب والعجم وقد شرف الله تعالى العرب ان بعث منهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل فيهم كتابه وجعل فيهم الخلافة والملك وابتز لهم ملك فارس والروم ونزع بأسنتهم تاج كسرى وقيصر وكفى بذلك شرفا لا يطاول وفخرا لا يتناول وذكر في التعريف نحوه قال في العبر وكانت رئاسة طيئ في أيام الفاطميين لبنى الجراح ثم صارت لآل ربيعة قال الحمداني وكان ربيعة هذا قد نشأ في أيام الاتابك زنكى وابنه نور الدين الشهيد صاحب الشام ونبغ بين العرب وولد له أربعة أولاد وهم فضل ومرا وثابت ودغفل ومنهم تفرعت جميع بطون آل ربيعة ثم المشهور من آل ربيعة الآن ثلاث بطون وهم آل فضل وآل مرا وآل على

فآل فضل هم بنو فضل بن ربيعة وآل مرا بنو مرا بن ربيعة وأما آل على فمن آل فضل وهم بنو على بن حديثة بن عقبة بن فضل المقدم ذكره وقد صارت آل فضل أيضا بعد ذلك بيوتا أرفعها قدرا بيت عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل قال فى مسالك الابصار وفيهم الامرة دون سائر آل فضل قال ثم صار آل عيسى بيوتا بيت مهنا بن عيسى وبيت فضل بن عيسى وبين حارث بن عيسى وبيت محمد بن عيسى وبيت هبة بن عيسى وسيأتى الكلام على تقسيم الامرة فيهم فى الكلام على عرب الشام فى المسالك والممالك ان شاء الله

الحى الثالث — من كهلان مذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم فى الآخر وهم بنو مذحج واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان هكذا قاله أبو عبيد وقال الجوهرى مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان وقد ذكر الحمدانى أنهم انما سموا مذحج لشجرة تحالفوا عندها اسمها مذحج فسموا باسمها ثم لمذحج بطون كثيرة . منها خولان بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ونون بعد اللام ألف وهم بنو خولان بن مالك وهو مذحج واليهم ينسب أبو ادريس الخولانى قال فى العبر وبلاد خولان فى بلاد اليمن من شرقيه قال وقد افترقوا فى الفتوحات وليس منهم اليوم ذرية الا باليمن ثم قال وهم غالبون على أهله . ومنها جنب بفتح الجيم وسكون النون وباء موحدة فى الآخر وهم بنو منبه والحارث والعلى وسيحان وشمرة وهفان بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج قال أبو عبيد وسموا بجنب لأنهم جانبوا عمهم صدا وحالفوا سعد العشيرة وحالفت صدا بنى الحارث بن كعب . ومن جنب معاوية الخير الجنبى صاحب لواء مذحج فى حرب بنى وائل . ومنها سعد العشيرة وهم بنو سعد العشيرة بن مذحج وسمى بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلثمائة رجل فكان اذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتى دفعا للعين عنهم فقيل له سعد العشيرة ثم من بطون سعد العشيرة أوذ بفتح الهمزة وسكون الواو وذال معجمة فى الآخر وهم بنو أوذ بن صعب بن سعد العشيرة واليهم ينسب الأفوه الأودى الشاعر المشهور . ومن بطون سعد العشيرة أيضا جعفى بضم الجيم وسكون العين المهملة وكسر الفاء وياء مثناة تحت فى الآخر وهم بنو جعفى بن سعد العشيرة والنسبة اليهم جعفى على مثل لفظه واليهم ينسب الامام البخارى بالموالاة فيقال الجعفى مولاهم . ومن بطون سعد العشيرة زبيد بضم الزاى وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة فى الآخر وهم بنو منبه بن صعب بن سعد العشيرة وتعرف زبيد هؤلاء بزبيد الأكبر وهم زبيد الحجاز قال فى مسالك الابصار وعليهم درك الحاج المصرى من الصفراء الى الجحفة ورابغ ومن زبيد هؤلاء بطن تعرف بزبيد الأصغر وهم بنو منبه الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن ابن ربيعة بن منبه الأكبر قال أبو عبيد ومن زبيد هؤلاء عمرو بن معدى كرب . ومنها النخع

بفتح النون وسكون الخاء المعجمة وعين مهملة فى الآخر وهم بنو النخع واسمه جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج قال أبو عبيد وسمى النخع لأنه انتخع عن قومه أى بعد . ومنهم الأشتر النخعى أحد تابعى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى ولاه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مصر وكتب له بها عهدا على ماسيأتى ذكره فى الكلام على العهود عند ذكر الولايات فيما بعد ان شاء الله تعالى . واليهم ينسب ابراهيم النخعى الامام الكبير المشهور . ومنها عنس بفتح العين المهملة وسكون النون وسين مهملة فى الآخر وهم بنو عنس بن مذحج منهم عمار بن ياسر الصحابى المشهور واليهم ينسب الأسود العنسى الكذاب الذى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بخروجه فادعى النبوة باليمن بعد ذلك . ومنها بنو الحارث ويقال بلحارث بن كعب وهم بنو الحارث ابن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج قال فى العبر وديارهم بنواحى نجران من اليمن مجاورون لبنى ذهل بن مزيقياء منهم بشير الحارثى الذى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ما اسمك قال أكبر قال بل أنت بشير

الحى الرابع — من بنى كهلان همدان بفتح الهاء وسكون الميم ودال مهملة ثم ألف ونون وهم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن زيد بن كهلان قال فى العبر وكانت ديارهم باليمن من شرقيه ولما جاء الاسلام تفرق من تفرق منهم وبقى من بقى باليمن قال وكانت همدان شيعة لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه عند وقوع الفتن بين الصحابة وفيهم يقول رضى الله عنه

فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلى بسلام

قال فى مسالك الابصار وبالجبل المعروف بالطيبين من الشام فرقة من همدان

الحى الخامس — من بنى كهلان كنده بكسر الكاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر وهم بنو كنده واسمه ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان قال صاحب حماة وسمى كنده لأنه كند أباه أى كفر نعمته قال وبلادهم باليمن قبلى حضرموت وكان لهم ملك بالحجاز واليمن ومنهم الاشعث بن قيس الصحابى المشهور . ومنهم أيضا القاضى شريح قاضى على رضى الله عنه وقد ذكر فى مسالك الابصار أن باللوى من بلاد الشام قوما ينسبون الى كنده ولهم بطون منها السكون بضم السين المهملة والكاف ونون بعد الواو وهم بنو السكون بن أشرس بن كنده . ومنهم معاوية بن خديج قاتل محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وعد منها صاحب حماة السكاسك أيضا بفتح السين الاولى وكسر الثانية والذى ذكره أبو عبيد أنه من حمير وقال هم بنو السكاسك بن وائلة بن حمير قال الجوهرى والنسبة الى السكاسك سكسكى ردا له الى أصله كما ينسب الى مساجد مسجدى

الحى السادس — من بنى كهلان مراد بضم الميم وفتح الراء المهملة ودال مهملة بعد الألف وهم بنو مراد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان قال الجوهرى ويقال ان اسمه يحابر فتمرد فسمى مرادا وجعلهم فى العبر بطنا من مذحج فقال مراد ابن مذحج قال صاحب حماه وبلادهم الى جانب زبيد من بلاد اليمن قال والى مراد هذا ينسب كل مرادى من عرب اليمن

الحى السابع — من بنى كهلان أنمار بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم وراء مهملة بعد الألف وهم بنو أنمار بن اراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ولهم بطنان . الاولى بجيلة بفتح الباء الموحدة وكسر الجيم وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر وهم بنو عبقر والغوث وصهيبة وجذيمة بن أنمار بن اراش قال أبو عبيد وبجيلة أمهم عرفوا بها وهى بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة قال فى العبر وكانت بلادهم فى سروات اليمن والحجاز الى تبالة ثم افترقوا أيام الفتح الاسلامى فى الآفاق فلم يبق منهم فى مواطنهم الا القليل قال الجوهرى ويقال انهم من العدنانية لأن نزار بن معد بن عدنان ولد له مضر وربيعة وإياد وأنمار وولد لأنمار بجيلة وخثعم فصاروا الى اليمن والى بجيلة هؤلاء ينسب جرير ابن عبد الله البجلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جميلا فائق الجمال حتى انه كان يقال له يوسف الأمة وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه

لولا جرير هلكت بجيله * نعم الفتى وبئست القبيله

الثانية خثعم بفتح الخاء المعجمة وسكون الثاء المثلثة وفتح العين المهملة وميم فى الآخر وهم بنو خثعم بن انمار بن اراش المقدم ذكره ابن هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن عك وفيهم مثل ما تقدم من كلام الجوهرى فى الكلام على بجيلة أنهم من العدنانية لأن خثعم وبجيلة يرجعون الى أنمار وكانت مساكنهم مع اخوتهم بجيلة بسروات اليمن فافترقوا فى الفتوحات الاسلامية فلم يبق منهم فى مواطنهم إلا القليل . ومن خثعم هؤلاء أكلب بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم اللام وباء موحدة فى الآخر وهم بنو أكلب بن عفير بن خلف بن خثعم قال أبو عبيد ويقال ان أكلب من ربيعة بن نزار قال الحمدانى وهم بطون كثيرة ومنازلهم ببيشة شرقى مكة المشرفة ومن خثعم أيضا بنو منبه والفرع وبنو فضلة ومعاوية وآل مهدى وبنو نصر وبنو حام والورد ونادر وآل الصعافير والشماء وبلوس قال الحمدانى ومنازلهم على القرب من بيشة شرقى مكة أيضا

الحى الثامن — من بنى كهلان جذام بضم الجيم وفتح الذال المعجمة وألف ثم ميم وهم بنو جذام بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان

هذا ما ذكره أبو عبيد وجعلهم صاحب حماه فى تاريخه من ولد عمرو بن سبأ قال الجوهرى وتزعم نسابة مضر أنهم من مضر يعنى من العدنانية وأنهم انتقلوا الى اليمن فنزلوها فحسبوا من اليمن واستشهد له بقول الكميت يذكر انتقالهم الى اليمن بانتسابهم فيهم

نعاء جذاما غير موت ولا قتل * ولكن فراقا للدعائم والأصل

واستشهد له الحمدانى أيضا بقول جنادة بن خشرم الجذامى

وما قحطـــان لى بأب وأم * ولا تصطادنى شـبه الضلال

وليس اليهـم نسبى ولكن * معـدّيا وجدت أبى وخالى

قال الحمدانى ويقال انهـم من ولد أعصر بن مدين بن ابراهيم عليه السـلام واستشهد لذلك بما رواه محمد بن السائب أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد جذام فقال مرحبا بقوم شعيب واصهار موسى قال صاحب حماه وكان فيهم العدد والشرف قال الحمدانى وهو أول من سكن مصر من العرب حين جاؤا فى الفتح مع عمرو بن العاص رضى الله عنه وأقطعوا فيها بلادا بعضها بأيدى بنيهم الى الآن وكان لجذام ولدان هما حشم بكسر الحاء المهملة وسكون الشين المعجمة وميم فى الآخر وحرام بفتح الحاء والراء المهملتين وألف ثم ميم ومن ولد حشم عتيت بفتح العين المهملة وكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وتاء مثناة فوق فى الآخر وهم بنو عتيت ابن أسلم بن مالك بن شنوءه بن بديل بن حشم بن جذام قال أبو عبيد وهم اليوم ينتسبون فى بنى شيبان ويقولون عتيت بن عوف بن شيبان قال واليهم تنسب حفرة عتيت بالبصرة قال الجوهرى أغار عليهم بعض الملوك فسبى الرجال فكانوا يقولون اذا كبر صبياننا لم يتركونا حتى يقتلونا فلم يزالوا عنده حتى هلكوا فضرب لهم العرب مثلا فقالوا أودى عتيت وفى ذلك يقول الشاعر

ترجيهـــا وقد وقعت بقرّ * كما ترجو أصاغرها عتيت

ثم لجذام الآن بطون كثيرة متفرقة فى الاقطار منهم بالشرقية من الديار المصرية من بنى زيد ابن حرام بن جذام وبنى محرمة بن زيد بن حرام بن جذام فأما بنو زيد فمنهم بنو سويد وبعجة وبردعة ورفاعة ونائل من بنى زيد بن حرام بن جذام فمن ولد سويد هلبا سويد وهم بنو هلبا بن سـويد ابن زيد بن حرام بن جذام قال الحمدانى . ومنهم العطويون والجابريون والغناوره وحمدان وروبان وصمران وأسود والحميديون ومن الحميديين أولاد راشـد ومنهم البراجسه وأولاد بيرين والجواشنه والكعوك وأولاد غانم وآل جود والاخيوه والزرقان والاساودة والحماديون ومن بنى راشد أيضا الحراقيص والخنافيس وأولاد غالى وأولاد جوال وآل زيد ومن النجابية أولاد نجيب وبنو فضيل ومن هلبا سويد أيضا بنو الوليد وهم بنو الوليد بن سويد المقدم ذكره ومنهم الحيادرة وهم بنو حيدرة بن يعرب بن حبيب بن الوليد بن سويد قال الحمدانى وهم طائفة كبيرة

ومنهم بنو عماره وهو عمارة بن الوليد ومنهم عدد والحبيون وهم بنو حبة بن راشد بن الوليد ومن ولد الوليد بن سويد المذكور طريف بن بكتوت الملقب زين الدولة كان من أكرم العرب وكان فى مضيفته أيام الغلاء اثناعشر ألفا تأكل عنده كل يوم وكان يهشم الثريد فى المراكب ومن أولاده من أمر بالبوق والعلم وعد من أحلافهم أولاد الهوبرية والرداليين والحليفيين والحصينيين والربيعيين وهم أولاد شريف النجابين وذكر الحمدانى أن لهم نسبا فى قريش الى عبد مناف بن قصى ومن هلباسويد هؤلاء هلبامالك وهم بنو مالك بن سويد ومن هلبامالك بنو عبيد وهم بنو عبيد بن مالك ومن بنى عبيد المذكور الحسنيون وهم بنو الحسن بن أبى بكر ابن موهوب بن عبيد والغوارنه وهم بنو الغور بن أبى بكر بن موهوب بن عبيد وبنو أسير وهم بنو أسير بن عبيد ومن هلبامالك أيضا اللبيديون والبكريون والعقيليون وهم بنو عقيل بن قرة ابن موهوب بن عبيد . ومنهم بنو رديني وهم بنو رديني بن زياد بن حسين بن مسعود بن مالك ابن سويد ومن ولد بعجة هلبا بعجة وهم بنو هلبا ومنظور وردا ونائل بنى بعجة بن زيد بن سويد بن بعجة فمن ولد هلبا بعجة مفرج بن سالم أمره المعز أيبك بالبوق والعلم ثم خلفه على إمرته ولده حسان . ومنهم أولاد الهريم من بنى غياث بن عصمة بن نجاد بن هلبا بن بعجة . ومنهم جوشن ابن منظور بن بعجة وهو صاحب السراة المضروب به المثل فى الكرم والشجاعة . ومن ولد نائل مهنا بن علوان بن على بن زبير بن حبيب بن نائل كان جوادا كريما طرقته ضيوف فى شتاء ولم يكن عنده حطب لطعامهم فأوقد أحمال بز كانت عنده . ومن بنى حرام بن جذام أيضا بنو سعد قال الحمدانى وفى جذام خمس سعود اختلطت بمصر منهم سعد بن اياس بن حرام بن جذام وسعد بن مالك بن أفصى بن سعد بن اياس بن حرام بن جذام واليه ينسب أكثر السعديين وسعد بن مالك بن حرام بن جذام وسعد بن أسامة بن عنبس بن غطفان بن سعد بن مالك ابن حرام بن جذام وهم عشائر كثيرة منهم بنو فضل والسلاحة وبرشاس وجوشن وعدلان وفزارة قال وأكثرهم مشايخ بلاد وخفراء ولهم مزارع وما كل وفسادهم كثير وسكنهم منية غمر الى ريفها . ومنهم شاور وزير العاضد الفاطمى واليه تنسب أولاد شاور بكار منية غمر وخفراؤها على أن ابن خلكان قد ذكر أنه من سعد الذين أرضع فيهم النبى صلى الله عليه وسلم . وأما بنو مجرمة فمنهم الشواكر وهم بنو شاكر بن راشد . ومنهم أولاد البحار أدلاء الحاج من زمن السلطان صلاح الدين وهلم جرا . ومن جذام أيضا بالشرقية العائد وهم بطن من جذام عليهم درك الحاج الى العقبة . ومنهم أيضا بالشرقية بنو حرام وقال الحمدانى وقل فى عرب مصر من يعرفها . ومنهم بالدقهلية عمرو وزهير عد منهم الحمدانى الحصينيين ورداله والاحامدة والحمارنة وهم بنو حمران قال الحمدانى وفى زهير هؤلاء من بنى عمرن وبنى شبيب وبنى عبد الرحمن

وبنى مالك وبنى عبيد وبنى عبـد القوى وبنى شاكر وبنى حسن وبنى سمان وهم يتواردون فى أسماء بعض البطون مع غيرهم ومن جذام أيضا ببلاد الشام بنو صخر بالكرك وبنو مهدى بالبلقاء وبنو عقبـة وبنو زهير بالشوبك . ومنهم بنو سعيد بصرخد وحوران ومنهم جماعة ببلاد الغور وجماعة ببلاد البربر من بلاد السودان

الحى التاسع — من بنى كهلان لخم بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم فى الآخر وهم بنو لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ولخم أخو جذام المقدم ذكره وكل منهما عم لكندة المقدم ذكره أيضا وعد صاحب حماه لخما من بنى عمرو بن سبأ كما عد جذاما اذ كانا أخوين كما تقـدم وقد كان للمناذرة من اللخميين ملك بالحيرة من بلاد العراق ثم كان لبنى عباد من بقاياهـم بالاندلس ملك باشبيلية وذكر القضاعى أنهم حضروا فتح مصر واختلطوا بها هم ومن خالطهم من جذام قال الحمدانى وبصعيد الديار المصرية منهم قوم يسكنون بالبر الشرقى ذكر منهـم الحمدانى سبع أبطن . الاولى سمالـ وهم المعروفون بالسمـاكين وبنو مرة وبنو مليح وبنو نبهان وبنو عبس وبنو كريم وبنو بكير وديارهم من طارف ببا بالبهنسائية الى منحدر دير الجميزة فى البر الشرقى . الثانيـة بنو حدان وهم بنو محمد وبنو على وبنو سالم وبنو مدلج وبنو رعيش وديارهم من دير الجميزة الى ترعة صول . الثالثـة بنو راشـد وهم بنو معمر وبنو واصل وبنو مرا وبنو حبان وبنو معاد وبنو البيض وبنو حجره وبنو شنوءه وديارهم من مسجد موسى الى اسكر ونصف بلاد اطفيح ولبنى البيض الحى الصغير ولبنى شنوءه من ترعة شريف الى معصرة بوش . الرابعة بنو جعد وهم بنو مسعود وبنو حدير وهم المعروفون بالحديريين وبنو زبير وبنو غال وبنو نصار ومسكنهم ساحل اطفيح . الخامسة بنو عدى وهم بنو موسى وبنو محرب ومساكنهم بالقرب منهم . السادسة بنو بحر وهم بنو سهل وبنو معطار وبنو فهم وهم المعروفون بالفهميين وبنو عسير وبنو مسند وبنو سباع ومسكنهم الحى الكبير . السـابعـة قيس وهم بنو غنيم وبنو عمرو وبنو حجره ولبنى غنيم منهم العـدوية ودير الطين الى جسر مصر ولبنى عمرو الرستق ولهم نصف حلوان ولبنى حجره النصف الثـانى ونصف طرا . ومن بطون لخم بنو الدار رهط تميم الدارى صاحب النبى صلى الله عليه وسلم وهم بنو الدار بن هانى ابن حبيب بن نمـاره بن لخم قال الحمدانى وبلد الخليل عليه السـلام معمور من بنى تميم الدارى رضى الله عنه وبيد بنى تميم هؤلاء الرقعة التى كتبها النبى صلى الله عليه وسلم لتميم واخوته باقطاعهم بيت جبرون التى هى بلد الخليل عليه السلام وبعض بلادها ويقال انها مكتوبة فى قطعة من أدم من خف أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وبخطه

الحى العاشر — من بنى كهلان الاشعريون وهم بنو الاشعر بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان قال وسمى الاشعر لأن أمه ولدته وهو أشعر وجعله صاحب حماه من بنى أشعر بن سبأ وهم رهط أبى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحى الحادى عشر — من بنى كهلان عاملة وهم بنو عاملة واسمه الحارث بن عفير بن عدى ابن الحارث بن و بره بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وذكر أبو عبيد أن بنى عاملة هم بنو الحارث بن مالك يعنى ابن الحارث بن مرة بن أدد وانه كان تحته عاملة بنت مالك بن وديعة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد فعرفوا بها وذكر صاحب حماه أنهم من ولد عاملة بن سبأ وقد ذكر الحمدانى أن بجبال عاملة من بلاد الشام منهم الجم الغفير

الضرب الثانى

(من العرب الباقين على ممر الزمان العرب المستعربة)

قال الجوهرى ويقال لهم المتعربة أيضا وهم بنو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام سموا بذلك لأن لسان اسماعيل عليه السلام كان العبرانية أو السريانية فلما نزل جرهم من القحطانية عليه وعلى أمه بمكة المشرفة تزوج منهم وتعلم هو وبنوه العربية من جرهم المذكورين فسموا لذلك المستعربة واعلم أن الموجودين من العرب من ولد اسماعيل عليه السلام كلهم من بنى عدنان بن أدد المقدم ذكره فى عمود النسب على خلاف فى نسبه الى اسماعيل يطول ذكره قال فى العبر ومن عدا عدنان من ولد اسماعيل قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب ولذلك عرفت هذه العرب بالعدنانية ثم العدنانية صنفان

الصنف الاول — من فوق قريش ولقبائلهم المتفرعة من عمود النسب ستة أصول

الأصل الاول — نزار بن معد بن عدنان والمتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل

القبيلة الاولى — إياد بكسر الهمزة ودال مهملة فى الآخر وهم بنو إياد بن نزار المقدم ذكره قال المؤيد صاحب حماه وفارق إياد الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق فأقام به ومن إياد قس بن ساعدة الايادى وكعب بن مامة الذى يضرب به المثل فى الكرم يقال انه كان معه ماء لا يفضل عنه وله رفيق فسقاه رفيقه ومات عطشا

القبيلة الثانية — أنمار بفتح الهمزة وراء مهملة فى الآخر وهم بنو أنمار بن نزار المقدم ذكره وقد اختلف فى تعقيبه فذهب ذاهبون الى أنه ذهب الى اليمن ونزل بالسروات من مشارق اليمن وتناسل بنوه بها فعدوا فى اليمانية وذهب آخرون الى أنه لا عقب له الا من بنت له زوجها لاراش من اليمانية فولدت له أنمار بن اراش المقدم ذكره فى اليمانية فبنو أنمار المعدودون

فى اليمانية هم بنو أنمار بن اراش المقدم ذكره فى اليمانية من بنت أنمار بن نزار ولذلك وقع اللبس فيهما قاله السهيلى

القبيلة الثالثة - ربيعة وهم بنو ربيعة بن نزار ويعرف بربيعة الفرس لأن أباه نزارا أوصى له من ماله بالخيل قال فى مسالك الابصار وبالرحبة قوم منهم ولربيعة بطنان وهما أسد وضبيعة ابنا ربيعة ولكل منهما عدة أفخاذ وديارهم الى الآن بالجزيرة الفراتية تعرف بديار ربيعة أما أسد فأكثرهما أفخاذا فمن أسد بنو عنزه بفتح العين المهملة والنون والزاى وهاء فى الآخر وهم بنو عنزة بن أسد المقدم ذكره وكانت منازلهم خيبر من ضواحى المدينة وجديلة بفتح الجيم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر وهم بنو جديلة بن أسد المقدم ذكره والنسبة اليهم جدلى بحذف الياء بعد الدال . ومن جديلة عبد القيس وهم بنو عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة قال فى العبر وكانت ديارهم بتهامة حتى خرجوا الى البحرين وزاحموا من بها من بكر بن وائل وتميم وقاسموهم المواطن والنسبة اليهم عبدى . ومنهم من ينسب اليهم عبدى قيسى وبعضهم يقول عبقسى . ومن عبد القيس هؤلاء الأشج الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك لخصلتان يحبهما الله الحلم والاناة . ومن جديلة أيضا بنو النمر بفتح النون وكسر الميم وهم بنو النمر بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة قال فى العبر وديارهم رأس العين من أعمال الجزيرة الفراتية . ومن جديلة أيضا بنو وائل بالياء المثناة تحت وهم بنو وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة المقدم ذكره . ومن وائل بكر بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وتغلب بالتاء المثناة فى أوله والغين الساكنة المعجمة وكسر اللام وباء موحدة وهم بنو بكر وتغلب ابنى وائل المقدم ذكره . ومن تغلب بن وائل كليب ملك بنى وائل الذى قتله جساس وهاجت بسببه الحرب المعروفة بالبسوس أربعين سنة . ومن تغلب أقوام بزرع وبصرى وبالقريتين منهم نفر . ومن بكر أقوام بجينين وبلادها وبالرحبة قوم منهم . ومن بنى تغلب كانت بنو حمدان ملوك حلب قديما . ومن بكر بن وائل شيبان وهم بنو شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر . ومن بنى شيبان هؤلاء مرة وابنه جساس قاتل كليب المذكور . ومنهم طرفة بن العبد الشاعر . ومن بنى شيبان أيضا سدوس بفتح السين المهملة فى أوله وسين ثانية فى آخره وهم بنو سدوس بن ذهل بن شيبان . ومن بكر بن وائل أيضا بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب الذى تنبأ فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وقتل فى خلافة الصديق رضى الله عنه وهم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ومن بكر أيضا بنو عجل وهم بنو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل قال فى العبر وكانت منازلهم من اليمامة الى البصرة قال ثم خلفهم الآن فى تلك البلاد عامر المنيفق بن عقيل بن عامر

ابن صعصعة وذكر الحمدانى أن بلادهم فى زمانه الجزيرة من بلاد حلب وأنه كان لهم دولة بالعراق وأما ضبيعة بن ربيعة فبضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة تصغير ضبعة وهى قبيلة لم تكثر بطونها . ومنهم المتلمس الشاعر الباهلى المشهور

الأصل الثانى — مضر بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وهو مضر بن نزار المقدم ذكره ويعرف بمضر الحمراء لأن أباه أودى له من ماله بالذهب وما فى معناه وهى قبيلة عظيمة الا أن أكثرها اندرج فيما بعدها لكونها على عمود النسب وقد ذكر فى مسالك الابصار أن بنابلس من بلاد الشام بقية من مضر وبالرحبة رجال منهم وله على حاشية عمود النسب فرع واحد قد جمع عدة قبائل وهو قيس وقد اختلف فى نسبه فقيل قيس بن عيلان بالعين المهملة واسمه الناس بالنون بن مضر وقيل هو قيس بن مضر لصلبه وعيلان المضاف اليه قيل فرسه وقيل كلبه قال صاحب حماه وجعل الله تعالى لقيس من الكثرة أمرا عظيما ولكثرة بطونه غلب على سائر العدنانية حتى جعل فى المثل فى مقابل عرب اليمن قاطبة فيقال قيس ويمن . فمن قبائل قيس هوازن وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان وهم الذين أغار عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وسباهم ومن هوازن بنو سعد الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيعا فيهم وهم بنو سعد بن بكر بن هوازن قال فى العبر وقد افترق بنو سعد هؤلاء فى الاسلام ولم يبق لهم حى فيطرق الا أن منهم فرقة بافريقية من بلاد المغرب بنواحى باجة يعسكرون مع جند السلطان وقد ذكر ابن خلكان أن شاور السعدى وزير العاضد الفاطمى خليفة مصر منهم وان كان الحمدانى قد ذكر أنه من سعد جذام من القعطانية بالشرقية من الديار المصرية على ماسبق ذكره هنالك . ومن هوازن أيضا بنو عامر بن صعصعة وهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن واليهم ينسب مجنون بنى عامر الشاعر الذى كان يشبب بليلى . ومن بنى عامر بن صعصعة بنو كلاب وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قال فى العبر وكان لهم فى الاسلام دولة باليمامة وكانت ديارهم حمى ضرية وهو حمى كليب وحمى الربذة فى جهات المدينة النبوية وفدك والعوالى ثم انتقلوا بعد ذلك الى الشام فكان لهم فى الجزيرة الفراتية صيت وملكوا حلب ونواحيها وكثيرا من مدن الشام ثم ضعفوا قال وهم الآن تحت خفارة الأمراء من آل ربيعة من عرب الشام وذكر فى مسالك الابصار أنهم ينسبون الى عبد الوهاب المذكور فى سيرة البطال وذكر أن اسمه عبد الوهاب بن نو بخت ثم قال وهم بأطراف حلب وهم عرب غز يتكلمون بالتركية ويركبون الاكاديش ولهم غارات عظيمة وأبناء الروم وبناتهم لا يزالون يباعون من سباياهم . وقد ذكر فى مسالك الابصار أن بحلب وبلادها طائفة من بنى كلاب . ومن بنى عامر بن صعصعة أيضا بنو هلال وهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة قال الحمدانى وكان

لهم بلاد صعيد مصر كلها وذكرهم ابن سعيد فى عرب برقة وقال منازلهم فيما بين مصر وافريقية قال فى العبر وكانت رئاستهم أيام الحاكم العبيدى لماضى بن مقرب ولما بايعوا لأبى ركوة بالمغرب وقتله الحاكم سلط عليهم الجيوش والعرب فأفناهـم وانتقل من بقى منهم الى المغرب الأقصى فهم مع بنى جشم هنالك وذكر الحمدانى أن بحلب طائفة منهم ثم صار لهم بلاد أسوان وما تحتها ثم قال وبالجيم منهم بنو قرة الى عيذاب وبساقية قلتة منهم بنو عمرو وبطونهم وهم بنو رفاعة وبنو مجير وبنو عزيز وباصفون واسنا منهم بنو عقبة وبنو جميلة . ومن بنى هلال حرب فيما ذكره ابن سعيد قال الحمدانى وهم ثلاث بطون بنو مسروح وبنو سالم وبنو عبيد الله قال ومساكنهم الحجاز . ومن حرب زبيد الحجاز فيما ذكره الحمدانى وذكر أن منهم بنى عمرو ثم قال ومن بنى عامر غير ابن عامر بن صعصعة قال فى العبر وكانت منازلهم الجزيرة الفراتية والشام بعدوتى الفرات قال وهم احدى جمرات العرب وكان لهم كثرة وعدة فى الجاهلية والاسلام ودخلوا الجزيرة الفراتية وملكوا حران وغيرها ثم غلبهم عليها خلفاء بنى العباس أيام المعتز بالله فهلكوا بعد ذلك وبادوا . ومن بنى عامر بن صعصعة أيضا بنو عقيل بضم العين المهملة وفتح القاف وهم بنو عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة قال فى العبر وكانت مساكنهم بالبحرين فى كثير من قبائل العرب وكان أعظم القبائل هنالك بنو عقيل هؤلاء وبنو تغلب وبنو سليم وكان أظهرهم فى الكثرة والغلب بنو تغلب ثم اجتمع بنو عقيـل وبنو تغلب على بنى سليم فأخرجوهم من البحرين ثم اختلف بنو عقيل وبنو تغلب بعـد مدة فغلب بنو تغلب على بنى عقيل فطردوهم عن البحرين فساروا الى العراق وملكوا الكوفة والبلاد الفراتية وتغلبوا على الجزيرة والموصل وملكوا تلك البلاد وكان منهم المقلد وقرواش وقريش وابنه مسلم ملوك الموصل وبقيت بأيديهم حتى غلبهم عليها ملوك بنى سلجوق فتحولوا عنها الى البحرين حيث كانوا أولا فوجدوا بنى تغلب قد ضعف أمرهم فغلبوهـم على البحرين وصـار الأمر بالبحرين لبنى عقيـل . ومن بنى عقيل هؤلاء آل عامر وهم بنو عامر بن عقيل المذكور وهم الذين بيـدهم بلاد البحرين . قال ابن سعيد سألت أهـل البحرين فى سـنة احدى وخمسين وسبعمـائة حين لقيتهم بالمدينـة النبوية عن البحرين فقـالوا المملكة بها لبنى عامر بن عقيل وبنو تغلب من جملة رعاياهم على أن الحمدانى قد وهم فقال وهم غير عامر المنتفق وعامر بن صعصعة وتبعه على ذلك فى مسالك الابصار وقد ذكر فى مسالك الابصار أن بحلب وبلادها طائفـة من بنى عقيل . ومن بنى عقيل أيضا بنو عبادة بضم العين المهملة وبالباء الموحدة والدال المهملة وهم بنو عبادة بن عقيل قال ابن سعيد ومنازلهم بالجزيرة الفراتية ممـا يلى العراق لهم عدد وكثرة قال ومنهم الآن بقية بين الحادر والزاب يقـال لهم عرب شرف الدولة فى تجمل وعدد ولهم احسان من صاحب الموصل ثم قال وهم عدد قليل نحو المـائة فارس .

ومن بنى عقيل أيضا خفاجة بفتح الخاء المعجمة وفتح الفاء وجيم مفتوحة بعد الألف وهاء في الآخر وهم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل وفيهم الإمرة بالعراق الى الآن

ومن بطون هوازن أيضا بنو جشم بضم الجيم وفتح الشين المعجمة وميم في الآخر وهم بنو جشم ابن معاوية بن بكر بن هوازن قال في العبر وكانت مساكنهم بالسروات وهي تلال تفصل بين تهامة ونجد متصلة من البحرين الى الشام كسروات الجبل قال وسروات جشم متصلة بسراة هذيل ثم قال وقد انتقل بعضهم الى المغرب وهم الآن به ولم يبق بالسراة منهم إلا من ليس له صولة قال صاحب حماه ومن جشم هؤلاء دريد بن الصمة . ومن بطون هوازن أيضا ثقيف بفتح الثاء المثلثة وكسر القاف وسكون الياء وفاء في الآخر وهم رهط الحجاج بن يوسف وهم بنو ثقيف واسمه قَسِيّ بن منبه بن بكر بن هوازن ويقال انهم من اياد بن نزار المقدم ذكره وعن بعض النسابة أن ثقيفا من بقايا ثمود وكان الحجاج ينكره ويقول كذبوا قال الله تعالى (وثمود افما أبقى) أى أهلكهم ولم يبق منهم أحدا قال في العبر وثقيف بطن واسع وكانت منازلهم بالطائف وهي مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة في شرقيها وشمالها كانت في القديم للعمالقة ثم نزلها ثمود قبل وادى القرى ويقال ان الذى سكنها بعد العمالقة عدوان ثم غلبهم عليها ثقيف فهي الآن دارهم . ومن قبائل قيس أيضا باهلة وهم بنو سعد مناه بن مالك بن أعصر واسمه منبه بن سعد بن قيس عيلان وجعلهم في العبر بنى مالك بن أعصر وباهلة أم سعد مناه عرفوا بها وهي باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة من مذحج منهم أبو أمامة الباهلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن قبائل قيس بنو مازن وهم بنو مازن بن منصور بن خصفة بن قيس عيلان قال في العبر وعددهم قليل . ومن قبائل قيس أيضا بنو غطفان بن قيس عيلان قال في العبر وهم بطن متسع كثير الشعوب والبطون قال وكانت منازلهم مما يلى وادى القرى وجبلى طيء أجا وسلمى ثم تفرقوا في الفتوحات الاسلامية واستولى على مواطنهم هنالك قبائل طى . ومن بطون غطفان بنو عبس بفتح العين وسكون الباء الموحدة وسين مهملة في الآخر وهم بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان . منهم زهير بن قيس صاحب حرب داحس والغبراء وهما فرسان كانت احداهما وهي داحس لعبس والاخرى وهي الغبراء لفزارة فأجريتا فوقع الحرب بسببهما . ومن عبس هؤلاء عنترة بن شداد الشاعر الفارس المشهور . ومن غطفان أشجع بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الجيم وعين مهملة في الآخر وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان قال في العبر وكانوا هم عرب المدينة النبوية وكان سيدهم معقل بن سنان الصحابى قال ولم يبق أحد منهم بنجد الا بقايا حول المدينة ثم قال وبالمغرب الاقصى منهم حى عظيم يظعنون مع عرب المعقل بجهات سجلماسه ولهم عدد وذكر . ومن غطفان

أيضاذبيان قال الجوهري بكسر الذال يعني المعجمة وضمها وهم بنوذبيان بن ريث بن غطفان . ومنهم النابغــة الذبيـاني الشاعر المشهور . ومن ذبيـان فزارة بفتح الفاء والزاي والراء المهملة وهاء في الآخر وهم بنو فزارة بن ذبيان قال في العبر وكانت فزارة بنجد ووادي القرى فلم يبق منهم بنجد أحد ونزل جيرانهم من طي مكانهم وذكر أن بأرض برقة الى طرابلس الغرب منهم قبائل رواحة وهيت وفزارة قال وبافريقيــة والمغرب منهم الآن أحيـاء كثـيرة اختلطوا مع أهله يحتاج المعقل من عرب المغرب الاقصى الى الاستظهار بهم قال . ومنهـم مع سليم بافريقيــة طائفة أخرى أحلاف لأولاد أبي الليــل من كعوب بني سليم يستظهرون بهم في مواقف الحرب ويقيمونهم لأنفسهم مقام الوزراء للملوك ثم قال وفي برقة ببلاد هيت جماعة منهم نازلون بها ومنهم طائفــة بصحراء المغرب قال الحمداني ومنهم بالديار المصرية جماعة بالصعيد وجماعة بضواحي القـاهرة في قليوب وما حولها وبهم عرفت القرية المسمـاة بخراب فزارة هنالك ومن فزارة بنو مازن وبنو بدر فأما بنو مازن فهم بنو مازن بن فزارة وأما بنو بدر فهم بنو بدر بن عدي بن فزارة قال في العبر وفيهم كانت رئاســة بني فزارة في الجاهليــة يرأسون جميع غطفان وتدين لهم قيس واخوانهم بنو ثعلبة بن عدي ومنهم كان حذيفة بن بدر صاحب الفرس المعروفة بالغبراء المقدم ذكرها . ومن بني بدر هؤلاء وبني عمهم بني مازن جماعة بالقليوبيــة من الديار المصرية * قلت وبنو بدر هم قبيلتنا التي اليها نعتزي وفيها ننتسب وأهل بلدتنا قلقشنده نصفهم من بني بدر ونصفهم من بني مازن . ومن قبائل قيس أيضا بنو سليم بضم السـين وفتح اللام وهم بنو سليم ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان قال الحمداني وهم أكبر قبائل قيس وكان لسليم من الولد بهثة بضم البـاء الموحدة في أوله وفتح المثناة بعد الهاء ومنه جميع أولاده قال في العبر وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر . ومن منازلهم حرة سليم وحرة النار بين وادي القرى وتيما قال وليس لهم الآن بنجد عدد ولا بقية ثم قال وبافريقية منهم حي عظيم وقد تقدم أنه كان منهم جماعة بالبحرين فغلبهم عليها بنو عقيل بن كعب وبنو تغلب وقال الحمداني ومساكنهم برقة ممـا يلي المغرب وممـا يلي مصر قال وفيهم الابطال الانجاد والخيل الجياد قال في العبر وقد استولوا على برقة وهي اقليم طويل واسع الاطراف وخربوا مدنه ولم يتركوا بها ولاية ولا إمرة الا لمشايخهم قال في مسالك الابصار والامرة الآن فيهم في بني عزاز وهي الآن في زماننا لبني عريف ومن سـليم هؤلاء لبيد ببرقة وهم بطون كثيرة العــدد . ومن قبائل قيس عدوان بفتح العين وسكون الدال المهملتين ونون في الآخر وهم بنو عدوان واسمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان قال أبو عبيـــد وسمي عدوانا لأنه عدا على أخيه فهم فقتله قال في العبر وهم بطن متسع وكانت منازلهم بالطائف من أرض نجد نزلوها بعد إياد والعمالقة ثم غلبهم عليها ثقيف فخرجوا الى تهامة

فالوبافريقية الآن منهم أحياء باديه وقدعدّ الحمدانى عدوان من عرب برية الحجاز من أحلاف آل فضل من عرب الشام فيحتمل أنهم هؤلاء وأنهم غيرهم

الاصل الثالث — إلياس بكسر الهمزة وسكون اللام وفتح الياء المثناة تحت وسين بعد الالف وهو الياس بن مضر المقدّم ذكره وكانت تحته خندف بكسر الخاء وسكون النون وكسر الدال المهملة وفاء فى الآخر وهى خندف بنت حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاعة فعرف بنوه بها فقيل لهم خندف لأن زوجها الياس رآها وماتمشى فقال لها مالك تخندفين والخندفة أن يقلب ظهر قدمه الى الارض عند مشيه وله فرعان على حاشية عمود النسب

الفرع الاول — طابخة بفتح الطاء المهملة وكسر الباء الموحدة بعد الالف وفتح الخاء المعجمة وهاء فى الآخر وهم بنو طابخة واسمه عمرو بن الياس بن مضر وسمى طابخة لانه كان هو وأخوه مدركة الآتى ذكره على عمود النسب وكان اسمه عامر افى ابل لهما فصادا صيدا وقعدا يطبخانه فعدت عادية على ابلهما فاستاقتها فقال عامر لعمرو أتدرك الابل أم تطبخ الصيد فقال عمرو بل أطبخ الصيد فلحق عامر الابل فجاء بها فلما جاء أبوهما أخبراه الخبر فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو وأنت طابخة فسميا بذلك ويتفرع عن طابخة قبائل كثيرة فمن قبائل طابخة تميم بفتح التاء المثناة فوق وكسر الميم وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر وهم بنو تميم بن مر بن مراد بن طابخة قال فى العبر وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة وامتدت الى العذيب من أرض الكوفة ثم تفرقوا بعد ذلك فى الحواضر ولم يبق منهم بادية وورث مساكنهم غزية من طىّ وخفاجة من بنى عقيل بن كعب . ومن بطون تميم بنو العنبر وهم بنو العنبر بن عمرو ابن تميم واليهم ينسب جديلة بن عبد الله العنبرى الصحابى . ومن بطون تميم بنو حنظلة وضبطه معروف وهم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناه بن تميم ويقال لهم حنظلة الاكرمون قال الجوهرى وهم أكبر قبيلة فى تميم . ومن حنظلة بنو يربوع بفتح الياء المثناة تحت وسكون الراء المهملة وضم الباء الموحدة وسكون الواو وعين مهملة فى الآخر وهم بنو يربوع بن حنظلة ومن بنى يربوع بنو العنبر بن يربوع ومنهم سجاح التى تنبأت فى زمن مسيلمة الكذاب وهم غير بنى العنبر المقدم ذكرهم . ومن قبائل طابخة بنو ضبة بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء قال فى العبر وكانت ديارهم بالناحية الشمالية من نجد بجوار بنى تميم ثم انتقلوا فى الاسلام الى العراق وهم الذين قتلوا المتنبى الشاعر . ومن قبائل طابخة أيضا مزينة بضم الميم وفتح الزاى وسكون الياء المثناة تحت وفتح النون وهاء فى الآخر وهم بنو عثمان وأوس ابنى عمرو بن أد بن طابخة ومزينة أمهما عرفوا بها وهى مزينة بنت كلب بن وبرة . ومنهم كعب بن زهير ناظم القصيدة المعروفة ببانت سعاد واليهم ينسب الامام اسماعيل بن ابراهيم المزنى صاحب الامام الشافعى رضى الله عنه

الفرع الثانى - قمعة بفتح القاف والميم والعين المهملة وهاء فى الآخر وهم بنو قمعة بن الياس ابن مضر قال الجوهرى ان أباه سماه قمعة لما انقمع فى بيته أى انقهر وذل ولم يشتهر عقبه

الاصل الرابع - مدركة بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الراء المهملة وفتح الكاف وهاء فى الآخر وهم بنو مدركة بن الياس بن مضر وقد تقـدم سبب تسميته مدركة وله فرع واحد على حاشية عمود النسب وهو هذيل بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ولام فى الآخر وهم بنو هذيل بن مدركة وهى قبيلة متسعة لها بطون كثيرة والنسبة اليها هذلى بحذف الياء بعد الذال واليهم ينسب عبد الله بن مسعود الصحابى رضى الله عنه

الاصل الخامس - خزيمة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وسكون الياء المثناة تحت وفتح الميم وهاء فى الآخر وهو خزيمة بن مدركة وله فرعان على حاشية عمود النسب وهما الهون وأسد

فأما الهون فبضم الهاء وسكون الواو ونون فى الآخر وهو الهون بن خزيمة وهى قبيلة مشهورة ومن بطون الهون عضد بفتح العين المهملة والضاد المعجمة ودال مهملة فى الآخر وهم بنو عضد ابن الهون ومن بطون الهون أيضا الديش بكسر الدال المهملة وسكون اليـاء المثناة تحت وشين معجمة فى الآخر وهم بنو الديش بن مليح بن الهون ويقال لهاتين القبيلتين وهما عضـد والديش القارة قال أبو عبيد وسموا بذلك لأن الشداخ الليثى أراد أن يفرقهم فى بطون كنانة فقال بعضهم دعونا قارة لا تنفرق فسموا القارة

وأما أسد وضـبطه معروف فهم بطن كبير متسع قال فى العبر ومنازلهم مما يلى الكرخ من أرض نجد فى مجاورة طى قال ويقال ان بلاد طى كانت لبنى أسد فلما خرج بنو طى من اليمن تغلبوا على اجأ وسلمى وتفرق بنو أسـد بسبب ذلك فى الاقطار ولم يبق لهم حى قال ابن سعيد وبلادهم الآن لطى قال فى مسالك الابصار وبغسل وما ينضم اليها من بلاد الشام قوم من بنى أسد ومن بطون أسد الكاهلية وهم بنو كاهل بن أسد ومن بطونهم دودان بن أسد أيضا

الاصل السادس - كنانة بكسر الكاف ونون بعـدها ألف ثم نون مفتوحة بعدها هاء وهو كنانة بن خزيمة وهى قبيلة عظيمة اشـتهرت على عمود النسب وقد ذكر الحمدانى أن منهم جماعة بالاخميمية من صعيد الديار المصرية يعرفون بكنانة طلحة وذكر فى مسالك الابصار أن طائفة منهم قدموا الديار المصرية فى وزارة الصالح طلائع بن رزيك ونزلوا دمياط وما حولها وله على حاشـية عمود النسب خمسة فروع

الفرع الاول - ملكان بفتح الميم وسكون اللام ونون فى الآخر وهم بنو ملكان بن كنانة

الفرع الثانى - عبد مناة باضافة عبد الى مناة بميم مفتوحة بعـدها نون وهم بنو عبـد مناة ابن كنانة ولهم عدة بطون منهم غفار بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء وراء بعد الالف وهم بنو غفار

ابن عبدمناه بن كنانة وهم رهط أبى ذر الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها . ومنهم بنو بكر بن عبدمناه بن كنانة ومن بكر هؤلاء الدئل وهم بنو الدئل بن بكر بن عبدمناه واليهم ينسب أبو الاسود الدؤلى واضع علم النحو بأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . ومنهم بنو ليث وهم بنو ليث بن بكر بن عبدمناه منهم الصعب بن جثامة الليثى الصحابى رضى الله عنه وقد ذكر الحمدانى أن منهم طائفة بساقية قلته بالاخميمية من صعيد مصر . ومنهم بنو الحارث ويقال فيهم بلحارث وهم بنو الحارث ابن عبدمناه . ومنهم بنو مدلج بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام وجيم فى الآخر وهم بنو مدلج بن مرة بن عبدمناه . وفى بنى مدلج هؤلاء علم القيافة وهو الحاق الابن بالاب ونحو ذلك بالشبه . ومنهم طائفة الآن بصرخد وحوران من بلاد الشام وطائفة بالاعمال الغربية من الديار المصرية . ومنهم بنو ضمرة بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم وفتح الراء المهملة وهاء فى الآخر وهم بنو ضمرة بن بكر بن عبدمناه واليهم ينسب عمرو بن أمية الضمرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الحمدانى أن منهم طائفة بساقية قلته وما يليها من بلاد اخميم من صعيد مصر

الفرع الثالث — عمرو بن كنانة واليه ينسب العمريون من بنى كنانة

الفرع الرابع — عامر بن كنانة ومنه العامريون من كنانة

الفرع الخامس — مالك بن كنانة ومن عقبه بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك وفى بنى فراس هؤلاء يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لبعض من كان معه لوددت أن يكون لى بألف منكم سبعة من بنى فراس بن غنم وقد ذكر الحمدانى أن منهم جماعة بساقية قلته وما يليها من الاخميمية بمصر وذكر الحمدانى أيضا ان من كنانة بن خزيمة طائفة بصعيد مصر بالاشمونين وما حولها تعرف بكنانة طلحة

الصنف الثانى — من العرب العدنانية قريش بضم القاف وفتح الراء المهملة وهم بنو النضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن كنانة وقيل فى تسميته بذلك أنه كان فى سفينة بحر فارس اذ خرجت عليهم دابة عظيمة يقال لها قريش فخافها أهل السفينة على أنفسهم فأخرج سهما من كنانته ورماها فأثبتها ثم قربت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها معه الى مكة فسمى باسمها وقيل سمى بنوه بذلك لغلبتهم القبائل وقهرهم اياهم تشبيها بالدابة المقدم ذكرها من حيث انها تقهر سائر دواب البحر وقيل أخذا من التقرش وهو الاجتماع لان قصيا جمعهم عليه عند ولايته أمر قريش وقيل لتجارتهم أخذا من التقرش وهو التجارة ثم لقريش عشرة أصول على عمود النسب

الاصل الاول — فهر بن مالك ويتفرع عن فهر على حاشية عمود النسب قبيلتان

القبيلة الاولى ـ بنو الحارث وهم بنو الحارث بن فهر ومن بنى الحارث هؤلاء بنو الجرّاح رهط أبى عبيدة بن الجرّاح أحد العشرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المقطوع لهم بالجنة

القبيلة الثانية ـ بنو محارب وهم بنو محارب بن فهر المقدم ذكره ومنهم الضحاك بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الاصل الثانى ـ غالب بن فهر ويتفرع عنه على حاشية عمود النسب قبيلة واحدة وهم بنو الادرم بن لؤى بن غالب والادرم هو الناقص الذقن

الاصل الثالث ـ لؤى بن غالب ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل

القبيلة الاولى ـ سعد وهم بنو سعد بن لؤى بن غالب كان له من الولد عمار وعمارى ومخزوم من امرأته بنانة بضم الباء الموحدة وبها يعرفون فيقال لهم بنو بنانة ومنهم أبو الطفيل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

القبيلة الثانية ـ خزيمة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وهم بنو خزيمة بن لؤى وكان تحته عائذة بالعين المهملة والياء المثناة تحت والذال المعجمة بنت الخمس بن قحافة فعرف ولده بها فقيل لهم بنو عائذة

القبيلة الثالثة ـ بنو عامر وهم بنو عامر بن لؤى وكان له من الولد حسل وبغيض ومن ولد حسل سهيل بن عمرو الذى عقد الصلح مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية لقريش ومنهم عمرو بن عبدودّ العامرى فارس العرب الذى قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه

الاصل الرابع ـ كعب بن لؤى بن غالب ويتفرع منه خارجا عن عمود النسب قبيلتان

القبيلة الاولى ـ هصيص بضم الهاء وفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت وصاد مهملة فى الآخر ومن هصيص بنو سهم منهم عمرو بن العاص رضى الله عنه وكانت خطة بنى سهم بفسطاط مصر حول الجامع العتيق . وقد ذكر الحمدانى أن من بنى عمرو بن العاص أشتاتا بالصعيد ولهم حصة فى وقف عمرو على أهله بمصر . ومنهم بنو جمح بضم الجيم وفتح الميم وحاء مهملة فى الآخر وهم بنو جمح بن هصيص المقدم ذكره ومنهم أمية بن خلف عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فى مسالك الابصار أن من بنى جمح قوم بأذرعات من بلاد الشام

القبيلة الثانية ـ بنو عدى وهم بنو عدى بن كعب ومنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسعيد بن زيد أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة وقد ذكر القاضى شهاب الدين ابن فضل الله فى مسالك الابصار أنه وفد من بنى عدى جماعة الى الديار المصرية فى وزارة الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز الفاطمى ومنهم رجال من بنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ومقدمهم خلف بن نصر العمرى وانهم لقوا من الصالح طلائع بن رزيك وافر الاكرام ونزلوا بالبرلس من سواحل الاعمال الغربيـة وذكر أن من العمريين ببلاد الشام فرقة بوادى بنى زبد وفرقة بعجلون

الاصل الخامس ـ مرة بن كعب ويتفرع عنه قبيلتان على حاشية عمود النسب

القبيـلة الاولى ـ تيم وهم بنو تيم بن مرة بن كعب . ومنهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وطلحة أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة وقد ذكر الحمدانى أن من بنى الصديق رضى الله عنه من بنى عبد الرحمن وبنى محمد ولدى أبى بكر رضى الله عنه جماعة بالاشمونين والبهنسائية من صعيد مصر قال الحمدانى وهم ثلاث فرق هم وأقرباؤهم وأطلق على الكل بنو طلحة . فالفرقة الاولى منهم بنو اسحاق ويقال ان اسحاق ليس أبا لهم وانما هو اسحاق مكان تحالفوا عنده فسموا به . والفرقة الثـانية بنو طلحة وهم بطون كبيرة وأكثرهم أشتات كثيرة فى البـلاد لاحد لهم « والفرقة الثالثة بنو محمد وهم بنو محمد بن أبى بكر الصـديق رضى الله عنـه ومنازلهـم بالبرجين وسفط سكره وطحـا المدينـة من بلاد الاشمونين فيما ذكره الحمدانى وأكثرهم الآن بدهروط من البهنسائية وخرج منهم جماعة من العلماء على مذهبى الامامين مالك والشافعى رضى الله عنهما

القبيلة الثانية ـ بنو يقظة وهم بنو يقظة بن مرة . ومنهم بنو مخزوم بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وضم الزاى وسكون الواو وميم فى الآخر وهم بنو مخزوم بن يقظـة بن مرة بن كعب وبه اشتهرت القبيلة دون أبيه يقظة لكثرة عقبـه دون أبيه . منهم خالد بن الوليد أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأبو جهل بن هشام عدو رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وأخوه العاصى بن هشام قتلا يوم بدر كافرين وأخوهما سـلمة بن هشام أسلم وكان من خيار المسلمين . ومنهم سعيد بن المسيب التابعى المشهور وقد ذكر الحمدانى أن من بنى مخزوم جماعة بصعيد مصر بالاشمونين وفيهم بأس وشـدة وذكر أيضا أن منهم خالد حمص وخالد الحجاز وذكر أن كلا منهـم يدعى بنوة خالد بن الوليد رضى الله عنـه ثم قال وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه قال ولعلهم من سواه من بنى مخزوم فهم أكثر قريش بقية وأشرفهم جاهلية

الاصل السادس ـ كلاب بن مرة ويتفرع منـه على حاشـية عمود النسب قبيلة واحدة وهى زهرة بضم الزاى وسكون الهاء وفتح الراء وهاء فى الآخر وهم بنو زهرة بن كلاب بن مرة قاله أبو عبيد وغيره وقد ذكر الجوهرى أن زهرة اسم امرأة كلاب نسب ولده اليها . منهم سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف كلاهما من العشرة المقطوع لهم بالجنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقد ذكر الحمدانى أن منهم جماعة ببلاد الاشمونين بصعيد مصر

الاصل السابع — قصى بن كلاب بن مرة وكان قصى عظيما فى قريش وهو الذى جمعهم بعد التفرق وفى ذلك يقول الشاعر

أبوكم قصى حين يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة بعد أن كانوا انتزعوها من بنى اسماعيل على ما تقدم ذكره ويتفرع منه على حاشية عمود النسب قبيلتان

القبيلة الاولى — بنو عبد الدار وهم بنو عبد الدار بن قصى وبيد بنيه كانت مفاتيح الكعبة دون سائر بنى قصى وذلك أن قصيا لما أخذ مفاتيح الكعبة من أبى غبشان الخزاعى أرسلها مع ابنه عبد الدار هذا الى البيت وقال يا بنى اسماعيل هذه مفاتيح بيت أبيكم ابراهيم وقد أعادها الله تعالى اليكم فبقيت بيده من حينئذ ومن ولده عثمان بن طلحة الحجبى الذى انتزع النبى صلى الله عليه وسلم منه مفاتيح الكعبة عام حجة الوداع حين طلبها منه لتدخل عائشة رضى الله عنها البيت ليلا فامتنع من ذلك وقال ان الكعبة لم تفتح ليلا قط فأنزل الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فأعادها اليه وقال هى فيكم الى يوم القيامة وقد ذكر فى المسالك أن بحماه أقواما من بنى عبد الدار . ومن بنى عبد الدار بنو شيبة بن عثمان المقدم ذكره ابن طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وهم حجبة الكعبة ومفاتيحها بيدهم الى الآن وقد ذكر الحمدانى أن من بنى شيبة هؤلاء قوم بصعيد مصر بسفط وما يليها من بلاد البهنسائية يعرفون بجماعة نهار

القبيلة الثانية — بنو عبد العزى وهو عبد العزى بن قصى منهم هبار بن الاسود كان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم فحسن اسلامه ومدحه ومن بنى عبد العزى هؤلاء بنو أسد وهم بنو أسد بن عبد العزى المقدم ذكره . ومن بنى أسد هؤلاء الزبير بن العوام أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم خديجة أم المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم وورقة بن نوفل الذى أتته خديجة فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ابتداء النبوة حين جاءه الملك بحراء وقد ذكر الحمدانى أن من بنى الزبير طائفة بصعيد مصر ببلاد البهنسا وما يليها فمن ولد عبد الله بن الزبير بنو بدر وبنو مصلح وبنو رمضان . ومن بنى مصعب بن الزبير جماعة يعرفون بجماعة محمد بن رزاق ومن ولد عروة بن الزبير بنو غنى

الاصل الثامن — عبد مناف بن قصى ولبنى عبد مناف فى قريش النسب الصميم والحسب الكريم والى هذا أشار أبو طالب بقوله

اذا افتخرت يوما قريش بمفخر * فعبد مناف أصلها وصميمها

ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل

القبيلة الاولى — بنو عبد شمس بن عبد مناف ومن عبد شمس بنو أمية وهم بنو أمية الاكبر وأمية الاصغر ابنى عبد شمس بن عبد مناف فأما أمية الاكبر فكان له عشرة أولاد أربعة منهم يسمون الاعياص وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وستة يسمون العنابس وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو . ومن بنى أمية الاكبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان بن حرب والحكم بن العاص ومن ولده كانت المراونة خلفاء بنى أمية . وأما أمية الاصغر فيقال لأولاده العبلات ومن عقب أمية الاصغر الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية التى كان يشبب بها عمر بن أبى ربيعة وكان تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وفيهما يقول عمر بن أبى ربيعة

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

وقد اختلف فى النسبة الى أمية على مذهبين أحدهما أنه أموى بضم الهمزة جريا على اللفظ فى أمية واليه يميل كلام الشيخ أثير الدين أبى حيان فى شرح التسهيل الثانى انه ينسب اليها أموى بفتحها لأن أمية تصغير أمة فاذا نسبت رددته الى أصله وعليه اقتصر الجوهرى

القبيلة الثانية — نوفل وهم بنو نوفل بن عبد مناف ومنهم نافع بن طريب بن عمرو بن نوفل الذى كتب المصاحف لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان نوفل وعبد شمس متآلفين فجرى بنوهما على ذلك

القبيلة الثالثة — بنو المطلب وهم بنو المطلب بن عبد مناف وكان المطلب متآلفا مع أخيه هاشم بن عبد مناف المقدم ذكره فجرى بنوهما على ذلك حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يفترق هاشم والمطلب فى جاهلية ولا اسلام ومن بنى المطلب الامام الشافعى رضى الله عنه

الاصل التاسع — هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو وسمى هاشما لهشمه الثريد أيام المجاعة وفى ذلك يقول الشاعر

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وانتهت اليه سيادة قريش وكان له على حاشية عمود النسب أربعة أولاد وهم نضلة وأسد وضيعى وأبو ضيعى ولم يشتهروا كل الاشتهار

الاصل العاشر — عبد المطلب بن هاشم وكان له اثنا عشر ولدا عبد الله أبو النبى صلى الله عليه وسلم وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة والعباس وضرار وحمزة وحجل وأبو لهب وقثم والغيداق الملقب بالمقوم والحارث أعمام النبى صلى الله عليه وسلم على خلاف فى العدد فيهم قال أبو عبيد والعقب منهم لستة حمزة والعباس رضى الله عنهما وأبو لهب وأبو طالب والحارث

وعبد الله فأما عبد الله فمن ولده النبي صلى الله عليـه وسلم خلاصة الوجود وزبدة العالم وأما العباس فمن ولده الخلفاء من زمن أبي العباس السفاح أول خلفائهم وهلم جرّا الى المستعين ابن المتوكل خليفة العصر وأما حمزة فقد ذكر ابن حزم وغيره أن عقبه انقرض وأما أبو طالب فله ثلاثة أولاد وهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرّم الله وجهه وجعفر وعقيل فمن ولد أمير المؤمنين على رضى الله عنـه الحسن والحسين عليهما السلام من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقبهما قد ملأ الشرق والغرب وقد ذكر الحمدانى أن منهم بصعيد مصر جماعة من الجعافرة بنى جعفر الصادق من ولد الحسين بن على وقال مسكنهم من بحرى منفلوط الى سملوط غربا وشرقا وعدّ من بطونهم الحيادرة وهم أولاد حيدرة والسلاطنـة وهم أولاد أبي جحيش وذكر أنه كان منهـم الشريف حصن الدين بن ثعلب صاحب دروة سربام من الاشمونين وبه عرفت بدروة الشريف وكان قد سمت نفسـه الى الملك فى أواخر الدولة الايوبية وبقى حتى ملك الظاهر بيبرس فأعمل له غوائل الغدر حتى قبض عليـه وشنقه بالاسكندرية قال ومن بنى الحسين قوم بحرجة منفلوط وبنى الحسين هؤلاء تعرف القرية المسماة ببنى الحسين وفى اسيوط جماعة من أولاد جعفر الصادق يعرفون بأولاد الشريف قاسم وذكر فى مسالك الابصار أن بسلمية وحلب وبلادهما جماعة من بنى الحسين . ومن ولد جعفر بن أبي طالب أقوام ببلاد الشام بوادى بنى زيد وبصرخد وبلادها جماعة من عامر بن هلال يدعون أنهم من بنى جعفر بن أبي طالب أيضا وفى بعض قرى اذرعات قوم يدعون أنهم منهـم وأما الحارث وأبو لهب فقـد ذكر فى العبر أن لهما عقبا موجودا ولم يصرح بمحله

الضرب الثـالث

(من العرب الموجودين المتردد فى عروبتهم)

وهم البربر بباءين موحدتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنـة وراء مهـملة فى الآخر قال الجوهرى ويقال فيهم البرابرة والهاء للعجمة والنسب ولا يمتنع حذفها وقد اختلف فى نسبهم اختلافا كثيرا فذهبت طائفة من النسابين الى أنهم من العرب ثم اختلف فى ذلك فقيل أوزاع من اليمن وقيل من غسان وغيرهم تفرّقوا عند سيل العرم قاله المسعودى وقيل خلفهم أبرهة ذو المنار أحد تبابعة اليمن حين غزا المغرب وقيل من ولد لقمان بن حمير بن سبأ بعث سرية من بنيه الى المغرب ليعمروه فنزلوا وتناسلوا فيه وقيـل من لخم وجذام كانوا نازلين بفلسطين من الشام الى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس فلجئوا الى مصر فمنعهم ملوكها من نزولها فذهبوا الى المغرب فنزلوه وذهب قوم الى أنهم من ولد لقشان بن ابراهيم الخليل عليه السلام وذكر الحمدانى

أنهم من ولد بربر بن قيدار بن اسماعيل عليه السلام وأنه ارتكب ذنبا فقال له أبوه البر البر اذهب يا بر فما أنت ببر وقيل هم من ولد بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وقيل من ولد بربر بن كسلاجيم بن حام بن نوح وقيل من ولد تملا بن ماراب بن عمرو ابن عملاق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح وقيل من ولد قبط بن حام بن نوح وقيل اخلاط من كنعان والعماليق وقيل من حمير ومضر والقبط وقيل من ولد جالوت ملك بنى اسرائيل وأنه لما قتله داود تفرقوا فى البلاد فلما غزا افريقش البلاد نقلهم من سواحل الشام الى المغرب وهو الذى رجحه صاحب العبر وبالجملة فأكثر الاقوال جانحة الى أنهم من العرب وان لم نتحقق من أى عرب هم وهم قبائل متشعبة وبطون متفرقة وأكثرهم ببلاد المغرب وبديار مصر . منهم طائفة عظيمة قال فى العبر وهى على كثرتها راجعة الى أصلين لا تخرج عنهما أحدهما البرانس وهم بنو برنس بن بربر والثانى البتر وهو بنو مادغش الابتر بن بربر وبعضهم يقول انهم يرجعون الى سبعة أصول وهى اردواجة ومصمودة وأوربة وعجيبة وكتامة وصنهاجة وأوريغة وزاد بعضهم لمطة وهسكورة وكزولة وقد ذكر صاحب العبر منهم الجم الغفير والذى تدعو الحاجة الى ذكره من ذلك طائفتان

الطائفة الاولى — الذين كان منهم ملوك المغرب للحاجة الى ذلك لمعرفة أنساب الملوك عند المكاتبة اليهم وهم ثلاث قبائل

القبيلة الاولى — مصمودة بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وضم الميم وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر وهم بنو مصمودة بن برنس بن بربر قال فى العبر وهم أكبر قبائل البربر وأكثرهم عددا وأوسعهم شعوبا ومنهم الموحدون أصحاب المهدى بن تومرت القائم بقاياهم بافريقية الى الآن . ومن مصمودة هنتاتة بفتح الهاء واسكان النون وفتح التاء المثناة فوق وبعدها ألف ثم تاء ثانية مفتوحة وهاء فى الآخر . ومنهم أبو حفص أحد أصحاب المهدى بن تومرت المقدم ذكره وهو الذى ينسب اليه الحفصيون ملوك افريقية القائمون بتونس الى الآن على ما سيأتى ذكره فى الكلام على المسالك والممالك

القبيلة الثانية — زناتة بكسر الزاى وفتح النون وبعد الالف تاء مثناة فوق مفتوحة وهاء فى الآخر وهم بطن من البتر بن البربر قال فى العبر واسم زناتة جانا بالجيم ويقال شانا بالشين ابن يحيى بن صولات بن ورساك بن ضرى بن زجيك بن مادغش بن بربر ونقل ابن حزم عن بعضهم أن ضرى بن شقعو بن تبدواد بن تملا بن مادغش بن هولك بن برسق بن كداد بن مازيغ ابن هراك بن هريك بن بذا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وقيل جانا بن يحيى ابن ضريس بن جالوت بن هريك بن جديلات بن جالود بن رديلات بن عصى بن بادين بن زجيك

ابن مادغش الابتر بن قيس عيلان وحينئذ فتكون من العرب العدنانية وقيل جالوت بن جالود ابن ديال بن قحطان بن فارس فتكون من الفرس قال فى العبر وتزعم نسابة زناتة الآن انهم من حمير من التبابعـة فيكونون من القحطانيـة وبعضهم يقول انهم من العمالقة وقد تقدم عددهم فى العرب ومن زناتة بنومرين بفتح الميم وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر وهـم بنومرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجريج بن فاتن بن بدر بن يحفت ابن عبـد الله بن زرتبيص بن المعز بن ابراهيم بن زجيك بن واشين بن نصبين بن سرا بن احيا ابن ورسيـك بن اديدت بن جانا وهو زناتة . ومن بنى مرين هؤلاء بنوعبـد الحق ملوك فاس القائمون بها الى الآن على ما يأتى ذكره فى الكلام على المسالك والممالك ان شاء الله . ومن زناتة أيضا بنو عبد الواد ملوك تلمسان من المغرب الأوسط القائمون بها الى الان

القبيلة الثالثة ـ صنهاجة بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح الهاء وألف بعدها جيم مفتوحة وهاء فى الآخر وهم بنو صنهاجة بن برنس بن بربر وقيـل صنهاج بن أوزيغ بن برنس ابن بربر ويقال انهم من حمير من عرب اليمن قاله ابن الكلبى والطبرى والبيهقى والمسـعودى وعبد العزيز الجرجانى . وحكى ابن حزم أن صنهاج اءاهوابن امرأة اسمها بصـلى وليس له أب معروف وأنها تزوجت بأوزيغ وهو معها فولدت له هوارة فكان صنهاج أخا هوارة لأمه .

ومن صنهاجة لمتونة بفتح اللام وسكون الميم وضم التاء المثناة فوق وفتح النون وهاء فى الآخر . ومن لمتونة ملوك المرابطين الذين كان منهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بانى مدينة مراكش من الغرب الاقصى وهم الذين انقرض ملكهم بدولة الموحدين

الطائفة الثانية ـ الذين منهم بالديار المصرية قال فى العبر وهم قبيلتان

القبيلة الاولى ـ هوّارة بفتح الهاء وتشديد الواو وفتح الراء المهملة بعد الالف وهاء فى الآخر وهم بنو هوّار بن أوزيغ بن برنس بن بربر وذكر الحمدانى أنهم من ولد بر بن قيدار بن اسماعيل عليـه السـلام قال فى العبر ونسابتهم يقولون انهم من عرب اليمن فتارة يقولون انهم من عائلة احدى بطون قضاعة وتارة يقولون انهـم من ولد المسور بن السكاسك بن وائل بن حمير وتارة يقولون من ولد السكاسـك بن اشرس بن كنـدة فيقولون هوّار بن أوزيغ بن حبور بن المثنى ابن المسور وقد عدّ الحمدانى من بطونهم بالديار المصرية بنى محريش وبنى اسرات وبنى قطران وبنى كريب ولـكنهم الآن قد اتسعت بطونهم وكثرت شـعوبهم وصار لهم بطون كثيرة . منها بنو محمد وأولاد مأمن وبندار والعرايا والشللة واشحوم وأولاد مؤمنين والروابع والروكة والبروكية والبهاليل والاصابغة والدناجلة والماواسية والبلازد والصوامع والسـدادرة والزيانية والخبافشة والطردة والاهلة وازلتين واسلين وبنوقير والتيه والتبابعة والغنائم

وفزارة والعبابدة وساورة وغلبان وحديد والسبعة وذكر فى مسالك الابصار أن منازلهم بالديار المصرية بالبحيرة ومن الاسكندرية غربا الى العقبة الكبيرة ولم يزل الامر على ماذكره الى آخر المائة الثامنة فى الدولة الظاهرية الشهيدية برقوق فغلبهم على البحيرة زنارة وحلفاؤهم من بقية عرب البحيرة فخرجوا عنها الى صعيد مصر ونزلوا به بالاعمال الاخميمية فى جرجا وما حولها ثم قوى أمرهم واشتد بأسهم وكثر جمعهم حتى انتشروا فى معظم الوجه القبلى فيما بين أعمال قوص والى غربى الاعمال البهنسائية وأقطعوا بها الاقطاعات وصارت الامرة فى بلاد اخميم لأولاد عمر وفى أعمال البهنسا وما حولها لأولاد غريب والامر على ذلك الى الآن

القبيلة الثانية — لواتة بفتح اللام والواو والتاء المثلثة وهاء فى الآخر قال الحمدانى ويقال لواتا بالألف وهم بنو لواتا الاصغر بن لواتا الاكبر بن زجيك بن مادغس الابتر بن بر قال الحمدانى وهم يقولون أنهم من قيس بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان وذكر عن بعض النسابين أنهم من ولد بر بن قيدار بن اسماعيل عليه السلام وانه تزوج امرأة من العماليق فولدت له أولادا منهم لواتة . وحكى ابن حزم عن بعض النسابة أن لواتة من القبط ثم قال وليس بصحيح . قال الحمدانى ولهم عصر بطون كثيرة منهم بنو بلار وجدوخاص وبنو مجدول وبنو جديدى وقطوفة وبركه ومالو ومزورة قال وبنو جديدى تجمع أولاد قريش وأولاد زعازع وهم أشهر من فى الصعيد . وقطوفة تجمع مغاغه وواهلة . وبركين تجمع بنى زيد وبنى روحين . ومزورة تجمع بنو وركان وبنى غرواسن ثم قال فأما بنو بلار ففرقتان فرقة بالبهنسائية وهم بنو محمد وبنو على وبنو نزار ونصف بنى شهلان . وأما الفرقة التى بالجيزيه فبنو مجدول وسقارة وبنو أبى كثير وبنو الحلالس قال ويقال لهذه الفرقة جد وخاص ويقال للاولى البلارية ومنهم مغاغة ولهم سملوط الى الساقية ولبنى بركين أقلوسنا وما معها الى بحرى طنبدى ولبنى جدوخاص الكفور الصولية وسفط بوجرجا الى طنبدى واهريت . ومنهم بنو محمد وبنو على المقدم ذكرهما وأمراؤهم بنو زعازع . وأما مزورة فبنو وركان وبنو غرواسن وبنو جاز وبنو الحكم وبنو الوليد وبنو الحجاج وبنو الحرمية . وأما بنو نزار فمن بنى زربة ومنهم نصف بنى عامر والحاسنة والضباعنة وهم فى امارة بنى زعازع . ومنهم أيضا بنو زيد وأمراؤهم أولاد قريش ومساكنهم النويرة وبالجيزة منهم ضلاس عرب البدرشين وبنو منصور عرب منية رهينة وبنو بكم عرب سقارة وبنو مجدول وبنو برنى وبنو يوسف وبهم تعرف الكفور الثلاثة المسماة باسمهم . وبالمنوفية منهم بنو يحيى والسوة وعبيد ومصلة وبنو مختار ومن لواتة هؤلاء زنارة بضم الزاى وتشديد النون وألف ثم راء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر وهم بنو زنارة من ولد بر بن قيدار بن اسماعيل عليه السلام وقال انه أخو هوارة وأكثر زنارة ببلاد المغرب ومنهم جماعة بالبحيرة وجماعة بالمنوفية

وقد عدّ الحمدانى من بطونهم بالبحيرة بنى مزديش وهم مزداشة وبنى صالح وبنى سام وزمران وورديغة وغرهان ولقان وزاد بعضهم بنى حبون وواكده وفرطيطة وغرجومة وطازوله ونفاث وناطورة وبنى السعوية ومزداشة وبنى أبى سعيد وهم عرب بدر بن سلام ومن لواتة أيضا مزاتة بضم الميم وفتح الزاى والتاء المثناة فوق وهاء فى الآخر وهم بنو مزاتة بن لواتة الاصغر ومنازلهم من البحيرة غربا الى العقبة الكبيرة ببرقة

المقصـــــــد الثالث

(فى معرفة انساب العجم)

وهم من عـدا العرب من الفرس والترك والروم وغيرهم ويحتاج الى ذلك فى المكاتبات الى ملوكهم وعقدا لهدن معهم ونحو ذلك والمشهور من الأمم العجمية ست وعشرون أمة

الاولى الترك ــ بضم التاء المثناة فوق وسكون الراء المهملة وكاف فى الآخر وهم الأمة المشهورة الذين منهم ملوك الديار المصرية الآن وهم من بنى ترك بن كومر بن يافث بن نوح عليه السلام وقيل من بنى طيراش بن يافث ونسبهم ابن سعيد الى ترك بن عابر بن سويد بن يافث قال فى العبر ويدخل فى جنس الترك القفجاق وهم الخفشاج والطغرغز وهم التتر ويقال فيهم التتار بزيادة ألف والططر بابدال التاء طاء والخطا والخرلخية والخزر وهم الغز الذين كان منهم ملوك السلاجقة والهياطلة وهم الصغر والغور والعـلان ويقال اللات والشركس والاركس والدوس فكلهم من جيل الترك ونسبهم داخل فى نسبهم

الثانية الجرامقة ــ بفتح الجيم وكسر الميم وفتح القاف وهاء فى الآخر وهم أهل الموصل فى الزمن القديم قال ابن سعيد وهم من ولد جرموق بن أشور بن سام بن نوح عليه السلام وقال غيره من ولد كاثر بن ارم بن سام

الثالثة الجيل ــ بكسر الجيم وسكون المثناة تحت ولام فى الآخر وهم أهل كيلان من بلاد الشرق قال ابن سعيد وهم من بنى باسل بن أشور بن سام بن نوح عليه السلام

الرابعـة الخزر ــ بفتح الخاء والزاى المعجمتين وراء مهملة فى الآخر وهم التركمان فى الاسرائيليات أنهم من ولد توغرما بن كومر بن يافث بن نوح وقيل هم من بنى طيراش بن يافث وقيل نوع من الترك

الخامسة الديلم ــ بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم فى الآخر وهم الذين كان منهم ملوك بنى بويه الخارجين على خلفاء بنى العباس ببغداد قال فى العبر هم من بنى مادای بن یافث بن نوح وقال ابن سعيد من بنى باسل بن أشور بن سام بن نوح وقيل هم من العرب وضعفه أبو عبيد

السادسة الروم — وضبطهم معروف وهم الأمة المعروفة الذين منهم ملوك القسطنطينية الآن قيل هم من بنى كيتم بن يونان وهو يابان بن يافث بن نوح وقيل من ولد رومى بن يونان بن علجان بن يافث بن نوح وقيل من ولد رعويد بن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وقال الجوهرى من ولد روم بن عيصو بن اسحاق

السابعة السريان — بضم السين وسكون الراء المهملتين وفتح الباء المثناه تحت وألف ثم نون قال ابن الكلبى من بنى سوريان بن نبيط بن ماش بن آدم بن سام بن نوح

الثامنة السند — بكسر السين المهملة وسكون النون ودال مهملة فى الآخر فى الاسرائيليات انهم من ولد شبا بن رعما بن كوش بن حام بن نوح وحكى الطبرى عن ابن اسحاق أنهم من بنى كوش بن حام

التاسعة السودان — وضبطهم معروف قال ابن سعيد جميع أحيائهم من ولد حام بن نوح ونقل الطبرى عن ابن اسحاق ان الحبشة من ولد كوش بن حام والنوبة والزنج والزغاوة من ولد كنعان بن حام وذكر ابن سعيد أن الحبشة من بنى حبش والنوبة من ولد نوبة أو بنى نوبى والزنج من بنى زنج ولم يرفع فى نسبهم فيحتمل أنهم من بنى حام وأنهم من بنى غيره

العاشرة الصقالبة — بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وألف بعدها لام مكسورة وباء موحدة مفتوحة وهاء فى الآخر وهم عند الاسرائيليين من بنى بازان بن يافث بن نوح وقيل هم من بنى اسكناز بن توغرما بن كومر بن يافث

الحادية عشر الصين — وضبطهم معروف قيل هم من بنى صينى بن ماغوغ بن يافث بن نوح وقيل من بنى طوبال بن يافث وذكر هرشيوش مؤرخ الروم أنهم من بنى ماغوغ بن يافث

الثانية عشر العبرانيون — بكسر العين المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وألف بعدها نون مكسورة وباء مثناة تحت مشددة مضمومة وواو ساكنة ثم نون وهم الذين يتكلم اليهود بلسانهم الى الآن قال الطبرى وهم من ولد عابر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح

الثالثة عشر الفرس — بضم الفاء وسكون الراء المهملة وسين مهملة فى الآخر وهم الذين كان منهم ملوك الاكاسرة قال ابن اسحاق هم من ولد فارس بن لاود بن سام بن نوح وقال ابن الكلبى هم من ولد فارس بن طيراش بن أشور بن سام بن نوح وقيل من ولد طيراش بن همدان ابن يافث بن نوح وقيل من بنى أميم بن لاود بن سام ووقع للطبرى أنهم من ولد رعويل بن عيصو ابن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام قال فى العبر ولا التفات الى هذا القول لأن ملك الفرس أقدم من ذلك

الرابعة عشر الفرنج — بفتح الفاء والراء المهملة وسكون النون وجيم فى الآخر قيل من ولد طوبال بن يافث وقيل من ولد غطرما بن كومر بن يافث

الخامسة عشر القبط — بكسر القاف وسكون البـاء الموحدة وطاء مهملة فى الآخر وهم الذين كان منهم أهـل مصر فى القـديم قال ابراهيم بن وصـيف شاه هم من بنى قبطيم بن قفقط ابن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وعند الاسرائيليين أنهم من ولد قفقط بن حام

السادسة عشر القوط — بضم القاف وسكون الواو وطاء مهـملة فى الآخر وهم أهـل الاندلس فى القديم قال هرشـيوش هم من ولد ماغوغ بن يافث بن نوح وقيل هم من ولد قوط ابن حام بن نوح

السابعة عشرة الكرد — بضم الكاف وسكون الراء المهملة ودال مهملة فى الآخر وهم الذين كان منهم بنو أيوب ملوك مصر بعـد الفاطميين قال فى العبر هم من بنى ايران بن أشور ابن سام بن نوح قال المقر الشهابى ابن فضـل الله فى كتابه التعريف ويقـال فى المسلمين الكرد وفى الكفار الكرج وحينئذ فيكون الكرد والكرج نسبا واحدا

الثامنة عشر الكنعانيون — بفتح الكاف وسكون النون وفتح العين المهملة وضم اليـاء المثناة تحت المشددة وهم الذين كان منهم جبابرة الشام من ولد كنعان بن حام بن نوح

التاسعة عشر الىمان — بلام مفتوحة وميم بعدهـا ألف ونون وهم الذين كانوا قصـدوا سواحل الشام فى الدولة الأيوبيـة ومواطنهم فى شمـالى البحر الرومى غربا بشمـال قال فى العبر وهم من ولد طوبال بن يافث بن نوح

العشرون النبط — بفتح النون والباء الموحدة وطاء مهملة فى الآخر وهـم أهل بابل من العراق فى الزمن القديم واليهم تنسب الفلاحة النبطية لابن وحشية قال ابن الكلبى هم من بنى نبيط بن ماس بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن سعيد هم من بنى نبيط بن أشور بن سام بن نوح

الحادية والعشرون الهند — وضـبطه معروف فى الاسرائيليات انهم من ولد ادان بن رعمـا بن كوش بن حام ونقل الطبرى عن ابن اسحاق أنهـم من بنى كوش بن حام بن نوح من غير واسـطة

الثانية والعشرون الأرمن — بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم ونون فى الآخر وهم أهل أرمينية الذين بقاياهم ببلاد سيس قيل هم من ولد قهويل بن ناخور بن تارخ وهو آزر وتارخ أبو ابراهيم عليه السلام

الثالثة والعشرون الاشبان — بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف ثم نون قيل هم من ولد ماشخ بن يافث بن نوح وعند الاسرائيليين من ولد ياوان وهو يونان بن

يافث وعند آخرين انهم من شعوب بنى عيصو بن اسحاق وقال الطبرى أشك أنهم من ولد رعو يل ابن عيصو بن اسحاق وهو قريب من الذى قبله

الرابعة والعشرون اليونان — وهم الامة الذين كان منهم الحكماء شرقى الخليج القسطنطينى وهم من ولد يونان وهو ياوان بن يافث بن نوح وقال البيهقى هم من ولد يونان بن خلجان بن يافث وشذ الكندى فقال يونان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح فجعل يونان أخا لقحطان أبى عرب اليمن وقال انه خرج من بلاد العرب مغاضبا لأخيه قحطان فنزل شرقى الخليج القسطنطينى ورد عليه أبو العباس الناشى بقوله

تخلط يونانا بقحطان ضلة * لعمرى لقد باعدت بينهما جدا

ثم اليونانية على ثلاثة أصناف الطينيون وهم بنو لطين بن يونان والاغريقيون وهم بنو اعريقن بن يونان والكيم وهم بنو اللكيم بن يونان وهى أصل الروم فيما يقال على ما تقدم

الخامسة والعشرون زويلة — بضم الزاى وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر وهم أهل برقة فى القديم ومنهم الطائفة الذين وصلوا صحبة جوهر المعزى بانى القاهرة المنسوب اليهم باب زويلة بالقاهرة يقال انهم من بنى حويلا بن كوش بن حام بن نوح

السادسة والعشرون يأجوج ومأجوج — وضبطهما معروف قيل انهم من ولد ماغوغ ابن يافث بن نوح وقيل من ولد كومر بن يافث

النوع الثالث عشر

(المعرفة بمفاخرات الأمم ومنافراتهم وما جرى بينهم فى ذلك من المحاورات والمراجعات والمناقضات وفيه مقصدان)

المقصد الاول

(فى بيان وجه احتياج الكاتب الى ذلك)

لا خفاء أنه يتعين على الكاتب معرفة المفاخرات الواقعة بينهم من معرفة وجوه الافتخار التى يمدح بمثلها مما يستعان بمثله على المدح والاطراء الواقع فى الولايات وما يفضل به كل واحد من البلغاء على خصمه وما يرد عليه من الاجوبة المبطلة له لينسج على منوال ذلك فيما يرد عليه من المخاطبات والمكاتبات عند دعاية ضرورته اليه واحتياجه الى ايراده

المقصـــد الثانى

(فى ذكر انموذج من المفاخرات والمنافرات ينسج على منواله)

فأما المفاخرات فمنها ما روى انه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم سنة الوفود بعد فتح مكة فيهم عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث ونعيم بن زيد وعتبة بن حصن بن حذيفة بن بدر والاقرع بن حابس فى لفهم ولفيفهم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج الينا يا محمد فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج اليهم فقالوا يا محمد جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل منها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأشده عدة فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددناه وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكنا نحيينا عن الاكثار وأقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس الخزرجى قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت بن قيس فقال الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فعله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه وكان خيرة من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم فقام الزبرقان بن بدر التميمى فقال

نحن الكرام فلا حى يفاخرنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم * عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا * من الشواء اذا لم يونس القزع

وهى أبيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فأجب الرجل فيما قال فقال حسان رضى الله عنه

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وكل الخير يصطنع

قوم اذا حاربوا ضرّوا عدوهم * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرّها البدع
ان كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفاوتت الأهواء والشيع

وهى أبيات ويروى أن الزبرقان بن بدر قال

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا * اذا اختلفوا عند احتضار المواسم
فانا فروع الناس فى كل موطن * وان ليس فى أرض الحجاز كدارم
وانا نذود العالمين اذا انتحوا * ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وانا لنا المرباع فى كل غارة * نغير بنجد أو بأرض الأعاجم

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال

هل المجد الا السودد العود والندى * وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبى محمدا * على أنف راض من معدّ وراغم
نصرناه لما حل وسط ديارنا * بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا * وطبنا له نفسا بفىء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا * على دينه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها * ولدنا نبى الخير من آل هاشم
بنى دارم لا تفخروا انّ فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم
فان كنتم جئتم لحقن دمائكم * وأموالكم ان يقسموا فى المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا * ولا تلبسوا زيا كزىّ الاعاجم

فلما فرغ حسان من قوله قال الاقرع بن حابس وأبى ان هذا الرجل مراد لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا فأسلموا وأحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوائزهم ففى هذا الوفد نزل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) قلت وهذه مكابرة ظاهرة وتجاهل فاحش من بنى تميم حيث طلبوا المفاخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل العرب على اختلاف شعوبهم وتتابع قبائلهم معترفون لبنى هاشم بالسبق فى الشرف والتقدم فى الفضل مع ما فضل الله تعالى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصه به من رفيع الشرف

الذى لم يبلغه نبى مرسل ولا ملك مقرب وقد تعرض أبو نواس فى بعض أشعاره لمدح بنى تميم وبالغ فى فخرهم فأفحش فقال

خزيمة خير بنى خازم * وخازم خير بنى دارم
ودارم خــير تميم وما * مثــل تميم فى بنى آدم

ونقضه عليه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس اليعمرى فقال رحمه الله فأجاد القول وفاز بالقدح المعلى فقال

محمد خــير بنى هاشم * فمن تمــيم وبنو دارم
وهاشم خير قريش وما * مثل قريش فى بنى آدم

وهو مأخوذ من قول الأول

قــريش خيار بنى آدم * وخير قريش بنو هــاشم
وخير بنى هــاشم أحمــد * رســول الاله الى العــالم

واليه ينظر قول ابن عرسية

لله ممــا قد برا صـــفوة * وصفوة الخلق بنو هــاشم
وصفوة الصفوة من بينهم * محمـــد النور أبو القــاسم

ولقد أنصف اسحاق بن ابراهيم الموصلى حيث قال

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غــير قائم

فانه جعل مضر التى هى أرومة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل فخره وقعد دسودده فأصاب الفخر فى قوله وفاز بالشرف فى شعره قال المولى صلاح الدين الصفدى رحمه الله فى شرح لامية العجم وانما ذكر خازما لانه مولى خزيمة بن خازم التميمى وانما نزل أبوه الموصل فنسب اليها * ومن لطيف ما يحكى ان معاوية بن أبى سفيان كان جالسا وعنده جماعة من الأشراف فقال معاوية من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة فقام النعمان بن العجلان الزرقى بعد ما أخذ بيد الحسن فقال هذا أبوه على بن أبى طالب وأمه فاطمة وجده رسول الله صــلى الله عليه وســلم وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته أم هانئ ابنة أبى طالب وخاله القاسم وخالتــه زينب فهذا هو الشرف الذى لا يدانى والفضل الذى لا يبارى . وقريب من ذلك ما يحكى أنه جرى بين عبد الله ابن الزبير و بين معاوية كلام طويل فى آخره فقال ابن الزبير ما مثلى يهارش ولكن عندك من قريش والأنصار ومن ساكنى الجون والآطام من إن سألته حالك على محجة أبين من ظهر الجفير قال ومن ذلك قال هــذا يعنى أبا الجهم بن حذيفــة فقــال معاوية تكلم يا أبا الجهم فقــال اعفنى

فقال عزمت عليك لتقولن قال نعم أمك هند وأمه أسماء بنت أبي بكر وأسماء خير من هند وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير ومعاذ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله ان شاء الله تعالى . ومن ذلك ما حكاه ابن الكلبي قال قال كسرى للنعمان بن المنذر يوما هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال فبأى شئ قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلة فيه وينسب اليه قال فاطلب ذلك فطلبه فلم يصبه الا في آل حذيفة بن بدر وآل حاجب بن زرارة وآل ذى الجدين وآل الأشعث بن قيس ابن كندة قال فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم وأقعد لهم الحكام والعدول وقال ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وليصدق فكان حذيفة بن بدر الفزارى أول متكلم وكان ألسن القوم . فقال قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والأعز الأعظم ومأثرة للصنيع الأكرم فقال من حوله ولم ذاك يا أخا فزارة فقال ألسنا الدعائم التى لا ترام والعز الذى لا يضام قيل صدقت ثم قام شاعرهم فقال

فزارة بيت العز والعز فيهم * فزارة قيس حسب قيس نضالها
لها العزة القعساء والحسب الذى * بناه لقيس فى القديم رجالها
فهيهات قد أعيا القرون التى مضت * مآثر قيس مجدها وفعالها
وهل أحد ان هز يوما بكفه * الى الشمس فى مجرى النجوم ينالها
فان يصلحوا يصلح لذاك جميعها * وان يفسدوا يفسد من الناس حالها

ثم قام الاشعث الكندى وانما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته من النعمان بن المنذر فقال قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الاكثر وزحفها الاكبر وانا غياث الكربات ومعدن المكرمات قالوا ولم يا أخا كندة قال لانا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بافيائه وتقلدنا منكبه الاعظم وتوسطنا بحبوحه الاكرم ثم قام شاعرهم فقال

اذا قست أبيات الرجال ببيتنا * وجدت لنا فضلا على من يفاخر
فمن قال كلا أو أتانا بخطة * ينافرنا فيها فنحن نخاطر
تعالوا قفوا كى يعلم الناس أينا * له الفضل فيما أورثته الاكابر

ثم قام بسطام الشيبانى فقال قد علمت العرب أنا بناء بيتها الذى لا يزول ومغرس عزها الذى لا يحول قالوا ولم يا أخا شيبان قال لانا أدركهم للثار وأضربهم للملك الجبار وأقومهم للحكم وألدهم للخصم ثم قام شاعرهم فقال

لعمرى بسطام أحق بفضلها * وأول بيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومها * اذا جد يوم الفخر كل مناقل

ألسنا أعز الناس قوما ونسرة * وأضرب بهم للكبش بين القبائل
وقائع عـــز كلهـا ربعيــة * تذل لهـا عزا رقاب المحافل
اذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها * وعاذ بها من شرها كل وائل
وانا ملوك الناس فى كل بلدة * اذا نزلت بالناس احدى الزلازل

ثم قام حاجب بن زرارة التميمى فقال قد علمت معد أنا فرع دعامتها وقادة زحفها قالوا ولم ذاك يا أخا بنى تميم قال لانا أكثر الناس عديدا وأنجبهم طارفا وتليدا وانا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناء خندف اننا * لنا العز قدما فى الخطوب الاوائل
وانا كرام أهــل مجد وثروة * وعـــز قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهم من سيد وابن سيد * أغر نجيب ذى فعال ونائل
فسائل أبيت اللعن عنا فاننا * دعائم هذا النـاس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم السعدى فقال لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم فى المكرمات دعائم وأثبتهم فى السيئات خادم قالوا ولم ذاك يا أخا بنى سعد قال لانا أدركهم للثار وأمنعهم للجار وانا لا ننكل اذا حملنا ولا نرام اذا حللنا ثم قام شاعرهم فقال

لقـد علمت قيس وخندف اننا * وجـــل تميم والجميع الذى ترى
بأنا عماد فى الامــــور واننا * لنا الشرف الضخم المركب فى الندى
وانا ليوث النـاس فى كل مأزق * اذا أخذل البيض الجماجم والطلا
فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصما * وقيسا اذا مرت أليف الى العلا
فهيهات قد أعيا الجميع فعالهم * وقاموا بيوم الفخر مسعاة من سعا

فقال كسرى حينئذ ليس منهم الا سيد يصلح لموضعه وأسنى حباهم وأعظم صلاتهم وكرم مآبهم قال أبو عبيدة كانت العرب تعد البيوتات المشهورة بعظم القدر والشرف تعد بيت هاشم ابن عبد مناف وتعد أربعة أولها بيت آل حذيفة بن بدر وبيت آل زرارة الدارميين بيت بنى تميم وبيت آل ذى الجد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هشام بيت بنى شيبان وبيت بنى الديان من بنى الحارث بن كعب بيت اليمن قال فأما كندة فلا يعدون فى البيوتات انما كانوا ملوكا واعلم ان المفاخرة قد تكون بحقيقة الحسب وقد تقوم فيها الفصاحة واللسن مقام الحسب كقول أبى تمام الطائى يفتخر

انا ابن الذين استرضع المجد فيهم * وسمى فيهم وهو كهل ويافع
مضوا وكأن المكرمات لديهم * لكثرة ما وصوا بهن شرائع

فأى يد فى المجـــد مدّت فلم يكن * لها راحة من مجـدهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا * فضاع وماضاعت لدينا الودائع

وقوله أيضا

جرى حاتم فى حلبة منه لوجرى * بها القطر شأوا قيل أيهما القطر
فتى ذخر الدنيـا أناس ولم يزل * لها باذلا فانظـــر لمن بقى الذخر
فمن شاء فليفخر بمـاشاء من ندى * فليس لحى غـــيرنا ذلك الفخر
جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها * الينـا كما الايام يجمعها الشهر

قال فى شرح اللامية وعنـــد أكثر النـاس ان أباتمام كان أبوه نصرانيـا يقال له تدرس العطار من جاسم قرية من قرى حوران من الشام فغير اسم أبيــه واندس فى بنى طى وذكر صاحب الاغانى أن رجلا قال لجرير من أشعر النـاس قال قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيــده وجاء به الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به اخرج ياأبتى فخرج شيخ ذميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال ترى هذا قال نعم قال أوتعرفه قال لا قال هذا أبى أوتدرى لم كان يشرب من ضرع العنز قال لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منــه ثم قال أشعر النـاس من فاخر بهذا الأب ثمـانين شاعرا وقارعهم فغلبهم قال الصــلاح الصفدى ماهذه إلاوقاحة عظيمة من جرير فى مفاخرته أولئك الشعراء وهذا أبوه لكنه تغفر له هذه الوقاحة باعترافه لذلك الرجل واظهار بخل أبيه وربمـا كان الافتخار بالتورية والتعريض بالامور المقتضية للشرف بحيث يظن السامع حقيقة الافتخار والشرف بمجرد السمـاع فاذا عرف المقصد تبين له خلاف ذلك كقول أبى الحسن الجزار

ألا قـــل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
يريقـــون دم الانعا * م فى حزن وفى سهـــل
ومازالوا لمـا يبـــدو * ن من بأس ومن بذل
يرجيهم بنـــو كلب * ويخشاهم بنو عجـــل

وقوله أيضا

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم من رب تحقيق
تضىء بالدم اشراقا قواضبهم * فكل أيامهــم أيام تشريق

وعلى هذا المنهج ماحكاه بعضهم قال وجدت على قبر مكتوبا أنا ابن من كانت الريح طوع أمره يحبسها اذا شاء و يطلقها اذا شاء قال فعظم فى عينى ثم التفت الى قبر آخر قبالته فاذا عليه مكتوب

لا يغتر أحد بقوله فما كان أبوه الابعض الحدادين يحبس الريح فى كيره اذا شاء و يرسلها اذا شاء قال فجعجبت منهما ينتسبان بان ميتين فاذا طرق السمع شئ من ذلك ظن السامع أنه فى غاية الفخر والشرف حتى يعلم حقيقته وأشباه ذلك ونظائره كثيرة وليس هذا موضع استيعاب القول فى المفاخرة الحقيقية ولا غيرها

وأما أيام المنافرة وهى المحاكمة فى الحسب فمن ذلك ما يحكى أن الاعشى أتى علقمة بن علاثة ابن عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب وهو يريد سلامة(١) وأقالقس الحيرى من التبابعة فسأل الاعشى علقمة أن يتليه أى يجيره فقال له علقمة أتليك على بنى الاحوص قال لا يقنعنى قال فعلى بنى كلاب قال لا يقنعنى قال فليس عندى أكثر من هذا فأتى عامر بن الطفيل بن مالك ابن جعفر بن كلاب قال قد أتليك على الجن والانس ثم أتى سلامة فانصرف من عنده بحبائه وكان عامر وعلقمة المذكوران لما أسن أبو براء وهو عامر بن مالك بن جعفر بن ملاعب الاسنة تنازعا فى الرئاسة فقال علقمة كانت لجدى الاحوص وانما صارت لعمك بسببه وقد قعد عمك عنها وأنا استرجعتها فأنا أولى بها منك فشرى الشر بينهما وسارا الى المنافرة وقدم الاعشى على(٢) تفيئة ذلك فصاربه ولبيد مع عامر وصار مع علقمة الحطيئة والسندرى وتنافرا فقال عامر لعلقمة والله انى لأكرم منك حسبا وأثبت منك نسبا وأطول منك قصبا فقال علقمة والله لانا خير منك ليلا ونهارا فقال عامر والله لانا أحب الى نسائك ان أصبح فيهن منك فقال علقمة أنافرك انى لبر وانك لفاجر وانى لولود وانك لعاقر وانى لعف وانك لعاهر وانى لواف وانك لغادر فقال عامر أنت رجل ولود وأنا رجل عقيم وقد وفيت لبنى عمرو بن تميم وقد زعموا أنى غدرت بهم وهم كاذبون ولكنى أنافرك أنا أنحر منك للقاح وخير منك فى الصباح وأطعم منك فى السنة الشباح فقال علقمة أنت رجل تقاتل والناس تزعم أنى جبان ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعزلك من أن تلقاهم وأنا خلفك وأنت رجل جواد والناس يزعمون أنى بخيل ولست كذلك وأنت تعطى العشيرة اذا ألمت ولكنى أنافرك أنا خير منك أثرا وأحد منك بصرا وأشرف منك ذكرا فقال عامر أنت رجل فان وليس لبنى الاحوص فضل على بنى مالك فى العدد و بصرى ناقص و بصرك صحيح ولكنى أنافرك انى أسمى منك سمة وأطول منك قمة وأحسن منك لمة وأجعد منك جمة وأسرع منك رجعة وأبعد منك همة فقال علقمة أنت رجل جسيم وأنا رجل قصيف وأنت جميل وأنا قبيح ولكنى أنافرك بآبائى وأعمامى فقال عامر آباؤك أعمامى ولم أكن لأنافرك فيهم ولكنى أنافرك أنا خير منك عقبا وأطعم منك جدبا فقال علقمة قد علمت أن لك عقبا وقد أطعمت طيبا ولكنى أنافرك انى خير منك وأولى بالخير منك فقال عامر انى والله لأركب منك فى الحماه

(١) (٢) كذا بالاصل وليتأمل

وأقتل منك للكماه وخير منك للموالاة فقال بعض بنى خالد بن جعفر وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر انك لن تطيق عامرا ولكن قل له أنافرك لخيرنا وأقربنا الخيرات فقال علقمة لك ذلك فقال عامر(١) عير وتيس وتيس وعنز فأرسلها مثلا ثم على مائة من الابل الى مائة يعطاها الحكم أينا ينفر عليه صاحبه أخرجها ففعلوا ووضعوا بها رهنا من أبنائهم على يدى رجل يقال له خزيمة بن عمرو بن الوحيد فسمى الضمين وصارت علما عليه الى الآن وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد وعامر فيمن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك بن جعفر وهو أبو براء فقال يا عماه أعنى فقال يا ابن أخى سبنى فقال لا أسبك وأنت عمى قال فسب الاحوص فقال عامر ولا أسب والله الأحوص وهو عمى فقال ولكن دونك نعلى فانى قد ربعت فيها أربعين مرباعا فاستعن بها على منافرتك وجعلا منافرتهما الى أبى سفيان بن حرب بن أمية فلم يقل بينهما شيئا وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما وقال لهما أنتما كركبتى البعير الأدرم وأبى أن يقضى بينهما فانطلقا الى أبى جهل بن هشام فأبى أن يقضى بينهما فوثب مروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو ابن الأحوص وكان مع علقمة فقال

يا لقريش بينوا الكلاما * إنا رضينا منكم الأحكاما
فبينوا اذ كنتم الحكاما * كان أبونا لهم إماما
وعبد عمرو منع الفئاما * فى يوم فخر معلم اعلاما
يحسن فيه الكر والاقداما * ودعلج أقدمه اقداما
لولا الذى أجشمتهم اجشاما * لاتخذتهم مذحج انعاما

فأبوا أن يقولوا بينهما شيأ فأتيا غيلان بن سلمة بن معتب الثقفى فردهما الى حرملة بن الأشعر المرى فردهما الى هرم بن قطبة بن سنان الفزارى وانهما ساقا الأبل معهما حتى أشتت وأربعت لا يأتيان أحدا الاهاب أن يقضى بينهما فوعدهما هرم الى العام القابل فأتيا الوعد وقال لبيد وكان مع عامر يومئذ يرتجز

ياهرم وأنت أهل عدل * هل يذهبن فضلهم لفضلى
ان يفخر الأحوص يوما قبلى * ليذهبن أهله بأهلى
لا تجمعن شكلهم وشكلى * ونسل آبائهم ونسلى
قد علموا أنا كرام الأصل

وقال أيضا

انى امرؤ من مالك بن جعفر * علقم قد نافرت غير منفر * نافرت سقبا من سقاب العرعر

(١) هكذا فى الاغانى

فقال لحافة بن عوف بن الأحوص بن جعفر

نهنه اليك الشعر يالبيد * واصدد فقد ينفعك الصدود

ساد أبونا قبل أن تسودوا * سوددكم صغيره زهيد

ثم قال

انى اذا ما نسى الحياء * وضاع يوم المشهد اللواء

أنمى وقد حق لى النماء * الى كهول ذكرها سناء

اذ لا تزال حلوة كوماء * مبقورة لسقبها رغاء

لم ينهنا عن نحرها الصفاء * لنا عليكم سورة ولاء

المجد والسودد والعطاء

ثم قال

أنتم عزلتم عامر بن مالك * فى سنوات مضر الهوالك * ياشر أحياء وشر هالك

وكان السندرى مع علقمة فارتفع صوته فقيل من ذا فقال

أنا لمن أنكر صوتى السندرى * أنا الفتى الجعد الطوال الجعفرى

من ولد الأحوص أخوالى غنى

فقال عامر للبيد أجبه فرغب عن اجابته وكان السندرى يقال لجدته عيساء وكانت أمة لفاختة ابنة جعفر بن كلاب امرأة شريح بن الأحوص فوقع عليها شريح فولدت له ريان ويزيد وشهابا فقال لبيد

لما دعانى عامر لأسبهم * أبيت وان كان ابن عيساء ظالما

ألا أينا ما كان شرا لمالك * فلا زال يلقى فى الحياة الملاوما

لكيلا يكون السندرى نديدنا * وأشتم أعماما عموما عماعما

وأنشر من تحت القبور أبوة * كراما هم شدوا على التمائما

لعبت على أكتافهم وحجورهم * وليدا وسمونى وليدا وعاصما

بلى أينا ما كان شرا لمالك * فلا زال فى الدنيا ملوما ولائما

ووثب الحطيئة فقال

ما يحسن الحكام بالفصل بعدما * بدا سابق ذو غرة وحجول

حتى أتى على قصيدة كاملة ثم قال

ياعام قد كنت ذا باع ومكرمة * لو أن مسعاة من جاريته أمم

وأقام القوم على ذلك أياما فأرسل هرم الى عامر فأتاه سرا لا يعلم به أحد فقال ياعامر كنت أحسب أن لك رأيا وان فيك خيرا وما حبستك هذه الأيام الا لتنصرف عن صاحبك أتنافر

رجلا لا تفخر أنت ولا قومك الا بآبائه فما الذى أنت به خير منه فقال عامر أنشدك الله والرحم أن لا تفضل علىّ علقمة فوالله ائن فعلت لا أفلح بعدها أبدا هذه ناصيتى لك فاجززها واحتكم فى مالى فان كنت لا بدّ فاعلا فسوّ بينى وبينه فقال انصرف فسوف أرى رأيى فخرج عامر وهو لا يشك أنه سيفضله عليه ثم أرسل الى علقمة سرا وقال له مثل ما قال لعامر فردّ عليه علقمة ما ردّ به عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامرا عليه ثم ان هرما أرسل الى أخيه وبنى أخيه انى قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فاذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس أن لا يكون لهم جماعة وأصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا فقال لبيد

يا هرم ابن الأكرمين منصبا * انك قد وليت أمرا معجبا
فاحكم وصوّب رأى من تصوّبا * ان الذى كنت عليه ترتبا
لخيرنا خالا وأمّا وأبا * وعامر خيرهما مركبا
* وعامر أدنى لقيس نسبا *

فقال هرم انكما يا بنى جعفر قد تحاكمتما عندى وأنتما كركبتى البعير الفحل تقعان الارض معا فليس منكما واحد الا وفيه ما ليس فى صاحبه وكلا كما سيد كريم فعمد بنو هرم وبنو أخيه الى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هرم وفرقوا بين الناس ولم يفضل هرم واحدا منهما على صاحبه وكره أن يجلب بذلك شرا على الفئتين وهما ابن عم فلما رأى ذلك الاعشى خرج وهو يقول

شاقك من قتلة اطلالها * بالشط فالوتر الى حاجر
وقد رآها وسط أترابها * فى الحى ذى البهجة والسامر
اذ هى مثل الغصن ميالة * تروق عينى ذى الحجا الزائر
كدمية صوّر محرابها * بمذهب فى مرمر مائر
تشفى غليل النفس لاهٍ بها * حوراء تسبى نظر الناظر
عهدى بها فى الحى قد سربلت * هيفاء مثل المهرة الضامر
ممشوقة القدّ غلامية * موصوفة بالخلق الطاهر
قد نهد الثدى على نحرها * فى مشرق ذى صبح نائر
لو أسندت ميتا الى نحرها * عاش ولم ينقل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر
علقم ما أنت الى عامر * الناقض الاوتار والواتر
والفارس الخيل بخيل اذا * ثار غبار الكبة الثائر

سدت بنى الاحوص لم تعدهم * وعامر ساد بنى عامر
ان الذى فيه تماريتما * بين للسامع والناظر
حكمتموه فقضى بينكم * أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة فى حكمه * ولا يبالى غبن الخاسر
فأعجب الدهر متى سويا * كم ضاحك من ذا ومن ساخر
فأقر حياء أنت ضيعته * مالك بعد الشيب من غادر
ولست بالاكثر منهم حصى * وإنما العزة للكاثر
أقول لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر
علقم لاتسفه ولاتجعلن * عرضك للوارد والصادر
قد قلت قولا فقضى بينكم * واعترف المنفور للنافر

وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر رضى الله عنه فقال ياهرم أى الرجلين كنت مفضلا لوفعلت فقال لوقلت ذلك اليوم ياأمير المؤمنين عادت جذعة ولبلغت شعفات هجر فقال عمر رضى الله عنه نعم مستودع السر أنت ياهرم مثلك فليستودع العشيرة أسرارهم والى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم قال أبو عبيدة ومات علقمة بحوران وهو والى عمر بن الخطاب . وأما عامر بن الطفيل فأصابته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابته الغدة ومات فى بيت سلولية فقال أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وفى هذه القصة مقنع فى المنافرة عن غيرها وفى كتاب الريحان والريعان لبعض الاندلسيين جملة من هذه المفاخرات والمنافرات

النوع الثالث عشر
(المعرفة بأيام الحروب الواقعة وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الاول
(فى وجه احتياج الكاتب الى ذلك)

قد ذكر فى حسن التوسل أن الكاتب يحتاج الى معرفة أيام العرب وتسمية الايام التى كانت بينهم ومعرفة يوم كل قبيلة على الاخرى وماجرى بينهم من الاشعار والمناقضات وذكر فارس مشهور أوملك مذكور أو واقعة معينة لشخص خاص وماادعاه كل منهم لنفسه أوليومه لما فى ذلك من العلم لما يستشهد به من واقعة قديمة أو يردعليه فى مكاتبة من ذكر يوم مشهور أو فارس معين ونحو ذلك مما مضى عليه أمر الجاهلية أو حدث فى الاسلام فان الكاتب اذالم يكن عارفا بالوقائع عالما بماجرى منها لم يدركيف يجيب عما يردعليه من مثلها ولاما ينقل اذا سئل عنها

المقصــــد الثـــانى

(فى ذكر أيام من ذلك ترشد الى معرفة المقصد منه)

ومن أشهرها ذكرا وأعظمها حربا يوم جرار وجرار اسم جبل بين البصرة ومكة كانت الواقعة عنده فعرفت به وكانت الحرب فيه بين بنى ربيعة الفرس وهو ربيعة نزار و بين قبائل اليمن وكانت الغلبة فيه لبنى ربيعة فقتلوا من قبائل اليمن خلقا كثيرا وكان قائد ربيعة كليب بن ربيعة ملك بنى وائل واسمه وائل وكليب لقب عليه وهو من ربيعة الفرس وكان قد ملك على بنى معد وقبائل جموع العرب وهزمهم وعظم شأنه وبقى زمانا من الدهر ثم داخله زهو شديد وبغى على قومه فصار يحمى عليهم مواقع السحاب ولا يرعى حماه و يقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يصاد ولا ترد ابل مع ابله ولا توقد نار مع ناره وبقى كذلك حتى قتله جساس بن مرة الوائلى أيضا ولما قتل كليب توالت الحروب بسبب قتله بين بنى تغلب و بين بكر ابنى وائل وكان قائد بنى تغلب مهلهل أخو كليب وقائد بنى بكر مرة أبو جساس المقدم ذكره فكان بينهم يوم عنيزة وتكافأ فيه الفريقان ثم كان بينهم يوم واردات وانتصر فيه بنو تغلب على بكر ثم كان بينهم يوم الحنور وانتصرت فيه بكر على تغلب ثم كان بينهم يوم العصيات وانتصرت فيه تغلب على بكر وأصيب بنو بكر حتى ظنوا أنهم قد بادوا ثم كان بينهم يوم قضة وهو يوم التحالق كثر فيه القتل بين الفريقين فى أيام أخر لم يشتد فيها القتال

ومن أيام غيرهم المشهورة يوم عين أباغ وعين أباغ موضع يقال له ذات الخيار وكان الحرب فيه بين غسان ولخم وكان قائد غسان الحارث الذى طلب أدرع امرئ القيس وقيل غيره وكان قائد لخم المنذر بن ماء السماء بغير خلاف وفى هذا اليوم قتل المنذر وانهزمت لخم وتبعتهم غسان الى الحيرة وأكثروا فيهم القتل . ويوم مرج حليمة وكان بين غسان ولخم أيضا وكان من أعظم الايام وأشدها حربا بلغت الجيوش فيه عددا كثيرا وعظم الغبار حتى قيل ان الشمس احتجبت وظهرت الكواكب التى فى غير جهة الغبار . و يوم الكديد وكان بين كنانة وسليم وانتصرت فيه سليم على كنانة وقتل فيه ربيعة بن مكدم فارس كنانة وبه يضرب المثل فى الشجاعة وكان يعقر على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبر غيره . ويوم الكلاب الاول والكلاب موضع بين البصرة والكوفة وكان بين الاخوين شراحيل وسلمة ابنى الحارث بن عمرو الكندى وشراحيل هو الاكبر وكان معه بكر وائل وغيرهم وسلمة الاصغر وكان معه تغلب وائل وغيرهم واشتد القتال بينهم وانتصر سلمة وتغلب على شراحيل وبكر وانهزم شراحيل وتبعته خيل أخيه فقتلوه . يوم الكلاب الثانى وكان بين بكر ووائل ويوم أوارة وأوارة اسم جبل وكانت الحرب فيه بين المنذر

ابن امرئ القيس ملك الحيرة وبين منذر وائل بسبب الحيرة وظفر فيه المنذر وأقسم أنه لايزال يذبحهم حتى يسيل دمهم من رأس أوارة الى حضيضه وبقى يذبحهم والدم يجمد فسكب عليه ماء حتى سال الدم من رأس الجبل الى حضيضه وبرت يمينه . ويوم رحرحان ورحرحان اسم واد بالحجاز وكانت الحرب فيه بين الاحوص بن جعفر بن كلاب وبنى دارم وبنى مارية وبنى معبد بن زرارة وبنى تميم وانهزمت فيه بنو تميم ومن معهم وأسر معبد بن زرارة وقصد أخوه لقيط بن زرارة أن يستفكه فلم يقدر وعذبوا معبدا حتى مات . ويوم شعب جبلة وشعب جبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف وكان من شأنه أنه لما انقضت وقعة رحرحان المتقدمة ومضى لها سنة وذلك فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم استنجد لقيط بن زرارة التميمى بنى ذبيان لثار أخيه فأنجدته وتجمعت بنو تميم غير بنى سعد وخرجت معه بنو أسد وسار بهم لقيط الى بنى عامر وبنى عبس فى طلب ثار أخيه معبد فأدخلت بنو عامر وبنو عبس أموالهم فى شعب جبلة فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب وكسروا جائع لقيط وقتلوا لقيطا وأسروا أخاه حاجب ابن زرارة وانتصرت بنو عامر وبنو عبس نصرا عظيما وقتل أيضا من بنى ذبيان وبنى تميم ومن بنى أسد جماعة مستكثرة وكان هذا اليوم من أعظم أيامهم . ويوم ذى قار وهو أقرب الوقائع المشهورة فى الجاهليـة عهدا وكان فى سنة أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام بدر وكان من حديثه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة فحبسه فهلك فى الحبس وكان النعمان قد أودع حلقته وهى السلاح والدروع عند هانئ بن مسعود البكرى فأرسل أبرويز يطلبها من هانئ فقال هذه أمانة والحر لا يسلم أمانته وكان أبرويز لما أمسك النعمان جعل مكانه فى ملك الحيرة اياس بن قبيصة الطائى فاستشار أبرويز إياسا فقال اياس المصلحة التغافل عن هانئ بن مسعود حتى يطمئن وتتبعه فتدركه فقال أبرويز انه من أخوالك لاتألوه نصحا فقال إياس رأى الملك أفضل فبعث أبرويز الهزبران فى ألفين من الاعاجم وبعث ألفا من وهرا فلما بلغ بكر بن وائل خبرهم أتوا مكانا من بطن ذى قار فنزلوه ووصلت اليهم الاعاجم واقتتلوا ساعة فانهزمت الاعاجم هزيمة قبيحة فيروى أن النبى صلى الله عليه وسلم خبر بذلك أصحابه فقال اليوم أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى نصروا ولابى عبيدة مصنف مفرد فى أيام العرب وقد أورد منها ابن عبد ربه فى كتاب العقد جملة مستكثرة وفى آخر كتاب الامثال للميدانى نبذة محررة من ذلك وليس بنا حاجة الى استيعابها هنا وأما الحروب الواقعة فى صدر الاسلام . فمنها وقعة الجمل وكانت بين على كرم الله وجهه ومعه أهل الكوفة وبين عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وكانت راكبة يومئذ على جمل اسمه عسكر وبه عرفت الوقعة وقتل بين الفريقين خلق كثير وكانت النصرة فيه لعلى ومن معه . ومنها وقعة صفين وكانت بين على كرم الله وجهه

ومعه أهل العراق و بين معاوية بن أبى سفيان ومعه أهل الشام وكان ابتداؤها فى سنة ست وثلاثين وكان مدة مقامهم بصفين مائة وعشرة أيام أوقعوا فيها وقعات كثيرة قيل تسعين وقعة وكانت عدة القتلى بينهم فيما يقال من أهل الشام خمسة وأربعين ألفا ومن أهل العراق ستة وعشرين ألفا منهم ستة وعشرون من أهل بدر وكان عمار بن ياسر مع على رضى الله عنه وقاتل حتى قتل وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل عمارا الفئة الباغية ومضت عليهما مدة وعلى رضى الله عنه على العراق ومعاوية على الشام ومصر الى أن قتل على رضى الله عنه ولا حاجة بنا الى الخوض فى أكثر من ذلك فان ذلك محمول على اجتهادهم والامساك عما شجر بينهم واجب . ومنها وقعة مرج راهط وكان من حديثها أنه لما هلك يزيد بن معاوية كان سعيد بن بحدل على قنسرين فوثب عليه زفر بن الحارث فأخرجه منها وبايع عبد الله بن الزبير فلما قعد زفر على المنبر قال الحمد لله الذى أقعدنى مقعد الغادر الفاجر وحصر فضحك الناس من قوله وكان حسان بن بحدل على فلسطين والاردن فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذامى ونزل هو الاردن فوثب نائل بن قيس الجذامى على روح بن زنباع فأخرجه من فلسطين وبايع ابن الزبير وكان النعمان بن بشير على حمص فبايع لابن الزبير وكان الضحاك بن قيس على دمشق فجعل يقدم رجلا ويؤخر أخرى فقدم عليه مروان بن الحكم فقال الضحاك هل لك أن تقدم على ابن الزبير بتبعه أهل الشام قال نعم ووافق على ذلك بنو أمية واليمانيون فلما فشا ذلك أرسل الضحاك الى بنى أمية يصدر اليهم وقال لمروان وعمرو بن سعيد اكتبوا الى حسان بن بحدل فيسير من الاردن حتى ينزل الجابية ونسير نحن من هنا حتى نلقاه فننظر هنالك رجلا ترضونه فلما استقلت رايات الضحاك من دمشق قالت القيسية لا نصحبك دعوتنا الى بيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة فلما بايعناك خرجت تابعا لهذه الاعراب بنى كلب فأجابهم الى اظهار بيعة ابن الزبير وسار حتى نزل مرج راهط وأقبل حسان حتى لقى مروان فسار مع مروان حتى لقوا الضحاك وهم نحو من سبعة آلاف والضحاك فى نحو من ثلاثين ألفا واقتتلوا فقتل الضحاك وقتل معه أشراف من قريش

المقصد الثالث

(فى كيفية استعمال الكاتب ذكر هذه الوقائع فى كلامه)

لا يخفى أن الكاتب المترشح للكتابة اذا كان من المعرفة بأيام الحرب والعلم بتفاصيل أخبارها ومن يعد من فرسان حروبها ومصاقع خطبائها ومتلقى شعرائها وما جرى بينهم فى ذلك من الخطب والاشعار والمناقضات كان مستعدا لما يستشهد به من واقعة قديمة أو يرد عليه فى مكاتبة أو شعر من ذكر أيام مشهورة أو ذكر فارس معين كما قال أبو تمام الطائى يمدح بنى شيبان

اذا افتخرت يوما تمـيم بقوسها * وزادت على ماوطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت ســيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

يشير الى أن حاجب بن زرارة التميمى وفد على كسرى فى سنة جدب فقال الحاجب من أنت قال رجل من العرب فلما دخل على كسرى قال له من أنت قال سـيد العرب قال ألم تقل بالباب أنك رجل من العرب قال كنت بالباب رجلا منهم فلما حضرت بين يدى الملك سدتهم فلأ فمه درا وشكا اليه محل الحجاز وطلب منـه حمل ألف بعير برا على أن يعيد قيمتها فقال وما ترهننى على ذلك قال قوسى فاستعظم همته وقال قبلت وأعطاه حمل ألف بعير برا ومات حاجب فأحضر بنوه المال بعد موته وطلبوا منه قوس أبيهم فافتخرت تميم بذلك فأشار أبو تمام فى بيتيه الى هذه المنقبة يقول يا بنى شيبان فى يوم ذى قار أبدتم جيوش كسرى الذى استرهن قوس حاجب . وكما قال أبو نصر الفتح ابن خاقان فى خطبة كتابه قلائد العقيان لو جاوره كليب ما طرق حماه أو استجار به أحد من الدهر حماه أو كان بوادى الأخرم لطاف به ربيعة وأحرم أو استنجده الكندى ما كساه الملاءه أو كان حاضرا بسطام لما خر على الالاءه . وكما قلت فى المفاخرة بين السيف والقلم عند التعرض لذكر المقر الزينى أبى يزيد الدوادار الذى من أجله وضعت فلو لقيه فارس عبس لولى عابسا أو طرق حمى كليب لبات من حماه آيسا أو قارعه ربيعـة بن مكدم لعلا بالسيف مفرقه أو نازله بسطام لبدد جمعه وفرقه الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى وينتظم فى هذا السلك قال فى حسن التوسل واذا لم يكن صاحب هذا الفن عارفا بكل يوم من هذه الايام عالما بما جرى فيها لم يدر كيف يجيب عما يرد عليه من مثلها ولا ما يقول اذا سـئل عنها قال وحسبه ذلك نقصا فى صناعته وقصورا عما يتعين عليه من معرفته وحسن الجواب عنه عند السؤال عنه وأما الوقائع التى وردت فى حوادث خاصة بأقوام فقد قال الوزير ضياء الدين بن الاثير رحمه الله فى المثل السائر انها كالامثال فى الاستشهاد بها وذكر لها أمثلة منها قوله من كتاب ولا يعد البر برا حتى يلحق الغيب بالحضور ويصل من لم يصله بجزاء ولا شكور فزنة الغائب بالشاهد من كرم الاحسان ولهذا نابت شمال رسول الله عن يمين عثمان يشير الى أن النبى صلى الله عليه وسلم فى بيعة الحديبية كان قد أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه الى مكة فى حاجة ولم يحضر البيعة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان وشمالى خير من يمينه ومنها قوله من تقليـد لبعض الملوك من ديوان الخلافة واذا استعنت باحد على عملك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من مبدإ حاله فان الاحوال تنتقل بنقل الاجساد واياك أن تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد يشير بذلك الى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استدعى أباموسى الاشعرى ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثى فذهب الربيع بن زياد الى بعض موالى عمر وسأله عما يروج عنده

وينفق عليه فأشار الى خشونة العيش فمضى ولبس جبة صوف وعمامة رثاء وخفا مطابقا وحضر بين يديه فى جملة العمال فصوّب عمر نظره وصعده فلم يقع الا عليه فأدناه وسأله عن حاله ثم أوصى أبا موسى الاشعرى به . ومنها قوله فى معارضة كتاب القاضى الفاضل الى الديوان الخلافة يعدّد فيه مساعى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وما قاساه فى الفتوح من الاهوال وهو ومن جملتها ما فعل الخادم فى الدولة المصرية وقد قام بها منبر وسرير وقالت منا أمير ومنكم أمير فردّ الدعوة العباسية الى معادها وأذكر المنابر ما نسيته بها من زهو أعوادها يشير بذلك الى ما تقدم من اجتماع الانصار فى اليوم الذى مات فيه النبى صلى الله عليه وسلم فى سقيفة بنى ساعدة الى سعد بن عبادة وكيف ذهب اليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر رضى الله عنه لا ولكنا الامراء وأنتم الوزراء الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى وينتظم فى هذا السلك

النوع الرابع عشر

(فى أوابد العرب)

وهى أمور كانت العرب عليها فى الجاهلية بعضها يجرى مجرى الديانات وبعضها يجرى مجرى الاصطلاحات والعادات وبعضها يجرى مجرى الخرافات وجاء الاسلام بابطالها وهى عدة أمور (منها الكهانة) وكان موضوعها عندهم الاخبار عن أمور غيبية بواسطة استراق الشياطين السمع من السماء والقاء ما يستمعونه من الغيبيات اليهم وقد كان فى العرب قبل البعثة عدة كهنة تعتمد العرب كلامهم ويرجعون الى حكمهم فيما يخبرون به . ومن أعاجيب أخبارهم فى ذلك أن هند ابنة عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت يوما واضطجع الفاكه هو وهند فيه ثم نهض الفاكه لبعض حاجته وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رآها ولى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل الى هند فركضها برجله وهى نائمة فانتبهت فقال من ذا الذى خرج من عندك فقالت لم أر أحدا وأنت الذى أنبهتنى فقال لها اذهبى الى بيت أبيك فأقيمى عنده وتكلم الناس فيها فقال له أبوها انك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرجا فى جماعة من قومهما الى كاهن من كهان اليمن ومعهما هند ونسوة أخر فلما شارفوا بلاد الكاهن قالت هند لأبيها انكم تأتون بشرا يصيب ويخطئ ولا آمنه أن يسمنى ميسما يكون علىّ سبة فقال أبوها سأختبره لك فصفر لفرسه حتى أدلى فأدخل فى احليله حبة حنطة وشدّ عليها بسير فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة انا قد جئناك فى أمر وقد خبأت لك خبأ أختبرك به فانظر ما هو فقال ثمرة فى كمرة فقال أريد أبين من هذا

فقال حبة بر فى احليل مهر فقال له انظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب بيده على كتفها و يقول انهضى حتى دنا من هند فقال لها انهضى غير رشحاء ولا زانية ولتلدن ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله لأحرص على أن يكون من غيرك فتزوجها أبو سفيان بن حرب فولدت له معاوية فكان من أمره ما كان الى أن انتهت به الحال الى الخلافة وقد أخبر جماعة من الكهنة ببعث النبى صلى الله عليه وسلم قرب ظهوره منهم سطيح الكاهن وغيره ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حرست السماء ومنعت الشياطين من استراق السمع كما أخبر تعالى بقوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . ومنها الزجر والطيرة وهما فى معنى واحد وأصله أنهم كانوا اذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير فان طار يمينا كان له حكم وان طار شمالا كان له حكم وان طار أماما كان له حكم وان طار من فوق رأسه كان له حكم ومن ثم سميت الطيرة أخذا من اسم الطير وأكثر ما عولوا عليه من ذلك الغراب ثم تعدوه الى غير الطير من الحيوان ثم جاوزوا ذلك الى ما يحدث فى الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك وربما انتهى بعض الزجر الى حد الكهانة . ومما يحكى من زجر الطير أن رجلا من لهب وهم بطن من العرب يعرفون بالعيافة خرج فى حاجة له ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه فعطش فأناخ ليشرب فاذا غراب فنعب فأثار راحلته ثم سار حتى كان وقت الظهيرة أناخ ليشرب فنعب الغراب وتمرغ فى التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه واذا فيه ثعبان عظيم فقتله ثم سار فاذا غراب واقع على سدرة فصاح به فوقع على سلمة فصاح به فوقع على صخرة فانتهى اليها فأثار من تحتها كنزا فلما رجع الى أبيه قال له ما صنعت قال سرت صدر يومى فأنخت لأشرب فنعب غراب فقال أثر راحلتك والا فلست بابنى قال فعلت قال ثم ماذا قال سرت حتى وقت الظهيرة فأنخت لأشرب فنعب الغراب وتمرغ فى التراب فقال اضرب السقاء والا فلست بابنى قال فعلت فوقع على صخرة قال أثر ما تحتها والا فلست بابنى قال فعلت فوجدت كنزا . وقد وردت السنة بابطال حكم الزجر والطيرة بقوله صلى الله عليه وسلم أقروا الطير فى وكناتها وقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة واستحسن صلى الله عليه وسلم الفال فقال و يعجبنى الفال وهى الكلمة الطيبة أسمعها وقد فرق العلماء بين الفال والطيرة بأن الطيرة تقصد والفال يأتى من غير قصد ومنها الميسر وهو ضرب من القمار كانوا يقتسمون به لحم الجزر التى يذبحونها بحسب قداح يضربونها لكل قدح منها نصيب معلوم وهى أحد عشر قدحا سبعة منها لها حظ ان فازت وعليها غرم ان خابت بقدر ما لها من الحظ عند الفوز وأربعة منها يثقل بها القداح لا حظ لها ان فازت ولا غرم عليها ان خابت . فأما السبعة التى لها الحظ ان فازت وعليها الغرم ان خابت . فأولها الفذ وهو قدح فى صدره حز واحد وله نصيب واحد فى الأخذ والغرم . والثانى التوءم وفى صدره حزان

وله نصيبان فى الأخذ والغرم . والثالث الضريب ويسمى الرقيب وفيه ثلاثة حزوز وله ثلاثة أنصباء . والرابع الحلس وفيه أربعة حزوز وله أربعة أنصباء . والخامس النافس وفيه خمسة حزوز وله خمسة أنصباء . والسادس المسبل ويسمى المصفح أيضا وفيه ستة حزوز وله ستة أنصباء. والسابع المعلى وفيه سبعة حزوز وله سبعة أنصباء وهو أوفرها حظا ولذلك يضرب به المثل فى الحظ فيقال قدحه المعلى

وأما الاربعة التى تنفل بها القداح فهى السفيح والمنيح والمضعف والوغد وكان طريقهم فى ذلك أن القوم يجتمعون فيشترون جزورا فينحرونها ويفصلونها على عشرة أجزاء ويستهمون فيها على سبعة انصباء لا أكثر وتسمى الانصباء فيها الايسار فان كانوا أقل من سبعة وأراد أحدهم قدحين أو أكثر أخذ وكان له فوزتها وعليه غرمها فاذا جزؤا الجزور على ذلك أتوا برجل يسمونه الحوصة من شأنه انه لم يأكل لحما قط بثمن ويؤتى بالقداح فتشد مجموعة فى قطعة جلد تسمى الذبابة ثم يلف الحوصة على يده اليمنى ثوبا لئلا تجد مس قدح له مع صاحبه هوى فيحابيه فى اخراجه ثم يؤتى بثوب أبيض يسمى المجول فيبسط بين يدى الحوصة ويقوم على رأسه رجل يسمى الرقيب ويدفع ذبابة القداح الى الحوصة وهو محول الوجه عنها فيأخذ الذبابة التى تجمع فيها القداح ويدخل يده تحت الثوب فينكر القداح واذا نهد فيها قدح يناوله دفعة الى الرقيب فان كان مما لاحظ له رد الى الذبابة فان خرج بعده المسبل مثلا أخذ الثلاثة الباقية وغرم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور آخر وعلى ذلك أبدا يفعل بمن فاز ومن خاب فربما نحروا عدة جزر ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئا وانما الغرم على الذين خابوا وكان عندهم انه لا يحل للخائبين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا فان فاز قدح الرجل فأرادوا أن يعيدوا قدحه ثانية على خطا فعلوا ذلك به وقد نظم الصاحب اسماعيل ابن عباد أسماء القداح التى لها النصيب فوزا وغرما فى أبيات فقال

ان القداح أمرها عجيب * الفذ والتوأم والرقيب
والحلس ثم النافس المصيب * والمصفح المشتهر النجيب
ثم المعلى حظه الرغيب * هاك فقدجاء بها الترتيب

ومنها الازلام وهى ضرب من الطيرة كانوا اذا أرادوا فعل أمر ولا يدرون ما الامر فيه أخذوا قداحا مكتوبا على بعضها افعل لا تفعل وعلى بعضها نعم وعلى بعضها لا وعلى بعضها خذ وعلى بعضها سر وعلى بعضها سر يع فاذا أراد أحدهم سفرا مثلا أتى سادن الاوثان فيضرب له بتلك القداح ويقول اللهم أيها ان كان خيرا له فاخرجه فما اخرج له عمل به واذا شكوا فى نسب الرجل أجالوا القداح وفى بعضها مكتوب صريح وفى بعضها مكتوب ملحق فان خرج الصريح أثبتوا نسبه وان خرج الملحق نفوه وان كان بين اثنين اختلاف فى حق سمى كل منهما له سهما وأجالوا القداح

فمن خرج سهمه فالحق له وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله (وان تستقسموا بالازلام) . ومنها البحيرة والسائبة والوصيلة والحام . فاما البحيرة فكانت الناقة اذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس منها مالم يكن ذكرا فشقوا اذنها وتركوها فلا يجز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر عليها ان ذكيت اسم الله تعالى وتكون ألبانها للرجال دون النساء . وأما السائبة فكان الرجل يسيب الشيء من ماله بهيمة أو عبدا فيكون حراما أبدا وتكون منافع ذلك للرجال دون النساء . وأما الوصيلة فكانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن عمدوا الى السابع فان كان ذكرا ذبح وان كان انثى تركت في الغنم وان كان ذكرا وأنثى قيل وصلت أخاها فحرما جميعا وكانت منافعهما ولبن الانثى منهما للرجال دون النساء . وأما الحام فكان الفحل اذا صار من أولاده عشرة أبطن قالوا حمي ظهره فيترك ولا يحمل عليه شيء ولا يركب ولا يمنع ماء ولا مرعى وقد أخبر الله تعالى ببطلان ذلك بقوله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) . ومنها اعلاق الظهر كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عمد الى البعير الذي كملت به مائة فأعلق ظهره بأن ينزع شيأ من فقرته ويعقر سنامه كي لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد أمأت . ومنها التفقئة والتعمية كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا فقأ عين الفحل وهي التفقئة فان زادت على ذلك فقأ العين الاخرى وهي التعمية ويزعمون ان ذلك يدفع العين عن الابل قال الشاعر

وهبتها وأنت ذو امتنان * تفقأ فيها أعين البعران

ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة الاب وكان من شأنهم فيه ان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له منها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد فكانوا يتوارثون النكاح كما يرثون المال فانزل الله تعالى (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) وحرم زوجة الاب بقوله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) ومن ثم سمي نكاح المقت . ومنها رمي البعرة كانت المرأة في الجاهلية اذا مات زوجها دخلت حفشا يعني خصا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمضي عليها سنة ثم يؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به أي تتمسح به فقل ما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج بعد ذلك فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع ما شاءت من طيب أو غيره فنسخ الاسلام ذلك بقوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا) ومنها وأد البنات وهو قتلهن كانوا يقتلونهن خشية العار وممن فعل ذلك قيس بن عاصم المنقري وكان من وجوه قومه ومن ذوي المال وكان سبب ذلك ان النعمان بن المنذر أغزاهم جيشا فسبوا ذراريهم فاناب القوم وسألوه فيهم فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وكل من اختارت صاحبها تركت معه فكلهن اخترن آباءهن الا ابنة لقيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن الجموح فنذر قيس انه لا يولد له ابنة الا قتلها

فكان يقتلهن بعد ذلك وورد القرآن باعظام ذلك بقوله (واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت) . ومنها قتل الاولاد خشية الاملاق والفاقة فكان الرجل منهم يقتل ولده مخافة ان يطعم معه الى أن نهى الله تعالى عن ذلك بقوله (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا) . ومنها حبس البلايا كانوا اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره ويقبلون برأسها الى ورائها ويغطون رأسها بولية وهى البردة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه فى المعاد ليركبها قال أبو زبيد

كالبلايا رؤسها فى الولايا * مانحات السموم حر الخدود

ومنها الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يطالب بثاره خرج من رأسه طائر يسمى الهامة وصاح اسقونى اسقونى حتى يطالب بثاره قال ذو الاصبع

ياعمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى * أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

ومنها تأخير البكاء على المقتول للاخذ بثاره كان النساء لا يبكين المقتول منهم حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ به بكينه حينئذ قال الشاعر

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * يلطمن حر الوجه بالاسحار

ومنها تصفيق الضال كان الرجل منهم اذا ضل فى الفلاة قلب ثيابه وحبس ناقته وصاح فى أذنها كأنه يومئ الى انسان وصفق بيديه قائلا الوحا الوحا النجا النجا هيكل الساعة الساعة الىّ الىّ عجل ثم يحرك ناقته فيزعمون أنها تهتدى الى الطريق حينئذ قال الشاعر

وآذن بالتصفيق من ساء ظنه * فلم يدر من أىّ اليدين جوابها

يريد اذا ساء ظنه بنفسه حين يضل . ومنها الغول كانوا يزعمون أن الغول يتراآى لأحدهم فى الفلاة فيتبعها فتستهويه وربما ادعى أحدهم أنه قابلها وقاتلها قال تأبط شرا

ألا من مخبر فتيان فهم * بما لاقيت عند رحا بطان
بأنى قد لقيت الغول تهوى * بسيف كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو أرض * أخو سفر فخلى لى مكانى
فشدت شدة نحوى فأهوت * لها كفى بمصقول يمانى
فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

ومنها ضرب الثور ليشرب البقر كانوا يزعمون أن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب فيضربون الثور ليشرب البقر قال الشاعر

كذلك الثور يضرب بالهوادى * اذا ما عافت البقر الظماء

ومنها تعليق سن الثعلب وسن الهرة وحيض السمرة كانوا يزعمون أن الصبي اذا خيف عليه نظرة أو خطفة فعلق عليه شئ من ذلك سلم من آفته وأن الجنية اذا أرادته لم تقدر عليه قالت امرأة تصف ولدا

كانت عليه سنة من هرة * وثعلب والحيض حيض السمرة

ومنها تعليق كعب الارنب كانوا يعلقونه على أنفسهم ويزعمون أنه وقاية من العين والسحر قائلين ان الجن تنفر من الارنب لكونها تحيض قال الشاعر

ولا ينفع التعشير ان حم واقع * ولا ودع يغني ولا كعب أرنب

ومنها تعليق الحلى على السليم وهو الملسوع كانوا اذا لسع فيهم انسان علقوا عليه الحلى من الاساور وغيرها ويتركونه سبعة أيام ويمنع من النوم فيفيق قال النابغة

يسهد من وقت العشاء سليمها * لحلى النساء في يديه قعاقع

ومنها وطء المقاليت القتلى كانوا يزعمون أن المرأة المقلات وهي التي لا يعيش لها ولد اذا وطئت قتيلا شريفا بقي أولادها قال بشر بن أبي حازم

يظل مقاليت النساء يطأنه * يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

ومنها مسح الطارف عين المطروف كانوا يزعمون ان الرجل اذا طرف عين صاحبه فهاجت فمسح الطارف عين المطروف سبع مرات يقول في كل مرة باحدى جاءت من المدينة باثنين جاءت من المدينة بثلاث جئن من المدينة الى سبع سكن هيجانها . ومنها كي السليم من الابل ليبرأ الجرب منها كانوا يزعمون أن الابل اذا أصابها عر وهو الجرب فكووا صحيحا الى جانبه ليشم رائحته برئ وربما زعموا أنه يؤمن معه العدوى قال النابغة

وكلفتني ذنب امرئ وتركته * كذى العر يكوى غيره وهو راتع

ومنها اذهاب الخدر من الرجل كانوا يقولون ان الرجل اذا خدرت رجله فذكر أحب الناس اليه ذهب عنه الخدر قالت امرأة من كلاب

اذا خدرت رجلي ذكرت ابن مصعب * فان قلت عبد الله أجلى فتورها

ومنها الحلى عن الصبيان بجباية الحي واطعامه الكلاب كانوا يرون أن الفتى اذا ظهر فيه الحلى بشفته وهي بثور تنبت بالشفة فيأخذ نخلا على رأسه ويمر بين بيوت الحي وينادي الحلى الحلى فيلقى في نخله من هنا تمرة ومن هنا كسرة ومن هنا قطعة لحم واذا امتلأ نثره بين الكلاب فيذهب عنه الحلى . ومنها شق الرداء والبرقع لدوام المحبة زعموا أن المرأة اذا أحبت رجلا أو أحبها ولم تشق عليه رداءه ويشق عليها برقعها فسد حبهما قال الشاعر

اذا شق برد شق بالبرد برقع * دواليك حتى كلنا غير لابس
فكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس

ومنها رمى سن الصبى الثغر فى الشمس يقولون ان الغلام اذا أثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلينى بها أحسن منها أمن على اسنانه العوج والفلج والنغل قال طرفة

بدلته الشمس من منبته * بردا أبيض مصقول الاشر

ومنها التعشير زعموا أن الرجل اذا أراد دخول قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشر كما ينهق الحمار ثم دخلها لم يصبه وباؤها قال عروة بن الورد

لعمرى لئن عشرت من خشية الردى * نهاق حمير انى لجزوع

ومنها عقد الرتم وهو نبت معروف كان الرجل اذا أراد سفرا عمد الى الرتم يعقده فان رجع ورآه معقودا اعتقد أن امرأته لم تخنه وان رآه محلولا اعتقد أنها خانته قال الشاعر

خانته لما رأت شيبا بمفرقه * وغره حلفها والعقد للرتم

ومنها اعتبار دائرة المهقوع وهى دائرة تكون فى عنق الفرس يقال لها الهقعة على ما يأتى ذكره فى الكلام على الخيل فى الطرف الآتى كانوا يزعمون أن الفرس المهقوع اذا عرق تحت صاحبه اغتلمت حليلته وطلبت الرجال قال الشاعر

اذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت * حليلته وازداد حر اعجانها

ومنها خضاب نحر الفرس السابق كان من عادتهم اذا أرسلوا خيلا على صيد فسبق أحدها خضبوا صدره بدم الصيد علامة له قال الشاعر

كأن دماء العاديات بنحره * عصارة حناء بشيب مرجل

ومنها جز ناصية الاسير كانوا اذا أسروا رجلا ثم منوا عليه فأطلقوه جزوا ناصيته ووضعوها فى كنانة قالت الخنساء

جززنا نواصى فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا تجزا

النوع الخامس عشر
(فى معرفة عادات العرب وهى صنفان)

الصنف الاول
(نيران العرب)

قد ذكر أبو هلال العسكرى فى كتابه الاوائل للعرب ثلاث عشرة نارا . الاولى نار المزدلفة وهى نار توقد بالمزدلفة من مشاعر الحج ليراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصى بن كلاب

فهى توقد الى الآن . الثانية نار الاستمطار كانوا فى الجاهلية الاولى اذا احتبس المطر جمعوا البقر وعقدوا فى أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ويصعدون بها فى الجبل الوعر ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر قال الشاعر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة * وسيلة منك بين الله والمطر

الثالثة نار الحلف كانوا اذا أرادوا عقد حلف أوقدوا النار وعقدوا الحلف عندها ويذكرون خيرها ويدعون بالحرمان من خيرها على من نقض العهد وحل العقد قال العسكرى وانما كانوا يخصون النار بذلك لان منفعتها تختص بالانسان لا يشاركه فيها شئ من الحيوان غيره . الرابعة نار الطرد وهى نار كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يحبون رجوعه . الخامسة نار الحرب كانوا اذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا أوقدوا نارا على جبلهم ليبلغ الخبر أصحابهم . السادسة نار الحرتين كانت فى بلاد عبس فاذا كان الليل تضىء نارا تسطع وفى النهار دخان مرتفع وربما بدر منها عنق فأحرق من مر بها فحفر خالد بن سنان النبى فدفنها فكانت معجزة له . السابعة نار السعالى ترفع للمتقفر فيتبعها فتهوى به الغول على زعمهم كما تقدم فى الكلام على أوابد العرب . الثامنة نار الصيد وهى نار توقد للظباء تغشاها اذا نظرت اليها . التاسعة نار الاسد وهى نار توقد اذا خافوا الاسد لينفر عنهم فان من شأنه النفار عن النار يقال انه اذا رأى النار حدث له فكر يصده عن قصده . العاشرة نار القرى وهى نار توقد ليلا ليراها الاضياف فيهتدوا اليها . الحادية عشرة نار السليم وهو الملسوع كانوا يوقدون النار للملسوع اذا لدغ يساهرونه بها وكذلك المجروح اذا نزف دمه والمضروب بالسياط ومن عضه الكلب كى لا يناموا فيشتد الامر بهم فيؤديهم الى الهلكة . الثانيــة عشرة نار الفداء كان الملوك منهم اذا أسروا نساء قبيلة خرجت اليهم السادة منهم للفداء أو الاستيهاب فيكرهون أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن أو فى الظلمة فيخفى قدر ما يحبسونه لانفسهم من الصفى فيوقدون النار لعرضهن . الثالثة عشرة نار الوسم وهى النار يسم بها الرجل منهم ابله فيقال له ما سمة ابلك فيقول كذا

الصنف الثـانى

(أسواق العرب المعروفة فيما قبل الاسلام)

قد كان للعرب أسواق يقيمونها فى شهور السنة وينتقلون من بعضها الى بعض ويحضرها سائر قبائل العرب ممن قرب منهم وبعد . فكانوا ينزلون دومة الجندل أول يوم من ربيع الاول فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء والأخذ والعطاء وكان يعشوهم فيها اكيدر دومة وهو ملكها وربما غلب على السوق كلب فيعشوهم بعض رؤساء كلب فيقوم سوقهم هنالك الى آخر الشهر . ثم ينتقلون

الى سوق هجر من البحرين فى شهر ربيع الآخر فتكون أسواقهم بها وكان يعشوهم فى هذا السوق المنذر بن ساوى آخو بنى عبد الله بن دارم وهو ملك البحرين . ثم يرتحلون نحو عمان من البحرين أيضا فتقوم سوقهم بها . ثم يرتحلون فينزلون ارم وقرى الشحر من اليمن فتقوم أسواقهم بها أياما . ثم يرتحلون فينزلون عدن من اليمن أيضا فيشترون منه اللطائم وأنواع الطيب . ثم يرتحلون فينزلون حضرموت من بلاد اليمن ومنهم من يجوزها فيرد صنعاء فتقوم أسواقهم بها و يجلبون منها الخرز والأدم والبرود وكانت تجلب اليها من معافر . ثم يرتحلون الى عكاظ فى الاشهر الحرم فتقوم أسواقهم ويتناشدون الاشعار و يتحاجون ومن له أسير سعى فى فدائه ومن له حكومة ارتفع الى من له الحكومة وكان الذى يقوم بأمر الحكومة فيها من بنى تميم وكان آخر من قام بها منهم الأقرع ابن حابس التميمى . ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج . ثم يرجعون الى أوطانهم قد حصلوا على الغنيمة وآبوا بالسلامة

النوع السادس عشر

(النظر فى كتب التاريخ والمعرفة بالاحوال)

اعلم أن الكاتب يحتاج الى معرفة وقائع التاريخ وتفاصيلها ولا يكاد يستغنى عن العلم بشئ منها لامور . منها العلم بأزمنة الوقائع والماجريات وأحوال الملوك والاعيان والحوادث والماجريات الحاصلة بينهم فيحتج بكل واقعة منها فى موضعها ويستشهد بها فيما يلائمها و يحتج لمثل ذلك فانه متى أخل بمعرفة ذلك احتج بالقصة فى غير موضعها أو نسبها الى غير من هى له أو لبس عليه خصمه بالاستشهاد بواقعة لا حقيقة لها أو نسبها الى غير من هى له ليظهر حجته عليه وما يجرى مجرى ذلك وفيه مقصدان

المقصد الاول

(فى ذكر نبذة تاريخية لا يسع الكاتب جهلها مما يحتج به الكاتب تارة ويذاكر به ملكه أو رئيسه أخرى)

اعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له وقد أكثر الناس فيه من التصنيف على اختلاف فنونه ما بين مختصر ومبسوط من مقتصر على فن ومستوعب لفنون وفى خلال تلك المصنفات نوادر غريبة ولطائف عجيبة لا يحصل الوقوف عليها الا بعد استيعابها بالمطالعة كما لا يقع الظفر بالجوهرة فى المعدن الا بعد عمل كثير يحصل فى خلالها بغتة واذا التقطت الجواهر من المعدن سهل تناولها لمريدها وهى على ضربين

الضرب الاول

(الاوائل)

وهى معرفة مبادئ الامور المهمة وقد أفردها أبو هلال العسكرى بالتصنيف وأورد الثعالبى منها فى كتابه لطائف المعارف نبـذة صالحة وتضمنت كتب التاريخ منها جملة مما لم يتعرض اليـه وقد اقتصرت منهـا على ما تتشوّف نفوس أكثر النـاس الى معرفتـه والاطلاع عليـه مما توفرت الدواعى عليه فاستمر وجوده وانسحب عليه حكم الاستعمال الى الآن واشتهر فى مبدإ أمره ثم زال بعد ذلك جاريا فى ترتيبه على وجه يقرب تناوله مقدما الأهم فالأهم بالنسبة الى حال الكاتب

(أمور تتعلق بالانبياء عليهم السلام سوى ما يأتى ذكره مما شاكل غيره)

أوّل من استرق الرقيق ادريس عليـه السلام . أوّل من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام وهو أوّل من قص شاربه وأوّل من فرق شعره وأوّل من تمضمض وأوّل من استاك وأوّل من قلم الاظفار وأوّل من استنجى وأوّل من اختتن وأوّل من رمى الجمار

(الخلافة وما يتعلق بها)

أوّل من سمى خليفة أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه حين ولى الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يخاطب بخليفة رسول الله وسيأتى ذكره فى الكلام على الالقاب فى المقالة الثالثة ان شاء الله تعالى وهو أوّل من استخلف من الخلفاء استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مرض موته وسيأتى ذكره فى الكلام على ولاية الخلفاء فى المقالة الخامسة . وهو أوّل خليفة فرض له العطاء فى بيت المال عن الخلافة ولما أدركتـه الوفاة أوصى باعادة جميع ما حمل اليه من ذلك الى بيت المال من ماله . أوّل من سمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه وسيأتى ذكره فى الكلام على هـذا اللقب فى جملة الالقاب فى المقالة الثالثـة وهو أوّل من رتب بيت المال فيما ذكره العسكرى لكنه قد ذكر فى موضع آخر أن عمر كان على بيت المال من قبل أبى بكر رضى الله عنه فيكون أبو بكر قد سبقه الى ذلك وسيأتى ذكره فى الكلام على وكالة بيت المال فى المقالة الخامسـة وهو أوّل من كوّر الكور ومسح أرض السواد ورتب الخراج على الارضين والجزية على الجماجم وهو أوّل من حمل الطعام من مصر الى الحجاز وذلك فى عام الزيادة عند غلو السعر بالحجاز وسيأتى ذكره فى الكلام على خليج القاهرة فى أوائل المسالك والممالك . أوّل من أقطع القطـائع من الخلفاء أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وسيأتى ذكره فى الكلام على الاقطاعات فى المقالة السادسـة وهو أوّل من حمى الحمى لنعم الصدقة من الخلفاء وهو أوّل من اتخذ صاحب شرطة من الخلفاء . أوّل من اتخذ بيتا ترمى فيه قصص أهل الظلامات

أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه و بقى حتى كتب له شتمه فى رقعة وطرحت فى البيت فتركه ثم اتخذه المهدى بعده ثم ترك بعد ذلك . أول من سلم عليه بالخلافة فقيل السلام عليك يا أمير المؤمنين معاوية وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم وهو أول من عهد الى ابنه بالخلافة عهد بها الى ابنه يزيد ثم تبعه الكثير من الخلفاء على ذلك وهو أول من استخلف فى حال صحته والا فأبو بكر لم يستخلف عمر الا فى مرض موته وعمر لم يجعل الامر شورى الا وهو مطعون وسيأتى ذكر ذلك جميعه فى الكلام على ولاية الخلفاء فى المقالة الخامسة وهو أول من اتخذ المقصورة فى المسجد لصلاة الجمعة وقيل اتخذها مروان قبله وقيل عثمان وهو أول من نهى عن الكلام بحضرته من الخلفاء وكان الناس قبل ذلك يردون على الخليفة ويعترضونه فيما يقول وهو أول من اتخذ ديوان الخاتم لختم الكتب وسيأتى ذكره فى الكلام على اللواحق من المقالة الثالثة وهو أول من اتخذ البريد فى الاسلام وسيأتى ذكره فى الكلام على البريد فى خاتمة الكتاب . أول من سار فى الناس بالجبرية من الخلفاء وأمر أن لا يخاطب باسمه كما يخاطب الخلفاء قبله الوليد بن عبد الملك فاتفق أن خالف رجل فخاطبه باسمه فأمر به فوطئ . أول من رتب مراتب الخلافة وأقام حاجبا للاستئذان عليه أبو جعفر المنصور واتخذ فى قصره بيتا يجلس فيه الناس حتى يؤذن لهم وهو أول من اتخذ الاتراك اتخذ حمادا التركى ثم اتخذ المهدى بعده مباركا التركى ثم أكثر الخلفاء من الاتراك بعد ذلك . أول من جلس للمصائب من الخلفاء على البساط دون الانماط هارون الرشيد حين نعى اليه قريبه ابراهيم بن على واتخذ الخلفاء ذلك دأبا فى المآتم . أول من نعت على المنبر بنعت الخلافة الامين بن الرشيد فقيل اللهم واصلح عبدك وخليفتك عبد الله محمدا الامين . أول من أضيف لقبه من الخلفاء الى اسم الله المعتصم فقيل المعتصم بالله ثم تبعه الخلفاء على ذلك وسيأتى ذكره فى الكلام على الخلفاء فى المقالة الثانية . أول من حول السنة الشمسية الى السنة القمرية وأقر النيروز المتوكل وسيأتى ذكره فى تحويل السنين فى المقالة السابعة وهو أول من أمر بتغيير زى أهل الذمة وسيأتى ذكره فى الكلام على عقد الصلح لأهل الذمة فى المقالة السابعة

(أمور تتعلق بالملوك والامراء)

أول من لبس التاج الضحاك أحد ملوك الفرس وهو النمروذ فيما يقال وفى زمنه كان ابراهيم الخليل عليه السلام . أول من مسح الارضين ووضع الدواوين ووضع الخراج على الارضين ووظف الموظفات على البلاد قيداد أحد ملوك الفرس واتخذ لذلك ديوانا وسماه ديوان العدل . أول من جلس على السرير من ملوك العرب جذيمة الابرش وهو أول من وقعت له السمعة من ملوك العرب وأول من لبس الطوق منهم . أول من مشت الرجال معه وهو راكب الاشعث

ابن قيس كانت بنو عمرو بن معاوية ملكوه عليهم وتوجوه . أول من مشى بين يديه بالأعمدة الحديد زياد بن أبيه وهو أول من جلس الناس بين يديه على الكراسي وهو أول من اتخذ العسس والحرس . أول من سلم عليه بالامرة المغيرة بن شعبة فقيل السلام عليك أيها الامير وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم ثم تبعه الامراء على ذلك . أول من حمل اليه الثلج الحجاج بن يوسف وسيأتى ذكره فى الكلام على حمل الثلج لصاحب الديار المصرية فى خاتمة الكتاب . أول من نقش اسمه من الملوك على الدنانير والدراهم مع الخلفاء عز الدولة بن بويه واخوته ملوك الديلم القائمين على الخلفاء العباسيين ببغداد فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ثم تبعهم الملوك على ذلك . أول من حمل السنجق على رأسه من الملوك غازى بن زنكى صاحب الموصل وهو أول من اختار الاجناد أن يركبوا بالسيوف فى أوساطهم والدبابيس تحت ركبهم . أول من حمل الشمعة على البغال فى الليل من ملوك الديار المصرية محمد بن طغج الاخشيد وكانت الشمعة تجعل على مؤخر البغل وفراش راكب أمامها وهو يلتفت فى كل قليل يصلحها فأبدلها الملوك بعده بهذه الفوانيس التى تحمل على البغال مع الفانوسية أمام ملوك الديار المصرية فى الليل . أول من لقب من وزراء الفاطميين بالديار المصرية بالملك فلان رضوان بن ولخشى وزير الحافظ لقب بالملك الافضل وكان من قبله من الوزراء لا ينعت بالملك . أول من لف العمامة على الكلوتة من ملوك الديار المصرية الاشرف خليل بن قلاون وكانت ملوك بنى أيوب يلبسون كلوتة صفراء بغير عمامة ولذلك تراهم يطلقون على أرباب الاقلام المتعممين فى مقابلة أن الجند كانوا بغير عمائم . أول من اعتاد حلق رأسه من ملوك الديار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاون حين حج وتبعه الامراء والجند على ذلك واستمر الامر على ذلك الى الآن وكان لهم قبل ذلك غدائر شعر مرسلة كعرب الحجاز ونحوهم

(الوزراء)

أول من سمى وزيرا فى الاسلام أحمد بن سليمان الخلال وزير السفاح أول خلفاء بنى العباس ثم تبعه وزراء الخلفاء والملوك على ذلك وكانوا قبل ذلك يقولون كاتبا . أول من لقب بالصاحب من الوزراء كافى الكفاة اسماعيل بن عباد وكان السبب فى ذلك أنه كان يصحب الاستاذ ابن العميد فكانوا يقولون صاحب ابن العميد ثم غلب عليه اللقب حتى قيل له الصاحب مجردا وتبعه الوزراء على ذلك وسيأتى ذكره فى الكلام على هذا اللقب فى المقالة الثالثة . أول من لقب بالملك الفلانى من وزراء الفاطميين بالديار المصرية رضوان بن ولخشى وزير الحافظ لقب الملك الأفضل ثم صار رسما لوزرائهم بعد ذلك وتبعهم ملوك الديار المصرية على ذلك الى الآن

(القضاة)

أول قاض كان في الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه استقضاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه في خلافته فمكث سنة لا يأتيه أحد في قضية . أول قاض بالمدينة النبوية عبد الله بن نوفل استقضاه عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته . أول قاض بالكوفة جبير بن القشم . أول قاض بالبصرة أبو مريم الحنفي أحد بني حنيفة استقضاه أميرها عروة ابن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة . أول قاض بمصر قيس بن أبي العاص السهمى استقضاه عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . أول قاض جمع له القضاء والشرطة بمصر عابس بن سعيد وليهما من قبل أميرها مسلمة بن مخلد . أول قاض بمصر نظر في الاحباس يعني الاوقاف بمصر أبو محجن توبة في خلافة هشام بن عبد الملك وكانت الاوقاف قبل ذلك بيد أربابها أو أوصيائهم فقال هذه مآلها الى الفقراء والمساكين فأنا أضع يدى عليها فما مضت له سنة حتى صار لها ديوان عظيم . أول قاض بمصر خرج لرؤية الهلال عبد الله بن لهيعة قال أبو عمر الكندى وهو أول قاض ولى مصر عن خليفة وليها عن أبي جعفر المنصور في أول سنة خمس وخمسين ومائة . أول قاض ولى مصر ممن يقول بقول أبي حنيفة أبو الفضل اسماعيل بن اليسع الكندى وكان أهل مصر قبله لم يعرفوا مذهب أبي حنيفة ولم يألفوه وكان يرى بطلان الاوقاف فكتب الليث فيه الى أبي جعفر المنصور فكتب اليه بعزله . أول قاض بمصر أدخل النصارى في خصوماتهم الى المسجد أبو عبد الرحمن محمد بن مسروق وكانت ولايته لها من قبل الرشيد في سنة سبع وسبعين ومائة وهو أول من اتخذ لمجلسه الشهود من قضاة مصر . أول قاض ولى مصر ممن يقول بقول مالك أبو نعيم اسحاق بن الفرات مولى معاوية بن خديج وللشافعي عليه ثناء جميل في معرفة الخلاف وهو أول قاض اتخذ للشهود ديوانا وكتب اسماءهم فيه وكانت ولايته من قبل الرشيد في سنة بضع وثمانين ومائة . أول قاض ولى على المصاحف أمينا بجامع الفسطاط الحارث بن مسكين وكانت ولايته في خلافة المتوكل . أول ما استقرت قضاة الديار المصرية أربعة من كل مذهب قاض في سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى وذلك ان القضاء بها كان بيد القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز وكان شافعيا فكانت تأتيه المكاتيب المخالفة لمذهبه فيتوقف فيها فشق ذلك على السلطان والامراء فاتفق رأيهم على أن يجعلوا من كل مذهب قاضيا ليقضى كل منهم بمذهبه . أول ما خص قاضى القضاة الشافعى بالديار المصرية بالتولية في أعمالها دون رفقته الثلاثة في سلطنة المنصور قلاون في شوال سنة ثمان وسبعين وستمائة ذكره ابن المكرم في تذكرته

(الامور العلميـــة)

أول من أخطأ فى القيـاس ابليس حيث قال أناخير منـــه خلقتنى من نار وخلقته من طين ولم يعلم ان ماألقى الى جوهر الطين زادونما وماألقى الى جوهر النار اضمحل وتلاشى . أول من نطق بالحكمة انوش بن شيث بن آدم عليـه السـلام . أول من دل على تركيب الافلاك وقدر مسير الكواكب وكشف عن أحوال تأثيراتها ونبه على عجائب الصـنع فيها ادريس عليه السلام . أول من نظر فى الطب افريدون ملك الفرس بعـد الضحاك وفى أيامه ظهرت الفلاسفة وتكلموا فى علومهم . أول من وضع النحو أبو الاسود الدؤلى بأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أول من نقط المصاحف النقط الاول على الاعراب . أول من صنف فى علم الكلام واصل بن عطاء المعتزلى . أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وغيرها من كتب العلوم الفلسفـية خالد بن يزيد ثم تلاه المأمون فأكثر من ذلك . أول من صـنف فى غريب القرآن أبو عبيدة معمر ابن المثنى . أول من صنف فى أصول الفقه الامام الشافعى رضى الله عنه صنف فيه كتابه الرسالة . أول من صنف فى الفقه مالك بن أنس صنف كتابه الموطأ . أول من عمل العروض الخليل بن أحمد وهو أول من صنف اللغـة مرتبة على حروف المعجم صنف كتابه العين . أول من صـنف فى علم البديع عبد الله بن المعتز . أول من سن الاساءة والاجتراء فى البحث فرعون بيناهو وموسى عليه السـلام فى مقام المناظرة حيث قال ومارب العالمين فاجابه موسى بقوله رب السموات والارض ومابينهما ان كنتم موقنـين الى آخر المناظرة بينهما اذقال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين

(الخطابة)

أول من جمع قريشا وخطبهم ونبه على أن النبى صلى الله عليه وسلم منهم قصى بن كلاب وسيأتى ذكره فى الكلام على مكة فى المسالك والممالك فى المقالة الثانية . أول من خطب على العصى وعلى الراحلة قس بن ساعدة الايادى وقد تقـدم ذكر خطبته التى خطبها على الراحلة فى الكلام على الخطب . أول من عمل المنبر تميم الدارى عمله للنبى صلى الله عليه وسلم وكان قد رأى منابر الكنائس بالشام . أول من أرتج عليه فى الخطبة عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال أيها الناس ان الذين كانا من قبلى كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام قائل وستأتيكم الخطبة على وجهها فى الجمعـة الاخرى ثم نزل . أول من خطب جالسا معاوية حين كثر شحمه . أول من أقام الجمعة بالمدينة قبـل مقدم النبى صلى الله عليه وسـلم أسعد بن زرارة الانصارى ببنى بياضة . أول من رفع يده فى الخطبة يوم الجمعة عبيد الله بن عبد الله بن عمر . أول من أخرج المنبر فى العيد مروان بن الحكم ولم يكن قبل ذلك يخرج

(الخـــط)

أول من خط بالقلم فى الجملة قيـل آدم عليه السـلام وقيل ادريس . أول من كتب بالعربية قيل هود عليه السـلام أنزل عليه وقيل اسماعيل وقيل ثلاث نفر من بولان من طى اصطلحوا على ذلك وسيأتى ذكره فى الكلام على الخط فى الباب الثانى من هذه المقالة

(كتابة الانشاء)

أول من كتب فى أول الكتب بسم الله الرحمن الرحيم سليمان عليه السلام حين كتب لبلقيس كما أخبر الله تعالى عنه بقوله (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) ثم كتبها النبى صلى الله عليـه وسلم لما نزلت . أول من كتب فى أول الكتب باسمك اللهم امية بن أبى الصلت فكتبها قريش فى كتبهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكتبها فى ابتداء الامر وسيأتى ذكر جميع ذلك فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة . أول من كتب من فلان الى فلان قس بن ساعدة فيما قاله العسكرى وأقره النبى صلى الله عليه وسلم فى مكاتباته وسـيأتى ذكره فى الكلام على الفواتح فى المقالة الثالثة . أول من زاد فى أوائل الكتب بعد التحميد وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله هارون الرشيد وسيأتى ذكره فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة . أول من أرخ بالهجرة أمير المومنين عمر رضى الله عنه وسيأتى ذكره فى الكلام على الخواتم فى المقالة الثالثة . أول من كتب فى آخر كتابه وكتب فلان ابن فلان أبى بن كعب قاله العسكرى . أول من ختم الكتب سليمان عليه السلام فقد قيل فى قوله تعالى حكاية عن بلقيس (إنى ألقى الى كتاب كريم) ان المراد به المختوم . وأول من ختمها فى الاسلام النبى صلى الله عليه وسلم حين قيـل له ان ملوك الاعاجم لا يقرؤن كتابا غير مختوم فاتخذ خاتما نقش فصه محمد رسول الله فكان يختم به الكتب وسيأتى ذكر ذلك فى الكلام على الخواتم . أول من اتخذ الطين لختم الكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاله الثعالبى فى لطائف المعارف . أول من اتخذ ديوان الخاتم معاوية بن أبى سـفيان حين كتب لرجل بمائة ألف درهم ففك الكتاب فأصلحها مائتين قاله الثعالبى فى لطائف المعارف

(كتابة الاموال وما فى معناها)

أول من اتخذ الديوان فى الاسـلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع ديوان الجيوش وسيأتى ذكره فى الكلام على الاقطاعات فى المقالة السادسة . أول من جعل الحساب فى دفاتر خالد بن برمك فيما قاله الثعالبى وكان قبـل ذلك فى ادراج من كاغد ورق . أول من نقـل ديوان العراق من الفارسية الى العربية الحجاج بن يوسف فى خلافة عبد الملك بن مروان نقله له صالح بن عبد الرحمن كاتب كاتبـه زادان فروح فكان بكار العراقيين علماء وتلاميـذ . أول من نقل ديوان الشام

من الرومية الى العربية عبد الملك بن مروان نقله له سليمان بن سعيد مولى الحسين كاتب رسائل عبد الملك فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام . أول من نقل ديوان مصر من القبطية الى العربيـة عبد العزيز بن مروان فى امارته على مصر ذكره صاحب المنهاج فى صنعة الخراج . أول من وسع فى أرزاق الكتاب الفضل بن سهل وزير المأمون

(الخراج والجزية)

أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة كسرى أنوشروان وذلك أنه مر على زرع وامرأة تمنع ولدها منه فسألها عن ذلك فقالت ان للملك فيـه حقا ولا نستحله حتى يأخذ الملك حقـه فقرر على الزرع قدرا معلوما وخلى بين الغـلة وأصحابها . أول من وضع الخراج على الارضين والجزية على الجماجم فى الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السواد ثم رسم بالمقاسمة أبو جعفر المنصور حين ضرب السواد . أول من الزم الخراج كلفة الحمل ومؤنتـه زياد ابن أبيـه فبقى حتى أسقطه زياد ابن أبيـه(1) . أول من عرف العرفاء على الناس لجباية المال وغيره زياد وكان يقول العرفا كالايدى والمناكب فوقها

(المعـــاملات)

أول من ضرب الدنانير والدراهم فى الاسلام عبد الملك بن مروان ضربها بالشام من فضـة خالصـة وكان النـاس قبل ذلك يتعاملون بدراهم الفرس والروم ولما ضربها عبد الملك كتب الى الحجاج بالعـراق باقامة رسم ذلك فضرب الدراهم ونقش عليها قل هو الله أحد الى آخر السورة فسميت الدراهم الأحدية وكرهها الناس لنقش القرآن عليها مع أنه قد يحملها المحـدث فسميت المكروهة قلت وقد رأيت درهما من هذه الدراهم الأحدية أرانيه بعض أعيان حلب وذكر لى أن فلاحا أصاب ركازا لطيفا بها فأحضره الى نائب حلب خوف عهـدته فأقسمه هو وأهل مجلسـه وعوضه من كل درهم أضعافه فحصـل لوالد ذلك الرئيس هذا الدرهم فوصله اليه بعده . أول من شدد فى العيار فى الدراهم يوسف بن عمر أمر أن لا يضرب درهم بنقص حبة فـا فوقها ثم استخف درهما فوجده ينقص حبة فأمر أن يضرب كل رجل من الضرابين ألف سوط وكانوا مائة ضراب فضرب فى نقص حبة واحدة مائة ألف سوط . أول من شـدد فى خلوص الذهب أحمد بن طولون صاحب مصر والشام وذلك أنه حين وجد الكنز المشهور بعين شمس وأتى له منه بيت وعلى صدره لوح ذهب مكتوب بالقبطية فعرب فاذا فيه أنا أكبر الملوك وذهبى أخلص الذهب فقال قاتل الله من يكون هـذا اللعين أكبر منه أو ذهبه أخلص من ذهبه ثم شـدد فى التعليق حتى كان قاضى القضاة يحضره بنفسـه وسيأتى الكلام على ذلك فى معاملة الديار المصرية فى المقالة الثانيـة .

(1) هكذا بالاصل

أول من ضرب الدراهم الزيوف فى الاسلام عبيد الله بن زياد . أول من اتخذ ألسنة الموازين من الحديد عبد الله بن عامر أمير المدينة من قبل عثمان . أول من عمل الاوزان الحجاج بن يوسف عملها له سمير اليهودى وذلك أن الحجاج حين ضرب الدراهم الاحدية على ما تقدم ضربها سمير اليهودى من فضة خالصة أيضا وجعل فيها ذهبا فأراد الحجاج قتله فقال ألا أدلك على ما هو خير للمسلمين من قتلى قال هاته فوضع الاوزان وزن ألف ووزن خمسمائة ووزن ثلثمائة الى وزن ربع قيراط فجعلها حديدا ونقشها وأتى بها الى الحجاج فعفا عنه وكان الناس قبل ذلك انما يأخذون الدرهم الوازن فيزنون به غيره . أول من اتخذ الذراع الذى يذرع به الارضون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السواد وقيل أول من اتخذها زياد نظر الى ثلاثة نفر من أطولهم ذراعا وأوسطه وأقصره فجمعها وأخذ ثلثها فجعلها ذراعا

(العمارة)

أول بيت وضع فى الارض الكعبة بنتها الملائكة قال تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة) . أول من جعل للكعبة بابا أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام . أول من سقف بمكة سقفا قصى بن كلاب وكان الناس قبل ذلك انما ينزلون فى العريش . أول من بوب بمكة بابا حاطب بن أبى بلتعة . أول من اتخذ بمكة روشنا بديل بن ورقاء الخزاعى وهو أول من بنى بها بيتا مربعا وكانوا قبل ذلك يتحامون التربيع فى البناء كيلا يشبه بناء الكعبة . أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية ثمانين من الجزيرة الفراتية بناها نوح عليه السلام وأنزل بها من كان معه فى السفينة وهم ثمانون رجلا . أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان مدينة منف وأصلها بالسريانية مافه ومعناها ثلاثون سميت باسم جماعة مصر بن بيصر الذين كانوا معه وسيأتى ذكرها فى جملة قواعد مصر القديمة فى المقالة الثانية . أول من عمل الحمام سليمان عليه السلام صنعها له الجن وعملوا له النورة لازالة شعر كان على بلقيس حين تزوجها فيما يقال . أول من اتخذ الآجر هامان لفرعون حيث قال له فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا . أول من بنى بالجص والآجر فى الاسلام زياد بن أبيه بالبصرة

(الزرع)

أول من غرس النخلة أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام

(الصناعات)

أول من خاط الثياب ادريس عليه السلام وكان الناس قبل ذلك يلبسون الجلود . أول من عمل القراطيس يوسف عليه السلام وقيل غيره وسيأتى ذكره فى الكلام على ما يكتب فيه

فى المقالة الثالثة . أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام قاله الثعالبى . أول من عمل الكيمياء قارون ويقال انه المراد بقوله تعالى حكاية عنه (قال انما أوتيته على علم عندى) . أول من عمل الزجاج ملكى أحد ملوك مصر بعد الطوفان وسيأتى ذكره فى الكلام على ملوكها فى المقالة الثانية . أول من اتخذ الرحال علاف بن ربان الحيرى وكانت العرب قبل ذلك يركبون المخاصر . أول من كسى الكعبة فى الجاهلية تبع أسعد أبوكرب . أول من اتخذ المحامل له الحجاج بن يوسف . أول من اتخذ السياط الاصبح بن مالك أحد ملوك اليمن فقيل السياط الاصبحية

(اللبـــــاس)

أول من لبس الثياب الحمر قارون ويقال انه المراد بقوله تعالى (فخرج على قومه فى زينته) وهو أول من أطال ثيابه وسحبها على الارض عجبا وتيها . أول من قور طيلسانا من العرب فى الاسلام عبد الله بن عامر أمير المدينة من قبل عثمان والطيلسان المقور على نحو الطرحة التى يلبسها الوزراء وقضاة القضاة الآن وكانت وزراء الفاطميين يلبسونها وهو أول من لبس الخز فقال أهل المدينة لبس الامير جلد دب . أول ما لبس بنو العباس السواد حين قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ابراهيم بن محمد الامام أول قائم منهم بطلب الخلافة حزنا عليه فاستمر فيهم وفيه كلام يأتى فى المقالة الثانية عند الكلام على لبس الخلفاء . أول من لبس الخفاف الساذجة بالبصرة زياد بن أبيه . أول من احتذى النعال من العرب جذيمة الابرش . أول من خلع نعليه عند دخول الكعبة فى الجاهلية الوليد بن المغيرة . أول من لبس النعال الصرارة المروانى كان قصيرا فاتخذ النعال الغلاظ الصرارة لتزيد فى طوله وليسمعه جواريه وحرمه عند دخول بيته فتصلح شأنها من كانت على غير هيئة صالحة قال العسكرى من ثم اتخذ الناس نعال الخشب يعنى القباقيب . أول من أمر بتغيير زى أهل الذمة المتوكل أمرهم أن يلبسوا العسلى ويتخذوا ركب الخشب ونحو ذلك فيمتازوا عن المسلمين وسيأتى ذكره فى عقد صلح أهل الذمة فى المقالة السابعــة

(الحرب وآلاته)

أول من ركب الخيل اسماعيل عليه السلام وكانت قبله وحوشا لا تركب فراضها وركبها وتعلم بنوه رياضتها منه فصارت فيهم الى الآن ولذلك العرب أعرف الناس بالخيل . وهو أول من ميز بين العتاق منها والهجن فى سهام أصحابها فسبقت العتاق الهجن . أول من اتخذ الدروع ولبسها داود عليه السلام اذ يقول تعالى (وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد) وكانوا قبل ذلك يلبسون تنانير من حديد . أول من اتخذ السلاح وجاهد سليمان عليه السلام فيما قاله

العسكرى وفيه نظر . أول من اتخذ الحديد من العرب ذو يزن الحميرى وكانت أسنتهم قبل ذلك صياصى البقر . أول من اتخذ الحصن من الجبل للكمائن الاسكندر . أول من اتخذ المنجنيق الضحاك حين أراد القاء ابراهيم عليه السلام فى النار وضعه فيه ورمى به فى النار فكانت عليه بردا وسلاما . وأول من اتخذه من العرب جذيمة الابرش . أول من اتخذ الجواسيس والعيون على العدو الاسكندر . أول لواء عقده النبى صلى الله عليه وسلم لواء أبيض لعمه حمزة وقال خذه بأسد الله وذلك فى رمضان من السنة التى هاجر فيها وحمله له يزيد بن أبى يزيد . أول ما عقدت الرايات فى الاسلام يوم حنين عقد صلى الله عليه وسلم راية سوداء من برد عائشة وكانوا قبل ذلك لا يعرفون الا الألوية قاله العسكرى . أول من قتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده أبى بن خلف لعنه الله طعنه صلى الله عليه وسلم طعنة خفيفة فوجد لها ألما شديدا فقيل له لن تبالى فقال لو أن مابى بأهل الارض لقتلهم ومات منها . أول حرب كان بين أهل القبلة يوم صفين بين عائشة وعلى رضى الله عنهما

(الاسماء والالقاب)

أول من سمى المصحف مصحفا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين جمع القرآن . أول من سمى باسم النبى صلى الله عليه وسلم محمد بن حاطب حين ولد بأرض الحبشة فى الهجرة الاولى . أول من سمى بالحسن والحسين السبطان ولدا أمير المؤمنين على بن أبى طالب من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أحمد العسكرى فى كتابه التصحيف والتحريف قال المفضل حجب الله هذين الاسمين عن أن يسمى بهما حتى سمى بهما النبى صلى الله عليه وسلم ابنيه عليهما السلام أما حسن وحسين الموجودان فى أنساب طى فالاول بسكون السين والثانى بفتح الحاء وكسر السين . أول من سمى عبد الملك فى الاسلام عبد الملك بن مروان . أول من سمى بعد النبى صلى الله عليه وسلم أحمد أبو الخليل واضع العروض ولذلك يقال فيه الخليل بن أحمد . أول من سمى الغالية غالية معاوية بن أبى سفيان شمها من عبد الله بن جعفر فوصفها له فقال انها غالية . أول ما سميت العطيات جوائز فى زمن عثمان رضى الله عنه وذلك أن ابن عامر كان على العراق من قبل عثمان فبعث جيشا مع قطن بن عبد عوف الهلالى الى كرمان فجرى الوادى بسيل خيف منه الغرق فقال قطن من عبره فله ألف درهم فعبره رجل ثم آخر ثم آخر حتى جاز جميعهم فأعطاهم قطن ألفا ألفا فكان جملة ذلك أربعة آلاف ألف فاستكثرها ابن عامر فكتب بها الى عثمان فأجازها وقال كل ما كان فى سبيل الله فهو جائز . أول من لقب بفلان الدولة فى أيام المكتفى بالله . أول ما لقب بفلان الدين فى أيام القادر بالله وسيأتى ذكره فى الكلام على الالقاب فى المقالة الثالثة

(الضـــيفان)

أول من أقرى الضيف ابراهيم الخليل عليه السـلام حتى كنى أبا الضيفان لكثرة قراه لهم . أول من سن للضيف صدر المجلس بهرام جور أحد ملوك الفرس . أول من هشم الثريد للقرى فى زمن المحل هاشم بن عبد مناف وبذلك سمى هاشما وكان اسمه قبل عمرا . أول من فطر جيرانه فى شهر رمضان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو أول من حمل الطعام على رؤس الناس لكثرته وأول من أنهبه

(وجوه البر)

أول من اتخذ البيمارستان بالشام للمرضى الوليد بن عبد الملك . أول من اتخذ البيمارستان بمصر أحمد بن طولون بناه بالفسطاط وهو موجود الى الآن . أول من فوض الى الناس اخراج زكاتهم بأنفسهم عثمان بن عفان رضى الله عنه

(الاعياد والمواسم)

أول من اتخذ النيروز من الفرس جما الملك وهو الذى بنى مدينـة طوس ويقال انه كان فى زمن هود عليه السلام كان الدين قبله قد تغير وظهر الجور فلما ملك جدد الدين وأظهر العدل فسمى اليوم الذى ملك فيـه نوروز أى يوم جديد ثم عربته العرب فقلبوا الواو ياء فقالوا نيروز . أول هدية كانت فى النيروز لجما الملك المتقدم ذكره وذلك انه لم يظهر القصب الا فى أيامه فذاقه بعض الناس فاستحلاه فصنع منه السكر فوافق فراغه فى أول يوم ملك فيه جما وهو يوم النيروز فأهدى اليه منه فى ذلك اليوم فصار سنة عندهم فهم يتهادون فيـه بالسكر ثم توسعوا فيه فتهادوا بغـير السكر . أول ما ظهر المهرجان فى زمن افريدون القائم بعـد الضحاك من ملوك الفرس وذلك انه لما ظفر بالضحاك قيده وانقطع ما كان فى زمنه من الظلم والفساد سمى اليوم الذى ظفر به فيه المهرجان قال العسكرى والمهر الوفاء كأن معناه سلطان الوفاء وكان سبيل الملوك فيه سبيل النيروز . أول من افتتح المكاتبة بتهنئة النيروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى الى المأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندى فى طوله وعرضه وكتب معه هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد السادة

(الاقوال)

أول من قال أما بعد داود عليه السـلام ويقال انها فصل الخطاب المشار اليه بقوله تعالى (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وقيـل أول من قالها قس بن ساعدة . أول من قال مرحبا سيف بن ذى يزن قال ذلك لعبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه ليهنئه برجوع

الملك اليه فقال له مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومناخا سهلا وملكا ونحلا يعطى عطاء جزلا . أول من قال جعلت فداك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة فقال جعلت فداك يارسول الله فما أصنع وقيل أول من قالها على بن أبى طالب حين دعا عمرو بن ودّ العامرى الى المبارزة فقال على جعلت فداك يارسول الله أتأذن لى ثم استعملها الكتاب بعد ذلك فى مكاتباتهم . أول من قال أطال الله بقاك عمر بن الخطاب رضى الله عنه تكلم على رضى الله عنه بحضرته فى العدل بكلام أعجبه فقال له صدقت أطال الله بقاك ثم نقلها الكتاب الى استعمالها فى مكاتباتهم . أول من قال أيدك الله عمر بن الخطاب قاله لعلى عليه السلام أيضا

(الشعر والغناء)

أول من قصد القصائد مهلهل خال امرئ القيس والقصيد مازاد على سبعة أبيات . أول من أطال الرجز العجاج قيل ان الرجز كان فى الجاهلية انما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة فى الحرب ونحوه حتى جاء العجاج ففتح أبوابه وشبهه بالشعر ووصف فيه الديار وأهلها والرسوم والفلوات ونعت الابل والطلول وكان فى أول الاسلام يشبه بامرئ القيس . أول من استخرج اللطيف من المعانى فى الشعر وجرى على طريقة البديع مسلم بن الوليد . أول من أخرج الغناء العربى جرادة جارية ابن جدعان فيما قاله العسكرى وفيه نظر فان الغناء معهود من عهد عاد حتى كان من جملة مغنياتهم الجرادتان اللتان يضرب بهما المثل فيقال غنته الجرادتان . أول من علم الجوارى المثمنات الغناء ابراهيم الموصلى وكان الناس بمكة لا يعلمون الجارية الحسناء الغناء

(النســـاء)

أول امرأة خفضت هاجر أم اسماعيل وذلك انها حين تغيرت عليها سارة لبشرى ابراهيم عليه السلام بها حلفت لتقطعن شيأ من جسدها فأشار عليها ابراهيم أن تخفضها وتثقب أذنيها وتجعل فيها قرطين ففعلت فزادت حسنا أول امرأة اكتحلت بالاثمد زرقاء اليمامة وكانت تنظر مسيرة ثلاثة أيام . أول امرأة تنبأت سجاح التميمية التى تزوجها مسيلمة الكذاب . أول امرأة لبست المصبغات فى الاسلام شميلة زوج عباس وهى أول من عبأت الطيب

(المـــوت والدفن)

أول امرأة حملت فى نعش زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وسلم . أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة . أول من دفن بقرافة مصر رجل اسمه عامر فقال عمرو بن العاص عمرت والله

(أمور تنسب للجاهليـــة)

أول من حرم الخمر فى الجاهلية الوليد بن المغيرة وقيل قيس بن عاصم ثم جاء الاسلام بتقريره . أول من حرم القمار فى الجاهلية الاقرع بن حابس التميمى ثم جاء الاســلام بتقريره . أول من رجم فى الزنا فى الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاســلام بتقريره فى المحصن . أول من حكم أن الولد للفراش فى الجاهلية أكثم بن صيفى حكيم العرب ثم جاء الاسلام بتقريره . أول من قطع فى السرقة فى الجاهلية الوليد بن المغيرة ثم جاء الاسلام بتقريره . أول من سن الدية مائة من الابل عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أنه نذر ان ولد له عشرة ذكور ليذبحن العاشر فولد له عشرة وكان عاشرهم عبد الله أبو النبى صلى الله عليه وسلم فرام ذبحه فعارضه قريش فى أمره وأشير عليه بان يقرع بينه وبين الابل حتى تخرج القرعة على الابل فأقرع بينه وبين عشرة فخرجت القرعة عليــه ثم زاد عشرة بعد عشرة وهى تقع عليه حتى بلغ مائة من الابل فوقعت القرعة عليها فنحرها فكان النبى صلى الله عليه وسـلم يقول أنا ابن الذبيحين يعنى اسماعيل وعبد الله ثم جاء الاســلام بتقريرها . أول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من بالموقف قصى بن كلاب فهى توقد الى الآن . أول من أهدى البدن الى البيت الياس بن مضر . أول من أظهر التوحيد بمكة قبل البعثة قس ابن ساعدة . أول من خضب بالوسمــة من قريش عبــد المطلب . أول من نسأ النسىء وسيب السوائب وجعل الوصيلة والحامى عمرو بن لحى وهو أبو خزاعة

الضرب الثـانى

(من النبذ التاريخية التى لا يسع الكاتب جهلها نوادر الامور ولطائف الوقائع والماجريات)

(العراقة وشرف الآباء)

قال الثعالبى أشرف الانبياء فى النبوة يعنى تواصــل الاباء فيها يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم عليه السلام وشاهد ما قاله أن النبى صلى الله عليه وسـلم يقول الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ولا يخفى أن اخوته عليهم السلام فى هــذه الرتبة فى العراقة . أعرق الا كاسرة فى الملك شــيرويه بن ابرويز بن أزدشير بن بابك ملك ابن ملك ابن ملك ابن ملك . أعرق النــاس فى صحبة النبى صلى الله عليه وســلم محمد بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق بن أبى قحافة رضى الله عنهم أربعتهم رأوا النبى صلى الله عليه وسلم وصحبوه . أعرق الخلفاء فى الخلافة المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور فى آبائه خمســة آباء خلفاء وهو ساد سهم فيها وفى معناه أخواه المعتمد والمعتز أما عبد الله بن المعتز وان زاد أبا فى الخلافة فانه لم تمض عليــه مدة تعتبر ولذلك لا يعــده أكثر المؤرخين فى جملة الخلفاء .

أعرق الناس فى الملك والخلافة جميعا باعتبار الاصول والحواشى من الذكور والاناث يزيد بن الوليد ابن عبد الملك بن مروان أما من جهة الخلافة فهو خليفة وأبوه خليفة وجده خليفة وجدّ أبيه خليفة وعمومته خلفاء وأما من جهة الملك فأمه شاهر بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار وأمها من بنات شيرويه بن ابرويز وأم شيرويه مريم بنت قيصر وأم فيروز بنت خاقان ملك الترك . (١) أعرق الوزراء فى الوزارة أبو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وأخوه أبو جعفر محمد بن القاسم فان القاسم وزر للمقتدر ومحمد وزر للقائم وأباهما القاسم وزر للمعتضد ثم للمكتفى بعده وعبيد الله وزر للمعتضد وسليمان وزر للمهتدى وبعده للمعتمد فكل من الحسين ومحمد وزير ابن وزير ابن وزير ابن وزير يعنى فى آبائه ثلاثة وزراء وهو الرابع فيها . أعرق الناس فى القتل عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد قتل عمارة وأبوه حمزة جميعا يوم قديد فى حرب الاباضية وقتل مصعب بدير الجاثليق فى الحرب بينه وبين عبد الملك وقتل الزبير بوادى السباع فى نوبة الجمل وقتل العوام فى حرب الفجار وقتل خويلد فى حرب خزاعة قال الثعالبى ولا يعرف فى العرب والعجم ستة مغبونون فى نسق واحد الا آل الزبير . أعرق الناس فى الفقه اسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة كان كل من اسماعيل وحماد فقيها وأبو حنيفة الامام الاعظم . أعرق الناس فى القضاء بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه كان بلال قاضيا على البصرة وأبو بردة قاضيا على الكوفة وأبو موسى قاضيا لامير المؤمنين عمر رضى الله عنه . أعرق الناس فى حجابة الخلفاء العباس بن الفضل بن الربيع فان العباس حجب الامين والفضل حجب الرشيد قبل أن يتقلد عنه الوزارة والربيع حجب المنصور والمهدى وفى ذلك يقول أبو نواس من أبيات

ساد الربيع وساد فضل بعده * ونمت بعباس الكريم فروع

عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

أعرق الناس فى الشعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ستة كلهم شعراء على نسق ثم كانت العراقة فى الشعر بعده مع زيادة آباء لمتوج بن محمود بن مروان ابن يحيى بن مروان بن الحبوب بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه عشرة على نسق

(الغايات من طبقات الناس)

أشرف الناس فى الامة نسبا الحسن والحسين عليهما السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّهما والقاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالهما وعلى بن أبى طالب أبوهما وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهما وخديجة بنت خويلد جدّتهما . أشرف النساء فى النسب

(١) كذا بالاصل

والصهر فاطمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوها وخديجة أمها وعلى بن أبي طالب زوجها والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولداها . أشرف الناس في المصاهرة عبد الله بن عمرو ابن عثمان تزوج اليه أربعة من الخلفاء تزوج الوليد بن عبد الملك بنته عبدة وسليمان بن عبد الملك بنته عائشة ويزيد بن عبد الملك بنته أم سعيد وهشام بن عبد الملك بنته رقية قال الثعالبي لا يعرف رجل له أربعة أختان خلفاء الا هو

(غرائب أمور تتعلق بالخلفاء)

امرأة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وهي حفصة ابنة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أبوها محمد المديج وأمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروة أسماء بنت أبي بكر وأم المديج فاطمة بنت الحسين بن على وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم فاطمة بنت الحسين أم اسحاق بنت عبيد الله وأم عبد الله بن عمرو زينب بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب فهي من ولد كل من المذكورين . أربع نسوة في الاسلام ولدت كل واحدة منهن خليفتين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت الحسن والحسين وقد بويع لهما بالخلافة وولادة بنت العباس العبسية زوجة عبد الملك بن مروان ولدت له الوليد وسليمان وهما خليفتان وساهر بنت فيروز بن يزدجرد زوجة الوليد بن عبد الملك ولدت له يزيد وابراهيم فوليا الخلافة والخيزران ولدت للمهدى موسى الهادى وهارون الرشيد . (١) امرأة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة وهي عاتكة بنت يزيد ابن معاوية يزيد أبوها ومعاوية بن أبي سفيان جدها ومعاوية بن يزيد أخوها وعبد الملك بن مروان زوجها ومروان بن الحكم حموها ويزيد بن عبد الملك ابنها والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك أولاد زوجها (١) ومثلها من بني العباس زبيدة بنت جعفر بن المنصور جدها المنصور وأخو جدها السفاح وزوجها الرشيد وعمها المهدى وابنها الامين وأبناء زوجها المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل) . خليفة سلم عليه بالخلافة عمه وعم أبيه وعم جده وهو هارون الرشيد سلم عليه سليمان بن المنصور والعباس بن محمد عم أبيه المهدى وعبد الصمد بن على عم جده أبي جعفر المنصور . خليفة سلم عليه من أهل بيته سبعة كل منهم ابن خليفة وهو المتوكل سلم عليه أحمد بن الواثق وأحمد بن المعتصم وسليمان بن المأمون وعبد الله بن الأمين وأبو محمد بن الرشيد والعباس بن الهادى ومنصور بن المهدى . خليفة قبل هو وابنه يد خليفة فأجازابنه بجائزة ثم قبل المقبلة يده هو وابنه يد المقبل أولا وهو خليفة فأجاز ابنه بمثل تلك الجائزة وهو المعتصم وقف لابراهيم بن المهدى أيام خلافته ثم نزل المعتصم فقبل يده ثم أدنى منه ابنه هارون فقبل يده

(١) هكذا بالاصل

وقال يا أمير المؤمنين عبدك هارون ابنى فأمر له بعشرة آلاف درهم فلما استخلف المعتصم وقف له ابراهيم بن المهدى ثم ترجل فى ذلك الموضع بعينه وقبل يده وأدنى منه ابنه هبة الله فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين عبدك هبة الله ابنى فأمر له بعشرة آلاف درهم قال الصولى ولا يعرف مثل ذلك لخليفتين وابنيهما . خليفة جرت أموره كلها على ثمانية وهو المعتصم فهو الثامن من خلفاء بنى العباس ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة وعمره ثمان وأربعون سنة وكان ثامن أولاد الرشيد وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف دينار وثمانية وعشرين ألف درهم وثمانية عشر ألف دابة وله ثمان فتوحات وتوفى لثمان بقين من شهر ربيع الاول ومن ثم سمى المثمن . خليفة له عشرة أولاد وعشرة اخوة وعشرة أولاد اخوة وهو مروان بن الحكم فأولاده العشرة عبد الملك ومعاوية وعبد العزيز وقس وعمر ومحمد وعبيد الله وعبد الله وأيوب وداود[1] واخوته عبد الواحد وعبد الملك وعبد العزيز وسعيد بنو الحارث بن الحكم وحرب وعثمان وعمر بنو عبد الرحمن بن الحكم ويوسف وسليمان ويحيى بنو يحيى بن الحكم . ليلة ولد فيها خليفة ومات فيها خليفة وولى فيها خليفة وهى ليلة السبت لاربع بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ولد فيها المأمون ومات فيها الهادى واستخلف فيها الرشيد ولا يعهد مثل ذلك فى زمن من الازمان . خليفتان أحدهما ابن الآخر بين قبريهما بعد كبير وهما الرشيد والمأمون قبر الرشيد بطوس وقبر المأمون بطرسوس . خليفة ركب البريد وهو موسى الهادى مات أبوه المهدى وهو نائبه على جرجان فكتب اليه الرشيد بالخبر والبيعة ووجه اليه الخاتم والبردة والقضيب فركب البريد وأتى الى بغداد بعد ثلاثة عشر يوما من موت المهدى ولا يعرف خليفة ركب البريد غيره . خليفتان اسم كل منهما جعفر قتل كل منهما فى يوم الاربعاء وهما المتوكل والمقتدر . خليفة ولى الخلافة ستين سنة متوالية وهو المستنصر بالله الفاطمى خليفة مصر على أن الثعالبى فى لطائف المعارف قال استقرت ولاية معاوية بن أبى سفيان أربعين سنة عشرون منها إمارة وعشرون منها خلافة . خليفة كانت خلافته يوما أو بعض يوم هو عبد الله بن المعتز بويع بعد خلع المقتدر فلما كان من الغد حاربه غلمان المقتدر وعاونهم العامة فهرب واختفى ثم ظفر به . أربعة اخوة ولى كل منهم الخلافة وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام أولاد عبد الملك بن مروان . لم يل الخلافة من أبوه حى سوى أبى بكر الصديق والطائع لله وكلاهما اسمه أبو بكر . لم يل الخلافة من أبواه هاشميان سوى الحسن بن على من فاطمة ومحمد الامين بن الرشيد من زبيدة . لم يل الخلافة من اسمه العباس سوى أمير المؤمنين المستعين بالله أبى الفضل العباس بن المتوكل على الله محمد خليفة العصر

(١) لم يذكر الا أولاد اخوته

على كثرة هــذا الاسم فى أولاد الخلفاء العباســيين وكونه اسم جدّهم الاكبر قلت وقد أخبرنى أمير المؤمنين المستعين المشار اليه أن تسميته العباس كانت بر ؤيا رآها الشيخ بدر الدين البهنسى بمكة المشرفة رأى العبــاس بن عبــد المطلب رضى الله عنــه فى النوم وهو يقول له قل لولدى محمد يعنى المتوكل على الله اذا ولد له ولد يسميــه العباس وسيأتى ذكر ذلك فى الكلام على العهــد الذى أنشأته قبــل ولايتــه الخلافة بنحو ثمان سنين امتحانا للخاطر فى جملة العهود فى المقالة الخامسة (أعجوبة) قال الصولى الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الاسلام لابد أن يخلع النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن خلع ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبــد الملك وعبــد الله بن الزبير خلع ثم الوليــد بن عبــد الملك وسليمــان بن عبد الملك وعمر بن عبــد العزيز ويزيد وهشام والوليــد بن يزيد خلع ثم كان منهم يزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد ومروان بن محمد وهو آخرهم ولم يكن بعده من بنى أميــة من يتم العدد بهم ستة فألغى ثم كانت الدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشــيد والامين خلع ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين خلع ثم المعــتز والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتــدر خلع فى فتنة ابن المعتز ثم رد الى الخلافة ثم قتل لم يعتد بخلافة ابن المعتز لخلعه فى يومه قال صاحب رأس مال النديم والثعالبى فى لطائف المعــارف ثم القــاهر ثم الراضى ثم المتقى ثم المســتكفى ثم المطيع ثم الطائع خلع قال الصلاح الصفدى ثم القادر والقائم والمقتدى والمســتظهر والمسترشــد والراشد خلع ثم المقتفى والمستنجد والمستضىء والنــاصر والظاهر والمستعصم خلع وقتــل أيام هولاكو عنــد استيلائه على بغداد قلت هذا غلط فاحش من الصلاح الصفدى لا يليق بمثله فانه أسقط قبل المستعصم المستنصر وهو السادس وقد ذكر الشيخ شمس الدين بن نباتة فى تاريخ الخلفاء انهم لما بايعوا المستنصر المذكور خلعوه ثم أعادوه فرارا من التطير بخلع السادس وحينئــذ فيكون من بعــد المستنصر المســتعصم المذكور ثم المستنصر أحمد الذى أتى به الظــاهر بيبرس وتوجه الى الديار المصرية ثم الحاكم أحمد ثم ابنه المستكفى سليمــان ثم ابنه المســتعصم أحمد ثم الواثق ابراهيم خلع ثم المعتضد أبو بكر بن المستكفى ثم ابنه المتوكل ثم المستعصم زكريا ثم الواثق عمر ثم المستعين أبو الفضل العباس خليفة العصر أدام الله أيامه وهو الخامس والله تعالى أعلم عن يكون السادس وما يكون من أمره قال الصــلاح الصــفدى وكذلك العبيديون المعروفون بالفاطميين كان منهم بالمغرب عبيد الله المهدى والقائم بأمر الله والمنصور والمعز بانى القاهرة بالمغرب ثم بمصر والعزيز والحاكم فقتلته أخته ثم الظاهر والمستنصر والمســتعلى والآمر والحافظ والظافر خلع وقتل ثم الفائز والعاضد وهو آخرهم قال وكذلك بنو أيوب فى ملك مصر

أولهم صلاح الدين ثم ولده العزيز واخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الكبير أخو صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير خلع ثم كان منهم الصالح نجم الدين أيوب ثم المعظم توران شاه ثم أم خليل شجرة الدر ثم الاشرف موسى وهو الرابع ولم يكن منهم من يكمل الستة قال وكذلك دولة الاتراك ملوك مصر أولهم المعز أيبك وابنه المنصور والمظفر قطز والظاهر بيبرس وابنه السعيد بركة وأخوه العادل سلامش خلع وملك السلطان الملك المنصور قلاوون قلت ثم ابنه الاشرف خليل ثم المعظم بيدرا ولم يعتد به لخلعه من يومه كما لم يعتد بابن المعتز فى الخلفاء ثم الناصر محمد بن قلاوون ثم العادل كتبغا ثم المنصور لاجين ثم المظفر بيبرس الجاشنكير خلع ثم المنصور أبو بكر بن الناصر محمد ثم الاشرف كجك بن الناصر محمد ثم الناصر أحمد بن الناصر محمد ثم الصالح اسماعيل بن الناصر محمد ثم الكامل شعبان بن الناصر محمد ثم المظفر حاجى بن الناصر محمد خلع ثم الناصر حسن بن الناصر محمد ثم الصالح صالح بن الناصر محمد ثم المنصور محمد بن المظفر حاجى ثم الاشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد ثم ابنه المنصور على ثم الصالح حاجى بن الاشرف شعبان خلع ثم الظاهر برقوق ثم الناصر فرج سلطان العصر وهو الثانى والله أعلم بمن يكون السادس

(غرائب تتعلق بالملوك)

ملك ملك وهو فى بطن أمه وهو سابور ذو الاكتاف أحد ملوك الفرس مات أبوه وهو حمل ولم يكن له ولد سواه فعقدوا التاج على رأس أمه على أن يكون من فى بطنها هو الملك كائنا من كان فلما وضعته ملكوه . ثلاثة من ملوك فارس ابن وأب وجد اسمهم واحد وهم بهرام بن بهرام ابن بهرام ومثلهم من ملوك غسان من العرب الحارث بن الحارث بن الحارث قال الثعالبى وهذا التناسق لا يقع الا فى الأكابر والرؤساء وقد جاء من هذا النمط فى سادات الاسلام الحسن بن الحسن بن الحسن السبط . ملكان اسلاميان أول اسم كل واحد منهما عين قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك أول اسم كل واحد منهم عين أحدهما عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث والثانى أبو جعفر المنصور اسمه عبد الله قتل أبا مسلم الخراسانى واسمه عبد الرحمن وعمه عبد الرحمن بن على وعبد الجبار بن عبد الرحمن والى خراسان . قال الثعالبى أربعة فى الاسلام قتل كل واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل وهم الحجاج بن يوسف وأبو مسلم الخراسانى وبابك والبرقعى . قلت وقد وقع لتيمور كوركان المعروف بتمرلنك صاحب ما وراء النهر على رأس الثمانمائة من الهجرة ما هو أكثر من ذلك فانه قد فتح من الهند الى الخليج القسطنطينى وقتل من كل أقليم من الخلق ما لا يحصى حتى كان يبنى بالرؤس فى كل مدينة يفتحها منارا

(غرائب تتعلق بسراة الناس)

ثلاثة بنى أعمام فى زمن واحد كل منهم سـيد جليل لم يصلح للامامة والرياسة ثم كان لكل منهم ابن اسمه محمد كذلك وهم على بن عبد الله بن عباس وابنه محمد وعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب وابنه محمد وعلى بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وابنـه محمد قال الجاحظ وهـذا من غرائب ما يتفق فى العالم فان هـذا أمر لم يشركهم فيه أحد . أب وابن تقارب ما بينهما من العمر تقاربا شـديدا وهما عمرو بن العاص وابنه عبد الله كان بينهما فى السن ثلاث عشرة سـنة قال الثعالبى ولا يعهد مثـل ذلك . اخوان تباعد ما بينهـما فى السن تباعدا شـديدا وهما موسى بن عبيدة الزبيرى المحدث وأخوه عبد الله كان بينهما فى السن مائة سنة ولم يعرف مثل ذلك فى غيرهما . أربعة اخوة كل واحد منهم أسن من الآخر بعشر سنين وهم أولاد أبى طالب كان طالب أسن من عقيل بعشر سـنين وعقيل أسن من جعفر بعشر سـنين وجعفر أسن من أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعشر سنين . ثلاثة إخوة ولدوا فى سـنة واحدة وقتلوا فى يوم واحد وسن كل واحد منهم اثنان وأربعون سنة وهم مزيد وزياد ومدرك أولاد المهلب بن أبى صفرة وهذه من غرائب النوادر . رجل مكث عشر سـنين لا يولد له الا رجل ولا يموت له الا أنثى وهو المهلب بن أبى صفرة أولاده الثلاثة المذكورون . أربعة رجال فى الاسلام لم يمت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده أكثر من مائة فيما قاله الثعالبى وغيره وهـم أنس بن مالك خادم رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وخليفة بن براء السعدى وعبد الرحمن بن عمر الليثى وجعفر بن سليمان الهاشمى ومنهم من يذكر بدله أبا بكرة مولى النبى صـلى الله عليه وسلم . خمسة اخوة تباعدت قبورهم أشد تباعد وهم بنو العباس بن عبـد المطلب قبر عبـد الله بالطائف وقبر عبيد الله بالمدينة وقبر معبد بافريقية وقبر الفضـل بالشام وقبر قثم بسمرقند . قاض قضى فى الاسلام خمسا وسـبعين سنة وهو شريح بن الحارث الكندى استقضاه عمر على الكوفة فبقى بها خلافة عمر وما بعدها الى تمام المدة المذكورة لم يتعطل منها سوى ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء فى فتنة ابن الزبير

(أوصاف جماعة من المشاهير)

(من كان من الخلفاء أصلع) قال الثعالبى كان الصلع فى عمر وعثمان وعلى ومروان بن الحكم وعمر بن عبد العزيز قال ثم انقطع الصلع من الخلفاء . (من كان فى غاية الطول) كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كأنه راكب والناس يمشون لطوله وكان عدى بن حاتم اذا ركب تكاد رجلاه تخط فى الارض وكذلك جرير بن عبد الله البجلى وكان قيس بن سعدة فى نهاية الطول والجسامة وكان عبـد الله بن زياد اذا رآه الرائى وهو ماش ظن أنه راكب لطوله وكان على بن عبد الله بن عباس فى غاية من الطول وكان أبوه عبد الله أطول منه وجده العباس أطول من أبيه

ويقال ان جبلة بن الايهم الغسانى كان طوله اثنى عشر شبرا . (من كان فى غاية القصر) قال الثعالبى كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه شديد القصر يكاد الجلوس يوازونه من قصره وكان ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قصيرا دحداحا وكان الحطيئة الشاعر مفرط القصر ولذلك لقب الحطيئة وكان ذو الرمة الشاعر قصيرا جدا ورأيت فى بعض التواريخ أن كثير عزة كان طوله ثلاثة أشبار وكان العباس بن الحسن فى غاية من القصر وفيه قيل

لا تنظرن الى العباس من قصر * وانظر الى الفضل والمجد الذى شادا

إن النجوم نجوم الجو أصغرها * فى العين أبعدها فى الجو اصعادا

(من عرف بالدهاء من العرب) معاوية بن أبى سفيان زياد ابن أبيه عمرو بن العاص المغيرة ابن شعبة قيس بن سعد بن عبادة عبد الله بن بديل الخزاعى . (من نسب منهم الى الحمق) عامر ابن كريز معاوية بن مروان بن الحكم بكار بن عبد الملك بن مروان العاصى بن هشام عبد الله ابن معاوية بن أبى سفيان سهل بن عمرو وأخوه سهيل العاص بن سعيد بن العاص . (المؤلفة قلوبهم فى أول الاسلام) قال الثعالبى هم من قريش أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وهبار بن الاسود والحارث بن هشام وحكيم بن حزام وصفوان ابن أمية وأنس بن عدى ومن فزاره عيينة بن حصن ومن تميم الاقرع بن حابس ومن بنى سليم العباس بن مرداس ومن ثقيف العلاء بن الحارث . (من أصيبت عينه) أبو سفيان بن حرب ذهبت عينه يوم الطائف ثم عمى بعد ذلك الاشعث بن قيس ذهبت عينه يوم اليرموك المغيرة بن شعبة كذلك الاشتر النخعى جرير بن عبد الله البجلى عدى بن حاتم عتبة بن أبى سفيان المختار بن أبى عبيد الاحنف بن قيس المهلب بن أبى صفرة طاهر بن الحسين عمرو بن الليث الصفار . (من سملت عيناه من الخلفاء والملوك) أما من الخلفاء فالقاهر والمتقى والمكتفى وأما من الملوك فهرمز بن أنوشروان أحد الملوك الاكاسرة صمصام الدولة بن بويه منصور بن نوح بن منصور السامانى . (من كان مكفوف البصر من أشراف الناس) زهرة بن كلاب بن كعب عبد المطلب ابن هاشم العباس بن عبد المطلب الحكم بن العاص أبو سفيان بن حرب الحارث بن العباس ابن عبد المطلب مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة عتبة بن مسعود الهذلى عبد الله بن عبيد الله بن عتبة أبو أحمد بن جحش بن مسعود الاسدى جابر بن عبد الله الانصارى عبد الله بن أرقم البراء بن عازب حسان بن ثابت أبو أسيد الساعدى قتادة بن دعامة دريد بن الصمة الجشمى عزمة بن نوفل الزهرى الفاكه بن المغيرة المخزومى جذيمة حازم النهشلى أبو العباس الشاعر على بن زيد بن جدعان المغيرة بن مقسم الضبى الترمذى الكبير الحافظ الفقيه منصور الشاعر المصرى ابن سيده اللغوى أبو العلاء المعرى

بشار بن برد أبو البقاء العكبرى أبو العيناء هشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفى أبو القاسم السهيلى صاحب الروض الانف أبو القاسم الشاطبى الصرصرى الشاعر أبو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى أبو عبد الله بن خلصة المغربى النحوى أبو عبد الله بن الخياط

(أصحاب العاهات من الملوك)

من ملوك اليونان الاسكندر كان أحنف . ومن ملوك الفرس أنوشروان كان أعور يزدجرد كان أعرج . ومن ملوك العرب جذيمة الوضاح كان أبرص النعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشعر . ومن الخلفاء عبد الملك بن مروان أبخر يزيد بن عبد الملك أفقم هشام بن عبد الملك أحول مروان الحمار أشقر أزرق موسى الهادى شفته العليا متقلصة حتى كان أبوه المهدى قد رتب له خادما يلازمه متى غفل وفتح فاه قال موسى اطبق ابراهيم بن المهدى كان أسود سمينا يلقب بالتنين . ومن أشراف قريش وغيرهم أبو طالب أعرج وأبو جهل أحول أبو لهب كذلك وكذلك زياد وعدى بن زيد الاحنف بن قيس أحنف مترا كب الاسنان صعل الرأس مائل الذقن والربيع بن زياد أبرص وكذلك الحارث بن حلزة وأيمن بن خريم والحسن بن قحطبة وكان عبدة السلمانى أصم وكذلك ابن سيرين والكميت الشاعر والمرقش الأكبر الشاعر أجذع

(أصحاب النوادر)

ابن أبى عتيق أشعب الطمع أبو الغصن جحا أبو العبر أبو العنبس ابن الجصاص مزبد المـــدنى

(أجواد الاســـلام)

عبيد الله بن عباس بن عبـــد المطلب عبد الله بن جعفر بن أبى طالب سعيد بن العـاص ابن سعيد بن العاص بن أمية عبد الله بن عامر بن كريز حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام عمر ابن عبد الله بن معمر التيمى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد بن العاص قيس بن سعد بن عبادة الانصارى عتاب بن أبى ورقا الحنظلى أسماء بن خارجة بن حصن بن بدر الفزارى عبـــد الله ابن أبى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الطلحات المعروفون بالجود)

طلحة الفياض وهو طلحة بن عبد الله أحد العشرة وطلحة الجود وهو طلحة بن عمر بن عبيد الله ابن معمر التيمى وطلحة الدراهم وهو طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وطلحة الخير وهو طلحة بن الحسن بن على بن أبى طالب وطلحة الندى وهو طلحة بن عبـــد الله بن عوف الزهرى وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى

أزواد الراكب ثلاثة من قريش وهم مسلمة بن أبى عمرو بن أمية وربيعة بن الأسود ابن المطلب بن عبد العزى بن قصى والمغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم سموا بذلك لأنهم لم يتزود معهم أحد فى سفر قط لجودهم

(من اشتهر عند أهل الأثر بلقبه)

غسيل الملائكة وهو حنظلة بن أبى عامر الانصارى أصيب يوم أحد فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الملائكة غسلته . قتيل الجن هو سعد بن عبادة بال فى جحر فقتله الجن . مصافح الملائكة هو عمران بن حصين . حمى الدبر هو عاصم بن ثابت بن أبى الافلح حمته النحل الى أن كان الليل . ذو الشهادتين هو خزيمة بن ثابت الانصارى شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقضاء دين اليهودى حين أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه وفاه اعتمادا على خبر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين . ذو العينين هو قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذو اليدين هو عبيد بن عبد عمرو الخزاعى كان يعمل بيديه معا . ذو العمامة هو أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية كان اذا لبس عمامته لم يلبس قرشى عمامته حتى ينزعها . ذو الثدية كانت احدى يديه مخدجة كالثدى كان رأس الخوارج . ذو النفثات كان يقال ذلك لعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب ولعلى بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السجدات منهما من شبه نفثات البعير . ذو السيفين هو أبو الهيثم بن التيهان سمى بذلك لتقلده فى الحرب بسيفين . سيف الله هو خالد بن الوليد . أسد الله هو حمزة بن عبد المطلب . ذات النطاقين هى أسماء بنت أبى بكر سميت بذلك لأنها شقت نطاقها للسفر فى الليلة التى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبوها الى المدينة . عروة الصعاليك هو عروة بن الورد كان اذا شكا اليه أحد أعطاه فرسا ورمحا وقال له ان لم تستغن بذلك فلا أغناك الله . سليل المقانب هو سليك ابن سلكة كان أعدى الناس حتى ان الفرس لا يدركه . طفيل الاعراس رجل من غطفان وقيل هو من موالى عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يتتبع الاعراس فيأتيها من غير دعوة واليه تنسب الطفيلية . أشج بنى أمية هو عمر بن عبد العزيز . خيار بنى العباس هو هارون الرشيد لأنه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفا وأخذ منهم خمسة آلاف دابة بالسروج واللجم الفضة وأغزى على بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفا وغزا هو بنفسه بلاد الروم ففتح هرقلة وأخذ الجزية من ملك الروم . بنات طارق هن بنات العلاء بن طارق ابن أمية بن عبد شمس سمين بجدهن يضرب بهن المثل فى الحسن والشرف . بنات الحارث هن بنات الحارث بن هشام يضرب بهن المثل فى الحسن وغلو المهر

(من كان فردا فى زمانه بحيث يضرب به المثل فى أمثاله)

كان الاسكندر فى طوفان الارض وكسرى أنوشروان فى العدل وزرقاء اليمامة فى حدة النظر وحاتم الطائى فى الكرم وكعب بن مامة فى الايثار وارسطاطاليس فى الحكمة وبقراط فى الطب وقس بن ساعدة فى الفصاحة وسحبان وائل فى البلاغة وعمرو بن الاهتم فى البيان وباقل فى العى وأبو بكر الصديق رضى الله عنه فى معرفة الانساب وعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوة الهيبة وعثمان بن عفان رضى الله عنه فى التلاوة وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى القضاء ومعاوية فى كثرة الاحتمال وأبو عبيدة بن الجراح فى الامانة وأبو ذر فى صدق اللهجة وأبى بن كعب فى القرآن وزيد بن ثابت فى الفرائض وابن عباس فى تفسير القرآن وعمرو بن العاص فى الدهاء وأبو موسى الاشعرى فى سلامة الباطن والحسن البصرى فى الوعظ والتذكير ووهب بن منبه فى القصص وابن سيرين فى تعبير الرؤيا ونافع فى القراءة وأبو حنيفة فى القياس فى الفقه وابن اسحاق فى المغازى ومقاتل فى التأويل والكلبى فى قصص القرآن وابن الكلبى الصغير فى النسب وأبو الحسن المداينى فى الاخبار ومحمد بن جرير الطبرى فى علوم الأثر والخليل بن أحمد فى العروض وفضيل بن عياض فى العبادة ومالك بن أنس فى العلم والشافعى فى فقه الحديث وأبو عبيدة فى الغريب وعلى بن المدينى فى علل الحديث ويحيى بن معين فى رجال الحديث وأحمد بن حنبل فى السنة والبخارى فى نقد الصحيح والجنيد فى التصوف ومحمد بن نصر المروزى فى الاختلاف وأبو على الجبائى فى الاعتزال وأبو الحسن الاشعرى فى علم الكلام وأبو القاسم الطبرانى فى عوالى الحديث وعبد الرزاق فى ارتحال الناس اليه وابن منده فى سعة الرحلة وأبو بكر الخطيب فى سرعة القراءة وابن حزم فى مذهب الظاهر وسيبويه فى النحو وأبو الحسن البكرى السيرى فى الكذب وإياس بن معاوية فى الذكاء والتفرس وعبد الحميد فى الكتابة والوفاء وأبو مسلم الخراسانى فى علو الهمة والحزم واسحاق الموصلى النديم فى الغناء وأبو الفرج الاصفهانى صاحب الاغانى فى المحاضرة وأبو معشر فى النجوم والرازى فى الطب وعمار بن حمزة فى التيه والفضل بن يحيى فى الجود وجعفر بن يحيى فى التوقيع وابن زيدون فى سعة العبارة وابن القرية فى البلاغه والجاحظ فى الادب والبيان والحريرى فى المقامات والبديع الهمذانى فى الحفظ وأبو نواس فى المجون والخلاعة وابن حجاج الشاعر فى سخف الالفاظ والمتنبى فى الحكم والامثال شعرا والزمخشرى فى تعاطى العربية والنسفى فى الجدل وجرير الشاعر فى الهجاء الخبيث وحماد الراوية فى شعر العرب والاحنف بن قيس فى الحلم والمأمون فى حب العفو والوليد فى شرب الخمر وعطاء السلمى فى الخوف من الله تعالى وابن البواب

فى الكتابة والقاضى الفاضل فى الترسل والعماد الكاتب فى الجناس وأشعب فى الطمع وأبو نصر الفارابى فى معرفة كلام القدماء ونقله وتفسيره وحنين بن اسحاق فى ترجمة اليونانى الى العربى وابن سينا فى الفلسفة وعلوم الاوائل والامام فخر الدين الرازى فى الاطلاع على العلوم والجاحظ فى سعة العبارة والسيف الآمدى فى التحقيق والنصير الطوسى فى معرفة المجسطى وابن الهيثم فى الرياضى ونجم الدين الكاتبى فى المنطق وابن الاعرابى فى الاطلاع على اللغة وأبو العيناء فى الاجوبة المسكتة ومزيد فى البخل والقاضى أحمد بن أبى دواد فى المروءة وحسن التقاضى وابن المعتز فى التشبيه وابن الرومى فى التطير والصولى فى الشطرنج والغزالى فى الجمع بين المعقول والمنقول وأبو الوليد بن رشد فى تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية ومحيي الدين بن عربى فى علوم التصوف وجابر بن حيان فى علم الكيمياء

(غرائب اتفاق)

(اتفاقية جليلة) ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وهاجر يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين (اتفاقية أخرى) قتل عبد الله بن زياد الحسين بن على عليهما السلام يوم عاشوراء وقتله الله على يد ابراهيم بن الاشتر فى يوم عاشوراء (أخرى) قال عبد الملك بن عمير الليثى رأيت فى قصر الامارة بالكوفة رأس الحسين بن على بين يدى عبد الله بن زياد على ترس ثم رأيت فيه رأس عبد الله بن زياد بين يدى المختار بن أبى عبيد ثم رأيت فيه رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير ثم رأيت فيه رأس مصعب بين يدى عبد الملك بن مروان قال فحدثت بهذا عبد الملك بن مراون فتطير منه ففارق مكانه (أخرى) قال الصولى حدثنى الحسين بن يحيى الكاتب أنه لما ولى المعتز لم تمض مدة لطيفة حتى أحضر الناس وأخرج المؤيد(١) وقيل اشهدوا انه دعى فأجاب وليس به أثر ثم مضت مدة شهر فأحضر الناس وأخرج المستعين وقال ان منيته أتت عليه وها هو لا أثر به فاشهدوا ثم خلع المعتز واستخلف المهتدى ولم تمض الامديدة حتى أخرج المعتز ميتا وقال اشهدوا انه قد مات حتف أنفه ولا أثر به ثم لم تكمل السنة حتى استخلف المعتمد فأخرج المهتدى ميتا وقال اشهدوا انه قد مات حتف أنفه من جراحته فتعجب الناس من تلاحقهم فى مدة يسيرة (غيره) مات المكتفى بالله عن مائة ألف ألف دينار ولما غسل لم توجد مجمرة يبخر فيها الا مجمرة من خزف أحمر وكان فيما خلف ألوف من مجامر الذهب والفضة قال أحمد بن أبى دواد لقد شددت لحى المأمون والمعتصم والواثق بعد موتهم فلم أجد خرقة أشد بها لحى واحد منهم الا ما أخرقه من الدرابيع التى تكون على (لطيفة) فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر المعتضد برد فاضل سهام المواريث على ذوى الارحام وأبطل ديوان المواريث وكتب بذلك الى الآفاق (لطيفة) فى سنة أربع وثمانين ومائتين أخبر المنجمون بغرق أكثر الاقاليم بسبب كثرة الامطار وزيادة الانهار

(١) هكذا بالاصل

فتحفظ الناس من ذلك فقلت الامطار حتى استسقوا ببغداد مرات (غريبة) ذكر ابن سينا فى المقالة الاولى من كتابه الشـفاء أنه نزل بجرجان صاعقة من الهواء فنشبت فى الارض ثم نبت نبوة الكرة وسمع النـاس لذلك صوتا عظيما هائلا فحفروا عليها فاذا هى قطعة من حديد تقدر بمائة وخمسين منا وهى أجزاء جاورشـية صغار مسـتديرة التصق بعضها ببعض فكتب محمود بن سبكتكين صاحب خراسان بانفاذه اليـه أو قطعة منه فتعذر نقله لثقله فحاولوا كسر قطعة منه فلم تعمل فيه الآلات فعولج كسره فقطع منه قطعة لطيفة وحملت اليه فرام أن يطبع منها سيفا فتعذر عليه (لطيفه أخرى) فى سنة احدى عشرة وخمسمائة جاء سيل عظيم فغرق مدينة سنجار من بلاد الجزيرة وهدم المنازل وأغرق خلقا كثيرا . ومن غريب ما حكى أن السيل حمل مهدا فيه صبى صغير فتعلق المهد بشجرة زيتون وغاض المـاء وبقى المهد معلقـا بالشجرة فسلم الصغير (أعجوبة) فى سنة ستين وأربعمائة كان بمصر وفلسطين زلزلة عظيمة طلع فيها الماء من رؤس الآبار وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى أرض البحر يلتقطون ما انكشف البحر عنه مما فى أرضه فرجع المـاء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا . ثم فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقع ببلاد الشام زلزلة عظيمة خربت شيزر وحماه وحمص وحصن الاكراد وطرابلس وانطاكيـة وغيرها من البلاد التى حولها ووقعت الاسواق والقلاع حتى تداركها نور الدين الشهيد رحمه الله بالعمارة . فائدة فى سنة اثنتين وخمسمـائة قلع المقتفى الخليفـة باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحا بالفضـة المذهبة وعمل لنفسه من البـاب الأول تابوتا ليدفن فيه (نادرة) فى سنة خمس وستين وسبعمـائة وقع ثلج عظيم بالشام فكسر الاشجار وقطع الطرق لاسيما بعكبرا وما حواليها (أخرى) فى سنة سبعين وسبعمائة ظهر بالشـام جراد عظيم لم يسمع بمثله وامتد من مكة الى الشام وعظم بحوران حتى أكل الاشجار والاخشاب وأبواب الدور وما وصل اليه من الاصـبغة والقماش وسدت أعين المـاء خوفا من أن يفسـدها وكان من شأنه بعجلون انه امتلأت منـه المدينـة وغلقت الاسواق وطبقت أبواب الدكاكين والطاقات وسـدت الابواب وحضروا لصلاة الجمعـة فلأ عليهم الجامع وترامى على الخطيب على المنبر حتى شـغله عن الخطبة وكذلك حير الناس حتى خرجوا من الجامع يحبون فيه حبا الى الركب وأنتنت لكثرة ما قتل منـه حتى صار أهـل البلد يشمون القطران ليغطى رائحته وما يعلم جنود ربك الا هو (أخرى) فى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة رأى أهل الشام فى السماء بعد مغيب الشفق حمرة عظيمة من جهة الشمـال ثم اشتدت الحمرة حتى صارت كالنار الموقدة وانتشرت فى السمـاء حتى كاد يغطى ثلثها وعم بلاد الشام حتى كان بدمشـق وبعلبك وحلب وقاقون والرملة والقدس وطرابلس حتى خاف جميع أهل هذه البلاد على أنفسهم الهلاك وضرعوا الى الله تعـالى وابتهلوا اليـه فكشف الله عنهم بعـد نصف الليل . قلت وقد رأيت مثل هذه

الآية العظيمة بمصر فى سنة اثنتى عشرة وثمان مائة وهو أنه ظهرت حمرة عظيمة من جهة الغرب فوق حمرة النار وجاء من وراء تلك الحمرة برق ساطع فصار كلما لمع البرق داخل تلك الحمرة يخال الناظر أنها نار لا محالة حتى داخلنى منه أنه عذاب قد صب على الناس ثم انقشع بعد العشاء بقليل فلذلك لم ينتبه له أهل مصر . وبالجملة فوقائع الدهر وعجائبه أكثر من أن تحصر ولا يحتمل هذا الموضع أكثر من هذا القدر

والليالى كما علمت حبالى * مقربات تلدن كل عجيب

المقصد الثانى

(فى وجه بيان استعمال الكاتب ذلك فى خلال كلامه)

لا يخفى أن الكاتب اذا عرف أحوال المتقدمين وسيرهم وأخبارهم ومن برع منهم صار عنده علم بما لعله يسئل عنه واعتداد لما يرد عليه من ذكر واقعة بعينها أو يحتج عليه به من صورة قديمة ليكون على يقين منها مع ما يحتاج الى ايراده فى خلال مكاتباته ورسائله من ذكر من حسن الاحتجاج بذكره فى أمر من الامور أو حالة من الحالات كما كتب به البديع الهمذانى الى أبى الحسين بن فارس وقد بلغه أنه ذكر فى مجلسه فقال ان البديع قد نسى حق تعليمنا اياه وعقنا وشمخ بأنفه عنا والحمد لله على فساد الزمان وتغير نوع الانسان فكتب اليه : نعم أطال الله بقاء الشيخ الامام انه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون والناس لآدم وان كان العهد قد تقادم وارتكبت الاضداد واختلط الميلاد والشيخ يقول فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا أفى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم المدة المروانية وفى أخبارها لا تكسع الشول بأغبارها أم السنين الحربية والسيف يغمد فى الطلا والرمح يركز فى الكلا ومبت حجر فى الفلا والحرتان وكربلا أم البيعة الهاشمية وعلى يقول ليت العشرة منكم برأس من بنى فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والعيون الى الاعجاز أم الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البزول الا النزول أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول طوبى لمن مات فى نأناة الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يا فلانة فقد ذهبت الامانة أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلاد بها كنا وكنا نحبها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى لآدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مسود قبيح

أم قبل ذلك والملائكة تقول أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما فسد الناس
ولكن أطرد القياس ولا أظلمت الايام انما امتد الاظلام وهل يفسد الشئ الا عن صلاح
ويمسى المرؤ الا عن صباح ولعمرى ابن كان كرم العهد كتابا برد وجوابا يصدر انه لقريب المنال
وانى على توبيخه لى لفقير الى اغاثه شفيق على بقائه منتسب الى ولائه شاكر لآلائه

والغاية القصوى فى ذلك ما كتب به ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون رحمه الله على لسان محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصر الى انسان استمالها عنه الى نفسه وهى : أما بعد أيها المصاب بعقله المورط بجهله البين سقطه الفاحش غلطه العاثر فى ذيل اغتراره الاعمى عن شمس نهاره الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش فى الشهاب فان العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب وانك راسلتنى مستهديا من صلتى ما صفرت منه أيدى أمثالك متصديا من خلتى لما قدعت فيه أنوف أشكالك مرسلا خليلتك مرتادة مستعملا عشيقتك قوادة كاذبا نفسك فى انك ستنزل عنها الى وتخلف بعدها على

ولست بأول ذى همة * دعته لما ليس بالنائل

ولا شك أنها قلتك اذلم تضن بك وملتك اذلم تغر عليك فانها أعذرت فى السفارة لك وما قصرت فى النيابة عنك زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه والانسانية اسم أنت جسمه وهيولاه قاطعة على انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت فى مراتب الجلال حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه وأن قارون أصاب بعض ما كنزت والنطف عثر على فضل ما ركزت وكسرى حمل غاشيتك وقيصر رعى ماشيتك والاسكندر قتل دارا فى طاعتك وازدشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك والضحاك استدعى مسالمتك وجذيمة الابرش تمنى منادمتك وشيرين نافست بوران فيك وبلقيس غايرت الزباء عليك وان مالك بن نويرة انما أردف لك وعروة ابن جعفر انما رحل اليك وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك وجساسا انما قتله بأنفتك ومهلهلا انما طلب ثاره بهمتك والسموءل انما وفى عن عهدك والاحنف انما احتبى فى بردك وحاتما انما جاد بوفرك ولقى الاضياف ببشرك وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك والسليك ابن السلكة انما عدا على رجليك وعامر بن مالك انما لاعب الأسنة بيديك وقيس بن زهير انما استعان بدهائك واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك وسحبان وائل انما تكلم بلسانك وعمرو ابن الاهتم انما سحر ببيانك وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك والحمالات فى دماء عبس وذبيان أسندت الى كفالتك وان احتيال هرم لعامر وعلقمة حتى رضيا كان عن اشارتك وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع بعد مشورتك وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك

وقتيبة فتح ماوراء النهر بسعدك والمهلب أوهن شوكة الأزارقة بأيدك وأفسد ذات بينهم بكيدك وأن هرمس أعطى بيلينوس ما أخذ منك وأفلاطون أورد على ارسطاطاليس ماحدث عنك وبطليموس سوّى الاصطرلاب بتدبيرك وصوّر الكرة على تقديرك وابقراط علم العلل والامراض بلطف حسك وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك وكلاهما قلدك فى العلاج وسألك عن المزاج واستوصفك تركيب الاعضاء واستشارك فى الداء والدواء وانك نهجت لأبى معشر طريق القضا وأظهرت جابر بن حيان على سرّ الكيميا وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق وجعلت للكندى رسما استخرج به الدقائق وأن صناعة الألحان اختراعك وتأليف الانقار توليدك وابتداعك وأن عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك وسهل ابن هرون مدوّن كلامك وعمرو بن بحر مستمليك ومالك بن أنس مستفتيك وانك الذى أقام البراهين ووضع القوانين وحدّ الماهية وبين الكيفية والكمية وناظر فى الجوهر والعرض وميز الصحة من المرض وحل المعمى وفصل بين الاسم والمسمى وضرب وقسم وعدل وقوّم وصنف الأسماء والافعال وبوّب الظرف والحال وبنى وأعرب ونفى وتعجب ووصل وقطع وثنى وجمع وأظهر وأضمر وابتدأ وأخبر واستفهم وأهمل وقيد وأرسل وأسند وبحث ونظر وتصفح الأديان ورجح بين مذهبى مانى وغيلان وأشار بذبح الجعد وقتل بشار بن برد وأنك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات فأحلت البحار عذبة وأعدت السلام رطبة ونقلت غدا فصار أمسا وزدت فى العناصر فكانت خمسا وأنك المقول فيك كل الصيد فى جوف الفرا والمقول فيك

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

والمعنى بقول أبى تمام

فلو صوّرت نفسك لم تزدها * على مافيك من كرم الطباع

والمراد بقول أبى الطيب

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة * كنت البديع الفرد من أبياتها

فكدمت غير مكدم واستسمنت ذا ورم ونفخت فى غير ضرم ولم تجد لرمح مهزا ولا لشفرة محزا بل رضيت من الغنيمة بالاياب وتمنت الرجوع بخفى حنين لانى قلت

* لقد ذل من بالت عليه الثعالب *

وأنشدت

على أنها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

ونخرت وكفرت وعبست وبسرت وأبدت وأعدت وأبرقت وأرعدت وهممت ولم أفعل
وكدت وليتنى ولولا أن للجوار ذمة وللضيافة حرمة لكان الجواب فى قذال الدمستق والنعل
حاضرة ان عادت العقرب والعقوبة ممكنة إن أصر المذنب وهبها لم تلاحظك بعين كاليلة عن
عيوبك ملؤها حبيبها حسن فيها من تود وكانت انما حلتك بحلاك ووسمتك بسماك ولم تعرك
شهادة ولا تكلفت لك زيادة بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك ووضعت الهناء موضع النقب
فيما نسبته اليك ولم تكن كاذبة فيما أثنت به عليك فالمعيدى تسمع به خير من أن تراه هجين
القذال أرعن السبال طويل العنق والعلاوة مفرط الحمق والغباوة جافى الطبع سيئ الاجابة
والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعائب
مشهور المثالب كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة ومشيك
هرولة وغناك مسألة ودينك زندقة وعلمك مخرقة

مساو لو قسمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطلاق

حتى ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك وهبنقة مستحق لاسم العقل اذا أضيف اليك
وأبا غبشان محمود منه سداد الفعل اذا نسب اليك وطويسا مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك
فوجودك عدم والاعتناء بك ندم والخيبة منك ظفر والجنة معك سقر كيف رأيت لؤمك
لكرمى كفوا وضعتك لشرفى وفا وأنى جهلت أن الاشياء انما تنجذب الى أشكالها والطير
انما تقع على ألافها وهل لا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان وشعرت ان المؤمن والكافر
لا يتقاربان وقلت الخبيث والطيب لا يستويان وتمثلت * وعمرك الله كيف يلتقيان *
وذكرت انى علق لا يباع ممن زاد وطائر لا يصيده من أراد وغرض لا يصيبه الا من أجاد فما
أحسبك الا قد كنت تهيأت للتهنئة وترشحت للترفئة لولا أن جرح العجماء جبار للقيت مالقى
من الكواعب يسار فما هم الا بدون ما هممت به ولا تعرض الا لأيسر ما تعرضت له أين ادعاؤك
رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار أما ثاب لك قول الشاعر

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وتنكح فى أكفائها الحبطات

وهلا عشيت ولم تغتر وما أن تكون وافد البراجم أو ترجع بصحيفة المتلمس أو أفعل بك
ما فعله عقيل بن علقة بالجهنى الذى جاء خاطبا فدهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل ومتى كثر
تلاقينا واتصل ترائينا فيدعونى اليك ما دعا ابنة الحسن الى عبد ها من طول السواد وقرب
الوساد وهل فقدت الأراقم فأنكح فى جنب أو عضلنى همام بن مرة فأقول زوج من عود خير
من قعود ولعمرى لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الخطة وما رضيت بهذه الحطة فالنار
ولا العار والمنية ولا الدنيه والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها

فكيف فى أبناء قومى منكح * وفتيان هزان الطوال الغرانقة

ما كنت لأتخطى المسك الى الرماد ولا أمتطى الثور دون الجواد وانما يتيمم من لا يجد ماء ويرعى الهشيم من عدم الجميم ويركب الصعب من لا ذلول له ولعلك انما غرك من علمت صبوتى اليه وشهرت مساعفتى اليه من أقمار العدمر وريحان المصر الذين هم الكواكب علوهم والرياض طيب شيم * من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

نحن قدح ليس منها ما أنت وهم وأين تقع منهم وهل أنت الا واو عمرو فيهم وكالوشيظة فى العظم بينهم وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت لقميصك عن بعض قوتك وعطرت أردانك وجررت هميانك واختلت فى مشيتك وحذفت فضول لحيتك وأصلحت شاربك ومططت حاجبك ورفعت خط عذارك واستأنفت عقد إزارك رجاء الاكتتاب فيهم وطمعا فى الاعتداد منهم فظننت عجزا وأخطأت استك الحفرة والله لو كساك محرق البردين وحلتك مارية بالقرطين وقلدك عمرو الصمصامة وحملك الحارث على النعامة ماشككت فيك ولا تكلمت على ء فيك ولا استرت اباك ولا كنت الا ذاك وهبك سامبتهم فى ذروة المجد والحسب وجاريتهم فى غاية الظرف والأدب ألست تأوى الى بيت قعيدته لكاع اذ كلهم عزب خالى الذراع وأين من أنفرد به ممن لا أغلب الا على الاقل الاحسن منه كم بين من يعتمد بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة والنفس المصروفة الى واللذة الموقوفة على وبين آخر قد نزحت بيره ونضب غديره وذهب نشاطه ولم يبق الا ضراطه وهل كان يجتمع لى فيك الا الحشف وسوء الكيلة ويقترن على بك الا العدة والموت فى بيت سلولية

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال

ما كان أخلقك بان تقدر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك ولا تكن براقش الدالة على أهلها وعنز السوء المستثيرة لحتفها فما أراك الا قد سقط العشاء بك على السرحان وبك لا بظبي أعفر قد أعذرت إن أغنيت شيا وأسمعت لو ناديت حيا وقرعت عصى العتاب وحذرت سوء العقاب

ان العصا قرعت لذى الحلم * والشئ يحقره وقد ينمى

فان بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك وان قلت جعجعة ولا طحن فرب صلف تحت الراعدة وأنشدت

لا يؤيسنك من مخدرة * قول تغلظه وان جرحا

فعدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه بعثت من يزعجك الى الخضراء دفعا ويستحثك نحوها وكزا وصفعا فاذا صرت بها عبثت أكار وهابك وتسلط نواطيرها عليك

فمن قرعة معوجة تقوم فى قفالك وبجلة مثنيـة يرمى بهاتحت خصالك ذلك بما قدمت يدالك لكى تذوق وبال أمرك وترى ميزان قدرك

فمن جهلت نفسه قدره * رآى غيره منه مالا يرى

فلولا المعرفة بالتاريخ والاحاطة بالوقائع والسير والاقاصيص والامثال السائرة فى معنى ذلك لما تأتى للناثر الاقتدار على سبك هذه الوقائع والتلويح بمقتضياتها

النوع السابع عشر

(المعـــرفة بخزائن الكتب وأنواع العـــلوم والكتب المصنفة فيها وأسماء الرجال المبرزين فى فنونها وفيه مقصدان)

المقصـــــد الاول

(فى ذكر خزائن الكتب المشهورة)

قد كان للخلفاء والملوك فى القـديم بها مزيد اهتمام وكمال اعتناء حتى حصـلوا منها على العـدد الجم وحصـلوا على الخزائن الجليـلة ويقـال ان أعظم خزائن الكتب فى الاسـلام ثلاث خزائن

احداها ــ خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب مالا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسـة ولم تزل على ذلك الى أن دهمت التتر بغداد وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب وذهبت معالمها وأعفيت آثارها

الثانية ــ خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت من أعظم الخزائن وأكثرها جمعا للكتب النفيسة من جميع العلوم على ماسيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية فى المقالة الثانية ولم تزل على ذلك الى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم واستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم فاشترى القاضى الفاضل أكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقـاهرة فبقيت فيها الى أن استولت عليها الأيدى فلم يبق منها الا القليل

الثالثة ــ خزانة خلفاء بنى أمية بالاندلس وكانت من أجل خزائن الكتب أيضا ولم تزل الى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الاندلس فذهبت كتبها كل مذهب

أما الآن فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب اكتفاء بخزائن كتب المدارس التى ابتنوها من حيث انها بذلك أمس . واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تحصى وأجل من أن تحصر لاسيما الكتب المصنفة فى الملة الاسلامية فانها لم يصنف مثلها فى ملة من الملل ولا قام بتطيرها أمة من الأمم الا أن منها كتبا مشهورة قد توفرت الدواعى على نقلها والاكثار من نسخها وطارت سمعتها فى الآفاق ورغب فى اقتنائها

المقصد الثانى

(فى ذكر العلوم المتداولة بين العلماء والمشهور من الكتب المصنفة فيها ومؤلفيهم ويرجع المقصد فيها الى سبعة أصول يتفرع عنها أربعة وخمسون علما)

الاصل الاول

(علم الأدب وفيه عشرة علوم)

الاول علم اللغة — من الكتب المختصرة فيه المنتخب والمجرد لكراع وأدب الكاتب لابن قتيبة وفقه اللغة للثعالبى والفصيح لثعلب وكفاية المتحفظ لابن الاجدابى والألفية لابن أصبع . ومن المتوسطة فيه المجمل لابن فارس وديوان الأدب للفارابى واصلاح المنطق لابن السكيت . ومن المبسوطة الجامع للازهرى والعباب الزاخر للصاغانى والصحاح للجوهرى قال فى ارشاد القاصد ولا أنفع ولا أجمع من المحكم لابن سيده

الثانى علم التصريف — من الكتب المختصرة فيه التصريف الملوكى لابن جنى والتعريف لابن مالك . ومن المتوسطة تصريف ابن الحاجب وهو من أحسن الكتب الموضوعة فيه وأجمعها . ومن المبسوطة فيه الممتع لابن عصفور وشروح تصريف ابن الحاجب وغيره

الثالث علم النحو — من الكتب المختصرة فيه الكافية لابن الحاجب والدرة الألفية لابن معطى والخلاصة لابن مالك . ومن المتوسطة المفصل للزمخشرى والمقرب لابن عصفور والكافية الشافية لابن مالك وتسهيل الفوائد له وهو الجامع على شدة اختصاره . ومن المبسوطة كتاب سيبويه وشروحه وشرح ابن قاسم على الالفية وشرحه على التسهيل وشرح شهاب الدين السمين عليه وأوسع الكل شرح الشيخ أثير الدين أبى حيان على التسهيل

الرابع علم المعانى — من الكتب المنفردة فيه مصنف ميثم الحرنى وهو عزيز الوجود

الخامس علم البيان — من الكتب المنفردة به كتاب نهاية الاعجاز للامام فخر الدين الرازى والجامع الكبير لابن الاثير الجزرى

السادس علم البديع – من الكتب المنفردة به المختصرة فيــه زهر الربيع للطرزى . ومن المتوسطة فيه البديع التيفاشى وشرح البديعية للصفى الحلى . ومن المبسوطة كتاب التحبير لابن أبى الاصبع (تنبيــه) ومن الكتب المشتملة على علوم المعانى والبيان والبديع روض الازهار لابن مالك والايضاح لابن مالك وأعظمها شهرة بالديار المصرية تلخيص المفتاح لقاضى القضاة جلال الدين القزوينى وعليه عدة شروح منها شرح الخلخالى وشرح الشيخ أكمل الدين وشرح الشـيخ بهاء الدين السـبكى وهو من أجل شروحه والمعول عليه منها شرح الشيخ سـعد الدين التفتازانى

السابع علم العروض – من الكتب المختصرة فيــه عروض ابن مالك ولابن الحاجب فيه لاميــة كافية اعتنى الناس بشرحها وممن شرحها الشيخ جمال الدين بن واصل والشيخ جمال الدين الاسنوى وللنادى لاميــة ضاهى فيها لامية ابن الحاجب وللامام القزوينى عليهما شرح حسن وللايكى فيــه مختصر بديع وللجوهرى فيــه مختصر . ومن المتوسطة فيــه عروض ابن القطاع وعروض ابن الخطيب التـبريزى . ومن المبسوطة كتاب الامين المحلى وعروض الاستاذ أبى الحسن العروضى المعروف باستاذ المقتدر وقد نظم فيه صاحبنا شـعبان الآثارى محتسب مصر ألفية فائقة سماها هداية الضال الى علم الخليل جمع فيها فأوعى

الثامن علم القوافى – من الكتب المختصرة فيها قوافى الايكى . ومن المتوسـطة قوافى ابن القطاع ومن المبسوطة قوافى ابن سيدة

التاسع علم قوانين الخط – فى أصول الخط ألفية لشعبان الآثارى ولابن الحسـين كتاب فى قلم الثلث ولابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام مصنف فى قلم النسخ وفى صناعة الهجا المختصة بالقرآن الرائية للشاطبى وفى خلال كتب النحو الجامعـة كالتسهيل وغيره جملة من الهجا وقد أودعت فى هذا الكتاب ما فيه كفاية من ذلك

العاشر قوانين القراءة – فيه كتاب التنبيه لابى عمرو الدانى

الاصل الثـانى

(العلوم الشرعية وفيه تسعة علوم)

الأول علم النواميس المتعلق بالنبوّات – وفيــه كتاب لارسطـاطاليس وكتاب لافلاطون وأكثر مسائله فى كتاب المدينة الفاضلة لابى نصر الفارابى وفى آخر الطوالع والمصباح للبيضاوى مسائل من ذلك

الثانى علم القراآت — من الكتب المختصرة فيه التيسير لابى عمرو الدانى ونظمه الشاطبى فى قصيدته التى وسمها بحرز الامانى فأغنت عما سواها من كتب القراآت واعتنى الناس بشرحها ولابن مالك دالية بديعة فى علم القراآت لكنها لم تشتهر . ومن الكتب المبسوطة فيه كتاب الروضة فى القراآت وشروح الشاطبية كالفاسى وغيره

الثالث علم التفسير — من الكتب المختصرة فيه زاد المسير لابن الجوزى والوجيز للواحدى والنهر لابى حيان . ومن المتوسطة فيه الوسيط للواحدى والكشاف للزمخشرى ومعالم التنزيل للبغوى . ومن المبسوطة البسيط للواحدى وتفسير القرطبى وتفسير الامام فخر الدين والبحر المحيط لابى حيان . واعلم أن كل واحد من المفسرين قد غلب عليه فن من الفنون يميل اليه فى تفسيره فالثعالبى تغلب عليه القصص وابن عطية تغلب عليه العربية وابن عطية تغلب عليه أحكام الفقه والزجاج تغلب عليه المعانى وغير ذلك

الرابع علم رواية الحديث — أضبط الكتب المصنفة فيه وأصحها رواية صحيح البخارى وصحيح مسلم رضى الله عنهما و بعدهما بقية كتب السنن المشهورة كسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقطنى والمسندات المشهورة كمسند أحمد وابن أبى شيبة والبزار ونحوهما . ومن كتب السير السيرة لابن هشام وزهر الخمايل لابن سيد الناس . ومن الكتب المبسوطة المشتملة على متون الاحاديث دون الرواة جامع الاصول لابن الاثير . ومن المتوسطة الجمع فى ذلك الجمع بين الصحيحين للحميدى ومختصر جامع الاصول لمصنفه . ومن المختصرة فيما يتعلق بالاحكام الالمام باحاديث الاحكام للشيخ تقى الدين بن دقيق العيد وعمدة الاحكام للحافظ عبد الغنى المقدسى . ومما يتعلق بالترغيب والترهيب رياض الصالحين للنووى ومما يتعلق بالادعية كتاب الاذكار له وسلاح المؤمن لابن الامام الى غير ذلك من أنواع المصنفات المختلفة المقاصد مما لا يحصى كثرة

الخامس علم دراية الحديث — من الكتب الموصلة للدخول فى ذلك علوم الحديث لابن الصلاح وتقريب التيسير للنووى وعلوم الحديث للحاكم والكفاية للخطيب أبى بكر وفى أول جامع الاصول المقدم ذكره فى كتب رواية الحديث قطعة من ذلك . ومن الكتب المبسوطة فى أسماء الرجال الكمال . ومن الكتب المبسوطة فى معانى الحديث شرح البخارى لابن بطال وشرحه لابن التين المغربى وشرحه لمغلطاى وشرحه للكرمانى وشرحه لشيخنا سراج الدين ابن الملقن وشرح مسلم للقاضى عياض وشرحه للشيخ محيى الدين النووى وشرح سنن أبى داود للخطابى وشرح العمدة للشيخ تقى الدين بن دقيق العيد وشرحها للشيخ تاج الدين الفاكهانى .

ومن الكتب فى غريب الحديث كتاب الغريبين للهروى والنهاية لابى السعادات ابن الاثير وغير ذلك من سائر الانواع

السادس علم أصول الدين — من الكتب المختصرة فيه الطوالع للقاضى ناصر الدين البيضاوى والمصباح له وقواعد العقائد للخواجا نصير الدين الطوسى وكتاب الاربعين للقاضى جمال الدين ابن واصل . ومن المتوسطة المحصل للامام فخر الدين والصحايف للسمرقندى وشرح الطوالع للسيد العبرى وشرحها للشيخ عز الدين الاصفهانى

السابع علم أصول الفقه — من الكتب المختصرة فيه مختصر ابن الحاجب ومنهاج البيضاوى والتنقيح للقرافى والقواعد لابن الساعاتى . ومن المتوسطة فيه التحصيل للارموى . ومن المبسوطة فيه الاحكام للامدى والمحصول للامام فخر الدين وشروح مختصر ابن الحاجب كشرح القطب الشيرازى وشرحى المسيلى وشرح الشيخ شمس الدين الاصفهانى وأتقن شرح عليه للعضد وكشرح منهاج البيضاوى لابن المطهر وشرحه للشيخ جمال الدين الاسنوى وغير ذلك وكشرح التنقيح لمصنفه

الثامن علم الجدل — من الكتب المختصرة فيه المغنى للابهرى والفصول للنسفى والخلاصة للمراغى والمعونة لابى اسحاق الشيرازى . ومن المتوسطة فيه النفايس للعميدى والوسائل للارموى . ومن المبسوطة تهذيب النكت للابهرى

التاسع علم الفقه — من كتب الشافعية المختصرة مختصر المزنى ومختصر البويطى والوجيز للغزالى والتنبيه لأبى اسحاق الشيرازى والمحرر للرافعى والمنهاج للنووى والحاوى الصغير لعبد الغفار القزوينى والعجب العجاب وجامع المختصرات ومختصر الجوامع للشيخ كمال الدين النشائى . ومن المتوسطة المهذب لأبى اسحاق الشيرازى والوسيط للغزالى والشرح الصغير للرافعى والروضة للنووى والجواهر للقمولى وأجمعها على اختصار المنتقى للشيخ كمال الدين النشائى . ومن المبسوطة الأم للامام الشافعى والحاوى للماوردى والبحر للرويانى والنهاية لامام الحرمين والبسيط للغزالى والشامل لابن الصباغ والتتمة للمتولى والعدة لابى المكارم الرويانى والشرح الكبير على الوجيز للرافعى وشرح المهذب للنووى انتهى فيه الى أثناء الربا ولو كمل لاغنى عن جل كتب المذهب والكفاية فى شرح التنبيه لابن الرفعة والمطلب فى شرح الوسيط له والبحر المحيط فى شرح الوسيط للقمولى ومن محاسنها المهمات على الرافعى والروضة للشيخ جمال الدين الاسنوى . ومن كتب الحنفية المختصرة البداية والنافع والكنز ومجمع البحرين ومختار الفتوى . ومن المتوسطة الهداية . ومن المبسوطة المحيط والمبسوط والتحرير والجامع الكبير وغير ذلك . ومن كتب المالكية المختصرة

التلقين للقاضي عبد الوهاب ومختصر ابن الجلاب ومختصر ابن الحاجب . ومن نفيس المختصرات فيها مختصر الشيخ خليل المالكي حذا فيه قريبا من حذو جامع المختصرات . ومن المتوسطة التهذيب للبرادعي والجواهر لابن شاس ونظم الدر للشارمساحي . ومن المبسوطة النوادر لابن أبي زيد والبيان والتحصيل وكتاب ابن يونس وشرح التلقين للمازري وليس بكامل والذخيرة للقرافي . ومن كتب الحنابلة المختصرة مختصر الحرقي والنهاية الصغرى لابن رزين . ومن المتوسطة المقنع والكافي . ومن المبسوطة المغني لابن قدامة ومن كتب الخلاف في المذاهب الاربعة الاختلاف والجمع لابن هبيرة الحنبلي ومن المشتمل على مذاهب السلف الاشراف لابن المنذر

الاصل الثالث

(العلم الطبيعي وفيه اثنا عشر علما)

الاول علم الطب — من الكتب المختصرة فيه الموجز لابن نفيس والفصول لابقراط . ومن المتوسطة المختار لابن هبل والمائة للمسيحي والشافي لابن القف . ومن المبسوطة كامل الصناعة المعروف بالملكي والقانون للرئيس أبي على بن سينا وهو الذي أخرج الطب من التلفيق الى التهذيب والترتيب وهو أجمع الكتب وأبلغها لفظا وأحسنها تصنيفا

الثاني علم البيطرة — من الكتب المصنفة فيه كتاب حنين بن اسحاق

الثالث علم البيزرة — من الكتب المصنفة فيه كتاب القانون الواضح وفي كتاب العلاجين لابن العوام جملة كافية من البيطرة والبيزره

الرابع علم الفراسة — من الكتب المصنفة فيه كتاب ارسطاطاليس وكتاب الفراسة للامام فخر الدين الرازي ولفيلن فيه كتاب مختص بالتفرس في النساء

الخامس علم تعبير الرؤيا — من الكتب المختصرة فيه فوائد الفرائد لابن الدقاق وتعبير الحنبلي المرتب على حروف المعجم . ومن المتوسطة فيه شرح البدر المنير للحنبلي . ومن المبسوطة فيه تأليف أبي سهيل المسيحي والبشرى في شرح كتاب الكرماني

السادس علم أحكام النجوم — من الكتب المختصرة فيه مجمل الاصول لكوشيار والجامع الصغير لمحيي الدين المغربي . ومن المتوسطة كتاب التاريخ والمغني لابن هنبتا . ومن المبسوطة مجموع ابن سريج . ومن الكتب المنفردة ببعض أجزائه الادوار لابي معشر والارشاد لابي الريحان البيروني والمواليد للخصيبي والتحاويل للسجزي والمسائل للقيصراني ودرج الفلك لسكلوشا ومن المدخل اليه مدخل القبيصي والتفهيم للبيروني مدخل الى هذا الفن وفيه ما يحتاج اليه من الرياض أيضا

السابع علم السحر وعلم الحرف والاوفاق — ومن كتب السحر المعتبرة فى بعض طرائقه السر المكتوم المنسوب للامام فخر الدين وكتاب الجمهرة للجارمى وكتاب طمطم لارسطاطاليس وغاية الحكيم للبونى فصول كافية فى بعض طرقه أيضا . ومن كتب علم الحرف كتاب لطائف الاشارات للبونى وشمس المعارف له وهو عزيز الوجود وفى النسخ المعتبرة من اللمعة النورانية للبونى قطعة كافية منه

الثامن علم الطلسمات — فى كتاب طبقاتنا الذى نقله ابن وحشية عن النبط انموذج لعمل الطلسمات ومدخل الى علمها وفى غاية الحكيم للمجريطى قواعد هذا العلم قال فى ارشاد القاصد الا أنه ضن بالتعليم كل الضن ولابى يعقوب السكاسكى فيه كتاب جليل القدر

التاسع علم السيميا — رأيت فيه كتبا مجهولة المصنفين

العاشر علم الكيميا — من الكتب المطولة فيه كتب جابر بن حيان قال فى ارشاد القاصد وأمثل كتب الاسلاميين فى ذلك التذكرة لابن مسكويه ورتبة الحكيم للمجريطى وشرح الفصول لعون بن المنذر . ومن النظم الرائق فيه نظم الشذور

الحادى عشر علم الفلاحة — من الكتب المختصرة فيه الفلاحة المصرية . ومن المبسوطة فيه الفلاحة النبطية ترجمة أبى بكر بن وحشية

الثانى عشر علم ضرب الرمل — من الكتب المصنفة فيه تجارب العرب وفى مثلثات بن محقق حصر صوره (تنبيه) لارسطاطاليس ثمان كتب فى الطبيعى يختص كل كتاب منها بجزء جردها ابن سينا فى مختصر مترجمه بالمقتضيات ولخصها أبو الوليد بن رشد تلخيصا مفيدا والمتأخرون جمعوا فى غالب كتبهم بينه وبين الالهى فى التصنيف كما فى الطوالع والمصباح للبيضاوى

الاصل الرابع

(علم الهندسة وفيه عشرة علوم)

الاول علم عقود الابنية — من الكتب المصنفة فيه مصنف لابن الهيثم ومصنف للكرخى

الثانى علم المناظر — من الكتب المختصرة فيه كتاب اقليدس . ومن المتوسطة كتاب على بن عيسى الوزير . ومن المبسوطة كتاب ابن الهيثم

الثالث علم المرايا المحرقة — من الكتب المصنفة فيه كتاب لابن الهيثم

الرابع علم مراكز الاثقال — من الكتب المعتبرة فيه كتاب ابن الهيثم وفيه كتاب لأبى سهل الكوهى

الخامس علم المساحة — من الكتب المختصرة فيه كتاب ابن مجلى الموصلي . ومن المتوسطة كتاب ابن المختار . ومن المبسوطة كتاب ارشميدس

السادس علم انباط المياه — للكرخي فيه مختصر جليل وفي خلال الفلاحة النبطية لابن وحشية مهمات هذا العلم

السابع علم جر الاثقال — فيه كتاب لفيلن

الثامن علم البنكامات — فيه كتاب لارشميدس عمدة في بابه

التاسع علم الآلات الحربية — فيه كتاب لبني موسى بن شاكر

العاشر علم الآلات الروحانية — أشهر كتبه الكتاب المعروف بحيل بني موسى وفيه كتاب مختصر لفيلن وكتاب مبسوط للبديع الجزري

الاصل الخامس

(علم الهيئة وفيه خمسة علوم)

الاول علم الزيجات — قال في ارشاد القاصد أقرب الزيجات عهدا بالرصد الزيج العلائي قال وأهل مصر في زماننا انما يقيمون دفتر السنة من زيج لفقوه من عدة أزياج ولقبوه بالمصطلح وأتم الزيجات في زماننا الذي نحن فيه زيج الشيخ علاء الدين بن الشاطر الدمشقي وهو عزيز الوجود لم ينتشر ولم تكثر نسخه بعد

الثاني علم المواقيت — من الكتب المختصرة فيه نفائس اليواقيت في علم المواقيت . ومن المبسوطة جامع المبادي والغايات لأبي علي المراكشي

الثالث علم كيفية الارصاد — من الكتب المعتبرة فيه كتاب الارصاد لابن الهيثم وكتاب الآلات العجيبة للخازني يشتمل عليه

الرابع علم تسطيح الكرة — من الكتب القديمة فيه كتاب تسطيح الكرة لبطليموس . ومن الكتب المحدثة فيه الكامل للفرغاني والاستيعاب للبيروني وآلات التقويم للمراكشي

الخامس علم الآلات الظلية — فيه عدة مصنفات ولابراهيم بن سنان الحراني فيه كتاب مبرهن

الاصل السادس

(علم العدد المعروف بالارثماطيقي وفيه خمسة علوم)

الاول علم الحساب المفتوح — من الكتب المختصرة فيه مختصر ابن مجلى الموصلي ومختصر ابن فلوس الماردينى ومختصر السموءل بن يحيي المغربي . ومن المتوسطة الكافي للكرخي . ومن المبسوطة الكامل لأبي القاسم بن السمح

الثانى علم حساب التخت والميل — من الكتب المصنفة فيه على طريق الهندى كتب معدة ومن الكتب المصنفة فيه على طريقة الغبار كتاب الحصار وكتاب المدخل وغيرهما

الثالث علم الجبر والمقابلة — من الكتب المختصرة فيه نصاب الجبر لابن فلوس الماردينى والمفيد لابن تجلى الموصلى . ومن المتوسط فيه كتاب الظفر الطوسى . ومن المبسوط جامع الاصول لابن المجلى والكامل لابى شجاع بن أسلم

الرابع علم حساب الخطأين — وفيه من الكتب الجامعة كتاب لزين الدين المعرى

الخامس علم حساب الدور والوصايا — ومن الكتب المصنفة فيه كتاب لأفضل الدين الخونجى

الاصل السابع

(العلوم العمليـــة وفيه ثلاثة علوم)

الاول علم السـياسة — ومن الكتب المصنفة فيه كتاب السياسة لارسطاطاليس الذى ألفه للاسكندر وكتاب المدينة الفاضلة لابى نصر الفارابى وللشيخ تقى الدين بن تيمية كتاب حسن فى السياسة الشرعية

الثانى علم الاخلاق — ومن الكتب المختصرة فيـه كتاب للشيخ أبى على بن سينا . ومن المتوسطة كتاب الفوز لأبى على بن مسكويه . ومن المبسوطة كتاب للامام فخر الدين الرازى

الثالث علم تدبير المنزل — ويحصل الانتفاع فيها بالاطلاع على السير الفاضلة المحمودة للملوك وغيرهم ولا أنفع من السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

فاذا عرف الكاتب هـذه العلوم والفنون وما صـنف فيها من الكتب أمكنه التصرف فيها فى كتابه بذكر علم نبيل لمساواته أو التفضيل عليه وذكر كتاب مصنف فى ذلك حيث تدعو الحاجة الى ذكره كما وقع لى فى تقريظ مولانا قاضى القضاه شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن بن سيدنا شيخ الاسلام أبى حفص عمر البلقينى الكنانى الشافعى ان تكلم فى الفقه فكأنما بلسان الشافعى تكلم والربيع عنه يروى والمزنى منه يتعلم أو خاض فى أصول الفقه قال الغزالى هذا هو الامام باتفاق وقطع السـيف الآمدى بانه المقـدم فى هـذا الفن على الاطلاق أو جرى فى التفسير قال الواحدى هـذا هو العالم الأوحد وأعطاه ابن عطية صفقة يده بأن مثله فى التفسير لا يوجد واعترف له صاحب الكشاف بالكشف عن الغوامض وقال الامام فخر الدين هذه مفاتيح الغيب وأسرار التنزيل فارتفع الخلاف واندفع المعارض أو أخذ فى القرا آت والرسم أزرى بأبى عمرو الدانى وعدا شاو الشاطبى فى الرائيـة وتقدمه فى حرز الامانى أو تحـدث فى الحديث شهد له السـفيانان بعلو الرتبة فى الرواية واعترف له ابن معين فى التبريز والتقـدم فى الدراية وهتف الخطيب البغـدادى بذكره على المنابر وقال ابن الصـلاح لمثل هذه الفوائد تتعين الرحلة وفى

تحصيلها تنفد المحابر أو أبدى فى أصول الدين نظرا تعلق منه أبو الحسن الأشعرى بأوفى زمام وسد باب الكلام على المعتزلة حتى يقول عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء ليتنا لم نفتح بابا فى الكلام أو دقق النظر فى المنطق بهر الابهرى فى مناظرته وكتب الكاشى وتبعه على نفسه بالعجز عن مقاومته أو ألم بالجدل رمى الارموى نفسه بين يديه وجعل العميدى عمدته فى آداب البحث عليه أو بسط فى اللغة لسانه اعترف له ابن سيده بالسيادة وأقر بالعجز لديه الجوهرى وجلس ابن فارس بين يديه مجلس الاستفادة أو نحا الى النحو والتصريف أربى فيه على سيبويه وصرف الكسائى له عزمه فسار من البعد اليه أو وضع أنموذجا فى علوم البلاغه وقف عنده الجرجانى ولم يتعد حده ابن أبى الاصبع ولم يجاوز وضعه الرمانى أو روى أشعار العرب أزرى بالاصمعى فى حفظه وفاق أبا عبيدة فى كثرة روايته وغزير لفظه أو تعرض للعروض والقوافى استحقهما على الخليل وقال الاخفش عنه أخذت المتدارك واعترف الجوهرى بأنه ليس له فى هذا الفن مثيل أو أصل فى الطب أصلا قال ابن سينا هذا هو القانون المعتبر فى الاصول وأقسم الرازى بمحيى الموتى ان بقراط لو سمعه لما صنف الفصول أو جنح الى غيره من العلوم الطبيعية فكأنما طبع عليه أو جذبه بزمام فانقاد ذلك العلم اليه أو سلك فى علوم الهندسة طريقا لقال اقليدس هذا هو الخط المستقيم وأعرض ابن الهيثم عن حل الشكوك وولى وهو كظيم وجد المؤتمن بن هود عدما كمال كتابه الاستكمال وقال عرفت بذلك نفسى وفوق كل ذى علم عليم أو عرج على علوم الهيئة لاعترف أبو الريحان البيرونى انه الاعجوبة النادرة وقال ابن أفلح هذا العالم قطب هذه الدائرة أو صرف الى علم الحساب نظره لقال السموءل بن يحيى لقد أحيى هذا العز الدارس وانجلت عن هذا العلم غياهبه حتى لم يبق عمه لعامه ولا غمة على ممارس

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

وسوف أورد هذه الرسالة فى موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكذلك يجرى القول فيما يكتب به من اجازات أهل العلوم ونحوها فى كل علم وقد تقدم ذكر شىء مما يجرى هذا المجرى فى الكلام على النحو ونحوه

النوع الثامن عشر

(المعرفة بالاحكام السلطانية)

ليعرف كيف يخلص قلمه على حكم الشريعة المطهرة وما يشترط فى كل ولاية من الشروط فينبه عليها ويقف عندها وما يلزم رب كل وظيفة من أرباب الوظائف وما يندب له فيورده

فى وصاياه وقد أفرد أقضى القضاة أبو الحسن على بن حبيب الماوردى رحمه الله فى الاحكام السلطانية مافيه مقنع من ذلك ونحن نورد فى هذا الكتاب نبذة من كل باب مما به يستغنى الناظر فيه عن مراجعة غيره والذى تكلم عليه الماوردى من الوظائف الاصول الامامة والوزارة وتقليد الامارة على البلاد وتقليد الامارة على الجهاد والولاية على ضروب المصالح وولاية القضا وولاية المظالم وولاية النقابة على ذوى الانساب والولاية على اقامة الصلوات والولاية على الحج والولاية على الصدقات وقسم الفىء والغنيمة ووضع الجزية والخراج ومعرفة ماتختلف أحكامه من البلاد واحياء الموات واستخراج المياه والحمى والاوقاف وأحكام الاقطاع وأحكام الديوان وأحكام الجرائم وأحكام الحسبة وأنا أقتصر من ذلك هنا على ماتفضى اليه حاجة الكاتب من الاحكام دون ماعداه من الفروع الزائدة على ذلك فاذا عرف حكم كل ولاية من هذه الولايات ومايوجب توليتها ومايعتبر فى متوليها من الشروط ومايلزمه من الامور اذا تولاها وماينافى أمورها ويجانب أحوالها عرف مايأتى من ذلك ومايذر فيكون ماينشئه من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع ومايجرى مجرى ذلك جاريا منه على السداد ماشيا على القواعد الشرعية التى من حاد عنها ضل ومن سلك خلاف طريقها زل وكذلك المناشير المتعلقة بالاقطاعات وعقد الجزية والمهادنات والمفاسخات ومايجرى مجرى ذلك من الامور السلطانية فاذا عرف حكم كل قضية ومايجب على الكاتب فيها وفاها حقها وأتى بذكر مايتعلق بها من الشروط وجرى فى وصايا الولايات بما يناسب كل ولاية منها فجرى الامر فى ذلك على السداد ومشت كتابته فيها على أتم المراد ان كتب بيعة أو عهد الخليفة تعرض فيه الى وجوب القيام بأمر الخلافة ونصب امام للناس يقوم بأمرهم وتعرض الى اجتماع شروط الخلافة فى المولى وأنه أحق بها من غيره ثم ان كانت بيعة وقد نشأت عن موت خليفة تعرض لذكر الخليفة الميت وما كان عليه أمره من القيام بأعباء الخلافة وأنه درج بالوفاة وأن المولى استحقها من بعده دون غيره وان كانت ناشئة عن خلع خليفة تعرض للسبب الموجب لخلعه من الخروج عن سنن الطريق والعدول عن منهج الحق ونحو ذلك مما يوجب الخلع لتصح ولاية الثانى وان كان عهدا تعرض فيه الى عهد الخليفة السابق اليه بالخلافة وأنه أصاب فى ذلك الغرض وجرى فيه على سواء الصراط ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى من سائر الولايات على ماسيأتى ذكره فى مواضعه ان شاء الله تعالى وهذه فقر من بيعة أنشأتها توضح ماأشرت اليه من ذلك .

فمن ذلك ماقلته فيها مشيرا الى وجوب القيام بالامامة أما بعد فان عقد الامامة لمن يقوم بها من الامة واجب بالاجماع مستند لأقوى دليل تنقطع دون نقضه الاطماع وتنبو عن سماع مايخالفه الاسماع . ومن ذلك ماقلته فيها مشيرا الى اجتماع شروط الخلافة فى المولى وهو وكان فلان

أمير المؤمنين هو الذى جمع شروطها فوفاها وأحاط منها بصفات الكمال واستوفاها ورامت به أدنى مراتبها فبلغت أغياها وتسوّر معاليها فرقى الى أعلاها واتحد بها مكان صورتها ومعناها . ومن ذلك ما قلته فيها مشيرا الى عقد البيعة بجمع أهل الحل والعقد المعتبرين للاعتبار والعارفين بالتقدم من القضاة والعلماء وأهل الخير والصلحاء وأرباب الرأى والنصحاء واستشارهم فى ذلك فصوّبوه ولم يروا العدول عنه الى غيره بوجه من الوجوه . ومن ذلك ما قلته فيها مشيرا الى القبول وقابل عقدها بالقبول بمحضر من القضاة والشهود فلزمت ومضى حكمها على الصحة فانبرمت الى غير ذلك مما ينخرط فى هذا من سائر الولايات وغيرها . قلت وكما يجب عليه معرفة الاحكام السلطانية يتعين عليه معرفة ما عدا ذلك من الامور الصناعية التى ينتظم أصحابها فى سلك الولايات كالهندسة ونحوها وسيأتى التنبيه فيما يجب على كل واحد من أرباب الولايات عند ذكر ولاية كل منهم فى موضعها ان شاء الله تعالى

الطرف الثانى

(فى معرفة ما يحتاج الكاتب الى وصفه فى أصناف الكتابة مما تدعوه ضرورة الكتابة اليه على اختلاف أنواعها ويشتمل على أنواع)

النوع الاول

(مما يحتاج الى وصفه النوع الانسانى وهو على ضربين)

الضرب الاول

(أوصافه الجسمية وهى على ثلاثة أقسام)

القسم الاول

(ما يشترك فيه الرجال والنساء وهى عدة أمور)

منها حسن اللون والالوان فى البشر ترجع الى ثلاثة أصول وهى البياض والسمرة والسواد ويعبر عن السواد بشدة الادمة وربما عبر عن البياض برقة السمرة ويستحسن من هذه الالوان البياض وأحسن البياض ما كان مشربا بحمرة وقد جاء فى حديث ضمام بن ثعلبة أنه حين سأل عن النبى صلى الله عليه وسلم عند وفوده عليه بقوله أيكم ابن عبد المطلب قيل هو ذاك الأمغر

المتكى والأمغر هو المشرب بحمرة أخذا من المغرة وهى الصبغ المعروف وقد جاء فى وصفه صلى الله عليه وسلم أنه أزهر اللون والازهر هو الابيض بصفرة خفيفة والسمرة مستحسنة عند كثير من الناس وهو الغالب فى لون العرب وقد قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود أن المراد بالاحمر العجم لغلبة البياض فيهم والمراد بالاسود العرب لغلبة السمرة فيهم أما السواد فانه غير ممدوح بل قد ذم الله تعالى السواد ومدح البياض بقوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الآية على ان كثيرا من الناس قد جنحوا الى استحسان السودان والميل اليهم وتآلفوا فى الاحتفال بأمرهم وقد نص أصحابنا الشافعية على أنه لو قال لزوجته ان لم تكونى أحسن من القمر فأنت طالق لم تطلق وان كانت زنجية سوداء فقد قال تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) وبالجملة فالحسن فى كل لون مستحسن ولله القائل

ان المليح مليح * يحب فى كل لون

ومنها حسن القد وأحسن القدود الربعة وهو المعتدل القامة الذى لا طول فيه ولا قصر وليس كما يقع فى بعض الاذهان من أن المراد منه دون الاعتدال وقد جاء فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان ربعة ويستحسن فى القد القوام والرشاقة ويشبه بالرمح وبالغصن وأكثر ما يشبه به فى ذلك أغصان البان لقوامها . ومنها سواد الشعر وأكثر ما يكون ذلك فى السمر فان اجتمع مع البياض سواد الشعر كان ذلك فى غاية من الحسن ويشبه سواد الشعر بالليل وربما وقعت المبالغة فيه فشبه بفحمة الليل وبدجى الليل وبفحمة الدجى وقد يشبه بالابنوس ونحوه مما يغلب فيه حلك السواد وقد اختلف الناس فى جعودة الشعر وسبوطته أيهما أحسن فذهب قوم الى استحسان الجعودة وهى انقباض الشعر بعض انقباض وهو مما يستحسنه العرب واليه ذهب الفقهاء حتى لو شرط البائع فى عبد كونه جعد الشعر وظهر سبط الشعر رد بذلك بخلاف العكس وذهب آخرون الى استحسان السبوطة وهى استرسال الشعر وانبساطه من غير انكماش وأكثر ما يوجد ذلك فى الترك ومن فى معناهم ثم الذاهبون الى استحسان الجعودة يستحسنون التواء شعر الصدغ ويشبهونه بالواو تارة وبالعقرب أخرى . ومنها وضوح الجبين وسعة الجبهة وانحسار الشعر عنها فيستقبح الغمم وهو عموم الجبهة أو بعضها بشعر الرأس . ومنها وسامة الوجه وحسن المحيا ويشبه الوجه فى الحسن بالشمس وبالقمر وبالسيف الا أن التشبيه بالشمس وبالقمر أتم من التشبيه بالسيف لما فيه من صورة الاستطالة وقد جاء فى بعض الآثار أنه قيل لبعض الصحابة رضى الله عنهم هل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف فقال بل كالشمس والقمر ويستحسن فى الوجه حمرة الوجنتين ويشبه لونهما بالورد وبالشقيق

و بالعقيق و بالعندم وما يجرى مجرى ذلك مما تغلب فيه الحمرة المشرقة . ومنها بلج الحاجبين وزججهما فالبلج انقطاع شعر الحاجبين بأن لا يكون بينهما شعر يصل ما بينهما وهو خلاف القرن وربما استحسن الخفى من القرن وهو الذى دق فيه شعر ما بين الحاجبين حتى لا يظهر فيه إلا خضرة خفية والزج دقة الحاجب مع طوله بحيث ينتهى الى مؤخر العين وقد جاء فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان أزج الحاجبين ويستحسن فى الحاجبين سواد شعرهما وأن يكونا مقوسين ويشبه تقويسهما بالنون تارة وبالقوس أخرى . ومنها حسن العينين ويستحسن فى العين الحور وهو خلوص بياض العين والنجل وهو سعتها ويقال فيه حينئذ أنجل وربما قيل أعين وفيه قيل للحور عين والدعج وهو شدة سواد الحدقة والكحل وهو أن تسود مواضع الكحل من العين خلقة وتشبه العين بالصاد تارة وبالجيم أخرى وتشبه بالنرجس وربما شبهت بنور الباقلا واعترض بأن فيه حولا وربما شبهت العين بالسيف وبالسهم وبالسنان وقد يستحسن فى العينين الفتور وضعف الاجفان . ومنها حسن الانف ويستحسن فيه القنا وهو ارتفاع وسط الأنف قليلا عن طرفيه مع دقة فيه وهو الغالب فى العرب وقد جاء فى وصفه صلى الله عليه وسلم أنه كان أقنى الأنف ويستحسن فيه الشمم أيضا وهو استواء قصبة الأنف وعلو أرنبته ويشبه الأنف بالسيف فى بريقه . ومنها حسن الفم ويستحسن فيه الضيق ويشبه بالميم وبالصاد وبالخاتم . ومنها حسن الشفتين ويستحسن فيهما الحمرة وتشبه حمرتهما بما تشبه به الوجنة من الورد والعقيق ونحوه ويستحسن فيهما اللمى وهو سمرة تعلو حمرتهما . ومنها حسن الاسنان ويستحسن فيها الشنب وهو بياض وبريق يعلوهما وتشبه الاسنان فى البياض وحسن النظم باللؤلؤ وبالبرد وبالطلع وهو نبت أبيض وبالاقاح وبالحبب وهو الذى يعلو الكأس عند شجه بالماء وقد تشبه بالجوهر ويستحسن فيها الاشر وهو تحديد الاسنان كما يقع فى كثير من الصبيان ويستحسن فى السنخ وهو لحم الاسنان حمرة لونه وتشبه بالعقيق والورد وسائر ما يشبه به الخد . ومنها حسن الجيد وهو العنق ويستحسن فيه طوله وبياضه من الابيض ويشبه بابريق فضة . ومنها دقة الخصر وهو معقد الازار حتى يشبهونه بدور دملج ودور خلخال وما أشبه ذلك . قلت وهذه الصفات وان كانت مستحسنة فى الرجال والنساء جميعا فانها فى النساء آكد فان الامر فى الحسن منوط بهن فمهما كانت المرأة أحسن كان أعظم لشأنها وأعز لمكانها وقد قيل لرجل من بنى عذرة ما بال الرجل منكم يموت فى هوى امرأة انما ذلك لضعف فيكم يا بنى عذرة فقال أما والله لو رأيتم النواظر الدعج فوقها الحواجب الزج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقد أكثر الشعراء من التغزل بهذه المحاسن بما ملأ الدفاتر مما لا حاجة بنا الى ذكره هنا

القسم الثانى

(مايختص به الرجال)

وأخص مايختص به الرجال من المحاسن اللحية وقد قيل فى قوله تعالى (يزيد فى الخلق مايشاء) ان المراد اللحية على خلاف فى ذلك ويستحسن فى اللحية استدارتها وتوسطها فى المقدار وسواد شعرها فاذا حسنت اللحية من الرجل كملت محاسنه وتزيد الاحداث على الرجال فى الحسن بمقدمات ذلك فيستحسن منهم خضرة الشارب وخضرة العارض والعذار ويشبه كل منهما بالآس وبالريحان وبدبيب النمل ونحو ذلك ويشبه العذار بالالف وباللام وبالباء ويشبه الشارب الاخضر فوق حمرة الشفتين بقوس قزح وبالآس مع الورد ونحو ذلك على أن أهل الفراسة قد استحسنوا فى الرجل أمورا تخالف ما تقدم . منها سعة الفم وغلظ الشفتين وما أشبه ذلك قائلين ان ذلك مما يدل على الشجاعة وهو أمر مطلوب فى الرجل كما تقدم

القسم الثالث

(ما يختص به النساء)

ومما ينفرد به النساء من الاوصاف الجسمية السمن فهو أمر مطلوب فى المرأة مالم يفرط ويخرج عن الحد المطلوب ففى الصحيحين من حديث أم زرع بنت أبى زرع وما بنت أبى زرع ملء كسائها وغيظ جارتها اشارة الى امتلائها بالشحم ووصف أعرابى امرأة فقال بيضاء رعبوبة بالشحم مكروبة بالمسك مشبوبة وهذا بخلاف الرجال فان المطلوب فيهم الخفة وقلة اللحم لاجل قوة النهضة وسرعة الحركة فى الحرب وغيره والسمن يمنع ذلك مع ما يقال ان فيه تبليدا للذهن قال بعضهم ما رأيت حبرا سمينا الا محمد بن الحسن يعنى صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه وربما استحسن قلة اللحم فى المرأة أيضا وتوصف حينئذ بالهيف . ومن ذلك ثقل الردف فهو مما يمدح به فى النساء بخلاف الرجل فان ذلك فيه غير محمود . ومن غريب ما يحكى فى ذلك أن رجلا أخذ خطرا من قوم على أن يغضب معاوية بن أبى سفيان مع غلبة حلمه فعمد الى معاوية وهو ساجد فى الصلاة فوضع يده على عجيزته وقال ما أشبه هذه العجيزة بعجيزة هند يعنى أم معاوية فلما سلم من صلاته التفت الى ذلك الرجل وقال يا هذا ان أبا سفيان كان محتاجا من هند الى ذلك وان كان أحد جعل لك شيأ على ذلك فخذه . ومما يستحسن فى المرأة طول الشعر فى الرأس ودقة العظم وصغر القدم ونعومة الجسد وقلة شعر البدن فى أمور أخرى يطول ذكرها

الضرب الثانى

(الصفات الخارجة عن الجسد وهى على ثلاثة أقسام أيضا)

القسم الاول

(ما يشترك فيه الرجال والنساء)

وهو يرجع الى أصلين العقل والعفة ويدخل تحت كل من هذين الاصلين عدة من أوصاف المدح فأما العقل فيدخل تحته العلم وصفاته المعرفة والحياء والبيان والسياسة والكفاية والصدع بالحجة والحلم عن سفاهة الجهلة وغيرذلك مما يجرى هذا المجرى ولا يخفى أن هذه الاوصاف مطلوبة فى الرجال والنساء جميعا وان كان أكثرها بالرجال أليق . وأما العفة فيدخل تحتها القناعة وقلة الشره وطهارة الازار وغيرذلك مما لا يستغنى عنه رجل ولا امرأة واذا ركب العقل مع العفة حدث عنهما صفات أخرى مما يمدح به كالنزاهة والرغبة عن المسألة والاقتصار على أدنى معيشة ونحوذلك مما ينخرط فى هذا السلك

القسم الثانى

(ما يختص به الرجال دون النساء)

وهو يرجع الى أصلين أيضا وهما العدل والشجاعة ويدخل تحت كل من الاصلين عدة أوصاف من أوصاف المدح فيدخل تحت العدل السماحة والتبرع بالنائل واجابة السائل وقرى الضيف وما شابه ذلك ويدخل تحت الشجاعة عدة أوصاف كالحماية والدفاع والاخذ بالثار والنكاية فى العدو والمهابة وقتل الاقران والسير فى المهامه الموحشة وما أشبه ذلك واذا ركب العقل مع الشجاعة حدث عنهما صفات أخرى مما يمدح به كالصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالوعد ونحو ذلك

القسم الثالث

(ما يختص به النساء)

ويرجع الى أصلين مذمومين فى الرجل وهما الجبن والبخل وذلك أن المرأة اذا جبنت كفت عن المساوى خوفا على نفسها أو عرضها واذا بخلت حفظت مال زوجها عن الضياع والاتلاف وحينئذ فتكون أوصاف الرجال الممدوحة أربعة أوصاف اثنان يشتركون فيهما مع النساء وهى

العقل والعفة واثنان ينفردون بها عن النساء وهما العدل والشجاعة وتكون أوصاف النساء المدوحة أربعة أيضا اثنان يشتركن فيها مع الرجال وهي العقل والعفة واثنان ينفردن بها عن الرجال وهي الجبن والبخل فيمدح كل من الصنفين بما هو مشتمل عليه بحسب ما يقتضيه المقام وما يوجبه الحال قال قدامة بن جعفر الكاتب في نقد الشعر ومدائح الرجال تنقسم بحسب الممدوحين من أصناف الناس في الارتفاع والاتضاع وضروب الصناعات والتبدي والتحضر فيحتاج الى الوقوع على المعنى اللائق بمدح كل فمدح الملوك يكون بما يلائم قدرهم من رفعة القدر وعلو الرتبة والانفراد عن المثل والقرين كقول النابغة في النعمان بن المنذر

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وما يجرى مجرى ذلك ومدح الوزير والكاتب بما يليق بالعقل والدربة وحسن التنفيذ والسياسة فان أضيف الى ذلك الوصف بالسرعة في اصابة الحزم والاستغناء بحضور الذهن عن الابطاء لطلب الاصابة كان أحسن وأكمل للمدح كما قيل

بديهته مثل تفكيره * متى رمته فهو مستجمع

وكما قيل

يرى ساكن الاوصال باسط وجهه * يريك الهوينا والامور تطير

ويمدح القائد يعني الامير الذي يقود الجيش بما يجانس البأس والنجدة ويدخل في باب البطش والبسالة فان أضيف الى ذلك المدح بالجود والسماحة والحذق والبذل والعطية كان أحسن وأتم من حيث ان السخا أخو الشجاعة وهما في أكثر الامور موجودان في ذوي بعد الهمة والاقدام والصولة كما قال بعضهم جامعا بين البأس والجود

فتى دهره شطران مما ينوبه * ففي بأسه شطر وفي جوده شطر
فلا من بغاة الخير في عينه قذا * ولا من زئير الحرب في أذنه وقر

قال وتمدح السوقة والمتعيشون باصناف الحرف وضروب المكاسب والصعاليك بما يضاهي الفضائل النفسانية من العقل والعفة والعدل والشجاعة خاليا عن مثل مدح الملوك ومن تقدم ذكره من الوزراء والكتاب والقواد وتمدح ذوو الشجاعة منهم بالاقدام والفتك والتشمير والتيقظ والصبر مع التحذق والسماحة وقلة الاكتراث بالخطوب الملمة ونحو ذلك . قلت ويأخذ مما ذكره قدامة أن القضاة والعلماء يوصفون بما يليق بمحلهم من ذلك فيوصف العالم بثقابة الذهن وحدة الفهم وسعة الباع في الفضل وما يجرى مجرى ذلك ويوصف القضاة بذلك وبالعدل والعفة

ومباينة الجور ونحو ذلك وستقف فى قسم الولايات فى نسخ البيعات والعهود والتقاليد والتواقيع والتفاويض والمراسيم ونحوها من ذلك بما يتضح لك به سواء السبيل . واعلم ان الكاتب كما يحتاج الى معرفة الصفات المحمودة من النوع الانسانى كذلك يحتاج الى معرفة الصفات المذمومة منه فربما احتاج الى الكتابة بذم شئ من ذلك فيكون عنده من العلم بالصفات المذمومة ما ينفق معه كما حكى أن بعض العمال بعث الى الرشيد بعبد أسود فقلب كتابه ووقع عليه أما بعد فانك لو وجدت عددا أقل من الواحد أو لونا شرا من السواد لبعثت به الينا والسلام ولا يخفى أن كل ما خالف صفة من الصفات المستحسنة المتقدمة فهو مستقبح مع ما هو معلوم من الصفات المذمومة الجسمية كالحدب والحول ونحوهما ومن الصفات المعنوية كسوء الخلق و بذاءة اللسان ونحو ذلك وفى هذا مقنع فى الارشاد الى المراد والتنبيه على القصد

النوع الثانى

(مما يحتاج الى وصفه من ذوات الركوب وهى أربعة أصناف)

الصنف الاول

(الخيل)

ويحتاج الى المعرفة بوصفها فى مواضع من أهمها وصفها عند بعث شئ منها فى الانعام والهدايا والجواب عن ذلك ووصفها فى ترتيب الجيوش والمواكب وذكرها فى مجالات الحرب وما يجرى مجرى ذلك ويشتمل الغرض منه على معرفة أصنافها وألوانها وشياتها وما يستحسن ويستقبح من صفاتها ومعرفة الدوائر التى تكون فيها والبصر بامور أسنانها وأعمارها . أما أصنافها فثلاثة

الاول — العراب : وهى أفضلها وأعلاها قيمة وأغلاها ثمنا بطلب السبق واللحاق والملوك تتغالى فى أثمانها وتعدها لمهم الحرب وتوجد ببلاد العرب ومحلاتهم فى أقطار الارض كالحجاز ونجد واليمن والعراق والشام ومصر وبرقة وبلاد المغرب وغيرها

الثانى — العجميات : وهى البراذين ويقال لها الهماليج وتعرف الآن بالاكاديش وتجلب من بلاد الترك ومن بلاد الروم وغالب ما توجد مشقوقة المناخر وتطلب لتصبر على السير وسرعة المشى

الثالث - المولد بين العراب والبراذين : فان كان الاب عجميا والام عربيـة قيل له هجين وان كان بالعكس قيل له مقوف وهي تكون في الجري والمشي متوسطة بين النوعين

وأما ألوانها فقد ذكر ابن أبي أصبع ان اصول الألوان فيها ترجع الى أربعة ألوان وماسواها مفرع عنها

الاول - البياض : وقل أن يخلص من لون يخالطه فان صفا بياضه قيل فيـه أشهب قرطاسي فان كان أذناه وقوائمه وعرفه وذيله سود قيل مطرف فان خالط البياض شعر أسود والاغلب فيـه البياض قيل أشهب كافوري وان كان السواد فيـه أغلب قيل أشهب حديدي وأشهب أشمط وأشهب مخلص فان كان فيـه نكت سود قيل أشهب مفلس فان اتسعت قليلا قيل أشهب مدنر فان كان في شهبته طرائق قيل أشهب مجزع فان كان فيه بقع من أي لون كان دون البياض قيل مبقع فان صغرت تلك البقع قيل أبقع فان تفرقت واختلفت مقادرها قيل أشيم فان تعادل ذلك اللون مع البياض مع صغر النقط من اللونين قيل أنش وان تناهت في الصغر قيـل أبرش .فان كان البياض نكتا صغيرة في ذلك اللون قيل مفوف فان كان شيء من ذلك كله في عضو واحد قيد به مثل قولك مفوف القطاه وأغش الصدر وما أشبه ذلك

الثاني - السواد : فاذا كان الفرس شديد السواد قيل فيه أدهم فان اشتد سواده قيل أدهم غيهبي فان علا السواد خضرة قيل أحوى والجمع حو فان خالط سواده شقرة قيل أدبس فان انضم اليه أدنى حمرة أو صفرة قيل أحم فان ضرب سواده الى يسير بياض قيل أورق ونحوه الاكهب وفي دونه من السواد يقال أربد

الثالث - الحمرة : اذا كان الفرس خالص الحمرة وعرفه وذيله سود قيل فيه أورد والجمع وراد والانثى وردة فان خالط حمرته سواد فهو كميت الذكر والانثى فيـه سواء فان صفت حمرته شيأ قليلا قيل كميت مدمّا فان كان صافيا قليل الحمرة وعرفه وذيله أشقران قيل أشقر فان كان أحمر وذيله وعرفه كذلك قيل أمغر فان خالط شقرة الاشقر أو الكميت شقرة بيضـاء قيل صنابي أخذا من الصناب وهو الخردل بالزبيب فان كانت حمرته كصدإ الحديد قيل أصـدا فان زاد فيه السواد شيأ يسيرا قيل أحآ والاسم الحوة

الرابع - الصفرة : فان كانت صفرته خالصة تشبه لون الذهب وعرفه وذيله أصهبان مائلا الى البياض قيـل أصفر خالص فان كانا أبيضين قيـل أصفر فاضح فان كانا أسودين قيل أصفر مطرف وهو الذي يسمونه في زماننـا الحبشي فان كان أصفر ممتزجا ببياض قيـل أشهب سوسني فان كان في أكارعه خطوط سود قيل موشى

وأما شيآتها وهى البياض المخالف للونها . فمنها الغرة وهى البياض الذى يكون فى وجه الفرس اذا كان قدره فوق الدرهم فان كان دون الدرهم قيل فى الفرس أقرح والعامة تقول فيه أغبر شعرات فان جاوز البياض قدر الدرهم قيل فيه أغرّ ثم أول رتبة الغرة يقال له النجم فان سالت الغرة ورقت ولم تجاوز جبهته قيل فيه أغر عصفورى فان تمادت حتى جللت خيشومه ولم تبلغ جحفلته قيل أغر شمراخى فان ملأت جبهته ولم تبلغ العينين قيل أشدخ فان أصابت جميع وجهه الا أنه ينظر فى سواد قيل مبرقع فان فشت حتى جاوزت عينيه وابيضت منها أشفاره قيل مغرب فان أصابت منه خدا دون خد قيل لطيم أيمن أو أيسر فان كان بشفته العليا بياض قيل أرثم وان كان بالسفلى بياض قيل ألمظ فان نالهما جميعا قيل أرثم ألمظ . ومنها التحجيل فى الرجلين ومافى معنى ذلك ان كان البياض فى مؤخر الرسغ لم يستدر عليه قيل فى الفرس منعل وان كان فى الاربع قيل منعل الاربع أوفى بعضها أضيف اليه فقيل منعل اليدين أو الرجلين أو اليد أو الرجل اليمنى أو اليسرى فان استدار على الرسغ وهو المفصل الذى يكتنفه الوظيف والحافر وكان فى احدى الرجلين قيل أرجل وان كان فى الرجلين جميعا قيل مخدم وأخدم فان جاوز رسغ الرجل واتصل بالوظيف وهو مابين الكعب وبين أسفله ولم يجاوز ثلثيه قيل محجل أخذا من الحجل وهو الخلخال فان كان فى رجل واحدة قيل محجل الرجل اليمنى أو الرجل اليسرى فان كان فى الرجلين جميعا قيل محجل الرجلين فان كان معه فى أحدى اليدين بياض يجاوز الرسغ الى دون ثلثى الوظيف قيل محجل الثلاث مطلق اليد اليمنى أو اليسرى فان كان البياض فى اليد الاخرى كذلك قيل محجل الاربع فان كان البياض فى اليدين فقط قيل أعصم سواء جاوز الرسغ أم لا ولا يطلق التحجيل على اليدين أو احداهما الا بانضمام الى تحجيل الرجلين أو احداهما فان كان فى اليد الواحدة قيل أعصم اليد اليمنى أو اليسرى وان كان فيهما قيل أعصم اليدين وان كان التحجيل فى يد ورجل من جانب واحد قيل ممسك وان كان ذلك من الجانب الايمن قيل ممسك الايامن مطلق الاياسر وان كان بالعكس قيل ممسك الاياسر مطلق الايامن وان كان التحجيل فى يد ورجل من خلاف فهو الشكال وقيل الشكال بياض القائمتين من جانب وقيل بياض ثلاث قوائم فان تعدى البياض حتى جاوز عرقوبى الرجلين أو ركبتى اليدين قيل فيه مجبب فان علا البياض حقوى رجليه ومرفقى يديه قيل أبلق فان زاد على ذلك حتى بلغ الافخاذ والأعضاد قيل أبلق مسرول فان اختص البياض بيديه وطال حتى بلغ مرفقيه قيل أقفر ومقفر فان كان البياض فى الوظيف غير متصل بالرسغ ولا بالعرقوب ولا بالركبة قيل موقف . ومنها الشيات التى تتخلل سائر جسدها فان كان الفرس مبيض الاذنين أوفى أذنيه نقش بياض دون سائر لونه قيل فيه أزرأ وان كان مبيض الرأس قيل أصقع

فان ابيض قفاه قيل أقنف فان شابت ناصيته قيل أسعف فان ابيضت جميعها قيل أصبغ الناصية فان غشى البياض جميع رأسه قيل أغشى وربما قيل فيه أرحم فان ابيضت رأسه وعنقه جميعا قيل أدرع فان ابيض ظهره قيل أرحل فان كان ذلك البياض من أثر الدبر قيل مصرد فان ابيض بطنه قيل أنبط فان ابيضت عيناه قيل أخفف فان كان البياض بأحد جنبيه قيل أخصف الجنب الأيمن أوالايسر فان ابيض كفله قيل أزر فان ابيض عرض ذنبه من أعلاه قيل أشعل فان ابيض بعض هلبه دون بعض قيل مخصل فان ابيض جميع هلبه قيل أصبغ هلب الذنب فان عدى عرقوبه البياض جملة قيل بهيم ومصمت من أى لون كان

وأما ما يستحسن من أوصافها فقد قال العلماء بأمر الخيل . يستحب فى الفرس رقة الاذنين وطولهما وانتصابهما ورقة أطرافهما وقرب ما بينهما وكل ذلك من علامات العتق وفى الناصية اعتدال الشعرها فى الطول بحيث لا تكون خفيفة الشعر ولا مفرطة فى كثرته ويقال فى هذه الناصية الجثلة . ويستحب مع ذلك لين البشكير وهو ماطاف بجنب الناصية من الزغب . ويستحب عظم الرأس وطولها وسعة الجبهة واسالة الخد وملاسته ودقته وقلة لحم الوجه وعرى الناهضين وهما عظمان فى الخد وسعة العين وصفاء الحدقة وذلك كله من علامات العتق . ويستحب فى العين السمو والحدة ورقة الجفون وبعد نظره قال ابن قتيبة وهم يصفونها بالقبل والشوس والخوص وليس ذلك فيها عيبا ولا هو خلقة وانما تفعله لعزة أنفسها . ويستحب فى المنخر السعة لانه اذا ضاق شق عليه النفس قال وربما شق منخره لذلك وبعد ما بين المنخرين . ويستحب فى الفم الهرت وهو طول شق شدقيه من الجانبين لانه أوسع لخروج نفسه ورقة الجحفلتين وهما الشفتان لانه دليل العتق وطول اللسان ليكثر ريقه فلا ينبهر ورقته لانه أسرع لقضمه العلف وصفاء الصهيل لانه دليل صحة رئته وسهولة نفسه . ويستحب فى العنق الطول فقد كان سلمان بن ربيعة يفرق بين العتاق والهجن فدعا بطست من ماء فوضعت بالارض ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا فما ثنى سنبكه منها ثم شرب هجنه وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا لان فى أعناق الهجن قصرا فلا تنال الماء حتى تثنى سنابكها وقد روى أنه هجن فرس عمرو بن معدى كرب فاستعدى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال سلمان ادع باناء فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لاشك فى عتقه فأشرع فى الاناء فصف بين سنبكيه ومد عنقه فشرب ثم قال ائتونى بهجين لاشك فيه فأشرع فبرك فشرب ثم أتى بفرس عمرو بن معدى كرب فأشرع فصف بين سنبكيه ومد عنقه ثم ثنى احدى سنبكيه ومد عنقه ثم ثنى قليلا فشرب فقال عمر أنت سلمان الخيل . ويستحب فيها مع ذلك الكبر لانه أقرب لانقياده وعطفه وغلظ مركب عنقه ودقة مذبحه . ويستحب فيه ارتفاع الكتفين والحارك والكاهل وقصر الظهر

وعرض الصهوة وهى مقعد الفارس من الظهر وارتفاع القطاة وهى مقعد الردف من الظهر أيضا وقلة لحم المتنين وهما ماتحدد فى السرج من الظهر . ويستحب فى الكفل الاستواء والاستدارة والملاسة والتدوير . ويستحب طول السبيب وهو الشعر المترسل فى ذيله وقصر العسيب وهو عظم الذنب وجلده ولذلك قال بعض الاعراب اختره طويل الذنب قصير الذنب يعنى طويل الشعر قصير العسيب . قال ابن قتيبة ويستحب أن يرفع ذنبه عند العدو ويقال ان ذلك من شدة الصلب . ويستحب عرض الصدر وهو ماعرض حيث ملتقى أعلى لبيه ويسمى اللبان والكلكل وكذلك ارتفاعه عن الارض مع دقة الزور وهو مااستدق من صدره بين يديه بحيث يقرب مابين المرفقين لانه أشد له وأقوى لجريه . ويستحب فيه عرض الكتف وغلظه وقصر النسا وهو عرق فى الساق مستبطن الفخذ وتشنجه وقصر وظيف اليد وهو قصب يديه وقصر الرسغ ودقة ابرة العرقوب وتحديده لأنه أشد لقصب الساق وطول وظيف الرجل ليحذف الارض بها فيكون أشد لعدوه وغلظ عظم القوائم وغلظ الحبال وهى عصب الذراعين ولطف الركبة وقرب مابين الركبتين وشدة كعبه لأن ضعف الكعب داعية الجرد وانحناء الرجلين وتوترهما وبعد مابين الرجلين وهو الفحج لانه أشد لتمكن رجليه من الارض . ويستحب صفاء الحافر وصلابته وسعته وكونه أزرق أو أخضر غير مشوب ببياض لان البياض دليل الضعف فيه وأن يكون مع ذلك فيه تعقب ولطف نسوره وهى شئ فى باطن حافره كالنوى لانه اذا ضاق موضعها كان أصلب لحافره وأن تكون أطراف سنابكه وهى مقادم حوافره دقيقة . ويستحب فيه مع ذلك كله اتساع اهابه وهو جلده ودقة أديمه وصفاء لونه ولين شعره وكثرة عرقه وكثرة نومه وسعة خطوه وخفة عنانه ولين ظاهره وحسن استقلاله فى أول سيره وخفة وقع قوائمه على الارض اذا مشى وشدة وقعها اذا عدى مع حدة نفسه وسرعة عدوه واتساع طرفيه وقد يغتفر القطاف فى المشى فى ذوات الجرى ثم انه قد يحتمل فوات آلة الحسن والفراهة فى المشى ولا يغتفر النقص فى آلة الجودة وشدة العدو والصبر لأن بهما يدرك مايطلب وينجو ممايهرب . وأما مايستقبح ويذم من أوصافه فقد ذكروا للفرس عدة عيوب بعضها خلقية وبعضها حادثة ﴿(١)﴾ فمن العيوب الخلقية البتر وهو بعد مابين الاذنين والصمم وهو أن لايسمع وعلامته أن تراه يصر أذنيه أبدا الى خلف واذا جر خلفه خشبة ونحوها ولايشعر لم ينفر عنها والحذاء وهو أن يكون أذناه مسترختين منكوستين نحو العينين أو الحذين كآذان الكلاب السلوقية والطول وهو أن تطول احدى أذنيه وتقصر الاخرى وكونه لبكا وهو أن يكون صغير الاذن . ومنها السفا وهو قلة شعر الناصية والغمم وهو أن يكثر شعر الناصية

---

(١) هذا هو الضرب الاول

ويطول حتى يغطى العين وهو عيب خفيف والسفا وهو خفة الناصية . ومنها القرح وهو أن يكون البياض الذى فى الوجه دون قدر الدرهم كما تقدم الا ان يكون معه بياض آخر من تحجيل ونحوه فلا يكره حينئذ فان كان فى وسط البياض فى الوجه سواد كان عيبا يتشاءم به . ومنها العشا وهو أن لا يبصر ليلا فيصير بمثابة نصف فرس لانه لا ينتفع به فى الليل دون النهار وكونه قائم العين وهو الذى يكون على ناظره سواد يضرب للخضرة والكدرة يقل معها بصره والحول وهو أن يكون باحدى عينيه بياض خارج سواد الحدقة من فوق ويكون خلاف العين الاخرى وهو مع ذلك مما يتبرك به بعض الناس و يقول اذا كان ذلك فى العينين كان أعظم لبركته والخيف وهو أن تكون احدى عينيه زرقاء وهو مما يتشاءم به لاسيما اذا كانت الزرقة فى العين اليسرى فان ازرقت العينان جميعا كان أقل لشؤمه وغور العينين وهو دخولهما فى وجهه والغرب وهو بياض اشفار العينين يكون عنه ضعف بصره فى القر والحر الشديد والكمنة وهو أن يبصر قدامه ولا يبصر عن يمينه ولا شماله . ومنها القنا وهو احديداب فى الانف ويكون فى الهجين والخنس وهو أن يرى فوق منخريه منخسفا لانه يضيق نفسه اذا ركض . ومنها الفطس وهو أن تكون أسنانه العليا داخلة عن أسنانه السفلى والطبطبة وهو أن تسترخى جحفلته السفلى فاذا سار حركها وطبطبها كالبعير الأهدل وأن يكون فى حنكه شامة سوداء وسائره أبيض . ومنها قصر اللسان لانه اذا قصر لسانه قل ريقه فيسرع اليه العطش والخرس وعلامته ان تراه يصهل ولا يحمحم وهو عيب لطيف . ومنها القصر وهو غلظ فى العنق واللفف وهو استدارة فيه مع قصر والدنن وهو طمأنينة فى أصل العنق والهنع وهو طمأنينة فى وسط العنق والقود وهو يبس فى العنق بحيث لا يقدر الفرس أن يدير عنقه يمينا ولا شمالا ولا يرفع رأسه اذا مشى وهو عيب شديد والجسا وهو يبس المعطف . ومنها الكتف وهو انفراج يكون فى أعالى كتفى الفرس مما يلى الكاهل والقعس وهو أن يطمئن الصلب من الظهر ويرتفع القطاة والبزخ وهو أن يطمئن الصلب والقطاة جميعا وهو عيب ردىء يضر بالعمل وكون الكفل فيه تحديدا ويكون العجز صغيرا والفرق وهو نقصان احدى حرقفتى الوركين فان نقصتا جميعا فهو ممسوح الكفل ولا عيب فيه . ومنها الدنه وهو تطامن الصدر ودنوه من الارض وهو من أسوء العيوب والزور وهو دخول احدى فهدتى الصدر وخروج الاخرى . ومنها الهضم وهو استقامة الضلوع ودخول اعاليها والاخطاف وهو لحوق ما خلف المحزم من بطنه والثجل وهو خروج الخاصرة ورقة الصفاق . ومنها العصل وهو التواء عسيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذى لا شعر عليه والكشف وهو أكثر من ذلك والصبغ وهو بياض الذنب والشعل وهو أن يبيض عرض الذنب وهو وسطه . ومنها الفحج وهو افراط ما بين الكعبين والحلل وهو رخاوة الكعبين ويلتحق به تقويس اليدين وهو عيب فاحش

والطرق وهوأن يرى ركبتيه مفسوختين كالمقوستين الى داخل وهوعيب فاحش والقسط وهوأن يكون رجلاه منتصبتين غير محنيتين والبدد وهو بعد مابين اليدين والفحج وهوافراط بعد مابين العرقوبين والقفد وهوانتصاب الرسغ واقباله على الحافر ولا يكون الافى الرجل والصدف وهوتدانى الفخذين وتباعد الحافرين فى التواء من الرسغين بحيث يرى رسغى يديه مفتوحة والتوجيه وهونحومنه الاانه أقل من ذلك والقدع وهوالتواء الرسغ من عرضه الوحشى من الجانبين من رأس الشظا ووطؤه على وحشى حافريه جميعا وهوالجانب الخارج والارتياس وهوأن يصك بعرض حافره من اليد الاخرى وذلك يضعف يده والحنف وهوأن يكون حافرا يديه مكبوبين الى داخل والنقد وهوأن يرى الحافر كالمتقشر والشرج وهوأن يكون الحافر له بيضة واحدة والارح وهوأن يمس الارض بباطن حافره . ومنها البدد فى اليدين وهوأن يكون اذامشى يدير حافره الى خارج عند النقل وليس فيه ضرر فى العمل والتلفف وهو أن يخبط بيديه مستوى لا يرفعهما الى بطنه وهوخلاف البدد . ومنها التلويح وهوأن يكون الفرس اذاضربته حرك ذنبه وهوعيب فاحش فى الجودة لانه ربما بالت الجرة ورشت به صاحبها

الضرب الثانى

(العيوب الحادثة وهى عدة عيوب)

منها الحدب ويكون فى الظهر بمثابة حدبة الانسان وهوعيب فاحش والغدة ويكون فى الظهر أيضا بازاء الصرة . ومنها العنق وهوانتفاخ وورم بقدر الرمانة أوأقل ممايلى الخاصرة وهوعيب فاحش لاعلاج فيه . ومنها الحر وهوعيب يحدث عن تخمة الشعير وربما كان من شرب الماء على التعب فيحدث عنه ثقل الصدر . ومنها الانتشار وهوانتفاخ العصب بواسطة التعب ويكون من فوق الرسغ الى آخر الركبة وهوعيب فاحش . ومنها تحرك الشظا وهوعظم لاصق بالذراع وهوعلى الفرس أشق من الانتشار . ومنها الروح وهوداء يكون منه غلظ فى القوائم كمثل داء الفيل فى البشر . ومنها المشش وهوداء يكون فى بدء أمره ماء أصفر ثم يصيردما ثم يصيرعظما ويكون على الوظيف وفى مفصل الركبة وهوعلى العصب والركبة شرّ منه على الوظيف . ومنها القمع ويكون فى الرجلين فى طرف العرقوبين وهوغلظ يعتريهما والسلع ويكون فى الرجلين تحت القمع من خلف وهوانتفاخ مستطيل لايضر بالعمل والجرد وهو كالعظم الناتئ يكون فى الرجلين تحت العرقوبين على المفصل من داخل ومن خارج وهوعيب فاحش تؤول منه الدابة الى العطب والنفخ وهوانتفاخ يكون فى مواضع الجرد وهومن دواعى الجرد والعقال وهوأن تقلص رجله وذلك يكون فى عصب الرجل الواحدة دون الاخرى وربما كان فى الرجلين جميعا وهوعيب فاحش يضر بالعمل وهوفى البرد أشدمنه فى الحر . ومنها الشقاق

وهوداء يصيبه فى ارساغه وربما ارتفع الى وظيفه والسرطان وهوداء يأخذ فى الرسغ فتنتشر عروقه حتى ينقلب حافره . ومنها العرق وهو حسو فى رسغ رجله والدحس وهوورم يكون فى حافره والقفد وهو تشنج عصب رسغه حتى ينقلب حافره الى داخل فيمشى على ظاهر الحافر . ومنها النملة وهى شق فى الحافر من ظاهره والرهصة وهى ما يكون فى الحافر من صدمة ونحوها والعامة تقولها بالصاد والتقشر وهو أن تتقشر حوافره وهو عيب فاحش والناسور وهو الذى تسميه العامة الوقرة وهوداء يحدث فى نسور الدابة فاذا قطع سال الدم منه . ومنها الادرة وهى عظم الخصيتين وربما عظمت خصيتا فى الصيف واحمرت فى الشتاء والمدلى وهو الذى يدلى ذكره ثم لا يرده وهو عيب قبيح بحيث يقبح ركوب الفرس الذى به هذا العيب . ومنها البرص وهو بياض يعترى الفرس فى مرقانه كالجحفلة وجفون العينين وبين الفخذين والخصيتين . ومنها الخلد وهوداء شديد ينقب موضعه من بدن الدابة يسيل منه ماء أصفر فاذا كوى بالنار برئ وانفتح موضع آخر فلا يزال كذلك حتى تعطب الدابة وهو عيب فاحش فى عيوب أخرى يطول ذكرها وفى كتب البيطرة ذكر الكثير من ذلك مع علاج ماله علاج منه وبيان ما لا علاج له

وأما الدوائر التى تكون فى الخيل فقد عدها العرب ثمانى عشرة دائرة بعضها مستحب وبعضها مكروه . الاولى دائرة المحيا وهو الوجه وهى اللاحقة بأسفل الناصية . الثانية دائرة اللطاة وهى دائرة تكون فى وسط الجبهة . الثالثة دائرة النطيح وهى دائرة ثانية فى الجبهة بأن يكون فى الجبهة دائرتان . الرابعة دائرة القهرمة وهى دائرة تكون فى لهزمة الفرس . الخامسة دائرة المقود وهى التى تكون فى موضع القلادة . السادسة دائرة السمامة وهى دائرة تكون فى وسط العنق . السابعة والثامنة دائرتا البنيقتين وهما دائرتان فى خد الفرس فيما قاله الاصمعى وقال أبو عبيد البنيقة الشعر المختلف فى منتهى الخاصرة والشاكلة . التاسعة دائرة الناحر وهى دائرة فى باطن الحلق الى أسفل من ذلك . العاشرة دائرة القالع وهى دائرة تكون تحت الكبد . الحادية عشر دائرة الهقعة وهى دائرة تكون فى عرض الزور . الثانية عشرة دائرة النافذة وهى دائرة ثانية تكون فى الزور بأن تكون فيه دائرتان فى الشقين فى كل شق منهما دائرة وتسمى النافذة دائرة الحرام أيضا . الثالثة عشرة والرابعة عشرة دائرتا الحرب وهما اللتان يكونان تحت الصقرين وهما رأسا الجبتين اللذين هما العظمان الناتئان المشرفان على الخاصرتين كأنهما صقران . الخامسة عشرة والسادسة عشرة دائرتا الصقرين وهما دائرتان بين الجبتين والقصرين . السابعة عشرة والثامنة عشرة دائرتا الناخس وهما دائرتان يكونان تحت الجاعرتين . قال ابن قتيبة وهم يكرهون منها أربعة دوائر وهى دائرة الهقعة مع ذكره ان أبقى الخيل المهقوع ودائرة القالع ودائرة الناخس ودائرة النطيح قال وما سوى ذلك من الدوائر

فليس بمكروه وذكر صاحب زهر الآداب فى اللغة أنهم يستحبون من الدوائر دائرة المقود ودائرة السمامة ودائرة الهقعة احتجاجا بأن أبقى الخيل المهقوع و يكرهون دائرة النطيح ودائرة الهزمة ودائرة القالع ورأيت فى بعض كتب البيطرة أن المستحب منها ثلاث دوائر دائرة المقود ودائرة السمامة ودائرة الهقعة وماعدا ذلك فهو مكروه وكره حكماء الهند دوائر أخرى ذكروها وهى أن يكون فى مقدم يده دائرة أو فى أصل ذنبه من الجانبين دائرتين أو على ناصيته دائرة أو على نحره دائرة أو فى جحفلته السفلى دائرة أو على سرته دائرة أو على نسيه دائرتان

وأما أسنان الخيل فأول ماتضع الحجرة جنينها قيل مهر والأنثى مهرة فاذا فصل عن أمه قيل فلو فاذا استكمل حولا قيل حولى والأنثى حولية فاذا دخل فى الثانية قيل جذع والأنثى جذعة فاذا دخل فى الثالثة قيل ثنى والأنثى ثنية فاذا دخل فى الرابعة قيل رباع والأنثى رباعية فاذا دخل فى الخامسة قيل قارح للذكر والأنثى وفى الغالب يلقى أسنانه فى السنة الثالثة وربما تأخر القاؤها الى السنة الرابعة وذلك اذا كان أبواه شابين وقد يلقى أسنانه فى حول واحد وذلك اذا كان أبواه هرمين ثم لكل مهر اثنتا عشرة سنا ست من فوق وست من أسفل ويليها من كل جانب ناب ويليها الاضراس وتنبت ثناياه بعد وضعه بخمسة أيام وتنبت رباعياته بعد ذلك الى مدة شهرين وتنبت قوارحه بعد ذلك الى ثمانية أشهر ويختص التبديل منها بالاسنان الاثنى عشر دون الانياب والاضراس وربما ألقى المهر بعض أسنانه ثم لاتنبت واذا أقرح المهر اصفرت أسنانه واسودت رؤسها وطالت فيبقى كذلك خمس سنين فاذا جاوزت ذلك ابيضت وحتى رؤسها ثم تنتقل فتصير كلون العسل خمس سنين ثم تبيض فتصير كلون الغبار ويزداد طولها وربما دلس النخاسون فنشروا أسنانها وسوكوها ومما وجد فى الكتب القديمة أن الفرس تتحرك ثناياه فى سبع وعشرين سنة وتتحرك الرباعيات فى ثمان وعشرين سنة وتتحرك القوارح فى تسع وعشرين سنة ثم تسقط الثنايا فى ثلاثين سنة والرباعيات فى احدى وثلاثين سنة والقوارح فى اثنتين وثلاثين سنة وهو عمر الدابة . وأما التفرس فى الخيل فاعلم أن المهر وان ظهرت فيه علامات النجابة أو العكس لاعبرة بذلك فانه قد يتغير فيقبح منه ماكان حسنا ويحسن منه ماكان قبيحا وانما يتفرس فيه اذا ركبه لحم العلف وذهب عنه لحم الرضاع وأفضل الفراسة فى المهر أخذه فى الجرى فانه صنعته التى خلق عليها والهايئول فاذا أحسن الأخذ فى الجرى فهو جواد ولكنه ربما تغير أخذه للجرى اذا ركب لضعف فيه حينئذ وقصور عن بلوغ مدى قوته وقد لايجرى جذعا ويجرى ثنيا وقد لايجرى ثنيا ويجرى رباعيا وقد لايجرى رباعيا ويجرى قارحا حين تجتمع له قوته . ويعرف ضعف الضعيف منها بتلويه تحت فارسه وعجزه عنه وفترته اذا نزل عنه ومما يدل على جودة الفرس وحسن جريه أنه يراه اذا أخذ فى الجرى سما بهاديه

وأثبت رأسه ولم يستعن بهما فى حضره واجتمعت قوائمه وسبح بيديه وصرخ برجليه ولها فى حضره وامتد وبسط ضبعيه حتى لا يجد مزيدا ويكون يداه فى قرن ورجلاه فى قرن فاذا كان الفرس كذلك فهو الجواد السابق وقد قيل ان خير الخيل الذى اذا مشى تكفا واذا عدى بسط يديه واذا أدبر جبى واذا أقبل أقعى

الصنف الثانى

(البغال)

وفيها نوعان من الخيل والحمير من حيث انها تتولد بين حصان وأتان أو بين حمار وحجرة وفيها النفيس المختار لركوب الرؤساء من العلماء والوزراء والحكام وسائر رؤساء المتعممين وأنه كان صلى الله عليه وسلم فى يوم أحد راكبا بغلة ولولا شرفها ونفاستها وقيامها مقام الخيل لما ركبها النبى صلى الله عليه وسلم فى موطن الحرب وألوانها وأسنانها على ما تقدم فى الخيل ويستحسن فيها غالب ما يستحسن فى الخيل وقد قيل ان خيار ما يقتنى من البغال ما اشتدت قوائمه وعظمت قصرته وعنقه وهامته وصفت عيناه ورجف جوفه وعرض كفله وسلم من جميع العيوب والعلل ومما يستحسن فى البغال دون الخيل السفاء وهو خفة شعر الناصية وأن يكون بيديها ورجليها خطوط مختلفة جل ما تكون للسنور ويقال ان خير ما يختار للسرج والركوب البغال المصرية لأن أمهاتها عتاق وخيار ما يحتاج اليه للسرايا والمواكب والركض مع الخيل بغال الجزيرة وافريقية ومما ينبغى التنبيه عليه ان فى البغلات[1] منها شدة محبة للدواب اذا ربطت معها وفساد للدواب اذا اعتادتها حتى يصير أحدهما لا يفارق الآخر الا عشقة ويحسن فى البغال الخصى وفى البغلات التحريص ولا يعاب ركوب شىء منها حينئذ اذا كان نفيسا

الصنف الثالث

(الابل)

ويشتمل الغرض منها على معرفة أنواعها وألوانها وأسنانها وما يستقبح ويستحسن من صفاتها

أما أنواعها فانها ترجع الى نوعين . الاول البخاتى وهى جمال جفاة القدود طويلة الوبر تجلب من بلاد الترك . الثانى العراب وهى الابل العربية وأصنافها لا يأخذها الحصر وأما ألوانها فترجع الى ثلاثة أصول . الاول البياض فالجمل اذا كان خالص البياض قيل آدم والانثى أدماء على الضد من بنى آدم فان خالط البياض يسير شقرة قيل أعيس والانثى عيساء . الثانى الحمرة

(١) هكذا بالاصل

فان احمرّ وغلبت عليه الشقرة قيل أصهب والانثى صهباء فان خلصت حمرته قيل أحمر والانثى حمراء فان خالط حمرته قنو قيل كميت فان صفت حمرته قيل أحمر مُدَمَّى فان خالط الحمرة خضرة قيل أحوى فان خالطها صفرة قيل أحمر رادنى بكسر الدال فان خالطها سواد قيل أرمك والانثى رمكاء فان كانت حمرته كصدإ الحديد قيل أجْأى . الثالث السواد فان كان السواد فيه ضعيفا قيل أكلف فان خالط السواد صفرة قيل أحوى فان علق بسواده بياض قيل أورق فان زادت ورقيته حتى أظلم بياضه قيل أدهم فان اشتد سواده قيل جون فان كان بين الغبرة والحمرة قيل خوّار والانثى خوارة

وأما أسنانها فانه يقال لولد الناقة عند الوضع قبل أن يعرف أذكر أم أنثى سليل فان بان انه ذكر قيل سقب وان بان انه انثى قيل حائل ثم هو حوار حتى يفطم فاذا فطم وفصل عن أمه قيل فصيل وذلك فى آخر السنة الاولى من وضعه فاذا دخل فى الثانية قيل ابن مخاض لأن أمه فيها تكون من المخاض وهى الحوامل والانثى بنت مخاض فاذا دخل فى الثالثة قيل ابن لبون لأن أمه فيها تكون ذات لبن والأنثى بنت لبون فاذا دخل فى الرابعة قيل حق لأنه يستحق أن يحمل عليه والأنثى حقة فاذا دخل فى الخامسة قيل جذع والأنثى جذعة فاذا دخل فى السادسة قيل ثنى لأنه يلقى فيها ثنيته والأنثى ثنية فاذا دخل فى السابعة قيل رباع بفتح الراء لأن فيها يلقى رباعيته والأنثى رباعية بالتخفيف فاذا دخل فى الثامنة قيل سديس وسدس الذكر والأنثى فيه سواء وربما قيل فى الأنثى سديسة فاذا دخل فى التاسعة قيل بازل لأنه فيها يبزل نابه والذكر والأنثى فيه سواء وقد يقال فيه فاطر فاذا دخل فى العاشرة قيل مخلف وليس وراء ذلك للابل ضبط بل يقال مخلف عام ومخلف عامين فأكثر فاذا علا السن بعد ذلك قيل فيه عود والأنثى عودة فان علا عن ذلك قيل قحر فان تكسرت أنيابه لطول هرمه قيل ثلب والأنثى ثلبة ويقال فى الناقة اذا كان فيها بعض الشباب عزوم وربما قيل شارف

وأما ما يستحسن من صفاتها فقد رأيت فى بعض المصنفات أن كل ما يستحب فى الفرس يستحب فى البعير خلا عرض غاربه وفتل مرفقه ونكس جاعرته وهى أعلى الورك واندلاق بطنه وتفرش رجليه فان ذلك يستحب فى الابل دون الخيل وقد صرح الشعراء فى أشعارهم بعدة أوصاف مستحسنة فى الناقة منها دقة الاذن وتحديد أطرافها وكبر الرأس واستطالة الوجه وعظم الوجنتين وقنو الأنف وطول العنق وغلظه ودقة المذبح وطول الظهر وعظم السنام وهى الكوماء وطول ذنبها وكثرة شعره غليظة الاطراف قليلة لحم القوائم ليست رهلة ولا مسترخية وأن تكون مع ذلك كثيرة اللحم ملساء الجلد تامة الخلق قوية صلبة خفيفة سريعة السير . وأما كرمها فانه يقال لكل كريم خالص من الابل هجان من نتاج مهرة

وهى قبيلة من قضاعة باليمن . والعبـــدية منسوبة الى بنى العبـــد من قبيـــلة مهرة المذكورة والارحبية منسوبة الى بنى أرحب والغريرية منسوبة الى غرير وهو فحل كريم مشهور فى العرب والشذقية منسوبة الى شذقم فحل كريم أيضا والجديلية منسوبة الى جديل فحل كريم والداعرية منسوبة الى داعر فحل كريم كذلك قال فى كفاية المتحفظ والشدنية منسوبة الى فحل أو بلد

الصنف الرابع
(الحـــير)

ومنها النفيس الغالى الثمن وخيرها حمر الديار المصرية وأحسنها ما أتى به من صعيدها وهى تنتهى فى الأثمان الى ما يقارب أثمان أوساط الخيل وربما ميز العالى القـــدر منها على المنحط القدر من الخيل والأحسن فيها ما كان غليظ القوائم تام الخلق حديد النفس ولا عيب فى ركوب الحمار ولا وهيصة فقد ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب الحمار ولا عبرة برفع من ترفع عن ركوبه بعد أن ركبه النبى صلى الله عليه وسلم

النوع الثـــالث
(ما يحتاج الى وصفه من جليل الوحش وكريم صيوده وهو أصناف)

الصـــــنف الاول
(جليل الوحش)

وهو ما يتخذه الملوك للزينة وما فى معناها ويحتاج الكاتب اليه لوصفه فى الهدايا والمواكب وما يجرى مجراهما والمعول عليه من ذلك خمسة أضرب

الاول الاسد – ويجمع على أسد وأسد وأسود وآساد ويقال له أيضا الليث والضيغم والضرغام والهزبر والهيصم والهرماس والفرافصـــة وحيدرة والقسورة وله أسماء كثيرة سوى هذه لا تكاد تدخل تحت الحصر حتى قال ابن خالويه للاسد خمسمائة اسم ويقال لولده الشبل ولأنثاه اللبوة قال ابن السندى فى كتابه المصائد والمطارد واذا تأملت أصناف الحيوان وجدت صورها وما اعطيت من الاسلحة ومقادير الخلق وجدت الاسد أعظم خلقة وأكثر آبدة وأشد اقداما من جميعها ليست له غريزة فى الهرب ألبتة ومن خصائصه وعجيب خلقه ان عظم عنقه عظم واحد ليست له خرز عظام كما فى غيره من الحيوان بدليل انه لا يلوى عنقه ولا يلتفت ومع ذلك فهو يبتلع الشئ العظيم ولبوته لا تلد الا جروا واحدا وأنها تضعه كاللحمة ليس فيه حس ولا حركة فتحرســـه ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه فينفخ فيـــه المرة بعد المرة حتى يتحرك ثم تأتى أمه فترضعه

ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة أيام ويكتسب لنفسه بالتعليم من أبويه بعد ستة أشهر وهو قليل الشرب للماء وان كان لا يفارق الغياض وله صبر على الجوع ولكنه اذا جاع ساءت أخلاقه وليس يلقى رجيعه الا مرة واحدة فى اليوم ويرفع رجله عند البول كما يفعل الكلب ويبول الى خلف كما تبول الجمال وهو أشد السباع ضراوة على أكل بنى آدم واذا افترس فريسة وأكل منها لا يعود اليها ولا يطأ أثره شئ من السباع قال ابن السندى فى المصائد والمطارد ولا يأكل من فريسة غيره من السباع وقد قيل انه يهرب من الهر ومن الجرو ومن الديك الابيض وانه اذا رأى النار عرضت له فكرة أورثته بهتة وانه يهرب من عواء الجرو اذا عركت اذنه ويقال ان جلده اذا جعل فيما يخاف عليه السوس من الثياب وغيرها أمن من ذلك وانه اذا عمل منه وترقوس وأضيف الى أوتار من فراء أومعى أوغيرهما أبطل أصواتها وعلا صوته عليها ومن طبعه انه لا يشرب ماء ولغ فيه كلب وان مات عطشا

الثانى النمور — جمع نمر بفتح النون وكسر الميم ويجمع أيضا على أنمار ونمار والانثى نمرة وهو حيوان مرقع اللون بسواد وبياض أقرب شئ من خلقة الفهد وهو أثبت من الاسد لا يملك نفسه عند الغضب حتى انه ربما قتل نفسه من شدة غضبه قال ابن السندى وهو ودود لجميع الحيوان عدو للنسر وينام ثلاثة أيام والحيوان يطيف به ويميل اليه استحسانا لجلدته وهو جنسان أحدهما عظيم الجثة صغير الذنب والثانى صغير الجثة عظيم الذنب قال فى المصائد والمطارد ويصاد بالخمر لانه يحبها قال ومن أراد قتله تمسح بشحم ضبع ودخل عليه فقتله

الثالث الكركدن — بفتح الكافين وسكون الراء المهملة وفتح الدال المهملة ونون مشددة فى الآخر قال الزمخشرى فى ربيع الابرار وهو وحش يكون ببلاد الهند يسمى الحمار الهندى له قرن واحد فى جبهته يبلغ غلظه شبرين وهو محدد الرأس الا انه ليس بالطويل وانه اذا قطع ظهرت فيه صور عجيبة وانه ربما ناطح الفيل فبعجه بقرنه وان أنثاه تحمل سبع سنين وانه اذا كان بأرض لم يدع شيأ من الحيوان حتى يكون بينه وبينه مائة فرسخ من جميع جهاته هيبة له وهربا منه

الرابع الفيل — وهو حيوان يؤتى به من بلاد الهند والحبشة قال الجاحظ وهو من الحيوانات المائية وان كان لا يسكن الماء وهو من ذوات الخراطيم وخرطومه أنفه كما ان لكل شئ من الحيوان أنفا وهو يده وبه يتناول الطعام والشراب ومنه يغنى ويجرفيه الصوت كما يجره الزامر فى القصبة بالنفخ قال وأصحابنا يزعمون ان بينه وبين السنور عداوة وان الفيل يهرب منه هربا شديدا وذكر صاحب الحيل فى الحروب انه يقصر عن صوت الخنزير وانه بذلك يتفرد فى الحروب وقد ذكر الجوزى أن للفيل إقداما على السبع قال الجاحظ وهو يعادى البعوض لانه يثقب جلده بقرصه ومن ثم يرى الفيل دائما يحرك آذانه ليطرد عنه الناموس وهو مخصوص بخفة

وقع قوائمه على الارض اذا مشى حتى لوأن انسانا كان جالسا وجاء الفيل من خلفه لما شعربه وذكر عبد القاهر البغدادى ان الفيلة تحمل سبع سنين وقيل سنتين وقيل ثلاث قبل أن تضع وان لسان الفيل مقلوب طرفه داخل حلقه وأصله من خارج على العكس من سائر الحيوان وان ثدييه على كبده وترضع أولادها من تحت صدرها وقد ذكر الغزالى ان فرجها تحت بطنها فاذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من اتيانها

الخامس الزرافة — بفتح الزاى وضمها وهى حيوان يؤتى به من بلاد الحبشة واليمن طويل اليدين قصير الرجلين ذنبه وحوافره كذنب البقر وحوافرها ورقبته ورأسه كرقبة الجمل ورأسه ولونه موشى بالبياض والصفرة قال الجاحظ وقد زعموا ان الزرافة تتولد من الناقة من نوق الحبشة وبين بقر الوحش وبين الذيخ وهو ذكر الضباع وذلك ان الذيخ يعرض للناقة فيسفدها فتلقح بولد يجىء خلقه بين الناقة والضبع فان كان الولد انثى عرض لها الثور الوحشى فيضربها فيأتى الولد زرافة وان كان ذكرا تعرض للمهاة فألقحها فيأتى الولد زرافة أيضا قال ومنهم من يزعم ان الزرافة الانثى لا تلقح من الزرافة الذكر ثم قال وهذا مشهور باليمن والحبشة ثم ان كانت أسنانها سودا دلت على هرمها وان كانت بيضا دلت على حداثة سنها ومن أمراضها الكلب وهو كالجنون يعتريها كما يعترى الكلب فيقتلها وكل من عضته وهى على هذه الحالة قتلته الا ابن آدم فانه ربما عولج فسلم ومن أمراضها أيضا الذبحة والنقرس

الصنف الثانى

(معلمات الصـــيد)

وقد يعبر عنها بالضوارى وهى كل ما يقبل التعليم من الوحوش كائنا ما كان حتى حكى عن السودانى القناص أنه بلغ من خدمته انه ضرّى ذئبا حتى اصطاد به الظباء ومادونها وألفه حتى رجع اليه من ثلاثين فرسخا وضرى أسدا حتى اصطاد به حمر الوحش ويقال ان ابن عرس يجعل حبل فى عنقه ويدخل على الثعلب فلا يخرج الا به وهى على ضربين

الاول الفهودة — جمع فهد بكسر الهاء وقد زعم ارسطوطاليس أنه يتولد من أسد ونمرة أو من نمر ولبوة وهو من السباع التى تصاد ثم تؤنس حتى تصيد وهو من الحيوان المحدد الاسنان وأسنانه يدخل بعضها فى بعض كالكلب وغيره قال فى التعريف وأول من صاد به كسرى أنوشروان أحد ملوك الطبقة الاخيرة من الفرس قال فى المصايد والمطارد ويصطادونه بضروب من الصيد . منها الصوت الحسن فانه يصغى اليه اصغاء شديدا . ومنها كده واتعابه حتى يحمى ويعيا وينبهر ويحفى فاذا أخذ غطيت عيناه وأدخل فى وعاء وجعل فى بيت مادام وحشيا

ووضع عنده سراج ولازمه سايسه ليلا ونهارا ولم يدعه يرى الدنيا ويجعل له مركبا كظهر الدابة يعوّده ركوبه و يطعمه على يده فلا يزال كذلك حتى يتأنس فاذا ركب مؤخر الدابة فقد صار داجنا وصاد وفى طباعه أمور . منها كثرة النوم حتى يضرب بنومه المثل فيقال أنوم من فهد وكثرة الحياء حتى انه لا يعلم انه عاظل أنثى فى يدى الانس وقد عنى براعاته فى ذلك فلم يوافق عليه وان كان الاسد يفعل ذلك كثيرا ونقل ابن السندى عن بعض الفهادة ان سايسه اذا أمرّ يده عليه اطمأن اليه ومال فاذا وضع يده على فرجه نفر وعض يده . ومنها الغضب حتى انه اذا أرسل على صيد فلم يحصله أحد وان لم يأخذ سايسه فى تسليته قتل نفسه أو كاد قال صاحب المصايد والمطارد والمسنّ من الفهود اذا اصيد كان أسرع فى الصيد من الجرو الذى يربى ويؤدب والانثى أصيد من الذكر كعامة اناث الجوارح قال وليس شئ من الوحش فى قدر جرم الفهد الا والفهد أفضل منه قال فى المصايد والمطارد وضد الفهد الظباء والوعول على اختلاف أجناسها

الثانى الكلاب — جمع كلب ويجمع على أكلب أيضا وعلى كليب كعبد وعبيد والانثى كلبة وتجمع على كلبات بالفتح وهو حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء مشترك الطباع بين السبع والبهيمة لانه لو تم له طباع السبعية ما ألف الناس ولو تم له طباع البهيمة ما أكل اللحم ويقال انه يحتلم وأنثاه تحيض وتحمل أنثاه ستين يوما وربما حملت أقل من ذلك و يسفد بعد سنة وربما تقدم على ذلك ولها عند السفاد اشتباك عظيم واذا سفد الانثى كلبان مختلفان أتت من كل واحد بلونه وفيه من اقتفاء الآثار وشم الرائحة ماليس لغيره من الحيوان والميتة أحب اليه من اللحم الغريض ومن طبعه أنه يحرس صاحبه شاهدا أو غائبا ذاكرا أو غافلا ونائما أو يقظانا وهو أيقظ حيوان فى الليل واذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها لخفة نومه . ومن عجيب شأنه أنه يكرم الرئيس من الناس فلا ينبحه وانما ينبح أوباش الناس . ومن طبعه ان الضبع اذا مشت على ظله فى القمر رمى بنفسه بين يديها فتأكله واذا ظفر بكلب غريب كاد يفترسه وقد أجاز الشارع اتخاذها للصيد ونحوه وأباح صيدها مع نجاسة عينها قال فى التعريف وأول من اتخذها للصيد دارا أحد ملوك الفرس قال فى المصايد والمطارد واذا كسر الكلب الارانب فهو نهاية وان كان يطيق فوق ذلك والكلب يمسك لصاحبه ولذلك لا يأكل من الصيد بخلاف سائر الجوارح قال واناثها أسرع تعلما من الذكور وأطول أعمارا حتى انها تعيش عشرين سنة ومن خاصية الكلب انه اذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف منها العليل من غيره والعنز من التيس فيتبع التيس منها دون العنز وان كان التيس أشد عدوا وأبعد وثبة لانه يعلم ان التيس اذا عدا شوطا أو شوطين غلب عليه البول ولا يستطيع ارساله فى عدوه فيقل عند ذلك عدوه ويقصر مدى خطاه فيدركه الكلب بخلاف العنز فانها اذا اعتراها البول أرسلته لسعة مسيله

والكلب يعرف ذلك كله طبعا وكذلك يعرف جحرة الارانب والثعالب وان ركبها الثلج والجليد يشمه فيقف عليه و يثير ما فيها من الوحش واذا صعد منه أرنب الى أعلى جبل شاهق كان له من التلطف فى الارتقاء والصعود ما لا يلحقه غيره بل لا يخفى عليه من الصيد الميت من المتماوت . ومن خصائص الانثى أنها تحمل ستين يوما و يبقى جروها بعد الولادة اثنى عشر يوما أعمى وأكثر ما تضع ثمانيــة أجراء وربما وضعت واحدا فقط ورأس الكلب كله عظم واحد والكلب يطرح مقادم أسنانه ويخلفها ولكنه لا يظهر لكثير من النـاس لانه لا يلقى منها شيئا حتى ينبت فى مكانه غيره والفرق بين الذكر والانثى ان الذكر اذا أدرك يرفع رجله عنــد البول والانثى تبول مقعية وربما رفعت رجلها والذكر يهيج للسفاد فى السنة قبل الانثى وأسنان الذكر أكثر ومضغه أشد قال الجاحظ وخير الكلاب ما كان لونه يذهب الى لون الاســد بين الصـفرة والحمرة ثم البيض اذا كانت عيونها سودا وذكر صاحب المصايد والمطارد أن الابيض أفره والاسود أصبر على الحر والبرد ومن علامة النجابة والفراهة فيه أن يكون تحت حنكه طاقة شعر مفردة غليظة وأن يكون شعر خديه جافيا ومن علامة الفراهة طول ما بين يديه ورجليه وقصر ظهره وصغر رأسه وطول عنقه وعقف أذنيه و بعــد ما بينهما وزرقة عينيه وضخامة مقلتيه ونتو حدقته وطول خطمه وذقنه وسعة شدقه ونتو جبهته وعرضها ويستحب فيه أن يكون قصير اليدين طويل الرجلين طويل الصــدر غليظه قريبه من الارض ناتئ الزور غليظ العضدين مسـتقيم اليدين منضم الاظافير عريض ما بين مفاصل الاعطاف عريض ما بين عظمى أصــل الفخذين مع طولهما وشدة لحمهما دقيق الوسط مستقيم الرجلين قصير السـاقين غير محنى الركبتين قصير الذنب ان كان ذكرا مع دقة وصلابة وان الكلبة اذا ولدت واحدا كان أفره من أبويه وان ولدت اثنين كان الذكر منهما أفره من الانثى وان ولدت ثلاثة فيها أنثى فى شبه الأم كانت أفره من الثلاثة وان كان فى الثلاثة ذكر واحد كان أفرهها واذا ألقيت الجرا وهى صـغار فى مكان ندى فأيها مشى على أربع فهو أفره ومن أعظم أدوائها الكلب بفتح اللام وهو داء كالجنون يعترى الكلب يؤثر فيمن عضه انه يخرج من ذكره جرا صغار . ومن عجيب ما يحكى فى ذلك أن رجلا عضه كلب كلب فتلقاه بكمه فاصابته اسنانه ولعابه فشمر كمه ساعة ثم نشره فتساقط منه جرا صغار . ثم كلاب الصيد على ضربين سلوقية بفتح السين وزغارية بضم الزاى . فأما السلوقية فنسوبة الى سلوق بلدة من اليمن كما قاله صاحب المصايد والمطارد والمؤيد صاحب حماه فى تقويم البلدان والمقر الشهابى ابن فضل الله فى التعريف قال فى التعريف وهى مولدة بين الثعالب والكلاب ولذلك لا تقبل التعليم الا فى البطن الثالث منها قال ولها اسلاح جيد قال فى المصايد والمطارد ولها أنساب كأنساب الخيل قال وقل أن يعرض لها مرض الكلب . وأما الزغارية فهى ألطف قدا من السلوقية ولم أدر الى ماذا تنسب

الصنف الثالث

(مايعتنى بصيده من الوحش والمشهور منه عشرون ضربا)

الاول الحمارة العتابية — وهى حيوان فى صورة البرذون موشى الجلد بالبياض والسواد يروق الناظر حسنها وقد كان أهدى للظاهر برقوق سقى الله عهده حمارة من هذا النوع فأقامت مدة ثم أعطاها فقيرا من فقراء العجم فكان يركبها كما تركب الخيل والحمير ويمشى بها فى القاهرة ثم عوضه الناصر بن الظاهر سلطان العصر عنها عوضا واعادها منه وأرسلها فى هدية لابن عثمان صاحب بلاد الروم غربى الخليج القسطنطينى

الثانى البقر الوحشية — وتعرف بالمها وهى دون البقر الاهلية فى المقدار ولها قرنان فى رأسها فى كل قرن منها شعب وهى من جليل الصيد ويقال للفتى منها المها وبه يضرب المثل فى حسن العيون وسوادها ومن طبعه الشبق وشدة الشهوة ولذلك اذا حملت أنثاه هربت منه خوفا من تعنته بها وهى حامل وربما ركب الذكر الذكر لشدة شبقه قال صاحب المصايد والمطارد وكل اناث الحيوان أرق صوتا من الذكور الا البقر الوحشية فان الانثى أفخم صوتا وأظهر من الذكر ومواضعها من البرية الوهدات وما استوى من الارض ودنا من الماء والعشب وليست مما يسكن الجبل ولذلك عيب فى ذلك محمد بن عبد الملك الزيات كاتب المعتصم ووزيره حيث وصف ثورا من ثيرانها برعيه فى الجبل وهى مما يصاد بالطرد على الخيل ويقال ان أول من طردها على الخيل ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فانه أول من ركب الخيل على قول ولما ركبها رأى بقرة وحشية فطردها فلجأت منه الى مكان يمكنه أخذها فرق لها وتركها ويقال ان من الكلاب ما يتسلط عليها ويتعلق بها وأقدر معين له عليها من جوارح الطير العقاب قال ابن السندى ودمها أسرع الى الجمود من دم سائر الحيوان

الثالث الحمر الوحشية — ويقال للانثى من حمر الوحش أتان وللذكر حمار وعير كما يقال فى الحمر الانسية وربما قيل الفرا وهو من أشد الصيد عدوا ولذلك يضرب به المثل فيقال كل الصيد فى جنب الفرا أو فى جوف الفرا وبه تشبه العرب خيلها وإبلها فى السرعة ويقال إن الحمار الوحشى لا ينزو الا اذا كان له من العمر ثلاثون شهرا وان الانثى لا تلقح منه حتى يتم له ثلاث سنين وقيل سنتان وستة أشهر ويوصف بشدة الغيرة على أتنه حتى يقال ان فيها ما اذا ولدله ولد ذكر كدم قضيبه وخصيبه حتى يقطعهما قال فى المصايد والمطارد وليس يتعلق به شئ من الضوارى ولا الجوارح الا العقاب ولا شئ أبلغ فى صيده من الرمى بالنشاب

الرابع الغزلان — ويقال لها الظباء بكسر الظاء واحدها ظبى ثم الظباء على ثلاثة أضرب. أحدها البيض ويقال لها الآرام جمع ريم ومساكنها الرمل ويقال هى ضأن الظباء . وثانيها الأدم

وهى ظبا سمر الظهور بيض البطون طويلة الاعناق والقوائم وهى أسرعها عدوا ومساكنها الجبال والشعاب . وثالثها العفر وهو صنف يعلوه مع البياض حمرة قصار الاعناق ومسكنها صلاب الارض ويصيد جميعها الفهد والكلاب والعقاب وتصاد أيضا بالحبالة والشرك وربما صيدت بايقاد النار بازائها لان الظبي اذا رأى النار فى الليل تأملها وأدمن النظر اليها وغشى بصره وذهل وقد يضاف الى النار تحريك جرس ونحوه فيزداد ذهوله فيؤخذ وتصاد بامور أخرى غير ذلك

الخامس الايايل — جمع أيل بضم الهمزة وتشديد الياء المثناة تحت ولام فى الآخر وهو حيوان قريب الشبه من الظبا له قرنان فى رأسه كالظبي قال فى المصايد والمطارد وهو معتصم بالجبل قلما يحل السهل وقرونه مصمتة لاتجويف فيها ويخلفها فى كل عام غيرها ويبتدئ فى ذلك بعد مضى سنتين من ولادته وله أربعة أسنان فى كل ناحية من ناحيتى فيه وذكره عصب لالحم فيه ولا غضروف ولا عظم ودم كل حيوان يجمد الا دمه وليس للانثى منها قرون ألبتة وأصوات ذكورها أحد من أصوات اناثها وهو يرتاح لسماع الغنا واذا مر بشجرة الزيتون ذل لها ويأكل الحيات ولا يضره سمها وسيأتى فى الكلام على الاحجار أن البادزهر الحيوانى من صنف منه ومن خواصه انه اذا بخر بقرنه مع كبريت أحمر هربت الحيات

السادس الارانب — جمع أرنب والارنب مؤنثة وهى حيوان صغيرة الجثة قصيرة اليدين قريبة من لون الثعلب وليس شئ مما يوصف بقصر اليدين أسرع منها ومن خصائصها كثرة الشعر حتى انه لينبت فى بطون شدقيها وتحت رجليها وقضيب ذكر الارنب من عظم وربما ركبت الانثى الذكر فى السفاد ولا ينام الارنب الا مفتوح العين ومن طبعها انها تطوء الارض بباطن كفها لتعفى أثرها الا أن الكلب الماهر يدرك أثر قوائمها ومن شأنها أن لا تأوى الى ساحل البحر واذا طردت لجأت الى الجبال واشتد عدوها فيها والانثى لاتسمن وهى عند العرب مما يحيض وتسفد وهى حبلى وتلد الاول والثانى على ما فى بطنها

السابع الذئاب — جمع ذئب وهو حيوان فى صورة الكلب فى لونه بلق بكمودة والذئبة أجرأ من الذئب وأشد عدوا وأسنانه عظم مخلوق فى فكيه ليست مغروسة فيهما كسائر الحيوان قال ابن السندى وأخبرنى أبو بكر الدقيسى أن هذه الخلقة فى أسنان الضبع أيضا والذئب صاحب خلوة وانفراد ومتى رأى الانسان قبل أن يراه أخفى صوته وان رآه جزع منه اجترأ عليه وساوره واذا تسافد هو وأنثاه التحما التحاما شديدا حتى يقال إنه اذا هجم عليهما داخل فى هذه الحالة قتلهما كيف شاء واذلك يبعدان فى هذه الحال الى مكان لا يريان فيه واذا تهارش ذئبان فأدمى أحدهما الآخر عدا الذى أدمى على المدمى فقتله خوفا من أخذ الثار واذا عجز الذئب عن الدفع

عوى فاجتمع اليـه الذئاب نصرتله واذا لقى الفارس والارض مثلوجة خمش الثلج بيـده ورمى به في وجه الفارس ليدهشه ثم يعقر دابته فيتمكن منـه ومتى وطئ الفرس أثر الذئب رعد وخرج الدخان من جسـده كله ولذلك قل من يطرده من الفرسان ولا ينفطر لوطء أثره ويصاد بالكلاب وغيرها وقد تقدم أن السودانى ضرّى ذئبا حتى اصطادله الظباء

الثـامن الثعالب — جمع ثعلب وهو حيوان معروف موصوف بكثرة الروغان فى عدوه وبالحيل حتى انه يتمـاوت عند رؤية الغراب فينزل عليه الغراب على ظن موته ليأكل منه فيقبضه هو ومن خبثه وحيلتـه يختلط بكبار الوحوش وجلتها قال فى المصـايد والمطارد ومن فضائله تشبيههم مشية الخيل عشيته التى يقال لها الثعلبية . ومن عجائبـه أن قضيبه فى خلقة الانبوبة أوسـطه عظم فى صورة الثقب والبـاقى عصب ولحم وهو كريم الوبر والاسود من وبره فى الغاية القصوى والابيض منـه لايكاد يفرق بينـه وبين الفنك . ومن خصائصه أنه يتمرغ فى الزرع فلا ينبت موضعه وربما سفد الكلبة فولدت كلبا فى خلقة السلوقى الذى لا يقدر على مثله وقد تقدم ذكر ذلك فى الكلام على الكلاب السلوقية . ومواضعه الكروم والآجام ويصيده الفهد والكلب وجوارح الطير .

التاسع الضباع — جمع ضبع ويقال لها أم عامر وهى مما يؤكل وان كانت من ذوات الناب لورود النص بذلك وتزعم العرب انها تكون سنة ذكرا وسنة أنثى . ومن خصائصها انها اذا رأت الكلب فى ليلة مقمرة على سطح ووطئت ظله وقع فأكلته واذا اقتحم عليها مقتحم وجارها وقد سد جميع منافذ جحرها حتى يمتنع منه الضوء فلا يبقى فيه خرم ابرة ربطها بحبل وخرج بها وان بقى مايدخل منـه الضوء ولوقدر سم ابرة وثبت عليه فأكلته ومن كان معه شئ من الحنظل لم تقربه الضبع

العـاشر سنور البر — وهو القفا وفى حله عند الشـافعية وجهان أصحهما التحريم وصيده يحتاج الى علاج كبـير وربما وثب على وجوه النـاس وطراده بالحيل من أعسر الطراد وأولى مايصاد به الرمى ومنهم من يعدّه فى السـباع قال فى المصايد والمطارد وقل ما انتفع به فى صـيد الا أنه يثب على الكركى ومافى مقداره من الطيور فيصـيده أما السنور الاهلى وهو الهرّ المعروف فغير مأكول ولا يصـيد الا الفار ومافى معناه من خشاش الارض ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الهرة ولكنها من الطوافين عليكم يعنى أنها تطوف على النائم فى بيتـه فتقبض مالعله يسرح عليه من الخشاش

الحادى عشر الدب — وهو حيوان قريب فى الصورة من السبع وهو يسكن الجبال والمغاير والانثى ترفع ولدها أياما هربا به من الذر والنمل لانها تضعه كقطعة لحم فلا تزال تنقله وتراعيه حتى

تشتد أعضاؤه وتجعله تحت شجرة الجوز وتصعدها فتجمع الجوز فى كفهـا ثم تضرب اليمنى على اليسرى وترمى اليه فاذا شبع نزلت ور بمـا قطعت من الشجرة العود الذى يعجز الناس عنه وتقبض عليـه فى موضع مقبض العصا وتشـدّ به على الفـارس وغيره فلا تصيب به شيئًا الا أهلكتـه . ومن خصيصته انه يستتر فى الشتاء فلا يظهر الا فى الصيف بخلاف سائر الحيوان

الثانى عشر الخنزير ـ وهو حرام بنص القرآن نجس فى مذهب الشافعى رضى الله عنه قياسا على الكلب بل قالوا انه أسوأ حالا منه لعدم حل اقتنائه الا أنه مباح القتل فيكون فى معنى الصيد وهو حيوان فى نحو مقـدار الحمار وشعره كالأبر وله نابان بارزان من فكه الاسفل ومن خاصته انه لا يلقى شيئًا من أسـنانه بخلاف سائر الحيوان فانها تلقى أسنانها خلا الاضراس وهو كثير السفاد كثـير النسـل حتى انه ربمـا بلغت عدة خنانيصه وهى أولاده اثنى عشر خنوصا قال فى المصايد والمطارد وهو من الحيوان البرى الجاهل الذى لا يقبل التأديب والتعليم ويقبـل السمن سريعا ويقال انه اذا جعل بين الخيل سمنت

الثالث عشر السمور ـ بفتح السين وبالميم المشدّدة المضمومة على وزن السفود والكلوب وهو حيوان برى يشبه السنور وقد يكون أكبر منه قال عبد اللطيف البغدادى وهو حيوان جرىء ليس فى الحيوان أجرأ منه على الانسان لا يصاد الا بالحيل ووقع للنووى فى تهذيب الأسماء واللغات أن السمور طير ولعله سبق قلم منه وأغرب ابن هشام السبتى فى شرح الفصيح فقال انه ضرب من الجن والتحقيق انه من جملة الوحوش كما تقـدم وحكمه حل أكله ومنه يتخذ نفيس الفراء التى لا يلبسها الا الملوك وأكابر الاعيان ممن يدانى الملوك لحسنها ودفائها وأحسنه ما كان منه شديد النعومة مائلا الى السواد

الرابع عشر الفنك ـ بفتح الفاء والنون وهو دويبة لطيفة لها وبر حسن أبيض يخالطه بعض حمرة يتخذ من جلوده الفراء قال ابن البيطـار وفروه أطيب من جميع الفراء ومزاجه أبرد من السمور وأحر من السنجاب ويصلح للابدان المعتدلة قال وكثيرا ما يجلب من بلاد الصقالبة

الخامس عشر القاقم ـ بقافين الثانية منهما مضمومة وهو دويبـة فى قدر الفأر لهـا شعر أبيض ناعم ومنـه يتخذ الفراء وهو أبرد مزاجا وأرطب من السنجـاب ولذلك كان له البياض وهو أعز قيمة من السنجاب

السادس عشر الدلق ـ بفتح الدال المهملة واللام وقاف فى الآخر فارسى معرب وهو دويبة تقرب من السنور قال عبد اللطيف البغدادى وهو يفترس فى بعض الاحايين ويكرع فى الدم وذكر ابن فارس انه النمس وقد ذكر الرافعى أنه يسمى ابن نقرص والمعروف ان الدلق حيوان يتخذ منـه الفراء

السابع عشر السنجاب — وهو حيوان أكبر من الفار ووبره فى غاية النعومة وجلده فى نهاية القوة وحكمه الحل وقال بتحريمه بعض الحنابلة ويتخذ من جلده الفراء النفيسة التى يلبسها أعيان الناس ورؤساؤهم ومن شأنه انه اذا أبصر الانسان صعد الشجر العالى وفيها يأوى ومنها يأكل وهو كثير ببلاد الفرنج والصقالبة وأحسن ألوانه الازرق ثم انه يقال انه ربما تبقى زرقته لانه يخنق ولايذكى فان صح ذلك فهو ميتة لايطهر شعره بالدباغ على أظهر القولين من مذهب الشافعى رضى الله عنه خلافا للاستاذ أبى اسحاق الاسفراينى وابن أبى عصرون فانهما يريان طهارة الشعر بالدباغ وهو رواية الربيع الجيزى عن الشافعى واختاره الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله

الثامن عشر سنور الزباد — وهو فى صورة السنور الاهلى الا أنه أطول ذنبا منه وأكبر جثة ولونه الى السواد أميل وربما كان أغبر وهو يجلب من بلاد الهند والسند والزباد فيه شبيه بالوسخ الاسود اللزج زفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك ويوجد فى باطن ابطه وباطن أفخاذه وباطن ذنبه وحول دبره فيؤخذ من هذه الاماكن بملعقة ونحوها

التاسع عشر السنور الاهلى — وهو الهر ويقال فى أصل خلقه ان أهل السفينة شكوا الى نوح عليه السلام ضرر الفار فمسح على وجه الأسد بيده فعطس فخرج السنور من أنفه ولذلك هو يشبهه فى التكوين وكيفية الاعضاء وفيه مشاركة للانسان فى خصال منها أنه يعطس ويتثاءب ويتناول الشئ بيده ويأكل اللحم ويمسح وجهه بلعابه كأنه يغسله واذا اتسخ شئ من بدنه نظفه واذا قضى حاجته خبأ ما يخرج منه ويشمه حتى يخفى رائحته ويقال انه يفعل ذلك كيلا يشمه الفار فيهرب وهو يهيج للسفاد فى آخر الشتاء ويكثر الصياح حينئذ وتحمل الانثى منه مرة فى السنة وتقيم حاملا خمسين يوما واذا ألف منزلا منع غيره من السنانير من الدخول اليه واذا طرده أهل البيت تملق لهم وترفق واذا اختطف شيأ هرب به خوف المعاقبة عليه والهرة اذا جاعت أكلت أولادها ويقال انها تفعل ذلك من شدة الحنو وقد ذكر القزوينى ان نوعا من السنانير له أجنحة كأجنحة الخفافيش متصلة من أذنها الى ذنبها

العشرون النمس — قال الجوهرى وهو دويبة عريضة كأنها قطعة قديد تكون بأرض مصر تقتل الثعبان والنمس بمصر معروف وهو حيوان قصير اليدين والرجلين أغبر اللون طويل الذنب يصيد الدجاج واذا رأى ثعبانا قبض عليه وقتله وربما صيد وأنس فتأنس

فاذا علم الكاتب صفات الوحوش وخصائصها عرف كيف يورد الجليل منها من الاسد والفيل ونحوها موارده فى الوصف وكيف يصف ضوارى الصيد كالفهد وكيف يصف وحوش الصيد كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وغيرها وكذلك ما يقع من التشبيهات بشئ من الحيوان كما قال بعض الشعراء

وتجتنب الاســود وردماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

وكما أنشد الجاحظ

جاءت مع الافشين فى هودج * تزجى الى البصرة أجنادها

كأنها فى فعلها هـــرة * تريد أن تأكل أولادها

مشيرا بذلك الى ماتقدم من أكل الهرة أولادها وغير ذلك مما يجرى هـذا المجرى وسيأتى ذكر مافى معنى ذلك من الرسائل المتعلقة بأوصاف الحيوان فى المقالة العاشرة المعـدّة لذلك ان شاء الله تعالى

النوع الرابع

(فيما يحتاج الى وصفه من الطيور)

ويحتاج الكاتب الى ذلك فى رسائل الصـيد واهداء الجوارح والجواب عن اهدائها وكتابة قدم البندق ومايجرى مجرى ذلك وهو على أربعة أصناف

الصنف الاول

(الجوارح)

وهى يصاد بها الطير والوحش ويحتاج الكاتب الى وصفها فى الرسائل الصـيدية وفى اهداء شئ من الجوارح أو الجواب عنها واعلم ان الصائد الكبير الجثـة المعتبر فى الصـيد فى جميع أجناس الجوارح هى الاناث أما ذكورها فانها ألطف فى المقـدار وأضعف فى الصـيد على ما يأتى بيانه فيما بعـد ان شاء الله تعالى قال فى التعريف ويستحب فى الجوارح كبر هامها ونتوّ صـدرها واتساع حمالقها وقوة أبصارها وحدة مناسرها وصفاء ألوانها ونعومة رياشها وقوة قوادمها وتكاثف خوافيها وثقل محملها وخفة وثباتها واشـتدادها فى الطلب ونهمتها فى الاكل وقد قسمها فى التعريف الى قسمين صقور وبزاة وفرّق بينهما بأن الصـقر ما كان أسود العـين والبازى ما كان أصفر العين على اختـلاف المسميات ثم قال أما العقاب فانه لا يعـدّ فى الصقور ولا فى البزاة وهو معـدود فى الجوارح وفى الطير الجليل وبالجملة فالجوارح على ثلاثة أقسام

القسم الاول

(العـــقاب وهوضربان)

الضرب الاول ـ المخصوص باسم العقاب وهى مؤنثة لاتذكر وتجمع على عقبان وأعقب قال فى المصائد والمطارد وهى من أعظم الجوارح وليس بعد النسر من الطير أعظم منها وأصل لونها السواد . فنها سوداء دجوجيـة وحدادية وهى التى لابياض فيها . ومنها البقعاء وهى التى يخالط سوادها بياض . ومنها الشقراء وهى التى فى رأسها نقط بياض قال أبوعبيدة ويونس ويقال للذكر العقاب الغرر بفتح الغين والراء المهملة ويقال ان ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجرم لاتساوى شيأ تلعب بها الصبيان والعقاب من أسرع الطير طيرانا فقد حكى أن عقابا حملت كف عبد الرحمن بن عتاب بن أسـيد المسمى بيعسوب قريش المقتول يوم الجمل بالكوفة فألقتها بمكة فأخذ فوجد بها حلقـة فعرف أنهـا كفه وأرخ ذلك الوقت فتبين أنها ألقتها يوم الجمل الذى قتل فيـه وأول من صادهـا أهل المغرب فلما نظرت الروم الى شدّة أمرها وافراط سلاحها قال حكماؤهم هـذا لايفى خيره بشره وصفة الوثيق المحب منها وثاقة الخلق وثبوت الاركان وحمرة اللون وغور العين بالحماليق وأن تكون صقعاء عجراء لاسيما ما كان منها من أرض سرت أوجبال المغرب وهى تصـيد الظباء والثعالب والارانب وقد تصـيد حمر الوحش وطريق صيدها اياها أنها اذا نظرت حمار الوحش رمت بنفسها فى الماء حتى يبتل جناحاها ثم تخرج فتقع على التراب فتحمل منـه ومن الرمل ما يعلق بهـا ثم تطير طيرانا ثقيلا حتى تقع على هامته فتصفق على عينيه بجناحيها فيمتلئان ترابا من ذلك التراب الذى علق بجناحيها فلا تستطيع المسير بعد ذلك فيدركها القانص فيأخذها وربمـا كسرت الآدمى . ومما يحكى فى ذلك أن قيصر ملك الروم أهـدى الى كسرى ملك الفرس عقابا وكتب اليه أنها تعمل أكثر من عمل الصقور فأمر بها كسرى فأرسلت على ظبى فاقتنصته فأعجبـه ما رأى منهـا فانصرف وجوّعها ليصيدها فوثبت على صبى له فقتلته فقال كسرى ان قيصر قد جعـل بيننا وبينه دما ثائرا بغير جيش ثم ان كسرى أهدى الى قيصر نمرا وكتب اليه أن قد بعثت اليك فهدا يقتل الظباء وأمثالها من الوحش وكتم ما صنعت العقاب فأعجب قيصر حسن النمر ووافق صـفته ما وصف من الفهـد وغفل عنـه فافترس بعض فتيانه فقال صادنا كسرى ومن شأنها أنها لاتطلب شـيأ من الوحش التى تصيده وهى لاتقرب انسانا أبدا خوفا من أن يطلب صيدها ولاتزال مرقبـة على مرقب عال فاذا رأت بعض سـباع الطير قد صاد شـيأ انقضت عليه فاذا أبصرها هرب وترك الصيد لها فان جاعت لم يمتنع عليها الذئب فى صيده وربمـا اغتالت البزاة فقتلتها ومن خصائصها أنها أشد اخفاء لفراخها من سائر الصـيد

قال غطريف بن قدامة الغسانى صاحب صيد هشام بن عبد الملك وأول من لعب بالعقاب أهل المغرب فلما عرفوا أسرارها نفذوه الى ملك الروم فاستدعى جميع حكمائه فقال لهم انظروا فى قوة هذا الطير وعظم سلاحه وكيف تجب تربيته وتعرفوا أسراره فى صيده وتعليمه وكيف ينبغى أن يكون فأجابوا جميعا بأن هذا الطائر دون سائر أجناسه كالأسد فى سائر الوحوش وكما أن الاسد ملك كذلك هذا ملك بين سائر سباع الطير وعند العداوة والغضب كل الاجناس عنده من سائر الحيوان على اختلاف أنواعه واحد لقوة غضبه وشدة بأسه فهو لا يستعظم الآدمى ولا غيره من الحيوان

الضرب الثانى — الزمج بضم الزاى وفتح الميم المشددة ثم جيم والعامة تبدل الزاى جيما والجيم زايا وهو طائر معروف تصيد به الملوك الوحش وأهل البيزرة يعدونه من خفاف الطير الجوارح الا أنهم يصفونه بالغدر وقلة الالف لكثافة طبعه وكونه لا يقبل التعليم الا بعد بسط ومن عادته أنه يصيد على وجه الارض وأحسن صفاته أن يكون أحمر اللون وقال الليث الزمج طائر دون العقاب حمرته غالبة والعجم تسميه دبرار ومعناه أنه ان عجز عن الصيد أعانه عليه أخوه

القسم الثانى

(من الجوارح البزاة وهى ما اصفرت عينه وهى على خمسة أضرب)

الاول البازى المختص فى زماننا باسم البازى وفى ضبطه ثلاث لغات أفصحها بازى بكسر الزاى وتخفيف الياء فى الآخر والثانى باز بغير ياء فى آخره والثالث بازىّ باثبات الياء وتشديدها حكاها ابن سيده ويقال فى التثنية بازيان وفى الجمع بوازى وبزاة ولفظه مشتق من البزوان وهو الوثب وهو خفيف الجناح سريع الطيران وهو من أشرف الطيور الجوارح وأحرصها على طلب صيد ففى أخبار نصر بن سيار أن بعض كبراء الدهاقين عدا عليه بطبرستان ومعه منديل فيه شئ ملفف فكشف عنه بين يديه فاذا فيه شلو باز ودراجة فأطلقه عليها فأحست به وكنت قد أمرت باحراق قصب قد أفسد أرضا لى فتحاملت الدراجة حتى اقتحمت النار هاربة من البازى واشتد طلبه لها وحرصه عليها فلم ترده النار عنها واقتحمها فى أثرها فاسرعت فيها فأدركتهما وقد احترقا فأحضرتهما الى الأمير ليراهما فيرى بهما ثمرة افراط الحرص وافراط الجبن وهو من أشد الحيوان كبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى ولا يكون الا أنثى وذكرها نوع آخر من حدأة أو شاهين أو غيرهما ولذلك تختلف أشكالها والبازى قليل الصبر على العطش ومأواه مساقط الشجر . ومن فضيلته أن الصيد فيه طبيعة لأنه يؤخذ من وكره فرخا من غير أن يكون يصيد مع أبويه

فيصيد ابتداء وقريحة من غير بصرته بخلاف الصقر فانه اذا أخذ قبل أن يتصيد مع أبويه لم ينجب ولم يصد واذا كان قد لحق أبويه وصاد معهما ثم عود أكثر مما يوجد عنده في تلك الحال وجرى على ماهو أكثر من الظبا اعتاد ذلك ومهر فيه قال صاحب المصايد والمطارد وعدد ريش جناح البازى عشرون ريشة أربع قوادم وأربع مناكب وأربع أباهر وأربع كلى وأربع خواف ويقال سبع قوادم وسبع خواف وسائره كعب والخوافى أخف من القوادم والمستحب من صفاته صغر المنسر والرأس وغلظ العنق وسعة اللحيين ودانى الأذنين والشدقين وسعة الحدقة وطول القوادم وقصر الخوافى والذنب وشدة اللحم وعرض ما بين المنكبين والزور وسعة الحوصلاء وسعة ما ينتقل اليه طعمه وعرض المخالب ورزانة المحمل وغلظ خطوط الصدر وذكاء القلب والتسمير وكثرة الأكل وتتابع النهش وسرعة الاستمراء وشدة الانتفاض وضخامة السلاح وبعد الذرق وأن تراه كأنه مقعيا اذا استقبلته على يد حامله تشبيها بالغراب الابقع قال صاحب المصايد والمطارد والمختار من ألوانها الأحمر الأكثر سوادا الغليظ خطوط الصدر والأشهب الشديد الشهبة الشبيه بالأبيض والأصفر المدبج الظهر قال وسواد لسانه أدل على نجابته والبازى يصيد الكلب والارنب والغزال والكركى ومافى معناه والدراج والحجل وسائر الحمام والبط وسائر طيور الماء . ومن محاسن البازى عدم الاباق فانه ان صاد بقى على فريسته وان لم يصد وقف مكانه فلا يحتاج الى كد ولا تعب ولا طرد خيل . وأول من صاده من الملوك قسطنطين ملك الروم وذلك أنه مر يوما بلحف جبل فرأى بازيا يطير ثم نزل على شجرة كثيرة الأغصان كثيرة الشوك فأعجبته صورته وراقه حسن لباسه فأمر بأن يصاد له جملة من البزاة فصيدت له وحملت اليه فارتبطها فى مجلسه فعرض لبعضها فى بعض الأيام أيم فوثب عليه فقتله فقال هذا ملك يغضبه ما يغضب الملوك فنصب له بين يديه كندرة وكان هناك ثعلب داجن وهو الذى يربى فى البيوت فوثب عليه فما أفلت الاجريحا فقال هذا ملك جبار لا يحتمل ضيما ثم مر به طائر فكسره ونهش منه فقال هذا ملك لوعه لما جاع أخذ طعامه بسلطان وقدرة فحمله على يده وصاد به . الثانى الزرق بضم الزاى المعجمة وتشديد الراء المهملة المفتوحة وقاف فى الآخر وهو ذكر البازى قال فى المصايد والمطارد وهو يصيد ما يصيد البازى من دق الطير ولا ينتهى الى صيد الكركى . الثالث الفقيمى وهو باز قصيف قليل الصيد ذاهل النفس . الرابع الباشق بكسر الشين وفتحها فارسى معرب وهو طائر لطيف وصفاته المحمودة كصفاة البازى المحمودة وأفضلها أثقلها وزنا قال فى المصايد والمطارد وهو يصيد العصافير فما قاربها وقال فى حياة الحيوان انه يصيد أخر ما يصيده البازى وهو الدراج والحمام والورشان واذا قوى على صيده لا ينزله الى أن يتلف أحدهما . الخامس البيدق وهو دون الباشق وصيده العصافير

القسم الثالث

(من الجوارح الصقور وهي السود العيون من الجوارح وهي ضربان)

الضرب الاول ـ الشواهين واحدها شاهين وهي صنفان . الاول المشتهر باسم الشاهين وقد ذكر العلماء بالجوارح أن الشواهين هي أسرع الجوارح كلها وأشجعها وأخفها وأحسنها تقلبا واقبالا وادبارا وأشدها ضراوة على الصيد الا أنهم عابوها بالاباق وما يعتريها من شدة الحرص حتى انها ربما ضربت نفسها على الغليظ من الارض فماتت وهي أصلب عظاما من غيرها من سائر الجوارح ويقال ان صدرها عصب مجدول ملحم ولذلك تجدها تضرب بصدرها ثم تعلق بكفها وهم يحمدون منها ما قرنص داجنا دون ما قرنص وحشيا ومن كلام بعضهم الشاهين كاسمه يعني كالميزان المسمى بالشاهين فانها لا تحتمل أيسر حال من الشبع ولا أيسر حال من الجوع بل حالها معتدل كاعتدال الميزان ويقال ان الحمام يخافها أكثر مما يخاف غيرها من الصقور ثم المختار من صفاتها فيما ذكره صاحب المصايد والمطارد الأحمر اللون اذا كان عظيم الهامة واسع العين حادها سائل السفعتين تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب القعدة من القعاد طويل الجناحين قصير الذنب سبط الكف غليظ دائرة الخصر قليل الريش لينه تام الخوافي ممتلئ الفكرة رقيق الذنب اذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنهما شيء من ذنبه قال صاحب المصايد والمطارد وأهل الاسكندرية يزعمون أن السود منها هي المحمودة وأن السواد هو أصل لونها وانما انقلبت الى لون البرارى فحالت قال والحمر منها تكون في الارياف والمواضع السهلة والشهب في الجبال والبرارى ثم قال ولا يصيد منها الكركى والحبرج الا البحرية . وأول من صادها فيما يقال قسطنطين ملك الروم أيضا وذلك انه رأى شاهينا محلقا على طير الماء يصطاده فأعجبه ما عاين من فراهته وسرعة طيرانه وحسن صيده فانه رآه يحلق في طيرانه حتى يلحق بعنان الجو ثم يعود في طرفة عين فيضرب طير الماء فيأخذه قناصا فقال ينبغي أن يصاد هذا الطائر ويعلم فان كان قابلا للتعليم ظهر منه أعجوبة في أمر الصيد فأمر بصيده وتعليمه فصيد وعلم وحمله على يده قال في المصايد والمطارد وانه كان من رتبة ملوك الروم أنه اذا ركب سارت الشواهين حائمة على رأس الملك حتى ينزل فتقع حوله الى أن ركب بها ملك منهم وسار وهي على رأسه فطار طائر فانقض بعض تلك الشواهين عليه فاقتنصه وأعجب الملك به فضراها على الصيد وصاد بها وقال ابن عفير كانت ملوك العرب اذا ركبت في مواكبها طيروا الشواهين فوق رؤسهم وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة . الثاني من الشواهين الانيوه قال في المصايد والمطارد وهو دون الشاهين في القوة وله سرعة لا يزيد على صيد العصافير

الضرب الثانى — من الصقور ماعدا الشواهين وهى أصناف . الأوّل السنقر قال فى التعريف وهو أشرف الجوارح وان كان لاذكر له فى القديم قال والسنافر تجلب من البحر الشامى مغالا فى أثمانها ثم قال وكان الواحد منها يبلغ ألف دينار ثم نزل عن تلك الرتبة وانحط عن تلك الهضبة . الثانى المخصوص فى زماننا باسم الصقر ويجمع على أصقر وصقور وصقورة قال فى التعريف والعرب تسمى هذا النوع الحر ويقال له الأكدر والأجدل قال فى المصايد والمطارد ويقال لها بغال الطير لأنها أصبر على الأذى وأحمل لغيظ العدا وأحسن إلفا وأشدّ اقداما على جلة الطير ومزاجه أبرد من البازى والشاهين وبسبب ذلك يضرى على الغزال والارنب ولا يضرى على الطير لانه يفوته وهو أهدى من البازى نفسا وأسرع استئناسا بالناس وأكثرها قنعا وأبرد مزاجا لايشرب ماء وان أقام دهرا ونوع يوصف بالبخر ونتن الفم ومسكنه المغائر والكهوف وصدوع الجبال دون رؤس الاشجار وأعالى الجبال والعرب تحمد من الصقور ماقرنص وحشيا وتذم ماقرنص داجنا وتقول انه يتبلد ولا يكاد يفلح وهى تصيد الكركى ومافى معناه والبط وسائر طير الماء والصقور من أثبت الجوارح جنانا فى الطيران وأحرصها فى اتباع الصيد حتى يحكى أن بعض ملوك مصر أرسل صقرا على كركى صبيحة يوم الجمعة بمصر فبينما الناس يصلون الجمعة بدمشق اذ وقع هو والكركى بالجامع الأموى بدمشق فأخذ فوجد فيه لوح السلطان فعرف به فكتب نائب الشام الى السلطان يخبره وأرسله اليه هو وصيده قال فى المصايد والمطارد ومن ألوان الصقر كونه أحمر وأبغث وأحوى وأبيض وأملح وهو الذى فيه نقط بيض قال ويستحب فى الصقر أن يكون أحمر اللون عظيم الهامة واسع العينين تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب القعدة من القفا طويل الجناحين قصير الذنب سبط الكف غليظ الاصابع فيروزجها أسود اللسان قال وتجمع هذه الصفات الفراهة والوثاقة والسرعة قال أدهم بن محرز وأول من لعب بالصقر الحارث بن معاوية بن كندة الكندى خرج يوما الى الصيد فرأى صيادين قد نصبوا شبا كا عدّة فوقع فيها عصافير عدة فحين رآها صقر من الجو انقض عليها يطلبها فأمر الحارث بنصب الشباك للصقور فنصبت لها فاصطاد منها جملة ويقال ان صيد الصقر غير طبيعى له وانما يستفيد ذلك بالتعليم بدليل أن فراخ الباز اذا أخذت من العش وعلمت اصطادت أجود صيد لان صيدها طبيعى بخلاف الصقر فانه اذا أخذ من الوكر ثم كبر فانه لا يصطاد غير طعمه فلذلك ينهى عن تربية الصقر . الثالث الكونج قال فى حياة الحيوان نسبته من الصقور كنسبة الزرق الى البازى الا أنه أحر منه ولذلك كان أخف جناحا وأقل بخرا قال ويصيد أشياء من طير الماء ويعجز عن الغزال لصغره . الرابع الكوهية وهى موشاة بالبياض والسواد

يخالط لونها صفره قال فى التعريف وتجلب من البحر . الخامس السقاوة وهى قريبة الشكل من الصقر . السادس اليؤيؤ بضم الياء المثناة تحت وهمزة بعدها وضم الثانيـة وهمزة بعدها أيضا قال فى المصايد والمطارد وتسميـه أهل مصر والشام الجلم وبهذا سماه فى التعريف وهو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقة وهى مع صغرها تجتمع الاثنان منها على الكركى فتصيدانه وسموه الجلم أخذا من الجلم وهو المقص تشبيها به لان له سرعة كسرعة المقص فى قطعه ومزاجه بالنسبة الى الباشق بارد رطب لأنه أصبر نفسا منه وأثقل حركة وهو يشرب الماء شربا ضروريا كما يشربه الباشق ومزاجه بالنسبة الى الصقر حار يابس ولذلك هو أشجع منه ويقال ان أول من ضرّاه على الصيد واصطاد به بهرام جور أحد ملوك الفرس وذلك أنه رأى يؤيؤا يطارد قنبرة ويراوغها ويرتفع معها ثم لم يتركها حتى صادها فأمر بتأديبه والصيد به

الصنف الثـانى

(الطـــير الجليـــل)

وهو المعبر عنـه بطير الواجب وبه تعتنى رماة البندق وتفتخر باصابته ورمعه ويحتاج اليه فى الرسائل الصيدية وفى كتابة قدم البندق ونحوها هو أربعة عشر طائرا وهى على ضربين

الاول — طيور الشتاء وهى التى يكثر وجدانها فيـه وهى عشرة طيور . الاول الكركى وهو طائر أغبر طويل الساقين فى قدر الاوزة ويجمع على كراكى وفى طبعـه خور يحمله على التحارس حتى انه اذا اجتمع جماعة من الكراكى لابد لها من حارس يحرسها بالنوبة بينها ومن شأن الذى يحرس منها أن يهتف بصوت خفى كأنه ينـذر بأنه حارس فاذا قضى نوبته قام واحد ممن كان نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل منها نوبته من الحراسة ولا تطير متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد منها كالرئيس لها وهى تتبعه يكون ذلك حينا ثم يخلفه آخر منها مقدما حتى يصير الذى كان مقدما مؤخرا وفى طبعها التناصر والتعاضد ومن خاصتها أن أنثاها لا تقعد للسفاد بل يسفدها وهى قائمة ويكون سفاده سريعا كالعصفور وذكر جمع بن عمير التيمى أن الكراكى تبيض فى السماء ولا تقع فراخها وكذبه المحدثون فى ذلك وان كان قد روى عنـه أهل السنن قال القزوينى فى عجائب المخلوقات والكركى لا يمشى على الارض الا باحدى رجليـه ويعلق الاخرى وان وضعها وضعها خفيفا مخافة أن تخسف به الارض قال فى المصايد والمطارد وهو من أبعد الطير صوتا يسمع على أميال قال واذا تقدم مجيئها فى الفصل استدل بذلك على قوة الشتاء ويقال ان الكراكى تأتى الى مصر من بلاد الترك وفى طلبه وصـيده تتغالى ملوك مصر تغاليا لا يدرك حده وتنفق فى ذلك الاموال الجمـة التى لا نهـاية لها وكان لهـم من علو الشأن بذلك

مالا يكون لغيرهم وأكله حلال بلا نزاع . الثانى الاوز بكسر الهمزة وفتح الواو واحدته إوزة وجمعوه على إوزون والمراد هنا الاوز المعروف بالتركى وهو طير فى قدر الاوز البلدى أبيض اللون وله تبختر فى مشيته كالحجل وهو من جملة طير الماء مقطوع بحل أكله . الثالث اللغلغ وهو دون الاوز فى المقدار لونه كلون الاوز الحبشى الى السواد أبيض الجفن أصفر العين ويعرف فى مصر بالعراقى ويأتى اليها فى مبادئ طلوع زرعها فى زمن اتيان الكراكى اليها ومن شأنها أن يتقدمها واحد منها كالدليل لها ثم قد تكون صفا واحدا ممتدا كالحبل ودليلها فى وسطها متقدم عليها بعض التقدم وقد يصف خلفه صفين ممتدين يلقيانه فى زاوية حادة حتى يصير كأنه حرف جيم بلا عراقة متساوية الطرفين ومن خاصتها أنها اذا كبرت حدث فى بياض بطونها وصدورها نقط سود والفرخ منها لا يعتريه ذلك . الرابع الحبرج بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة وضم الراء المهملة وجيم فى الآخر وهو الحبارى قال فى المصايد والمطارد ويقع على الذكر والانثى ويجمع على حباريات وذكر غيره أن واحده وجمعه سواء وبعضهم يقول ان الحبرج هو ذكر الحبارى قال فى المصايد والمطارد وهو طائر فى قدر الديك كثير الريش ويقال لها دجاجة البر قال فى حياة الحيوان وهى طائر طويل العنق رمادى اللون فى منقاره بعض طول يقال لذكر الحبارى الخرب بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وباء موحدة فى الآخر ويجمع على خراب واخراب وخربان ومن خاصته أن الجارح اذا اعتنقها أرسلت عليه ذرقا حاصلا معها متى أحبت أرسلته فيه حدة تمعط ريشه ولذلك يقال سلاحها سُلاحها قال فى حياة الحيوان وهى من أشد الطير طيرانا وأبعدها شوطا فانها تصاد بالبصرة فيوجد فى حواصلها الحبة الخضراء التى شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام واذا نتف ريشها وأبطأ نباته ماتت كمدا قال وهى من أكثر الطير جهدا فى تحصيل الرزق ومع ذلك تموت جوعا بهذا السبب قال فى المصايد والمطارد وهى مما يعاف لانها تأكل كل شئ حتى الخنافس وقال فى حياة الحيوان حكمها الحل لانها من الطيبات واستشهد له بحديث الترمذى من رواية سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حبارى ويقال لولدها اليحبور وربما قيل له نهار كما يقال لولد الكروان ليل . الخامس التم بفتح التاء وتشديد الميم وهو طائر فى قدر الاوز أبيض اللون طويل العنق أحمر المنقار وهو أعظم طيور الواجب وأرفعها قدرا . السادس الصوغ بضم الصاد المهملة وغين معجمة فى الآخر وهو طائر مختلط اللون من السواد والبياض أحمر الصدر وأكثر ميله الى الخضرة والاشجار . السابع العناز بضم العين المهملة وتشديد النون وزاى معجمة فى الآخر وهو طائر أسود اللون أبيض الصدر أحمر الرجلين والمنقار . الثامن العقاب وقد تقدم ذكره فى الكلام على الجوارح حيث هو معدود منها ومن طير الواجب ومما يتعلق

بهذا المكان أنهـا منها الاسود الجوجيـة والسفع والابيض والاشقر ومنها ما يأوى الجبال وما يأوى الصحارى وما يأوى الغياض وما يأوى حول المدن وقد تقدم ذكر الخلاف فى أن ذكرها من جنسها أو من جنس آخر فى الكلام على الجوارح وحكمها تحريم الأكل لأنها من ذوات المخلب من الطير واختلف فى قتلها هل هو مستحب أم لا فجزم الرافعى والنووى من أصحابنا الشافعية فى الحج باستحباب قتلها وجزم النووى فى شرح المهذب بأنها من القسم الذى لا يستحب قتله ولا يكره وهو ما يجتمع فيه نفع ومضرة وبه جزم القاضى أبو الطيب رحمه الله . التاسع النسر بفتح النون ويجمع فى القلة على أنسر وفى الكثرة على نسور وسمى نسرا لأنه ينسر الشئ ويبتلعه والنسر ذو منسر وليس بذى مخلب وانما له أظفار حداد المخالب وهو يسفد كما يسفد الديك وزعم قوم أن الانثى منه تبيض من نظر الذكر اليها وهى لا تحضن بيضها وانما تبيض فى الاماكن العالية الظاهرة للشمس فيقوم حر الشمس للبيض مقام الحضن والنسر حاد البصر يرى الجيفة من أربعمائة فرسخ وكذلك حاسة شمه فى الغاية ويقال انه اذا شم الرائحة الطيبة مات لوقته وهو أشد الطير طيرانا وأقواها جناحا حتى يقال انه يطير ما بين المشرق والمغرب فى يوم واحد واذا وقع على جيفة وعليها عقبان تأخرت ولم تأكل ما دام يأكل منها وكل الجوارح تخافه وهو فى غاية الشره والنهم فى الأكل اذا وقع على جيفة وامتلأ منها لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات يرفع بها نفسه طبقة فى الهواء حتى يدخل تحت الريح وربما صاده الضعيف من الناس فى هذه الحالة والانثى منه تخاف على بيضها وفراخها الخفاش فتفرش فى أوكارها ورق الدلب لتنفر منه الخفاش وهو من أشد الطير حزنا على فراق الفه حتى اذا فارق أحدهما الآخر مات حزنا وهو من أطول الطير أعمارا حتى يقال انه يعمر ألف سنة وحكمه تحريم أكله لأنه يأكل الجيف . العاشر الانيسة قال فى حياة الحيوان بذلك تسميه الرماة وانما اسمه الانيس قال وهو طائر حاد البصر يشبه صوته صوت الجمل ومأواه قرب الانهار والاماكن الكثيرة المياه الملتفة الاشجار وله لون حسن وتدبير فى معاشه وقال أرسطو انه يتولد من الشقراق والغراب وذلك بين فى لونه ويقال انه يحب الانس ويقبل الادب والتربية وفى صفيره وقرقرته أعاجيب حتى انه ربما أفصح بالاصوات كالقمرى وغذاؤه الفاكهة واللحم وغير ذلك ومن شأنه الفة الغياض وحكمه الحل لانه طيب غير مستخبث فان صح تولده من الشقراق والغراب فينبغى تحريمه والانيسة ذات ألوان مختلفة بدنها يميل الى الغبرة وعنقها يشتمل على خضرة وزرقة ويقال انها أشرف طيور الواجب وأعزها وجودا

الثانى ـ طيور الصيف وهى التى يكثر وجودها فيه وهى أربعة أطيار . الاول الكى بضم الكاف وهو طير أغبر اللون الى البياض أحمر المنقار والحوصلة رجلاه تضربان الى السواد .

الثانى الغرنوق بكسر الغين المعجمة وفتح النون ويقال فيه غرنيق بضم الغين وفتح النون ويجمع على غرانيق قال الجوهرى وهو طائر أبيض من طير الماء طويل العنق وتبعه الزمخشرى على ذلك وقال أبو عبيدة وسمى غرنيقا لبياضه وقال صاحب المصايد والمطارد الغرنيق كركى الا أنه أخضر طويل المنقار وقيل لونه كلون الكركى الا أنه أسود الصدر والرأس وله ذؤابتان فى رأسه وقال ومن خصائصها أن ريشها فى شبيبتها يكون رماديا فاذا كبرت اسود وليس ذلك فى سائر الطير فان الريش لا يحول بياضه الى السواد بل يحول سواده الى البياض كما فى الغربان والعصافير والخطاطيف . الثالث المرزم وهو طير أبيض فى أطراف ريشه حمرة طويل الرجلين والعنق وهو حلال الأكل . الرابع الشبيطر بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة والطاء المهملة ويسمى اللقلق أيضا ويعرف بالبلارح وكنيته عند أهل العراق أبو خديج وهو طائر أبيض أسود طرفى الجناحين ورجلاه ومنقاره حمر وهو يأكل الحيات ولكنه يوصف بالفطنة والذكاء وفى حله عند الشافعية وجهان أصحهما فى شرح المهذب والروضة الحرمة وان كان من طير الماء وسيأتى الكلام على ما يحمل من هذه الطيور الاربعة عشر بأعناقه وما يحمل منها بأسياقه فيما يتعلق بمصطلح الرماة فى الكلام على كتابة قدم البندق فى موضعه ان شاء الله تعالى وطيور الواجب كلها حلال الا النسر والعقاب

الصنف الثالث

(ماعدا الطير الجليل مما يصاد بالجوارح وغيرها وهو على ضربين)

الضرب الاول — ما يحل أكله وهو أنواع كثيرة لا يأخذه الحصر ونحن نقتصر على ذكر المشهور من أنواعه . فمنها النعام وهو اسم جنس الواحدة نعامة وهو طائر معروف مركب من صورتى جمل وطائر ولذلك تسميه الترك دواقش بمعنى طير جمل وتسميه الفرس اشترمرك ومعناه جمل وطائر وتجمع النعامة على نعامات ويسمى ذكرها الظليم ومن المتكلمين على طبائع الحيوان من لم يجعلها طيرا وان كانت تبيض لعدم طيرانها ومن الناس من يظن انها متولدة من جمل وطير ولم يصح ذلك ومساكنها الرمل وتضع بيضها سطرا مستطيلا بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحدة منها عن الأخرى ثم تعطى كل بيضة منها نصيبها من الحضن لانها لا تستطيع ضم جميع البيض تحتها واذا خرجت للطعم فوجدت بيض نعامة أخرى حضنته ونسيت بيضها فربما حضنت هذه بيض هذه وربما حضنت هذه بيض هذه ولذلك يوصف فى الطير بالحمق ويقال انها تقسم بيضها أثلاثا فمنه ما تحضنه ومنه ما تجعله غذاء لها ومنه ما تفتحه وتجعله فى الهواء حتى يتولد فيه الدود فتغذى به فراخها اذا خرجت وليس للنعام حاسة سمع ولكنه قوى الشم يستغنى بشمه عن سماعه

حتى يقال انه يشم رائحة القانص من بعد والعرب تقول ان النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها وهو لا يشرب ماء وان طال عليه الامد ولذلك تسكن البرارى التى لا ماء فيها وأكثر ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح ومن خصائصها أنها تبتلع العظم الصلب والحجر والحديد فتذيبه معدتها حتى تدفعه كالماء وتبتلع الجمر فيطفيه جوفها واذا رأت فى أذن صغير لؤلؤة أو حلقة اختطفتها وحكمه حل أكله اجماعا ومن خاصته ان مرارته سم وحى . ومنها الاوز بكسر الهمزة وفتح الواو وهو اسم جنس واحده إوزة وجمعوه على إوزون وهو مما يحب السباحة فى البحر واذا خرج فرخه من البيضة سبح فى الحال واذا حضنت الانثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها ويخرج فرخها فى دون الشهر من البيضة وهو من الطيبات وغذاؤه جيد الا أنه بطىء الهضم . ومنها البط وهو من طيور الماء واحده بطة للذكر والانثى وليس بعربى وهو عند العرب من جملة الاوز . ومنها القرلى بكسر القاف ويسمى ملاعب ظله وهو طائر صغير الجرم من طيور الماء سريع الاختطاف لا يزال موقوفا على وجه الماء على جانب كطيران الحداة يهدئ باحدى عينيه الى قعر الماء طمعا ويرفع الأخرى حذرا فان أبصر فى الماء ما يستقل بحمله من السمك أو غيره انقض عليه كالسهم المرسل فأخرجه من قعر الماء وان أبصر فى الجو جارحا مر فى الارض وبه يضرب المثل فى الاقبال على الخير والادبار عن الشر فيقال كأنه قرلى إن رأى خيرا تدلى أو رأى شرا تولى . ومنها الغطاس ويقال له القفاص وهو طائر اسود نحو الاوزة يغوص فى الماء فيستخرج السمك فيأكله ووهم فيه فى حياة الحيوان فجعله القرلى . ومنها الدجاج بفتح الدال المهملة وكسرها وضمها حكاه ابن معن الدمشقى وابن مالك وغيرهما وأفصحها الفتح وأضعفها الضم والواحدة دجاجة والذكر والانثى فيه سواء قال ابن سيده وسميت دجاجة لاقبالها وادبارها يقال دج القوم اذا امشوا بتقارب خطو وقيل اذا أقبلوا وأدبروا والفرخ يخرج من البيضة بالحضن وتارة بالصنعة والتدفئة بالنار واذا خرج الفرخ من البيضة خرج كاسيا ظريفا سريع الحركة يدعى فيجيب ثم كلما مرت عليه الايام حمق ونقص حسنه ومما يعرف به الذكر من الانثى فى حالة الصغر أن يعلق الفرخ بمنقاره فان اضطرب فهو ذكر والا فهو أنثى والدجاج يبيض فى جميع السنة وربما باضت الدجاجة فى اليوم مرتين ويتم خلق البيض فى عشرة أيام وتخرج لينة القشر فاذا أصابها الهواء تصلبت وتشتمل البيضة على بياض وصفرة ويسمى المح ومن البياض يتخلق الولد والصفرة غذاء له فى البيضة يتغذاه من سرته وربما كان للبيضة بياضان ويتخلق من كل بياض فرخ فاذا كبرت الدجاجة لم يبق لبيضها مح وحينئذ فلا يتخلق منه فرخ ثم الدجاج من الطيور الدواجن فى البيوت وقد ورد فى سنن ابن ماجه من رواية أبى هريرة رضى الله عنه أمر الاغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج قال عبد اللطيف البغدادى أمر كل قوم من الكسب

بحسب مقدرتهم . ومن عجيب أمر الدجاجة انها تمر بها سائر السباع فلا تحاماها فاذا مر بها ابن آوى وهى على سطح رمت نفسها اليه وهى توصف بقلة النوم وسرعة الانتباه ويقال ان ذلك لخوفها وخور طباعها ومن الدجاج نوع يقال له الحبشى أرقط اللون متوحش وربما ألف البيوت والحكم فى الجميع الحل . ومنها الديك وهو ذكر الدجاج ويجمع على ديكة ودبوك وهو أبله الطبيعة حتى انه اذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده الى دار أهله ومع ذلك فقد خصه الله تعالى بمعرفة الاوقات حتى رجح الرافعى من مذهب الشافعى رضى الله عنه اعتماد الديك المجرب وفاقا للمتولى والقاضى حسين ومن عجيب أمره انه يقسط أوقات الليل تقسيطا لا يخل فيه بشئ طال الليل أم قصر لكن قد ورد فى معجم الطبرانى وغيره ان الله سبحانه وتعالى ديكا أبيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء يؤذن كل سحر فيسمع تلك الصيحة أهل السموات وأهل الارض الا الثقلين الجن والانس فعند ذلك تجيبه دبوك الارض وحينئذ فيكون الديك فى ذلك تابعا وقد ورد عدة أحاديث فى النهى عن سب الديك ومدح الديك الابيض والحث على اتخاذه ومن حميد خصال الديك انه يسوى بين دجاجه ولا يؤثر واحدة على الاخرى ويقال انه يبيض فى السنة بيضة ويفرق بين بيضه وبين الدجاجة ان بيضته أصغر من بيضة الدجاجة وهى مدورة لا تحديد فى رأسها . ومنها القطا بفتح القاف وهو طائر معروف واحده قطاة ويجمع على قطوات وقطيات وأكثر ما يبيض ثلاث بيضات ويسمى قطا لحكاية صوته لانه يصيح قطا قطا ولذلك تصفها العرب بالصدق قال الجوهرى وهو معدود من الحمام وبه قال ابن قتيبة وعليه جرى الرافعى فى الحج والاطعمة قال الشيخ محب الدين الطبرى والمشهور خلافه ثم القطا نوعان كدرى وجونى وزاد الجوهرى نوعا ثالثا وهو القطاط فالكدرى غبر اللون رقش البطن والظهور صفر الحلوق قصار الاذناب والجونى سود بطون الاجنحة والقوادم وظهرها أغبر أرقط يعلوه صفرة وهى أكبر جرما من الكدرى تعدل كل جونية كدريتين والكدرية تفصح باسمها فى صياحها والجونية لا تفصح بل تقرقر بصوت فى حلقها ومن خاصتها الا تسير الا جماعة ومن طبعها انها تبيض فى القفر على مسافة بعيدة من الماء وتطلب الماء من مسافة عشرين ليلة وفوقها ودونها وتخرج من أفاحيصها فى طلب الماء عند طلوع الفجر فتقطع الى حين طلوع الشمس مسيرة سبع مراحل فترد الماء فتشرب ثم تقيم على الماء ساعتين أو ثلاثا ثم تعود الى الماء ثانية والجونية تخرج الى الماء قبل الكدرية وهى توصف بالهداية فتأتى أفاحيصها ليلا ونهارا فلا تضل عنها وتوصف بحسن المشى وبقلة النوم . ومنها الكروان بفتح الكاف والراء وهو طائر فى قدر الدجاجة طويل الرجلين حسن الصوت لا ينام الليل ويجمع على كروان بكسر الكاف والانثى كروانة . ومنها الحجل

بفتح الحاء المهملة والجيم وهو طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر ويقع على الذكر والانثى وقد يقال له القبج أيضا بفتح القاف وسكون الموحدة وجيم فى الآخر يقال للذكر والانثى منه قبجة ويسمى الذكر منه اليعقوب والقبج بفتح القاف والموحدة وجيم فى الآخر ويقال فى الانثى منه حجلة وهو صنفان نجدى وتهامى فالنجدى أحمر الرجلين والتهامى فيه بياض وخضرة ومن شأنه انه يأتى الى مصر عند هيجان زرعها ويصيح صياحا حسنا تقول العامة انه يقول فى صياحه طاب دقيق السبل ومن شأن الانثى منه اذا لم تلقح انها تمرغ فى التراب وتصبه على أصول ريشها فتلقح ويقال انها تلقح بسماع صوت الذكر وبريح تهب من قبله واذا باضت ميز الذكر الذكور منها فحضنها وتحضن الانثى الاناث وكذلك فى التربية وفرخها يخرج كاسيا زغب الريش كما فى الدجاج وفى المصايد والمطارد ان القبج كثير السفاد وانه اذا اشتغلت عنه الانثى ورأى بيضها كسره قال التوحيدى ويعيش الحجل عشر سنين ويعمل عشين يجلس الذكر فى واحد والانثى فى واحد وهو من أشد الطيور غيرة على أنثاه حتى ان الذكرين ربما قتل أحدهما الآخر بسبب الانثى فمن غلب منهما دانت له ومن طبعه انه يأتى عش غيره فيأخذ بيضه ويحضنه واذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التى باضتها وفيه من قوة الطيران ما يظنه من لم يحققه عند طيرانه انه حجر رمى بمقلاع لسرعته . ومنها القمرى بضم القاف وسكون الميم وهو طائر معروف حسن الصوت ويجمع على قمارى غير مصروف قال فى المحكم ويجمع على قمر أيضا والانثى منه قمرية ويقال للذكر منه الورشان بفتح الواو والراء المهملة والشين المعجمة ويقال له أيضا ساق حر قال البطليوسى وسمى ساق حر حكاية لصوته كأنه يقول ذلك ويكنى أبا الاخضر وأبا عمران وأبا الناجية قال ابن السمعانى والقمرى منسوب الى القمر وهى بلدة تشبه الجص لبياضها قال وأظنها بمصر وقال ابن سيده القمرى طير صغير وعده فى المحكم من الحمام ويقال ان الهوام تهرب من صوت القمارى قال القزوينى ومن خاصية القمارى انها اذا ماتت ذكورها لم تتزاوج اناثها والورشان الذى هو ذكر القمرى يوصف بالحنو على أولاده حتى انه ربما قتل نفسه اذا رآها فى يد القانص قال عطاء وهو يقول فى صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب ومنه نوع اسود حجازى يقال له النوى شجى الصوت جدا . ومنها الفاختة بالفاء والخاء المعجمة والتاء المثناة والجمع الفواخت بفتح الفاء وكسر الخاء وهى طائر من ذوات الأطواق حجازية فى قدر الحمام حسن الصوت ويقال ان الحيات تهرب من صوتها حتى يحكى أن الحيات كثرت بأرض فشكا أهلها ذلك الى بعض الحكماء فأمرهم بنقل الفواخت اليها فانقطعت الحيات عنها وفى طبعها الأنس بالناس وتعيش فى الدور الا أن العرب تسميها الكذب فان صوتها عندهم يقول فيه هذا أوان الرطب وهى تقول ذلك والنخل لم يطلع بعد ولذلك تقول العرب فى أمثالهم أكذب من فاختة .

ومنها الدبسى بضم الدال وهو طائر صغير منسوب الى دبس الرطب بكسر الدال وذلك أنهم يغيرون في النسب فيقولون في النسبة الى الدهر دهري ونحو ذلك وهو ضرب من الحمام ثم هو أصناف مصري وحجازي وعراقي وكلها متقاربة لكن أفخرها المصري ولونه الدكنة وقيل هو ذكر اليمام وفي طبع الدبسى أن لا يرى ساقطا على وجه الارض بل في الشتاء له مشتى وفي الصيف له مصيف لا يعرف له وكر . ومنها الشفنين بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحت ثم نون وهو الذي تسميه العامة بصر اليمام وهو دون الحمام في المقدار ولونه الحمرة مع كودة وفي صوته ترجيع وتحزين وتحسن أصواتها اذا اختلطت ومن طبعه أنه اذا فقد أنثاه لم يزل أعزب الى أن يموت وكذلك الانثى اذا فقدت ذكرها وفيه ألفة للبيوت وعنده احتراس . ومنها الدرّاج بفتح الدال وكنيته أبو الحجاج وأبو خطار وهو طائر ظاهر جناحيه أغبر وباطنهما أسود على خلقة القطا الا أنه ألطف وهو يطلق على الذكر والأنثى والجاحظ يعده من جنس الحمام لأنه يجمع بيضه تحت جناحه كما يفعل الحمام والناس يعبرون عن صوته بأنه يقول بالشكر تدوم النعم ويقال انه طائر مبارك وهو كثير النتاج يبشر بقدوم الربيع وهو يصلح بهبوب الشمال وصفاء الهواء ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى لا يقدر على الطيران . ومنها العصفور بضم العين وحكى ابن رشيق في كتاب الغرائب فتحها والانثى عصفورة وكنيته أبو الصفو وأبو محرز وأبو مزاحم وأبو يعقوب قال حمزة سمي عصفورا لأنه عصى وفرّ وهو أنواع كثيرة وأشهرها المعروف بالدوري ووكره العمران تحت السقوف خوفا من الجوارح فاذا خلت مدينة من أهلها ذهبت العصافير منها وهو كثير السفاد حتى انه ربما سفد في الساعة الواحدة مائة مرة ولفرخه تدرّب على الطيران حتى انه يدعى فيجيب قال الجاحظ بلغني أنه يرجع من فرسخ . ومنها الشحرور بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة وهو طائر أسود فويق العصفور له صوت شجيّ ويكون بأرض الشأم كثيرا . ومنها الهزار بفتح الهاء والزاي المعجمة طائر نحو العصفور له صوت حسن ويسمى العندليب أيضا ويجمع على عنادل . ومنها البلبل بضم الموحدتين وسكون اللام الاولى والثانية وهو طائر أسود فوق العصفور والحمرى منه فوق ذلك ويقال له النغر بضم النون وفتح الغين المعجمة وراء مهملة في الآخر والكعيت بضم الكاف وفتح العين المهملة ومثناة فوقية في الآخر والجميل بضم الجيم وقد ثبت في الصحيحين من رواية أنس رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ لأمي فطيم يقال له عمير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير لنغر كان يلعب به . ومنها السمانى بضم السين المهملة وفتح النون ولا تشدد ميمه وهو طائر معروف فوق العصفور ويجمع على سمانيات وهو من الطيور التي لا يعرف من أين تأتي بل تأتي في البحر الملح يغوص

بأحد جناحيه فى الماء و يقيم الآخر كالقلع للسفينة فتدفعه الريح حتى يأتى الساحل وكثيرا ما يوجد ببلاد السواحل وله صوت حسن ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء فاذا أقبل الربيع صاح . ومنها الحسون وتسميه أهل الجزيرة والشأم وحلب وتوابعها زقيقية وهو طائر قطن وتسميه الأندلسيون أبو الحسن والمصريون أبو زقانة وربما أبدلوا الزاى منه سينا وهو عصفور ذو ألوان حمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة وهو قابل للتعليم يعلم أخذ الشئ كالفلس ونحوه من يد الانسان على البعد والاتيان به لصاحبه . ومنها أبو براقش بكسر القاف وبالشين المعجمة وهو طائر كالعصفور يتلون ألوانا وبه يضرب المثل فى التلون . ومنها الزاغ بزاى وغين معجمتين بينهما ألف وهو ضرب من الغربان صغير أخضر اللون لطيف الشكل حسن المنظر وقد يكون أحمر المنقار والرجلين وهو الذى يقال له غراب الزيتون سمى بذلك لأنه يأكل الزيتون . ومنها الغداف بضم الغين المعجمة وبالدال المهملة والفاء فى آخره وهو غراب الغيط ويجمع على غدفان بكسر الغين قال ابن فارس هو الغراب الضخم وقال العبدرى هو غراب صغير أسود لونه كلون الرماد وقد قال النووى فى الروضة بتحريمه وان كان الرافعى قد جزم بحله ورجحه صاحب المهمات . ومنها غراب الزرع وهو غراب أسود المنقار وفيه وجه بالتحريم

الضرب الثانى ــ ما يحرم أكله وهو أنواع كثيرة أيضا . منها الطاووس ويجمع على طواويس وهو طائر فى نحو مقدار الاوزة حسن اللون والذكر منه غاية فى الحسن له فى رأسه رياش خضر قائمة كالشربوش وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر وليس للانثى شئ من ذلك وهو فى الطير كالفرس فى الدواب عزا وحسنا وفى طبعه الزهو بنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه والانثى منه تبيض بعد ثلاث سنين من عمرها وفى هذا الحد يكمل ريش الذكر ويتم لونه وبيضه مرة واحدة فى السنة ويكون بيضه من اثنى عشر بيضة الى ما حولها ولا يبيض متتابعا وسفاده فى أيام الربيع وفى الخريف يلقى ريشه كما تلقى الشجر ورقها حينئذ فاذا بدا طلوع أوراق الاشجار طلع ريشه وهو كثير العبث بالانثى اذا حضنت وربما كسر بيضها ولذلك يحضن بيضه تحت الدجاج لكن لا تقوى الدجاجة على حضن أكثر من بيضتين منها و يتعاهد الدجاجة بالطعمة والسقية وهى راقدة عليه كى لا تقوم عنه فيفسد بالهواء الا أن ما تحضنه الدجاجة يكون ناقص الجثة عما تحضنه أنثاه وليس له من الحسن والبهجة ما لذلك ومدة حضنه ثلاثون يوما وفرخه يخرج من البيضة كالفروج كاسيا بالريش يلقط الحب للحال . ومنها السمندل بفتح السين المهملة والميم وسكون النون وبفتح الدال المهملة ولام فى الآخر وقال الجوهرى السندل بغير ميم وقال ابن خلكان السمند بغير لام وهو طائر يكون بارض الصين والهند ومن خاصته انه لا تؤثر النار فيه حتى يقال انه يبيض ويفرخ فيها ويستلذ بمكثه فيها ويتخذ من ريشه مناديل ونحوها

فاذا اتسخت ألقيت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تتأثر هى فى نفسها قال ابن خلكان فى ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيق رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة فى طوله وعرضه فألقيت فى النار فما أثرت فيها فغمس احد جوانبها فى الزيت وجعل فى النار فاشتعل وبقى زمانا طويلا ثم أطفىء وهو على حاله لم يتغير قال ورأيت بخط عبد اللطيف البغدادى انه أهدى للظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب قطعة منه عرض ذراع فى طول ذراعين فغمست فى الزيت وقربت من النار فاشتعلت حتى فنى الزيت ثم عادت بيضاء كما كانت وبعضهم يقول انه وحش كالثعلب وأن ذلك يعمل من وبره . ومنها الببغا بباءين مفتوحتين الاولى منهما مخففة والثانية مشددة وغين معجمة بعدها ثم ألف وهو المعبر عنه بالدرة بدال مهملة مضمومة وقال ابن السمعانى فى الانساب هى باسكان الباء الثانية وهى طائر أخضر اللون فى قدر الحمام يحاكى ما يسمعه من اللفظ ثم هى على ضربين هندى وهى أكبر جثة ومنقارها أحمر ونوبى وهى أدونها ومنقارها اسود ويقال ان منها نوعا أبيض ويذكر أنه أهدى لمعز الدولة بن بويه ببغا بيضاء اللون سوداء المنقار والرجلين على رأسها ذؤابة فستقية وهى طائر دمث الاخلاق ثاقب الفهم له قوة على حكاية الاصوات وقبول التلقين تتخذه الملوك والاكابر لينم بما يسمع ومن شأنه أنه يتناول طعمه برجله كما يتناوله الانسان بيده والهندى منه أقرب الى التعليم من النوبى . ومنها أبو زريق بزاى مضمومة ثم راء مهملة وفى آخره قاف ويقال له القيق بكسر القاف والزرياب بزاى معجمة مكسورة ثم راء مهملة ساكنة ثم ياء مثناة تحت وبعد الالف باء موحدة وهو طائر ألوف للناس يقبل التعليم سريع الادراك لما يعلم وقد يزيد على الببغا اذا أنجب بل اذا تعلم جاء بالحروف مبينة حتى يظن سامعه انه انسان بخلاف الببغا فانها لا تفصح كل الافصاح ومن غريب ما يحكى فى أمره ما حكاه صاحب منطق الطير أن رجلا خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم لا يملك غيرها فوجد فى طريقه عدة من فراخه فاشتراها بما معه ثم رجع الى بغداد فعلقها فى أقفاص فى حانوته فهبت عليها ريح باردة فماتت كلها الا واحدا كان أضعفها وأصغرها فثقل ذلك عليه وبات ليلته تلك يبتهل الى الله تعالى بالدعاء وينادى يا غياث المستغيثين أغثنى فلما أصبح اذا ذلك الفرخ الذى بقى يصيح بلسان فصيح يا غياث المستغيثين أغثنى فاجتمع الناس عليه يسمعون صوته فاجتازت جارية للخليفة فاشترته منه بألف درهم . ومنها الهدهد بضم الهاءين واسكان الدال المهملة بينهما وهو طائر معروف ذو خطوط موشاة وألوان ويجمع على هداهد ويذكر عنه أنه يرى الماء من باطن الارض كما يراه الانسان فى باطن الزجاج قوة ركبها الله تعالى فيه ولذلك عنى به سليمان عليه السلام مع صغره كما قاله البيهقى فى شعب الايمان ويقال انه كان دليلا لسليمان عليه السلام على الماء وقصته مع سليمان مذكورة فى التنزيل وقد ذكر الزمخشرى أن سبب تخلفه

عن سليمان انه رأى هدهدا آخر فحكى له عظيم ملك سليمان فحكى له ذلك الهدهد عظيم ملك بلقيس باليمن فذهب ليكشف الخبر فلم يرجع الا بعد العصر فلما عاد اليه توعده فأرخى رأسه وجناحيه تواضعا بين يديه وقال يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه .
ومنها الخطاف بضم الخاء المعجمة ويجمع على خطاطيف وهو طائر في قدر العصفور أسود وباطن جناحيه الى الحمرة والناس يسمونه عصفور الجنة لانه يعرض عن أقواتهم ويقتات البعوض والذباب ومن شأنه السكنى في البيوت المعمورة بالناس في أفاحيص يبنيها من الطين ويختار منها السقوف والاماكن التي لا يصل اليه فيها أحد وقد ذكر الثعلبي في تفسيره في سورة النمل أن سبب قرب الخطاطيف من الناس ان الله تعالى لما أهبط آدم الى الارض استوحش فآنسه الله تعالى بالخطاف وألزمه البيوت فهو لا يفارق بني آدم أنسالهم والخفاش يعاديه فلذلك اذا أفرخ جعل في عشه قضبان الكرفس لينفر الخفاش عنها ومن عادته انه لا يفرخ في عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ولا يلقي شيأ من ذرقه في عشه بل يلقيه الى ماشاء واذا سمع حس الرعد يكاد يموت ويوجد في عشه حجر اليرقان وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد اذا علق على من به اليرقان أو شرب من سحالته برئ وانما يأتي بهذا الحجر اذا أصاب فراخه اليرقان ولذلك يحتال بعض الناس بلطخ فراخه بالزعفران ليظن أن اليرقان قد أصابها فيأتي اليها بهذا الحجر فيؤخذ منه ومن الخطاطيف نوع آخر ألطف قدرا من هذا يسكن شطوط الانهار وجوانب المياه وعدّوا من أنواعه أيضا الذي يسميه أهل مصر الخضير وهو طائر أخضر دون الببغا في المقدار لا يزال طائرا وهو يصيح يقتات الفراش والذباب . ومنها الصرد بضم الصاد وفتح المهملة ودال مهملة في الآخر ويجمع على صردان قال ابن قتيبة وسمي صرد حكاية لصوته ويسمى الواق بكسر القاف وكنيته أبو كثير وهو طائر فوق العصفور نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم الرأس ضخم المنقار والبراثن لا يرى الا في سعفة أو شجرة بحيث لا يقدر عليه أحد وله صفير مختلف ومن شأنه أنه يصيد العصافير ومافي معناها فيصفر لكل طير يريد صيده بلغته يدعوه الى التقرب منه فيثب عليه فيأكله والعرب تتشاءم به وتنفر من صياحه وهو مما وردت الشريعة بالنهي عن قتله .
ومنها العقعق بعينين مهملتين مفتوحتين بينهما قاف ساكنة وربما قيل فيه القعقع على القلب قال الجاحظ سمي بذلك لأنه يعق فراخه فيتركهم أياما بلا طعم ويقال لصوته العقعقة وهو طائر على قدر الحمامة في شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحي الحمامة ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب ومن شأنه أنه لا يأوي تحت سقف ولا يستظل به بل يهيئ وكره في المواضع المشرفة وفي طبعه الزنا والخيانة ويوصف بالسرقة والخبث واذا رأى حليا أو عقدا اختطفه والعرب تضرب به المثل في جميع ذلك واذا باضت الأنثى منه أخفت بيضها بورق الدلب خوفا عليه

من الخفاش فانه متى قرب من البيض مذر وتغير من ساعته ويقال انه يخبأ قوته كما يخبأه الانسان والنملة الا أنه ينسى ما يخبأه وبعضهم يعده فى جملة الغربان وفيه وجه عندنا بحل أكله . ومنها الشقراق بفتح الشين المعجمة وسكون القاف وألف بين الراء المهملة والقاف الثانية ويجوز فيه كسر الشين أيضا وربما قلبوه فقالوا الشرقاق ويسمى الأخيل أيضا وهو طائر صغير بقدر الحمام أخضر يتبع الخضرة حسن المنظر فى أجنحته سواد والعرب تتشاءم به وفى طبعه الشره حتى انه يسرق فراخ غيره وعده الجاحظ نوعا من الغربان ويكثر ببلاد الشام والروم وخراسان ولا يزال متباعدا من الانس يألف الروابى ورؤس الجبال الا أنه يحضن بيضه فى عوالى العمران التى لا تنالها الأيدى وعشه شديد البنيان وله مشتى ومصيف قال الجاحظ وهو كثير الاستغاثة اذا مر به طائر ضربه بجناحه وصاح كأنه هو المضروب وفيه وجه بحل أكله . ومنها الغراب الابقع قال الجوهرى وهو الذى فيه بياض وسواد ويسمى غراب البين أيضا قال صاحب المجالسة سمى بذلك لأنه بان عن نوح عليه السلام حين أرسله لينظر الماء فذهب ولم يرجع قال ابن قتيبة وجعل فاسقا لأجل ذلك ويسمى الأعور إما لأنه يغمض احدى عينيه لقوة بصره وقيل لصفاء عينيه وحدة بصره من باب الاضداد ومن طبعه الخيانة والسرقة والعرب تتشاءم به وتكره صوته وقد سبق القول على ذلك فى أوابد العرب من هذه المقالة ومن طبع الغراب الاستتار عند السفاد وأنه يسفدها مواجهة ملقاة على ظهرها والأنثى تبيض أربع بيضات وخمسا واذا خرجت الفراخ من البيض نفر عنها الأبوان لبشاعة منظرها حينئذ فتغتذى من البعوض والذباب الكائن فى عشها حتى ينبت ريشها فيعود الأبوان اليها وعلى الأنثى الحضن وعلى الذكر أن يأتيها بالطعم وفيه حذر شديد وتناصر حتى انه اذا صاح الغراب مستنصرا اجتمع اليه عدة من الغربان . ومنها الغراب الأسود الكبير وهو الجبلى وفيه وجه بحله . ومنها الحدأة بكسر الحاء والهمز الطائر المعروف ويجمع على حدإ وحدآن ومن ألوانها السود والرمد وهى لا تصيد بل تخطف ومن طبعها أنها تصف فى الطيران وليس ذلك لشئ من الكواسر غيرها وزعم ابن وحشية وابن زهر أن الحدأة والعقاب يتبدلان فتصير الحدأة عقابا والعقاب حدأة وربما قيل الغراب بدل العقاب ويقال انها تصير سنة ذكرا وسنة أنثى ويقال هى أحسن الطير مجاورة لما جاورها فى الطير حتى لو ماتت جوعا لا تعدو على فرخ جارتها وفى طبعها أنها انما تختطف ممن تختطف منه من يده اليمنى دون اليسرى حتى يقال انها عسراء وقد ثبت فى الصحيح بحل قتلها فى الحل والحرم . ومنها الرخمة بفتح الراء المهملة والخاء المعجمة وكنيتها أم جعران وأم رسالة وأم عجيبة وأم قيس وأم كثير ويقال لها الأنوق بفتح الهمزة وهى طائر أبقع ببياض وسواد فوق الحدأة فى المقدار تأكل الجيف وهى معدودة فى بغاث الطير وهى تسكن رؤس الجبال العالية وأبعدها من أماكن أعدائه

ولذلك تضرب العرب المثل ببيضه فيقولون أعز من بيض الأنوق والأنثى لاتمكن من نفسها غير ذكرها وتبيض بيضة واحدة وربما باضت بيضتين . ومنها البومة بضم الباء الموحدة وفتح الميم للذكر والأنثى وهو طائر من طير الليل فى قدر الاوزة لها وجه مستدير بالريش النابت حوله يشبه وجه الآدمى فى صفرة عينين وتوقدهما ويقال للذكر منها الصدى والضوع بضم الضاد المعجمة والفياد بالفاء وتشديد المثناة تحت ويقال للانثى الهامة وكنية الأنثى أم الخراب وأم الصبيان ولها فى الليل قوة سلطان لا يحتملها شئ من الطير تدخل على كل طائر فى وكره فى الليل فتخرجه منه وتأكل فراخه وبيضه ولا تنام الليل والطير بجملته يعاديها من أجل ذلك فاذا رأوها فى النهار قتلوها ونتفوا ريشها ومن ثم يجعلها الصيادون فى شباكهم ليقع عليها الطير فيقتنصونها فهى لا تظهر بالنهار لذلك ونقل المسعودى فى مروج الذهب عن الجاحظ انها انما تمتنع من ظهورها فى النهار خوفا من أن تصاب بالعين لحسنها وجمالها لأنها تصور فى نفسها أنها أحسن الحيوان ومن طبعها سكنى الخراب دون العامر ومن غريب ما يحكى ما ذكره الطرطوشى فى سراج الملوك أن عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فكان مما حدثه أن قال يا أمير المؤمنين كان بالبصرة بومة وبالموصل بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا أفعل حتى تجعلى فى صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت فاستيقظ لها وجلس للمظالم . ومنها البووة بضم الباء وفتح الواو قال الجوهرى وهو طائر يشبه البومة الا أنه أصغر منها وذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب نحوه ويقال له البوهة أيضا وهى من طير الليل أيضا ولا يخفى انها التى تسميها الناس فى زماننا المصاصة ويزعمون أنها تنزل على الاطفال فتمص أنوفهم . ومنها الخفاش بضم الخاء المعجمة وتشديد الفاء وبالشين المعجمة ويجمع على خفافيش وهو طائر غريب الشكل والوصف لا ريش عليه وأجنحته كلها لاصقة بيديه وقيل لاصقة بجنبه وسمى خفاشا لأنه لا يبصر نهارا ويسمى الرجل أخفش والعامة تسميه الوطواط وقيل الخفاش الصغير والوطواط الكبير ويقال ان الوطواط هو الخطاف لا الخفاش وليس هو من الطير فى شئ فان له أسنانا وخصيتين ويحيض ويضحك كما يضحك الانسان ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده من ثديه ولما كان لا يبصر نهارا التمس وقتا يكون بين الظلمة والضوء وهو قريب غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض فالبعوض يخرج فى ذلك الوقت يطلب قوته من دماء الحيوان والخفاش يخرج لطلب الطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق ويقال انه هو الذى خلقه المسيح عليه السلام من الطين ونفخ فيه فكان طيرا باذن الله قال بعض المفسرين ومن أجل ذلك كان مباينا لغيره من الطيور ولذلك سائر الطير مبغضة له وتسطو عليه فما كان منها يأكل اللحم أكله وما كان منها لا يأكل اللحم

قتله وهو شديد الطيران سريع التقلب يقتات البعوض والذباب وبعض الفواكه وهو موصوف بطول العمر حتى يقال انه أطول عمرا من النسر وتلد الأنثى ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة وكثيرا ما يسفد وهو طائر في الهواء وهو يحمل ولده معه اذا طار تحت جناحه وربما قبض عليه بفيه حنوا عليه وربما أرضعت الأنثى ولدها وهى طائرة وفى طباعه أنه متى أصابه ورق الدلب خدر ولم يطر وقد ورد النهى عن قتله

فاذا عرف الكاتب أحوال الطير وخواصها تصرف فيها بحسب ما يحتاج اليه فى نظمه ونثره كما فى قول الشاعر

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

اشارة الى عظم القوة وعدم القدرة على مقاومتها ومع ذلك تنقاد بالسعد وكما فى قول أبى الفتح كشاجم مخاطبا لولده يطلب البر منه

اتخذ فىّ خلة الكراكى * أتخذ فيك خلة الوطواط

أنا ان لم تبرّنى فى غناء * فبرنى ترجو جواز السراط

يشير الى ما تقدم من أن فى طبع الكركى برّ والديه اذا كبرا كما أن فى طبع الوطواط برّ أولاده بحيث يحملها معه الى حيث توجه وكما فى قول الشاعر

مثل النهار يزيد إبصار الورى * نورا ويعمى أعين الخفاش

اشارة الى أن الخفاش لا يبصر نهارا بخلاف سائر أرباب الأبصار وكما قيل فى وصف شارد عن القتال

وهم تركوه أسلح من حبارى * رأى صقرا وأشرد من نعام

يريد ما تقدم مما يعرض للحبارى من ارسالها سلحها على الجارح عند اقتناصه لها وأن النعام فى غاية ما يكون فى البرية من الشراد والنفار ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى

الصنف الرابع

(الحمام)

وقد اختلف فى الحمام فى أصل اللغة فنقل الازهرى عن الشافعى رضى الله عنه أن الحمام يطلق على كل ما عب وهدر وان تفرقت أسماؤه فيدخل فيه الحمام واليمام والدباسى والقمارى والفواخت وغيرها وذهب الاصمعى الى أن الحمام يطلق على كل ذات طوق كالفواخت والقمارى وأشباهها ونقل أبو عبيد عن الكسائى سماعا منه أن الحمام هو الذى لا يألف البيوت وأن اليمام

هو الذى يألف البيوت لكن الذى غلب عليـه اطلاق الحمام هـذا النوع المخصوص المعروف ثم هو على قسمين أحدهما ماليس له اهتداء فى الطيران من المسافة البعيدة والثانى ما له اهتـداء ويعرف بالحمام الهدى وهو المراد هنا وقد اعتنى النـاس بشأنه فى القديم والحديث واهتم بأمره الخلفاء كالمهـدى ثالث خلفاء بنى العباس والواثق والنـاصر وتنافس فيـه رؤساء النـاس بالعراق لاسيما بالبصرة فقد ذكر صاحب الروض المعطار أنهم تنافسوا فى اقتنائه ولهجوا بذكره وبالغوا فى أثمـانه حتى بلغ ثمن الطائر الفاره منها سبعمائة دينار ويقال انه بلغ ثمن طائر منها جاء من خليج القسطنطينية ألف دينـار وكانت تباع بيضة الطائر المشهور بالفراهة بعشرين دينارا وانه كان عنـدهم دفاتر بأنساب الحمام كأنساب العرب وانه كان لايمتنع الرجل الجليل ولا الفقيه ولا العدل من اتخاذ الحمام والمنافسة فيـه والاخبار عنها والوصف لأثرهـا والنعت لمشهورها حتى وجه أهل البصرة الى بكار بن قتيبة البكرانى قاضى مصر وكان فى فضـله وعقله ودينـه وورعه مالم يكن عليـه قاض بحمامات لهم مع ثقـاة وكتبوا اليـه يسألونه أن يتولى ارسالها بنفسه وكان الحمام عنـدهم متجرا من المتاجر لايرون بذلك بأسا وذكر المقر الشهابى ابن فضـل الله فى التعريف أن الحمام أول مانشأ يعنى فى الديار المصرية والبـلاد الشامية من الموصل وأن أول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصـل الشهيد نور الدين بن زنكى صاحب الشام رحمه الله فى سـنة خمس وستين وخمسمـائة وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى أفردوا له ديوانا وجرائد بأنساب الحمام وقد اعتنى بعض المصـنفين بأمره حتى صنف فيه أبو الحسن بن ملاعب القواس البغـدادى كتابا للناصر لدين الله العباسى ذكر فيه أسماء أعضاء الطائر ورياشه والوشوم التى توشم فى كل عضو وألوان الطيور ومايستحسن من صفاتها وكيفية افراخها وبعض المسافات التى أرسلت منها وذكر شيء من نوادرها وحكاياتها ومايجرى مجرى ذلك وذكر فى التعريف أن القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر صنف فيها كتابا سماه تمائم الحمائم ويتعلق الغرض منها بأمور

الامر الاول

(ذكر ألوانهـــــا)

قال أبو الحسن القواس وقد أكثر الناس من ذكر ألوانها ويرجع القصد فيها الى ذكر ألوان ستة .
اللون الاول البياض ومنه الابيض الصافى والاشقر وهو ما كان يعلوه حمرة فان كان الغالب فى شقرته البياض قيل فضى فان زاد قيل أشقر اللون . الثانى الخضرة ان كانت خضرته مشبعة الى السواد قيـل أخضر مسنى فان كان دون ذلك قيـل عدسى الخضرة فان كان دون ذلك

قيل صافى الخضرة فان تكدرت خضرته بان لم يكن صافى الخضرة قيل أسمر اللون . الثالث الصفرة وهى عبارة عن أن تكون خضرته تميل الى البياض فان كان صافيا قيل أصفر قرطاسى اللون . الرابع الحمرة اذا كان شديد الحمرة قيل عنابى فان كان دون ذلك قيل خمرى فان كان دون ذلك قيل خلوقى فان كانت حمرته تضرب الى الخضرة قيل اكفا فان كانت حمرته تضرب الى البياض قيل أحمر صدفى اللون . الخامس السواد اذا كان شديد السواد لا بياض فيه قيل أسود مطبق فان كان لون سواده ناقصا قيل أسود أحلس فان كان سواده يضرب الى الخضرة قيل أسود دمادى فان كان فى سواده مائية قيل أسود براق فان كان ساقاه أبيضا أسودين قيل أسود حالك وأسود زنجى اللون . السادس النمرى وهو أن يكون فى الطائر نقط يخالف بعضها بعضا و يختلف الحال فيه باختلاف كبر النقط وصغرها فتارة يقال مدنر وتارة يقال ملمع وتارة يقال أبرش وتارة يقال موشح وتارة يقال أبقع وتارة يقال أبلق وتارة يقال ذبابى وتارة يقال مدرع الى غير ذلك مما لا يستوفى كثرة ثم ان كان الطائر أكحل العينين وحول عينيه حمرة قيل فقيع فان كان أصفر العين قيل أصفر زرنيخى فان كان أبيض العنق قيل هلالى وهو أحسنها والاصفر العين بعده فان كانت العين بيضاء وفيها حمرة قيل رمانى العين

الامر الثانى

(فى عدد ريش الجناحين والذنب المعتدبه وأسمائها)

أما الجناحان فان فيهما عشرين ريشة فى كل جناح منها عشر ريشات الاولى منها وهى التى فى طرف الجناح تسمى الصمة والثانية وهى التى بعدها تسمى المضافة الرئيسية والثالثة وهى التى بعدها تسمى الواسطية والرابعة وهى التى بعدها تسمى المضافة والخامسة وهى التى بعدها تسمى المنظفة والسادسة وهى التى بعدها تسمى المنحدرة والسابعة وهى التى بعدها تسمى الناقصة والثامنة وهى التى بعدها تسمى المؤنسة والتاسعة وهى التى بعدها تسمى الزاملة والعاشرة وهى التى بعدها تسمى المعينة و بعضهم يسمى الاولى الصغيرة والثانية الرقيقة والثالثة الموقية والرابعة الباحلة والخامسة الخيرة والسادسة الصرافة والسابعة ممسكة الرمى والثامنة والتاسعة الحافظتين والعاشرة الملكة وربما كان فى كل جناح احدى عشرة ريشة فيسمى الطائر حينئذ أعلم ولهذه الريشات العشر عشر ريشات مع كل واحدة منها رادفة وهى الريش الصغار التى تغطى قصب الجناح من ظاهره ولكل ريشة من هذه الريشات العشر ريشة صغيرة تغطى قصبتها لكل واحدة منها اسم يخصها . ومن ريش الجناح أيضا الخوافى وهى الريش المسطر مع العشر ريشات الطوال المنقلب برؤسه الى مؤخر الجناح وهى تسع ريشات

الاولى منها تسمى الحدقة والثانيــة الرتمة والثالثــة الغرة والرابعة الحز والخامسة الجائرة والسادســة المسلة والسابعة الملازمة والثامنة الشعثة والتاسعة اللامعة وبعضهم يسمى الاولى بنت الملكة والثانيــة الابرة والثالثة المقشعرة والرابعة الصافية والخامسة المصفية والسادســة المصفرة والسابعة الزرقاء والثامنة السوداء والتاسعة الزرقة وعدّ فيها عاشرة تسمى المخضرة ولكل ريشة من الريشات التسع ريشة صغيرة تغطى قصبتها لها اسم يخصها أيضا وبعد الخوافى الغفار ولكل ريشة من الغفار ريشة صغيرة من باطنها تغطى قصبتها ومن ريش الجناحين المقومات وهى ثلاث ريشات فى طرف الجناح تسمى الزوائد ومن فوقها ثلاث ريشات صغار تغطى قصبتها تسمى الغواشى وأصلها مع أصــل أيضا وأما الذنب فالمعتبر فيه اثنتا عشرة ريشة من كل جانب منه ست ريشات تسمى الاولى منها الغزالة والثانية العروس والثالثة الباشقة والرابعة الباقية والخامسة المجاورة والسادسة العمود ومن الجانب الآخر كذلك

الامر الثالث

(الفـــرق بين الذكر والانثى)

وقد ذكروا بينهما فروقا منها ان الانثى اذا تمشت قدمت الرجل اليسرى والذكر يقدم الرجل اليمنى . ومنها أن يرى الذكر مقتدرا فى الارض مستنشطا والانثى بالضد من ذلك . ومنها أن ريش الذكر أعرض وأطول وأحسن استواء من الأنثى . ومنها أن مذبح الذكر يكون عريضا ومذبح الأنثى دقيقا . ومنها أن يكون وجه الذكر عريض الخد والأنثى بالضــد من ذلك . ومنها أن الأنثى اذا طارت فتحت جناحيها والذكر اذا طار أخرج عشراه

الامر الرابـع

(فى بيـان صفة الطـائر الفـاره)

قال أبو الحسن القواس علامته أن يكون رأسه مكعبا وعيناه معتدلة غير ناتئة ولا غائرة ولا فائرة ولا قلقة منزعجة وأن يكون منقاره غليظا قصيرا وأن يكون وسط المنخرين مكلثم القرطمتين أهرت الشــدقين واسع الصدر نقى الريش طويل الفخذين قصــير الساقين غليظ الأصابع شثن البراثن طويل القوادم من غير افراط ويستحب فيــه قصر الذنب ودقته واجتماع ريشه من غير تفرق وأن يكون ظهره معتدلا والى القصر أقرب وأن يكون جؤجؤه وهو جانب الصدر طويلا ممتدّا وعنقه طويلا منتصبا وريش قوادمه وخوافيــه مبنيا متطابقا بعضه مع بعض من غير تفرق ولا تمعط وأن يكون شــديد اللحم مكتنزا غير رخو ولا رهل ويستحب فيه أيضا أن يكون قليل الرعدة عند الفزع سريع اللقط للحب خفيف الحركة والنهوض والنزول من غير طيش

ولا اختلاط وأن يكون ظهره مسطحا لا أحدب ولا أوقص ويستحب فيه اذا وقف أن ينصب صدره ويرفع عنقه ويفتح مابين فخذيه شبه البازى . ومن علامة فراهته أنه اذا طال عليه الطيران وأراد النزول على سطحه أن لا يدلى رجليه حتى يقع صدره على سطحه لأنه اذا دلى ساقيه كان عيبا عظيما يقولون قد أنحل سراويله يعنى أنه قد أذى جميع ماعنده من القوة والطاقة ويكره فيه دقة المغرز وطول الذنب وتفرق الريش

الامر الخامس

(الفراسة فى الطائر من حال صغره قبل الطيران)

قالوا من علامة الطائر الفاره فى صغره أن يكون حديد النظر شديد الحذر خفيف اللحم قليل الريش سريع النهضة كثير التلفت فى الجو ممتد العظم مستويا لطيف الذنب خارج العنق قصير الساقين طويل الفخذين محجلا مذيل المنقار مدور القراطم مضاعف المحاجر يلزم موضعا واحدا من صغره الى ازدواجه فاذا ازدوج على السطح يكون حريصا على طائره حسن الأخلاق معها لا يطردها طرد الكلاب ولا يغتال غيلة الذئاب قليل الذرق كثير الدهن مدلا بنفسه كأنه يعلم أنه فاره فان كان فيه بعض هذه الخصال كانت فراهته على قدر ما فيه من ذلك قال أبو الحسن الكاتب ومن علامة شهامة الفرخ أن يكون فيه الحركة وهو تحت أبيه وأمه وكلما جمعته لتضمه تحتها خرج من تحتها ويعتلق للخروج وأن يكون ريش رأسه كأن فيه جلح وريش جسده وجناحه مستطيلا عند نبعه من جسده وأن يطول ريشه حتى يغطى ظهره ولا ينتشر الا بعد ذلك وأن يكون من جؤجؤ الصدر الى مغرزه أقصر من بطنه الى رأس برائنه . وفى الحمام طائر يقال له الأندم وصفته أن يكون أسود المنقار ليس فيه بياض ورأس منقاره وأصله سواء لا تحديد فى رأسه عريض القراطم غليظ الشدقين منتشر المنخرين جهورى الصوت غائر العين قال أبو الحسن القواس ولا تكون هذه الصفة الا فى الطائر الفاره الأصيل الكريم الأب والأم

الامر السادس

(بيان الزمان والمكان اللائقين بالافراخ)

أما الزمان فأصلح أوقات التأليف أيلول وتشرين الأول وتشرين الثانى وادار ونيسان وايار فاذا وقع الافراخ فى شئ من هذه الأوقات كانت الفراخ أقوياء نجباء أذكياء ونهوا عن الافراخ فى كانون الأول وكانون الثانى وشباط وآب وتموز وحزيران فان الذى يفرخ فيه

لايزال ناقص البدن قليل الفطنة يلقى ريشه فى السنة مرتين فيضعف . وأما المكان فقد حكى عن اقليمن الهنـدى ان أولى ما أفرخ الحمام بالسطوح وذلك أن الفرخ يخرج من القشر فيلقى خشونة الهواء وحرّ الموضع فيصير له عادة ثم لاينهض حتى يعرف وطنه و ينقلب اليه أباه وأمه بالزق والعلف فيعرف السطح حق المعرفة وينتقل خلفهما فيعلمانه الصعود والهبوط وربما أخذاه الى الرعى بالصحراء فلا يكمل حتى يصير شهما عارفا بأمور الطيران بخلاف ما اذا أفرخ بالسفل فانه يتربى جسده على برودة الفئ ولين الهواء فاذا كمل وترقى الى السطح لقيه خشونة الهواء وقوة الحرّ فيحدث له الحرّ الجامد بفؤاده الكباد والدق

الامر السابع
(فى مسافة الطـيران)

قد تقدم ان طائرا طار من الخليج القسطنطينى الى البصرة وان الحمام كان يرسل من مصر الى البصرة أيضا وذكر ابن سعيد فى كتابه جنى المحل وجنى النحل ان العزيز ثانى خلفاء الفاطميين بمصر ذكر لوزيره يعقوب بن كلس انه مارأى القراصية البعلبكية وانه يحب أن يراها وكان بدمشق حمام من مصر وبمصر حمام من الشام فكتب الوزير بطاقة يأمر فيها من بدمشق أن يجمع ما بها من الحمام المصرى ويعلق فى كل طائر حبات من القراصية البعلبكية وترسل ففعل ذلك فلم يمض النهار الا وعنده قدر كثير من القراصية فطلع بها الى العزيز من يومه وذكر أيضا فى كتابه المغرب فى أخبار المغرب ان الوزير البارورى المغربى وزير المستنصر الفاطمى وجه الحمام من مدينة تونس من افريقية من بلاد المغرب الى مصر فجاء الى مصر وقد ذكر أبو الحسن القواس فى كتابه فى الحمام أن حماما طار من عبادان الى الكوفة وان حماما طار من الترناوذ الى الابلة ونحو ذلك وسيأتى الكلام على أبراج الحمام بالديار المصرية فى المقالة العاشرة فيما بعد ان شاء الله تعالى

النوع الخامس
(ما يحتاج الى وصفه من نفائس الاحجار)

ويحتاج الكاتب اليـه من وجهين أحدهما من حيث مخالطة الملوك فلابدّ أن يكون عارفا بصفات الجواهر وأثمانها والنفيس منها وخواصها لانه ربما جرى ذكر شئ من ذلك بحضرة ملكه فتكون مشاركته فيه زيادة فى رفعة محله وعلو مقداره وهذا هو الذى عوّل عليه صاحب مواد البيان فى احتياج الكاتب الى ذلك والثانى أن يحتاج الى وصف شئ من ذلك مع هدية تصدر عن ملكه أوهدية تصل اليه مع ما يحتاج اليه من ذلك بمعرفة التشبيهات والاستعارات التى هى عمود البلاغة

فمن لم يكن عارفا بأوصاف الاحجار ونفائس الجواهر لايحسن التعبير عنها ألا ترى الى تشبيهات ابن المعتز ووصفه للجواهر كيف تقع فى نهاية الحسن وغاية الكمال لمعرفته بالمشاهدة فهو يقول عن علم ويتكلم عن معرفة وليس الخبر كالمعاينة وقد اعتنى الناس بالتصنيف فى الاحجار فى القديم والحديث فمن صنف فيه فى القديم من حكماء الفلاسفة ارسطوطاليس و بلينوس وياقوس الانطاكى ومن صنف فيه من الاسلاميين أحمد بن أبى خالد المعروف بابن الجزار ويعقوب بن اسحاق الكندى وغيرهما وأحسن مصنف فيه مصنف أبى العباس أحمد بن يوسف التيفاشى والذى يتعلق الغرض منه بذلك اثناعشر صنفا

الصنف الاول

(اللؤلؤ)

وهو يتكون فى باطن الصدف وهو حيوان من حيوان البحر الملح له جلد عظمى كالحلزون و يغوص عليه الغواصون فيستخرجونه من قعر البحر و يصعدون به فيستخرجونه منه وله مغاصات كثيرة الاأن مظان النفيس منه بسرنديب من الهند و بكيش وعمان والبحرين من أرض فارس وأخره لؤلؤ جزيرة حرك بين كيش والبحرين أما مايوجد منه ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز فردىء ولو كانت الدرة منه فى نهاية الكبر لأنه لايكون لها طائل ثمن وحينئذ فاللؤلؤ فى الجملة هو الشفاف الشديد البياض الكبير الجرم الكثير الوزن المستدير الشكل الذى لاتضريس فيه ولاتفرطح ولااعوجاج ومن عيوبه أن يكون فى الحبة تفرطح أواعوجاج أو يلصق به قشر أودودة أوتكون مجوفة غير مصمتة أو يكون ثقبها متسعا ثم من مصطلح الجوهريين أنه اذا اجتمع فى الدرة أوصاف الجودة فما زاد على وزن درهمين ولوحبة يسمى درا فان نقصت عن الدرهمين ولوحبة سميت حبة لؤلؤ واذا كانت زنتها أكثر من درهمين وفيها عيب من العيوب فانها تسمى حبة أيضا ولاعبرة بوزنها مع عدم اجتماع أوصاف الجودة فيها وتسمى الحبة المستديرة الشكل عند الجوهريين الفارة وفى عرف العامة المدحرجة ومن طبع الجوهر أنه يتكون قشورا رقاقا طبقة على طبقة حتى لولم يكن كذلك فليس على أصل الخلقة بل مصنوع ومن خواصه أنه اذا سحق وسقى مع سمن البقر نفع من السموم وقال ارسطوطاليس من وقف على حل اللؤلؤ من كباره وصغاره حتى يصير ماء رجراجا ثم طلى به البرص أذهبه وقيمة الدرة التى زنتها درهمان وحبة مثلا أو وحبتان مع اجتماع شرائط الجودة فيها سبعمائة دينار فان كان اثنتان على هذه الصفة كانت قيمتهما ألفى دينار كل واحدة ألف دينار لاتفاقهما فى النظم والتى زنتها مثقال وهى بصفة الجودة قيمتها ثلثمائة دينار فان كانتا اثنتين زنتهما مثقال وهما بهذه الصفة

على شكل واحد لا تفريق بينهما فى الشكل والصورة كانت قيمتهما أكثر من سبعمائة دينار وقد ذكر ابن الطوير فى تاريخ الدولة الفاطمية أنه كان عنـد خلفائهم درّة تسمى اليتيمة زنتها سبعة دراهم تجعل على جبهة الخليفة بين عينيه عند ركوبه فى المواكب العظام على ماسيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب دولتهـم فى المسالك والممالك ان شاء الله تعالى وتضره جميع الادهان والحوضات بأسرها لاسيما الليمون ووهج النار والعرق وزفر الرائحة والاحتكاك بالاشياء الخشنة ويجلوه ماء حماض الأترج الا أنه اذا أبخ عليه به قشره ونقص وزنه فان كانت صفرته من أجل تكونه فى البحر فلا سبيل الى جلائها

الصنف الثـانى

(اليـاقوت)

قال بليناوس وهو حجر ذهبي وهو حصا يتكون بجزيرة خلف سرنديب من بلاد الهنـد بنحو أربعين فرسخا دورها نحو ستين فرسخا فى مثلها وفيها جبل عظيم يقال له جبل الراهون تحدر منه الرياح والسيول الياقوت فيلتقط والياقوت حصباؤه وهو الجبل الذى أهبط الله تعالى عليه آدم عليه السلام فاذا لم تحدر السيول منه شيأ عمد أهل ذلك الموضع الى حيوان فذبحوه وسلخوا جلده وقطعوه قطعا كبارا وتركوه فى سفح ذلك الجبل فيختطفه نسور تأوى الى ذلك الجبل فتصعد باللحم الى أعلاه فيلصق بها اليـاقوت ثم تأخذه النسور وتنزل به الى أسفل فيسقط منه ما علق به من اليـاقوت فاذا أخذ كان لونه مظلما ثم يشف بملاقاة الشمس و يظهر لونه على أى لون كان ثم هو على أضرب

الاول الاحمر ـ ومنه البهرمان ولونه كلون العصفر الشديد الحمرة الناصع فى القوة الذى لا يشوب حمرته شائبـة و يسمى الرمانى لمشابهته حب الرمان الرائق الحب وهو أعلى أصنـاف اليـاقوت وأفضلها وأغلاه ثمنا . ومنه الخيرى وهو شبيه بلون الخيرى وهو المنثور ويتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه حتى يقرب من البياض . ومنـه الوردى وهو كلون الورد ويتداخل فى شدة الصبغ وضعفه حتى يقرب من البياض . وأردأ ألوانه الوردى الذى يضرب الى البياض والسمـاقى الذى يضرب الى السواد

الثانى الاصفر ـ وأعلاه الجلنارى وهو أشده صفرة وأكثره شعاعا ومائية ودونه الخلوقى وهو أقل صفرة منه ودونه الرقيق وهو قليـل الصفرة كثير المـاء ساطع الشعاع . وأردأ الاصفر ما نقص لونه ومال الى البياض

الثالث الابيض - ومنه المهانى وهو أشدّها وأكثرها ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أثقل من المهانى وأقل شعاعا وأصلب حجرا وهو أدون أصناف الياقوت وأقلها ثمنا وأجود الياقوت الاحمر البهرمانى والرمانى والوردى النير المشرق اللون الشفاف الذى ينفذه البصر بسرعة . وعيوبه الشعرة وهى شبه تشقيق يرى فيه والسوس وهو خزوف توجد فيه باطنة ويعلوها شئ من ترابية المعدن . ومن أرداصنافه قبح الشكل . ومن خواص الياقوت أنه يقطع كل الحجارة كما يقطعها الالماس وليس يقطعه هو على أى لون كان غير الماس . ومن خواصه أيضا أنه لا ينحك على خشب العشر الذى يجلى به جميع الأحجار بل طريق جلائه أن يكسر الجزع اليمانى ويحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يصير كأنه الغراء ثم يحك على وجه صفيحة من نحاس حجر الياقوت فينجلى ويصير من أشد الجواهر صقالة . ومن خواصه أنه ليس لشئ من الأحجار المشفة شعاع مثله وانه أثقل من سائر الأحجار المساوية له فى المقدار وأنه يصبر على النار فلا يتكلس بها كما يتكلس غيره من الحجارة النفيسة واذا اخرج من النار بردبسرعة حتى ان الانسان يضعه فى فيه عقب اخراجه من النار فلا يتأثر به الا أن لون غير الاحمر منه كالصفرة وغيرها يتحول الى البياض أما الحمرة فانها تقوى بالنار بل اذا كان فى الفص نكتة حمراء فانها تتسع بالنار وتنبسط فى الحجر بخلاف النكتة السوداء فيه فانها تنقص بالنار فما ذهبت حمرته بالنار فليس بياقوت بل ياقوت أبيض مصبوغ أو حجر يشبه الياقوت . ومن منافعه ماذكره ارطاطاليس ان التختم به يمنع صاحبه أن يصيبه الطاعون اذا ظهر فى بلد هو فيه وأنه يعظم لابسه فى عيون الناس ويسهل عليه قضاء الحوائج ويتيسر له أسباب المعاش ويقوى قلبه ويشجعه وان الصاعقة لا تقع على من تختم به واذا وضع تحت اللسان قطع العطش وامتحانه أن يحك به ما يشبهه من الأحجار فانه يجرحها بأسرها ولا تؤثر هى فيه قال التيفاشى وقيمة الأحمر الخالص على ما جرى عليه العرف بمصر والعراق ان الحجر اذا كان زنته نصف درهم كانت قيمته ستة مثاقيل من الذهب الخالص والحجر الذى زنته درهم قيمته ستة عشر دينارا والحجر الذى زنته مثقال قيمته بدينارين القيراط والحجر الذى زنته مثقال وثلث قيمته ثلاثة دنانير القيراط الى ثلاثة ونصف ويزيد ذلك بحسب زيادة لونه ومائيته وكبر جرمه حتى ربما بلغ ما زنته مثقال من جيده مائة مثقال من الذهب اذا كان بهرمانا نهاية فى الصبغ والمائية والشعاع قد نقص منه بالحك كثير من جرمه وقيمة الأصفر منه زنة كل درهم بدينارين وقيمة الأزرق والماهانى كل درهم بأربعة دنانير وقيمة الأبيض على النصف من الأصفر ويختلف ذلك كله بالزيادة والنقص فى الصبغ والمائية مع القرب من المعدن والبعد عنه وقد ذكر ابن الطوير فى ترتيب مملكة الفاطميين أنه كان عندهم حجر ياقوت أحمر فى صورة هلال

زنته احدعشر مثقالا يعرف بالحافر يجعل على جبين الخليفة بين عينيه مع الدرة المتقدمة الذكر عنـــد ركوبه

الصنف الثـالث

(البلخش)

قال فى مسالك الأبصار و يسمى اللعل قال بلينوس وانعقاده فى الأصل ليكون ياقوتا الا أنه أبعـده عن اليـاقوتية علل من اليبس والرطوبة وغيرهما وكذلك سائر الأحجار الحمر . ومعدن البلخش الذى يتكون فيـه بنواحى بلخشـان والعجم تقول بذخشان بذال معجمة وهى من بلاد الترك تتاخم الصين[1] قال التيفاشى وأخبرنى من رأى معدنه من التجار أنه وجد منه فى المعدن حجرا وفى باطنه مالم يكمل طبخه وانعقاده بعد والحجر مجتمع عليه وهو على ثلاثة أضرب أحمر معقرب وأخضر زبرجدى وأصفر والأحمر أجوده قال التيفاشى وليس لجميعه شئ من خواص الياقوت ومنافعه وانما فضيلته تشبهه به فى الصبغ والمائية والشعاع لاغير قال وقيمته فى الجملة غالبا على النصف من قيمة الياقوت الجيـد قال فى مسالك الأبصار وهو لا يؤخذ من معدنه الا بتعب كثير وانفاق زائد وقد لا يوجد بعد التعب والانفاق ولهذا عز وجوده وغلت قيمته وكثر طالبه والتفتت الأعناق الى التحلى به قال وأنفس قطعة وصلت الى بلادنا من البلخش قطعة وصلت مع تاجر فى أيام العـادل كتبغا وأحضرت اليـه وهو بدمشق وكانت قطعة جليلة مثلثة على هيئة المشط العودى وهى فى نهاية الحسن وغاية الجودة زنتها خمسون درهما كاد المجلس يضىء منها فأحضر الصاحب نجم الدين الحنفى الجوهرى وسأله عن قيمتها فقال له نجم الدين الجوهرى انما يعرف قيمتهـا من رأى مثلها وأنا وأنت والسلطان ومن حضر لم نر مثلها فكيف نعرف قيمتها فأعجب بكلامه وصالح عليها صاحبها

الصنف الرابع

(عين الهر)

قال التيفاشى وهو فى معنى الياقوت الا أن الاعراض المقصرة به أقعـدته عن الياقوتيـة ولذلك انمـا يوجد فى معدن الياقوت المتقدم ذكره وتخرجه الرياح والسيول كما تخرج الياقوت على ما تقدم قال ولم أجده فى كتب الأحجار وكأنه محدث الظهور بأيدى الناس والغالب على لونه البياض باشراق عظيم ومائية رقيقة شفافة الا أنه يرى فى باطنه نكتة على قدر ناظر الهر الحامل للنور المتحرك فى فص مقلته وعلى لونه على السواد واذا تحرك الفص الى جهة تحركت تلك النكتة

(١) فى ياقوت أنها فى أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك

بخلاف جهته فان مال الى جهة اليمين مالت النكتة الى جهة اليسار وبالعكس وكذلك الأعلى والأسفل وان كسر الحجر أو قطع على أقل جزء ظهرت تلك النكتة فى كل جزء من أجزائه ولذلك يسمى عين الهر . وأجوده ما اشتد بياض أبيضه وشفيفه وكثرت مائية النكتة التى فيه مع سرعة حركتها وظهور نورها واشراقها ولا يخفى أن حسن الشكل وكبر الجرم يزيدان فى قيمته كسائر الأحجار قال التيفاشى والمشهور من منافعه عند الجمهور أنه يحفظ حامله من أعين السوء ونقل عن بعض ثقات الجوهريين أنه يجمع سائر الخواص التى فى الياقوت البهرمان فى منافعه ويزيد عليه بان لا ينقص مال حامله ولا تعتريه الآفات وانه اذا كان فى يد رجل وحضر مصاف حرب وهزم حزبه فألقى نفسه بين القتلى رآه كل من عربه من أعدائه كأنه مقتول متشحط فى دمه وان ثمنه بالهند مع قرب معدنه أغلى من ثمنه ببلاد المغرب بكثير لعلمهم بخواصه وقيمته تختلف بحسب الرغبة فيه واذا وقع ببلاد المغرب بيع المثقال منه بخمسة دنانير ويزيد على ذلك بحسب الغرض وذكر التيفاشى عن بعض التجار ان حجرا منه بيع فى المعبر من بلاد الهند بمائة وخمسين دينارا وانه بيع منه حجر ببلاد الفرس بسبعمائة دينار

الصنف الخامس

(الماس)

قال بلينوس فى كتاب الأحجار وابتدأ فى معدنه لينعقد ذهبا فأبعدته العوارض عن ذلك وهو يتكون فى معدن الياقوت المقدم ذكره وتخرجه الرياح والسيول من معدنه كما تخرج الياقوت وهو ضربان أحدهما أبيض شديد البياض يشبه البلور يسمى البلورى لذلك والثانى يخالط بياضه صفرة فيصير كلون الزجاج الفرعونى ويعبر عنه بالزيتى قال الكندى والذى عاينته من هذا الحجر ما بين الخردلة الى الجوزة ولم أر أعظم من ذلك . ومن خواصه أنه يقطع كل حجر يمر عليه واذا وضع على سندان حديد ودق بالمطرقة لم ينكسر وغاص فى وجه السندان والمطرقة وكسرهما ولا يلتصق بشئ من الاجساد الاهشم ويمحو النقوش التى فى الاحجار كلها وانما يكسر بأحد طريقين أحدهما أن يجعل داخل شئ من الشمع ويدخل فى انبوب قصب وينقر بمطرقة أو غيرها برفق بحيث لا يباشر جسمه الحديد فينكسر حينئذ أو يجعل فى أسرب وهو الرصاص ويفعل به ذلك فيكسر . ومن خواصه ان الذباب يشتهى أكله فما سقطت منه قطعة صغيرة الا سقط عليها الذباب وابتلعها أو طاربها ومتى ابتلع منه الانسان قطعة ولو أصغر ما يكون خرقت أمعاءه وقتلته على الفور قال ارسطوطاليس وبينه وبين الذهب محبة يتشبث به حيث كان . ومن خاصته ان كل قطعة تؤخذ منه تكون ذات زوايا قائمة الرأس ست زوايا وثمان زوايا وأكثر وأقله ثلاث زوايا واذا كسر لا ينكسر الا مثلثا وبه يثقب الدر والياقوت والزمرد وغيرها

من جميع ما لا يعمل فيه الحديد من الأحجار كما يثقب الحديد الخشب بأن يركب فى رأس منقار حديد منه قطعة بقدر ما يراد من سعة الثقب وضيقه ثم يثقب به فيثقب بسرعة . ومن منفعته فيما ذكره ارسطوطاليس ان من كان به الحصاة الحادثة فى المثانة فى مجرى البول اذا أخذ حبة من هذا الحجر وألصقها فى مرود نحاس بمصطكى الصاقا محكما ثم أدخل المرود الى الحصاة فانها تثقبها قال أحمد ابن أبى خالد وبذلك عالجت وصيف الخادم من حصاة أصابته وامتنع من الشق عليها بالحديد وقال ابن بوسطر واذا علق على البطن من الخارج نفع من المغس الشديد ومن فساد المعدة وقيمته الوسطى فيما ذكره التيفاشي ان زنة قيراط منه بدينارين ونقل عن الكندى أن اغلى ما شاهد منه ببغداد المثقال بثمانين دينارا وأرخص ما شاهد منه ببغداد أيضا المثقال بخمسة عشر دينارا وانه اذا بدرت منه قطعة كبيرة تصلح لفص قدر نصف مثقال يضاعف ثمنها على ما هو قدر الخردلة أو الفلفلة ثلاثة أضعاف وأربعة وخمسة

الصنف السادس

(الزمرد)

يقال بالذال المعجمة والمهملة قال بلينوس والزمرد ابتدأ لينعقد ياقوتا وكان لونه أحمر الا انه لشدة تكاثف الحمرة بعضها على بعض عرض له السواد وامتزجت الحمرة والسواد فصار لونه أخضر ومعدنه الذى يتكون فيه فى التخوم بين بلاد مصر والسودان خلف أسوان من بلاد الديار المصرية يوجد فى جبل هناك ممتد كالجسر فيه معادن قال فى مسالك الأبصار وبينه وبين قوص ثمانية أيام بالسير المعتدل ولا عمارة عنده ولا حوله ولا قريبا منه والماء عنده على مسيرة نصف يوم أو أكثر فى موضع يعرف بغدير أعين . فمنه ما يوجد قطعا صغارا كالحصا منبثة فى تراب المعدن وهى الفصوص وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع وهو القصب وهو أجوده قال فى مسالك الأبصار وتلك العروق منبثة فى حجر أبيض تستخرج منه بقطع الحجر قال التيفاشي ويوجد على بعضه تربة كالكحل الشديد السواد وهو أشده خضرة وأكثره ماء وقد ذكر المؤيد صاحب حماه فى تاريخه ان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله لما استولى على قصر الفاطميين بعد موت العاضد وجد فيه قصبة زمرد طولها أربعة أذرع أو نحوها وهو على أضرب

الاول الذبابى ـ وهو شديد الخضرة لا يشوب خضرته شئ آخر من الألوان من صفرة ولا سواد ولا غيرهما حسن الصبغ جيد المائية شديد الشعاع ويسمى ذبابيا المشابهة لونه فى الخضرة لون كبار الذباب الأخضر الربيعي وهو من أحسن الألوان خضرة وبصيصا قال فى مسالك الأبصار وهو أقل من القليل بل لا يكاد يوجد

الثانى الريحانى — وهو مفتوح اللون شبيه بلون ورق الريحان

الثالث السلقى — وخضرته أشبه شئ بلون السلق

الرابع الصابونى — ولونه كلون الصابون الاخضر . قال فى مسالك الأبصار واذا استخرج الزمرد من المعدن جعل فى زيت الكتان ثم لف فى قطن وصر فى خرقة كتان ونحوها ولم يزل العمل فى هذا المعدن الى أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاون فترك لكثرة كلفته . وأفضل أنواعه وأشرفها الذبابى ويزداد حسنه بكبر الجرم واستواء القصبة وعدم الاعوجاج فيها ومن عيوب الذبابى اختلاف الصبغ بحيث يكون موضع منه مخالفا للموضع الآخر وعدم الاستواء فى الشكل والتشعير وهو شبه شقوق خفية الا أنه لا يكاد يخلو منه والرخاوة وخفة الوزن وشدة الملاسة والصقال والنعومة وزيادة الخضرة والمائية اذا ركب على البطانة وهو ينحل بالنار ويتكلس فيها ولا يثبت ثبات الياقوت . ومن خاصية الذبابى التى امتاز بها عن سائر الأحجار أن الافاعى اذا نظرت اليه ووقع بصرها عليه انفقأت عيونها قال التيفاشى وقد جربت ذلك فى قطعة زمرد ذبابى خالص فحصلت أفعى وجعلتها فى طشت وألصقته بشمع فى رأس سهم وقربته من عينها فسمعت قعقعة خفية كما فى مثل صوانة فنظرت الى عينيها فاذا هما قد برزا على وجهها وضعفت حركتها وبهذه الخاصة يمتحن الزمرد الخالص من غيره كما يمتحن الياقوت بالصبر على النار . ومن منافعه أن من أدمن نظره أذهب عن بصره الكلال ومن تختم به دفع عنه داء الصرع اذا كان قد لبسه قبل ذلك ومن أجل ذلك كانت الملوك تعلقه على أولادها واذا كان فى موضع لم تقرب منه ذوات السموم واذا سحل منه وزن ثمان شعيرات وسقيته شارب السم قبل أن يعمل السم فيه خلصته منه واذا تختم به من به نفث الدم أو اسهال منع من ذلك واذا علق على المعدة من خارج نفع من وجعها وشرب حكاكته ينفع من الجذام وقيمة الذبابى الخالص فى الحجر الذى زنته درهم أربعة دنانير القيراط ويتضاعف بحسب كبره وينقص بحسب صغره الا أنه لا ينقص بالصغر نقص غيره من الاحجار لوجود خاصيته فى الكبير والصغير والمعوج والمستقيم أما بقية أصناف الزمرد فانه لا قيمة لها يعتد بها لعدم المنافع الموجودة فى الذبابى

الصنف السابع

(الزبرجد)

وهو حجر أخضر يتكون فى معدن الزمرد ولذلك يظنه كثير من الناس نوعا منه الا أنه أقل وجودا من الزمرد قال التيفاشى أما فى هذا الزمان فانه لا يوجد فى المعدن أصلا وانما الموجود منه بأيدى الناس فصوص تستخرج بالنبش من الآثار القديمة بالاسكندرية وذكر أنه رأى منه

فصا فى يد رجل أخبره أنه استخرجه من هنالك زنته درهم لا يكاد البصر يقلع عنه لرقة مائه وحسن صفائه وأجوده الأخضر المعتدل الخضرة الحسن المائية الرقيق المستشف الذى ينفذه البصر بسرعة ودونه الأخضر المفتوح اللون وليس فيه شئ من خواص الزمرد الا أن إدمان النظر اليه يجلو البصر وقيمة خالصه نصف درهم بدينار

الصنف الثامن

(الفيروزج)

وهو حجر نحاسى يتكون فى معادن النحاس من الأبخرة الصاعدة منها الا أنه لا يوجد فى جميع معادن النحاس ومعدنه الذى يوجد فيه بنيسابور ومنه يجلب الى سائر البلدان ومنه نوع آخر يوجد فى نشاور الا أن النيسابورى خير منه وهو ضربان بسحاقى وخلنجى والخالص منه العتيق هو البسحاقى وأجوده الازرق الصافى اللون المشرق الصفاء الشديد الصقالة المستوى الصبغ وأكثر ما يكون فصوصا وذكر الكندى أنه رأى منه حجرا زنته أوقية ونصف . ومن خاصته أنه يصفو بصفاء الجو ويكدر بكدرته واذا مسه الدهن أذهب حسنه وغير لونه والعرق يطفئ لونه والمسك اذا باشره أفسده وأذهب حسنه واذا وضع الفص الجيد منه الى جانب ما هو دونه فى الجودة أذهب بهجته واذا وضع الى جانب الدهنج غلب الدهنج على لونه فأذهب بهجته ولو كان الفص الفيروزج فى غاية الحسن والجودة ومن منافعه أنه يجلو البصر بالنظر اليه واذا سحق وشرب نفع من لدغ العقارب وقيمته تختلف باختلاف الجودة اختلافا كثيرا فربما كان الفصان منه زنتهما واحدة وثمن أحدهما دينار وثمن الآخر درهم وبالجملة فالخلنجى الجيد على النصف من البسحاقى الجيد قال التيفاشى وأهل المغرب أكثر الناس له طلبا وأشدهم فى ثمنه مغالاة وربما بلغوا بالفص منه عشرة دنانير مغربية ويحرصون على التختم به وربما زعموا أنه يدخل فى أعمال الكيمياء

الصنف التاسع

(الدهنج)

وقد ذكر ارسطوطاليس أنه أيضا حجر نحاسى يتكون فى معادن النحاس يرتفع من أبخرتها وينعقد لكنه لا يوجد فى جميع معادن كرمان وسجستان من بلاد فارس قال وفيه ما يؤتى به من غار بنى سليم من برية المغرب فى مواضع أخرى كثيرة . وأجود أنواعه أربعة وهى الافرندى والهندى والكرمانى والكركى وأجوده فى الجملة الأخضر المشبع الخضرة الشبيه اللون

بالزمرد معرّق بخضرة حسنة فيه أهلة زعيون بعضها من بعض حسان وأن يكون صلبا أملس يقبل الصقالة . ومن خاصته فى نفسه أن فيه رخاوة بحيث انه اذا صنع منه آنية أونصب السكاكين ومرّت عليه أعداد سنين ذهب نوره لرخاوته وانحل ولذلك اذا حك انحك سريعا واذا خرط خرزا أوأوانى أوغيرذلك كان فى خرطه سهولة واذانقع فى الزيت اشتدت خضرته وحسن وان غفل عنه حتى يطول لبثه فى الزيت مال الى السواد . ومن منافعه أنه اذا مسح به على مواضع لدغ العقرب سكنه بعض السكون واذا سحق منه شئ وأذيب بالخل ودلك به موضع القوبة الحادثة من المرّة السوداء أذهبها . ومن عجيب خواصه أنه اذا سقى من سحالته شارب سم نفعه بعض النفع وان شرب منه من لم يشرب سما كان سما مفرطا يعط الامعاء ويلهب البدن ويحدث فيه سما لايبرأ سريعا لاسيما اذا حك بحديدة ومن أمسكه فى فيه ومصه أضرّ به وقيمته أن الافرندى الخالص منه كل مثقال بمثقالين من الذهب ويوجد منه فصوص وغيرها وقد ذكر يعقوب بن اسحاق الكندى أنه رأى منه صحفة تسع ثلاثين رطلا

الصنف العاشر

(البلور)

قال بليبنوس وهو حجر بورق وأصله الياقوتية الاأنه قعدت به أعراض عن بلوغ رتبة الياقوت وقد اختلف أصحابنا الشافعية رحمهم الله فى نفاسته على وجهين أصحهما أنه من الجوهر النفيس كالياقوت ونحوه والثانى أنه ليس بنفيس لأن نفاسته فى صنعته لافى جوهره ويوجد بأماكن منها بريّة العرب من أرض الحجاز وهو أجوده ومنه مايؤتى به من الصين وهودونه ومنه مايكون ببلاد الفرنجة وهوفى غاية الجودة ومنه معادن توجد بأرمينية تميل الى الصفرة الزجاجية وقد ذكر التيفاشى أنه ظهر فى زمنه معدن منه بالقرب من مراكش من المغرب الأقصى الاأن فيه تشعيرا وكثر عندهم حتى فرش منه لملك المغرب مجلس كبير أرضا وحيطانا ونقل عن بعض التجار أن بالقرب من غزنة من بلاد الهند على مسيرة ثلاثة عشر يوما منها بينها وبين كاشغر جبلين من بلور خالص مطل على واد بينهما وأنه يقطع فى الليل لتأثير شعاعه اذا طلعت عليه الشمس بالنهار فى الأعين وأجوده أصفاه وأنقاه وأشفه وأبيضه وأسلمه من التشعير فان كان مع ذلك كبير الجرم آنية أوغيرها كان غاية فى نوعه وقد ذكر الكندى أن فى البلور قطعا تخرج كل قطعة منه من المعدن أكبر من مائة من ونقل التيفاشى انه كان بقصر شهاب الدين الغورى صاحب غزنة أربع خوابى للماء كل خابية تسع ثلاث روايا ماء على محامل من بلور كل محمل مابين ثلاثة قناطير الى أربعة وذكر أيضا انه رأى منه صورة ديك مخروط من صنعة الفرنج اذا صب فيه الشراب ظهر

لونه فى أظفار الديك . ومن خاصته ماذكره أوفرسطس الحكيم انه يذوب بالنار كما يذوب الزجاج ويقبل الصبغ . ومن خاصته أيضا انه اذا استقبل به الشمس ووجه موضع الشعاع الذى يخرج منــه الى خرقة سوداء احترقت وظهر فيها النـار . ومن منـافعه ان من تختم به أو علقه عليــه لم ير منام سوء وقيمته تختلف بحسب كبر آنيته وصغرها واحكام صنعتها قال التيفاشى وبالجملة فالقطعة التى تحمل منــه رطلا اذا كانت شديدة الصفاء سالمة من التشعير تساوى عشرة دنانير مصــرية

الصنف الحادى عشر

(المــرجان)

وهو حجر أحمر فى صورة الاشجار المتشعبة الأغصان ومعـدنه الذى يتكون فيه بموضع من بحر القلزم بساحل افريقية يعرف بمرسى الخرز ينبت بقاعه كما ينبت النبات ويعمل له شباك قوية مثقلة بالرصاص ويدار عليه حتى يلتف فيه ويجذب جذبا عنيفا فيطلع فيها المرجان وربعا وجد ببعض بلاد الفرنجة الا أن الأكبر والأكثر والأحسن بمرسى الخرز ومنه يجلب الى بلاد المشرق ولأهل الهنـد فيه رغبــة عظيمة واذا استـخرج حك على مسن المـاء ويجلى بالسنباذج المعجون بالماء على رخامة فيظهر لونه ويحسن وينقب بالفولاذ أو الحديد المسقى وأجوده ماعظم جرمه واستوت قصباته واشتدت حمرته وسلم من التسويس وهو خروق توجد فى باطنه حتى ربما كان منه شئ خاو كالعظم وأردؤه ماما مال منه الى البياض أو كثرت عقده وكان فيه تشطيب ولا سبيل الى سلامته من العقد لوجود التشعب فيه فان اتفق أن تقع منه قطعة مصمتة مستوية لاعقد فيها ولا تشطيب كانت فى نهاية الجودة وقد يوجد منه قطع كبار فتحمل الى صاحب افريقية فيعمل له منها دوى وأنصبة سكاكين قال التيفاشى رأيت منها محبرة طول شبر ونصف فى عرض ثلاث أصابع وارتفاع مثلها بغطائها فى غاية الحمرة وصفاء اللون وقد ذكر ابن الطوير فى تاريخ الدولة الفاطمية بالديار المصرية وترتيبها انه كان للخلفاء الفاطميين دواة من المرجان تحمل مع الخليفة اذا ركب فى المواكب العظام أمام راكب على فرس كما سيأتى ذكره فى الكلام على المسالك والممالك فى المقالة الثانية فيما بعد ان شاء الله تعالى . ومن خاصته فى نفسه انه اذا ألقى فى الخل لان وابيض وان طال مكثه فيه انحل واذا اتخذ منه خاتم أو غيره ولبس جميعه بالشمع ثم نقش فى الشمع بابرة بحيث ينكشف جرم المرجان وجعل فى خل الخمر الحاذق يوما وليلة أو يومين وليلتين ثم أخرج وأزيل عنه الشمع ظهرت الكتابة فيــه حفرا بتأثير الخل فيــه وبقية الخاتم على حاله لم يتغير قال التيفاشى وقد جربنا ذلك مرارا ومتى ألقى فى الدهن ظهرت حمرته وأشرق لونها .

ومن منافعه فيما ذكره الاسكندر أنه اذا علق على المصروع أو من به النقرس نفعه وان أحرق واستن به زاد فى بياض الأسنان وقلع الحفر منها وقوى اللثة وطريق احراقه أن يجعل فى كوز فخار وتطين رأسه ويوضع فى تنور ليلة واذا سحق وشربه من به عسر البول نفعه ذلك ويحلل أورام الطحال بشربه واذا علق على المعدة نفع من جميع عللها كما فى الزمرد واذا أحرق على ما تقدم وشرب منه ثلاثة دوانق مع دانق ونصف صمغ عربى ببياض البيض وشرب بماء بارد نفع من نفث الدم قال التيفاشى وقيمته بافريقية غشيما الرطل المصرى من خمسة دنانير الى سبعة مغربية وهى بقدر دينارين الى ما يقاربها من الذهب المصرى وبالاسكندرية على ضعفى ذلك وثلاثة أضعافه ومن اسكندرية يحمل الى سائر البلاد ويختلف سعره بحسب قرب البلاد وبعدها وقلته وكثرته وصغره وجودته ورداءته وحسن صنعته

الصنف الثانى عشر

(البادزهر الحيوانى)

وهو حجر خفيف هش وأصل تكونه فى الحيوان المعروف بالايل بتخوم الصين وان هذا الحيوان هناك يأكل الحيات قد اعتاد ذلك غذاء له فيحدث عن ذلك وجود هذا الحجر منه على ما سيأتى بيانه وقد اختلف الناس فى أى موضع يكون من هذا الحيوان فقيل انه يتكون فى مآقى عينيه من الدموع التى تسقط من عينيه عند أكل الحيات ويتربى الحجر حتى يكبر فيحتك فيسقط عنه وقيل يكون فى قلبه فيصاد لأجله ويذبح ويستخرج منه وقيل فى مرارته قال ارسطاطاليس وله ألوان كثيرة منها الأصفر والأغبر المشرب بالحمرة والمشرب بالبياض وأعظم ما يوجد منه من منقال الى ثلاثة مثاقيل وأجوده الخالص الأصفر الخفيف الهش ويستدل على خلوصه بكونه ذا طبقات رقاق متراكبة كما فى اللؤلؤ وبه نقط خفية سود وأن يكون أبيض المحك مر المذاق قال التيفاشى وكثيرا ما يغش فتصنع حجارة صغار مطبقة من أشياء مجموعة تشبه شكل البادزهر الحيوانى ولكنها تتميز عن البادزهر الحقيقى بأن المصنوع أغبر كمد اللون ساذج غير منقط والبادزهر الحقيقى الخالص أصفر أو أغبر بصفرة فيه نقط صغار كالنمش وطبقاته أرق من طبقات المصنوع بكثير وهو أحسن من المصنوع وأهش ومحكه أبيض . ومن خاصته فى نفسه أن احتكاكه بالاجسام الخشنة يخشنه ويغير لونه وسائر صفاته حتى لا يكاد يعرف وقد ذكر التيفاشى انه كان معه حجر منه يجعله مع ذهب فى كيس وسافر به فاحتك بالذهب فتغير لونه ونقص وزنه حتى ظن انه غير عليه وانه ربطه بعد ذلك فى خرقة وتركه أياما فعاد فى الصفة الى ما كان الا انه بقى على نقص ما ذهب منه . ومن منافعه دفع السموم القاتلة وغير القاتلة

حارة كانت أو باردة من حيوان كانت أو من نبات وانه ينفع من عض الهوام ونهشها ولدغها وليس فى جميع الاحجار ما يقوم مقامه فى دفع السموم وقد قيل ان معنى لفظ بادزهر النافى للسم فاذا شرب منه المسموم من ثلاث شعيرات الى اثنتى عشرة شعيرة مسحوقة أو مسحولة أو محكوكة على المبرد بزيت الزيتون أو بالماء أخرج السم من جسده بالعرق وخلصه من الموت واذا سحق وذر على موضع النهشة جذب السم الى خارج وأبطل فعله قال ابن جمع وان حك منه على مسن فى كل يوم وزن نصف دانق وسقيته الصحيح على طريق الاستعداد والاحتياط قاوم السموم القتالة ولم تخش له غائلة ولا اثارة خلط ومن تختم منه بوزن اثنتى عشرة شعيرة فى فص خاتم ثم وضع ذلك الفص على موضع اللدغة من العقارب وسائر الهوام ذوات السموم نفع منها نفعا بينا وان وضع على فم الملدوغ أو من سقى سما نفعه . قلت هذه هى الأحجار النفيسة الملوكية التى تلتفت الملوك اليها وتعتنى بشأنها أما غيرها من الاحجار كالبنفش والعقيق والجزع والمغناطيس واليشم والسبج واللازورد وغيرها مما ذكره المصنفون فى الاحجار لا اعتداد به ولا نظر اليه ولذلك أهملت ذكره

النوع السادس

(نفيس الطيب)

ويحتاج الكاتب الى وصفه عند وصوله فى هدية وما يجرى مجرى ذلك والمعتبر منه أربعة أصناف

الصنف الاول

(المسك)

وهو أجلها قال محمد بن أحمد التميمى المقدسى فى كتابه طيب العروس وأصل المسك من دابة ذات أربع أشبه شئ بالظبى الصغير قيل لها قرن واحد وقيل قرنان غير أن له نابين رقيقين أبيضين فى فكه الاسفل خارجين من فيه قائمين فى وجهه كالخنزير قال بعض أهل المعرفة بالمسك وهو فضل دموى يجتمع من جسمها الى سرتها بمنزلة المواد التى تنصب الى الاعضاء فى كل سنة فى وقت معلوم فيقع الورم فى سرتها ويجتمع اليها دم غليظ اسود فيشتد وجعها حتى تمسك عن الرعى وورود المياه حتى يسقط عنها ثم قيل ان تلك الظباء تصاد وتذبح وتؤخذ سرارها بما عليها من الشعر والمسك فيها دم عبيط وهى النوافج فان كانت النافجة كثيرة الدم اكتفى بما فيها وان كانت واسعة قليلة الدم زيد فيها من غيرها ويصب فيها الرصاص المذاب وتخاط بالخوص وتعلق فى حلق مستراح أربعين يوما ثم تخرج وتعلق فى موضع آخر حتى يتكامل جفافها وتشتد رائحتها ثم تصير النوافج فى مزاود صغار

وتخيطها التجار وتحملها وقيل انه يبنى لهذه الظباء حين يعرض لها هذا العارض بناء كالمنارة في طول عظم الذراع لتأتى الظباء فتحك سررها بذلك البناء فتسقط النوافج حتى انه يوجد فى تلك المراغة ألوف من النوافج ما بين رطب وجامد ثم قيل ان هذه الظباء توجد بمفازات بين الصين وبين التبت والصغد من بلاد الترك وان أهل التبت يلتقطون ما قرب اليهم وقد قيل ان المسك يحمل الى التبت من أرض بينها وبين التبت مسيرة شهرين وبالجملة فانه تختلف أسماء أنواعه باختلاف الاماكن التى ينسب اليها إما باعتبار أصل وجوده فيها وإما باعتبار مصيره اليها وأجوده فى الجملة ما طاب مرعى ظبيه ومرعى ظبائه النبات الذى يتخذ منه الطيب كالسنبل ونحوه ولا يخفى ان بعض نبات الطيب أطيب رائحة من بعض حتى يقال ان منه ما رائحته كرائحة المسك وقيل أجوده ما كمل فى الظبى قبل بينونته عنه وقال أحمد بن يعقوب وأجود المسك فى الرائحة والنظر ما كان تفاحيا تشبه رائحته رائحة التفاح اللبنانى وكان لونه يغلب عليه الصفرة ومقاديره وسطا بين الجلال والرقاق ثم ما هو أشد سوادا منه الا انه يقاربه فى الرأى والمنظر ثم ما هو أشد سوادا منه وهو أدناه قدرا وقيمة قال وبلغنى عن تجار الهند أن من المسك صنفين آخرين يتخذان من نبات أرض أحدهما لا يفسد بطول المكث والثانى يفسد بطول المكث والمشهور منه عشرة أصناف ونحن نوردها على ترتيبها فى الفضل مقدما منها فى الذكر الافضل فالافضل على ما رتبه أحمد

الاول التبتى — وهو ما حمله التجار من التبت الى خراسان على الظهر لطيب مرعاه وحمله فى البر دون البحر

الثانى الصغدى — وهو ما حمل من الصغد من بلاد الترك على الظهر الى خراسان

الثالث الصينى — وانما نقصت رتبته لان مرعاه فى الطيب دون مرعى التبتى ولما يلحقه من عفونة هواء البحر بطول مكثه فيه وأفضل الصينى ما يؤتى به من خانفو وهى مدينة الصين العظمى وبها ترسو مراكب تجار المسلمين ومنها يحمل فى البحر الى بحر فارس فاذا قرب من بلد الابلة ارتفعت رائحته واذا خرج من المركب جادت رائحته وذهبت عنه رائحة البحر

الرابع الهندى — وهو ما يحمل من التبت الى الهند ثم يحمل من الهند الى الديبل ثم يحمل فى البحر الى سيراف من بلاد العجم وعمان من البحرين وعدن من اليمن وغيرها من النواحى وسبب انحطاط رتبته عن الصينى وان كان من جنس التبتى مع انه أقرب مسافة من الصينى ما ذكره المسعودى انه اذا حمل الى الهند أخذوه كفرة الهند فلطخوه على أصنامهم من العام الى العام ثم يبدلونه بغيره ويبيعه سدنة الاصنام فبطول مكثه على الاصنام تضعف رائحته على ان محمد ابن العباس قد فضل الهندى على الصينى لقرب مسافة حمله فى البحر

الخامس القنبارى ـ ويؤتى به من بلد تسمى قنبار بين الصين والتبت قال أحمد بن يعقوب وهو مسك جيـد الا انه دون التبتى فى القيمـة والجوهر واللون والرائحة قال وربما غالطوا به فنسبوه الى التبتى

السادس الطغرغزى ـ وهو مسك رزين يضرب الى السواد يؤتى به من أرض الترك الطغرغز وهم التتر وهو بطىء السحق ولا يسلم من الخشونة الا انهم ربما غالطوا به أيضا

السابع القصارى ـ ويؤتى به من بلد يقال لها القصار من الهند والصين قال ابن يعقوب وقد يلحق بالصينى الا انه دونه فى الجوهر والرائحة والقيمة

الثامن الجزيرى ـ وهو مسك أصفر حسن الرائحة يشابه التبتى الا ان فيه زعارة

التاسع الجبلى ـ وهو مسك يؤتى به من السند من أرض المولتان وهو كبير النوافج حسن اللون الا انه ضعيف الرائحة

العاشر العصمارى ـ وهو أضعف أصناف المسك كلها وأدناها قيمة يخرج من النافجة التى زنتها أوقيـة زنة درهم واحد من المسك . قلت أما المسك الدارى فانه منسوب الى دارين وهى جزيرة فى بحر فارس معدودة من بلاد البحرين ترسو اليها مراكب تجار الهنـد ويحمل منها الى الاقطار وليست بمعدن للمسك

الصنف الثـانى

(العنـبر)

قال محمد بن أحمد التميمى والاصل الصحيح فيـه انه ينبع من صخور وعيون فى الارض تجتمع فى قرار البحر فاذا تكاثف اجتذبته الدهانة التى هى فيـه على اقتطافه من موضعه الذى تعلق به وطفا على وجه الماء وهو حار ذائب فتقطعه الريح وأمواج البحر قطعا كبارا وصغارا فترمى به الريح الى السواحل لا يستطيع أحد أن يدنو منه لشدة حره وفورانه فاذا أقام أياما وضربه الهواء جمد فيجمعه أهل السواحل قال أحمد بن يعقوب وربما ابتلعته سمكة عظيمة يقال لها الكبال وهو فائر فلا يستقر فى جوفها حتى تموت فتطفو ويطرحها البحر الى الساحل فيشق جوفها ويستخرج منها ويسمى العنـبر السمكى والعنبر المبلوع قال التميمى وهو فى لونه شبيه بالنار ردىء فى الطيب للسهوكة التى يكتسبها من السمك قال وربما طرح البحر القطعة العنبر فيبصرها طائر اسود كالخطاف فيرفرف عليها بجناحيه فاذا سـقط عليها يختطف بمنقاره منها تعلق منقاره ومخاليبه بها فيموت ويبلى ويبقى منقاره ومخاليبه فيها ويعرف بالعنبر المناقيرى قال التميمى ولاهـل سواحل البحر

التى يوجد بها العنبر نجب يركبونها مؤدبة تعرف العنبر يسيرون عليها فى ليالى القمر على شاطئ البحر فاذا رأت العنبر وقد نام راكبها أو غفل برك بصاحبه حتى ينزل عنه فيأخذه قال التميمى وألوان العنبر مختلفة منها الابيض وهو الاشهب والازرق والرمادى والجزازى وهو الابرش والصفايح وهو الاحمر وهما أدنى العنبر قدرا قال وأفضل العنبر وأجوده ما جمع قوة الرائحة وذكاء بغير زعارة قال أحمد بن يعقوب وأنواع العنبر كثيرة وأصنافه مختلفة ومعادنه متباينة وهو يتفاضل بمعادنه وبجوهره والذى وقفت على ذكره منه ستة اضرب

الاول الشحرى — وهو ما يقذفه بحر الهند الى ساحل الشحر من أرض اليمن قال وهو أجود أنواع العنبر وأرفعه وأفضله وأحسنه لونا وأصفاه جوهرا وأغلاه قيمة

الثانى الزنجى — وهو ما يقذفه بحر البربر الآخذ من بحر الهند فى جهة الجنوب الى سواحل الزنج وما والاها قال التميمى وزعم الحسين بن يزيد السيرافى أنه أجود العنبر وأفضله ويؤتى به منها الى عدن ولونه البياض

الثالث السلاهطى — قال التميمى وأجوده الازرق الدسم الكثير الدهن وهو الذى يستعمل فى الغوالى

الرابع القاقلى — وهو ما يؤتى به من بحر قاقلة من بلاد الهند الى عدن من بلاد اليمن وهو أشهب جيد الريح حسن المنظر خفيف وفيه يبس يسير وهو دون السلاهطى لا يصلح للغوالى الا عن ضرورة وهو صالح للدراير والمكلسات

الخامس الهندى — وهو ما يؤتى به من سواحل الهند الداخلة ويحمل الى البصرة وغيرها ومنه نوع يؤتى به من الهند يسمى الكرك بالوس يأتون به الى قرب عمان تشتريه منه أصحاب المراكب

السادس المغربى — وهو ما يؤتى به من بحر الاندلس فتحمله التجار الى مصر وهو أردأ الانواع كلها وهو شبيه فى لونه بالعنبر الشحرى قال التميمى ويغالط به فيه قال التميمى ومن العنبر صنف يعرف بالند ونقل عن جماعة من أهل المعرفة ان دابة تخرج من البحر شبيهة ببقر الوحش فتلقيه من دبرها فيؤخذ وهو لين يمتد فما كان منه عذب الرائحة حسن الجوهر فهو أفضله وأجوده قال وهو أصناف أحدها الشحرى وهو أسود فيه صفرة يخضب اليد اذا لمس ورائحته كرائحة العنبر اليابس الا انه لا بقاء له على النار وانما يستعمل فى الغوالى اذا عز العنبر السلاهطى ومنه الزنجى وهو نظير الشحرى فى المنظر ودونه فى الرائحة وهو أسود بغير صفرة ومنه البحرى وهو يخضب اليد وأصول الشعر خضبا جيدا ولا ينفع فى الطيب . قلت أما المعروف فى زماننا بالعنبر

مما يلبسه النساء فانما يقال له الند وفيـه جزء من العنبر قال فى نهاية الأرب وهو على ثلاثة أضرب . الاول المثلث وهو أجودها وأعطرها وهو يركب من ثلاثة أجزاء جزء من العنبر الطيب وجزء من العود الهنـدى الطيب وجزء من المسك الطيب . الثانى وهو دونه أن يجعل فيـه من العنبر الخام الطيب عشرة مثاقيل ومن الند العتيق الجيد عشرة مثاقيل ومن العود الجيـد عشرون مثقالا . الثالث وهو أدناها أن يؤخذ لكل عشرة مثاقيل من الخام عشرة مثاقيل من الند العتيق وثلاثون مثقالا من العود ومن المسك ما أحب

الصنف الثالث

(العـــود)

قال التميمى أخبرنى أبى عن جماعة من أهل المعرفة انه شجر عظام تنبت ببـلاد الهند فمنه ما يجلب من أرض كشمير الداخلة من أرض سرنديب ومن قار وما اتصل بتلك النواحى وانه لا تصير له رائحة الا بعد أن يعتق ويقشر فاذا اقشر وجفف حمل الى النواحى حينئذ قال وأخبرنى بعض العلماء به انه لا يكون الا من قلب الشجرة بخلاف ما قارب القشر كما فى الابنوس والعناب ونحوهما من الاشجار التى داخلها فيـه دهانة وما فى خارجها خشب أبيض وانه يقطع ويقلع ظاهره من الخشب الابيض ويدفن فى التراب سنين حتى تأكل الارض ما داخله من الخشب ويبقى العود لا تؤثر فيـه الارض وحكى محمد بن العباس انه يكون فى أودية بين جبال شاهقة لا وصول لاحد اليها لصعوبة مسلكها فينكسر بعض أشجاره أو يتعفن بكثرة السيول لمر الازمان فتأكل الارض ما فيه من الخشب ويبقى صميم العود وخالصه فتجره السيول وتخرجه من الاودية الى البحر فتقذفه الأمواج الى السواحل فيلتقطه أهـل السواحل ويجمعونه فيبيعونه ويقـال انه يأتى به قوم فى المراكب الى ساحل الهنـد فيقفون على البعـد بحيث لا ترى أشخاصهم ثم يطلعون ليلا فيضعونه بفرضـة تلك البلاد ويخرج أهل البلد نهارا فيضعون بازائه بضائع ويتركونها الى الليل فيأتى أصحاب العود فمن أعجبه ما بازاء متاعه أخذه والا تركه فيزيدونه حتى يعجبه فيأخذه كما يحكى فى السمور وغيره فى ساكنى أقصى الشمـال . وأجود العود ما كان صلبا رزينا ظاهر الرطوبة كثير المائية والدهنية الذى له صبر على النار وغليان وبقاء فى الثياب . أما اللون فأفضله الأسود والأزرق الذى لا بياض فيه ثم منهم من يفضل الأسود على الأزرق ومنهم من يفضل الأزرق على الاسود وهو على ثمانية عشر ضربا

الاول المندلى ــ نسبة الى معدنه وهو مكان يقـال له المندل من بلاد الهنـد قال محمد بن العباس الخشكى وهو أرفع أنواع العود وأفضلها وأجودها وأبقاها على النار وأعبقها بالثياب

على أن التجار لم تكن تجلبه فى الجاهلية والى آخر الدولة الأموية ولا ترغب فى حمله للمرارة فى رائحته الى أن دخل الحسين(١) بن برمك الى بلاد الهند هاربا من بنى أمية ورأى العود المندلى فاستجاده ورغب التجار فى حمله فلما غلب بنو العباس على بنى أميـة وحضر بنو برمك اليهم وقربوهم دخل الحسين بن برمك يوما على المنصور فرآه يتبخر بالعود القمارى فأعلمه أن عنده ما هو أطيب منه فأمره باحضاره فأحضره اليـه فاستحسنه وأمر أن يكتب الى الهند بحمل الكثير منـه واشتهر بين النـاس وعزمن يومئذ واحتمل ما فيـه من مرارة الرائحة وزعارتها لأنها تقتل القمل وتمنع من تلوثه فى الثياب

الثانى القامرونى — وهو ما يجلب من القامرون وهو مكان مرتفع من الهند وقيـل القامرون اسم لشجر من شجر العود وهو أغلى العود ثمنا وأرفعه قدرا قال التميمى وهو قليـل لا يكاد يجلب الا فى بعض الحين وهو عود رطب جدا شديد سواد اللون رزين كثير الماء وذكر الحسين بن يزيد السيرافى انه ربما ختم عليـه فانطبع وقبل الختم لينه قال ويكون فيه ما قيمة المن منه مائتا دينار

الثالث السمندورى — وهو ما يجلب من بلاد سمندور وهى بلد بسفالة الهند ويسمى لطيب رائحته ريحان العود وبعضه يفضل بعضا قال التميمى وتكون القطعة الضخمة منه منا واحدا

الرابع القمـارى — وهو ما يجلب من قمار وهى أرض سفالة الهنـد وبعضه يفضل بعضا أيضا وتكون القطعة منه نصف رطل الى ما دون ذلك

الخامس القـاقلى — وهو ما يجلب من جزائر بحر قاقله وهو عود حسن اللون شـديد الصلابة دسم فيـه ريحانية خمرة وله بقاء فى الثياب الا أن قتاره ربما تغير على النار فينبغى أن لا يستقصى الى آخره

السادس الصنفى — وهو ما يجلب من بلد يقال لها الصـنف ببلاد الصـين وهو من أحلى الأعواد وابقاها فى الثياب قال التميمى ومنهـم من يفضله على القاقلى ويرى انه أطيب وأعبق وآمن من القتار وربما قدموه على القمـارى أيضـا قالوا وأجود الصـنفى الأسود الكثير الماء وتكون القطعة منه منا وأكثر وأقل ويقال ان شجره أعظم من شجر الهندى والقمارى

السابع الصندفورى — وهو ما يجلب من بلاد الصندفور من بلاد الصين وهو دون الصنفى ويقال انه صنف منه ولذلك كانت قيمته لاحقة بقيمته وفيـه حسن لون وحلاوة رائحة ورزانة وصلابة الا أنه ليس بالقطع الكبار

(١) هكذا بالاصل

الثـامن الصينى ـ ويؤتى به من الصين وهو عود حسن اللون أول رائحته تشا كل رائحة الهندى الا أن قتاره غير محمود وتكون القطعة منه نصف رطل وأكثر وأقل

التاسع القطعى ـ وهو عود رطب حلو طيب الرائحة وهو نوع من الصينى

العـاشر القسور ـ وهو عود رطب حلو طيب الرائحة وهو أعذب رائحـة من القطعى الا أنه دونه فى القيمة

الحادى عشر الكلهى ـ وهو عود رطب بمضغ وفيه زعارة وشدة مرارة للدهانة التى فيه وهو من أعبق الأعواد فى الثياب وأبقاها

الثـانى عشر العولاتى ـ وهو عود يجلب من جزيرة العولات بنواحى قمار من أرض الهنـــد

الثالث عشر اللوقينى ـ وهو ما يجلب من لوقين وهى طرف من أطراف الهنـد وله خمرة فى الثياب الا أنه دون هذه الأعواد فى الرائحة والقيمة

الرابع عشر المـانطائى ـ وهو ما يجلب من جزيرة مانطاء وقيمتـه مثـل قيمة اللوقينى وهو خفيف ليس بالحسن اللون قال أحمد بن العباس وهو قطع كبار ملس لاعقد فيها الا أن رائحته ليست بطيبة وانمـا يصلح للأدوية

الخامس عشر القندغلى ـ ويؤتى به من ناحية كله وهى ساحل الزنج وهو مشـبه القمارى الا أنه لاطيب لرائحته

السادس عشر السمولى ـ وهو عود حسن المنظر فيه خمرة وله بقاء فى الثياب

السـابع عشر الرانجى ـ وهو عود يشبه قرون الثيران لاذكاء له ولا بقاء فى الثياب

الثامن عشر المحرم ـ سمى بذلك لأنه كان قد وقع بالبصرة فشك النـاس فى أمره فحرمه السلطان ومنعه فسمى المحرم وهو من أدنى أصناف العود وجعل بعضهم بين الصنفى والقاقلى صنفا يقال له العطلى يؤتى به من الصين وهو عود صلب خفيـف حسن المنظر الا أنه قليل الصـبر على النـار وقد ذكر أحمد بن العباس بعد ذلك أصنافا من العود ليست بذات طائل منها الافليق وهو عود يؤتى به من أرض الصـين يكون فى العظم مثل الخشب الربحى الغلاظ يباع المن منـه بدينار وأقل وأكثر والعود الطيب الريح فى قشوره وداخله خشب خفيف مثل الخلاف واذا وضع على الجمر وجد له فى أوله رائحة حلوة طيبة فاذا أخذت النار منـه ظهر منه رائحة رديـئـة كرائحة الشعر

الصنف الرابع
(الصندل)

وهو خشب شجر يؤتى به من سقالة الهند وهو على سبعة أضرب

الاول المقاصيرى - وهو الاصفر الدسم الرزين الذى كأنه مسح بالزعفران الذكى الرائحة واختلف فى سبب تسميته بالمقاصيرى فقيل نسبة الى بلد تسمى مقاصير وقيل ان بعض خلفاء بنى العباس اتخذ لأمهات أولاده ومحاظيه مقاصير منه وهو شجر عظام يقطع رطبا وأجوده ما اصفر لونه وذكت رائحته ولم يكن فيه زعارة قال التميمى وهو يدخل فى طيب النساء الرطب واليابس وفى البرمكيات والمثلثات والدرابر ويتخذ منه قلائد ويدخل فى الادوية ويقال ان صاحب اليمن الآن يعمل له منه الاسرة وانه يأمر بقطع ما يحمل منه من اليمن الى غيرها من البلاد قطعا صغارا حتى لا يكون منها ما يعمل سريرا لغيره من الملوك

الثانى الابيض منه الطيب الريح - وهو من جنس المقاصيرى المتقدم ذكره لا يخالفه فى شئ الا فى البياض ويقال ان المقاصيرى هو باطن الخشب وهذا الابيض ظاهره

الثالث الجوزى - وهو صلب العود أبيض يضرب لونه الى السمرة ويؤتى به من موضع يقال له الجوز وهو طيب الرائحة الا أنه أضعف رائحة من الذى قبله

الرابع الساوس ويقال الكاوس - وهو صندل أصفر طيب الرائحة الا أن فى رائحته زعارة ويستعمل فى الدرابر والمثلثات من الطيب والبخورات

الخامس يضرب لونه الى الحمرة - وهو على نحو من الذى قبله

السادس صندل جعد الشعرة - لا بساطة فيه اذا شقق بل يكون فيه تجعيد كما فى خشب الزيتون وهو أذكى أصناف الصندل الا أنه لا يستعمل فى شئ سوى البخورات والمثلثات

السابع أحمر اللون - وهو خشب حسن اللون ثقيل الوزن لا رائحة له الا أنه تتخذ منه المنجورات والمخروطات كالدوى وقطع الشطرنج ونحوها مع ما يدخل فيه من الاعمال الطبية .

قلت هذا ما يحتاج الكاتب الى وصفه من أصناف الطيب النفيسة مما يهدى أو يرد هدية ويجرى ذكره فى مكاتبات الملوك أما ما عدا ذلك من أصناف الطيب كالسنبل والقرنفل والكافور فليس من هذا القبيل

النوع السابع
(فيما يحتاج الى وصفه من الآلات وهى أصناف)

الصنف الأول
(الآلات الملوكيـــــة)

و يحتاج الكاتب الى وصفها عنـد وصف المواكب الحفيلة التى يركب فيها السلطان وهى عدة آلات . منها الخاتم بفتح التاء وكسرها وحكى فيه ابن قتيبة والجوهرى وغيرهما ختيام وخاتام وهو ما يجعل فى الاصبع من الحلى وهو مأخوذ من الختم وهو الطبع سمى بذلك لانه يختم بنقشه على الكتب الصادرة عن الملوك وسيأتى فى الكلام على ختم الكتب أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى بعض ملوك الاعاجم فقيل له انهم لا يقرؤن كتابا غير مختوم فاتخذ خاتما من ورق وجعل نقشه محمد رسول الله واقتدى به فى ذلك الخلفاء بعده ثم توسعوا فيه الى أن جعلوا للكتب طابعا مخصوصا وأفردوا له ديوانا سموه ديوان الخاتم واقتفى الملوك أثرهم فى ذلك ثم غلب بمملكتنا وما ناهزها الاكتفاء فى المكاتبات باللصاق وصار اسم الخاتم مقصورا على ما يجعل فى الاصبع خاصة سواء كان فيــه نقش أم لا وصارت الملوك انما تلبس الخواتم بفصوص الجواهر من اليواقيت ونحوها تجملا وربما بعثت بها فى تأمين الخائف علامة للرضا عليه والصفح عما جناه واقترفه . ومنها المنديل بكسر الميم وهو منديل يجعل فى المنطقة المشدودة فى الوسط مع الصولق وغيره ثم جرى اصطلاح الملوك على البعث به فى الامانات كما تقدم فى الخاتم . والمنديل آلة قديمة للملوك فقد حكى أنه كان للافضل بن أمير الجيوش أحد وزراء الفاطميين مائة بدلة معلقة على أوتاد من ذهب على كل بدلة منها منـديل من لونها ولم يكن المنديل من آلات الخلافة بل انما كان من آلاتها البردة على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب الخلافة فى المقالة الثانية ان شاء الله تعالى . ومنها التخت ويقال له السرير وهو ما يجلس عليه الملوك فى المواكب ولم يزل من رسوم الملوك قديما وحديثا رفعــة لمكان الملك فى الجلوس عن غيره حتى لا يساويه غيره من جلسائه وقد أخبر تعالى فى كتابه العزيز انه كان لسليمان عليه السلام كرسى بقوله (وألقينا على كرسيه جسدا) ورأيت فى بعض التواريخ انه كان له كرسى من عاج مغشى بالذهب ثم هـذه الاسرة تختلف باختلاف حال الملوك فتارة تكون من أبنيــة رخام ونحوه وتارة تكون من خشب وتارة من فرش محشوة متراكبة وقد حكى انه كان لملوك الفرس سرير من ذهب يجلسون عليــه وكان عمرو بن العاص رضى الله عنــه وهو أمير مصر يجلس مع قومه على الارض غير مرتفع عليهم و يأتيه المقوقس

ومعه سرير من ذهب يحمل معه على الايدى فيجلس عليه فلا يعنه عمرو من ذلك اجراء له على عادته
فى الملك فيما قيل لما عقده له من الذمة واتخذه معه من العهد . ومنها المظلة واسمها بالفارسية
الجتر بنون بين الجيم والزاى المعجمة ويعبر عنها العامة الآن بالقبة والطير وهى قبة من حرير
أصفر تحمل على رأس الملك على رأس رمح بيد أمير يكون راكبا بحذاء الملك يظله بها حالة الركوب
من الشمس فى المواكب العظام وسيأتى ذكرها فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية
وهذه الدولة فى المقالة الثانية ان شاء الله تعالى . ومنها الرقبة وهى لباس لرقبة فرس السلطان
من حرير أصفر قد طرزت بالذهب الزركش حتى غاب عليها وصار الحرير غير مرئى فيها تشد على
رقبة فرس الملك فى المواكب العظام لتكون مضاهية لما تركب به من الكنبوش الزركش المغطى
لظهر الفرس وكفله . ومنها الغاشية وهى غاشية سرج من أدم مخروزة بالذهب يظنها الناظر
كلها ذهبا يلقيها على يديه يمينا وشمالا . ومنها الجفتاه وهى فرسان أشهبان قريبا الشبه برقبتين
من زركش وعدة تضاهى عدة مركوب السلطان كأنهما معدان لأن يركبهما السلطان يعلوهما
مملوكان من المماليك السلطانية قريبى الشبه أيضا على رأس كل منهما قبع من زركش مشابه
للآخر . ومنها المنطقة بكسر الميم وهى ما يشد فى الوسط وعنها يعبر أهل زماننا بالحياصة وهى
من الآلات القديمة فقد روى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه كان له منطقة وهذه
الآلة قد ذكرها فى التعريف فى الآلات الملوكية على أن ملوك الزمان لم تجر لهم عادة بشد منطقة
وانما يلبسها الملك للامراء عند الباسهم الخلع والتشاريف وهى تختلف بحسب اختلاف الرتب
فنها ما يكون من ذهب مرصع بالفصوص ومنها ما ليس كذلك . ومنها الاعلام وهى الرايات
التى تحمل خلف السلطان عند ركوبه وهى من شعار الملك القديمة وقد ورد أن النبى صلى الله
عليه وسلم كان يعقد لأمراء سراياه الرايات عند بعثها ثم قد يعبر عن بعضها بالعصائب جمع
عصابة وهى الالوية أخذا من عصابة الرأس لأن الراية تعصب رأس الرمح من أعلاه وقد يعبر
عنها بالسناجق جمع سنجق والسنجق باللغة التركية معناه الطعن سميت الراية بذلك لأنها تكون
فى أعلى الرمح والرمح هو آلة الطعن يسمى بذلك مجازا . ومنها الطبول ويقال لها الدبادب
والبوقات والزمر المعروف بالصهبان الذى يضرب به عشية كل ليلة بباب الملك وخلفه اذا
ركب فى المواكب ونحوها وهى المعبر عنها بالطبلخاناه وهى من شعار الملك القديم وقد ذكر
فى مسالك الابصار أن الطبل فى بلاد المغرب يختص ضربه بالسلطان دون غيره من كل أحد
كما سيأتى ذكره فى الكلام على مملكة المغرب فى المسالك والممالك ان شاء الله تعالى والسر فيها
ارهاب العدو وتخذيله كما كتب به ارسطو فى كتاب السياسة للاسكندر أو تقوية النفوس
وتشجيعها على الحرب كما قاله الغزالى رحمه الله فى الاحياء وكلما كثرت اعدادها كان أفخم

لشأن الملك وأبلغ فى رفعة شأنه وقد حكى أن دباديب الاسكندر كانت أربعين جملا . قلت وقد ذكر فى التعريف من جملة الآلات الملوكية الدواة والقلم والمرملة ولا يخفى أنها بآلات الكتّاب أليق وان كان السلطان لا يستغنى عنها وسيأتى الكلام عليها فى الكلام على آلات الكتابة من هذه المقالة ان شاء الله تعالى

الصنف الثانى

(آلات الركوب وهى عدة آلات)

منها السرج وهو ما يقعد فيه الراكب على ظهر الفرس وأشكال قوالبه مختلفة ثم من السرج ما يكون مغشى بالذهب وهو مما يصلح للملوك ومنها ما يكون مغشى بالفضة البيضاء وكل منها قد يكون منقوشا وقد يكون غير منقوش وفيها ما يكون بأطراف فضة ومنها ما يكون ساذجا . ومنها اللجام وهو الذى يكون فى فك الفرس يمنعه من الجماح وقوالبه أيضا مختلفة ثم منها ما يكون مطليا بالذهب ومنها ما يكون مطليا بالفضة ومنها ما يكون ساذجا ومنها ما يكون رأسه وجنباه محلى بالفضة ومنها ما يكون غير محلى . ومنها الكنبوش وهو ما يستر به مؤخر ظهر الفرس وكفله وهو تارة يكون من الذهب الزركش وتارة يكون من الخايش وهى الفضة الملبسة بالذهب وتارة يكون من الصوف المرقوم وبه يركب القضاة وأهل العلم . ومنها العباءة بالمد وهى التى تقوم مقام الكنبوش . ومنها المهماز وهو آلة من حديد تكون فى رجل الفارس فوق كعبه فوق الخف وما فى معناه ومؤخره اصبع محدد الرأس اذا أصاب جانب الفرس تحركت وأسرعت فى المشى أو جدّت فى العدو وهو تارة يكون من ذهب محض وتارة يكون من فضة وتارة يكون من حديد مطلى بالذهب أو الفضة وقد اعتاد القضاة والعلماء فى زماننا تركه . ومنها الكور وهو ما يقعد فيه الراكب فى ظهر النجيب وهو الهجين والعرب تسميه الرحل ثم قد يكون مقدمه ومؤخره مغشى بالذهب أو الفضة وقد يكون غير مغشى . ومنها الزمام وهو ما يقاد به النجيب ويضبطه به الراكب كما يضبط الفارس الفرس بالعنان . ومنها الركاب وهو ما تجعل فيه الرجل عند الركوب وكانت العرب تعتاده من الجلد والخشب ثم عدل عن ذلك الى الحديد قال أبو هلال العسكرى فى كتابه الأوائل وأول من اتخذه من الحديد المهلب ابن أبى صفرة وكانت ركب العرب من خشب فكان الفارس يصك الراكب بركابه فيوهن مرفقه . ومنها السوط وهو ما يكون بيد الراكب يضرب به الفرس أو النجيب وأهل زماننا يعبرون عنه بالمقرعة لأنه يقرع به المركوب اذا تقاعس وهو بدل من القضيب الذى كان للخلفاء على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب الخلافة فى المقالة الثانية ان شاء الله تعالى

الصنف الثالث

(آلات السفر وهى عدة آلات)

منها المحفة بكسر الميم وهى محمل على أعلاه قبة وله أربعة سواعد ساعدان أمامها وساعدان خلفها تكون مغطاة بالجوخ تارة وبالحرير أخرى تحمل على بغلين أو بعيرين يكون أحدهما فى مقدمتها والآخر فى مؤخرتها اذا ركب فيها الراكب صار كأنه قاعد على سرير لا يلحقه انزعاج وقد جرت عادة الملوك والأكابر باستصحابها فى السفر خشية ما يعرض من المرض . ومنها المحمل بكسر الميم الاولى وفتح الثانية وهو آلة كالمحفة الا أنه يحمل على أعلى ظهر الجمل بخلاف المحفة فانها تحمل بين جملين أو بغلين . ومنها الفوانيس جمع فانوس وهى آلة كريه ذات أضلاع من حديد مغشاة بخرقة من رقيق الكتان الصافى البياض يتخذ للاستضاءة بغرز الشمعة فى أسفل باطنه فيشف عن ضوئها ومن شأنها أن يحمل منها اثنان أمام السلطان أو الأمير فى السفر فى الليل . ومنها المشاعل جمع مشعل وهى آلة من حديد كالقفص مفتوح الأعلى وفى أسفله خرقة لطيفة توقد فيه النار بالحطب فيبسط ضوءه يحمل أمام السلطان ونحوه فى السفر ليلا أيضا . ومنها الخيام جمع خيمة ويقال لها الفسطاط والقبة أيضا وهى بيوت تتخذ من خرق القطن الغليظ ونحوه تحمل فى السفر لوقاية الحر والبرد وكانت العرب تتخذها من الادم وقد امتن الله تعالى عليهم بذلك فى قوله تعالى (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) والملوك تتناهى فى سعتها وتتباهى بكبرها وسيأتى فى الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية أنه كان لبعض خلفائهم خيمة تسمى القاتول سميت بذلك لأن فراشا من الفراشين وقع من أعلى عمودها فمات لطوله . ومنها الخركاه وهى بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشى بالجوخ ونحوه تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء لوقاية البرد . ومنها القدور جمع قدر وهى الآلة التى يطبخ فيها وتكون من نحاس غالبا وربما كانت من برام والملوك تتباهى بكثرتها وعظمها لأنها من دلائل كرم الملك وكثرة رجاله وقد أخبر الله تعالى عن سليمان عليه السلام بعظيم قدر ما كانت الجن تعمله له من القدور بقوله (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) . ومنها الاثافى وهى الآلة المثلثة التى تعلق عليها القدر عند الطبخ وتكون من حديد . ومنها النار التى يوقد بها للطبخ ونحوه وقد تقدم فى الكلام على نيران العرب ذكر نار القرى وهى نار كانت ترفع ليلا ليراها الضيف فيهتدى بها الى الحى . ومنها الجفان جمع جفنة وهى الآنية التى يوضع فيها الطعام وقد تقدم فى الكلام على القدور أنهما مما كانت الجن تعمله لسليمان عليه السلام أيضا وقد كانت العرب تفتخر بكبر الجفان لدلالتها على الكرم وفى ذلك يقول الاعشى فى مدح المحلق ليلة بات عليه

نفى الذام عن آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

قيل أراد بالشيخ العراقى كسرى فشبه جفنته بجفنته . ومنها حياض الماء وهى حياض من جلد تحمل فى السفر ليبقى الماء فيها لسقى الدواب ونحوها وكبر قدرها دليل على رفعة قدر صاحبها وفخامته لدلالتها على كثرة دوابه واتساع عسكره

الصنف الرابع

(آلات السلاح وهى عدة آلات)

منها السيف وهو معروف وسيأتى فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أنه مأخوذ من قولهم ساف اذا هلك لأنه به يقع الهلك واعلم أن السيف ان كان من حديد ذكر وهو المعبر عنه بالفولاذ قيل سيف فولاذ وان كان من حديد أنثى وهو المعبر عنه فى زماننا بالحديد قيل سيف أنيث فان كان متنه من حديد أنثى وحداه من حديد ذكر كما فى سيوف الفرنجة قيل سيف مذكر ويقال ان الصاعقة اذا نزلت الى الارض وردت صارت حديدا وربما حفر عليها واخرجت فطبعت سيوفا فتجىء فى غاية الحسن والمضاء ثم ان كان عريض الصفيح قيل له صفيحة وان كان محددا لطيفا قيل له قضيب فان كان قصيرا قيل أبتر فان كان قصره بحيث يحمل تحت الثياب ويشتمل عليه قيل مشملة بكسر الميم فان كان له حد واحد وجانبه الآخر جاف قيل فيه صمصامة وبهذا كان يوصف سيف عمرو بن معدى كرب فارس العرب فان كان فيه حزوز مستطيلة قيل فيه فقارات وبذلك سمى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقار يروى أنه كان فيه سبع عشرة فقارة ثم تارة ينسب السيف الى الموضع الذى طبع فيه فيقال فيما طبع بالهند هندى ومهند وفيما طبع باليمن يمان وفيما طبع بالمشارف وهى قرى من قرى العرب قريبة من ريف العراق قيل له مشرفى فان كان من المغرب المسمى بقساس وهو معدن موصوف بجودة الحديد قيل له قساسى وتارة ينسب السيف الى صاحبه كالسيف السريجى نسبة الى قين من قيون العرب اسمه سريج معروف عندهم بحسن الصنعة ويوصف السيف بالحسام وهو القاطع أخذا من الحسم وهو القطع وبالصارم وهو الذى لا ينبو عن الضربة والناس يبالغون فى تحلية السيوف فتارة ترصع بالجواهر وتارة يحلونها بالذهب وتارة يحلونها بالفضة وان كان الاعتبار انما هو بالسيف لا بالحلية . ومنها الرمح وهو آلة الطعن والرماح ضربان أحدهما متخذ من القنا وهو قصب مسدود الداخل ينبت ببلاد الهند يقال للواحدة منه قناة ويقال لمفاصلها أنابيب ولعقدها كعوب وان كان قد نشأ فى نباته مستقيما بحيث لا يحتاج الى تثقيف قيل له الصعدة بفتح الصاد وسكون العين المهملتين وان احتاج الى تقويم مقوّم قيل له مثقف ويوصف القنا بالخطى

بفتح الخاء المعجمة نسبة الى الخط وهى بلدة بالبحرين تجلب اليها الرماح من الهند وتنقل منها الى بلاد العرب ولم تنبت القنا كما توهمه ابن أصبغ فى أرجوزته المذهبة الثانى ما يتخذ من الخشب كالزان ونحوه و يسمى الذابل بالذال المعجمة وكسر الموحدة ويقال للحديد الذى فى أعلى الرمح السنان وللذى فى أسفله الزج والعقب ويوصف الرمح بالاسمر لأن لون القنا السمرة وبالعسال وهو الذى يضطرب فى هزه و باللدن وهو اللين وبالسمهرى نسبة الى بلدة يقال لها سمهرة من بلاد الحبشة وقيل الى السمهرة وهى الصلابة . ومنها الطبر وهو باللغة الفارسية الفاس ولذلك يسمى السكر الصلب بالطبرزد يعنى الذى يكسر بالفاس والى الطبر تنسب الطبردارية وهم الذين يحملون الاطبار حول السلطان على ماسيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب المملكة فى المسالك والممالك ان شاء الله تعالى . ومنها السكين وسيأتى ذكرها فى آلات الدواة فى الكلام على آلات الكتابة وانما سميت سكينا لأنها تسكن حركة الحيوان وتسمى المدية أيضا لأنها تقطع مدى الاجل وهذه الاشتقاقات أولى بآلة الحرب من آلة الكتابة وحاصل الأمر أن السكين تختلف أحوالها بحسب الحاجة اليها فتكون لكل شئ بحسب ما يناسبه . ومنها القوس وهى مؤنثة والقسى على ضربين أحدهما العربية وهى التى من خشب فقط ثم ان كانت من عود واحد قيل لها قضيب وان كانت من فلقين قيل لها فلق الثانى الفارسية وهى التى تركب من أجزاء من الخشب والقرن والعقب والغراء ولأجزائها أسماء يخص كل جزء منها اسم فموضع امساك الرامى من القوس يسمى المقبض ومجرى السهم فوق قبض الرامى يسمى كبد القوس وما يعطف من القوس يسمى سية القوس ومافوق المقبض من القوس وهو ما على يمين الرامى يسمى رأس القوس وما أسفله وهو ما على يسار الرامى يسمى رجل القوس . ومنها النشاب والنبل فالنبل ما يرمى به عن القسى العربية والنشاب ما يرمى به عن القسى الفارسية حكاه الازهرى ومجرالوتر من السهم يسمى الفوق وحديده يسمى النصل والريش يسمى القذذ والسهم قبل تركيب الريش يسمى القدح بكسر القاف وسكون الدال المهملة . ومنها الكنانة ويقال لها الجعبة وهى بكسر الكاف وهى ظرف السهام وتكون تارة من جلد وتارة من خشب . ومنها الدبوس ويسمى العامود وهو آلة من حديد ذات اضلاع ينتفع بها فى قتال لابس البيضة ومن فى معناه ويقال ان خالد بن الوليد رضى الله عنه به كان يقاتل . ومنها العصا وهى آلة من خشب تفيد فى القتال نحو افادة الدبوس . ومنها البيضة وهى آلة من حديد توضع على الرأس لوقاية الضرب ونحوه وليس فيه ما يرسل على القفا والآذان وربما كان ذلك من زرد . ومنها المغفر بكسر الميم وهو كالبيضة الا أن فيه أطرافا مسدولة على قفا اللابس وأذنيه وربما جعل منها وقاية لأنفه أيضا وقد تكون من زرد أيضا . ومنها الدرع وهو جبة من الزرد المنسوج يلبسها المقاتل

لوقاية السيوف والسهام وهى تؤنث وتذكر وقد أخبر الله تعالى عن داود عليه السلام انه ألين له الحديد فكان يعمل منه الدروع بقوله تعالى (وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدّر فى السرد) وقوله (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) ولذلك تنسب الدروع الفائقة الى نسج داود عليه السلام . ومن الدروع ما يقال لها السلوقية نسبة الى سلوق قرية من قرى اليمن وربما قيل دروع حطومية بضم الحاء المهملة نسبة لحطوم رجل من عبد القيس واعلم أن لبس العرب فى الحرب كان الزرد أما الآن فقد غلب عمل القرقلات من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها ببعض . ومنها الترس وهو الآلة التى يتقى بها الضرب والرمى عن الوجه ونحوه وتسمى الجنة أيضا بضم الجيم أخذا من الاجتنان وهو الاختفاء وربما قيل لها الجحفة بفتح الحاء المهملة والجيم ثم هى تارة تكون من خشب وتارة تكون من حديد وتارة تكون من عيدان مضموم بعضها الى بعض بخيط القطن ونحوه فان كانت من جلد قيل لها درقة بفتح الدال والراء المهملتين

الصنف الخامس

(آلات الحصار وهى عدة آلات)

منها المنجنيق بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الياء وقاف فى الآخر وحكى ابن الجواليقى فيه كسر الميم وحكى فيه أيضا منجنوق بالواو ومنجميق بابدال النون الثانية ميما وهو اسم أعجمى فان الجيم والقاف لا يجتمعان فى كلمة عربية ويجمع على مجانيق ومناجيق قال الجوهرى وأصله من جى نيك وتفسيره بالعربية ما أجودنى قال ابن خلكان تفسير من وتفسير جى ايش وتفسير نيك جيد قال ابن قتيبة فى كتابه المعارف وأبو هلال العسكرى فى الأوائل وهو آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيأ الا أهلكه وأول من وضع المنجنيق جذيمة الابرش ملك الحيرة على العرب وذكر الواحدى فى تفسير سورة الانبياء ان الكفار لما أضرموا النار لاحراق ابراهيم عليه السلام لم يقدروا على القرب من النار ليلقوه فيها فجاءهم اللعين ابليس فعلمهم وضع المنجنيق فعملوه وألقوه فيه فقذفوا به فى النار فكان أول منجنيق عمل ومما يلتحق بالمنجنيق الزيادات وهى اللوالب والحبال التى يجذب بها المنجنيق حتى ينحط أعلاه ليرمى به الحجر . ومنها السهام الخطائية وهى سهام عظام يرمى بها عن قسى عظام توتر بلوالب يجر بها ويرمى عنها فتكاد تخرق الحجر . ومنها مكاحل البارود وهى المدافع التى يرمى عنها بالنفط وحالها مختلف

فبعضها يرمى عنها باسهم عظام تكاد تخرق الحجر وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد من زنة عشرة أرطال بالمصرى الى ما يزيد على مائة رطل وقد رأيت بالاسكندرية فى الدولة الاشرفية شعبان ابن حسين فى نيابة الامير صلاح الدين بن عرام رحمه الله بها مدفعا قد صنع من نحاس ورصاص وقيد بأطراف الحديد رمى عنه من الميدان ببندقة من حديد عظيمة محمية فوقعت فى بحر السلسلة خارج باب البحر وهى مسافة بعيدة . ومنها قوارير النفط وهى قدور ونحوها يجعل فيها النفط ويرمى بها على الحصون والقلاع للاحراق على أن القوارير فى اللغة اسم للزجاج وانما استعيرت فى آلات النفط مجازا . ومنها الستاير وهى آلات الوقاية من الطوارق وما فى معناها مما يستر به على الأسوار والسفن التى يقع فيها القتال ونحو ذلك

الصنف السادس

(آلات الصيد وهى عدة آلات)

منها قوس البندق ويسمى الجلاهق قوس يتخذ من القنا ويلف عليه الحرير ويغرى وفى وسط وتره قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرمى . ومنها الجراوة وهى آلة من جلد يجعل فيها البندق الطين الذى يرمى به عن القوس المقدم ذكره . ومنها الشباك وهى آلة تتخذ تعقد من خيطان وتنصب لاقتناص الصيد وكذلك تطرح فى الماء فيصاد بها السمك . ومنها الزبربطانة وهى آلة من خشب مستطيلة كالرمح مجوفة الداخل يجعل الصائد بندقة من طين صغيرة فى فيه وينفخ بها فيها فتخرج منها بحدة فتصيب الطير فترميه وهى كثيرة الاصابة . ومنها الفخ وهو آلة مقوسة لها دفتان تفتحان قسرا ويعاقان فى طرف شظاه ونحوها اذا أصابها الصيد انطبقت عليه . ومنها الصنانير جمع صنارة وهى حديدة معقفة محددة الرأس يصاد بها السمك

الصنف السابع

(آلات المعاملة وهى عدة آلات)

منها الميزان وهو أحد الآلات التى يقع بها تقدير المقدرات والموازين قديمة الوضع قال تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وأمر شعيب عليه السلام قومه باقامة القسط بالوزن كما أخبر تعالى عنه بقوله (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قال أبو هلال العسكرى وأول من اتخذ الموازين من الحديد عبد الله بن عامر قال وأول من وضع الاوزان سمير اليهودى وذلك أن الحجاج ضرب الدراهم بأمر عبد الملك ابن مروان ونهى أن يضرب بها أحد غيره فضرب بها سمير فأمر الحجاج بقتله لاجترائه عليه

فقال سمير أنا أدلك على ما هو خير للمسلمين من قتلى فوضع الأوزان وزن ألف وخمسمائة وثلثمائة الى وزن ربع قيراط وجعلها حديدا فعفا عنه وكان الناس قبل ذلك انما يأخذون الدرهم الوازن فيزنون به غيره وأكثرها يؤخذ عددا . ومنها الذراع مؤنثة وهى احدى الآلات التى يقدر بها المقادير أيضا بها يقدر الأرضون ويقاس البز وما فى معناه ولم تزل الناس قديما وحديثا يتعاملون بها على اختلافها وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) وقد ذكر الماوردى فى الأحكام السلطانية سبعة أذرع . احداها العمرية وهى الذراع التى قدرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمسح سواد العراق قال موسى بن طلحة وطولها ذراع وقبضة وابهام قال الحكم بن عتبة عمد عمر رضى الله عنه الى أطولها ذراعا وأقصرها ذراعا فجمع منهما ثلاثة وأخذ الثلث منها وزاد عليها قبضة وابهاما قائمة ثم ختم فى طرفها بالرصاص وبعث بذلك الى حذيفة وعثمان بن حنيف فمسحا بها السواد . الثانية الهاشمية وتسمى الزيادية قال وهى أربعة وعشرون أصبعا كل أصبع سبع شعيرات معتدلات معترضات ظهر البطن كل شعيرة عرض سبع شعرات من شعر البرذون وهذه الذراع التى يعتمدها الفقهاء فى الشرعيات وبها قدروا البريد المعتبر فى مسافة قصر الصلاة وغيرها وربما عبروا عنها بذراع الملك وسميت بالهاشمية لأن أبا جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس اعتبرها وعمل بمقتضاها فى المساحة وتبعه سائر خلفائهم على ذلك وبنو العباس من بنى هاشم فنسبت الى بنى هاشم مباينة لمن تقدمهم من خلفاء بنى أمية قال الماوردى وتسمى الزيادية لأن زيادا مسح بها السواد أيضا . الثالثة البلالية وهى أنقص من الهاشمية المقدم ذكرها ثلاثة أرباع عشرها وانما سميت البلالية لأن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى هو الذى وضعها وذكر أنها ذراع جده أبى موسى . الرابعة السوداء وهى دون البلالية بأصبعين وثلثى أصبع وأول من وضعها الرشيد قدرها بذراع خادم أسود كان قائما على رأسه قال الماوردى وهى التى يتعامل بها الناس فى ذرع البز والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر . الخامسة اليوسفية وهى دون الذراع السوداء بثلثى أصبع وأول من وضعها أبو يوسف صاحب أبى حنيفة قال الماوردى وبها يذرع القضاة الدور ببغداد . السادسة القصبة وهى أنقص من الذراع السوداء بأصبع وثلثى أصبع وأول من وضعها ابن أبى ليلى القاضى . قال الماوردى وبها يتعامل أهل كلواذى . السابعة المهرانية قال الماوردى وهى بالذراع السوداء ذراعان وثلثا ذراع وأول من وضعها المأمون وهى التى يتعامل بها فى حفر الانهار ونحوها . ومنها المقص بكسر الميم وهو الآلة المعروفة وينتفع به فى أمور مختلفة

الصنف الثامن

(آلات اللعب وهي عدة آلات)

منها النرد بفتح النون وسكون الراء المهملة وهو من حكم الفرس وضعه ازدشير بن بابك أول طبقة الأكاسرة من ملوكهم ولذلك قيل له نردشير وضعه مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر وجعل الفصوص بمثابة الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة وهي الشش ويقابله اليك والبنج ويقابله الدو والجهار ويقابله الثا وجعل ما يأتي به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش الا أنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى وكيف يتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص كما هو مذهب الأشاعرة لكن قد وردت الشريعة بذمه قال صلى الله عليه وسلم من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير وفى رواية ملعون من لعب بالنردشير وفى تحريمه عند أصحابنا الشافعية وجهان أصحهما التحريم والثانى الكراهة واذا قلنا حرام فالأصح أنه صغيرة وقيل كبيرة . ومنها الشطرنج بفتح الشين المعجمة أو السين المهملة لغتان والاولى منهما أفصح وهو فارسى معرّب وأصله بالفارسية شش رنك ومعناه ستة ألوان وهى الشاه والمراد بها الملك والفرزان والفيل والفرس والرخ والبيدق ثم الشطرنج من أوضاع حكماء الهند وحكمهم وضعه صصه بن داهر الهندى لبلهيب ملك الهند مساواة لازدشير بن بابك فى وضعه النرد وعرضه على حكماء زمانه فقضوا بتفضيله ثم عرضه على الملك وعرّفه أمره فقال احتكم على فتمنى عليه عدد تضعيف بيوته من قحة الى نهاية البيوت فاستصغر همته وأنكر عليه مواجهته بطلب نزر يسير فقال هذه طلبتى فأمر له بذلك فحسبه أرباب دواوينه فقالوا للملك انه لم يكن عندنا ما يقارب القليل من ذلك فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان فكان اعجابه بالامر الثانى أكثر من الأول قال ابن خلكان ولقد كان فى نفسى من هذه المبالغة شئ حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية فأوضح لى ذلك وبينه وذلك انه ذكر أنه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فاثبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات الى الأردب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الأربعين الى مائة ألف أردب وأربعة وسبعين ألف أردب وسبعمائة واثنين وستين أردبا وثلثى أردب وقال هذا المقدار شونة ثم ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعا وعشرين شونة

وقال هذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف ذلك البيت الى الرابع والستين وهو نهايتها فكانت الجملة ست عشرة ألف مدينة وثلثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال تعلم أنه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد قال الصلاح الصفدى فى شرح اللامية وآخر ما اقتضاه تضعيف رقعة الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ألف ست مرات وأربعمائة وستة وأربعون ألفا خمس مرات وسبعمائة وأربعة وأربعون ألفا أربع مرات وثلاثة وسبعون ألف ثلاث مرات وسبعمائة وتسعة آلاف مرتين وخمسمائة واحد وخمسون ألفا وستمائة وخمسة عشر حبة عددا قال الشيخ شمس الدين الأنصارى اذا جمع هذا العدد هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع واللعب بالشطرنج مباح وقد ذكر الشيخ أبو اسحاق الشيرازى رحمه الله فى المهذب أن سعيد بن جبير الامام الكبير التابعى المشهور كان يلعب الشطرنج عن استدبار وممن يضرب به المثل فى لعب الشطرنج الصولى وهو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباسى ابن صول تكين الكاتب ويقال ان المأمون كان لا يجيد لعب الشطرنج فكان يقول عجبا منى كيف أدبر ملك الارض من الشرق الى الغرب ولا أحسن تدبير رقعة ذراعين فى ذراعين ثم فى حله عند أصحابنا الشافعية ثلاثة أوجه أصحها انه مكروه والثانى انه مباح والثالث حرام فان اقترن به رهن من الجانبين أو أحدهما فانه محرّم بلا نزاع

الصنف التاسع

(آلات الطرب وهى عدة آلات)

منها العود وهو آلة من خشب مخرقة له عنق ورأسه ممال الى خلفه وهو آلة قديمة وتسميه العرب المزهر بكسر الميم وهو أفخر آلات الطرب وأرفعها قدرا وأطيبها سماعا حتى يقال انه قيل له هل يسمع أحسن منك فقال لا وأمال رأسه الى خلفه فهى ممالة لاجل ذلك . ومنها الجنك قال فى التعريف وهو آلة محدثة طيبة النغمة لذيذ السماع يقارب العود فى حسنه وشكله مباين لشكل العود ورأسه ممالة الى أسفل يقال انه قيل له هل يسمع أحسن منك فقال نعم يريد العود . ومنها الرباب بفتح الراء وهى آلة مجوفة مركب عليها خصلة لطيفة من شعر يمر عليها بقوس وتره من شعر فيسمع لها حس طيب وأكثر من يعانيها العرب ومن أنواعها نوع يعبر عنه بالكمنجة لطيف القدر فى تدوير أطيب حسا وأشجى من الرباب . ومنها الدف بضم الدال وهو معروف ثم ان كان بغير صنوج وهى المعبر عنها فى زمننا بالصراصير حل سماعه أو بصنوج فالاصح كذلك . ومنها الشبابة بفتح الشين وهى الآلة المتخذة من القصب المجوف ويقال لها اليراع أيضا تسمية لها باسم ما اتخذت منه وهو اليراع يعنى القصب وربما عبر عنها بالمزمار العراقى وتصحيح مذهب الشافعى رضى الله عنه يختلف فيها فالرافعى رحمه الله يجيز سماعها والنووى يمنع من ذلك

الصنف العاشر

(المسكرات وآلاتها وهى عدة أشياء)

منها الخمر وهى ما اتخذ من عصير العنب خاصة وهى محرمة بنص القرآن قال تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وأبو حنيفة يبيحها للتداوى والعطش ولم تبح عند الشافعية الا لاساغة لقمة المغصوص خاصة وشاربها يحد بالاتفاق وحكم بنجاستها تغليظا فى الزجر عنها وأباح أبو حنيفة المثلث وهو ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه وقال بطهارته وجرى عند أصحابنا الشافعية وجه بالطهارة أما المتخذ من الزبيب والتمر وما شاكله فانما يقال له نبيذ وقد ذهب الشافعى رضى الله عنه الى القول بتنجيسه والحد بشربه وان لم ينته منه الى قدر يحصل منه سكر ومنع أبو حنيفة الحد فى القدر الذى لا يسكر ثم للخمر أسماء كثيرة باعتبار أحوال فتسمى الخمر لانها تخمر العقل أى تغطيه والحميا لأنها تحمى الجسد والعقار لانها تعاقر الدن أى تطول مدتها فيه الى غير ذلك من الاسماء التى تكاد تجاوز مائة . ومنها الابريق وهو الاناء الذى يصب منه والابريق فى أصل اللغة ماله خرطوم يصب منه . ومنها القدح وهو اناء من زجاج ونحوه يصب فيه من الابريق المقدم ذكره . ومنها الكأس وهو القدح بعد امتلائه ولا يسمى كأسا اذا كان فارغا بل قدحا كما تقدم . ومنها الكوب بالباء الموحدة وهو الذى لا عروة له يمسك بها أما اذا كانت له عروة فانه يقال له كوز بالزاى المعجمة قلت والعجب ممن يذهب طيباته فى حياته الدنيا ويفوز بما وصفه المرارة وطبعه ازالة العقل الذى به تدرك اللذة ويفوت النعيم المقيم فى دار البقاء فقد ورد أن من شرب الخمر فى الدنيا لم يطعمها فى الآخرة قال العلماء اذا رآها لا يشتهيها ولم تطلبها نفسه وقد وصف الله تعالى حال خمر الجنة بقوله (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون) وأتبع ذلك بكمال النعمة فى قوله (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما) اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فلا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا . ومنها الحشيشة التى يأكلها سفلة الناس وأراذلهم وتسميها الاطباء الشهدانج وعبر عنها ابن البيطار فى مفرداته بالقنب الهندى وهى مذمومة شرعا مضرة طبعا تفسد المزاج وتؤثر فيه الجفاف وغلبة السوداء وتفسد الذهن وتورث مساءة الاخلاق وتحط قدر متعاطيها عند الناس الى غير ذلك من الصفات الذميمة المتكاثرة وكلام القاضى حسين يدل على انه لا يحد متعاطيها وان فسق فانه قال وغير الخمر مثل البنج وجوزماثل والافيون لا يحد متعاطيه بحال بل إن تعمد تناوله فسق به وإن تناوله غلطا أو للتداوى لم يفسق وقد أفرد ابن القسطلانى الحشيشة بتصنيف سماه تكرمة المعيشة فى ذم الحشيشة ذكر الكثير من معانيها ومساوى متعاطيها أعاذنا الله تعالى من ذلك

النوع الثامن

(مما يحتاج الى وصفه الأفلاك والكواكب وفيه مقصدان)

المقصـــد الاول

(فى بيان مايقع عليه اسم الفلك وعدد أكره ومابين كل كرتين وحركة الافلاك فى اليوم والليلة)

أما مايقع عليه اسم الفلك فالمراد بالافلاك السموات قال صاحب مناهج الفكر تواطأت الأمم على تسمية اجرام السموات أفلاكا وقال ابن قتيبة فى أدب الكاتب الفلك مدار النجوم التى يضمها واحتج بقوله تعالى بعد ذكر النجوم (وكل فى فلك يسبحون) قال وسمى فلكا لاستدارته ومنه قيل فلكة المغزل لاستدارتها . وأما شكل الفلك وهيئته فقد اختلف علماء الهيئة فى ذلك فذكر الأكثرون منهم أنها كرية لامسطحة لأن أسرع الاشياء حركة السموات وأسرع الاشكال حركة الكرة لانها لاتثبت على مكان من الامكنة الا بأصغر أجزائها . وأما عدد أكره فقد ذكر الجمهور من علماء الهيئة ان الفلك عبارة عن تسع أكر متسقة ملتفة بعضها فوق بعض التفاف طبقات البصلة بحيث يماس محدب كل كرة سفلى مقعر كرة أخرى عليا اذ لاخلاء بينهما عندهم قالوا وأقرب هـذه الاكر الى الارض كرة القمر ثم كرة عطارد ثم كرة الزهرة ثم كرة الشمس ثم كرة المريخ ثم كرة المشـترى ثم كرة زحل ثم كرة الكواكب الثابتـة ثم كرة الفلك الاطلس وسمى بالاطلس لانه لاكواكب فيه ثم الفلك المحيط و يسمى فلك الكل وفلك الافلاك والفلك الاعلى والفلك الأعظم وحكى البومحى فى كتاب الآراء والديانات ان بعض القدماء ذهب الى أن كرة الشمس أعلى من سائر كرات الكواكب و بعـدها كرة القمر و بعـدها كرة الكواكب المتحـيرة ثم كرة الكواكب الثابتة والمتفلسفون من الاسلاميين لما حكمت عليهم نصوص الكتاب والسـنة بالاقتصار على ذكر سبع سموات زعموا أن الفلك الثامن من الافلاك التسعة هو الكرسى والفلك التاسع هو العرش وذهب بعض القدماء من علماء الهيئة الى أن فوق الكرة التاسعة كرة عاشرة هى المحركة لسائر الاكر وذهب آخرون الى أن وراء نهاية الاجرام السماوية خلاء لانهاية له وذهب بعض الفلاسفة الى أن وراءها عالم الصورة ثم عالم النفس ثم عالم السياسة ثم عالم العلة الاولى و يعنون به البارى تعالى عن الجهة والصابئة يسمون هذه العوالم أفلاكا . وأما مابين كل كرتين فذهب أهل الهيئة الى أنها متراصة لاخلاء بينها لكن قد ورد الشرع بما يخالف ذلك فأطبق القصاص من أهل الأثر على ان بين كل سماء وسماء خمسمائة سنة وفى سنن الترمذى أن بين كل سماء وسماء واحدة

أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة[1] (وأما حركة الافلاك اليومية فان الفلك الاطلس المقدم ذكره يتحرك بما في ضمنه في اليوم والليلة حركة واحدة دورية على قطبين مائلين يسميان قطبي العالم أحدهما عظمى تقطع هذا الفلك نصفين تسمى دائرة معدل النهار لان الشمس متى حلت بها اعتدل النهار في سائر الاقطار وتقاطع هذه الدائرة دائرة أخرى متوهمة تقسم هذا الفلك بنصفين على نقطتين متقابلتين يصير نصفها في شمالي معدل النهار ونصفها الآخر في جنوبيه ويسمى منطقة البروج وهذه الدائرة ترسمها الشمس بحركتها الخاصة في السنة الشمسية ومن ثم قسمت اثنى عشر قسما ويسمى كل قسم منها برجا)

المقصد الثاني

(في ذكر الكواكب ومحلها من الافلاك وهو على ضربين)

الضرب الاول

(الكواكب السبعة السيارة)

وهي زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ويتعلق القول بها من جهة مراتبها واشتقاق أسمائها ومقادير أبعادها من الارض وقدر محط كل كوكب منها

فأما القمر فأخوذ من القمرة وهي البياض سمي بذلك لبياضه وقد تقدم ان فلكه أقرب الافلاك الى الارض وهو المعبر عنه بالسماء الدنيا ودوره ألف ومائة وخمسة وثمانون ميلا وهو جزء من تسعة وثلاثين جزأ من الارض وبعده عن الارض مائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة وتسعون ميلا وهو يسمى هلالا الليلة الاولى والثانية والثالثة ثم هو قمر الى آخر الشهر ويسمى في ليلة أربع عشرة بالبدر قيل لمبادرته الشمس قبل الغروب وقيل لتمامه وامتلائه كما قيل لعشرة آلاف بدرة لانها تمام العدد ومنتهاه ويستسر ليلة في آخر الشهر وربما استسر ليلتين فلا يرى بمعنى أنه يختفي فلا يرى ويسمى هذا الاختفاء السرار

وأما عطارد فمعناه النافذ في الامور ولذلك سمي الكاتب وهو في الفلك الثاني بعد فلك القمر ودور قرصه سبعمائة وعشرون ميلا وهو جزء من اثنين وعشرين جزأ من الارض وبعد ما بينه وبين الارض مائتا ألف وخمسة آلاف وثمانمائة ميل

وأما الزهرة فأخوذة من الزاهر وهو الأبيض سميت بذلك لبياضها وهي في الفلك الثالث من القمر ودور قرصها ستة آلاف وسبعة وأربعون ميلا وهي جزء من ستة وثلاثين جزأ من الارض وبعدها عن الارض خمسمائة ألف وخمسة وثلاثون ألفا وستمائة وأربعة عشر ميلا

---

(١) هكذا بالاصل

وأما الشمس فسميت بذلك لتشبهها بالشمسة وهى الواسطة التى فى المخنقة لأن الشمس واسطة بين ثلاث كواكب سفلية وهى القمر وعطارد والزهرة وبين ثلاثة علوية وهى المريخ والمشترى وزحل وذلك أنها فى الفلك الرابع من القمر ودور قرصها مائة ألف وثمانمائة وثمانون ميلا وهى مثل الارض مائة وست وستون مرة وربع وثمن مرة وبعدها عن الارض ثلاثة آلاف ألف وخمسة آلاف واثنان وتسعون ألفا ومائة وثلاثة وأربعون ميلا

وأما المريخ فمأخوذ من المرخ وهو شجر تحتك أغصانه فتورى النار فسمى بذلك لتشبهه بالنار فى احراره . وقيل المريخ فى اللغة هو السهم الذى لا ريش له والسهم الذى لا ريش له يلتوى فى سيره فسمى النجم المذكور بذلك لكثرة التوائه فى سيره وهو فى الفلك الخامس من القمر وهو مثل الارض مرة ونصف وبعده عن الارض ثلاثة آلاف ألف وتسعمائة ألف واثنا عشر ألفا وثمانمائة وستة وستون ميلا

وأما المشترى فسمى بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه وقيل لأنه نجم الشراء والبيع عندهم وهو فى الفلك السادس من القمر ودور قرصه أحد وتسعون ألفا وتسعمائة وتسعة وسبعون ميلا وهو مثل الارض خمس وسبعون مرة ونصف وثمن مرة وبعده عن الارض ثمانية وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا ومائتا ميل

وأما زحل فمأخوذ من زحل اذا أبطأ سمى بذلك لبطئه فى سيره وقد فسر به بعض المفسرين قوله تعالى (النجم الثاقب) ودور قرصه تسعون ألفا وسبعمائة وتسعة عشر ميلا وبعده عن الارض ستة وأربعون ألف ألف ومائتا ألف وسبعمائة وسبعة وسبعون ميلا وأهل المغرب يسمون زحل المقاتل ويسمون المريخ الاحمر ويسمون عطارد الكاتب والفرس يسمون الكواكب السبعة بأسماء بلغتهم فيسمون زحلا كيوان والمشترى تير والمريخ بهرام والشمس مهر والزهرة أناهيد وعطارد هرمس والقمر ماه واعلم أن لكل من هذه الكواكب السبعة حركتين احداهما قسرية وهى حركته بحركة فلك الكل فى اليوم والليلة حركة تامة وتسمى الحركة السريعة والثانية حركة ذاتية يتحرك فيها هو بنفسه من المغرب الى المشرق وتسمى الحركة البطيئة ويختلف الحال فيها بالسير باختلاف الكواكب فلكل واحد منها سير يخصه وهذه الحركة فى القمر أبين لسرعة سيره اذ يقطع الفلك بالسير من المغرب الى المشرق فى كل ثمانية وعشرين يوما مرة وقد مثل القدماء من الحكماء للحركتين المذكورتين بمثالين أحدهما بحركة السفينة براكبها الى جهة جريان الماء وتحرك الراكب فيها الى خلاف تلك الجهة والثانى تحرك نملة تدب على دولاب الى ذات الشمال والدولاب يدور الى ذات اليمين

الضرب الثانى

(الكواكب الثابتة)

وهى الكواكب التى فى الفلك الثامن على رأى علماء الهيئة وسميت ثابتة لأنها ثابتة بمكانها من الفلك لا تتحرك من المغرب الى المشرق كما تتحرك السبعة السيارة الا حركة يسيرة جدا وانما تتحرك بحسب حركة فلك الكل بها من المشرق الى المغرب فى اليوم والليلة والذى يحتاج الى ذكره منها الكواكب المشهورة مما تتعرف به الأزمنة على ما تقدم ذكره أو ما يدخل تحت الوصف والتشبيه وهى ثلاثة أصناف

الصنف الاوّل

(نجوم البروج التى تنتقل فيها الشمس فى فصول السنة وهى اثنتا عشرة صورة فى اثنى عشر برجا بعضها من منازل القمر وبعضها من صور أخرى جنوبية وشمالية وبعضها من كواكب متفرقة لا تنسب الى صورة)

الاوّل الحمل — وهو الكبش وهو صورة كبش على خط وسط السماء مقدمه فى المغرب ومؤخره للمشرق وأول ما يطلع منه فمه وهو الكوكب الجنوبى المنفرد من الكوكبين الشماليين من مفصل اليد من الشرطين وعلى قرنيه الكوكبان الجنوبيان المقتربان من الشرطين وعلى عينه اليمنى الكوكب الشمالى المضىء من الشرطين وعلى عينه اليسرى كوكب خفىّ بقرب الشمالى من الشرطين وعلى جبينه آخر مثله وعلى مفصل يده الكوكبان الشماليان اللذان على عقب الرجل اليسرى من الثريا وهو الذى يقال له البطين ويده وساقاه ممتدان الى الشمال وكأنه انما يظهر منه يد واحدة ورجل واحدة والثريا على طرف أليته

الثانى الثور — وهو صورة ثور على خط وسط السماء مقدمه الى المشرق ومؤخره الى المغرب وظهره الى الشمال ويداه ورجلاه الى الجنوب وعلى مؤخره أربعة كواكب تسمى القطع أى هى موضع ذنبه المقطوع والدبران وجهه وركن الدبران فمه والكوكب المضىء الذى فى الدبران عينه وكوكبان خارجان عن الدبران فردة قرنه وقرنه الآخر كوكب متباعد عن الدبران نفسه الى الشمال وليس وجهه مستويا ولكنه شبيه بالمقطوع الذى جعل خدّه على رأس عنقه ويداه منحطتان الى الجنوب ويظهر منه رجل واحدة ويدان وذنبه أبتر والثريا خارجة عنه الى الشمال وكذلك اللطخة وهى ثلاثة أنجم تشبه الثريا بين الثريا والدبران وليستا من صورته

الثالث التوأم — وهو المعبر عنه فى ألسنة الناس بالجوزاء قال الحسين بن يونس الحاسب فى كتابه فى هيئة الصور الفلكية والناس مخطئون فى ذلك وانما الجوزاء هى الصورة المعروفة بالجبار

فى الصور الجنوبية وقدم التوأم الأيمن بعض كواكب الجبار التى على تاجه قال والتوأم على خط وسط السماء جسدان ملتصقان برأسين يظهر لكل واحد منهما يد واحدة ورجل واحدة والرأسان فى جهة المشرق ورجلاهما فى جهة المغرب والذراع الشامى هو الرأسان ويده اليمنى وهى التى فى جهة الشمال هى الذراع اليمانى والمضىء من الذراع اليمانى يسمى الشعرى الغميصاء ويده اليسرى ممتدة الى التوابع

الرابع السرطان ــ وهو صورة سرطان على وسط السماء رأسه الى الشمال ومؤخره الى الجنوب والنثرة على صدره وعيناه كوكبان خفيان تحت النثرة تدعيان بالحمارين وزناباه كوكبان فيهما خفاء وأحدهما أضوأ من الآخر يكونان شماليين من التوأم ومؤخره كف الأسد

الخامس الأسد ــ فى وسط السماء فمه مفتوح الى النثرة وعلى رأسه كواكب مضيئة والطرف على عنقه والجبهة على صدره وقلبه الكوكب الجنوبى المضىء من النثرة وهو عظيم النور وكاهله كواكب خفيـة خارجة عن الطرف والجبهة الى الشمال والخرتان خاصرته والطرفة ذنبه وكفه المتقدم فى آخر السرطان وكفه الأخرى بعد هذا الكف الى المشرق ورجله الاولى تخرج من الكوكب القبلى من الخرتان الى الجنوب والأخرى تحت هذه للمشرق وكبده كوكب يتوسط مع الجبهة شمالى منها وسائر فقراته الى المشرق

السادس العذراء ــ فى وسط السماء قال حسين بن يونس والعرب تسميها السنبلة وهو خطأ وانما هى حاملة السنبلة رأسها فى الشمال بميلة الى المغرب ورجلاها فى الجنوب وهى مستقبلة المشرق وظهرها الى المغرب قال ورأسها كواكب صغار مستديرة كاستدارة رأس الانسان تكون جنوبية من كوكبى الخرتان ومنكباها أربعة كواكب تحت هذه الى الشرق وجناحها الأيمن ستة كواكب كهيئة الجناح

السابع الميزان ــ وهو صورة ميزان كفتاها الى جهة المشرق وقبها الى جهة المغرب والسماك الأعزل على قبها من الجهة اليمنى ومقابله كوكب آخر على قبها من الجهة الشمالية وكوكب آخر خارج من وسطها الى المغرب على علاقتها وهو على قصبة السنبلة وكوكبان من الغفر على محامله مع كواكب أخر وزبانا العقرب كفتاه

الثامن العقرب ــ وهو صورة عقرب على وسط السماء رأسه فى المغرب وذنبه فى المشرق واحدى رجليه فى الجنوب والأخرى فى الشمال والغفر على رأسه والزبانان اللذان هما كفتا الميزان زباناه وعيناه كوكبان خفيان فيما بينهما وبين الاكليل والاكليل على صدره والقلب هو قلبه ونياط القلب كوكبان خفيان والقلب فى وسطهما وهو خارج عنهما الى الشمال والشولة ذنبه

(١) والكواكب التى على طرفها جبهته وإبرته لطخة مستطيلة فيما بين الشولة والنعايم الصادر ففيه من منازل القمر خمس منازل وهى الغفر والزبانان والاكليل والقلب والشولة وأظهر ما تكون صورة العقرب وهو على الأنف عند الغروب ففيه من منازل القمر ثلاث منازل الاكليل والقلب والشولة

التاسع القوس — ويسمى الرامى ونجوم هذا البرج نصفه يشبه فرس وهو مؤخره الى جهة المغرب ونصفه وجه انسان بقوس وهو فى جهة المشرق ورأسه فى الشمال ورجلاه فى الجنوب والنعايم الواردة على وسطه وهو على الجسد الذى يشبه بدن القوس وذنبه يشبه لطخة مستطيلة مع كوكب صغير تحتها والكواكب تدعيان أى النعايم والبلدة على مقبض القوس ويده اليمنى قابضة على رأس السهم وهى كواكب تكون تحت لطخة صغيرة قريبة منها

العاشر الجدى — وهو صورة جدى مستلق على ظهره مقدمه فى المغرب ومؤخره فى المشرق وظهره للجنوب ويداه ورجلاه الى الشمال وهو شبيه بالمنقلب الى القوس وقرناه الى بطنه وفمه الى القوس وليس له الا يد واحدة والكوكب الشمالى من سعد الذابح أحد قرنيه والجنوبى منه قرنه الآخر وكوكب آخر خفى تحت سهم القوس غربى سعد الذابح فمه وعلى كتفه سعد بلع وعلى وركه سعد السعود والمضىء من سعد السعود حق وركه وشق الحرث الجنوبى على ظهره وطرف يده ثلاثة كواكب مضيئة بقرب اللامح فيها خفاء وطرف رجله الكوكب المسمى رأس الدلو

الحادى عشر الدلو — وهو صورة رجل قائم بيده دلو رأسه الى الشمال ورجلاه الى الجنوب وظهره الى المشرق ووجهه الى المغرب والكواكب التى تسمى الخباء من سعد الأخبية رأسه ويده اليسرى من فوق رأسه حتى ينزل الى الدلو الذى عن يمينه وسعد الأخبية مرفقه الأيسر وبطنه تسمى الجرة ودلوه أربعة سعود من السعود السبعة التى ليست من منازل القمر هى سعد ناشرة وسعد الملك وسعد البهام وسعد المانح وكل سعد منها كوكبان وعلى رجله اليسرى كوكب عظيم النور وعلى رجله اليمنى كوكب أبيض يقرب فى العظم من الذى قبله والفرع المقدم خارج عن صورته الى الشمال

الثانى عشر الحوت — وهو صورة سمكتين احداهما المنزلة التى تسميها أصحاب المنازل بطن الحوت وهى شمالية والثانية جنوبية عنها وهى أطول منها وأخفى كواكب والكواكب السبعة السيارة برسم الجنوبية منهما بمسيرهن وشق السمكة الجنوبية ثلاثة من السعود السبعة التى من غير منازل القمر هى سعد الهمام وسعد البارع وسعد الماطر وليس الفرع المؤخر فى جسم الحوت بل خارج عنه الى الشمال والمغرب

---

(١) هذه الصحيفة كاصلها

الصــنف الثــانى

(نجوم منازل القمر التى ينتقل فيها القمر من أول الشهر الى الثامن والعشرين منه وهى ثمان وعشرون منزلة بداخل أكثرها صور البروج الاثنى عشر المتقدمة)

الاولى الشرطان — والشرطان تثنية شرط وهو العلامة كأنه سمى بذلك لكونه علامة على طلوع الفجر عند طلوعه وتسمى أيضا النطح والناطح لأنهما عند أصحاب الصور قرنا الحمل وهما كوكبان نيران بينهما قاب قوسين أحدهما فى الشمال والآخر فى الجنوب الى الجانب الجنوبى منها كوكب ألطف منه يعدّ معه أحيانا ولذلك يسمى بعضهم هذه المنزلة الاشراط على الجمع لا على التثنية وهذه الثلاثة الكواكب اذا ظهرت فى المشرق ظهرت كأنها مقلوبة منكسة وواحد منها أحمر مضىء وتحته آخر خفى والثالث فى الشمال وهو أحمر مضىء

الثانية البطين — تصغير بطن وانما صغر فرقا بينه وبين بطن الحوت الآتى ذكره فى جملة المنازل والبطين ثلاثة كواكب مثل أثافى القدر وهى الشكل المثلث الذى ينصب عليه القدر عند الطبخ وهى على القرب منها فى موضع بطن الحمل من الصورة وواحد منها مضىء واثنان خفيان والخفيان يطلعان قبل المضىء

الثالثة الثريا — ويسمى النجم علما عليها وبه فسر قوله تعالى (والنجم اذا هوى) وهى ستة أنجم صغار يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم وهى فى شكل مثلث متساوى الساقين وبين نجومها نجوم صغار جدا كالرشاش ومطلعها الى الشمال عن مطلع الشرطين والبطين وأول ما يطلع منها ويغيب هو الجانب العريض دون الأخاذ منها وهى عند أصحاب الصور بالقرب من محل ذنب الثور المقطوع قال ابن يونس وليست من صورة الثور وبعضهم يسميها ألية الحمل لقربها منه

الرابعة الدبران — ويسمى تالى النجم لكونه يطلع تلو الثريا وربما سمى حادى النجم لذلك ويسمى أيضا المجدح وعين الثور وهذه المنزلة سبعة أنجم تشبه شكل الدال واحد منها مضىء أحمر عظيم النور واسم الدبران واقع عليه فى الاصل ثم غلب عليه وعلى باقى المنزلة وهذه الكواكب السبعة عند أصحاب الصور هى رأس الثور وأول ما يطلع منه طرف الدال ويكون رمحها الى الجنوب وفتحها الى الشمال والكوكب الاحمر المضىء هو آخر ما يطلع منها والعرب تقول للكوكبين القريبين منه كلباه والباقى غنمه وربما قالوا قلاصه ويقولون فى خرافاتهم انّ الدبران خطب الثريا الى القمر فقالت ما أصنع بسبروت فساق اليها الكواكب المسماة بالقلاص مهرا فهربت منه فهو يطلبها أبدا ولا يزال تابعا لها ومن ثم قالوا فى أمثالهم أوفى من الجارى وأغدر من الثريا

الخامسة الهقعة – سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون فى عنق الفرس وقدمر القول عليها فى الكلام على أوصاف الخيل وهى ثلاثة كواكب محاذية صغار تسمى الأثافى وهى على أعلى القدم اليسرى من التوأم المعبر عنه بالجوزاء

السادسة الهنعة – وهى خمسة أنجم على شكل الصولجان أربعة منها على خط مستقيم الثالث منها يسمى قوس الجوزاء والخامس منعطف الى جهة الجنوب مقدار شبر فى رأى العين وسميت هنعة لانعطافها أخذا من قولهم هنعت الشئ اذا عطفته وبعضهم يسميها التحية وهى عند أصحاب الصور خلاف لأحد التوأمين المعبر عنهما بالجوزاء ويقال الهنعة قوس الجوزاء يرمى بها ذراع الاسد وقائل ذلك يزعم أنها ثمانية أنجم فى صورة قوس من مقبضها النجمان اللذان يقال لهما الهنعة وبعضهم يقول ان الهنعة كوكبان مقترنان الشمالى منهما أضوأ وهما وحذاؤهما ثلاثة كواكب تسمى التحايى وربما عدل القمر فنزل بها

السابعة الذراع – وهى كوكبان أحدهما نير والآخر مظلم بينهما قدر سوط فى رأى العين وفيما بينهما كواكب صغار تسميها العرب الاظفار وسميت هذه المنزلة بالذراع لانها عندهم ذراع الاسد وللاسد ذراعان مقبوضة وفيها ينزل القمر وهى جنوبية وسميت مقبوضة لان الاخرى أرفع منها فى السماء ولهذا سميت مبسوطة وهى مثلها فى الصورة وأصحاب الصور يجعلون هذه الذراع فى صورة الكلب الاصغر وربما عدل القمر عن المقبوضة فنزل بها

الثامنة النثرة – وهى لطخة كقطعة سحاب يجعلها أصحاب الصور على صدر السرطان وسميت نثرة لأن الى جانبها نجمين صغيرين هما عند العرب على منخرى الاسد وتسميها الحمارين وقيل انها لما كانت امام جبهة الاسد شبهت بشئ نثره من أنفه ويقال انها فم الاسد ومنخراه وتسمى اللهاة أيضا وتشبه بالمعلف

التاسعة الطرف – وهى كوكبان خفيان مقترنان بين يدى الجبهة سميا بذلك لموقعهما موقع عينى الاسد وقدامهما ستة كواكب صغار تسميها العرب الاشفار اثنان منها فى نسق الطرف والاربعة البواقى بين يديه

العاشرة الجبهة – ثلاثة كواكب نيرة قد عدل أوسطها الى الشرق فهى لذلك على شكل مثلث مستطيل القاعدة قصير الساقين والى الجنوب عنها نجم أحمر مضئ جدا يسمى قلب الاسد يرسمه المنجمون فى الاسطرلاب وأصحاب الصور يجعلون الجبهة على كتف الاسد

الحادية عشرة الخرتان – وتسمى الزبرة وعرق الاسد والزبرتين وهما كوكبان نيران بينهما فى رأى العين مقدار ذراعين وهما معترضان ما بين المشرق والمغرب يمتدان عند التوسط مع خط الاستواء وسميا الخرتان تشبيها بثقبين فى السماء ومنه خرت الابرة وتحت هذين النجمين تسعة

أنجم صغار وسميت الزبرة لشعر يكون فوق ظهر الاسد مما يلى خاصرته وعدوا الجميع احد عشر كوكبا منها نجمان هما الخرتان والتسعة الشعر

الثانية عشرة الصرفة - وهى كوكب نير وهو عند أصحاب الصور قنب الاسد والقنب وعاء القضيب وبالقرب من هذا الكوكب سبعة أنجم صغار طمس ملاصقة له وسمى هذا الكوكب بالصرفة لانصراف الحر عند طلوعه مع الفجر من المشرق وانصراف البرد اذا غرب مع الشمس ويقال الصرفة باب الدهر لا يعبر عن فصل الزمانين ويتشكل مع الخرتان مثلث له زاوية قائمة واحدى ساقيه أطول من الأخرى وفى قاعدته قصر

الثالثة عشرة العوا - وهى خمسة كواكب نيرة على شكل لام كان اعتبر ابتداؤها من الشمال وعطفها من جهة الجنوب لكن المصطف منها أربعة والمنعطف واحد ويقال لها أيضا وركى الاسد وتشبهها العرب بكلاب تعوى خلف الاسد لانها وراءه ولذلك سميت العوا وأصحاب الصور يجعلونها فى السنبلة على صدرها

الرابعة عشرة السماك - وهو السماك الاعزل وهو كوكب نير يميل لونه الى الزرقة وسمى سماكا لكونه قريبا من سمت الرأس وسمت الرأس أعلى ما يكون من الفلك وسمته العرب الاعزل لانه يطلع الى جانبه نجم مضىء يسمونه السماك الرامح لكوكب صغير بين يديه والاعزل لاشئ بين يديه ففرق بينهما وأحدهما جنوبى وهو المنزلة وأصحاب الصور يثبتون السماكين الاعزل والرامح فى صورة العذرا وهى السنبلة والعرب تجعلهما ساقى الاسد وربما عدل القمر فنزل بعجز الاسد وهو أربعة كواكب بين يدى السماك الاعزل يقال لها عرش السماك وتسمى أيضا الخبا والاحمال والغراب وهذه المنزلة حد ما بين المنازل اليمانية والمنازل الشامية فما كان أسفل من مطلعه فهو يمانى وهو شق الجنوب وما كان فوقه فهو شامى وهو شق الشمال

الخامسة عشرة الغفر - ثلاثة كواكب خفية على خط فيه تقويس وسميت بذلك لخفائها مأخوذة من المغفرة التى تستر الذنب وتخفيه يوم القيامة ومنه المغفر الذى فوق الرأس وقيل لأنها زبانا العقرب وقيل مأخوذة من الغفرة وهى الشعر الذى فى طرف ذنب الأسد وأصحاب الصور يجعلونها بين ساقى الأسد

السادسة عشرة الزبانان - وهما كوكبان نيران هما عند العرب يد العقرب يترس بهما أى يدفع عن نفسه وأصحاب الصور يجعلونهما كفتى الميزان وبينهما فى رأى العين قدر قامة الرجل

السابعة عشرة الاكليل - وهو ثلاثة كواكب مجتمعة فى خفاء الغفر مصطفة معترضة بين كل كوكب وكوكب منها قدر ذراع فى رأى العين سميت بذلك لانها فوق جبهة العقرب كالتاج وهى عند أصحاب الصور على عمود الميزان

الثامنة عشرة القلب — وهو كوكب أحمر نير مضطرب قريب من الجبهة بين كوكبين خفيين تسميهما العرب نياطى القلب أى علاقتيه وسمته أصحاب الصور قلبا لوقوعه موضع القلب من صورة العقرب والقلوب أربعة هذا أحدها والثانى قلب السمكة والثالث قلب الثور والرابع قلب الأسد وحيث ذكر القلب على الاطلاق دون اضافة فالمراد قلب العقرب هذا

التاسعة عشرة الشولة — وهى كواكب متقاطرة على تقويس فى برج العقرب أشبه شئ بذنب العقرب اذا شالته ولذلك سميت الشولة وفى الشولة كوكبان خفيان ملتصقان يظهران كأنهما كوكب واحد مشقوق يسميان الابرة والحمة وخلفهما نجم صغير لا يزايلهما يقال له التابع وقال قوم انما ينزل القمر الشولة على المحاذاة ولا يحط اليها لأنها منحدرة عن طريقه وربما نزل بالسفار فيما بين القلب والشولة وهى ستة كواكب بيض منعطفة

العشرون النعايم — وكواكبها ثمانية منها أربعة يمانية نيرة تتشكل مربعا فيه أطراف تسمى الواردة وهى المنزلة وسميت واردة لأنها لما كانت قريبة من المجرة شبهت بنعام وردت نهرا والاربعة الأخرى تسمى النعايم الصادرة لأنها لما كانت بعيدة من المجرة شبهت بنعام وردت ثم صدرت والواردة التى هى المنزلة عند أصحاب الصور واقعة فى يد الرامى الذى يجذب بها القوس

الحادية والعشرون البلدة — وهى فرجة فى السماء مستديرة شبه الرقعة ليس فيها كواكب والبلدة فى كلام العرب الفرجة من الارض و يقال لصدر الانسان البلدة لأنها قطعة مستطيلة ويدل عليها ستة كواكب مستديرة صغار خفية تشبه القوس وبعضهم يسميها الادحى لأن بالقرب منها كواكب تسميها العرب البيض لقربها من النعايم وربما عدل القمر فنزل بالادحى وأصحاب الصور يجعلون البلدة على جبهة الرامى

الثانية والعشرون سعد الذابح — وهو كوكبان صغيران بينهما فى رأى العين أقل من قدر ذراع أحدهما مرتفع فى ناحية الشمال والآخر منخفض فى ناحية الجنوب سمى سعدا لانهمال الامطار فى أيام طلوعه وسمى ذابحا لقوة البرد فى ابان طلوعه فتموت المواشى ببرده وقيل سمى ذابحا لان بالقرب من نجمه الشمالى نجم صغير كأنه ملتصق به تقول العرب هو شاته التى تذبح ولذلك جعلوا الذابح صفة لسعد بخلاف سائر السعود فانها تضاف اليها ما بعدها كما قاله الزجاج فى مقدمة أدب الكاتب وأصحاب الصور يثبتون هذا السعد فى موضع قرنى الجدى من الصورة

الثالثة والعشرون سعد بلع — وهو نجمان أيضا يشبهان سعد الذابح فى المسافة التى بينهما لكن أحد الكوكبين خفى وهو الذى بلعه وهذا السعد عند أصحاب الصور على كعب ساكب الماء

القريب من صورة الدلو وسمى بلع لانه فى أيام طلوعه تغيض الانهار وتزيد الآبار فكأن الارض ابتلعت ماءها وقيل لانه يطلع فى الوقت الذى قيل فيه (يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى) زمن نوح عليه السلام

الرابعة والعشرون سعد السعود — وعدته كوكبان أيضا على ما تقدم فى السعدين من البعد وقيل هو ثلاثة كواكب أحدها نير والآخرين دونه فى النور وأصحاب الصور يثبتونه على صدر ساكب الماء من صورة الدلو وربما قصر القمر فنزل سعد ناشرة وهو أسفل من سعد السعود ويسمى أصحاب الصور نجميه بالمحبين وهما فى مؤخر الجدى ومنهم من يثبت سعد السعود نجما واحدا

الخامسة والعشرون سعد الاخبية — والناس مختلفون فيه فمنهم من يقول انه كوكب واحد حوله ثلاثة كواكب مثلثة تشبه رجل بطة والكوكب هو السعد والثلاثة الخباء ومنهم من يجعل الكوكب الذى فى وسط الثلاثة عمود الخباء وهو عند أصحاب الصور على الكتف الشرقية من جسد ساكب الماء وسمى سعد الأخبية لخروج المخبئات فيه من الثمار والحشرات وكانت العرب تتبرك به لاخضرار العود فيه

السادسة والعشرون الفرع المقدم — ويقال فيه مقدم الدلو والفرع الاول والفرع الاعلى وعرقوة الدلو العليا وهو كوكبان نيران بينهما فى رأى العين نحو من خمسة أذرع وأصحاب الصور يزعمون أن الشمالى منها على متن الفرس

السابعة والعشرون الفرع المؤخر — ويقال له مؤخر الدلو السفلى وهو كوكبان يشبهان ما تقدم أحدهما شمالى والآخر جنوبى وهما عند أصحاب الصور على مؤخر الفرس وربما قصر القمر فنزل فى الكرب الذى فى وسط العراقى وربما نزل ببلدة الثعلب

الثامنة والعشرون الحوت — وهو آخر المنازل ويقال لها السمكة وتسمى الرشا أيضا وهى ثمانية عشر كوكبا تتشكل شكل سمكة رأسها فى جهة الشمال وذنبها فى جهة الجنوب وفى الشرقى منها كوكب نير يسمى سرة الحوت وبطن الحوت وبطن السمكة وقلب السمكة وربما عدل القمر فنزل بالسمكة الصغرى وهى من السمكة الكبرى فى الشمال مثل صورتها الا أنها أعرض منها وأقصر وأصحاب الصور يجعلون الكوكب النير من الحوت فى حد المرأة المسلسلة ورأسها هو الشمالى من الفرع المؤخر

الصنف الثالث

(من النجوم الثوابت ماليس داخلا فى شئ من البروج ومنازل القمر مما هو مشهور مما ذكرته العرب فى شعرها وشبهت به وضربت به الأمثال)

وهى عدة نجوم . منها بنات نعش وهى سبعة أنجم على القرب من القطب الشمالى منها أربعة فى صورة نعش وثلاثة أمامه مستطيلة وهى المعبر عنها بالبنات وتعرف هذه ببنات نعش الكبرى وبالقرب منها سبعة أنجم على شكلها . ومنها الجدى الذى تعرف به القبلة وهو نجم صغير على القرب من القطب الشمالى يستدل به على موضع القطب ويقال له جدى بنات نعش الصغرى . ومنها الفرقدان وهما كوكبان متقاربان معدودان فى بنات نعش . ومنها السها وهو كوكب خفى فى بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم لخفائه . ومنها السماك الرامح وهو غير الاعزل المقدم ذكره فى منازل القمر سمى رامحا لكوكب يقدمه تقول العرب هو رمحه بخلاف الاعزل فانه الذى لارمح معه . ومنها النسر الواقع وهو ثلاثة أنجم كأنها أثافى سمى الواقع لأنهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون قد ضمهما اليه كأنه طائر وقع . ومنها النسر الطائر سمى بذلك لأنهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون قد بسطهما كأنه طائر والعامة تسميه الميزان . ومنها الكف الخضيب وهو كف الثريا المبسوطة ولها كف أخرى يقال لها الجذما وهى أسفل من الشرطين . ومنها العيوق وهو فى طرف المجرة الأيمن وعلى أثره ثلاثة كواكب بينة يقال لها الاقلام وهى من مواقع العيوق . ومنها سهيل وهو كوكب أحمر منفرد عن الكواكب ولقربه من الأفق كأنه أبدا يضطرب وهو من الكواكب اليمانية قال ابن قتيبة ومطلعه عن يسار مستقبل قبلة العراق قال وهو يرى فى جميع أرض العرب ولا يرى فى شئ من بلاد أرمينية . ومنها الشعريان العبور وكانت تعبد فى الجاهلية لقوله تعالى (وانه هو رب الشعرى) وهى فى الجوزاء والشعرى الغميصاء ومع كل واحدة منهما كوكب يقال له المرزم . ومنها سعد ناشرة وسعد الملك وسعد البهام وسعد الهمام وسعد البارع وسعد مطر وكل سعد منها كوكبان بين كل كوكبين فى رأى العين قدر ذراع فهى متناسقة وهذه السعود الستة غير السعود الاربعة المتقدمة فى منازل القمر تكون جملة السعود عشرة فاذا عرف الكاتب أحوال الأفلاك والكواكب وأسماءها وصفاتها عرف كيف يصفها عند احتياجه الى وصفها وكيف يعبر عنها عند جريان ذكرها كما قال بعضهم يمدح بعض الرؤساء

لازلت تبقى وترقى للعلى أبدا * مادام للسبعة الأفلاك أحكام
مهر وماه وكيوان وتير معا * وهرمس وأناهيد وبهرام

مشيرا بذلك الى ذكر الأفلاك السبعة ومالها من الكواكب السبعة السيارة بالاسماء الفارسية المقدم ذكرها وكما قال الطغرائى فى لامية العجم

وان علانى من دونى فلا عجب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

مشيرا الى كون فلك زحل أعلى من فلك الشمس لما تقدم انها فى الرابع وهو فى السابع وكما قال بعضهم يصف خضرة السماء ومالها من الكواكب

كأن سماءنا والشهب فيها * وأصغرها الأكبرها مزاحم
بساط زمرد نثرت عليه * دنانير يخالطها دراهم

وكما قال ذو الرمة وقد ذكر الثريا

يدف على آثارها دبرانها * فلا هو مسبوق ولا هو يلحق
بعشرين من صغرى النجوم كأنها * واياه فى الخضراء لو كان ينطق
قلاص حداها راكب متعمم * الى الماء من جوز التنوفة مطلق

مشيرا الى ما تقدم من خطبة الدبران الثريا وهربها منه وامهاره اياها بالقلائص وهى النجوم التى حولها وكما قال أبو الفرج الببغا ذاكرا حال مختف يرجى له الظهور

سيخلص من هذا السرار وانما * هلال توارى فى السرار كما خلص

مشيرا بذلك الى حالة توارى القمر حالة السرار ثم خلوصه عند اهلاله

النـــوع التاســع

(مما يحتاج الكاتب الى وصفه العلويات مما بين السماء والارض وهى على أصناف)

الصـــنف الاول

(الريح)

وهى مؤنثة يقال هبت الريح تهب هبوبا وتجمع على رياح وقد دل الاستقراء على أنها حيث وردت فى القرآن الكريم فى معرض العذاب كانت بلفظ الافراد وحيث وردت فى معرض الرحمة كانت بلفظ الجمع قال تعالى فى جانب العذاب (فأرسلنا عليهم الريح العقيم) وقال (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) وقال فى جانب الرحمة (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) وقال جلت قدرته (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) الى غير ذلك من الآيات ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتدت الريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد ورد

القرآن الكريم بأن الله تعالى هو الذى يرسلها قال تعالى (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) وذهبت الفلاسفة الى أنها تحدث عن الطبيعة وان سببب ذلك دخان يرتفع من الارض فيضربه البرد فى ارتفاعه فينتكس ويتحامل على الهواء ويحركه الهواء بشدة فيحصل الريح وأصول الرياح أربعة

الاولى الصبا — وهى التى تأتى من المشرق وتسمى القبول أيضا لأنها فى مقابلة مستقبل المشرق قال فى صناعة الكتاب وأهل مصر يسمونها الشرقية لأنها تأتى من مشرق الشمس وهى التى نصر بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب كما أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله نصرت بالصبا

الثانيـة الدبور — ومهبها من مغرب الشمس الى حدّ القطب الجنوبى وسميت الدبور لأن مستقبل المشرق يستدبرها وتسمى الغربيـة لهبوبها من جهـة المغرب وبها هلكت عاد كما أخبر عليه السلام بقوله وأهلكت عاد بالدبور

الثالثة الشمـال — ويقال فيها شمـال وشمأل وشامل وشأمل مهموزا وغير مهموز ومهبها من حدّ القطب الشمالى الى مغرب الشمس وسميت شمالا لأنها على شمال من استقبل المشرق قال فى صناعة الكتاب وتسمى البحرية لانها يسار بها فى البحر على كل حال

الرابعة الجنوبية — ومهبها من حدّ القطب الأسفل الى مطلع الشمس وتسمى بالديار المصرية القبلية لأنها تأتى من القبلة فيها وتسمى بها أيضا المريسية لان فى الجهة القبلية بلاد المريس وهم ضرب من السودان وهى أردأ الرياح عنـد أهل مصر وقال النحاس وكل ريح جاءت من مهبى ريحين فهى النكباء سميت بذلك لانها نكبت عن مهاب هذه الرياح وعدلت عنها قال فى فقه اللغة واذا جاءت بنفس ضعيف وروح فهى النسيم وان ابتدأت بشـدّة قيل لها النافجة فان حركت الاغصان تحريكا شديدا وقلعت الاشجار قيل زعزع فان جاءت بالحصباء قيل حاصبة واذا هبت من الارض كالعمود نحو السماء قيل لها إعصار وقد ورد بها القرآن فى قوله تعالى (فأصابها اعصار فيـه نار) والعامة تسميها الزوبعـة ويزعمون أن الشيطان هو الذى يثيرها ومن ثم سماها الترك نعيمك يعنى الشيطان فاذا كانت باردة فهى الصرصر وقد وقع ذكرها فى قوله تعالى (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) فاذا لم تلقح شجرا ولم تحمل مطرا فهى العقيم وقد قال تعالى فى قصـة عاد (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) كانت لا مطر فيها

الصـــنف الثانى

(السحـاب)

وهو الاجرام التى تحمل المطر بين السماء والارض ينشئها الله سـبحانه وتعـالى كما أخبر بقوله (وينشئ السحاب الثقال) ويسوقها الى حيث يشاء كما ثبت فى الصحيح أن رجلا سمع صوتا من سحابة

اسق حديقــة فلان وذهب الحكماء الى أنه بخار متصاعد من الارض مرتفع من الطبقة الحارة الى الطبقة الباردة فينقل و يتكاثف و ينعقد فيصــير سحابا قال الثعالبى فى فقه اللغة وأول ما ينشأ يقال له النشء فاذا انسحب فى الهواء قيــل له سحاب فاذا تغيرت به السماء قيــل له غمام فان سمع صوت رعده من بعيــد قيل فيه عقر فاذا أظل قيل عارض وقد أخبر تعالى عن قوم عاد بقوله (فلما رأوه عارضا مســتقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) فان كان بحيث اذا رؤى ظن أن فيه مطرا قيــل له مخيلة فان كان السحــاب أبيض قيل له مزن فاذا هراق ما فيه قيل جهــام وقيل الجهام هو الذى لا مطر فيه وقد أولع أهل النظم والنثر بوصفه وتشبيهه

الصـــنف الثالث

(الرعــــد)

وهو صوت هــائل يسمع من السحاب وقد اختلف فى حقيقته فروى أنه صوت ملك يزجر به السحاب وقيل غير ذلك والنصــيرية من الشيعة يزعمون أنه صوت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنــه حيث زعموا أن مسكنه السحاب وذهبت الفلاســفة الى أنه دخان يتصاعد من الارض ويرتفع حتى يتصل بالسحاب ويدخل فى تضاعيفه ويبرد فيصير ريحا فى وسط الغيم فيتحرك فيه بشدة فيحصل منه صوت الرعد ويقال منه رعدت السماء فاذا زاد صوتها قيل ارتجست فاذا زاد قيل أرزمت ودوت فاذا اشتد قيل قصفت وقعقعت فاذا بلغ النهاية قيل جلجلت وهدهدت

الصـــنف الرابع

(الـــبرق)

وهو ضوء يرى من جوانب السحاب وقد اختلف فيه أيضا فروى أن الرعد صوت ملك يزجر به السحاب وأن البرق ضحكه والنصيرية من الشيعة يزعمون أنه ضحك أمير المؤمنين على رضى الله عنه أيضا والفلاســفة يقولون انه دخان يرتفع من الارض حتى يتصــل بالسحاب كما تقدم فى الرعد ثم تقوى حركته فيشــتعل من حرارة الحركة الهواء والدخان فيصير نارا مضيئة وهو البرق ويقــال ومض البرق اذا لمع لمعانا قويا وأومض اذا لمع لمعانا خفيــا فان أطمع فى المطر ثم ظهر أن لا مطر فيه قيل خلب

الصـــنف الخامس

(المطـــر)

وهو الماء الذى يخلقه الله تعالى فى السحاب و يسوقه الى حيث يشاء وقد ذهب الحكماء الى أنه بخار يتصاعد من الارض أيضا(١) فيه أوفى حرارة الشمس أوفيهما فيجتمع وربما أعانت الريح

(١) كذا بالاصل

على جمعه بأن تسوق البعض الى البعض حتى يتلاحق فاذا انتهى الى الطبقة الباردة تكاثف وصار ماء وتقاطر كالبخار الذى يتصاعد من القدر و ينتهى الى غطاء القدر وعنده أدنى برودة فينعقد قطرات ثم للمطر زمان يكثر فيه وزمان يقل فيه وقد رتب العرب ذلك على أنواء الكواكب التى هى منازل القمر وجعلوا لكل منها نوأ ينسب اليه قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب الانواء الكبير كانت العرب تقول لا بد لكل نوء كوكب من أن يكون فيه مطر أو ريح أو غيم أو حر أو برد ينسبون ما كان فيه من ذلك اليه وقد اختلف فى معنى النوء فذهب ذاهبون الى أن النوء فى اللغة النهوض وذهب الفراء الى أنه السقوط والميلان وذهب آخرون الى أنه على النهوض والسقوط جميعا على أنهم متفقون أن العرب كانت ترى الامر للسقوط دون الطلوع فمن ذهب الى أن المراد بالنوء السقوط يجريه على بابه ومن ذهب الى أن المراد بالنوء النهوض يقول انما سمى نوأ لطلوع الكوكب لا لسقوط الساقط ومنهم من يطلق النوء على السقوط وان كان موضوعه فى اللغة النهوض من باب التفاؤل كما يقال للديغ سليم وللمهلكة مفازة على أن بعضهم قد ذهب الى أن الكوكب ينوء بمعنى ينهض ثم يسقط فاذا سقط فقد مضى نوؤه ودخل نوء الكوكب الذى بعده قال أبو حنيفة الدينورى وهو التأويل المشهور الذى لا ينازع فيه لأن الكوكب اذا سقط النجم الذى بين يديه أطل هو على السقوط وكان أشبه حالا بحال الناهض وقد عدها أبو حنيفة ثمانية وعشرين نوأ بعدد منازل القمر المتقدمة الذكر وذكر أن بعضها أجهر وأشهر من بعض . الاول نوء الشرطين وهو ثلاث ليال وأثره محمود عندهم . الثانى نوء البطين وهو ثلاث ليال وليس بمذكور عندهم ولا محمود قال ابن الاعرابى يقال انه ما ناء البطين والدبران أو أحدهما فكان له نظر الا كان ذلك العام يكون جدبا . الثالث نوء الثريا وهو خمس ليال وقيل سبع وأثره محمود عندهم مشهور . الرابع نوء الدبران وهو ثلاث ليال وقيل ليلة وليس بمحمود عندهم ولم يسمع فى أشعارهم له ذكر . الخامس نوء الهقعة وهو ست ليال ولا يذكرون نوءها الا بنوء الجوزاء التى الهقعة رأسها والجوزاء مذكورة النوء مشهورة . السادس نوء الهنعة وهو ثلاث ليال لا يكاد ينفرد عن نوء الجوزاء . السابع نوء الذراع المقبوضة وهى خمس ليال وقال ابن كناسة ثلاث ليال وهو أول أنواء الاسد وأثره محمود عندهم موصوف وربما نسب الى المرزم وهو أحد كوكبى الذراع المذكورة وربما نسب الى الشعرى الغميصاء وهو كوكبها الآخر الذى هو أنور من المرزم وقد ذكر العرب مع الذراع المقبوضة الذراع المبسوطة فجمعهما معا فى النوء وهما لا ينوآن معا بل ولا يطلعان معا لكن لكثرة صحبة احداهما للأخرى فى الذكر واجتماعهما فى اسم واحد مع تجاورهما وكونهما عضوى صورة واحدة وهى صورة الاسد . الثامن نوء النثرة وهو سبع ليال وله عندهم ذكر مشهور . التاسع نوء الطرفة وهو ست ليال ولم يسمع به مفرد الغلبة الجبهة الآتية الذكر عليه .

العاشر نوء الجبهة وهو سبع ليال وذكره مشهور لديهم . الحادى عشر نوء الزبرة ونوؤها أربع ليال وقلما تنفرد لغلبة الجبهة عليها أيضا . الثانى عشر نوء الصرفة وهو ثلاث ليال ولا يكاد يوجد لها ذكر عندهم فى أشعارهم . الثالث عشر نوء العواء وهو ليلة واحدة وليس من الانواء المشهورة . الرابع عشر نوء السماك الاعزل وهو أربع ليال وله ذكر مشهور وكثيرا ما يذكر معه السماك الرامح وليس له نوء معه ولكنهما متقاربان فى الطلوع وحينئذ فافراد السماك الرامح بالنوء خطأ . الخامس عشر نوء الغفر وهو ثلاث ليال وقيل ليلة وما بينه وبين نوء الهنعة المتقدمة الذكر من أنواء الاسد وهى ثمانية أنواء أولها الذراع وآخرها نوء السماك وليس له فى السماء نظير فى كثرة الانواء . السادس عشر نوء الزبانا وهو ثلاث ليال . السابع عشر نوء الاكليل وهو أربع ليال . الثامن عشر نوء القلب وهو ليلة واحدة وليس بمحمود . التاسع عشر نوء الشولة وهو ثلاث ليال وقلما يذكر . العشرون نوء النعائم وهو ليلة واحدة وليس له ذكر . الحادى والعشرون نوء البلدة وهو ثلاث ليال وقيل ليلة . الثانى والعشرون نوء سعد الذابح وهو ليلة واحدة . الثالث والعشرون نوء سعد بلع وهو ليلة واحدة . الرابع والعشرون نوء سعد السعود وهو ليلة وليس بمحمود ولا مذكور . الخامس والعشرون نوء سعد الاخبية وهو ليلة واحدة . السادس والعشرون نوء الفرع المقدم وهو أربع ليال وله ذكر مشهور . السابع والعشرون نوء الفرع المؤخر وهو أربع ليال وله ذكر أيضا . الثامن والعشرون نوء الحوت وهو ليلة واحدة وليس بالمذكور من حيث انه يغلب عليه ما قبله وما بعده فلا يذكر قال أبو حنيفة الدينورى والايام فى هذه الانواء تابعة لليالى لتقدم الليل عليها قال وانما جعلوا لهذه النجوم أنواء موقوتة وان لم تكن جميع فصول السنة مظنة الامطار لانه ليس منها وقت الا وقد يكون فيه مطر وقال ابن قتيبة أول المطر الوسمى سمى بذلك لانه يسم الارض بالنبات ثم الربيع ثم الصيف ثم الحميم قال الثعالبى عن أبى عمرو فى اقتبال الشتاء الخريف ثم الوسمى ثم الربيع ثم الصيف ثم الحميم

الصنف السادس

(الثلج)

وهو شئ ينزل من الهواء كالقطن المندوف فيقع على الجبال وعلى سطح الارض فتذيب الشمس منه ما لاقته شدة حرارتها و يبقى فى أماكن مخصوصة من أعالى الجبال بالأمكنة الباردة جميع السنة وقد ذكر الحكماء انه بخار يتصاعد من الارض الى الهواء كما يتصاعد المطر فيصيبه برد شديد قبل أن ينعقد قطرات فيتساقط أجزاء لطيفة ثم ينعقد بالارض اذا نزل اليها ويوصف بشدة البرد وشدة البياض وسيأتى الكلام على ما ينقل منه من الشام الى ملوك الديار المصرية فى خاتمة الكتاب ان شاء الله تعالى

الصنف السابع

(البرد) بفتح الراء

وهو حب يسقط من الجو وقد ذكر الحكماء انه بخار يتصاعد من الارض أيضا ويرتفع فى الهواء فلا تدركه البرودة حتى يجتمع قطرات ثم تدركه حرارة من الجوانب فتنهزم برودتها الى مواطنها فتنعقد وحب هذا البرد متفاوت المقادير منه ماهو قدر الحمص فمادونه ومنه ماهو فوق ذلك ويذكر أنه يقع منه ماهو بقدر بيض الحمام والدجاج قال الحكماء ولا يتصور وقوعه الا فى الخريف والربيع ويوصف بما يوصف به الثلج من شدة البرد وشدة البياض ويشبه به أسنان الانسان الناصعة البياض

الصنف الثامن

(قوس قزح)

وهو قوس يظهر فى الجو من حمرة وخضرة وقد ورد النهى عن تسميته قوس قزح وتسميته قوس الله لان قزح اسم للشيطان قال الحكماء والسبب فيه ان الهواء اذا صار رطبا بالمطر مع أدنى صقالة صار كالمرآة والمحاذى له اذا كان الشمس فى قفاه يرى الشمس فى الهواء كما يرى الشمس فى المرآة ويشتبك ذلك الضوء بالبخار الرطب فيتولد منه هذا القوس قال الحكماء ويكون له ثلاثة ألوان يعنون حمرة بين خضرتين أو خضرة بين حمرتين وربما لا يكون اللون المتوسط ويكون مرتفعا ارتفاعا قريبا من الارض فان كان قبل الزوال رؤى ذلك القوس فى المغرب وان كان بعد الزوال رؤى فى المشرق واذا كانت الشمس فى وسط السماء فلا يمكن أن يرى الا قوسا صغيرا فى الشتاء ان اتفق وفيه تشبيهات للشعراء يأتى ذكرها فى آخر المقالة العاشرة ان شاء الله تعالى

الصنف التاسع

(الهالة)

وهى الدائرة التى تكون حول القمر قال الحكماء والسبب فيها ان الهواء المتوسط بين البصر وبين القمر صقيل رطب فيرى القمر فى جزء منه وهو الجزء الذى لو كان فيه مرآة لرؤى القمر فيها ثم الشئ الذى يرى فى مرآة من موضع لو كانت فيه مرائى كثيرة محيطة بالبصر وكانت موضوعة على تلك النسبة فيرى الشئ فى كل واحد من المرائى فاذا تواصلت المرائى رؤى فى الكل فترى حينئذ دائرة ولأهل النظم والنثر فيها وصف وتشبيه

الصـــنف العـاشر

(الحــر)

وسلطـانه أواخرفصل الربيع وأوائل فصل الصـيف والسبب فيه مسامتة الشمس للرؤس فتشـتد ثائرة فى الهواء وجرم الارض لاسيما الحجاز ومافى معناه وأهـل النظم والنثر مولعون بوصف شدة حره

الصـــنف الحـادى عشر

(البرد)

وسلطانه أواخرفصـل الخريف وأوائل فصل الشـتاء وأهل النظم والنثر مكثرون من ذكره ووصفه حتى انه ربما أفرد بعض الناس ماقيل فيه وفى وصفه بالتصنيف

الصـــنف الثـانى عشر

(الهبـاء)

وهوالذى يحصل من ضوء الشمس عند مقابلتها كوة يدخل منها الضوء فيكون شبه عمود ممتد من الكوة الى حيث يقع ضوء الشمس من الارض وفيه أجزاء لطيفة متفـاوتة تحس بالنظردون اللمس وقد شبه الله تعالى به أعمـال الكفار فى القيامة فقال جل من قائل (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ومن الناس من يزعم ان الواحدة من أجزائه هى المراد بالذرة المذكورة فى القرآن بقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ولاهل النظم والنثر أيضا فيه الوصف والتشبيه

النوع العاشر

(ممـا يحتاج الكاتب الى وصفه الاجسام الأرضية وهى على أصناف)

الصـــنف الاول

(الجبـال والأودية والقفـار)

فأما الجبال فهى أوتاد الارض أرسى الله تعـالى بها الارض حيث مادت لما دحاها الله تعـالى على المـاء وقد روى ان الكعبة كانت رابية حمراء طافة على وجه المـاء قبل أن يدحى الله الارض وأن الارض منها دحيت فلما مادت وأرسيت بالجبال كان أول جبل أرسى منها جبل أبى قبيس بمكة المشرفة فلذلك هو أقرب الجبال من الكعبة مكانا وقد نقل ان قاف جبل محيط بالدنيا عنه تتفرع جميع جبال الارض والله أعلم بحقيقة ذلك وتوصف الجبال بالعظمة فى القـدر والعلو

وصعوبة المسلك ومايجرى مجرى ذلك . وأما الاودية فهى وهاد فى خلال الجبال جعلها الله تعالى مجارى للسيل ونبات الزرع ومدارج الطرق وغير ذلك وتوصف بالاتساع وبعد المسافة والعمق وربما وصفت بخلاف ذلك . وأما القفار فهى البرارى المتسعة الأرجاء الخالية من الساكن وتوصف بالسعة وبعد المسافة وقلة الماء والايحاش وصعوبة المسلك ومايجرى مجرى ذلك

الصنف الثانى

(المياه الارضية وهى على ضربين)

(الضرب الاول - الماء الملح)

ووقع فى لغة الامام الشافعى رضى الله عنه الماء المالح وهو أحد العناصر الاربعة وسيأتى فى الكلام على الارض فى المقالة الثانية أنه محيط بالارض من جميع جهاتها الاما اقتضته الحكمة الالهية لعمارة الدنيا من كشف بعض ظاهرها الأعلى وأنه تفرعت منه بحار منبثة فى جهات الارض لتجرى السفن فيها بما ينفع الناس وقد ذكر الحكماء أن فى الماء الملح كثافة لا توجد فى الماء العذب ومن أجل ذلك لا ترسب فيه الاشياء الثقيلة كما ترسب فى الماء العذب حتى يقال ان السفن التى تغرق فى البحر الملح لا تبلغ أرضه بخلاف التى تغرق فى الانهار فانها تنزل الى قعرها وشاهد ذلك انك اذا طرحت فى الماء العذب بيضة دجاجة ونحوها غرقت فيه فاذا أذبت فى ذلك الماء ملحا بحيث يغلب على الماء وطرحت فيه البيضة عامت وقد اختلف فى الماء الملح هل هو كذلك من أصل الخلقة أو عرضت له الملوحة بسبب ما لاقاه من سبخ الارض على مذهبين ومن خصائص البحر الملح أنه فى غاية الصفاء حتى انه يرى ما فى قعره على القرب من شطه و يوصف البحر بالسعة والطول والعرض وكثرة العجائب حتى يقال فى المثل حدث عن البحر ولا حرج

(الضرب الثانى - الماء العذب)

قالت الحكماء والسبب فيه ان الابخرة تتصاعد من قعر الارض فتدخل فى الجبال وتحتبس فيها ولا تزال تتكامل و يتحصل منها مياه عظيمة فتنبعث لكثرتها وهو على ثلاثة أنماط

النمط الاول ماء الانهار - وهى ما بين صغار وكبار وقريبة المدى وبعيدته وقد وردت الاخبار بأن أفضلها خمسة أنهار وهى سيحون وجيحون والدجلة والفرات ونيل مصر والنيل أفضل الخمسة وأعذبها وأخفها ماء على ما سيأتى ذكره فى المقالة الثانية ان شاء الله تعالى وفى الانهار الكبار تسير السفن

النمط الثانى العيون - وهى مياه تنبع من الارض وتعلو الى سطح الارض ثم تسرح فى فنى قد حفرت لها وهى منبثة فى كثير من الاقطار

النمط الثالث البئار – وهى حفائر تحفر حتى ينبع الماء من أسفلها ويرتفع فيها ارتفاعا لا يبلغ أعلاها وقد اختلف فى الماء الذى نبع من الارض هل هو الذى نزل من السماء أو غيره فذهب ذاهبون الى انه هو الذى نزل من السماء محتجين لذلك بقوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) الآية وذهب آخرون الى أن الذى ينبع من الارض غير الذى نزل من السماء محتجين بقوله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا) و يوصف الماء للاستحسان بالعذوبة والصفاء والرقة والخفة وشدة البرد وفى معناه الشبم و يشبه فى شدة البرد بالزلال وهو مايتربى داخل الثلج فى تجاويف توجد فيه فيكون من أشد الماء بردا

الصنف الثالث
(النبات وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الاول
(فى أصل النبات)

قد ذكر المسعودى فى مروج الذهب أن آدم عليه السلام لما هبط الى الارض خرج من الجنة ومعه ثلاثون قضيبا مودعة أصناف الثمر منها عشرة لها قشر وهى الجوز واللوز والجلوز والفستق والبلوط والشاه بلوط والصنوبر والنارنج والرمان والخشخاش ومنها عشرة لثمرها نوى وهى الزيتون والرطب والمشمش والخوخ والاجاص والغبيراء والنبق والعناب والمخيطا والزعرور ومنها عشرة ليس لها قشر ولا نوى وهى التفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتين والاترج والخرنوب والتوت والقثاء والبطيخ

المقصد الثانى
(فيما تختص به أرض دون أرض من أنواع النبات)

اعلم أن النبات منه ما يوجد فى كثير من الآفاق ومنه ما يختص ببعض الاماكن دون بعض وقد حكى أبو بكر بن وحشية فى كتاب الفلاحة النبطية أن ببلاد سجلماسة من جنوبى بلاد المغرب الأقصى شجرة ترتفع نصف قامة أو أرجح ورقها كورق الغار اذا عمل منها اكليل ولبسه الرجل على رأسه ومشى أوعدا أو عمل عملا لم ينم مادام ذلك الاكليل على رأسه ولا يناله من ضرر السهر وضعف القوة ما ينال من سهر وعمل وفى بلاد افرنجة شجرة اذا قعد الانسان تحتها نصف ساعة مات وان مسها ماس أو قطع منها غصنا أو ورقة أو هز هامات . قلت ومما يختص بأرض دون أرض البلسان وهو شجرة لطيفة على نحو ذراع تتفرع فروعا لا تنبت فى سائر الدنيا الا فى الديار المصرية

بموضع مخصوص من بلدة يقال لها المطرية على القرب من مدينة عين شمس وتسقى من بئر هنالك ويقال انه اغتسل فيها المسيح عليه السلام ولذلك النصارى يعظمون البلسان ويتبركون به

المقصـــد الثـالث

(في ذكر أصناف النبات التي أولع الكتاب والشعراء بوصفها وتشبيهها وهي على أضرب)

الضرب الاول — ماله ساق وهو الشجر وأكثر ما أولع أهل النظم والنثر بثمارها أو نورها في الوصف والتشبيه نثرا ونظما كاللوز والفستق والجلوز وهو البندق والشاهبلوط وهو القصطل والصنوبر والرمان والجلنار والاجاص والقراصيا والزعرور والخوخ والمشمش والعناب والنبق والعنب والتين والتوت والتفاح والسفرجل والكمثرى والتفاح والخروب والاترج والنارنج والليمون والطلع والبلح والبسر والتمر والرانج وهو جوز الهند والتجار يسمونه النارجيل وربما وقع الوصف والتشبيه لبعض أصول الشجر كالنخل والكرم وغيرهما

الضرب الثاني — ماليس له ساق وقد أولعوا بالوصف والتشبيه منه فمن ذلك الزرع من البر والشعير ونحوهما ويتبع ذلك نور الباقلاء وكذلك الخشخاش والكتان والبطيخ الهندى وهو الاخضر والخراساني وهو العبدلى نسبة الى عبد الله بن طاهر فانه أول من نقله من خراسان الى مصر والبطيخ الصيني وهو الاصفر والرسنتبو وهو المعروف باللفاح والقثاء والخيار والباذنجان والسلجم وهو اللفت والجزر والثوم والبصل والكراث والرساس والهليون والنعناع وغير ذلك

الضرب الثالث — الفواكه المشمومة والذى أولع بوصفه وتشبيهه منه الورد على اختلاف ألوانه من أحمر وأبيض وأصفر وأزرق وأسود والنسرين والبان والخلاف والنينوفر والبنفسج والنرجس والياسمين والآس والزعفران والريحان

الضرب الرابع — الازهار والذى وقع الولوع بوصفه وتشبيهه من ذلك الخيرى وهو المنثور من أصفر أو أزرق والسوسن والادرعن وهو ورد أصفر له ريح والخزم وهو الخزامى والشقيق ويسمى الشقاق ويقال له شقائق النعمان لأن النعمان بن المنذر حمى ظهر الكوفة وبه هذا النبات فعرف به والبهار وهو نور أحمر والاقحوان وغير ذلك

الضرب الخامس — الرياض وهي الأماكن المشتملة على الاشجار والازهار والمياه الجارية ونحو ذلك وقد اتفق جوابو الارض على أن مستنزهات الارض أربعة مواضع وهي سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق وقد أكثر الشعراء في وصف الرياض وولع الكتاب بمثل ذلك

الطرف الثالث من الباب الاول من المقالة الاولى

(فى صنعة الكلام ومعرفة كيفية انشائه ونظمه وتأليفه وفيه مقصـدان)

المقصـــد الاول

(فى الاصول التى يبنى الكلام عليها وهى سبعة أصول)

الاصـــل الاول

(المعرفة بالمعانى والنظر فيه من وجهين)

الوجه الاول

(فى شرف المعـانى وفضلها)

اعلم أن المعانى من الالفاظ بمنزلة الابدان من الثياب فالالفاظ تابعة والمعانى متبوعة وطلب تحسـين الالفاظ انمـا هو لتحسين المعانى بل المعـانى أرواح الالفاظ وغايتها التى لأجلها وضعت وعليها بنيت فاحتياج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى أشـد من احتياجه الى تحسين اللفظ لانه اذا كان المعنى صوابا واللفظ منحطا ساقطا عن أسـلوب الفصاحة كان الكلام كالانسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه واذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الانسان الميت الذى لاروح فيه ولو كان على أحسـن الصور وأجملها قال الوزير ضياء الدين ابن الاثير فى المثل السائر ومما رأيتـه من المدّعين لهذا الفن الذين حصـلوا منـه على القشور وقصروا معرفتهم على الالفـاظ المسجوعة الغثة التى لا حاصل وراءها أنهم اذا أنـكرت هذه الحـالة عليهم وقيـل لهم ان الكلام المسجوع ليس عبارة عن تواطئ الفقر على حرف واحد فقط اذ لو كان عبارة عن هذا وحده لأمكن أكثر النـاس أن يأتوا به من غير كلفة وانمـا هو أمر وراء هذا وله شروط متعدّدة فاذا سمعوا ذلك أنـكروه لخلوهم عن معرفته واذا أنـكر عليهم الاقتصار على الألفاظ المسجوعة وهدوا الى طريق المعانى يقولون لنا أسوة بالعرب الذين هـم أرباب الفصاحة فانهم انمـا اعتنوا بالألفاظ ولم يعتنوا بالمعانى اعتناءهم بالألفاظ فلم يكفهم جهلهم فيمـا ارتكبوه حتى ادّعوا الأسوة بالعرب فيه فصارت جهالتهم جهالتين قال ولم يعلموا أن العرب وان كانت تعتنى بالألفـاظ فتصلحها وتهذبها فان المعانى أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا فى نفوسها ولمـا كانت الألفاظ عنوان المعـانى

وطريقها الى اظهار أغراضها أصلحوها وزينوها وبالغوا فى تحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى النفس وأذهب بها فى الدلالة على القصد ألا ترى ان الكلام اذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه واذا لم يكن مسجوعا لم يأنس به أنسه فى حالة السجع فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية اذ ذاك انما هى بالألفاظ فقط بل هى خدمة منهم للمعانى فصار ذلك كابراز صورة الحسناء فى الحلل الموشاة والأثواب المحبرة فانا قد نجد من المعانى الفاخرة ما يسوؤه من حسنه بذاذة لفظه وسوء العبارة عنه قال أبو هلال العسكرى رحمه الله ومن عرف ترتيب المعانى واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة أخرى تهيأله فيها من صنعة الكلام ما تهيأله فى الاولى ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من اللسان الفارسى وحولها الى اللسان العربى فلا يكمل لصناعة الكلام الا من تكمل لاصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال قال فى المثل السائر واعلم أن المعانى الخطابية قد حصرت أصولها وأول من تكلم فى ذلك حكماء اليونان غير أن الحصر كلى لا جزئى ومحال أن تحصر جزئيات المعانى وما يتفرع عليها من التفريعات التى لانهاية لها لا جرم أن ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر اليه فان البدوى البادى راعى الابل ما كان يمر شئ من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتى بالسحر الحلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا قال ولقد فاوضنى بعض المتفلسفين فى هذا وانساق الكلام الى شئ ذكره لأبى على بن سينا فى الخطابة والشعر وذكر ضربا من ضروب الشعر اليونانى يقال له اللوغاذيا وقام فأحضر كتاب الشفا لأبى على ووقفنى على ما ذكره فلما وقفت عليه استجهلته فانه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان وكل هذا الذى ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربى شيأ ثم مع هذا جميعه فان معول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابى انه يورد على مقدمتين ونتيجة وهذا مما لم يخطر لأبى على بن سينا ببال فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع عمله وعند افاضته فى صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان والنتيجة له ببال ولو أنه فكر أولا فى المقدمتين والنتيجة ثم أتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشئ ينتفع به ولطال الخطب عليه قال بل ان اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه فى وقت نظمه وعندهم فكرة فى مقدمتين ولا نتيجة وانما هذه أوضاع توضع وتطول بها مصنفات كتبهم فى الخطابة والشعر وهى كما يقال

قعاقع ليس لها طائل * كأنها شعرا لأبيوردى

الوجه الثـانى

(فى تحقيق المعانى ومعرفة صوابها من خطئها وحسنها من قبحها وقد قسم صاحب الصناعتين المعانى على خمسة أصناف)

الصـــنف الاول

(ما كان من المعانى مستقيماً حسناً كقولك رأيت زيداً وهو أعلى الأنواع الخمسة وأشرفها)

قال فى الصــناعتين والمعنى الصحيح الثابت ينادى على نفســه بالصحة ولا يحوج الى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيبا . فأما المعنى المستقيم الجزل من النظم فمن الوعظ قول النمر بن تولب يذم طول الحياة

يود الفتى طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل
يكاد الفتى بعــد اعتدال وصحة * ينوء اذا رام القيام ويحمــل

وقول أبى العتاهية فى الوعظ بزوال العز والنعمة بالموت

وكانت فى حيـاتك لى عظاة * وأنت اليوم أوعظ منك حيـا

وفى وصف الايام قول أبى تمام

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

ومن المدح قول أمية بن أبى الصلت

عطاؤك زين لامرئ ان حبوته * بسيب وما كل العطـاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشـين

وقول أبى تمام

يســتعذبون مناياهم كأنهم * لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقول الآخر

هم الاولى وهبوا للمجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

ومن الفخر قول معن بن أوس

لعمرك ما أهــديت كفى لريبــة * ولا حملتنى نحو فاحشــة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لهـا * ولا دلنى رأيى عليهـا ولا عقـلى
وأعــلم انى لم تصبنى مصيبـــة * من الدهر الا قد أصابت فتى قبلى

ولست بماش ما حييت لمنكر * من الأمر لايمشى الى مثله مثلى
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة * وأوثر ضيفى ما أقام على أهلى

وقول الآخر

ولست بنظار الى جانب الغنى * اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وقول الشنفرى

أطيل مطال الجوع حتى أميته * وأضرب عنه القلب صفحا فيذهل
ولولا اجتناب العار لم يلف مشرب * يعاش به الا لدىّ ومأ كل

ومن الغزل قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهنّ أضعف خلق الله أركانا

وقول النظام

توهمه طرفى فآلم خدّه * فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه قلبى فآلم كفه * فمن صفح قلبى فى أنامله حفر
ومرّ بفكرى خاطرا فجرحته * ولم أر خلقا قط تجرحه الفكر

ومن التشبيب قول القائل

ومن عجب انى أحن اليهم * وأسأل عنهم من أرى وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وقول الآخر

ان لم أزر ربعكم سعيا على حدقى * فان ودّى منسوب الى الملق
تبت يدى ان ثنتنى عن زيارتكم * بيض الصفاح ولوسدّت بها طرقى

ومن الحكمة قول المتنبى

والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

وقول الآخر

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقول الآخر

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

ومن الهجو قول الطرماح فى تميم

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

وقول الآخر

لو اطلع الغراب على تميم * وما فيها من السوآت شابا

الى غير ذلك من معانى الشعر الحسنة البهجة الرائقة . ومما ينخرط فى هذا السلك من النثر ما يحكى ان أعرابيا وقف على عبد الملك بن مروان برملة اللوى فقال رحم الله امرأ لم تمج أذناه كلامى وقدم معاذه من سوء مقامى فان البلاد مجدبة والحال مسغبة والحياء زاجر يمنع من كلامكم والفقر عاذر يدعو الى اخباركم والدعاء احدى الصدقتين فرحم الله امرأ أمر بمير أو دعا بخير ومعانى القاضى الفاضل هى التى ترقص لها القلوب وتطرب لها الألباب ويهجم قبولها على النفوس من غير حاجب ولا بواب فمن ذلك قوله يابنى أيوب لو ملكتم الدهر لا متطيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره فى الهبات دنانير ودراهم وأيامكم أعراس ومآتم فيها على الاموال مآتم والجود فى أيديكم خاتم ونفس حاتم فى نقش ذلك الخاتم فهذا هو السحر الحلال والمعانى التى تخضع لها شم الجبال ولا يقال فيه قيل ولا قال

الصنف الثانى

(ما كان مستقيما قبيحا كقولك قد زيدا رأيت)

قال فى الصناعتين وانما قبح لأنك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير وهذا النوع يسميه علماء المعانى التعقيد وسماه ابن الاثير فى المثل السائر المعاظلة المعنوية وهو تقديم ما الاولى به التأخير كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الصلة على الموصول ونحو ذلك وهو من المذموم المرفوض عند أهل الصنعة لأن المعنى يختل به و يضطرب قال فى المثل السائر وهو ضد الفصاحة لأن الفصاحة هى الظهور والبيان وهذا عار عن هذا الوصف فمن ذلك قول بعضهم

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها فقدم خبر كأن وهو خط عليها فجاء مختلا مضطربا وأقبح منه وأكثر اختلالا قول الفرزدق

الى ملك ما أمه من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره

يريد الى ملك أبوه ما أمه من محارب والمعنى ما أم أبيه من محارب يمدحه بذلك ذما لمحارب وكذلك قوله يمدح خال هشام بن عبد الملك

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

يريد ومامثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه وهو خاله فلما استعمل فيه التقديم والتأخير فى غير موضعه جاء مشوها رثا كما تراه قال الوزير ضياء الدين ابن الاثير وقد استعمل الفرزدق من التعاظل كثيرا كأنه يقصد ذلك و يتعمده لأن مثله لا يجىء الا متكلفا مقصودا والا فاذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على سجيتها وطبعها فى الاسترسال لم يعرض له شئ من هذا التعقيد ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم فى هذا النوع اذ المقصود من الكلام انما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى فاذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما

الصنف الثالث

(ما كان مستقيما ولكنه كذب كقولك حملت الجبل وشربت ماء البحر وما أشبه ذلك)

واعلم أن المعانى المستعملة فى الشعر والكتابة أكثرها جار على هذا الاسلوب خصوصا المعانى الشعرية فانه مقدمات تخييلية توجب فى النفس انقباضا وانبساطا على ماهو مقرر فى علم المنطق وقد قال فى الصناعتين ان أكثر الشعر مبنى على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة والنعوت الخارجة عن العادة والالفاظ الكاذبة من قذف المحصنات وشهادة الزور وقول البهتان ولاسيما الشعر الجاهلى الذى هو أقوى الشعر وأفحله قال وليس يراد منه الا حسن اللفظ وجودة المعنى فهذا الذى سوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه وقيل لبعض الفلاسفة فلان يكذب فى شعره فقال يراد من الشاعر حسن الكلام والصدق يراد من الانبياء عليهم السلام قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع رحمه الله فى كتابه تحرير التحبير وأنا أقول قد اختلف فى المبالغة فقوم يرون ان أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ويحتجون بما جرى للنابغة الذبيانى مع حسان بن ثابت رضى الله عنه فى استدراك النابغة عليه تلك المواقع الجمة فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وان النابغة انما عاب على حسان ترك المبالغة والقصة مشهورة قال والصواب مع حسان وان روى عنه انقطاعه فى يد النابغة وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام ولا يرون من محاسنه الا ما خرج مخرج الصدق وجاء على منهج الحق ويزعمون أن المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن أن يخترع معنى أو يفرع معنى من معنى أو يحلى كلامه شيأ من البديع أو ينتخب ألفاظا موصوفة بصفات الحسن ويجيد تركيبها فاذا عجز عن ذلك كله عدل الى المبالغة يسد بها خلله و يتم نقصه لما فيها من التهويل على السامع ويدعون انها ربما أحالت المعانى فأخرجتها عن حد الامكان الى حد الامتناع قال وعندى أن هذين المذهبين مردودان أما الاول فلقول صاحبه ان خير الكلام ما بولغ فيه وهذا قول من لا نظر له لأنا نرى كثيرا من الكلام والاشعار جاريا على الصدق المحض

خارجا مخرج البحث وهو فى غاية الجودة ونهاية الحسن وتمام القوة وكيف لا والمبالغـة ضرب واحد من المحاسن والمحاسن لا تحصر ضروبها فكيف يقال ان هذا الضرب على انفراده يفضل سائر ضروب المحاسن على كثرتها وهـذا شعر زهير والحطيئة وحسان ومن كان مذهبه توخى الصدق فى شعره غالبا ليس فوق أشعارهم غاية لمترق ألا ترى الى قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

والى قول طرفة

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه فى اليد

والى قوله

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

والى قول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فانك تجد هذه الاشعار فى الطبقة العليا من البلاغة وان خلت من المبالغة والذى يدل على أن مذهب أكثر الفحول ترجيح الصدق فى أشعارهم على الكذب ماروى عن الحرورية امرأة عمران ابن حطان قاضى الصفرية من الخوارج أنها قالت له يوما أنت أعطيت الله تعالى عهدا أن لا تكذب فى شعرك فكيف قلت

فهناك مجزأة بن ثو * ر كان أشجع من أسامه

فقال يا هذه ان هذا الرجل فتح مدينة وحده وما سمعت بأسد فتح مدينة قط وهذا حسان يقول

وانما الشعر لب المرء يعرضه * على المجالس ان كيسا وان حمقا

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

على أن هؤلاء الفحول وان رجحوا هـذا المذهب لا يكرهون ضده ولا يجحدون فضله وقلما تخلو بعض أشعارهم منه الا أن توخى الصدق كان الغالب عليهم وكانوا يكثرون منه ومن أكثر من شئ عرف به كما أن النابغة ومن تابعه على مذهبه لا يكرهون ضد المبالغة والا فكل احتجاج جاء به على النعمان فى الاعتذار جار مجرى الحقيقة كقوله

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

فعائب الكلام الحسن بترك المبالغة فقط مخطئ وعائب المبالغة على الاطلاق غير مصيب وخير الأمور أوساطها والتحقيق ان المبالغة اذا لم تخرج عن حد الامكان ولم تجر مجرى الكذب المحض فانها لا تذم بحال كقول قيس بن الخطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * يرى قائم من دونها من وراءها

فان ذلك من جيد المبالغة اذ لم يكن خارجا مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية فى وصف الطعنة وكذلك قول أبى تمام

تكاد تنتقل الأرواح لو تركت * من الجسوم اليها حين تنتقل

فانه لم يقنع بصحيح المبالغة وقربها من الوقوع فضلا عن الجواز بتقديم كاد حتى قال لو تركت قال وهذا أصح بيت سمعته فى المبالغة وأحسنه وعلى حذه ورد قول شاعر الحماسة وقد بالغ فى مدح ممدوحه فقال

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكرى للشكور مزيد
ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن مالا يستطاع شديد

فان هذا الشاعر ألقى بيده وأظهر عجزه واعترف بقصوره عن شكر بر هذا الممدوح وفطن انه لو اقتصر على ذلك لاحتمل أن يقال له عجزك عن شكره لا يدل على كثرة بره لاحتمال أن يكون لضعف مادتك عن الشكر اذ لا يلزم من عجز الانسان عن شئ تعظيم ذلك الشئ ولا بد لاحتمال أن يكون العجز لضعف الانسان فاحترز عن ذلك بقوله * وما فوق شكرى للشكور مزيد * ثم تمم المعنى بأن قال للشكور للمبالغة فى الشكر فان شكور معدول عن شاكر للمبالغة كما تقدم ثم أظهر عذره فى عجزه بأن قال فى البيت الذى يليه * ولو كان مما يستطاع استطعته * ثم ذيل هذا المعنى باخراج بقية البيت مخرج المثل السائر ليكثر دورانه على الألسنة فيحصل تجديد مدح الممدوح كل حين والتنويه بذكره فى كل زمان حيث قال * ولكن مالا يستطاع شديد * أما اذا خرجت المبالغة عن حد الامكان وجرت مجرى الكذب المحض فانها مذمومة فى الشرع وان كان الشعراء يستبيحون مثل ذلك ولا يتحاشون الوقوع فيه وقد أخبر تعالى عنهم بالكذب بقوله (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) وفى قوله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * اشارة لذلك أيضا . فمن المبالغة فى الشعر المنتهية الى حد الكذب قول البحترى

ولو قست يوما حجلها بحقابها * لكانا سواء لابل الحجل أوسع

وصفها برقة الخصر وغلظ الساق حتى جعل حجلها التى تدور على ساقها أوسع من حقابها الذى يدور على خصرها وأبلغ منه قول الآخر

من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

فجعل الخلخال يجول فى جميع بدنها لكنه ليس من المدح فى شئ لأن الخلخال لو صار وشاحا للمرأة لكانت فى غاية الدمامة حتى تصير فى خلقة الجرو والهر وأبلغ منه قول الآخر

ورحب صدر لو أن الارض واسعة * كوسعه لم يضق عن أهله بلد

فجعل صــدره فى السعة والرحب أوسع من الارض ونحوه قول الآخر

ويوم كطول الدهر فى عرض مثله * ووجدى من هذا وهاذاك أطول

الا أنه استعمل العرض فى غير موضعه اذ الدهر يوصف بالطول لا بالعرض وهو قد جعل له طولا وعرضا ويقرب منه قول أبى الطيب

كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

فجعل كلامه هو الذى يدل عليه من شدة النحول قال الشيخ زكى الدين ابن أبى الأصبع ومما يجرى به التمثيل فى باب المبالغة قول بعض العرب يذم انسانا بقوله فلان تكون له الحاجة فيغضب قبل أن يطلبها وتكون اليه فيردها قبل أن يفهمها وقول بعض بلغاء الكتاب ان من النعمة على المثنى عليك أن لا يخلو من مساعد ولا يخشى من معاند ولا تلحقه نقيصة المكذب ولا يكرهه عوز الأوصاف بالتطلب ولا ينتهى من القول الى منتهى الا وجد بعده مقتضى ووراءه منحى وسيأتى من المبالغة فى أوصاف الخيل والسلاح وغيرها فى قسم الاوصاف من ذلك ما فيه مقنع ان شاء الله تعالى

الصـــــنف الرابـع

(ما كان محالا وهو ما لا يمكن كونه ألبتة كقولك آتيك أمس وأتيتك غدا وما أشبه ذلك)

قال فى الصــناعتين فان اتصــل الكذب بمحال صار كذبا محالا كقولك رأيت قاعدا قائما ومررت بيقظان نائم فانه كذب للاخبار بخلاف الواقع ومحال لعدم امكان الجمع بين النقيضين وقد تقــدم فى النوع الثالث أن أكثر الشــعر مبنى على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة والنعوت الخارجة عن العادة وذلك فى الكذب مما لا نزاع فى كثرته فى الشعر كما تقدم . أما المحال فانه قليــل الوقوع نادر فى النظم والنثر معدود من المعايب محكوم عليــه بالرد فمن ذلك قول (عبد الرحمن بن عبيد الله) القس

وانى اذا ما الموت حل بنفسها * يزال بنفسى قبل ذاك فأقبر

قال العسكرى هذا من المحال الذى لا وجه له قال وهو شبيه بقول القائل اذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله ثم قال وهذا عين المحال الممتنع الذى لا يجوز يريد أنه قد توقف كل من الأمرين على الاخر لأنه لا يوجد الا به فيلزم الدور وهو محال فيحكم فيه بالبطلان وقطع الدور . ومما يلتحق بالمحال وينخرط فى سلكه تناقض المعانى واضطرابها فمن ذلك قول المسيب بن علس فى وصف ناقة

فتسل حاجتها اذا هى أعرضت * بخميصة سرح اليدين وساع

فكأن قنطرة بموضع كورها * ملساء بين غوامض الانساع

واذا أطفت بها أطفت بكلكل * نبض الفرائض مجفر الأضلاع

قال فى الصناعتين وهذا من المتناقض لأنه قال بخميصة ثم قال موضع كورها قنطرة وهى مجفرة الأضلاع فكيف تكون خميصة وهذه صفتها وقريب منه قول الحطيئة

حرج يلاوذ بالكناس كأنه * متطرف حتى الصباح يدور

حتى اذا ما الصبح شق عموده * وعلاه أسطع من سناه منير

وحصى الكثيب بصفحتيه كأنه * خبث الحديد أطارهن الكير

زعم انه لم يزل يطوف حتى أصبح وأشرف على الكثيب فمن أين صار الحصى بصفحتيه وقول المرقش الاصغر

صحا قلبه عنها على ان ذكرة * اذا خطرت دارت به الارض قائما

وكيف صحا عنها من اذا ذكرت دارت به الارض

الصنف الخامس

(ما كان غلطا وهو أن تريد الكلام بشئ فيسبق لسانك الى خلافه كقولك ضربنى زيد وأنت تريد ضربت زيدا)

قال فى الصناعتين فان تعمدت ذلك صار كذبا وهذا النوع أكثر وقوعا من الذى قبله قال وقد وقع فيه الفحول من الشعراء . وأصناف الغلط فى المعانى كثيرة فمن ذلك الغلط فى الاوصاف وهى على وجوه . منها وصف الشئ بخلاف ما هو عليه وذكره بما ينافيه فمن غريب هذا النوع قول الراعى فى وصف المسك ●

يكسو المفارق واللبات ذا أرج * من قصب معتلف الكافور دراج

فجعل المسك من قصب الظبى وهو معاه وجعل الظبى يعتلف الكافور فيتولد منه المسك وهذا من طرائف الغلط وقريب منه قول زهير يصف الضفادع

يخرجن من سربات ماؤها طحل * على الجذوع يخاف الغم والغرقا

ظن أن الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق ونشؤها فيه وقريب منه قول ذى الرمة

اذا انجابت الظلماء أضحت رؤسها * عليهن من جهد الكرى وهى ضلع

فوصف الرؤس بالضلع قال ابن أبى فروة ما أغفلت هذا ولقد قلت لذى الرمة ما علمت أحدا أضلع الرؤس غيرك قال أجل قال فى الصناعتين ومما لم يسمع مثله قط قول عدى بن زيد فى الخمر

والمشرف الهيدب يسعى بها * أخضر مطموثا بماء الحريص

فوصف الخمر بالخضرة والحريص السحابة تحرص وجه الارض أى تقشرها ومنه سميت احدى الشجاج فى الرأس الحارصة لأنها تشق الجلد . ومنها وصف الشئ على خلاف المعهود والعادة المعروفة فمن ذلك قول المرار

وخال على خديك يبدو كأنه * سنا البدر فى دعجاء باد دجونها

والمعروف ان الخيلان سود أو سمر والخدود الحسان انما هى البيض فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى ومثله قول الآخر

كأنما الخيلان فى وجهه * كواكب أحدقن بالبدر

قال أبو هلال العسكرى ويمكن أن يحتج لهذا الشاعر بأن يقال تشبيه الخيلان بالكواكب من جهة الاستدارة لا من جهة اللون ومن ذلك قول امرئ القيس فى وصف الفرس أيضا

وللسوط ألهوب وللساق درّة * وللزجر منه وقع أخرج مهذب

قال أبو هلال العسكرى فلو وصف أخس حمار وأضعفه ما زاد على ذلك وقول القائل

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

فجعل ضربها بالسوط من باب الظلم لأنها لا تحوجه الى ذلك ومن ذلك قول امرئ القيس

وأركب فى الروع خيفانة * كسا وجهها سعف منتشر

شبه ناصية الفرس بسعف النخلة لطولها واذا غطى الشعر عين الفرس لم يكن كريما ومثله قول طرفة يصف ذنب البعير

كأن جناحى مضرحى تكنفا * حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

فجعل ذنبه كثيفا طويلا عريضا وانما توصف النجائب بخفة الذنب ورقة الشعر . ومنها أن يجرى فى مقاصد المعانى على خلاف المألوف المعروف وذلك قول جنادة

من حبها أتمنى أن يلاقينى * من نحو بلدتها ناع فينعاها

لكى يكون فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

واذا تمنى المحب للحبيب الموت فماذا عسى أن يتمنى البغيض لبغيضه وقول الآخر

ولقد هممت بقتلها من حبها * كيما تكون خصيمتى فى المحشر

فذكر أن شدة الحب حملته على قتل محبوبته حتى تخاصمه فى الحشر لطلب حقها وشدة الحب لا تحمل الا على الاكرام والبر على انها قد تكون تكرهه فتترك حقها له حتى لا يطول وقوفها معه للخصام وقول نصيب

فان تصلى أصلك وان تعودى * بهجر بعد ذاك فلا أبالى

والعاشق يلاطف قلب محبوبه ولا يحاجه ويلاينه ولا يلاجه

الاصـــل الثـانى

(من صناعة انشاء الكلام النظر فى الالفاظ والنظر فيهما من وجهين)

الوجـــه الاول

(فى فضـــل الالفـاظ وشـــرفها)

قد تقدم فى الكلام على المعانى أن الالفاظ من المعانى بمنزلة الثياب من الابدان والوجه الصبيح يزداد حسنا بالحلل الفاخرة والملابس البهية والقبيح يزول عنـه بعض القبح كما أن الحسن ينقص حسنه برثاثة ثيابه وعدم بهجة ملبوســه والقبيح يزداد قبحا الى قبحه فالالفاظ ظواهر المعانى تحسن بحسنهـا وتقبح بقبحها وقد قال أبو هلال العسكرى رحمه الله فى كتابه الصـناعتين ليس الشأن فى ايراد المعـانى لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى وانمـا هو فى جودة اللفظ وصفائه وحسنه و بهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف قال وليس يطلب من المعنى الا أن يكون صوابا ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما تقـــدم من نعوته ثم قال ومن الدليـــل على أن مدار البلاغة تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة والاشـعار الرائقة ما عملت لافهام المعانى فقط لأن الردىء من الالفاظ يقوم مقام الجيـــد منها فى الافهام وانمـا يدل حسن الكلام واحكام صنعته ورونق ألفـاظه وجودة مقاطعه و بديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه وأكثر هـــذه الأوصاف ترجع الى الالفـــاظ دون المعانى وتوخى صواب المعانى أحسن من توخى هـــذه الأمور فى الالفـــاظ فلهذا تأنق الكاتب فى الرسالة والخطيب فى الخطبة والشاعر فى القصيدة و يبالغون فى تجويدها و يغلون فى ترتيبها ليدلوا على براعتهم وحذقهم بصناعتهم ولو كان الأمر فى المعـانى لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كدا كثيرا وأسقطوا عن أنفسهم تعبا طويلا وأيضا فان الكلام اذا كان لفظه حلوا عذبا وسلسا سهلا ومعناه وسطا دخل فى جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر كقول الشاعر

ولمـا قضينـا من منى كل حاجة * ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الأباطح

وليس تحت هـــذه الالفاظ كثير معنى وهى رائقة معجبة وانمـا هى ولمـا قضينا الحج ومسحنا بالاركان وشدت رحالنا على مهازيل الابل ولم ينتظر بعضنا بعضا جعلنا نتحدث وتسير بنا الابل فى بطون الأودية واذا كان المعنى صوابا واللفظ باردا فاترا كان مستهجنا ملفوظا ومذموما مردودا كقول أبى العتاهية فى أبى عثمان سعيد بن وهب

مات والله سعيد بن وهب * رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عينى * يا أبا عثمان أوجعت قلبى

الوجه الثانى

(الالفاظ المفردة وبيان ما ينبغى استعماله منها وما يجب تركه)

اعلم أن الذى ينبغى أن يستعمل فى النظم والنثر من الالفاظ هو الرائق البهج الذى تقبله النفس ويميل اليه الطبع وهو الفصيح من الالفاظ دون غيره والفصيح فى أصل اللغة هو الظاهر البين يقال أفصح الصبح اذا ظهر وبان ضوءه وأفصح اللبن اذا تحلت عنه رغوته وظهر وأفصح الاعجمى وفصح اذا أبان بعد أن لم يكن يبين وأفصح الرجل عما فى نفسه اذا أظهره قال فى المثل السائر وأهل البيان يقفون عند هذا التفسير ولا يكشفون عن السر فيه قال وبهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة لأنه يلزم أنه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا جيدا ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحا على أنه قد يكون اللفظ ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو فيكون فصيحا عند واحد دون آخر وليس كذلك بل الفصيح ما لم يختلف فى فصاحته لأنه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ماهى لم يبق فى اللفظ المختص بها خلاف وأيضا فانه لو جىء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين فينبغى أن يكون فصيحا وليس كذلك لأن الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبحه قال وتحقيق القول فى ذلك أن يقال الكلام الفصيح هو الظاهر البين والظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا تحتاج فى فهمها الى استخراج من كتب لغة وانما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة فى كلامهم دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك أن أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الالفاظ سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح اذا من الالفاظ هو الحسن ثم قال والمرجع فى تحسين الالفاظ وقبحها الى حاسة السمع فما يستلذه السمع منها ويميل اليه هو الحسن وما يكرهه وينفر عنه هو القبيح بدليل أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير وصوت الشحرور ويميل اليهما ويكره صوت الغراب وينفر عنه وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك فى صهيل الفرس والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لا خلاف فى أن لفظة المزنة والديمة يستلذهما السمع ولفظة البُعاق قبيحة يكرهها السمع والالفاظ الثلاثة من صفة المطر ومعناها واحد وأنت ترى لفظتى المزنة والديمة وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال وترى لفظ البُعاق وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل وان استعمل فانما استعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من ذوقه غير سليم لا جرم أنه ذم

وقدح فيه ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضا من الجاهلية الأقدمين فان حقيقة الشئ اذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على ما خرج عنها اذا علمت ذلك فلا يوصف اللفظ المفرد بالحسن حتى يتصف باربع صفات

الصفة الاولى

(أن لا يكون غريبا وهو ماليس مأنوس الاستعمال ولا ظاهر المعنى)

ويسمى الوحشى أيضا نسبة الى الوحش لنفاره وعدم تأنسه وتألفه وربما قلب فقيل الحوشى نسبة الى الحوش وهو النفار قال الجوهرى وزعم قوم أن الحوش بلاد الجن وراء رمل يبرين لا يسكنها أحد من الناس فالغريب والوحشى والحوشى كله بمعنى ثم الغريب على ضربين

الضرب الاول — ما يعاب استعماله مطلقا وهو ما يحتاج فى فهمه الى بحث وتنقيب وكشف من كتب اللغة كقول ابن جحدر

حلفت بما أرقلت حوله * همرجلة خلقها شيظم
وما شبرقت من تنوفية * بها من وحى الجن زيزيزم

فالارقال ضرب من السير وهو نوع من الخبب يقال منه أرقلت الناقة ترقل ارقالا والهمرجلة الناقة السريعة وقال أبو زيد الهمرجلة الناقة النجيبة الراحلة والشيظم الشديد الطويل وهو من صفات الابل والخيل والانثى شيظمة والشبرقة القطع يقال شبرقت الثوب اشبرقه شبرقة اذا قطعته وشبرقت الطريق اذا قطعتها والتنوفة المفازة ويقال فيها تنوفية أيضا والوحى هنا الصوت الخفى يقال سمعت وحاة الرعد وهو صوته الممتد الخفى وقوله زيزيزم حكاية لاصوات الجن اذا قالت زىزى وحاصله أنه يقول حلفت هذه الحلفة بما سارت هذه الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق وما قطعت من مفازة لا يسمع فيها الا أصوات الجن وهذا مما لا يوقف على معناه الا بكد وتعب فى كشفه وتتبعه من كتب اللغة

الضرب الثانى — ما يحتاج الى تدقيق النظر فى التصريف وتخريج اللفظ على وجه بعيد كلفظ مسرّج من قول العجاج

ومقلة وحاجبا مزججا * وفاحما ومرسنا مسرجا

فالمقلة شحمة العين والحاجب معروف والمزجج المقوس مع طول ودقة فى طرفه والفاحم الشعر الاسود الذى لونه كلون الفحم والمرسن الانف وصفه بكونه مسرّجا إما أنه كالسيف السريجى فى الدقة والاستواء والسريجى نسبة الى قين يسمى سريجا تنسب اليه السيوف وإما أنه كالسراج فى البريق واللمعان أو من قولهم سرّج الله وجهه اذا بهجه وحسنه فهذا ومثله مما لا يقف

على معناه الا من عرف التصريف وأتقنه اذا تقرر ذلك فاعلم أن اللفظ يختلف فى الغرابة وعدمها باختلاف النسب والاضافات فقد يكون اللفظ مألوفا متداول الاستعمال عند كل قوم فى كل زمن وقد يكون غريبا متوحشا فى زمن دون زمن وقد يكون غريبا متوحشا عند قوم مستعملا مألوفا عند آخرين وهو أربعة أصناف

الصـــنف الاول

(المألوف المتداول الاستعمال عند كل قوم فى كل زمن)

وهو ما تداول استعماله الاول والآخر من الزمان القديم والى زماننا كالسماء والارض والليل والنهار والحر والبرد وما أشبه ذلك وهو أحسن الالفاظ وأعذبها وأعلاها درجة وأغلاها قيمة اذ أحسن اللفظ ما كان مألوفا متداولا كما تقدم وهذا لا يقع عليه اسم الوحشى بحال قال فى المثل السائر وأنت اذا نظرت الى كتاب الله العزيز الذى هو أفصح الكلام وجدته سهلا سلسا وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا هذا وقد أنزل فى زمن العرب العرباء وألفاظه كلها من أسهل الالفاظ وأقربها استعمالا وكفى بالقرآن الكريم قدوة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى يريد فاتحة الكتاب واذا نظرت الى ما اشتملت عليه من الالفاظ وجدتها سهلة قريبة يفهمها كل أحد حتى صبيان المكاتب وعوام السوقة وان لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة فان أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن الالفاظ المستعملة فى سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بألفاظ القرآن يكتفى بها عن غيرها من جميع الالفاظ المنثورة والمنظومة وقد كانت العرب الاول فى الزمن القديم تتحاشى اللفظ الغريب فى نظمها ونثرها وتميل الى السهل وتستعذبه ويكفى من ذلك كلام قبيصة بن نعيم لما قدم على امرئ القيس فى أشياخ بنى أسد يسألونه العفو عن دم أبيه فقال له انك فى المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتنتقل به أحواله بحيث لا تحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من مجرب ولك من سودد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك فى العرب محتد يحتمل ما حمل عليه من اقالة العثرة ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها وقد كان الذى كان من الخطب الجليل الذى عمت رزيته نزارا واليمن ولم يخصص بذلك كندة دوننا للشرف البارع الذى كان لحجر ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا بها على مثله ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى احدى خلال ثلاث

إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا فقدناه اليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك باقى قصرته فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستل سخيمته الا تمكينه من الانتقام أوفداء بما يروح على بنى أسد من نعمها فهى ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب الى أجفانها لم يرددها تسليط الاحن على البرآء وإما أن وادعتنا الى أن تضع الحوامل فتسدل الازر وتعقد الخمر فوق الرايات فبكى امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أنه لا كفء لحجر فى دم وانى لن أعتاض به جملا ولا ناقة فأكتسب به سبة الأبد وفت العضد وأما النظرة فقد أوجبتها للاجنة فى بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها سببا وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل فى القلوب حنقا وفوق الأسنة علقا

اذا جالت الحرب فى مأزق * تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون قالوا بل ننصرف بأسوإ الاختيار وأبلى الاجترار بمكروه وأذية وحرب وبلية ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل

لعلك أن تستوخم الورد ان غدت * كتائبنا فى مأزق الحرب تمطر

فقال امرؤ القيس لا والله ولكن أستعذبه فرويدا ينفرج لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير ولقد كان ذكر غير هذا بى أولى اذ كنت نازلا بربعى ولكنك قلت فأجبت فقال قبيصة ما يتوقع فوق قدر المعاتبة والأعتاب فقال امرؤ القيس هو ذاك قال فى المثل السائر فلينظر الى هذا الكلام من الرجلين قبيصة وامرئ القيس حتى يدع المتعمقون تعمقهم فى استعمال الوحشى من الألفاظ فان هذا الكلام قد كان فى الزمن القديم قبل الاسلام بما شاء الله وكذلك هو كلام كل فصيح من العرب مشهور وماعداه فليس بشئ قال وهذا المشار اليه ههنا هو من جزل كلامهم وهو على ما تراه من السلاسة والعذوبة واذا تصفحت أشعارهم أيضا وجدت الوحشى الألفاظ قليلا بالنسبة الى المتسلسل فى الفم والسمع وعلى هذا المنهج فى الجزالة والسهولة يجرى من النظم قول امرئ القيس

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

فانظر الى هذين البيتين ليس فيهما لفظة غريبة ولا كره مع ما فيهما من الجزالة وكذلك أبيات السموءل المشهورة وهى

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضــرّنا أنا قليـل وجارنا * عزيز وجار الأكثرين ذليـل
يقـرّب حب الموت آجالنا لنا * وتـكرهـــه آجالهـم فتطول
وما مات منا سـيد فى فراشه * ولا طل منـا حيث كان قتيل
وأسيافنا فى كل غرب ومشرق * بهـا من قراع الدارعين فلول
معوّدة أن لاتسـل نصالهـا * فتغمـد حتى يستباح قتيــل

فاذا نظرت ما تضمنته هـذه الابيات من الجزالة خلتها زبرا من الحديد مع ماهى عليـه من السهولة والعذوبة وانها غير كظة ولا غليظة وقد ورد للعرب فى جانب الرقة من الاشعار ما يكاد تذوب لرقته القلوب كقول عروة بن أذينة

ان التى زعمت فؤادك ملهـــا * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلبــاقة فأدقهـــا وأجلهـــا
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى * ماكــان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

وقول يزيد بن الطثرية فى محبوبته من بنى جرم

بنفسى من لو مرّ برد بنانه * على كبدى كانت شفاء أنامله

واذا كان هذا قول ساكن الفلاة لا يرى الا شيحة أو قيصومة ولا يأكل الا ضبا أو يربوعا فما بال قوم سـكنوا الحضر ووجدوا رقة العيش يتعاطون وحشى الالفاظ وشظف العبارات ولا يخلد الى ذلك الا جاهل بأسرار الفصاحة أو عاجز عن سلوك طريقها فان كل أحد ممن حصل على نبـذة من علم الأدب يمكنـه أن يأتى بالوحشى من الكلام إمّا بأن يلتقطه من كتب اللغـة أو يتلقفه من أربابهـا . أما الفصيح المتصف بصفة الملاحة فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما علم أين يضع يده فى تأليفه وسبكه قال وان مارى فى ذلك ممار فلينظر الى أشعار علماء الأدب ممن كان يشار اليه حتى تعلم صحة ذلك فان ابن دريد قد قيل انه أشـعر علماء الأدب واذا نظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المجيدين منحطا مع ان أولئك الشـعراء لم يعرفوا من علم الادب عشر معشار ما علمه وأين شعره من شعر العباس بن الاحنف وهو من أوائل الشـعراء المحدثين وشعره كنسيم على عذبات أغصان أو كلؤلؤات طل على طرر ريحان وليس فيـه لفظة واحدة غريبة تحتاج الى استخراجها من كتاب من كتب اللغة كقوله

وانى ليرضـــينى قليــل نوالكم * وان كنت لاأرضى لكم بقليــل
بحرمة ما قد كان بينى وبينـكم * من الودّ الا عـــدتمو بجميـــل

وقوله فى محبوبته فوز

يافوز يا منيـــة عبـاس * قلبى يفدّى قلبكُ القاسى
أسأت اذ أحسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس
يقلقنى شـوقى فا تيـــكم * والقلب مملوء من الياس

وهل أعذب من هـذه الابيات وأعلق بالخاطر وأسرى فى السمع ولمثلها تسهر راقدات الاجفان وعن مثلها يتأخر السوابق عند الرهان ومن الذى يستطيع أن يسلك هـذه الطريق التى هى سهلة وعرة قريبة بعيدة وقد كان أبو العتاهية أيضا فى غرة الدولة العباسـية وشعر العرب اذ ذاكَ موجود كثيرا واذا تأملت شـعره وجدته كالماء الجارى رقة ألفاظ ولطافة سبكٍ وليس بركيك ولاواه وانظر الى قصيدته التى يمدح بها المهدى ويشبب بجاريته عتب وهى

ألا ما لســيدتى مالها * تدل فأحـمــل إدلالها
ألا ان جاريةً للاما * م قد أسكن الحسن سربالها
لقــد أتعب الله قلبى بها * وأتعب فى اللوم عذالها
كأنّ بعيـــنىّ فى حيثما * سلكت من الارض تمثالها

فلما وصل الى المديح قال من جملته

أتته الخــلافة منقادة * اليــــه تجـرّر أذيالها
فــلم تكُ تصلح الا له * ولم يكُ يصلح الا لها
ولو رامها أحد غـــيره * لزلزلت الارض زلزالها
ولولم تطعه بنات القلوب * لما قبـــل الله أعمالها

فهذه الابيات من أرق الشعر غزلا ومديحا وقد أذعن لمديحها الشعراء من أهل ذلكَ العصر وهى على ما ترى من السـلاسة واللطافة على أقصى الغايات حتى قال بشار عند سماع المهدى لها من أبى العتاهية انظروا الى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده يريد هل زال عن سريره طربا بهذا المديح وعلى هذا الاسـلوب كان أبو نواس فى السهولة والسـلاسة والرقة ولذلكَ قدم على شعراء عصره مع ما فيه من فحول الشـعراء ومفلقيهم كمسلم بن الوليد وغيره وذلكَ لرقة شعره وسهولتـه كقوله فى محبوبته جنان

ألم ترَ أنى أفنيت عمـــرى * بمطلبهــا ومطلبها عســير
فلما لم أجـد سببا اليهـــا * يقــرّبنى وأعيتنى الأمور
حججت وقلت قد حجت جنان * فيجمعنى واياها المســـير

فانظر الى هذه الابيات ليس فيها لفظة منغلقة وكذلك سائر شعره وكان هو وأبو العتاهية كأنما ينفقان من كيس واحد * ومن لطيف ما يحكى فى توافق طريقتهما واتحاد مأخذهما أن أبا نواس جلس يوما الى بعض التجار ببغداد هو وجماعة من الشعراء فاستسقى أبو نواس ماء فلما شرب قال * عذب الماء وطابا * ثم قال أجيزوه فأخذ أولئك الشعراء يترددون فى اجازته واذا هم بأبى العتاهية مجتازا فقال ما شأنكم مجتمعين فقالوا كيت وكيت وقد قال أبو نواس

* عذب الماء وطابا * فقال أبو العتاهية مجيزا له * حبذا الماء شرابا * فعجبوا لقوله على الفور من غير تلبث فهذا هو الكلام السهل الممتنع تراه يطمعك فى أن تأتى بمثله فاذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغى أن يكون من خاض فى كتابة أو شعر فان خير الكلام ما دخل الأذن بغير اذن . ومن النثر قول سعيد بن حميد وأنا من لا يحاجك عن نفسه ولا يغالطك عن جرمه ولا يستدعى برك الا من طريقته ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ولا يستميلك الا بالاعتراف بالجرم نبت بى عنك غرة الحداثة وردتنى اليك الحنكة وباعدتنى منك الثقة بالايام وقادتنى اليك الضرورة فان رأيت أن تستقبل الصنيعة بقبول العذر وتجدد النعمة باطراح الحقد فان قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الاساءة وان أيام القدرة وان طالت قصيرة والمتعة بها وان كثرت قليلة فعلت ان شاء الله تعالى فانظر الى قوة هذا الكلام فى سهولته وقرب مأخذه مع بعد تناوله والاتيان بمشاكله وأجزل منه مع السهولة قول الشعبى للحجاج وأراد قتله لخروجه عليه مع ابن الأشعث أجدب بنا الجناب وأحزن بنا المنزل فاستحلسنا الحذر واكتحلنا السهر وأصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء فعفا عنه قال صاحب الصناعتين وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ويستفصحونه اذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة وجاسية غريبة ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ولم يعلموا أن السهل أمنع جانبا وأعز مطلبا وهو أحسن موقعا وأعذب مستمعا ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع وكان المفضل يختار من الشعر ما يقل تداول الرواة له ويكثر الغريب فيه قال العسكرى وهذا خطأ فى الاختيار لأن الغريب لم يكثر فى كلام الا أفسده وفيه دلالة على الاستكراه والتكلف ووصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال هو أبلغ الناس ومن بلاغته أن كل أحد يظن أنه يكتب مثل كتبه فاذا رامها تعذرت عليه وقال العباس بن ميمون قلت للسيد ألا تستعمل الغريب فى شعرك فقال ذلك عى فى زمانى وتكلف منى لو قلته وقد رزقت طبعا واتساعا فى الكلام فأنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير ولا يحتاج الى تفسير ثم أنشدنى

أيارب انى لم أرد بالذى به * مدحت عليا غير وجهك فارحم

قال فى الصناعتين فهذا كلام عاقل يضع الكلام موضعه ويستعمله فى ابانه ومن كلام بعض الاوائل تلخيص المعانى رفق والتشادق فى غير أهله نقص والنظر فى وجوه الناس عى ومس اللحية هلك والاستعانة بالغريب عجز والخروج عما بنى عليه الكلام اسهاب فأجود الكلام ما كان جزلا سهلا لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه ولا يكون مكدودا مستكرها ومتوعرا متقعرا ويكون بريئا من الغثاثة عاريا من الرثاثة فالكلام اذا كان لفظه غثا ومعرضه رثا كان مردودا ولو احتوى على أجل معنى وأنبله وأرفعه وأفضله قال فى المثل السائر أما البداوة والعنجهية فتلك أمة قد خلت ومع أنها قد خلت وكانت فى زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن وقد غلب على الناس رقة الحضر

الصنف الثانى

(الغريب المتوحش عند كل قوم فى كل زمن)

وهو ما لم يكن متداول الاستعمال فى الزمن الاول ولا ما بعده بل كان مرفوضا عند العرب كما هو مرفوض عند غيرهم ويسمى الوحشى الغليظ والعكر والمتوعر وهو على ثلاثة أضرب

الضرب الاول

(ما يعاب استعماله فى النظم والنثر جميعا)

قال فى المثل السائر والناس فى قبح استعماله سواء لا يختلف فيه عربى باد ولا قروى متحضر قال وليس وراءه فى القبح درجة أخرى ولا يستعمله الا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شئ من معرفة هذا الفن أصلا وهو ما يمجه سمعك وتنبو عنه لسانك ويثقل عليك النطق به على أنه قد وقع منه ألفاظ لبعض الشعراء المفلقين من العرب والمحدثين فمن ذلك لفظ الجحيش فى قول تأبط شرا من أبيات الحماسة

يظل بموماة ويمسى بغيرها * جحيشا ويعرورى ظهور المسالك

فان لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة قال فى المثل السائر وياالله العجب أليس انها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة رائقة لو وضعت فى هذا البيت موضع جحيش لما اختل شئ من وزنه فتأبط شرا ملوم من وجهين أحدهما استعماله القبيح والثانى أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها وأقبح من ذلك لفظ الطلخم فى قول أبى تمام

قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت * عشواء تالية غبسا دهاريسا

فان لفظة الطخم من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين من أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة دهاريس في آخر البيت المذكور وعلى حذ ذلك ورد لفظ جيدر في قوله من أبيات في وصف فرس

نعم متاع الدنيا حباك به * أروع لا جيدر ولا جبس

فلفظة جيدر وحشية غليظة وأغلظ منها لفظة جفخت في قول أبي الطيب المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بهابهم * شيم على الحسب الأغرّ دلائل

فان لفظة جفخ مرة الطعم واذا مرّت على السمع اقشعرّ منها وكان له مندوحة عن استعمالها فان جفخت بمعنى فخرت وهما في وزن واحد فلو أتى بلفظ فخرت و يفخرون مكان جفخت و يجفخون لاستقام وزن البيت وحظى في استعماله بالأحسن فهو في ذلك كتأبط شرّا في لفظة جحيش في توجه الملامة عليه من وجهين قال في المثل السائر وما أعلم كيف يذهب هذا وأمثاله على هؤلاء الفحول من الشعراء هذا ما أورده ابن الأثير من هذا النوع ويشبه أن يكون منه لفظ الحقلد في قول زهير

تقيّ نقيّ لم يكثر غنيمة * بنهكة ذي قربى ولا بحقلد

والحقلد السيئ الخلق قال في الصناعتين وقد أخذ الرواة على زهير في لفظة الحقلد فاستبشعوها وقالوا ليس في لفظ زهير أنكر منها وكذلك لفظ الجرشي في قول أبي الطيب في مدح سيف الدولة ابن حمدان واسمه علي

مبارك الاسم أغر اللقب * كريم الجرشي شريف النسب

فلفظ الجرشي مما يكرهه السمع وينبو عنه اللسان والجرشي بمعنى النفس فجعل اسمه مباركا ولقبه أغرّ ونفسه كريمة ونسبه شريفا وذلك أنه كان يسمى عليا وهو اسم مبارك لموافقة اسم أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه ويلقب سيف الدولة وهو لقب اعرابي مشهور وأغرّ أخذا من غرّة الفرس لانها أشهر ما فيها ووصفه بكرم النفس إما باعتبار الحسب والعراقة وإما باعتبار بذل المال وكثرة العطاء وأشار الى شرف نسبه باعتبار عراقته في بيت الملك وعراقة حسبه

الضرب الثاني

(ما يعاب استعماله في النثر دون النظم)

وهذا الضرب مما ذكر صاحب المثل السائر أنه استخرجه بفكره ولم يجد فيه قولا لغيره قال وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهي الى ما أوردته من الأمثلة ولربما أنكره بعد ذلك إما عنادا وإما جهلا لعدم الذوق السليم عنده ثم ذكر منه أمثلة . منها لفظة شرنبثة من قول الفرزدق

ولولا حياء زدت رأسك شجة * اذا سبرت ظلت جوانبها تغلى
شرنبثة شمطاء من يرما بها * تشبه ولو بين الخماسى والطفل

قال فلفظة شرنبثة من الألفاظ الغريبة التى يسوغ استعمالها فى الشعر وهى هاهنا غير مستكرهة الا أنها لو وردت فى كلام منثور من كتاب أو خطبة لعيبت على مستعملها . ومنها لفظة مشمخر الواردة فى أبيات بشر فى وصفه لقاء الاسد حيث قال

وأطلقت المهند عن يمينى * فقدّله من الاضلاع عشرا
فخرّ مضرّجا بدم كأنى * هدمت به بناء مشمخرا

وكذلك فى قول البحترى فى قصيدته التى يصف فيها ايوان كسرى

مشمخر تعلو له شرفات * رفعت فى رؤس رضوى وقدس

فان لفظة مشمخر لا يحسن استعمالها فى الخطب والمكاتبات ولا بأس بها فى الشعر وقد وردت فى خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة كقوله فى خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة اقمطرّ وبالها واشمخر نكالها فما طابت ولا ساغت . ومنها لفظة الكنهور من أوصاف السحاب كقول أبى الطيب

يا ليت باكية شجانى دمعها * نظرت اليك كما نظرت فتعذرا
وترى الفضيلة لا ترد فضيلة * الشمس تشرق والسحاب كنهورا

فلفظة الكنهور لا تعاب نظما وتعاب نثرا . ومنها لفظة العرمس وهو اسم الناقة الشديدة فان هذه اللفظة يسوغ استعمالها فى الشعر ولا يعاب مستعملها كقول المتنبى

ومهمه جبته على قدمى * تعجز عنه العرامس الذلل

فانه جمع هذه اللفظة ولا بأس بها ولو استعملت فى الكلام المنثور من الخطب لما طابت ولا ساغت وقد جاءت موحدة فى شعر أبى تمام فى قوله

هى العرمس الوجناء وابن ملمة * وجاش على ما يحدث الدهر خافض

ومنها لفظة الشدنية فى قول أبى تمام أيضا * ياموضع الشدنية الوجناء * وهى ضرب من النوق فان الشدنية لا تعاب شعرا وتعاب لو وردت فى كتابة أو خطبة هذا ما أورده فى المثل السائر لهذا الضرب من الامثلة ثم قال وهكذا يجرى الحكم فى أمثال هذه الالفاظ وعلى هذا فاعلم أن كل ما يسوغ استعماله فى الكلام المنظوم يسوغ استعماله فى الكلام المنثور وليس كل ما يسوغ استعماله فى الكلام المنظوم يسوغ استعماله فى الكلام المنثور قال وذلك شئ استنبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستى هذا الفن ولأنّ الذوق الذى عندى دلنى عليه فمن شاء أن يقلدنى فيه والا فليدمن النظر حتى يطلع على ما اطلعت عليه والاذهان فى مثل هذا المقام تتفاوت

على أن الشيخ سعد الدين التفتازانى رحمه الله قد تابعه على ذلك فى شرح التلخيص فلا أعلم أقلده فى ذلك أم ذوقه أداه اليه

الضرب الثـالث

(مايعاب استعمـاله بصيغة دون صيغة)

قال فى المثل السائر وهذا الضرب من هذه الصناعة بمنزلة علية ومكانة شريفة وجل الاسرار اللفظية منوط به قال وقد لقيت جماعة من مدعى فن الفصاحة وفاوضتهم وفاوضونى وسألتهم وسألونى فـا وجدت أحدا منهم يتقن معرفة هـذا الموضع كما ينبغى وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق اليها فان اللفظة الواحدة قد تنتقل من هيئة الى هيئة أو من صفة الى صفة فتنتقل من القبح الى الحسن و بالعكس فيصير القبيح حسنا والحسن قبيحا والمرجع فى ذلك الى الذوق الصحيح والطبع السليم وقد نبه منه على تسعة أنماط

النمط الاول — ما يترجح فيه الاسم فى الاستعمـال على الفعل وذلك فى مثل لفظ خود فانهـا عبارة عن المرأة الناعمة فاذا نقلت الى صيغة الفعل قيل خوّد على وزن فعل بتشديد العين ومعناها أسرع يقال خوّد البعير اذا أسرع فى مشـيه فهى على صيغة الاسم حسـنة رائقة قد وردت فى النظم والنثر كثيرا واذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة كقول أبى تمام

والى بنى عبـد الكريم تواهقت ＊ رتك النعام رأى الطريق فخوّدا

الا أن لفظة خوّد قد اسـتعملت على غير هـذا الوجه فى بعض المواضع فزال عنها بعض القبح وان لم تلحق بدرجة الرائق الحسن كقول بعض شعراء الحماسة

أقول لنفسى حين خوّد رألها ＊ رويدك لمـا تشفقى حين مشفق

رويدك حتى تنظرى عم تنجلى ＊ عمـاية هذا العـارض المتألق

والرأل النعام والمراد أن نفسه فرّت وفزعت شبه باسراع النعام فى فراره وفزعه فلمـا أورد ذلك على سبيل المجاز زال بعض القبح قال وهذا يدركه الذوق الصحيح فهى فى بيت أبى تمـام قبيحة سمجة وهاهنا بين بين و يقاس على ذلك أشباهه ونظائره

النمط الثانى — ما يترجح فيه فعل الامر والمستقبل فى الاستعمال على الفعل المـاضى وذلك فى مثل لفظة ودع وهى فعل ماض ثلاثى لا ثقل بها على اللسان ومع ذلك فانها لا تسـتعمل على صيغتها المـاضـية الا جاءت غير مستحسنة فاذا استعملت على صيغة الامر أو الاستقبال جاءت حسـنة بهجة رائقة أما على صيغة الامر فكما فى قوله تعالى[1] (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) ولم ترد فى القرآن الكريم الا على هذه الصيغة وأما على صيغة الاستقبال فكقول النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) كان عليه أن يمثل بقوله تعالى ودع أذاهم

وقد واصل فى شهر رمضان فواصل معه قوم فقال لو مدّلنا الشهر لواصلنا وصالا يدع له المتعمقون تعمقهم وقد استعملها أبو الطيب على هذا الوجه فى قوله

يشقكم بقناها كل سلهبــة * والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع

فجاءت فى كلامه بهجة رائقة وأما الماضى من هـذه اللفظة فلم يستعمل الاشاذا ولاحسن له كقول أبى العتاهية

أثروا فلم يدخلوا قبورهم * شيأ من الثروة التى جمعوا

وكان ما قدّموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا

فلم تقع فى كلامه من الحسن موقعا ولا أصابت من الطلاوة غرضا وهذه لفظة واحدة لم يتغير شئ من أحوالها سوى أنها نقلت من صيغة الى صيغة وكذلك لفظة وذر فانها لا تستعمل ماضية وتستعمل على صيغة الامر كقوله تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) وتستعمل مستقبلة أيضا كقوله تعالى (سأصليه سقر وما أدراك ماسقر لا تبقى ولا تذر) ولم ترد فى القرآن الكريم الاعلى هاتين الصيغتين وكذلك فى غير القرآن الكريم من فصيح الكلام أما فى حالة المضى فانها أقبح من لفظة ودع وقد استعملت ماضية مع شذوذ وهذه لم تستعمل أصلا

النمط الثالث — ما يترجح فيه الافراد فى الاستعمال على التثنية وذلك فى مثل لفظ الاخدع فانها يحسن استعمالها فى حالة الافراد دون التثنية فما وردت فيه مفردة فجاءت حسنة رائقة قول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

ومما ورد فيه لفظ التثنية فجاء ثقيلا مستكرها قول أبى تمام

يادهر قوّم من أخدعيك فقد * أضججت هذا الانام من خرقك

هكذا ذكره فى المثل السائر ثم قال وليس لذلك سبب الا أنها جاءت موحدة فى أحدهما فحسنت وجاءت مثناة فى الآخر فقبحت

النمط الرابع — ما يترجح فيه الافراد فى الاستعمال على الجمع وذلك كلفظة الارض فانها لم ترد فى القرآن الكريم الامفردة سواء أفردت بالذكر عن السماء كما فى قوله تعالى (والله أنبتكم من الارض نباتا) أو قرنت بالسماء مفردة كما فى قوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه) أو مجموعة كما فى قوله تعالى (الحمد لله الذى خلق السموات والارض) ولو كان استعمالها بلفظ الجمع مستحسنا لكان هذا الموضع وشبهه به أليق لمقابلة الجمع فى السموات ولما أراد أن يأتى بها مجموعة قال (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) وكذلك لفظة البقعة وكذلك لفظة طيف فى ذكر طيف الخيال فانها تجمع على طيوف وهى فى حالة الافراد من أرق الالفاظ

وألطفها فاذا جمعت زالت عنها تلك الطلاوة وفارقتها تلك البهجة ولذلك وردت فى القرآن الكريم بلفظ الافراد قال تعالى (انّ الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ولم تزل الشعراء فى القديم والحديث يستعملونه بلفظ الافراد فيقع أحسن موقع ولم يلموا باستعماله مجموعا قال فى المثل السائر وبالله العجب من هـذه اللفظة ومن أختها عدة ووزنا وهى ضيف فانها تستعمل مفردة ومجموعة وكلاهما فى الاستعمال حسن رائق قال وهـذا مما لا يعلم السرّ فيه والذوق السليم هو الحاكم فى الفرق بين هاتين اللفظتين وما يجرى مجراهما وكذلك يجرى الحكم فى جميع المصادر فانها فى حالة الافراد أحسن منها فى حالة الجمع وقد جاء منها بعض ألفاظ مجموعة فجاءت غثة مستكرهة كما فى قول عنترة

فان يبرأ فلم أنفث عليـه * وان يفقد فحق له الفقود

فالفقود جمع مصدر من قولنا فقد يفقد فقدا وليس له من الرونق والطلاوة ما لمفرده وهو لفظ فقد وان كان جائزا من جهة العربية

النمط الخامس — ما يترجح فيه الجمع فى الاستعمال على الافراد كلفظة اللب الذى هو العقل فان استعمالها بصيغة الجمع فى غاية الحسن والبهجة والطلاوة وقد ورد بهذه الصيغة فى غير موضع من القرآن الكريم كقوله تعالى (وليتذكر أولوا الالباب) وقوله (وما يذكر الا أولوا الالباب) الى غير ذلك من الآيات الوارد فيها ذلك بصيغة الجمع أما فى حالة الافراد فانها قليلة الاستعمال مع أنها لفظة ثلاثية خفيفة على النطق بعيـدة المخارج ليست بمستثقلة ولا مكروهة قال فى المثل السائر واذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر فى رموزه وأسراره وجدت هذه اللفظة قد روعى فيها الجمع دون الافراد فان أضيفت أو أضيف اليها حسن استعمالها وساغ فى طريق الفصاحة ايرادها أما اضافتها فكقول النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من احداكن يا معشر النساء وأما الاضافة اليها فكقول جرير

انّ العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيـين قتـلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهنّ أضعف خلق الله أركانا

قال فى المثل السائر فان عريت هذه اللفظة عن الجمع والاضافة لم تأت حسنة قال ولا تجد دليلا على ذلك الا مجرد الذوق السليم وكذلك لفظة كوب فانها لم ترد فى القرآن الكريم الا مجموعة وهى وان لم تكن مستقبحة فى حالة الافراد فان الجمع فيها أحسن وانظر الى ما عليها من الطلاوة والمائية فى قوله تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين) وعلى هذا النحو لفظ رجا بالقصر ومعناه الجانب فانها قد وردت فى القرآن بلفظ الجمع فى قوله تعالى (والملك على أرجائها) أى جوانبها ولم تستعمل مفردة لأن الجمع يكسبها من الحسـن ما لم يوجد لها حالة الافراد

فان أضيفت حالة الافراد كرجا البئر ونحوه حسنت كما فى حالة الجمع قال فى المثل السائر وليس كذلك لفظ الصوف والاصواف وان كان لم يرد فى القرآن الكريم الا مجموعا حيث قال تعالى (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم و يوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين) لأن لفظ الصوف مستحسن فى حالة الافراد كما فى حالة الجمع قال وانما قبح ذكره فى قول أبى تمام

كانوا برود زمانهم فتصدّعوا * فكأنما لبس الزمان الصوفا

لأنها جاءت مجازية فى نسبتها الى الزمان قال وعلى هذا النهج وردت لفظة حبر وأحبار فانها مجموعة أحسن منها مفردة ولم ترد فى القرآن الكريم الا مجموعة

النمط السادس — ما يترجح فيه بعض الجموع فى الاستعمال على بعض كما فى جمع صائب من قولك سهم صائب فانه يقال فى الجمع سهام صوائب وصائبات وصيب بالتشديد وهذه الجموع كلها حسنة رائقة معجبة دائرة على ألسنة أرباب النثر والنظم ويقال فى جمعه أيضا صيب على وزن كتب وهو جمع قبيح مرفوض الاستعمال ثقيل على النطق جاف عن السمع وقد استعمله أبو نواس فى شعره حيث قال

ما أحل الله ماصنعت * عينه تلك العشية بى

قتلت انسانها كبدى * بسهام للردى صيب

فجاءت غثة كريهة نائية عن السمع نافرة عن اللسان وكذلك الجمع فى قيد فانه يجمع على قيود وهو جمع سائغ القبول شائع الاستعمال و يقال فى جمعه أيضا اقياد وهو من الجموع المستكرهة الخارجة عن الاستعمال وقد ورد فى قول عويف القوافى من أبيات الحماسة

ذهب الرقاد فما يحس رقاد * مما شجاك ونامت العوّاد

لما أتانى من عيينة أنه * أمست عليه تظاهر الاقياد

فلم يحسن ولم يرق وكذلك القول فى جمع قبة فانه يجمع على قباب وهو جمع حسن دائر على ألسنة الفصحاء من أهل النظم والنثر و يجمع أيضا على قبب وليس بمستحسن وان كان هو فى الكراهة دون اقياد فى جمع قيد وقد استعمله ابن محكان التميمى فى قوله

ماذا ترين أندنيهم لأرحلنا * فى جانب البيت أم نبنى لهم قببا

فلم يحسن كحسن قباب بل جاءت كريهة مستشنعة وأعجب ما فى هذا الباب أن الجمع قد يكون متفقا فى لفظة واحدة الا أنها مختلفة المعنى فيختلف الاستعمال فى الجمع باختلاف المعانى حتى لو جيء بجمع فى مكان جمع لم يحسن استعماله وان كان جائزا من جهة العربية كلفظ العين

فانها تطلق من جملة مدلولاتها على العين الباصرة والعين من الناس وهو النبيه منهم والعين الباصرة تجمع على عيون والعين من النا س تجمع على أعيان وقد شذ هذا الموضع على المتنبي فى قوله

والقوم فى أعيانهم خزر * والخيـل فى أعيانها قبل

فجمع العـين الباصرة على أعيان فى الموضعين قال فى المثـل السـائر والذوق يأبى ذلك ولا يجد له على اللسان حلاوة وان كان جائزا وأعجب من ذلك كله أنك ترى وزنا واحدا من الالفـاظ فتارة تجد مفرده حسنا وتارة تجد جمعه حسنا وتارة تجدهما جميعا حسنين فمما مفرده أحسن من جمعه حبرور وهو فرخ الحبارى فانه يجمع على حبارير ومفرده أحسن من جمعه وكذلك طنبور وطنابير وعرقوب وعراقيب وما أشـبه ذلك . ومما جمعه أحسن من مفرده بهلول وبهاليل ولهموم ولهاميم وهذا ضد الاول . ومما مفرده حسن وجمعه حسن جمهور وجماهير وعرجون وعراجين وما أشبه ذلك

النمط السابع – ما يترجح فيه أحد صور الوزن الواحد باختلافه بالحركة والسكون كلفظ الثلث والربع الى العشر فانها فى حالة سكون الوسط كلها حسنة سائغة الاستعمال فاذا تحركت أوساطها فقلت ثلث وربع وخمس وكذلك الى عشر فان الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهى الثلث والخمس والسدس أما الربع والسبع والثمن والتسع والعشر فليس كذلك فى حسنه . قلت انما يظهر ذلك فى السبع والتسع والعشر خاصـة فان الثقل ظاهر فيها أما الربع والثمن فانهما فى الحسن مع تحريك الوسط كالثلث والخمس والسدس وقد ورد القرآن بتحريك الوسط فيهما فى سورة النساء حيث قال تعالى (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) وقوله (ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) وأى حسن وفصاحة بعد وروده فى القرآن الكريم

النمط الثامن – ما يترجح فيـه أبنية بعض أسماء الفاعلين فى الاستعمال على بعض كاسم الفاعل المبنى من فعل بفتح الفاء وكسر العين فانه يبنى على فاعل وفعل بكسر العين وفعلان نحو حمد فهو حامد وحمد وحمدان وفرح فهو فرح وفارح وفرحان وغضب فهو غضبان وغاضب فالأفعال الثلاثة على وزن واحد وصيغ أسماء الفاعلين المبنية منها مختلفة فى الأحسن الغالب استعماله فحامد من حمد أحسن من حمد وحمدان وفرح من فرح أحسن من فارح وفرحان وغضبان من غضب أحسن من غاضب وان كان جائزا وقد جاء بناء اسم الفاعل من فرح على فارح فى قول بعض شعراء الحماسة

فما أنا من حزن وان جل جازع * ولا بسرور بعـد موتك فارح

فلم يحسن كحسن فرح أما ما جاء منه على وزن فعلة نحو همزة ولمزة وجثمة ونومة ولكنة ولحنة وما أشبه ذلك فقد قال فى المثل السائر الغالب على هذه اللفظة أن تكون حسنة

النمط التاسع — ما يترجح من أوزان الأفعال بعضها على بعض كلفظة فعل وافتعل فان لفظة فعل لها موضع تستعمل فيه ولفظة افتعل لها موضع تستعمل فيه تقول قعدت الى فلان اذا جلست اليه واقتعدت غارب الجمل اذا ركبت عليه ولا يحسن أن تقول اقتعدت الى فلان وقعدت على غارب الجمل وان كان ذلك جائزا وكذلك أفعل وافعوعل فانك تقول أعشب المكان واذا كثر عشبه قلت اعشوشب فلفظة افعوعل للتكثير وهى على ما فيها من تكرار الحروف طيبة عذبة وكذلك سائر ما فى وزنها نحو اخشوشن المكان واغرورقت العين واحلولى الطعم وما أشبه ذلك قال فى المثل السائر وهذا كله مما أخذته بالاستقراء، وفى اللغة مواضع كثيرة من ذلك لا يمكن استقصاؤها فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغة بالالفاظ وعليك بتفقد أمثال هذه الكلمات لتعلم كيف تضع يدك فى استعمالها فكثيرا ما يقع لفحول الخطباء والشعراء فى مثلها ومؤلف الكلام من كاتب وشاعر اذا مرت به الالفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجده الحس منها موحدا وحده وما يجده الحس منها مجموعا جمعه وكذلك يجرى الحكم فيما سوى ذلك من الالفاظ

الصنف الثالث

(المتوحش فى زمن دون زمن)

وهو ما كان متداول الاستعمال فى زمن العرب ثم رفض وترك بعد ذلك وبهذا لا يعاب استعماله على العرب لأنه لم يكن عندهم وحشيا ولا لديهم غريبا كما سيأتى التنبيه عليه وانما يعاب استعماله على غيرهم ممن قصر فهمهم عنه وقلت معرفتهم به وقد كان كلام العرب مشحونا به فى نظمهم ونثرهم دائرا على ألسنتهم فى مخاطباتهم ومحاوراتهم غير معيب ولا ملوم عليه وانظر الى ما تضمنته خطبهم وأشعارهم من الغريب ترى ذلك عيانا فمن ذلك قول أبى المثلم الهذلى

آبى الهضيمة ناب بالعظيمة متـ * ـلاف الكريمة جلد غير ثنيان

حامى الحقيقة نسال الوديقة معـ * ـتاق الوسيقة لا نكس ولا وان

رباء مرقبة مناع مغلبة * وهاب سلهبة قطاع أقران

هبـاط أودية حمال ألوية * شهاد أندية سرحان فتيان

وقول أعرابى فى وصف إبل كوم بهازر مكد خناجر عظام الحناجر سباط المشافر أجوافها رغاب وأعطانها رحاب تمنع من البهم وتبرك للحمم يريد بالكوم جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام والبهازر جمع بهزرة وهى الناقة العظيمة والمكد جمع مكود وهى الناقة الغزيرة اللبن

والخناجر جمع خنجور وهى بمعنى المكود أيضا والعظام الحناجر غلاظ الاعناق وسباط المشافر أى مرسلات المشافر والمشفر من الناقة كالجحفلة من الفرس ونحو ذلك مما يجرى هـذا المجرى وينخرط فى هـذا السلك فهذا ومثله لا يعاب استعماله على العرب لانه لم يكن عنـدهم غريبا ولا لديهم وحشيا بل شائعا بينهم دائرا على ألسنتهم فى نظمهم ونثرهم وأعظم شاهد لاستحسان استعماله عندهم ووضوح منهجه لديهم أن القرآن الكريم الذى هو أفصح كلام وأبهج لفظ قد اشتمل على ألفاظ من ذلك كقوله تعالى (ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب) وقوله (انّ الانسان لربه لكنود) وما أشبه ذلك وهذه الالفاظ كانت مفهومة عند العرب معلومة المعانى عند المخاطبين لأن الله تعالى قد خاطبهم به وأمرهم فيه ونهاهم والخطاب بما لا يفهم بعيد وقد قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وكذلك ورد فى الاخبار النبوية جملة مستكثرة من ذلك وهى المعبر عنها بغريب الحديث كقوله صلى الله عليه وسلم من قعد مقعدا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى ترة أى بغض وقيل تبعة وقيل حسرة وقوله صلى الله عليه وسلم ليسترجع أحدكم حتى فى شسع نعله فانها من المصايب والشسع أحد سيور النعل وقوله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام أى الزموا هـذه الدعوة وأكثروا منها وقوله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء واغسل حوبتى واسلل سخيمة قلبى وأشـباه ذلك وحديث أم زرع صريح فى شيوع ذلك فيهم وعمومه فى مخاطباتهم ومكالماتهم وهو ما ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت جلس احدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ان لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيأ قالت الاولى زوجى لحم جمل غث على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى وفى رواية فينتقل قالت الثانيـة زوجى لا أبث خبره انى أخاف ان لا أذره ان أذكره أذكر عجره وبجره قالت الثالثة زوجى العشنق ان أنطق أطلق وان أسكت أعلق قالت الرابعة زوجى كليل تهامه لا حرّ ولا قرّ ولا خوف ولا سآمة قالت الخامسـة زوجى ان دخل فهد وان خرج أسـد ولا يسأل عما عهد قالت السادسـة زوجى ان أكل لف وان شرب اشتف وان اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث قالت السابعة زوجى عياياء طباقاء كل داء له دواء شجك أو فلك أو جمع كلا لك قالت الثامنة زوجى الريح ريح زرنب والمس مس أرنب قالت التاسعة زوجى رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من الناد قالت العاشرة زوجى مالك وما مالك مالك خير من ذلك له ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزهر أيقن انهن هوالك قالت الحادية عشرة زوجى أبو زرع وما أبو زرع أناس من حلىّ أذنىّ وملأ من شحم عضـدى وبجحنى فبجحت الىّ نفسى وجدنى فى أهـل غنيمة بشق فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومنـق فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح وأشرب فأتقنح

وفى رواية فأتقمح أم أبى زرع فما أم أبى زرع عكومها رداح وبيتها فساح ابن أبى زرع فما ابن أبى زرع مضجعه كمسل شطبه وتشبعه ذراع الجفرة بنت أبى زرع فما بنت أبى زرع طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها جارية أبى زرع فما جارية أبى زرع لاتنث حديثنا تنثيثا وفى رواية لاتبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ولاتملا بيتنا تعشيشا قالت خرج أبو زرع والأوطاب تمخض فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقنى ونكحها فنكحت بعده رجلا سريا ركب شريا وأخذ خطيا وأراح على نعما ثريا وأعطانى من كل رائحة زوجا وفى رواية فأعطانى من كل ذابحة زوجا وقال كلى أم زرع وميرى أهلك فلو جمعت كل شىء أعطانى مابلغ أصغر آنية أبى زرع قالت عائشة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبى زرع لأم زرع وفى رواية غير أنى لا أطلقك فاذا كان هذا كلام نسائهم الدائر فيما بينهن من محادثاتهن مع بعضهن فى خلواتهن فما ظنك بفرسان الكلام فى نظمهم ونثرهم فأنى يعاب عليهم ذلك وينكر عليهم الاتيان بمثله وقد اختصم رجل وامرأة الى يحيى بن يعمر وهو من أكابر التابعين وجلتهم فقال للرجل أأن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها أماغير العرب ممن تكلف ذلك وأتى به فى كلامه المعتاد فى مخاطباته أو نثره ونظمه فانه يعاب عليه ذلك وينحط به عن درجة الفصاحة ويخرج به عن قانونها اذ المقصود من الكلام انما هو الافهام لاغير فيخاطب كل أحد بما يفهمه ولا يكلف بما لا يعلمه وخير الكلام ماجاد وأفاد قال بشر بن المعتمر اياك والتوعر فانه يسلمك الى التعقيد والتقييد وهو الذى يستهلك معانيك ويمنعك مراميك قال أبو هلال العسكرى وربما غلب سوء الرأى وقلة العقل على بعض علماء العربية فيخاطبون السوقى والمملوك والاعجمى بالفاظ أهل نجد ومعانى أهل السراة وحكاياتهم فى ذلك كثيرة قال أبو نصر الجوهرى سقط عيسى بن عمر عن حمار له فاجتمع عليه الناس فقال مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى أى مالكم اجتمعتم على اجتماعكم على ذى جنة تفرقوا عنى وذكر الجاحظ هذه الحكاية عن أبى علقمة النحوى بزيادة فقال مر أبو علقمة ببعض طرق البصرة فهاجت به مرة فوثب عليه قوم يعضون ابهامه ويؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم وقال مالكم تكأكأتم على كما تكأكؤن على ذى جنة افرنقعوا عنى فقال بعضهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية وقال أبو علقمة يوما لحاجمه أشدد قصب الملازم وارهف ظباة المشارط وأمر المسح واستحل الرشح وخفف الوطء وعجل النزع ولا تكرهن أبيا ولا تردن أتيا فقال له الحجام ليس لى علم بالحروف ونظر اليه رجل وتحته بغل مصرى حسن المنظر فقال ان كان مخبر هذا البغل كمنظره فقد كمل فقال أبو علقمة والله لقد خرجت عليه من مصر فتنكبت الطريق مخافة السراق وجور السلطان فبينا أنا أسير فى ليلة ظلماء قتماء طخياء مدلهمة

حندس داجية فى صحصح أملس اذ أحس بنبأة من صوت نغر أو طيران ضوع أو نغض سبد فحاص عن الطريق متنكبا لعزة نفسه وفضل قوته فبعثته باللجام فعسل وحركته بالركاب فنسل وانتعل الطريق يغتاله معتزما والتحف الليل لا يهابه مظلما فوالله ماشبهته الا بظبية نافرة تحفزها فتخاء شاغيه فقال الرجل فادع الله وسله أن يحشر معك هـذا البغل يوم القيامة قال ولم قال ليجيزك الصراط بطفره وكانت امرأة تأكل الطين فحصل لها بسببه اسهال مرضت منه وكان لها ولد يتكلم بالغريب فكتب رقاعا وطرحها فى المسجد الجامع بمدينة السلام فيها صين امرؤ ورعى دعا لامرأة انفحلة مقسئنة قدمنيت بأكل الطرموق فأصابها من أجله الاستمصال أن يمن الله عليها بالاطرغشاش فكل من قرأ رقعته دعا عليه ولعنه ولعن أمه . وحكى محمد بن أبى المغازى الضبى عن أبيه قال كان لنا جار بالكوفة لا يتكلم الا بالغريب فخرج الى ضيعة له على حجر معها مهر فأفلتت فذهبت ومعها مهرها فخرج يسأل عنها فمر بخياط فقال ياذا النصاح وذات السم الطاعن بها فى غير وغى لغير عدى هل رأيت الخيفانة القباء يتبعها الحاسن المسرهف كأن غرته القمر الازهر ينير فى خضرة كالحلب الأجرد فقال الخياط اطلبها فى تدلخ فقال ويحك ماتقول قبحك الله فانى ما أعرف رطانتك قال لعن الله أبغضنا لفظا وأخطأنا منطقا .

وضرب عمر بن هبيرة عيسى بن عمر النحوى ضربا كثيرا من أجل وديعة فكان يقول وهو يضرب ماهى الا أثياب فى اسيفاط أخذها عشاروك وسأله رجل عن مسألة فقال ليست مسألتك تين أى ليست مستوية وأصل التين خروج رجل الولد قبل رأسه وسأله آخر عن كتابته فقال كتبت حتى انقطع سواى أى ظهرى على أن أبا جعفر النحاس قد عد عيسى بن عمر من المطبوعين فى ذلك قال الجاحظ رأيتهم يديرون فى كتبهم هـذا الكلام فان كانوا إنما رووه ودونوه لانه يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة الفصاحة والبلاغة وان كانوا فعلوا ذلك لانه غريب فأبيات من شعر العجاج وشعر الطرماح وأشعار هذيل تأتى لهم مع الرصف الحسن على أكثر من ذلك فلو خاطب أحد الاصمعى بمثل هـذا الكلام لظننت أنه يستجهل نفسه وهـذا خارج عن عادة البلغاء

الصـــنف الرابع

(الغريب المتوحش عند قوم دون قوم)

وذلك ككلام أهل البادية من العرب بالنسبة الى أهل الحضر منهم فان أهل الحضر يألفون السهل من الكلام ويستعملون الالفاظ الرقيقة ولا يستعملون الغريب الا فى النادر وأهل البادية يألفون اللفظ الجزل ويميلون الى استعمال الغريب واذا نظرت الى أهل مكة وكلام قريش

الذين نزل القرآن بلغتهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرومتهم وكلام أهل حضرموت وما جاورها من اليمن ومخاليف الحجاز علمت فرق ما بين الكلامين وتباين ما بين الطرفين حتى كان البادي يرطن بالنسبة الى الحاضر ويتكلم بلغة غير العربية وكانت لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يتكلم بها على الدوام ويخاطب بها الخاص والعام لغة قريش وحاضرة الحجاز الا أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم وجمع الى سهولة الحاضرة جزالة البادية فكان يخاطب أهل نجد وتهامة وقبائل اليمن بلغتهم ويخاطبهم في الكلام الجزل على قدر طبقتهم . فمن ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم لطهفة النهدي وكتابه الى بني نهد وذلك أنه لما قدم وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليه طهفة بن أبي زهير النهدي فقال أتيناك يارسول الله من غور تهامة على أكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستحيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد جف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا اليك يارسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال ما تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وبانع الثمر وافجر لهم الثمد وبارك لهم في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة وكتب معه كتابا الى بني نهد فيه بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من آمن بالله ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يمنع دركم ما لم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة . ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم الى قبيلة همدان وذلك أنه لما قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفود العرب قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مالك ابن نمط أبو ثور وهو ذو المشغار ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلماني وعميرة بن مالك الخارفي فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعهم من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية برحال الميس على المهرية والارحبية ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم يقول أحدهما

همدان خير سوقة واقيال　＊　ليس لها في العالمين أمثال

محلها الهضب ومنها الابطال　＊　لها(1) اطابات بها وآكال

(1) كذا بالاصل

ويقول الآخر

اليك جاوزنا سواد الريف * فى هبوات الصيف والخريف
* مخطمات بحبال الليف *

فقام مالك بن نمط بين يديه ثم قال يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبال الاسلام لاتأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاكر أهل السواد والقرى أجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهة الانصاب عهدهم لاينقض ماأقام لعلع وماجرى اليعفور بصُلّع فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ولمن أسلم من قومه على أن لهم فراعها ووهاطها ماأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاها لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدهم المهاجرون والأنصار فقال فى ذلك مالك بن نمط

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجى * ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهنّ بنا خوص طلائح تعتلى * بركبانها فى لاحب متمدّد
على كل فتلاء الذراعين جسرة * تمرّ بنا مرّ الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأنّ رسول الله فينا مصدّق * رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أبرّ وأوفى ذمّة من محمد
وأعطى اذا ماطالب العرف جاءه * وأمضى بحدّ المشرفىّ المهند

وفى رواية ان فى كتابه اليهم ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاها لنا من دفئهم وصرامهم ماسلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح . ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة قال أبو عبيدة أنا قرأته فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل وأكنافها انّ لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لاتعدل سارحتكم ولا تعدّ فاردتكم ولايحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين . ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم الى وائل بن حجر وأهل حضرموت وهو بسم الله الرحمن الرحيم من محمد

رسول الله الى الاقيال العباهلة من أهل حضرموت باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على التيعة الشاة والتيمة لصاحبها وفى السيوب الخمس لاخلاط ولا وراط ولاشناق ولاشغار ومن أجبا فقد أربى وكل مسكر حرام وفى رواية أنه كتب اليهم الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفى التيعة شاة لامقورة الالياط ولاضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولاتوصيم فى الدين ولاغمة فى فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال قال الوزير ضياء الدين بن الاثير رحمه الله فى المثل السائر وفصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقتضى استعمال هذه الالفاظ ولاتكاد توجد فى كلامه الا جوابا لمن يخاطبه بمثلها كحديث طهفة وماجرى مجراه على أنه قد كان فى زمنه أولا متداولا بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا يسيرا لأنه أعلم بالفصيح والأفصح

الصفة الثانية

(اللفظ الفصيح أن لايكون مبتذلا عاميا ولاساقطا سوقيا واللفظ المبتذل على قسمين)

القسم الاول

(مالم تغيره العامة عن موضعه اللغوى)

الا انها اختصت باستعماله دون الخاصة فابتذل لاجل ذلك وسخف لفظه وانحطت رتبته لاختصاص العامة بتداوله وصار من استعمله من الخاصة ملوما على الاتيان به لمشاركة العامة فيه وقد وقع ذلك لجماعة من فحول الشعراء فعيب عليهم فمن ذلك قول الفرزدق من قصيدة

وأصبح مبيض الضريب كأنه * على سروات النبت قطن مندّف

فقوله مندّف من الألفاظ العامية المبتذلة وان كان له أصل فى اللغة يقال ندف القطن اذا ضربه بالمندف ولذلك قيل للقطن المندوف نديف ومن ذلك قول أبى نواس

وملحة بالعذل تحسب أننى * بالجهل أترك صحبة الشطار

فالشطار جمع شاطر وهو فى أصل اللغة اسم لمن أعيا أهله خبثا يقال منه شطر وشطر بالفتح والضم شطارة بالفتح فيهما ثم استعمل فى الشجاع الذى أعيا الناس شجاعة وغلب دورانه على لسان العامة فامتهن وابتذل فاستعمال أبى نواس له غير لائق وكذلك قوله أيضا

يامن جفانى وملا * نسيت أهلا وسهلا
وما غ‍رحبت لما * رأيت مالى قلا
انى أظنك فيما * فعلت تحكى القرلا

فلفظ القرلا من أشد ألفاظ العامة ابتذالا وهو اسم لطائر صغير من طيور الماء يخطف صغار السمك من الماء برجليه ومنقاره فاذا سقط على الماء ولم يحصل على صيد ارتفع بسرعة فتضرب به العامة المثل تقول فلان كأنه قرلا ان وجد خيرا تدلى وان وجد شرا تعلى وقوله أيضا

وأغمر الجلدة صيرته * فى الناس زاغا وشقراقا

مازلت أجرى كلكلى فوقه * حتى دعا من تحته قاقا

فقوله قاقا حكاية لصوت يضرب به المثل لصياح المغلوب يقال فعلت بفلان كذا وكذا حتى قال قاق وأقبح من ذلك كله فى الابتذال بين العامة والسخافة قول المتنبى

ومن الناس من يجوز عليهم * شعراء كأنها الخاز باز

قال فى المثل السائر وهذا البيت من مضحكات الأشعار وهو من جملة البرسام الذى ذكره فى قوله

ان بعضا من القريض هذاء * ليس شيأ وبعضه أحكام

فيه ما يجلب البراعة والفهـ * ـم وفيه ما يجلب البرسام

وعد منه فى المثل السائر قول البحترى

وجوه حسادك مسودة * أم صبغت بعدى بالزاج

قال فلفظة الزاج من أشد ألفاظ العامة ابتذالا وكذلك عد منه قول النابغة الذبيانى

أودمية فى مرمر مرفوعة * بنيت بآجر يشاد بقرمد

قال فلفظة آجر مبتذلة جدا واذا شئت أن تعلم شيأ من سر الفصاحة التى تضمنها القرآن الكريم فانظر الى هذا الموضع فانه لما جىء فيه بذكر الآجر لم يذكر بلفظه ولا بلفظ القرمد أيضا ولا بلفظ الطوب الذى هو لغة أهل مصر فان هذه الاسماء مبتذلة لكن ذكر فى القرآن على وجه آخر وهو قوله تعالى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا) فعبر عن الآجر بالوقود على الطين نعم من الالفاظ المبتذلة السخيفة لفظة الكنس وما اشتق منه ولذلك عابها القاضى الفاضل رحمه الله تعالى على ابن سناء الملك فى بعض أشعاره حيث قال من أبيات

يزخرف منها وجهها فهو جنة * ويخضر منها نضرة فهو سندس

صلينى وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فلما وقف القاضى الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة كتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قلت هذه الغاية الاوتعلمنى انها البداية ولا قلت هذا البيت آية القصيدة الا تلا ما بعده (وما نريهم من آية) (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) ولا عيب فى هذه المحاسن الاقصور الافهام وتقصير الأنام والافقد لهج الناس بما تحتها ودونوا ما دونها وشغلوا التصانيف والخواطر

والاقلام بما لا يقاربها وسارت الاشعار وطالت بما لا يبلغ مدها ولا نصيفه والقصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها وقد ذلت السين فيها وانقادت فلو أنها الراء لما رادت وبيت يعزل ويكنس أردت أن أكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة في مكانها فأجابه ابن سناء الملك قائلا وعلم المملوك ما نبه عليه مولانا من البيت الذي أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له متعجبا منه معتقدا أنه قد ملح فيه وان قافية بيته أميرة تلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه في الكنس الا ابن المعتز في قوله

وقوامي مثل القناة من الخط * وخدي من لحيتي مكنوس

والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجري خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ولا آنس ناره الا لما وجد عليها هدى ولا مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار قلبه الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة قد قال

ويا عاذلي في عبرة قد سفحتها * لبين وأخرى قبلها للتجنب
تحاول مني شيمة غير شيمتي * وتطلب مني مذهبا غير مذهبي

وقال

وما زارني الا ولهت صبابة * اليه والا قلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك أن هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد أبا تمام قد قال * سلم على الربع من سلمى بذي سلم * وقال خشنت عليه أخت بني خشين فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكاد سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت في الروض أبكي فقد مشبهه * حتى بكت بدموعي أعين الزهر
لو لم أعرها دموع العين تسفحها * لرحتي لاستعارتها من المطر

وقال

قدك غصن لاشك فيه كما * وجهك شمس نهاره جسدك

فوجد المملوك طبعه الى هذا النمط مائلا وخاطره في بعض الأحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب عليه خاطره مع علمه أنه المغلوب وحبك الشئ يعمي ويصم فقد أعماه حبه وأصمه الى أن نظم تلك اللفظة في تلك الابيات تقليدا لابن المعتز حيث قالها وحمل أثقالها وهي تغتفر لذلك في جنب احسانه فأما المملوك فهي عورة ظهرت من لسانه فأجابه القاضي الفاضل رحمه الله بقوله ولا حجة فيما احتج به عن الكنس في بيت ابن المعتز فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا في الصواب فقط وقد علم ما ذكره ابن رشيق في عمدته من تهافت طبعه وتباين وضعه

فذ كرمن محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه مالا يلبس عليـه الثياب وقد تعصب القاضى السعيد على أبى تمام فنقصه من حظه وللبحترى فأعطاه أكثر من حقه وما أنصفهما

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادى ولكن للعتاب مواضع

قال المولى صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى فى شرح لامية العجم وقد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة فى غير هـذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه لأنه غلب عليه الهوى فقال

توسوس شـعرى به مـدّة * وما برح الحلى والوسوسه
وخلصنى من يدى عشقه * ظلام على خده حندسـه
كنست فؤادى من عشقه * ولحيتـه كانت المكنسـة

قال وأما القـاضى الفاضل فـا أظنه خلافى هـذا الايراد من ضعف انتقاد وأحاشى ذاك الذهن الوقاد من هذا الاعتقال فى ورطة هـذا الاعتقاد وما أراه الا أنه تعمد أن يعكس مراده ويوهى ماشدّه ويوهن ماشاده ويرميه ببلاء البلادة إما على سبيل النكال أو النكادة لأن الفاضل رحمه الله ممن يتوخى هـذه الالفاظ ويقصدها وينشبها وينشـدها ويورى زنادها ويوردها فمن كلام القاضى الفاضل فى بعض رسائله وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره ولا ألبابهم أن تسيغ خمره ولا سيوفهم أن تـكنس قمـمـه قال فى المثل السائر ومثل هـذه الالفاظ اذا وردت فى الكلام وضـعت من قدره ولو كان معناه شريفا قال وهذا القسم من الالفاظ المبتذلة لا يكاد يخلو منه شعر شاعر لكن منهم المقل ومنهم المكثر

القسم الثـانى

(ما كان من الالفاظ دالا على معنى وضع له فى أصل اللغة فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى آخر وهو على ضربين)

الضرب الاول — ماليس بمستقبح فى الذكر ولا مستكره فى السمع وذلك كتسميتهم الانسان اذا كان دمث الاخلاق حسن الصورة أو اللباس أو ماهـذا سبيله ظريفا والظرف فى أصـل اللغـة مختص بنطق اللسان فقط كما أن الصباحة مختصة بالوجه والوضاءة مختصة بالبشرة والجمال مختص بالانف والحلاوة مختصة بالعينين والملاحة مختصة بالفم والرشاقة مختصة بالقد واللباقة مختصة بالشمايل فالظرف انما يتعلق بالنطق فغيرته العامة عن بابه ونقلته الى أعم من موضوعه كما تقدم وممن وقع له الذهول عن ذلك فغلط فيه أبو نواس فى قوله

اختصم الجود والجمال * فيك فصارا الى جدال
فقال هـذا يمينه لى * للعرف والبذل والنوال
وقال هـذاك وجهه لى * للظرف والحسن والكمال
فافترقا فيك عن تراض * كلاهما صادق المقال

فوصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق كما تقدم وكذلك أبو تمام فى قوله

لك هضبة الحلم التى لو وازنت * أجأ اذا ثقلت وكان خفيفا
وحلاوة الشيم التى لو مازجت * خلق الزمان الفدم عاد ظريفا

فوصف الشيم بالحلاوة وهى مختصة بالعينين ووصف الخلق بالظرف وهو مختص بالنطق كما تقدم بيانه

الضرب الثانى — ما يستقبح ذكره كما فى لفظ الصرم بالصاد المضمومة والسرم بالسين فان الصرم بالصاد فى أصل اللغة عبارة عن القطع يقال صرمه يصرمه صرما وصرما بالفتح والضم اذا قطعه وبالسين عبارة عن المحل المخصوص وقد كانت العرب تستعمله بالصاد المضمومة فى أشعارها بهذا المعنى فلا يعاب عليها قال أبو صخر الهذلى

فقد كان صرم فى الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

فاستعمله بمعنى القطع ولم يعب عليه لأن الالفاظ فى زمن العرب لم تتغير بل كانت باقية على أوضاعها الاصلية فقلبت العامة السين من المحل المخصوص صادا واستعملت لفظ الصرم الذى هو القطع فى المحل المخصوص فصار لفظه مستقبحا وسماعه مستكرها وعيب على أبى الطيب استعماله فى قوله

أذاق الغوانى حسنه ما أذقننى * وعف فجازاهن عنى بالصرم

على أنه انما يكره استعماله بصيغة الاسم لما تقدم أما اذا استعمل بصيغة الفعل مثل صرم ويصرم وما شاكل ذلك فانه لا حجر فى استعماله وقد استعمله ابن الرومى بالسين على بابه فجاء أقبح وأشنع فقال يهجو الورد

كأنه سرم بغل حين يخرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

قال الصلاح الصفدى وأين هذا التشبيه القبيح من قول الآخر فى الورد أيضا

كأنه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

قال فانظر الى هذا وجنة وحبيب ودينار والى ذلك سرم وبغل وروث وشتان ما بينهما

الصفة الثالثـــــة

(من صفات اللفظ المفرد الفصيح أن لا يكون متنافر الحروف فان كانت حروفه متنافرة بحيث يثقل على اللسان ويعسر النطق به فليس بفصيح)

وذلك نحو لفظ الهعخع فى قول بعض العرب عن ناقة تركتها ترعى الهعخع بالخاء المعجمة والعين المهملة وهو نبت أسود وكذلك لفظ مستشزرات من قول امرئ القيس فى قصيدته اللامية التى من جملة القصائد السبع الطوال

غدائره مستشزرات الى العلى * تضل المدارى فى مثنى ومرسل

فلفظ مستشزرات من المتنافر الذى يثقل على اللسان ويعسر النطق به قال الوزير ضياء الدين ابن الاثير رحمه الله فى المثل السائر ولقد رآنى بعض الناس وأنا أعيب على امرئ القيس هذا اللفظ فأكبر ذلك لوقوفه مع شبهة التقليد فى أن امرأ القيس أشعر الشعراء فعجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة وقلت له لا يمنع احسان امرئ القيس من استقباح ماله من القبيح بل مثال ذلك كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك والبعر ولا يمنع طيب ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره ولا تكون لذاذة ذلك الطيب حامية للخبيث من الاستكراه فأسكت الرجل عند ذلك اذا علمت ذلك فان معظم اللغة العربية دائرة على ذلك لأن الواضع قسمها فى وضعه الى ثلاثة أقسام ثلاثيا ورباعيا وخماسيا فالثلاثى من الالفاظ هو الاكثر ولا يوجد فيه ما يكره استعماله الا النادر والخماسى هو الاقل ولا يوجد فيه ما يستعمل الا الشاذ النادر والرباعى وسط بين الثلاثى والخماسى فى الكثرة عددا واستعمالا فيكون أكثر اللغة مستعملا غير مكروه قال ولا تقتضى حكمة هذه اللغة التى هى سيدة اللغات الا ذلك ولذلك أسقط الواضع منها حروفا كثيرة فى تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والعين وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف ولا بين اللام والراء ولا بين الزاى والسين وذلك دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج دون المتقارب وكيف كان الواضع يخل بمثل هذا الاصل الكلى فى تحسين اللغة وقد اعتنى بامور جزئية دون ذلك كمماثلته بين حركات الفعل فى الوجود وبين حركات المصدر فى النطق كالغليان والضربان والنقدان والنزوان وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى فان جميع حروفه متحركات ليس فيها حرف ساكن وهى مماثلة لحركات الفعل فى الوجود ومن نظر فى حكمة وضع هذه اللغة الى هذه الدقائق التى هى كالأطراف والحواشى فكيف كان يخل بالاصل المعول عليه فى تأليف الحروف بعضها الى بعض على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الالفاظ أهى متباعدة أو متقاربة لطال الخطب فى ذلك وعسر ولما كان الشاعر ينظم قصيدا

ولا الكاتب ينشئ كتابا الا فى مدة طويلة والأمر بخلاف ذلك فان حاسة السمع هى الحاكمة فى هذا المقام فى تحسين لفظ وتقبيح آخر على أنه قد يجىء من المتقارب المخارج ما هو حسن رائق ألا ترى أن الحروف الشجرية وهى الجيم والشين والياء متقاربة المخارج لأنها تخرج من وسط اللسان بينه و بين الحنك واذا تركب منها لفظ جاء حسنا رائقا فان لفظة جيش قد اجتمع فيها الحروف الشجرية الثلاثة وهى مع تقارب مخارجها حسنة رائقة وكذلك الحروف الشفهية وهى الباء والميم والفاء متقاربة المخارج فان مخرج جميعها من الشفة واذا تركب منها لفظ جاء سلسا غير متنافر كقولك أكلت بفمى وهو فى غاية الحسن والحروف الثلاثة الشفهية مع تقارب مخارجها مجتمعة فيها وقد يجىء من المتباعد المخارج ما هو قبيح متنافر كقولك ملع بمعنى عدا فان الميم من الشفة والعين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان فهذه الحروف كلها متباعدة من بعضها ومع ذلك فانها كريهة الاستعمال ينبو عنها الذوق السليم ولو كان التباعد سببا للحسن لما كان سببا للقبح على أنه لو عكست حروف هذه اللفظة صارت علم وعاد القبح منها حسنا مع أنه لم يتغير شىء من مخارجها على أن اللام لم تزل فيها وسطا والميم والعين يكتنفانها من جانبيها ولو كانت مخارج الحروف معتبرة فى الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة بتقديم بعض الحروف وتأخير بعض وليس ذلك لأن ادخال الحروف من الشفة الى الحلق فى ملع أعسر من اخراجها من الحلق الى الشفة فى علم فان لفظة بلع فيها الباء وهى من حروف الشفة واللام وهى من وسط اللسان والعين وهى من حروف الحلق وهى غير مكروهة قال فى المثل السائر ولربما اعترض بعض الجهال بأن الاستثقال فى لفظ مستشزرات انما هو لطولها وليس كذلك فانا لو حذفنا منها الالف وقلنا مستشزر لكان ثقيلا أيضا لان الشين قبلها تاء و بعدها زاى فثقل النطق بها نعم لو أبدلنا من الزاى راء ومن الراء فاء فقلنا مستشرف لزال ذلك ومن ثم ظهر لك أن اعتبار ابن سنان تركيب الكلمة من أقل الاوزان تركيبا غير معتبر وقد ورد فى القرآن العظيم ألفاظ طوال لا شك فى حسنها وفصاحتها كقوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقوله تعالى (ليستخلفنهم فى الارض) فان لفظ فسيكفيكهم مركب من تسعة أحرف ولفظ ليستخلفنهم مركب من عشرة أحرف ولفظ مستشزرات مركب من ثمانية أحرف قال والأصل فى هذا الباب أن الأصول لا تحسن الا فى الثلاثى وفى بعض الرباعى كقولك عذب وعسجد فالاولى ثلاثية والثانية رباعية أما الخماسى من الاصول فانه قبيح كقولك صهصلق وجحمرش وما جرى مجراهما ولهذا لا يوجد فى القرآن الكريم من الخماسى الاصول شىء الا ما كان من اسم نبى عرب اسمه ولم يكن فى الاصل عربيا كابراهيم واسماعيل ونحوهما

الصفة الرابعـــــة

من صفات اللفظ المفرد الفصيح أن لا يكون على خلاف القانون المستنبط من تتبع مفردات ألفاظ اللغة العربية وما هو فى حكمها كوجوب الاعلال فى نحو قام والادغام فى نحو مدّ وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف فانه لو فك الادغام فى مدّ فقال مدد لم يكن فصيحا وعلى حذ ذلك جاء قول بعض العرب الحمد لله العلىّ الأجلل فان قياسه بابه الادغام فيقال الأجل قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح التلخيص وأما نحو أبى يأبى وعور واستحوذ وقطط شعره وما أشبه ذلك من الشواذ الثابتة فليست من المخالفة فى شئ لانها كذلك ثبتت عن الواضع فهى فى حكم المستثناة فهذه الصفات الاربع هى عمود الفصاحة فى اللفظ المفرد وقطب دائرة حسنه فتى اتصف بها وسلم من أضدادها كان بالفصاحة متسما وبالحسن والرونق مشتملا وللطبع ملائما وللسمع موافقا ومتى عرى عن ذلك خرج عن طرائق الفصاحة وحاد عن سبيل الحسن ومال الى الهجنة فمجه السمع وقلاه الطبع ورفضته النفوس ونفرت منه القلوب فلزم العيب قائله وتوجه العتب على مستعمله قال ابن الاثير رحمه الله وقد رأيت جماعة من الجهال اذا قيل لاحدهم ان هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكر ذلك وقال بل كل الالفاظ حسن والواضع لم يضع الاحسنا قال ومن يبلغ جهله الى غاية لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفنط وبين لفظة السيف ولفظة الخنشليل وبين لفظة الاسد ولفظة الفدوكس فلا ينبغى أن يخاطب بخطاب ولا يجاب بجواب بل يترك وشأنه كما قيل * اتركوا الجاهل بجهله * ولو ألقى الجعر فى رحله *

ومامثاله فى ذلك الا كمن يسوى بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد شوهاء الخلق ذات عين محمرة وشفة غليظة وشعر قطط وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد أسيل وطرف كحيل ومبسم كأنما نظم من اقاح وطرة كأنها ليل على صباح فاذا كان بانسان من سقم النظر أن يسوى بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر ان يسوى بين هذه الالفاظ وهذه ولا فرق بين السمع والنظر فى ذلك فان هذه حاسة وهذه حاسة وقياس حاسة على حاسة غير ممتنع ولا عبرة بمن يستحسن الالفاظ القبيحة ويميل الى الصورة الشنيعة فان الحكم على الكثير الغالب دون الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال وانا لو رأينا من يحب أكل الفحم والجص والتراب ويختار ذلك على ملاذ الأطعمة وانا لا نستجيد هذه الشهوة بل نحكم عليه بالمرض وفساد المعدة وأنه يحتاج الى العلاج والمداواة ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ فى الاذن نغمة لذيذة كنغمة الأوتار وصوتا منكرا كصوت الحمار وأن لها فى الفم حلاوة كحلاوة العسل

ومرارة كرارة الحنظل ولاحجة فى استعمال العرب لهذه الالفاظ فان استحسان الالفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه ليس للتقليد فيه مجال وانما له خصائص وهيآت وعلامات اذا وجدت علم حسنه من قبحه والله أعلم

الاصل الثالث

(من صناعة انشاء الكلام تركيب الكلام وترتيب الالفاظ والنظر فيه من وجوه)

الوجه الاول

(فى بيان فضل المعرفة بذلك ومسيس حاجة الكاتب الى معرفته والاشارة الى خفى سره وتوعر مسلكه)

قال أبو هلال العسكرى وأجناس الكلام المنظوم ثلاثة الرسائل والخطب والشعر وجميعها يحتاج الى حسن التأليف وجودة التركيب وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية فاذا كان المعنى سيأ ورصف الكلام رديئا لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة فاذا كان المعنى وسطا ورصف الكلام جيدا كان أحسن موقعا وأطيب مستمعا فهو بمنزلة العقد اذا جعل كل خرزة منه الى ما يليق بها كان رائقا فى المرأى وان لم يكن مرتفعا نبيلا وان اختل نظمه فضمت الحبة منه الى ما لا يليق بها اقتحمته العين وان كان فائقا ثمينا وحسن الرصف أن توضع الالفاظ فى مواضعها وتمكن من أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة الا حذفا لا يفسد الكلام ولا يعمى المعنى وتضم كل لفظة منها الى شكلها وتضاف الى وفقها وسوء الرصف تقديم ما ينبغى تأخيره منها وصرفها عن وجوهها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال فى نظمها وقد قال العتابى الالفاظ أجساد والمعانى أرواح وانما تراها بعيون القلوب فاذا قدمت منها مؤخرا وأخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى كما أنه لو حول رأس الى موضع يد أو يد الى موضع رأس أو رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية قال فى الصناعتين وقد أحسن فى هذا التمثيل قال الوزير ضياء الدين بن الاثير رحمه الله فى المثل السائر وهذا الموضع يضل فى سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر فكيف الجهال الذين لم تنفحهم منه رائحة ومن الذى يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار حتى ينظر الى أسرار ما يستعمله من الالفاظ فيضعها فى مواضعها وذلك أن تفاوت التفاضل لم يقع فى تركيب الالفاظ أكثر مما يقع فى مفرداتها

اذ التركيب أعسر وأشق ألا ترى أن ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم وهى مع ذلك تفوق جميع كلامهم وتعلو عليه وليس ذلك الا لفضيلة التركيب وانظر الى قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين) وما اشتملت عليه هذه الآية من الحسن والطلاوة والرونق والمائية التى لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها ولا يستطيع أفصح الناس وأبلغ العالم مضاهاتها على أن ألفاظها المفردة كثيرة الاستعمال دائرة على الألسنة فقوة التركيب وحسن السبك هو الذى ظهر فيه الاعجاز وأفحمت فيه البلاغة من حيث لاقت اللفظة الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وكذلك سائر الالفاظ الى آخر الآية ويشهد لذلك أنك لو أخذت لفظة منها من مكانها وأفردتها عن أخواتها لم تكن لابسة من الحسن والرونق ما لبسته فى موضعها من الآية ولكل كلمة مع صاحبتها مقام قال ابن الأثير ومن عجيب ذلك انك ترى لفظتين يدلان على معنى واحد كلاهما فى الاستعمال على وزن واحد وعدة واحدة الا أنه لا يحسن استعمال هذه فى كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما فى مواضع السبك وهذا مما لا يدركه الا من دق فهمه وجل نظره واذا نظرت الى قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) وقوله تعالى (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) رأيت ذلك عيانا فان الجوف والبطن بمعنى واحد وقد استعمل الجوف فى الآية الأولى والبطن فى الآية الثانية ولم يستعمل أحدهما مكان الآخر وكذلك قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وقوله (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) فالقلب والفؤاد سواء فى الدلالة وان كانا مختلفين فى الوزن ولم يستعمل أحدهما موضع الآخر . ومما يجرى هذا المجرى قول الأعرج من أبيات الحماسة

نحن بنو الموت اذا الموت نزل * لا عار بالموت اذا حم الأجل

* الموت أحلى عندنا من العسل *

وقول أبى الطيب المتنبى

اذا شئت حفت بى على كل سابح * رجال كأن الموت فى فمها شهد

فلفظة الشهد ولفظة العسل كلاهما حسن مستعمل وقد جاءت لفظة الشهد فى بيت أبى الطيب أحسن من لفظة العسل فى بيت الأعرج على أن لفظة العسل قد وردت فى القرآن دون لفظة الشهد فجاءت أحلى من الشهد فى موضعها وكثيرا ما تجد أمثال ذلك فى أقوال الشعراء المفلقين وبلغاء الكتاب ومصاقع الخطباء وتجتها دقائق ورموزا اذا علمت وقيس عليها كان صاحب الكلام قد انتهى فى النظم والنثر الى الغاية القصوى فى وضع الالفاظ فى مواضعها اللائقة بها قال وأعجب من ذلك أنك ترى اللفظة الواحدة تروقك فى كلام ثم تراها فى كلام آخر فتكرهها

وقد جاءت لفظة في آي القرآن الكريم بهجة رائقة ثم جاءت تلك اللفظة بعينها في كلام آخر فجاءت ركيكة نابية عن الذوق بعيدة من الاستحسان فمن ذلك لفظة يؤذي فانها وردت في قوله تعالى (انّ ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) فجاءت في غاية الحسن ونهاية الطلاوة ووردت في قول أبي الطيب

تلذ له المروءة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذ له الغرام

فجاءت رثة مستهجنة وان كان البيت من أبيات المعاني الشريفة وذلك لقوة تركيبها في الآية وضعف تركيبها في البيت الشعر والسبب في ذلك أن لفظة يؤذي انما تحسن في الكلام اذا كانت مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كما في الآية الكريمة حيث قال (انّ ذلكم كان يؤذي النبي) وفي بيت المتنبي جاءت منقطعة ليس بعدها شيء تتعلق به حيث قال

* تلذ له المروءة وهي تؤذي * ثم استأنف كلاما آخر فقال * ومن يعشق يلذ له الغرام *
وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي مضافة الى كاف خطاب فأخذت من المحاسن بزمامها وأحاطت من الطلاوة بأطرافها وذلك انه لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فرقاه فقال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك فصارت الى الحسن بزيادة حرف واحد وهذا من السر الخفي الذي يدق فهمه وعلى نهج لفظة يؤذي يرد لفظة لي فانها لا تحسن الا أن تكون متعلقة بما بعدها ولذلك لحقها هاء السكت في قوله تعالى (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) لما لم يكن بعدها ما تتعلق به بخلاف قوله (انّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) فانه لم تلحقها هاء السكت اكتفاء بما هي متعلقة به . ومما يجري هذا المجرى لفظة القمل فانها قد وردت في قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم) فجاءت في غاية الحسن ووردت في قول الفرزدق

من عزه احتجرت كليب عنده * زربا كأنهم لديه القمل

فجاءت منحطة نازلة وذلك لانها قد جاءت في الآية مندرجة في ضمن كلام لم ينقطع الكلام عندها وجاءت في البيت قافية انقطع الكلام عندها هذا ملخص ما ذكره ابن الاثير وقال انه لم يسبق اليه وجعل الحاكم فيه الذوق السليم دون غيره وعلى الجملة فلا نزاع في أن تركيب الالفاظ يعطي الكلام من القوة والضعف ما تزيد به قيمة الالفاظ الفصيحة ويرتفع به قدرها أو يحط مقدارها عن درجة الفصاحة والحسن الى رتبة القبح والاستهجان

الوجه الثـانى

(فى بيان ما يبنى عليه تركيب الكلام وترتيبه وله ركنان)

الركن الاول

(أن يسلك فى تركيبه سبيل الفصاحة والخروج عن اللكنة والهجنة والفصاحة فى المركب بأن يتصف بعد فصاحة مفرداته بصفات)

الصفة الاولى

(أن يكون سليما من ضعف التأليف)

بأن يكون تأليف أجزاء الكلام على القانون النحوى المشتهر فيما بين معظم أصحابه حتى لا يمتنع عند الجمهور وذلك كالاضمار قبل الذكر لفظا أو معنى نحو ضرب غلامه زيدا فانه غير فصيح وان كان ما اتصل بالفاعل فيه ضمير المفعول به مما أجازه الأخفش وتبعه ابن جنى لشدة اقتضاء الفعل المفعول به كالفاعل واستشهد بقوله

لما عصى أصحابه مصعبا * أدى اليه الكيل صاعا بصاع

وقوله جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقوله ألا ليت شعرى هل يلومن قومه * زهيرا على ماجرى من كل جانب

الصفة الثـانية

(أن يكون سليما من التعقيد)

وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى الذى يراد منه وهو على ضربين

الضرب الاول — وهو الذى يسميه ابن الاثير المعاظلة المعنوية أن لا يكون ترتيب الالفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو اضمار أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد وان كان ثابتا فى الكلام جاريا على القوانين كقول الفرزدق فى مدح ابراهيم بن هشام ابن اسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

أى وما مثل هذا الممدوح فى الناس حى يقاربه ويشبهه فى الفضائل الا مملكا أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح فيكون الممدوح خال المملك والمعنى أنه لا يماثل أحد هذا الممدوح الذى هو ابراهيم ابن هشام الا ابن أخته هشام أفسده وعقد معناه وأخرجه عن حد الفصاحة الى حد اللكنة وكذلك قوله فى الوليد بن عبد الملك

الى ملكٍ ما أمّه من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره

يريد الى ملك ما أمّ أبيه من محارب وقوله

تعال فان عاهدتنى لا تخوننى * نكن مثل من ياذئب يصطحبان

يريد نكن ياذئب مثل من يصطحبان وقوله

وليست خراسان الذى كان خالد * بها أسد اذ كان سيفا أميرها

يريد أن خالد بن عبد الله كان قد ولى خراسان ووليها أسد بعده فمدح خالدا بأنه كان سيفا بعد أن كان أسد أميرها فكأنه يقول وليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفا اذ كان أسد أميرها قال ابن الاثير وعلى هذا التقدير ففى كان الثانية ضمير الشان والحديث والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما اذ مضافة اليه وهو أسد عليها وفى تقديم المضاف اليه أو شئ منه على المضاف من القبح مالا خفاء به قال وأيضا فان أسدا أحد جزأى الجملة المفسرة والضمير لا يكون تفسيره الا من بعده ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ولما سماه الكوفيون الضمير المجهول وعلى نحو ذلك ورد قول الآخر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأنّ قفرا رسومها قلما

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأنّ قلما خط رسومها فقدم خبر كأن وهو خط عليها فجاء مختلا مضطربا قال فى المثل السائر وهذا البيت من أقبح هذا النوع لأن معانيه قد تداخلت وركب بعضها بعضا على أن ذلك قد وقع لجمع من فحول شعراء العرب كقول امرئ القيس

هما أخوا فى الحرب من لا أخا له * اذا خاف يوما نبوة فدعاهما

يريد أخوا من لا أخوى له فى الحرب وقول النابغة

يثرن الثرى حتى يباشرن برده * اذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل

قال أبو هلال العسكرى وهذا البيت مستهجن جدا لان المعنى تعمى فيه يريد يثرن الثرى حتى يباشرن برده بالكلاكل اذا الشمس مجت ريقها وقول أبى حية النميرى

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودى يقارب أو يزيل

يريد كما خط الكتاب بكف يهودى يوما يقارب أو يزيل وقول ذى الرمة

نضا البرد عنه وهو من ذو جنونه * أجارىّ صهال وصوت مبرسم

يريد وهو من جنونه ذو أجارىّ قال فى الصناعتين كأنه تخليط كلام مجنون أو هجر مبرسم وقول الشماخ

تخامص عن برد الوشاح اذا مشت * تخامص حافى الخيل فى الأمعز الوجى

يريد تخامصها فى الخيل فى الوحى الامعز قال أبو هلال العسكرى وليس للمحدث أن يجعل هـذه الابيات حجة ويبنى عليها فانه لا يعذر فى شئ منها لاجماع الناس اليوم على مجانبة أمثالها واستجادة ما يصح من الكلام ويستبين واسترذال ما يشكل منه ويستبهم وقد كان عمر رضى الله عنـه يمدح زهيرا بأنه لم يكن يعاظل بين الكلام قال فى المثل السائر والفرزدق أكبر الشعراء تعاظلا وتعقيدا فى شعره كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده لان مثـله لا يجىء الامتكلفا مقصودا والا فاذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على سجيتها وطبعها فى الاسترسال لم يعرض له شئ من هذا التعقيد بدليل أن المقصود من الكلام معدوم فى هذا النوع اذ المقصود من الكلام انما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى فاذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما

الضرب الثانى — من التعقيد أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد بخلل فى انتقال الذهن من المعنى الاول المفهوم بحسب اللغة الى الثانى المقصود لايراد اللوازم البعيدة المفتقرة الى الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصود كقول العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يريد انى أطلب بعـد الدار عنكم لتقربوا منى وتسكب عينـاى الدموع لتجمد وتكف الدمع بحصول التـلاقى والمعنى أنى طبت نفسا بالبعـد والفراق ووطنت نفسى على مقاساة الاحزان والاشواق وأتجرع الغصص وأحتمـل لاجلها حزنا يفيض الدموع من عينى لأتسبب بذلك الى وصل يدوم ومسرة لا تزول فتجمد عينى ويرقأ دمعى فان الصبر مفتاح الفرج فكنى بسكب الدموع عن الكآبة والحزن وهو ظاهر المعنى لانه كثيرا ما يجعل دليلا عليه يقال أبكانى الدهر وأضحكنى بمعـنى ساءنى وسرنى وكنى بجمود العين عما يوجبه دوام التلاقى من الفرح والسرور فان المتبادر الى الذهن من جمود العين بخلها بالدمع عنـد ارادة البكاء حال الحزن بخلاف ما قصده الشاعر من التعبيـر به عن الفرح والسرور وان كانت حالة جمود الدمع مشتركة بين بخل العين بالدمع عند ارادة البكاء وبين زمن السرور الذى لم يطلب فيه بكاء وكذلك يجرى القول فى كل لفظ مشترك ينتقل الذهن فيه من احد المعنيين الى الآخر اذا لم يكن هنالك قرينة تصرفه الى احدهما كما صرح به الرمانى وغيره خصوصا اذا كان أحد المعنيين الذى يدل عليـه اللفظ المشترك مستقبحا كما نبـه عليه ابن الاثير فى الكلام على فصاحة اللفظ المفرد ألا ترى أن لفظة التعزير مشتركة بين التعظيم والاكرام وبين الاهـانة بسبب الخيانة التى لا توجب الحد من الضرب وغيره والمعنيان ضدان فحيث وردت معها قرينة صرفتها الى معنى التعظيم جاءت حسـنة رائقة وكانت فى أعلى درجات الفصـاحة وعلى نحو ذلك ورد قوله تعـالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعـزروه وتوقروه)

وقوله (فالذين آمنوابه وعزروه ونصروه) الآية فانه لما وردمعها قرينة التوقير فى الآية الاولى وقرينة الايمان والنصر فى الآية الثانية زال اللبس وحسن الموقع ولو وردت مهملة بغير قرينة بارادة المعنى الحسن لسبق الفهم الى المعنى القبيح كما لو قلت عزر القاضى فلانا وأنت تريد أنه عظمه فانه لا يتبادر من ذلك الى الفهم الا أنه أهانه وعلى هذا النهج يجرى الحكم فى الحسن والقبح مع القرينة وعدمها قال ابن الاثير رحمه الله فمما ورد مع القرينة فجاء حسنا قول تأبط شرا

أقول للحيان وقد صفرت لهم * وطابى ويومى ضيق الجحر معور

فانه أضاف الجحر الى اليوم فأزال عنه هجنة الاشتباه لان الجحر يطلق على كل نقب كجحر الحية واليربوع ونحوهما وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد مهملا بغير قرينة تخصصه سبق الى الفهم المعنى القبيح لاشتهاره دون غيره ومما ورد مهملا بغير قرينة فجاء قبيحا قول أبى تمام

أعطيتنى دية القتيل وليس لى * عقل ولا حق عليك قديم

فان المتبادر الى الافهام من قوله وليس لى عقل انه من العقل الذى هو ضد الجنون ولو قال وليس لى عليك عقل لزال اللبس قال فيجب اذا على صاحب هذه الصناعة أن يراعى فى كلامه مثل هذا الموضع

الصفة الثالثة

أن يكون الكلام سليما من تنافر الكلمات وان كانت مفرداته فصيحة وقد اختلف فى معنى هذا التنافر على ثلاثة مذاهب

المذهب الاول

ان المراد بتنافر الكلمات أن يكون فى الكلام ثقل على اللسان ويعسر النطق به على المتكلم واليه ذهب السكاكى وغيره من علماء البيان وهو على ضربين

الضرب الاول — أن يكون فيه بعض ثقل كقول أبى تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معى واذا مالمته لمته وحدى

فقوله أمدحه أمدحه فيه بعض الثقل على اللسان فى النطق به وذلك أن الحاء والهاء متقاربان فى المخرج وقد اجتمعا فى قوله أمدحه ثم تكررت الكلمة فى البيت مع تقارب مخرج الحرفين فثقلت بعض الثقل وأول من نبه على ذلك الاستاذ ابن العميد رحمه الله. ومما يحكى فى ذلك أن الصاحب ابن عباد أنشد هذا البيت بحضرة ابن العميد فقال له ابن العميد هل تعرف فى هذا البيت شيأ من الهجنة فقال نعم مقابلة المدح باللوم وانما يقابل المدح بالذم والهجاء فقال له ابن العميد غير هذا أريد قال لا أرى غير ذلك فقال ابن العميد هذا التكرير فى أمدحه أمدحه

مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق خارج عن حدّ الاعتدال نافر كل التنافر فاستحسن الصاحب ابن عباد ذلك قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح تلخيص المفتاح ولا يجوز أن يراد أن الثقل فى لفظة أمدحه دون تكرار فان مثل ذلك واقع فى التنزيل نحو قوله تعالى (فسبحه) والقول باشتمال القرآن على كلام غير فصيح مما لا يجترئ عليه المؤمن

الضرب الثانى — ما كان شديد الثقل بحيث يضطرب لسان المتكلم عند ارادة النطق به كقوله

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قال فى عجائب المخلوقات ان من الجن نوعا يقال له الهاتف فصاح واحد منهم على حرب بن أمية فمات فقال ذلك الجنى هذا البيت قال المسعودى فى مروج الذهب والدليل على أنه من شعر الجن أمران أحدهما الرواية والثانى أنه لا يقوله أحد ثلاث مرات متواليات الا تعتع فيه قال ضياء الدين بن الاثير والسبب فى ثقل البيت تكرير حرفى الباء والراء فيه فهذه الباآت والراآت فيه كأنها سلسلة ولا خفاء بما فى ذلك من الثقل قال وكذلك يجرى الحكم فى كل ما تكرر فيه حرف أو حرفان الا أنه لم يطلق على ذلك اسم التنافر وجعل التنافر قسما مستقلا برأسه كما سيأتى وعدّ هذا من أنواع المعاظلة اللفظية ثم ذكر من أمثلته قول الحريرى فى مقاماته

وازورّ من كان له زائرا * وعاف عافى العرف عرفانه

وقول كشاجم

والزهر والقطر فى رباها * ما بين نظم وبين نثر

حدائق كف كل ريح * حلّ بها خيط كل قطر

وقول الآخر

ملات مطال مولود مفدّى * مليح مانع منى مرادى

وقول المتنبى

كيف ترى التى ترى كل جفن * رآها غير جفنها غير راق

وعاب بيت الحريرى لتكرر العين فيه فى قوله * وعاف عافى العرف عرفانه * وعاب البيت الثانى من بيتى كشاجم لتكرر الكاف فيه فى كف وكل الأولى وكل الثانية وقال هذا البيت يحتاج الناطق به الى بركار يضعه فى شدقه حتى يديره له وعاب البيت الذى يليه لتكرر الميم فيه فى أوائل الكلمات وقال هذه الميمات كأنها عقد متصلة بعضها ببعض وعاب بيت المتنبى لتكرر الجيم والراء فى أكثر كلماته وقال هذا وأمثاله انما يعرض لقائله فى نوبة الصرع التى تنوبه فى بعض الأيام قال وكان بعض أهل الأدب من أهل عصرنا يستعمل هذا القسم من المعاظلة كثيرا فى كلامه نثرا ونظما وذلك لعدم معرفته لسلوك الطريق كقوله فى وصف رجل سخى

أنت المريح كيد الريح والمليح ان تجهم المليح بالتكليح عند سائل يلوح بل تفوق اذ تروق مرآى يوح يامغبوق كأس الحمد يامصبوح ضاق عن نداك اللوح وببابك المفتوح يستريح وبريح ذوالتبريح وبرفه الطليح فانظر الى حرفى الراء والحاء كيف لزمهما فى كل لفظة من هذه الالفاظ فجاء على ماتراه من الثقل والغثاثة ثم قال واعلم ان العرب الذين هم الأصل فى هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف فى كثير من كلامهم وذلك أنه اذا تكرر الحرف عندهم أدغموه استحسانا فقالوا فى جعلك جعلك وفى تضربوننى تضربونى وكذلك قالوا استعد فلان للامر اذا تأهب له والأصل فيه استعدد واستتب الأمر اذا تهيأ والأصل فيه استتبب وأشباه هذا كثير فى كلامهم حتى انهم لشدة كراهتهم لتكرير الحروف أبدلوا الحرفين المكررين حرفا آخر غيره فقالوا أمليت الكتاب والأصل فيه أمللت فأبدلوا اللام ياء طلبا للخفة وفرارا من الثقل واذا كانوا قد فعلوا ذلك فى اللفظة الواحدة فما ظنك بالالفاظ الكثيرة التى يتبع بعضها بعضا . قلت ليس تكرار الحروف مما يوجب التنافر مطلقا كما يقتضيه كلامه بل بحسب التركيب فقد تتكرر الحروف وتترادف فى الكلمات المتتابعة مع القطع بفصاحتها وخفتها على اللسان وسهولة النطق بها ألا ترى الى قوله تعالى (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) كيف اجتمع فيه ست عشرة ميما فى آية واحدة قد تلاصق منها أربع ميمات فى موضع وميمان فى موضع مع مااشتملت عليه من الطلاوة والرونق الذى ليس فى قدرة البشر الاتيان بمثله والله أعلم

المذهب الثانى

ان المراد بتنافر الكلمات أن تكون أجزاء الكلام غير متلائمة ومعانيه غير متوافقة بأن يكون عجز البيت أو القرينة غير ملائم لصدره أو البيت الثانى غير مشاكل للبيت الاول وعليه جرى العسكرى فى الصناعتين فمما اختلفت فيه أجزاء البيت الواحد قول السموءل

فنحن كماء المزن مافى نصابنا * كهام ولافينا يعد بخيل

فليس بين قوله مافى نصابنا كهام وقوله فنحن كماء المزن مناسبة لأن المراد بالكهام الذى لاغناء به ولافائدة فيه يقال قوم كهام أى لاغناء عندهم ورجل كهام أى مسن كذلك سيف كهام أى كليل ولسان كهام أى عيى وفرس كهام أى بطىء فهو يصف قومه بالنجدة والبأس وأنه ليس فيهم من لايغنى وماء المزن انما يحسن فى وصف الجود والكرم قال فى الصناعتين ولو قال ونحن ليوث الحرب وأولو الصرامة والنجدة مافى نصابنا كهام لكان الكلام مستويا أو فنحن كماء المزن صفاء أخلاق وبذل أكف لكان جيدا ومن ذلك قول طرفة

ولست بحلال التلاع مخافة * ولكن متى يسترفد القوم أرفد

فالمصراع الثانى من البيت غير مشاكل لصورة المصراع الاول وان كان المعنى صحيحا لأنه أراد ولست بحلال التلاع مخافة السؤال ولكنى أنزل الامكنة المرتفعة لينتابونى وأرفدهم وهذا وجه الكلام فلم يعبر عنه تعبيرا صحيحا ولكنه خلطه وحذف منه حذفا كثيرا فصار كالمتنافر وأدواء الكلام كثيرة ومنه قول الاعشى

وان امرأ أسرى اليك ودونه * سهوب وموماة وبيداء سملق

لمحقوقة أن تستجيبي لصوته * وان تعلمى أن المعان موفق

فقوله وان تعلمى ان المعان موفق غير مشاكل لما قبله وعلى نحو ذلك ورد قول عنترة

حرق الجناح كأن لحيى رأسه * جلمان بالاخبار هش مولع

ان الذين نعبت لى بفراقهم * هم أسلموا ليلى التمام وأوجعوا

فليس قوله بالاخبار هش مولع من صفة جناحيه ولحييه وقريب منه قول أبى تمام

محمدان الحاسدين شهود * وان مصاب المزن حيث تريد

فليس النصف الثانى من النصف الاول فى شئ وكذلك قول الطالبى

قوم هدى الله العباد بجدهم * والمؤثرون الضيف بالازواد

فلا مناسبة بين صدر البيت وعجزه بوجه وعد بعض الادباء من هذا النوع قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

وقال لو وضع مصراع كل بيت من هذين البيتين فى موضع الآخر لكان أحسن وأدخل فى استواء النسج فكان يقال

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

ولم أسبأ الزق الروى للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

لأن ركوب الجواد مع ذكر كرور الخيل أجود وذكر الخمر مع ذكر الكواعب أحسن قال فى الصناعتين قال أبو أحمد والذى جاء به امرؤ القيس هو الصحيح لأن العرب تضع الشئ مع خلافه فيقولون الشدة والرخاء والبؤس والنعيم ونحو ذلك وكذلك كل ما يجرى هذا المجرى قال أبو هلال العسكرى أخبرنى أبو أحمد قال كنت أنا وجماعة من أحداث بغداد ممن يتعاطى الأدب نختلف الى مدرك نتعلم منه الشعر فقال لنا يوما اذا وضعتم الكلمة مع لفقها كنتم شعراء ثم قال أجيزوا هذا البيت

* الا انما الدنيا متاع غرور *

فأجازه كل واحد منا بشئ فلم يرضه فقلت أنا

* وان عظمت فى أنفس وصدور *

فقال هـذا هو الجيد المختار قال وأخبرنا أبو أحمد الشطنى قال حدثنا أبو العباس ابن عربى قال حدثنا حماد بن يزيد بن جبلة قال دفن مسلمة رجلا من أهله ثم قال

* نروح ونغدو كل يوم وليـلة *

ثم قال لبعضهم أجز فقال

* فحتى متى هذا الرواح مع الغدو *

فقال مسلمة لم تصنع شيأ ثم قال لآخر أجز فقال

* فيالك مغـــدا مرة ومراحا *

فقال لم تصنع شيأ ثم قال لآخر أجز فقال

* وعما قليل لا نروح ولا نغدو *

فقال الآن تم البيت وأشباه ذلك ونظائره كثيرة ومما اختلف فيه البيت الاول والثانى قول ابن هرمة

وانى وتركى ندى الأكرمين * وقدحى بكفى زندا شحـــاحا
كتاركة بيضهـــا بالعـــراء * وملبسة بيض أخرى جناحا

وقول الفرزدق

فانك اذ تهجو تميما وترتشى * سرابيل قيس أو سحوف العمائم
كمهريق ماء بالفـلاة وغره * سراب أذاعته رياح السمائم

كان ينبغى أن يكون بيت ابن هرمة الاول مع بيت الفرزدق الثانى وبيت الفرزدق الاول مع بيت ابن هرمة الثانى فيقال فى الاول

وانى وتركى ندى الأكرمين * وقدحى بكفى زندا شحـــاحا
كمهريق ماء بالفـلاة وغره * سراب أذاعته رياح السمائم

مع تغيير احدى القافيتين ويقال فى الثانى

وانك اذ تهجوا تميما وترتشى * سرابيل قيس أو سحوف العمائم
كتاركة بيضهـــا بالعـــراء * وملبسة بيض أخرى جناحا

مع تغيير احدى القافيتين حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعا

المذهب الثـالث

ان المراد بتنافر الكلمات أن تذكر لفظة أو ألفاظ يكون غيرها مما فى معناها أولى بالذكر فتجيء الكلمة غير لائقة بمكانها وهو ما اصطلح عليه ابن الاثير فى المثل السائر وهو على ضربين

الضرب الاول — ما يوجد منـه فى اللفظة الواحدة فيمكن تبديله بغيره مما هو فى معناه سواء كان ذلك الكلام نظما أو نثرا وهو على أنواع شـتى . منها فك الادغام فى غير موضع فكه كقول ابن أم صاحب

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى * انى أجود لأقوام وان ضننوا

ففك الادغام فى ضننوا وكان الاحسن أن يقال وان ضنوا أى بخلوا وعلى حذ ذلك ورد قول المتنبى

فلا يبرم الامر الذى هو حالل * ولا يحلل الامر الذى هو يبرم

فلو أدغم لجاءت اللفظة قارة فى مكانها غير قلقة ولا نافرة وكذلك كل ما جاء على هـذا النهج فلا يحسن أن يقـال بل الثوب فهو بالل ولا سل السـيف فهو سالل ولا اهتم بالامر فهو هـامم ولا خط الكتاب فهو خاطط ولا حن الى كذا فهو حانن وهذا لو عرض على من لا ذوق له أدركه فكيف من له ذوق صحيح كأبى الطيب لكن لا بد لكل جواد من كبوة . ومنها زيادة حرف فى غير موضعه كقول دعبل

شفيعك فاشكر فى الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فالفاء فى قوله فاشكر زائدة فى غير محلهـا نافرة عن مكانها قال الوزير ضياء الدين بن الاثير أنشدنى بعض الادباء هذا البيت فقلت له عجزهـذا البيت حسن وأما صدره فقبيح لان سبكه قلق نافر والفاء فى قوله فاشكر كأنه ركبة البعير وهى فى زيادتهـا كزيادة الكرش فقـال لهذه الفاء فى كتاب الله تعالى أشباه كقوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر) فقلت له بين هـذه الفاء وتلك فرق ظاهر يدرك بالعـلم أولا وبالذوق ثانيـا أما العلم فان الفاء فى قوله تعالى (وربك فكبر وثيابك فطهر) فهى الفاء العاطفة اذ وردت بعـد قوله (قم فأنذر) وهى مثل قولك امش فأسرع وقل فأبلغ وليست الفاء التى فى قول دعبل شفيعك فاشكر من هذا القبيل بل هى زائدة ولا موضع لهـا وانما نسبتها أن يقـال ربك أو ثيابك فطهر من غير تقـدم معطوف عليه وحاشا فصاحة القرآن من ذلك فأذعن بالتسليم ورجع الى الحق قال ومثل هذه الدقائق التى ترد فى الكلام نظما كان أو نثرا لا يتفطن لها الا الراسخ فى علم الفصاحة . ومنها وصل همزة القطع فى الشعر وان كان ذلك جائزا فيه بخلاف النثر كقول أبى تمام

قرانى اللهى والودّ حتى كأنما * أفاد الغنى من نائلى وفوائدى
فأصبح يلقانى الزمان من اجله * باعظام مولود ورأفة والد

فقوله من اجله بوصل همزة القطع من الكلام النافر وعلى حدّه ورد قول أبى الطيب

توسطه المفاوز كل يوم * طلاب الطالبين لا الانتظار

فقوله لا الانتظار بوصل همزة الانتظار كلام نافر . ومنها قطع همزة الوصل فى الشعر أيضا وان كان جائزا فيه كقول جميل

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة * على حدثان الدهر منى ومن جمل

وقوله أيضا

اذا جاوز الاثنين سرّ فانه * بنشر وتكثير الوشاة قمين

فقطع ألف الوصل فى لفظ الاثنين فى البيت الاول والثانى . ومنها أن يفرق بين الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول البحترى

حلفت لها بالله يوم التفرق * وبالوجد من قلبى بها المتعلق

تقديره من قلبى المتعلق بها فلما فصل بين الموصوف الذى هو قلبى والصفة التى هى المتعلق بالضمير الذى هو بها قبح ذلك ولو قال من قلب بها متعلق لزال ذلك القبح وذهبت تلك الهجنة ونحو ذلك

الاصل الرابع

(المعرفة بالسجع الذى هو قوام الكلام المنثور وعلو رتبته
ويتعلق به ستة أغراض)

الغرض الاول

(فى معرفة معناه فى اللغة والاصطلاح وبيان حكمه فى حالتى الدرج والوقف)

أما فى اللغة فقال فى مواد البيان انه مشتق من الساجع وهو المستقيم لاستقامته فى الكلام واستواء أوزانه وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على حد واحد يقال منه سجعت الحمامة تسجع سجعا فهى ساجعة سمى السجع فى الكلام بذلك لأن مقاطع الفصول تأتى على ألفاظ متوازنة متعادلة وكلمات متوازية متماثلة فأشبه ذلك الترجيع . وأما فى الاصطلاح فقال فى مواد البيان هو تقفية مقاطع الكلام من غير وزن وذكر نحوه فى المثل السائر فقال هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد ويقال للجزء الواحد منه سجعة وتجمع على سجعات وفقرة بكسر الفاء أخذا من فقرة الظهر وهى احدى عظام الصلب وتجمع على فقر

وفقرات بكسر الفاء وسكون القاف وفتحها وربما فتحت الفاء والقاف جميعا ويقال لها أيضا قرينة لمقارنة أختها وتجمع على قرائن ويقال للحرف الأخير منها حرف الروى والفاصلة . وأما بيان حكمه فى الوقف والدرج فاعلم أن موضوع حكم السجع أن تكون كلمات الاسجاع ساكنة الاعجاز موقوفا عليها بالسكون فى حالتى الوقف والدرج لأن الغرض منها المناسبة بين القرائن أو المزاوجة بين الفقر وذلك لا يتم الا بالوقف ألا ترى أن قولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت لو ذهبت تصل فيه لم يكن بد من اعطاء أواخر القرائن ما يعطيه حكم الاعراب فتختلف أواخر القرائن ويفوت الساجع غرضه

الغرض الثانى

(فى بيان حسن موقعه من الكلام)

قال فى الصناعتين لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ولا تجد لبليغ كلاما محلولا من الازدواج وناهيك أن القرآن الكريم الذى هو عنصر البلاغة ومناط الاعجاز مشحون به لا تخلو منه سورة من سوره وان قصرت بل ربما وقع السجع فى فواصل جميع السورة كما فى سورة النجم واقتربت والرحمن وغيرها من السور بل ربما وقع فى أوساط الآيات كقوله تعالى (الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) وقوله (لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم) وقوله (ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه) وما أشبه ذلك وكذلك وقع فى الكثير من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عليه السلام عند قدومه المدينة الشريفة أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام بل ربما صرف صلى الله عليه وسلم الكلمة عن موضوعها فى تصريف اللغة طلبا للمزاوجة كقوله فى تعويذه لابن ابنته أعيذه من الهامة والسامة والعين اللامة وأصلها فى اللغة الملمة لأنها من ألم فعبر عنها باللامة لموافقة الهامة والسامة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم للنساء انصرفن مأزورات غير مأجورات والاصل فى اللغة أن يقال موزورات أخذا من الوزر فعبر بمأزورات لموافقة مأجورات وعلى ذلك كان يجرى كلام العرب فى مهم كلامهم من الدعاء وغيره كقول بعض الاعراب وقد ذهب السيل بابنه اللهم ان كنت قد أبليت فطالما عافيت وقول الاخر اللهم هب لنا حبك وارض عنا خلقك ونحو ذلك . أما ما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم حين قضى على رجل فى الجنين بغرة عبد أو أمة فقال الرجل أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان فليس فيه دلالة على كراهة السجع فى الكلام وان تمسك به بعض من نبا عن السجع طبعه ونفرت منه قريحته اذ يحتمل انه صلى الله عليه وسلم

انما كره السجع من ذلك الرجل لمشابهة سجعه حينئذ سجع الكهان لما فى سجعهم من التكلف والتعسف كما وجهه أبو هلال العسكرى وإما لجريانه على عادتهم فى الجواب فى الاحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما وجهه غيره أو انه انما كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بانكار ايجاب الدية لا نفس السجع المأتى به كما اختاره صاحب المثل السائر ولو كره صلى الله عليه وسلم السجع نفسه لاقتصر على قوله أسجعا ولم يقيده بسجع الكهان

الغرض الثالث

(فى بيان أقسام السجع وهى راجعة الى صنفين)

الصنف الاول

(أن تكون القرينتان متفقتين فى حرف الروى ويسميه الرمانى السجع الحالى وعليه عمل أكثر الكتاب من زمن القاضى الفاضل وهلم جرا الى زماننا وفيه ثلاث مراتب)

المرتبة الاولى — أن تكون ألفاظ القرينتين مستوية الاوزان متعادلة الأجزاء ويسمى التصريع وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها ومنه فى النثر قوله تعالى (إنّ الينا إيابهم ثم ان علينا حسابهم) وقوله (ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه اللهم اقبل توبتى واغسل حوبتى وقوله للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقول بعض الاعراب فى وصف سنة جدبة سنة جردت وحال جهدت وأيد جدت ونحو ذلك ومثاله فى النظم قول الخنساء

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهدى الطريقة نفاع وضرّار *
جوّاب قاصية جزاز ناصية * عقاد ألوية للخيل جرّار

المرتبة الثانية — أن يختص التوازن بالكلمتين الأخيرتين من الفقرتين فقط دون ماعداهما من سائر الالفاظ كقوله تعالى (فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة) ثم قال (ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة) وكقول الحريرى فى مقاماته ألجأنى حكم دهر قاسط الى أن أنتجع أرض واسط وقوله وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت وما أشبه ذلك

المرتبة الثالثة — أن يقع الاتفاق فى حرف الروى مع قطع النظر عن التوازن فى شئ من أجزاء الفقرة فى آخر ولا غيره ويسمى المطرف كقوله تعالى (مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا) وقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال وما يجرى هذا المجرى

الصـــنف الثـــانى

(أن يختلف حرف الروى فى آخر الفقرتين وهو الذى يعبرون عنـه بالازدواج
والرمانى يسميه السجع العاطل وعليه كان عمل السلف من الصحابة
ومن قارب زمانهم وهو على ضربين)

(الضرب الاول ـ أن يقع ذلك فى النثر وفيه مرتبتان)

المرتبة الاولى ـ أن يراعى الوزن فى جميع كلمات القرينتين أوفى أكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزنا و يسمى التوازن وهو أحسنها وأعلاها كقوله تعالى (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) وكقول الحريرى اسود يومى الأبيض وابيض فودى الأسود

المرتبـة الثانيـة ـ أن لا يراعى التوازن الا فى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين فقط و يسمى التوازن أيضا ومنه قوله تعالى (ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة) وقولهم اصبر على حر القتال ومضض النزال وشدة النصاع ومداومة البراز وما أشبه ذلك

(الضرب الثانى ـ السجع الواقع فى الشعر)

و يسمى التصريع فى البيت الاول ومحل الكلام عليه علم البديع وقد ذكر فى المثل السائر فى اعقاب الكلام على السجع فى الكلام المنثور وجعله على سبع مراتب

المرتبة الاولى ـ وهى أعلاها درجة أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه غير محتاج الى ما يليه و يسمى التصريع الكامل كقول امرئ القيس

أفاطم مهلا بعض هـذا التدلل * وان كنت قد أزمعت هجرى فاجملى

فان كل مصراع من البيت مفهوم المعنى بنفســه غير محتاج الى ما يليــه فى الفهم وليس له به ارتباط يتوقف عليه

المرتبة الثانية ـ أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذى يليه الا أنه مرتبط به كقول امرئ القيس أيضا

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فان المصراع الاول منه غير محتاج الى الثانى فى فهم معناه ولكنه لما جاء الثانى صار مرتبطا به

المرتبة الثالثة ـ أن يكون الشاعر مخيرا فى وضع كل مصراع موضع الآخر و يسمى التصريع الموجه كقول ابن حجاج

من شروط الصبوح فى المهرجان * خفـة الشرب مع خلو المكان

فانه لو جعل المصراع الثانى أولا والآخر ثانيا لساغ له ذلك

المرتبة الرابعة - أن يكون المصراع الاول غير مستقل بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثانى ويسمى التصريع الناقص وليس بمستحسن كقول المتنبى

مغانى الشعب طيبا فى المغانى * بمنزلة الربيع من الزمان

فان المصراع الاول لا يستقل بنفسه فى فهم معناه دون المصراع الثانى

المرتبة الخامسة - أن يكون التصريع فى البيت بلفظة واحدة فى الوسط والقافية ويسمى التصريع المكرر ثم اللفظة التى يقع بها التصريع قد تكون حقيقة لا مجاز فيها كقول عبيد بن الابرص

وكل ذى غيبة يؤوب * وغائب الموت لا يؤوب

وقد تكون اللفظة التى يقع بها التصريع مجازية كقول أبى تمام الطائى

فتى كان شربا للعفاة ومرتعا * فأصبح للهندية البيض مرتعا

المرتبة السادسة - أن يكون المصراع الاول معلقا على صفة يأتى ذكرها فى أول المصراع الثانى ويسمى التصريع المعلق كقول امرئ القيس

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح فيك بأمثل

فان المصراع الاول معلق على قوله بصبح وهو مستقبح فى الصنعة

المرتبة السابعة - أن يكون التصريع فى البيت مخالفا لما فيه ويسمى التصريع المشطور وهو أنزل درجات التصريع وأقبحها كقول أبى نواس

أقلنى قد ندمت على الذنوب * وبالاقرار عذت من الجحود

فانه قد صرع فى وسط البيت بالباء ثم فى آخره بالدال . قلت وانما أوردت هذا الصنف مع السجع وان كان من خصوصيات الشعر لأنه قد يقع مثله فى النثر اذ الفقرة من النثر كالبيت من الشعر فالفقرتان كالبيتين وأيضا فان الشعر من وظيفة الكاتب

الغرض الرابع

(فى معرفة مقادير السجعات فى الطول والقصر وهى على ضربين)

(الضرب الاول - السجعات القصار)

وهى ما صيغ من عشرة ألفاظ فما دونها قال فى حسن التوسل وهى تدل على قوة التمكن واحكام الصنعة لا سيما القصير منها للغاية وأقل ما يكون من لفظتين كقوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر) وقوله (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا) وما أشبه ذلك وأمثاله فى القرآن الكريم كثير الا أن الزائد على ذلك أكثر كقوله تعالى (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى) وقوله (اقتربت الساعة وانشق القمر

وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر) وقوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إذا تكاد السموات يتفطرن منـه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) ونحو ذلك

(الضرب الثانى ـ السجعات الطوال)

قال فى حسن التوسل وهى ألذ فى السمع يتشوق السامع الى مايرد متزايدا على سمعه وأقل ماتتركب من احدى عشرة كلمة فما فوقها وغالب ماتكون من خمس عشرة لفظة فما حولها كقوله تعالى (واذا أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور) فالاولى من احدى عشرة لفظة والثانيـة من ثلاث عشرة لفظـة وقوله (لقـد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليـه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليـه توكلت وهو رب العرش العظيم) فالاولى من أربع عشرة لفظة والثانية من خمس عشرة وقوله (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهـم اذ التقيتم فى أعينكم قليـلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الأمور) فالاولى عشرون لفظة والثانية تسع عشرة وهذا غاية ماانتهى اليـه الطول فى القرآن الكريم وينبغى أن يكون ذلك نهاية الطول فى السجع وقوفا مع ماورد به القرآن الكريم الذى هو أفصح كلام وأقوم نظام وان كان الوزير ضياء الدين بن الاثير والشيخ شهاب الدين محمود الحلبى وغيرهما قد صرحوا بأنه لا ضابط لأكثره واعلم انه قد جرت عادة كتاب الزمان ومصطلحهم أن تكون السجعة الاولى من افتتـاح الولاية من تقليد أو توقيـع أو غير ذلك قصيرة بحيث لا يتعدى آخرها السطر الثانى فى الكتابة ليقع العلم بها بمجرد وقوع النظر على أول المكتوب وعلى هذا فيختلف القصر فيها باختلاف ضيق الورق وسعته فى العرض

الغرض الخامس

(فى ترتيب السجعات بعضها على بعض فى التقديم والتأخير باعتبار الطول والقصر وله حالتان)

(الحالة الاولى ـ أن لايزيد السجع على سجعتين وله ثلاث مراتب)

المرتبة الاولى ـ أن تكون القرينتان متساويتين لاتزيد احداهما على الأخرى كقوله تعـالى (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) وقوله (والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا) وأمثال ذلك

المرتبة الثانية - أن تكون القرينة الثانية أطول من الاولى بقدر يسير كقوله تعالى (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) فالاولى ثمان كلمات والثانية تسع ونحو ذلك أما اذا طالت الثانية عن الاولى طولا يخرج عن الاعتدال فانه يستقبح حينئذ ووجهه فى حسن التوسل بأنه يبعد وجود القافية على السامع فيقل الالتذاذ بسماعها والمرجع فى قدر الزيادة والقصر الى الذوق

المرتبة الثالثة - أن تكون القرينة الثانية أقصر من الاولى قال فى المثل السائر وهو عندى عيب فاحش لأن السمع يكون قد استوفى أمده من الفصل الاول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثانى قصيرا فيكون كالشيء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها وفيما قاله نظر فقد تقدم فى قوله تعالى (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) الآيتان أن الاولى عشرون كلمة والثانية تسع عشرة بل قد اختار تحسين ذلك أبو هلال العسكرى فى الصناعتين محتجا له بكثرة وروده فى كلام النبوة كقوله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقوله المؤمنون تتكافؤ دماؤهم وهم يد على من سواهم وقوله رحم الله من قال خيرا فغنم أو سكت فسلم

(الحالة الثانية - أن يزيد السجع على سجعتين ولها أربع مراتب)

المرتبة الاولى - أن يقع على حد واحد فى التساوى وهو مستحسن وقد ورد فى القرآن الكريم بعض ذلك كقوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود) فهذه السجعات الثلاث مركبة من لفظتين لفظتين

المرتبة الثانية - أن تكون الاولى أقصر والثانية والثالثة متساويتين كقوله تعالى (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) فالاولى من ثمان كلمات والثانية والثالثة من تسع تسع

المرتبة الثالثة - أن تكون الاولى والثانية متساويتين والثالثة زائدة عليهما وقد أشار الى هذه المرتبة فى حسن التوسل حيث قال فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الأوليين وزيادة الثالثة ولم يمثل لها

المرتبة الرابعة - أن تكون الثانية زائدة على الأولى والثالثة زائدة على الثانية قال فى المثل السائر وينبغى أن تكون فى هذه الحالة زيادة الثالثة متميزة فى الطول على الأولى والثانية أكثر من تميز الثانية على الأولى ثم قال واذا كانت الأولى والثانية أربع لفظات أربع لفظات

تكون الثالثة عشر لفظات أو احدى عشرة لفظة ومثل له فى حسن التوسل بقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) فالأولى من ثمان كلمات والثانية من تسع والثالثة من عشرة ومثل له فى المثل السائر بقوله فى وصف صديق فقلت الصديق من لم يعتض عنك بخالف ولم يعاملك معاملة الحالف واذا بلغته أذنه وشاية أقام عليها حد السارق أو القاذف فالأولى وهى لم يعتض عنك بخالف والثانية بعدها أربع كلمات والثالثة عشر كلمات ثم قال وينبغى أن يكون ما يستعمل من هذا القبيل فان زادت الأولى والثانية على هذه العدة زادت الثالثة بالحساب وان نقصت الأولى والثانية فكذلك لكن قد ضبط فى حسن التوسل الزيادة فى الثالثة بأن لا تجاوز المثل والأمر فيما بين الضابطين قريب ولا يخفى حكم الرابعة فى الزيادة مع الثالثة قال فى حسن التوسل ولا بد من الزيادة فى آخر القرائن

الغرض السادس

(فيما يكون فيه حسن السجع وقبحه)

أما حسنه فيعتبر فيه بعد ما يقع فيكون به تحسين الكلام من أصناف البديع ونحوها بأمور أخرى . منها أن يكون السجع بريئا من التكلف خاليا من التعسف محمولا على ما يأتى به الطبع وتبديه الغريزة ويكون اللفظ فيه تابعا للمعنى بأن يقتصر من اللفظ على ما يحتاج اليه فى المعنى دون الاتيان بزيادة أو نقص تدعو اليه ضرورة السجع حتى لو حصلت زيادة أو نقص بسبب السجع دون المعنى خرج السجع عن حيز المدح الى حيز الذم . ومنها أن تكون الالفاظ المسجوعة حلوة حادة لا غثة ولا باردة مونقة المعنى حسنة التركيب غير قاصرة على صورة السجع الذى هو تواطؤ الفقر فيكون كمن نقش أثوابا من الكرسف أو نظم عقدا من الخرز الملون قال فى المثل السائر وهذا مقام تزل عنده الأقدام ولا يستطيعه الا الواحد بعد الواحد من أرباب هذا الفن قال ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا ولولا ذلك كان كل أديب سجاعا اذ ما منهم من أحد الا وقد تيسر عليه تأليف ألفاظ مسجوعة فى الجملة . ومنها أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها لأن اشتمال السجعتين على معنى واحد يمكن أن يكون فى احداهما بمفردها هو عين التطويل المذموم فى الكلام وهو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها على ما هو مقرر فى علم البيان قال فى المثل السائر فلا يكون مثل قول الصابى فى وصف مدبر يسافر رأيه وهو دان لم ينزح ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح ولو قال يسافر رأيه وهو دان لم ينزح ويثخن الجراح فى عدوه وسيفه فى الغمد لم يجرح لسلم من

هجنة التكرار فانه تصير كل سجعة محتوية على معنى بحياله . ومنها أن يقع التجنيس في نفس الفواصل كقولهم اذا قلت الانصار كلت الابصار وقولهم ماوراء الخلق الدميم الا الخلق الذميم ونحو ذلك ومنها أن يقع في خلال السجعة الطويلة قرائن قصار فتكون سجعا في سجع كقوله تعالى (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وقوله (ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد) فان قوله على أموالهم وقوله على قلوبهم سجعتان داخلتان في السجعة التي آخرها حتى يروا العذاب الأليم وقوله بآخذيه وقوله تغمضوا فيه سجعتان داخلتان في السجعة التي آخرها غني حميد وعدّ العسكري منه قولهم عاد تعريضك تصريحا وتمريضك تصحيحا وأما قبحه فيعتبر بأمور . منها التجميع وهو أن تكون فاصلة الجزء الاول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني كما حكى قدامة أن كاتبا كتب في جواب كتاب وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر وان كان قديم العبودية ويستغرق الشكر وان كان سالف فضلك لم يبق شيأ منه فان العبودية بعيدة عن مشاكلة منه . ومنها التطويل فيما ذكر قدامة وغيره وهو أن يجيء الجزء الاول طويلا فيحتاج الى اطالة الثاني بالضرورة كما حكى قدامة أن كاتبا كتب في تعزية اذا كان للمحزون في لقاء مثله كبير الراحة في العاجل وكان طويل الحزن راتبا اذا رجع الى الحقائق وغير زائل قال في الصناعتين وذلك أنه لما أطال الجزء الاول وعلم أن الجزء الثاني ينبغي أن يكون مثله أو أطول احتاج الى تطويل الثاني فأتى باستكراه وتكلف قال في مواد البيان والاطالة بقوله وغير زائل

الاصل الخامس

(حسن الاتباع والقدرة على الاختراع . واعلم أن لكاتب الانشاء مسلكين)

المسلك الاول

(طريقة الاتباع)

وهي نظر الكاتب في كلام من تقدمه من الكتاب وسلوك منهجهم واقتفاء سبيلهم وسماها ابن الاثير التقليد وهي على صنفين

الصنف الاول

(الاتباع في الالفاظ)

وهو اعتماد الكاتب على ما رتبه غيره من الكتاب وأنشأه سواه من أهل صناعة النثر بأن يعمد الى ما أنشأه أفاضل الكتاب ورتبه علماء الصناعة من نثر أو نظم فيأخذه برمته ويأتي عليه بصيغته وغايته أن يكون ناسخا ناقلا لكلام غيره حاكيا له ولمثل ذلك توضع الدساتير وتدوّن

الدواوين على أنه ربما غير وبدّل وحرّف وصحف وأزال اللفظ عن وضعه وأحال المعنى عن حكمه وبعضهم ربما حملتــه الأنفة والخوف من أن يقال أخذ كلام فلان برمته فعدل الى كلام غيره فالتقط من كل مكان سجعتين أو سجعات ورتب بعضها على بعض حتى تقوم بمقصوده وينتهى الى مراده فان كان لطيف الذوق حســن الاختيار رائق الترتيب فاختار من خلال السجع لطيفه وأحسن رصفه وتأليفه جاء به جارا ئقا لانه أتى من كل كلام بأحسنه الا أن فيه اخراج الكلام عن وضعه الذى قصده الناثر وتفريق مادون من كلام الأفاضل وتبديد شمله وخروج الكلام عن أن يعرف قائله ويعلم منشئه فيقع من القلوب بمكان صاحبه ويهتدى بهديه وينسج على منواله وان لم يكن لطيف الذوق ولا حسن الاختيار جاء ما لفقــه من كلام غيره ركيكا نائيا عن الذوق بعيدا عن الصنعة بعادمن النسخ الى المسخ وأخرج الكلام عن موضوعه وأفسده فى وضعه وتركيبه فان صحبــه التصحيف والتحريف فتلك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى ثم لا يكتفى بذلك حتى يتبجح به ويعتقد أن ذلك عين الانشاء وحقيقته محتجا فى ذلك بقول الحريرى ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق ظانا أن التلفيق هو ضم سجعات منتظمة وفقرات مؤلفة بعضها الى بعض ولم يعلم أن المراد بالتلفيق ضم لفظة الى أختها واضافة كلمة الى مشاكلتها وشتان ما بين التلفيقين وبعدا لما بين الطريقين

ولل‍زنبور والبازى جميعا * لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

وقد عابوا أخذ المعنى اذا كان ظاهرا مكشوفا فما ظنك بمن يأخذ الكلام برمته واللفظ بصورته فيصير ناسخا لكلام غيره وناقلا له فأى فضيلة فى ذلك وقد قيل من أخذ معنى بلفظه كان سارقا ومن أخذ بعض لفظه كان سالخا ومن أخذه فكساه لفظا من عنده كان أولى به ممن تقدمه وأين من هو أولى بالشئ ممن سبقه اليه ممن يعد سارقا وسالخا ويقال ان أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه ومن أخذ معنى بلفظه فليس له فيه نصيب هذا فيمن أخذ سجعة أو سجعتين فى خطبة أو رسالة أو بيتا أو بيتين فى قصيدة وما قارب ذلك أما من أخذ القصــيدة بكمالها أو الخطبة أو الرسالة برمتها أو لفقها من خطب أو رسائل فذاك انما يعد ناسخا ان أحسن النقل أو ماسخا أن أفسده واعلم أن الناثر الماهر والشاعر المفلق قد يأتى بكلام سبقه اليه غيره فيأتى بالبيت من الشعر أو القرينة من النثر أو أكثر من ذلك بلفظ الاول من غير زيادة ولا نقصان أو بتغيير لفظ يسير وهذا هو الذى يسميه أهل هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر وقد سئل أبو عمرو ابن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى فقال عقول رجال توافت على ألسنتها والواقع من ذلك فى كلامهم على قسمين

القسم الاول

(ماوقع الاتفاق فيه فى المعنى واللفظ جميعا)

كقول الفرزدق

وغـر قد وسقت مشمرات * طوالع لا تطيق لها جوابا
بكل ثنيـة وبكل ثغـر * غرائبهن تنتسب انتسابا
بلغن الشمس حين تكون شرقا * ومسقط رأسها من حيث غابا

ووافقه جرير فقال مثـل ذلك من غير زيادة ولا نقص وير وى أن عمر بن أبى ربيعة أنشد ابن عباس رضى الله عنـه * تشط غدا دار جيراننا * فقال ابن عباس رضى الله عنه * وللدار بعد غد أبعد * فقال عمر والله ماقلت الا كذلك قال أبو هلال العسكرى فى كتابه الصناعتين وأنشدت الصاحب اسماعيل بن عباد رحمه الله * كانت سراة الناس تحت أظله * فسبقنى وقال * فغدت سراة الناس فوق سراته * وكذلك كنت قلت قال الوزير ضياء الدين ابن الاثير رحمه الله فى كتابه المثل السائر . ويحكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلى كان يتحدث اليها الشباب فدخل الفرزدق اليها وجعل يحادثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل اليها فأقبلت عليه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للفتى أتصارعنى فقال ذاك اليك فقام اليه فلم يلبث ان أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فضرط فوثب الفتى عنه وقال ياأبا فراس هـذا مقـام العائذ بك والله ما أردت ماجرى قال ويحك والله مابى انك صرعتنى ولكن كأنى بابن الاتان يعنى جريرا وقد بلغه خبرى فقال يهجونى

جلست الى ليلى لتحظى بقربها * فخانك دبر لا يزال يخـون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه * كما شد جربان الدلاص قيون

فـامضى الأيام حتى بلغ جريرا الخبر فقـال فيه هذين البيتين قال وهـذا من أغرب مايكون فى هذا الموضع وأعجبه قال فى الصناعتين واذا كان القوم فى قبيلة واحدة فى أرض واحدة فان خواطرهم تقع متقاربة كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة قال فى المثل السائر ويقال ان الفرزدق وجريرا كانا ينطقان فى بعض الاحوال عن ضمير واحد قال وهذا عندى مستبعد فان ظاهر الامر يدل على خلافه والباطن لايعلمه الا الله تعالى والا فاذا رأينا شاعرا متقـدم الزمان قد قال قولا ثم سمعناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال انه أخذه منه وهب أن الخواطر تتفق فى استخراج المعانى الظاهرة المتداولة فكيف تتفق الالسـنة أيضا فى صوغ الالفاظ وكلام العسكرى فى الصناعتين يوافقه بالعتب على المتأخر وان ادعى أنه لم يسمع كلام الاول فى مثل ذلك

القسم الثـانى

(ماوقع الاتفاق فيه فى المعنى و بعض اللفظ وهو على ضربين)

الضرب الاول — ما اتفق فيه المعنى وأكثر اللفظ كقول امرئ القيس

وقوفا بهـا صحبى علىّ مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتحمل

وقول طرفة

وقوفا بها صحبى علىّ مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

فالتخالف بينهما فى كلمة القافية فقط وقول البعيث

أترجو كليب أن يجىء حديثها * بخير وقد أعيا كليبا قديمها

وقول الفرزدق

أترجو ربيع أن تجىء صغارها * بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

فالتخالف بينهما فى موضعين من البيت كلمة القافية واسم القبيلة وقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء

أجاد طويس والسريجى بعده * ومافصبات السبق الا لمعبد

وقول الفرزدق بعده

محاسن أصناف المغنين جلة * ومافصبات السبق الا لمعبد

فاتفقا فى النصف الثانى واختلفا فى النصف الاول الى غير ذلك من الاشعار التى وقعت خواطر الشعراء عليها وتوافقت عقولهم عندها

الضرب الثانى — ما اتفق فيـه المعنى مع يسير اللفظ فمن ذلك قول البحترى فى وصف غلام

فوق ضعف الصغير ان وكل الامـ * ـر اليـه ودون كيـد الكبار

أخذه من قول أبى نواس

لم يجف من كبر عمـا يراد به * من الامور ولا أزرى به الصغر

وقول أبى تمـام

ولم أمدحك تفخيما لشعرى * ولـكنى مدحت بك المديحـا

أخذه من قول حسان بن ثابت يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

ما ان مدحت محمدا بمقالتى * لـكن مدحت مقالتى بمحمد

وقول أبى الطيب

أين أزمعت أيهـذا الهمام * نحن نبت الربا وأنت الغمام

أخذه من قول بشار

كأن الناس حين تغيب عنهم * نبات الارض أخطأه القطار

الصنف الثانى

(التقليد فى المعانى)

وهذا مما لا يستغنى عنه ناظم ولا ناثر قال أبو هلال العسكرى رحمه الله فى كتابه الصناعتين ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ويوردوها فى غير حليتها الاولى ويزيدوا عليها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن سبق اليها قال ولولا أن القائل يؤدى ما سمع لما كان فى طاقته أن يقول وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين وقد قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لولا أن الكلام يعاد لنفد ومن كلام بعضهم كل شئ اذا ثنيته قصر الا الكلام فانك اذا ثنيته طال والمعانى مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقى والنبطى والزنجى وانما يتعاضد الناس فى الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى بينهم فليس على أحد فيه عيب الا اذا أخذه بكل لفظه أو أفسده فى الاخذ وقصر فيه عمن تقدمه قال فى الصناعتين وما يعرف للمتقدم معنى شريف الا نازعه فيه المتاخر وطلب الشركة فيه معه الا بيت عنترة

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

فانه ما نوزع فيه على جودته قال وقد رامه بعض المحدثين فافتضح مع العلم بأن ابتكار المعنى والسبق اليه ليس فيه فضيلة ترجع الى المعنى وانما ترجع الفضيلة فيه الى الذى ابتكره وسبق اليه فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه والوسط وسط والردىء ردىء وان لم يكن مسبوقا اليها على أن بعض علماء الادب قد ذهب الى أنه ليس لاحد من المتأخرين معنى مبتدع محتجا لذلك بأن قول الشعر قديم مذ نطق باللغة العربية وأنه لم يبق معنى من المعانى الا وقد طرق مرارا قال فى المثل السائر والصحيح ان باب الابتداع مفتوح الى يوم القيامة ومن الذى يحجر على الخواطر وهى قاذفة بما لا نهاية له الا أن من المعانى ما يتساوى فيه الشعراء ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر لأن الخواطر تأتى به من غير حاجة الى اتباع الآخر الاول كقولهم فى الغزل

عفت الديار وما عفت * آثارهن من القلوب

وقولهم فى المديح ان عطاءه كالبحر أو كالسحاب وأنه لا يمنع عطاء اليوم عطاء غد وانه يجود بماله من غير مسألة وأشباه ذلك وقولهم فى المراثى ان هذا الرزء أول حادث وانه استوى فيه

الأباعد والأقارب وان الذاهب لم يكن واحدا وانما كان قبيلة وان بعـد هذا الذاهب لا يعد للمنية ذنب وما أشـبه ذلك وكذلك سائر المعانى الظاهرة التى تتوارد عليها الخواطر من غير كلفة ويسـتوى فى ايرادها كل بارع قال ومثـل ذلك لا يطلق على الاخر فيـه اسم السرقة من الاول وانما يطلق اسم السرقة فى معنى مخصوص كقول أبى تمام

لا تنــكروا ضربى له مادونه * مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنــوره * مثـلا من المشكاة والنبراس

فان هـذا معنى ابتدعه مخصوص بأبى تمام وذلك أنه لما أنشـد أحمد بن المعتصم قصـيدته السينية التى مطلعها * مافى وقوفك ساعة من باس * انتهى الى قوله منها

إقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

فقال الحكيم الكندى وأى فخر فى تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأطرق أبو تمام ثم أنشـد هذين البيتين معتذرا عن تشبيهه اياه بعمرو وحاتم واياس فالحال يشهد بابتداعه هـذا المعنى فمن أتى بعده بهذا المعنى أو بجزء منه كان سارقا له وكذلك كل ماجرى هذا المجرى ولم يزل الشعراء والخطباء يقتبسون من معانى من قبلهم و يبنون على بناء من تقدمهم فمما وقع للشعراء من ذلك قول أبى تمام

خلفنا رجالا للتجلد والأسى * وتلك الغوانى للبكا والمـآتم

أخذه من قول عبد الله بن الزبير لما قتل مصعب بن الزبير وانما التسليم والسلو لحزماء الرجال وان الجزع والهلع لربات الحجال وقوله أيضا

تعجب ان رأت جسمى نحيفا * كأن المجـد يدرك بالصراع

أخذه من قول زياد بن أبيه لأبى الاسود الدؤلى لولا أنك ضعيف لاستعملتك وقول أبى الاسود له فى جواب ذلك ان كنت تريدنى للصراع فانى لا أصلح له والا فغير شـديد أن آمر وأنهى وقوله من قصيدة البيت المتقدم

أطال يدى على الايام حتى * جزيت صروفها صاعا بصاع

أخذه من قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه

فان تقتلا أو يمكن الله منكما * نكل لكما صاعا بصاع المكايل

وقول أبى الطيب المتنبى

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

أخذه من قول ارسطوطاليس اذا كانت الشهوة فوق القـدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشـــهوة

وقول الخاسر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

أخذه من قول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فلما سمع بشار بيت الخاسر قال ذهب ابن الفاعلة ببيتي ومثل هذا وأشباهه مما لا ينحصر كثرة ولا يكاد أن يخلو عنه بيت الا نادرا . ومما وقع للكتاب من ذلك ما كتب به ابراهيم بن العباس من قوله فى فصل من كتاب اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه وللمسىء من العقاب ما يقمعه ازداد المحسن فى الاحسان رغبة . وانقاد المسىء للحق رهبة أخذه من قول على كرم الله وجهه يجب على الوالى أن يتعهد أموره و يتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه احسان محسن ولا اساءة مسىء ثم لا يترك واحدا منهما بغير جزاء فان ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسىء وفسد الأمر وضاع العمل وما كتب به بعض الكتاب فى فصل وهو لو سكت لسانى عن شكرك لنطق أثرك علىّ وفى فصل آخر ولو جحدتك احسانك لأكذبتنى آثارك ونمت على شواهدها أخذه من قول نصيب * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب * وما كتب به أحمد بن يوسف من فصل وهو أحق من أبثك العذر فى حال شغلك من لم يخل ساعة من برك فى وقت فراغك أخذه من قول على رضى الله عنه لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتى و يلتمس الزيادة فيما بقى والاقتباس من الأحاديث والآثار كثير وقد تقدم الكلام عليه قبل ذلك قال فى الصناعتين ومن أخفى أسباب السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده فى نثر أو من نثر فيورده فى نظم أو ينقل المعنى المستعمل فى صفة خمر فيجعله فى مديح أو فى مديح فينقله الى وصف الا أنه لا يصل لهذا الا المبرز الكامل المقدم وقال فى المثل السائر أشكل سرقات المعانى وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبا أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ قال وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتى الا قليلا ولا يتفطن له و يستخرجه من الاشعار الا بعض الخواطر دون بعض فمن ذلك قول أبى تمام فى المدح

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

أخذه من قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

فعروة جعل اجتهاده فى طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام جعل الموت فى الحرب الذى هو غاية اجتهاد المجتهد فى لقاء العدو قائما مقام الانتصار قال فى المثل السائر وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف وأظهر من ذلك أخذا قول القائل

وقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لايعود

أخذه من قول ابن المقفع فى باب المراثى من الحماسة

وقد جرّ نفعا فقد نالك أننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

على انه ربما وقع للمتأخر معنى سبقه اليه من تقدمه من غير أن يلم به المتأخر ولم يسمعه ولا استبعاد فى ذلك كما يستبعد اتفاق اللفظ والمعنى جميعا قال أبو هلال العسكرى وهـذا أمر قد عرفته من نفسى فلا أمترى فيه وذلك انى كنت عملت شيأ فى صفة النساء فقلت

* سفرن بدورا وانتقبن أهلة *

وظننت أنى لم أسبق الى جمع هذين التشبيهين حتى وجدت ذلك بعينه لبعض البغداديين فكثر تعجبى وعزمت على أن لا أحكم على المتأخر بالسرقة من المتقـدم حكما حتما اذا تقرر ذلك فسرقة المعنى المجرد عن اللفظ لاتخرج عن اثنى عشر ضربا

الضرب الاول ـ أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه مايشبهه ولايكون هو إياه قال فى المثل السائر وهذا من أدق السرقات مذهبا وأحسنها صورة ولا يأتى الا قليلا فمن ذلك قول المتنبى

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

وهذا المعنى استخرجه المتنبى من قول بعض شعراء الحماسة وان لم يكن صريحا فيه حيث يقول

لقـد زادنى حبا لنفسى اننى * بغيض الى كل امرئ غير طائل

قال فى المثل السائر والمعرفة بأن هذا المعنى من ذلك المعنى عسر غامض غير متبين الا لمن أعرق فى ممارسة الشعر وغاص على استخراج المعانى قال وبيان ذلك ان الاول يقول ان بغض الذى هو غير طائل اياى قد زاد نفسى حبا الىّ أى قد كملها فى عينى وحسنها عنـدى كون الذى هو غير طائل منقصى والمتنبى يقول ان ذم الناقص اياه بفضله كتحسين بغض الذى هو غير طائل نفس ذلك عنده وأظهر من ذلك أخذا من هذا الضرب قول البحترى فى قصيدة يفخر فيها بقومه

شيخان قد ثقل السلاح عليهما * وعداهما رأى السميع المبصر

ركبا القنا من بعد ما حملا القنا * فى عسكر متحامل فى عسكر

أخذه من قول أبى تمام فى وصف جمل

رعته الفيافى بعدما كان حقبة * رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعى الارض ثم سار فيها فرعته أى أهزلته فكأنها فعلت به مثل مافعل بها والبحترى نقله الى وصف الرجل بعلو السن والهرم فقال انه كان يحمل الرمح فى القتال ثم صار يركب الرمح أى يتوكأ منه على عصا كما يفعل الشيخ الكبير وأوضح من ذلك وأكثر بيانا فى الأخذ قول البحترى أيضا

أعاتك ما كان الشباب مقربي * اليك فألحى الشيب اذ هو مبعدي

أخذه من قول أبي تمام

لا أظلم النأي قد كانت خلائقها * من قبل وشك النوى عندي نوى قذفا

الضرب الثاني — أن يؤخذ المعنى فيعكس قال في المثل السائر وذلك حسن يكاد يخرجه حسنه عن حد السرقة فمن ذلك قول أبي نواس

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطي الى ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

وقول ابن الوليد في عكسه

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا

والدر ليس بنافع أربابه * حتى يزين بالنظام ويثقبا

ومنه قول ابن جعفر

ولما بدا لي انها لا تريدني * وأن هواها ليس عني بمنجلي

تمنيت أن تهوى سواي لعلها * تذوق صبابات الهوى فترق لي

وقول غيره في عكسه

ولقد سرني صدودك عني * في طلابيك وامتناعك مني

حذرا أن أكون مفتاح غيري * واذا ما خلوت كنت التمني

أما ابن جعفر فانه ألقى عن منكبيه رداء الغيرة وأما الآخر فانه جاء بالضد من ذلك وبالغ غاية المبالغة ومنه قول أبي الشيص

أجد الملامة في هواك لذيذة * شغفا بذكرك فليلمني اللوم

وقول أبي الطيب في عكسه

أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه

ومنه قول أبي تمام

ولولا خلال سنها الشعر ما درى * بغاة العلى من أين تؤتى المكارم

وقول الوزير ضياء الدين بن الاثير في عكسه

لولا الكرام وما سنوه من كرم * لم يدر قائل شعر كيف يمتدح

الضرب الثالث — أن يؤخذ بعض المعنى دون بعض فمن ذلك قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

عطاؤك زين لامرئ ان حبوته * ببذل وما كل العطاء يزين

وقول أبي تمام بعده

تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت * كانت فخارا لمن يعفوه مؤتنفا
مازلت منتظرا أعجوبة زمنا * حتى رأيت سؤالا يجتنى شرفا

فأميـة بن أبي الصلت أتى بمعنيين أحدهما ان عطاءك زين والآخر ان عطاء غيرك ليس بزين وأبو تمام أتى بالمعنى الاول فقط ومنه قول على بن جبلة

وآمل مالم يحوه متقـدم * وان نال منه آخر فهو تابع

وقول أبي الطيب بعده

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الا عذاريا

فابن جبلة أتى بمعنيين أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد ممن تقدمه وان نال الآخر شيأ فهو مقتد به وتابع له وأبو الطيب أتى بالمعنى الاول فقط وهو أنه فعل مالم يفعله غيره مشيرا الى ذلك بقوله فما يفعل الفعلات الا عذاريا أي يستبكرها ويزيل عذرتها ومنه قول الآخر

انتج الفضل أو تخل عن الدنـ * ـيا فهاتان غاية الهمم

وقول البحتري بعده

ادفع بأمثال أبي غالب * عادية العدم أو استعفف

فالبحتري اقتصر على بعض المعنى ولم يستوفه

الضرب الرابع — أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر قال في المثل السائر وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره فمن ذلك قول الاخنس بن شهاب

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب

وقول مسلم بن الوليد بعده

ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو عرّد السيف لم يهمم بتعريد

أخذ مسلم المعنى الذي أورده الاخنس وهو وصل السلاح اذا قصر بالخطا الى العدوّ وزاد عليه عدم تعريدهم أي فرارهم اذا عرّد السيف ومنه قول جرير في وصف أبيات من شعره

غرائب آلاف اذا حان وردها * اخذن طريقا للقصائد معلما

وقول أبي تمام بعده

غرائب لاقت في فنائك أنسها * من المجد فهي الآن غير غرائب

فزاد أبو تمام على جرير قران ذلك بالممدوح ومدحه مع الابيات ومنه قول المعذل بن غيلان

ولست بنظار الى جانب الغنى * اذا كانت العلياء في جانب الفقر

وقول أبى تمام بعده

يصدّ عن الدنيا اذا عنّ سودد * ولو برزت فى زىّ عذراء ناهد

فزاد عليه قوله ولو برزت فى زىّ عذراء ناهد . ومما اتفق لى نظمه فى هذا الباب أنه لما عمرت مدرسة الظاهر برقوق بين القصرين بالقاهرة المحروسة وكان القائم بعمارتها الأمير جركس الخليلى أميراخور الظاهرى وكان قد اعتمد بناءها بالصخور العظيمة التى لا تنقلها الجمال حملا ولا تحمل الا على العجل الخشب فأولع الشعراء بالنظم فى هذا المعنى فنظم بعض الشعراء أبياتا عرض فيها بذكر الخليلى وقيامه فى عمارتها ثم قال فى آخرها

وبعض خدّامه طوعا لخدمته * يدعو الصخور فتأتيه على عجل

وألزمنى بعض الاخوان بنظم شئ فى المعنى فوقع لى أبيات من جملتها

وبالخليلى قد راجت عمارتها * فى سرعة بنيت من غير ما مهل

كم أظهرت عجبا أسواط حكمته * وقد غدت مثلا ناهيك من مثل

وكم صخور تخال الجنّ تنقلها * فانها بالوحى تأتى وبالعجـــل

فزدت عليه ذكر الوحى الذى معناه السرعة أيضا وصار مطابقا لما يأتى به المعزمون فى عزائمهم من قولهم الوحى الوحى العجل العجل مع ما تقدم له من التوطئة بقولى تخال الجنّ تنقلها على أنى لست من فرسان هذا الميدان ولا من رجال هذا الوغى

الضرب الخامس — أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الاولى قال فى المثل السائر وهذا هو المحمود الذى يخرج به حسنه عن باب السرقة فمن ذلك قول أبى تمام

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

أخذه البحترى فقال

قل الكرام فصار يكثر فذهم * ولقـــد يقل الشئ حتى يكثرا

ومنه قول أبى نواس

يدل على ما فى الضمير من الفتى * تقلب عينيه الى شخص من يهوى

وقول أبى الطيب بعده

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليـــه لكل عين دليـــل

ومنه قول أبى العلا بن سليمان فى مرثية

وما كلفـــة البدر المنير قديمة * ولكنها فى وجهـــه أثر اللطم

وقول القيسرانى بعده

وأهوى الذى يهوى له البدر ساجدا * ألست ترى فى وجهـــه أثر الترب

ومنه قول ابن الرومى

اذا شنأت عين امرئ شيب نفسه * فعين سواه بالشناءة أجدر

وقول من بعده

اذا كان شيبى بغيضا الىّ * فكيف يكون اليها حبيبا

الضرب السادس — أن يؤخذ المعنى و يسبك سبكا موجزا قال فى المثل السائر وهو من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة على بسط الناظم فى القول وسعة باعه فى البلاغة فمن ذلك قول أبى تمام

برزت فى طلب المعالى واحدا * فيها تسير مغورا أو منجدا

عجبا بأنك سالم من وحشة * فى غاية مازلت فيها مفردا

وقول ابن الرومى بعده

غربته الخلائق الزهر فى النا * س وما أوحشته بالتغريب

فأخذ معنى البيتين فى بيت واحد ومنه قول أبى العتاهية

وانى لمعذور على فرط حبها * لأن لها وجها يدل على عذرى

أخذه أبو تمام فقال

له وجه اذا أبصر * ته ناجاك عن عذرى

فأوجز فى هذا المعنى غاية الايجاز ومنه قول أبى تمام يمدح أحمد بن سعيد

كانت مساءلة الركبان تخبرنى * عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

أخذه أبو الطيب فأوجز فى أخذه فقال

وأستكبر الأخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغرا لخبر الخبر

ومنه قول بعض الشعراء

أمن خوف فقر تعجلته * وأخرت انفاق ما تجمع

فصرت الفقير وأنت الغنى * وما كنت تعدو الذى تصنع

أخذه أبو الطيب فقال

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

الضرب السابع — زيادة البيان مع المساواة فى المعنى بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فمن ذلك قول أبى تمام

هو الصنع ان تعجل فنفع وان ترث * فللريث فى بعض المواطن أنفع

أخذه أبو الطيب فقال

ومن الخير بطء سيبك عنى * أسرع السحب فى المسير الجهام

فزاده وضوحا بضرب المثال له بالجهام وهو السحاب الذى لا مطر فيه ومنه قول أبى تمام أيضا

قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

أخذه أبو الطيب فقال

وجاهل مده فى جهله ضحكى * حتى أتته يد فراسة وفم

اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم

فضرب له مثالا بظهور أنياب الليث فزاده وضوحا ومنه قول أبى تمام أيضا

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بحال

أخذه البحترى فقال

وقد زادها افراط حسن جوارها * لاخلاق اصفار من المجد خيب

وحسن درارىّ الكواكب أن ترى * طوالع فى داج من الليل غيهب

فضرب له مثالا بالكواكب فى ظلام الليل فأوضحه وزاده حسنا

الضرب الثامن — اتحاد الطريق واختلاف المقصود مثل أن يسلك الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين وهنالك يتبين فضل أحدهما على الآخر فمن ذلك قول النابغة

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه * عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب

وهذا المعنى قد توارده الشعراء قديما وحديثا وأوردوه بضروب من العبارات فقال أبو نواس

يتوخى الطير غدوته * ثقة باللحم من جذره

وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وقال أبو تمام

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل

اقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا أنها لا تقاتل

وكل هؤلاء قد أتوا بمعنى واحد لا تفاضل بينهم فيه الا من جهة حسن السبك أو من جهة الايجاز قال ولم أر أحدا أغرب فى هذا المعنى فسلك هذا الطريق مع اختلاف مقصده الا مسلم ابن الوليد فقال

أشربت أرواح العدا وقلوبها * خوفا فأنفسها اليك تطير

لو حاكمتك فطالبتك بذحلها * شــهدت عليك ثعالب ونسور

فهذا قد فضل به مسلم غيره فى هــذا المعنى ولما انتهى الأمر الى أبى الطيب سلك هذه الطريق التى سلكها من تقدمه الا انه خرج فيها الى غير المقصد الذى قصدوه فأغرب وأبدع وحاز الاحسان بجملته وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره فقال

سحاب من العقبان يزحف تحتها * سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه

لحوى طرفى الاغراب والاعجاب

الضرب التاسع — بياض بالاصل

الضرب العاشر — أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا فيجعل عاما وهو من السرقات التى يسامح صاحبها فأما جعل العام خاصا فمن ذلك قول الاخطل (١)

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

أخذه أبو تمام فقال

أألوم من بخلت يداه واغتدى * للبخــل تربا ساء ذاك صنيعا

فالاخطل نهى عن الاتيان بما ينهى عنه مطلقا فجاء بالخلق منكرا فجعله شائعا فى بابه وأبو تمام خصص ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الاخلاق . وأما جعل الخاص عاما فمن ذلك قول أبى تمام

ولو حاردت شول عذرت لقاحها * ولكن منعن الدر والضرع حافل

أخذه أبو الطيب فجعله عاما فقال

وما يؤلم الحرمان من كف حارم * كما يؤلم الحرمان من كف رازق

الضرب الحادى عشر — قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة قال فى المثل السائر وهذا لا يسمى سرقة بل يسمى اصلاحا وتهـذيبا فمن ذلك قول أبى نواس فى أرجوزة يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان فقال من جملتها

جن على جن وان كانوا بشر * كأنما خيطوا عليها بالابر

أخذه المتنبى فقال

فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم خلقوا على صهواتها

(١) فى ديوان الاخطل صحيفة ٣٣٨ ان هذا البيت للمتوكل الليثى

فهذا فى غاية العلو والارتقاء بالنسبة الى قول أبى نواس ومنه قول أبى الطيب

لو كان ما يعطيهم من قبل أن * يعطيهم لم يعرفوا التأميلا

وقول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فكلام ابن نباتة أحسن فى الصورة من كلام المتنبى هنا وان كان مأخوذا منه

الضرب الثانى عشر — قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة وهو الذى يعبر عنه أهل هذه الصناعة بالمسخ وهو من أرذل السرقات وأقبحها فمن ذلك قول أبى تمام

فتى لا يرى ان الفريصة مقتل * ولكن يرى أن العيوب مقاتل

أخذه أبو الطيب فمسخه فقال

يرى أن ما ما بان منك لضارب * بأقتل مما بان منك لعائب

ومنه قول عبد السلام بن رعبان

نحن نعزيك ومنك الهدى * مستخرج والصبر مستقبل

أخذه أبو الطيب فمسخه فقال من أبيات

وبألفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذى له قلت قبلا

المسلك الثانى

(طريقة الاختراع)

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير فى المثل السائر فهى أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شئ منها بل يصرف همته الى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الاجادة فى المعانى والالفاظ ثم يأخذ فى الاقتباس من القرآن والاخبار النبوية والاشعار فيقوم ويقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدى حتى يستقيم الى طريق يفتتحها لنفسه وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها قال وهذه الطريق هى طريق الاجتهاد وصاحبها يعد إماما فى الكتابة كما يعد الشافعى وأبو حنيفة ومالك وغيرهم من المجتهدين فى علم الفقه الا أنها مستوعرة جدا لا يستطيعها الا من رزقه الله تعالى لسانا هجاما وخاطرا رقاما قال ولا أريد بهذا الطريق أن يكون الكاتب مرتبطا فى كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والأخبار النبوية والاشعار بحيث انه لا ينشئ كتابا الا من ذلك بل انه اذا حفظ القرآن الكريم وأكثر من حفظ الاخبار النبوية والاشعار ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه مفتش على دفائنه وقلبه ظهرا

لبطن عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية على أنه لابد للكاتب المرتقى الى درجة الاجتهاد فى الكتابة مع حفظ القرآن الكريم والاستكثار من حفظ الاخبار النبوية والأشعار المختارة من العلم بأدوات الكتابة وآلات البيان من علم اللغة والتصريف والنحو والمعانى والبيان والبديع ليتمكن من التصرف فى اقتباس المعانى واستخراجها فيرقى الى درجة الاجتهاد فى الكتابة كما أن المجتهد من الفقهاء اذا عرف أدوات الاجتهاد من آيات الاحكام وأحاديثها ونعتها وعرف النحو والناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة والحساب والفرائض واجماع الصحابة وغير ذلك من آلات الاجتهاد وأدواته استخرج بفكره حينئذ ما يؤديه اليه اجتهاده فالمجتهد فى الكتابة يستخرج المعانى من مظانها من القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار والأمثال وغير ذلك بواسطة آلة الاجتهاد كما أن المجتهد فى الفقهيات يستخرج الاحكام من نصوص الكتاب والسنة بواسطة آلة الاجتهاد فاذا أراد الكاتب المتصف بصفة الاجتهاد فى الكتابة انشاء خطبة أو رسالة أو غيرهما مما يتعلق بفن الانشا

بياض بالاصل

الاصل السادس

(وجود الطبع السليم وخلو الفكر عن المشوش)

أما وجود الطبع فقال فى مواد البيان أول معاون هذه الصناعة الجليلة القريحة الفاضلة والغريزة الكاملة التى هى مبدأ الكمال ومنشأ التمام والأساس الذى ينبى عليه والركن الذى يستند اليه فان المرء قد يجتهد فى تحصيل الآداب ويتوفر على اقتناء العلوم واكتسابها وهو مع ذلك غير مطبوع على تأليف الكلام فلا يفيده ما اكتسبه بخلاف المطبوع على ذلك فانه وان قصر فى اقتباس العلوم واكتساب المواد فقد يلحق بأوساط أهل الصناعة وذلك أن الطبع يخص الله تعالى به المطبوع دون المتطبع والمناسب بغريزته للصناعة دون المتصنع ولا سبيل الى اكتساب سهولة الطبع ولا كزازته بل هو موهبة تخص ولا تعم وتوجد فى الواحد وتفقد فى الآخر قال ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير ومن الناس من يكون فى البديهة أبدع منه فى الروية ومن هو مجيد فى الروية وليست له بديهة وقلما يتساويان ومنهم من اذا خاطب أبدع واذا كاتب قصر ومن هو بضد ذلك ومن قوى نثره ضعف نظمه ومن قوى نظمه ضعف نثره وقلما يتساويان وقد يبرز الشاعر فى معنى من مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد ولهذا قيل أشعر الناس امرؤ القيس

اذاركب وزهيراذارغب والنابغةاذارهب وعنترة اذا كلب والأعشى اذاطرب قال فى المثل السائر بل ربما نفذ فى بعض أنواع الشعردون بعض فيرى مجيدا فى المدح دون الهجو أو بالعكس أوماهرا فى المقامات ونحوها دون الرسائل أو فى بعض الرسائل دون بعض قال ابن أبى الأصبع ولربما ناواه العمل فى وقت دون وقت ولذلك قال الفرزدق انى ليمر على الوقت ولقلع ضرس من أضراسى أيسر على من قول الشعر ولذلك عز تأليف الكلام ونظمه على كثير من العلماء باللغة والمهرة فى معرفة حقائق الالفاظ من حيث نبوطباعهم عن تركيب بسائط الكلام الذى قامت صور معانيه فى نفوسهم وصعب الأمر عليهم فى تأليفه ونظمه فقد حكى أن الخليل بن أحمد مع تقدمه فى اللغة ومهارته فى العربية واختراعه علم العروض الذى هو ميزان شعر العرب لم يكن يتهيأ له تأليف الالفاظ السهلة لديه الحاصلة المعانى فى نفسه على صورة النظم الا بصعوبة ومشقة وكان اذا سئل عن سبب اعراضه عن نظم الشعر يقول يأبانى جيده وآبى رديئه مشيرا بذلك الى أن طبعه غير مساعدله على التأليف المرضى الذى تحسن نسبته الى مثله وقيل للمفضل الضبى ألا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به فقال علمى به يمنعنى من قوله وأنشد

أبى الشعر الا أن يفىء رديئه * على ويأبى منه ما كان محكما

فياليتنى ان لم أجد حوك وشيه * ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وأنشد أبو عبيدة خلفا الأحمر شعراله فقال اخبأ هذا كما تخبأ السنورة حاجتها مع ما كان عليه أبو عبيدة من العلم باللغة وشعر العرب وأمثالها وأيام حروبها وما يجرى مجرى ذلك من مواد تأليف الكلام ونظمه ويحكى عن أبى العباس المبرد أنه قال لا أحتاج الى وصف نفسى لأن الناس يعلمون أنه ليس أحد بين الخافقين تختلج فى نفسه مسألة مشكلة الا لقينى بها وأعدنى لها فأنا عالم ومعلم وحافظ ودارس لا يخفى على مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة أو التماس حاجة فأجعل المعنى الذى أقصد نصب عينى ثم لا أجد سبيلا الى التعبير عنه بيد ولا لسان ولقد بلغنى أن عبد الله بن سليمان ذكرنى بجميل فحاولت أن أكتب اليه رقعة أشكره فيها وأعرض ببعض أمورى فأتعبت نفسى يوما فى ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها وكنت أحاول الافصاح عما فى ضميرى فينحرف لسانى الى غيره ولذلك قيل زيادة المنطق على الأدب خدعة وزيادة الأدب على المنطق هجنة فقد تبين لك أن العبرة بالطبع وأنه الاصل المرجوع اليه فى ذلك على أن الطبع بمفرده لا ينهض بالمقصود من ذلك نهوضه مع اشتماله على المواد المساعدة له على ذلك من الانواع السابقة فيما تقدم فى أول هذه المقالة من العلم باللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان والبديع وحفظ كتاب الله تعالى والاكثار من حفظ الاحاديث النبوية والامثال والشعر والخطب ورسائل المتقدمين وأيام العرب

ومايجرى مجرى ذلك مما يكون مساعدا للطبع ومسهلا طريق التأليف والنظم بل يتفاوت في العلو والهبوط بحسب التفاوت في ضعف المساعد من ذلك وقوته اذ معرفته هـذه الأمور قائمة من الانشاء مقام المادة والطبع قائم فيه مقام الآلة فلا يتم الفعل وان قامت الصورة في نفس الصانع مالم توجد المادة والآلة جميعا ولو كان حصول المادة كافيا في التوصل الى حسن التأليف الذي هو نظم الالفاظ المتناسبة وتطبيقها على المعاني المساوية لكانت صناعة الكلام المؤلف من الرسائل والخطب والاشعار سهلة والمشاهد بخلاف ذلك لقصور الافاضل عن بلوغ هذه الدرجة وأما خلو الفكر عن المشوش فانه يرجع الى أمرين

الأمر الاول — صفاء الزمان فقد قال أبو تمام الطائي في وصيته لأبي عبادة البحتري مرشداله للوقت المناسب لذلك تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة في الاوقات اذا قصـد الانسان تأليف شئ أو حفظه أن يختار وقت السحر فان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطهـا من النوم وخف عنها ثقل الغـذاء وصفا الدماغ من أكثر الابخرة والأدخنه وسكنت الغمـاغم ورقت النسائم وتغنت الحمائم وخالف ابن أبي الاصبع في اختيار وقت السحر وجنح الى اختيار وسط الليل أخذا من قول أبي تمام في قصيدته البائية

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى * والليـل أسود رقعـة الجلباب

مفسرا للدجى بوسط الليل محتجا لذلك بأنه حينئذ تكون النفس قد أخذت حظها من الراحة ونالت قسطها من النوم وخف عنها ثقـل الغذاء فيكون الذهن حينئذ صحيحا والصـدر منشرحا والبدن نشيطا والقلب ساكنا بخلاف وقت السحر فانه وان كان فيه يرق النسيم وينهضم الغذاء الا انه يكون قد انتبه فيه أكثر الحيوانات الناطق وغيره ويرتفع معظم الاصوات ويجرى الكثير من الحركات وينقشع بعض الظلماء بطلائع أوائل الضوء وربما انهضم عن بعض الناس الغذاء فتحركت الشهوة لاخلاف ما انهضم منه وخرج من فضلاته فكان ذلك داعيا الى شغل الخاطر وباعثا على انصراف الهم الى تدبير الحدث الحاضر فينقسم الفكر ويتذبذب القلب ويتفرق جميع الهم بخلاف وسط الليل فانه خال من جميع ذلك

الأمر الثاني — صفاء المكان وذلك بأن يكون المكان الذي هو فيـه خاليا من الاصوات عاريا عن المخوفات والمهولات والطوارق وأن يكون مع ذلك مكانا رائقا معجبا رقيق الحواشي فسيح الارجاء بسيط الرحاب غير غم ولا كدر فان انضم الى ذلك مافيه بسط للخاطر من ماء وخضرة وأشجار وأزهار وطيب رائحة كان أبسط للفكر وأنجح للخاطر وقد ذهب بعضهم الى أنه ينبغي خلو المكان من النقوش الغريبـة والمرائي المعجبة فانها وان كانت مما ينشط الخاطر فان فيها شغلا للناظر فيتبعه القلب فيتشتت

المقصــــد الثـانى

(من الطرف الثالث فى بيان طرق البلاغة ووجوه تحسين الكلام وكيفية انشائه وتأليفه وتهذيبه وتأديته وبيان مايستحسن من الكلام المصنوع ومايعاب به)

أما انشاؤه وتأليفه فقد قال ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير يجب على كل من كان له ميل الى عمل الشعر وانشاء النثر أن يتعهد أولا نفسه ويمتحنها بالنظر فى المعانى وتدقيق الفكر فى استنباط المخترعات فاذا وجد لها فطرة سليمة وجبلة موزونة وذكاء وقادا وخاطرا سمحا وفكرا ثاقبا وفهما سريعا وبصيرة مبصرة وألمعية مهذبة وقوة حافظة وقدرة حاكية وهمة عالية ولهجة فصيحة وفطنة صحيحة أخذ حينئذ فى العمل وان كان بعض ذلك غير لازم لرب الانشاء ولا يضطر اليه أكثر الشعراء ولكن اذا كملت هذه الصفات فى الكاتب والشاعر كان موصوفا فى هذه الصناعة بكمال الاوصاف النفيسة قال أبو هلال العسكرى فى الصناعتين اذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك وتنوق له كرائم اللفظ فاجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك تطلبها واعمله مادمت فى شباب نشاطك فاذا غشيك الفتور وتخونك الملال فامسك فان الكثير مع الملال قليل والنفيس مع الضجر خسيس والخواطر كالينابيع يسقى منها شئ بعد شئ فتجد حاجتك من الرى وتنال أربك من المنفعة فاذا أكثرت عليها نضب ماؤها فقل عنك غناؤها وينبغى أن تخرج مع الكلام معارضة فاذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته أو معنى بديع تعلقت بذيله وتحرز أن يسبقك فانه ان سبقك تعبت فى تطلبه ولعلك لا تلحقه على طول الطلب ومواصلة الدأب وهذا الشاعر يقول

اذا ضيعت أول كل شئ * أبت أعجازه الا التواء

وقد قالوا ينبغى لصانع الكلام أن لا يتقدم الكلام تقدما ولا يتتبع ذناباه تتبعا ولا يحمله على لسانه حملا فانه ان تقدم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله وأعجفه والشارد منه وان تتبعه فاتته سوابقه ولواحقه وتباعدت عنه جياده وغرره وان حمله على لسانه ثقلت عليه أوساقه وأعباؤه ودخلت مساويه فى محاسنه ولكنه يجرى معه فلا تند عنه نادة تعجبه سمنا الا كبحها ولا تتخلف عنه مثقلة هزيلة الا أرهقها وطورا يفرقه ليختار أحسنه وطورا يجمعه ليقرب عليه خطوة الفكر ويتناوله من تحت لسانه ولا يسلط الملل على قلبه ولا الاكثار على فكره فيأخذ عفوه ويستغزر دره ولا يكره آبيا ولا يدفع آتيا واياك والتعقيد والتوعر فان التوعر هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن يصونهما عما يدنسهما ويفسدهما ويهجنهما فتصير بهما الى حد

تكون فيه أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس البلاغة وترتهن نفسك فى ملابستها ولكن لفظك شريفا عذبا فخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا فان وجدت اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل الى مركزها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب أماكنها والنزول فى غير أوطانها وان بليت بتكلفة القول وتعاطى الصناعة ولم تسمح لك الطبيعة فى أول وهلة وعصت عليك بعد اجالة الفكر فلا تعجل ودعه سحابة يومك ولا تضجر وامهله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة وأجريت من الصناعة على عرف وينبغى أن تعرف أقدار المعانى فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين واقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاما ولكل حال مقاما حتى تقسم أقدار المستمعين على أقدار الحالات فان المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال قال فى مواد البيان ويكون استعمال كل من جزل الالفاظ وسهلها وفصيحها وسلسها وبهجها فى موضعه وأن يسلك فى تأليف الكلام الطريق الذى يخرجه عن حكم الكلام المنثور العاطل الذى تستعمله العامة فى المخاطبات والمكاتبات الى حكم المؤلف الحالى بحلى البلاغة والبديع كالاستعارات والتشبيهات والاسجاع والمقابلات وغيرها من أنواع البديع قال فى الصناعتين وان عملت رسالة أوخطبة فتخط ألفاظ المتكلمين كالجسم والجوهر والعرض واللون والتأليف واللاهوت والناسوت فان ذلك هجنة قال فى مواد البيان وذلك بأن يقصد الكاتب الى ألفاظ الصناعة فيخرج منها الى ألفاظ غريبة عن الصناعة غير مجانسة لها قال وانما يؤتى الكاتب فى هذا الباب من جهة أن يكون له شركة فى صناعة غير الكتابة كصناعة الفقه والكلام وغيرهما مثل صناعة أصحاب الاعراب ونحوها فلكل طبقة من هذه الطبقات ألفاظ خاصة بها يستعملونها فيما بينهم عند المحاورة والخوض فى الصناعة ومن عادة الانسان اذا تعاطى بابا من هذه الابواب أن يسبق خاطره الى الالفاظ المتعلقة به فيوقعها فى الكتب التى ينشئها لغلبة عادة استعماله اياها فيهجنها بادخاله فيها ما ليس من أنواعها قال فى الصناعتين وتخير الالفاظ وابدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته فان أمكن مع ذلك انتظامه من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب اليه وان اتفق له أن يكون موقعه فى الاطناب أو الايجاز أليق بموقعه وأحق بالمقام والحال كان جامعا للحسن بارعا فى الفضل فان بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبئ عن مصادره وأوله يكشف قناع آخره كان قد جمع نهاية الحسن وبلغ أعلى مراتب التمام قال فى مواد البيان واذا سلكت طريقا فرفيها ولا تتنازل عنها ان كانت رفيعة ولا ترتفع عنها ان كانت وضيعة وخالف ابن أبى الاصبع فقال ولا تجعل كل الكلام شريفا عاليا ولا وضيعا نازلا بل فصله تفصيل العقود فان العقد اذا كان كله نفيسا لا يظهر حسن فرائده

ولا يبين جمال واسطته فان الكلام اذا كان متنوعا فى البلاغة افتنت الاسماع فيه ولا يلحق النفوس ملل من ألفاظه ومعانيه ولا يخرج عن غرض الى غيره حتى يكمل كل ما ينتظم فيه كما اذا كان ينشئ كتابا فى العذل والتوبيخ فيشوب ألفاظه بألفاظ أخرى تخرج عن الخشونة الى اللين فان اختلاف رقعة الكلام من أشد عيوبه قال فى الصناعتين ولا تجعل لفظك حوشيا بدويا ولا مبتذلا سوقيا ورتب الالفاظ ترتيبا صحيحا فتقدم منها ما حسن تقديمه وتؤخر منها ما يحسن تأخيره ولا تقدم منها ما يكون التأخير به أحسن ولا تؤخر ما كان التقديم به أليق ولا تكرر الكلمة الواحدة فى كلام قصير كما كتب سعيد بن حميد ومثل خادمك بين ما عللك فلم يجد شيأ يفى بحقك ورأى أن تقريظك بما يبلغه اللسان وان كان مقصرا عن حقك أبلغ فى أداء ما يجب لك فكرر ذكر الحق مرتين فى مقدار يسير على أن أبا جعفر النحاس قد ذكر فى صناعة الكتاب أن ذلك ليس بعيب عند كثير من أهل العربية وهو الحق فقد وقع مثل ذلك من التكرير فى القرآن الذى هو أفصح كلام وآنق نظام فى قوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) فكرر ذكر الميزان ثلاث مرات فى مقدار يسير من كلام وأمثاله فى القرآن الكريم كثير قال فى الصناعتين فان احتاج الى اعادة المعانى أعادها بغير اللفظ الذى ابتدأ به كما قال معاوية من لم يكن من بنى عبد المطلب جوادا فهو دخيل ومن لم يكن من بنى الزبير شجاعا فهو لزيق ومن لم يكن من بنى المغيرة تياها فهو سنيد فقال دخيل ثم قال لزيق ثم قال سنيد والمعنى واحد والكلام على ما ترى حسن ولو قال لزيق ثم أعاد لسمج على أن الوزير ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر قد ذكر ما ينافى ذلك وتعقب أبا اسحاق الصابى فى قوله فى تحميدة كتاب الحمد لله الذى لا تدركه الأعين بألحاظها ولا تحده الألسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها وقوله بعد ذلك فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لم يرللكفر أثرا الا طمسه ومحاه ولا رسما الا أزاله وعفاه فقال لا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لا فرق بين محو الأثر واعفاء الرسم ويحتمل أن يقال انما كره صاحب المثل السائر ذلك لتوافق القرينتين فى جميع المعنى بخلاف كلام معاوية فانه متوافق فى اللفظة الأخيرة فقط قال فى الصناعتين ويجتنب كل ما يكسب الكلام تعمية كما كتب سعيد بن حميد يذكر مظلمة انسان فى كتابه لفلان وله بى حرمة مظلمة يريد لفلان مظلمة وله بى حرمة بمعنى أنه راعى حرمته قال واعلم أن الذى يلزمك فى تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع فان جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن فى سجعك استكراه وتنافر وتعقيد وكثيرا ما يقع ذلك فى السجع وقلما يسلم اذا طال من استكراه وتنافر قال ابن أبى الأصبع ولا تجعل كلامك كله مبنيا على السجع فتظهر عليه الكلفة ويتبين فيه أثر المشقة وتتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى

الساقط واللفظ النازل وربما استدعيت كلمة للقطع رغبة فى السجع فجاءت نافرة من أخواتها قلقة فى مكانها بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ وصحة المعانى واجهد فى تقويم المبانى فان جاء الكلام مسجوعا عفوا من غير قصد وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان وان عز ذلك فاتركه وان اختلفت أسجاعه وتباينت فى التقفية مقاطعه فقد كان المتقدمون لا يحتفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه الا ما أتت به الفصاحة فى أثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا اكتساب وانما كانت كلماتهم متوازية وألفاظهم متساوية ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائعة وفصولهم متقابلة وجمل كلامهم متماثلة وتلك طريقة الامام على رضى الله عنه ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع ويزيد بن هارون وابراهيم بن العباس والحسن بن سهل وعمرو بن مسعدة وأبى عثمان الجاحظ وغيرهم من الفصحاء البلغاء قال فى مواد البيان وأقل ما يكون من الازدواج قرينتان قال فى الصناعتين وينبغى أن يجتنب اعادة حروف الصلات والرباطات فى موضع واحد اذا كتب فى مثل قول القائل له منه عليه أو عليه منه أو به له منه وحقه له عليه قال وسبيله أن يداويه حتى يزيله بأن يفصل ما بين الحرفين مثل أن يقول أقمت به شهداء عليه كقول المتنبى

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليها شواهد

قال ابن أبى الأصبع وليراع الايجاز فى موضعه والاطناب فى موضعه بحسب ما يقتضيه المقام ويتجنب الاسهاب والتطويل بغير المفيد قال العسكرى وينبغى أن يأتى فى تأليفه الكلام بآيات من الكتاب العزيز فى الامور الجليلة للترصيع والتحلية والاستشهاد للمعانى على ما يقع فى موقعه ويليق بالمكان الذى يوقع فيه ولكنه لا يستكثر منه حتى يكون هو الغالب على كلامه تنزيها لكلام الله تعالى عن الابتذال فانه انما يستعمله على جهة التبرك والزينة لا ليجعل حشوا فى الكلام واذا استعير منه شئ أتى به على صورته ولا ينقله عن صيغته ليسلم من تحريفه ومخالفة اختيار الله تعالى فيه قال وكما لا يجوز الاكثار منه لا يجوز أن يخلى كلامه من شئ منه تحلية له فان خلو الكلام من القرآن يطمس محاسنه وينقص بهجته ولذلك كانوا يسمون الخطبة الخالية من القرآن بتراء وينبغى أن لا يستعمل فى كتابته ما جاء به القرآن العظيم من الحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص والجماعة بلفظ الواحد والواحد بلفظ الجماعة وما يجرى هذا المجرى لأن القرآن قد نزل بلغة العرب وخوطب به فصحاؤهم بخلاف الرسائل قال فى الصناعتين لا يجوز أن يستعمل فيها ما يختص بالشعر من صرف ما لا ينصرف وحذف ما لا يحذف وقصر الممدود ومد المقصور والاخفاء فى موضع الاظهار وتصغير الاسم فى موضع تكبيره الا أن يريد تصغير التعظيم كقول القائل أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ومما يستحسن من وصية أبى تمام لأبى عبادة البحترى فى الشعر مما لا يستغنى الناثر عن المعرفة به والنسج على منواله انه يجب

أن يناسب بين الالفاظ والمعانى فى تأليف الكلام ويكون كخياط يقدر الثياب على قدر الاجسام وأن يجعل شهوته لتأليف الكلام هى الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين ويعتبر كلامه بما سلف من كلام الماضين فما استحسنه العلماء فليقصده وما استقبحوه فليجتنبه وينبغى أن يعمل السجعات مفرقة بحسب ما يجود به الخاطر ثم يرتبها فى الآخر ويحترز عند جمعها من سوء الترتيب ويتوخى حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامه بعضه آخذا بأعناق بعض فانه أكمل لحسنه وأمثل لرصفه وأن يجيد المبدأ والمخلص والمقطع ويميز فى فكره محط الرسالة قبل العمل فانه أسهل للقصد ويجتهد فى تجويد هذه المواضع وتحسينها ويوضح معانيه ما استطاع . قلت وقد سبق فى أول هذه المقالة فى بيان ما يحتاج اليه الكاتب من الأدوات وذكر أنواعها بيان كيفية الاقتباس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والاستشهاد بها وكيفية حل الشعر الى النثر وتضمينه فى خلال الكلام المنثور وما يجرى هذا المجرى فأغنى عن اعادته هنا وأما بيان ما يستحسن من الكلام المصنوع فقد قال فى الصناعتين ان الكلام يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخير لفظه واصابة معناه وجودة مطالعه ولين معاطفه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشبه أعجازه بهواديه وموافقة أواخره لمباديه مع قلة ضروراته بل عدمها أصلا حتى لا يكون لها فى الألفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المنثور فى سهولة مطلعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه وكمال صوغه وتركيبه فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرونق والطلاوة وسلم من ضعف التأليف وبعد من سماجة التركيب صار بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليقا فاذا ورد على السمع المصيب استوعبه ولم يمجه والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وتقلق عن الجاسى البشع وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقه وتنفر عما يضاده ويخالفه والعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح والأنف يرتاح للطيب ويعاف المنتن والفم يلتذ بالحلو ويمج المر والسمع يتشوق للصوت الرائع وينزوى عن الجهير الهائل واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ويسكن الى المألوف ويصغى الى الصواب ويهرب من المحال وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجافى الغليظ ولا يقبل الكلام المضطرب والروية الفاسدة قال وليس الشأن فى ايراد المعانى لأن المعانى يعرفها العربى والأعجمى والقروى والبدوى انما هو فى جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه وصحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف وليس يطلب من المعنى الا أن يكون صوابا ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصف من نعوته التى تقدمت ألا ترى أن الخطب الرائعة والأشعار الرائقة لم تعمل لافهام المعانى فقط لأن الردىء من الالفاظ يقوم مقام الجيد

منها فى الافهام وانما يدل حسن الكلام واحكام صنعته ورونق ألفاظه وجودة مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله ومنشيه وأيضا فان الكلام اذا كان لفظا حلوا عذبا وسطا دخل فى جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر وأحسن الكلام ما تلاءم نسجه ولم يسخف وحسن نظمه ولم يهجن ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون خلقا بغيضا ولا السوقى من الالفاظ فيكون مهلهلا دونا ولا خير فى المعانى اذا استكرهت قهرا والالفاظ اذا اجترت قسرا ولا خير فيما أجيد لفظه الامع وضوح المغزى وظهور المقصد قال وقد غلب على قوم الجهل فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الابكد ويستفصحونه اذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة وجاسية غريبة ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ولم يعلموا أن السهل أمنع جانبا وأعز مطلبا وهو أحسن موقعا وأعذب مستمعا ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع وقد وصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال هو أبلغ الناس ومن بلاغته ان كل أحد يظن أنه يكتب مثل كتبه فاذا رامها تعذرت عليه وأنشد ابراهيم ابن العباس لخاله العباس بن الأحنف

ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بعصياني ولو قال لى * لاتشرب البارد لم أشرب

ثم قال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع القليل النظير العزيز الشبيه المطمع الممتنع البعيد مع قربه الصعب مع سهولته قال فجعلنا نقول هذا الكلام والله أحسن من شعره وقيل لبعضهم ألا تستعمل الغريب فى شعرك فقال ذلك عى فى زمانى وتكلف منى لو قلته وقد رزقت طبعا واتساعا فى الكلام فأنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير ولا يحتاج الى تفسير وقال أبو داود رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها تخير الالفاظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه وما كان من الكلام لفظه سهلا ومعناه مكشوفا بينا فهو من جملة الردىء المردود لاسيما اذا ارتكبت فيه الضرورات فأما الجزل المختار من الكلام فهو الذى تعرفه العامة اذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها وأجود الكلام ما كان سهلا جزلا لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه ولا يكون مكدودا مستكرها ومتوعرا متقعرا ويكون بريئا من الغثاثة عاريا من الرثاثة فمن الجزل الجيد من النثر قول سعيد بن حميد وأنا من لا يحاجك عن نفسه ولا يغالطك عن جرمه ولا يلتمس رضاك الا من جهته ولا يستدعى برك الا من طريقته ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ولا يستميلك الا بالاعتراف بالجرم نبت بى عنك غرة الحداثة وردتنى اليك الحنكة وباعدتنى منك الثقة بالأيام وقادتنى اليك الضرورة فان رأيت أن تستقبل الصنيعة بقبول العذر وتجدد النعمة باطراح الحقد فان قديم الحرمة

وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الاساءة وان أيام القدرة وان طالت قصيرة والمتعة وان كثرت قليلة فعلت ان شاء الله تعالى . وأجزل منه قول الشعبي للحجاج وقد أراد قتله لخروجه عليه مع ابن الاشعث أجدب بنا الجناب وأحزن بنا المنزل فاستحلسنا الحذر واكتحلنا السهر وأصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء فعفا عنه ومن النظم قول المرار

لا تسألى القوم عن مالى وكثرته * قد يقتر المرء يوما وهو محمود
أمضى على سنة من والدى سلفت * وفى أرومته ما ينبت العود

فهذا وان لم يكن من كلام العامة فانهم يعرفون الغرض منه و يقفون على أكثر معانيه لحسن ترتيبه وجودة نسجه قال فى الصناعتين أما اذا كان لفظ الكلام غثا ومعرضه رثا فانه يكون مردودا ولو احتوى على أجل معنى وأنبله وأرفعه وأفضله كقول القائل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ * ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدين

قال فهو لا يدخل فى جملة المختار ومعناه كما ترى نبيل فاضل جليل وأما الجزل الردىء الفج الذى ينبغى ترك استعماله فقد مر فى الكلام على الغريب الوحشى

المقصد الثالث

(فى بيان مقادير الكلام ومقتضيات اطالته وقصره)

اعلم أن الكلام المصنوع من الخطب والمكاتبات والولايات وغيرها على ثلاثة أضرب

الضرب الاول

(الايجاز)

وهو جمع المعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة وعليه ورد أكثر آى القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى فى مفتتح سورة الفاتحة (الحمد لله رب العالمين) انتظم فيه خلق السموات والارض وسائر المخلوقات لم يشذ عنه شئ فى أوجز لفظ وأقربه وأسهله ومنه قوله تعالى (ألا له الخلق والامر) استوعب جميع الاشياء على الاستقصاء فى كلمتين لم يخرج عنهما شئ وقوله (أولئك لهم الأمن) فدخل تحت الأمن جميع المحبوبات لانه نفى به أن يخافوا شيأ من الفقر والموت وزوال النعمة والجور وغير ذلك وقوله (ليشهدوا منافع لهم) جمع منافع الدنيا والآخرة وقوله فى صفة خمر أهل الجنة (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) انتظم بقوله ولا هم عنها ينزفون عدم ذهاب العقل وذهاب المال ونفاد الشراب فلم يكن فيها شئ من ذلك وقوله (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)

لجمع فيهـا مكارم الاخلاق بأسرهـا لان فى العفو صـلة القاطعين واعطاء المانعين وفى الامر بالمعروف تقوى الله تعالى وصلة الرحم وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن المحرمات والتبرى من كل قبيح اذ لا يأمر بالمعروف من هو ملابس شيأ من المنكر الى غير ذلك من الآيات التى لا تحصى كثرة . ومن كلام النبوة قوله صـلى الله عليه وسلم نية المرء خير من عمله وقوله عليه السلام حبك الشئ يعمى ويصم الى غير ذلك من جوامع الكلم

الضرب الثـانى

(الاطناب)

وهو الاشـباع فى القول وترديد الالفـاظ المترادفة على المعنى الواحد وقد وقع منـه الكثير فى الكتاب العزيز مثل قوله تعـالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) وقوله جل وعز (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) كرر اللفظ فى الموضـعين تأكيدا للامر واعلاما أنه كذلك لامحـالة وقوله (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) فكرر انى لكم منه نذير مبين من حيث ان الكفر وان تعددت أقسامه لا يخرج عن تعطيل أو شرك ففى قوله ففروا الى الله نفى التعطيل باثبات الاله وفى قوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر نفى الشرك وقد كرر سبحانه فى سورة الرحمن قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث عدد فيهـا نعمه وأذكر عباده آلاءه ونبههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها وجعلها فاصلة بين كل نعمة ونعمة تنبيها على موضع ما أسداه اليهم فيها وكذلك كرر فى سورة المرسلات (ويل يومئذ للمكذبين) تأكيدا لامر القيامة المذكورة فيها وقد وقع التكرار للتأكيد فى كلام العرب كثيرا كما فى قول الشاعر

* اتاك اتاك اللاحقون أتاكا *

وقول الآخر

* كم نعمة كانت لكم كم كم وكم *

الى غير ذلك مما وقع فى كلامهم مما لا تأخذه الاحاطة

الضرب الثـالث

(المساواة)

بأن تكون الالفاظ بازاء المعانى فى القلة والكثرة لا يزيد بعضها على بعض وقد مثل له العسكرى فى الصناعتين بقوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام) وقوله (ودوا لو تدهن فيدهنون) وقول النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى بخير ما لم تر الامامة مغنما والزكاة مغرما وقوله اياك والمشارة فانها تميت الغرة وتحيى العرة وقول بعض الكتاب سألت عن خبرى وأنا فى عافية لا عيب فيها

الافقدك ونعمة لامزيد فيها الابك وقول آخر وقد علمتنى نبوتك سلوتك وأسلمنى يأسى منك الى الصبر عنك وقول آخر فتولى الله النعمة عليك وفيك وتولى اصلاحك والاصلاح لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا بك وقول الشاعر

أهابك اجلالا وما بك قدرة * علىّ ولكن ملء عين حبيبها

وما هجرتك النفس انك عندها * قليل ولا ان قل منك نصيبها

اذا علمت ذلك فقد اختلف البلغاء فى أى الثلاثة أبلغ وأولى بالكلام فذهب قوم الى ترجيح الايجاز محتجين له بأنه صورة البلاغة وان ما تجاوز مقدار الحاجة من الكلام فضلة داخلة فى حيز اللغو والهذر وهما من أعظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة وغباوته وقد قال الامين محمد بن الرشيد عليكم بالايجاز فان له افهاما وللاطالة استبهاما وقال جعفر ابن يحيى لكتابه ان قدرتم على أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا وقال بعضهم البلاغة بالايجاز أنجع من البيان بالاطناب وقيل لبعضهم ما البلاغة قال الايجاز وقيل لابن حازم لم لا تطيل القصائد فأنشد

أبى لى أن أطيل الشعر قصدى * الى المعنى وعلمى بالصواب

وايجازى بمختصر قريب * حذفت به الفضول من الجواب

وذهبت طائفة الى أن الاطناب أرجح واحتجوا لذلك بأن المنطق انما هو بيان والبيان لا يحصل الا بايضاح العبارة وايضاح العبارة لا يتهيأ الا بمرادفة الالفاظ على المعنى حتى تحيط به احاطة يؤمن معها من اللبس والابهام وان الكلام الوجيز لا يؤمن وقوع الاشكال فيه ومن ثم لم يحصل على معانيه الا خواص أهل اللغة العارفين بدلالات الالفاظ بخلاف الكلام المشبع الشافى فانه سالم من الالتباس لتساوى الخاص والعام فى جهته ويؤيد ذلك ما حكى انه قيل لقيس ابن خارجة ما عندك فى حمالات ذات حسن قال عندى قرى كل نازل ورضا كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب آمر فيها بالتواصل وأنهى عن التقاطع فقيل لأبى يعقوب الجرمى هل لا اكتفى بقوله آمر فيها بالتواصل عن قوله وأنهى عن التقاطع فقال أوما علمت أن الكناية والتعريض لا تعمل عمل الاطناب والتكشف ألا ترى أن الله تعالى اذا خاطب العرب والاعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى واذا خاطب بنى اسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا وقلما تجد قصة لبنى اسرائيل فى القرآن الا مطولة مشروحة ومكررة فى مواضع معادة لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم فان الكلام المشبع الشافى سالم من الالتباس لتساوى الخاص والعام فى فهمه وذهبت فرقة الى ترجيح مساواة اللفظ المعنى واحتجوا لذلك بان منزع الفضيلة من الوسط دون الاطراف وأن الحسن انما يوجد فى الشئ المعتدل قال فى مواد البيان

والذي يوجبه النظر الصحيح أن الايجاز والاطناب والمساواة صفات موجودة في الكلام ولكل منها موضع لا يخلفه فيه رديفه اذا وضع فيـه انتظم في سلك البلاغة ودل على فضل الواضع واذا وضع غيره دل على نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة . فأما الكلام الموجز فانه يصلح لمخاطبة الملوك وذوي الاخطار العاليـة والهمم المستقيمة والشؤن السنية ومن لا يجوز أن يشغل زمانه بما اهمته مصروفه الى مطالعة غيره . وأما الاطناب فانه يصلح للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ونحوها مما يقرأ في المحافل والعهود السلطانية ومخاطبة من لا يصل المعنى الى فهمه بأدنى اشارة وعلى ذلك يحمل ما كتبه المهلب بن أبي صـفرة الى الحجاج في فتح الازارقة من الخوارج والظهور عليهم على ارتفاع خطر هـذا الفتح وطول زمانه وبعد صيته فانه كتب فيه الحمد لله الذي كفى بالاسلام فقد ما سواه وجعل الحمد متصلا بنعماه وقضى أن لا ينقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه ثم إنا كنا وعدونا على حالتين مختلفتين نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسرهم ويروا منا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم ينصرنا الله ويخذلهم ويمحصنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب بنا ديهم أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فان الذي حمله على الاختصار في هـذا الكتاب انما هو كونه الى السلطان الذي من شأنه اختصار المكاتبات التي تكتب اليـه بخلاف ما لو كتب به عن السلطان الى غيره فانه يتعين فيه بسط القول واطالته على ما سـيأتي ذكره في أول المكاتبات في المقالة الرابعـة ان شاء الله تعالى . وأما مساواة اللفظ للمعنى فانه يصلح لمخاطبة الاكفاء والنظراء والطبقة الوسطى من الرؤساء فكما أن هذه المرتبة متوسطة بين طرفي الايجاز والاطناب كذلك يجب أن تخص بها الطبقة الوسـطى من النـاس قال أما لو استعمل كاتب ترديد الالفاظ ومرادفتها على المعنى في المكاتبـة الى ملك مصروف الهمة الى امور كثيرة متى انصرف منها الى غيرها دخلها الخلل لرتب كلامه في غير رتبـه ودل على جهله بالصناعة وكذا لو بنى على الايجاز كتابا يكتبه في فتح جليل الخطر حسـن الأثر يقرأ في المحافل والمساجد الجامعة على رؤس الاشهاد من العامة ومن يرادمنـه تفخيم شأن السلطان في نفسه لاوقع كلامه في غير موقعـه ونزله في غير منزلتـه لانه لا أقبح ولا أسمج من أن يستنفر النـاس لسماع كتاب قد ورد من السـلطان في بعض عظائم أمور المملكة أو الدين فاذا حضر النـاس كان الذي يمر على أسماعهم من الالفـاظ واردا مورد الايجاز والاختصار لم يحسن موقعـه وخرج من وضع البـلاغة ووضعه في غير موضعه . قلت وما ذكرته من الاصول والقواعد التي تبنى عليها صـنعة الكلام هو القـدر اللازم الذي لا يسع الكاتب الجهل بشيء منـه ولا يسمح باخلاء كتاب مصـنف في هذا الفن منه . أما المتممات التي يكمل بها الكاتب من المعرفة بعلوم البلاغة ووجوه تحسين الكلام من المعاني والبيان والبديع فان فيها كتبا مفردة تكاد تخرج

عن الحصر والاحصاء فاقتضى الحال من المتقدمين للتصنيف فى هذا الفن ان قد قصروا تصانيفهم على علوم البلاغة وتوابعها كالوزير ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر وأبى هلال العسكرى فى الصناعتين والشيخ شهاب الدين محمود الحلبى فى حسن التوسل كما تقدمت الاشارة اليه فى مقدمة الكتاب فليطلب ذلك من مظانه من هذه الكتب وغيرها اذ هذا الكتاب انما يذكر فيه ما يشق طلبه من كتب متفرقة وتصانيف متعددة أو يكون فى المصنف الواحد منه النبذة غير الكافية ولا يجتمع منه المطلوب الا من كشف الكثير من المصنفات المتفرقة فى الفنون المختلفة

الفصل الثالث

من الباب الاول من المقالة الاولى

(فى معرفة الأزمنة والأوقات من الايام والشهور والسنين على اختلاف الأمم فيها وتفاصيل أجزائها والطرق الموصلة اليها ومعرفة أعياد الامم وفيه أربعة أطراف)

الطرف الاول

(فى الايام وفيه ستة جمل)

الجملة الاولى

(فى مدلول اليوم ومعناه وبيان ابتداء الليل والنهار وقد اختلف الناس فى مدلول اليوم على مذهبين)

المذهب الاول — وهو مذهب أهل الهيئة أن اليوم عبارة عن زمان جامع لليل والنهار مدته ما بين مفارقة الشمس نصف دائرة عظيمة ثابتة الموضع بالحركة الاولى الى عودها الى ذلك النصف بعينه وأظهر هذه الدوائر الأفق وفلك نصف النهار والحذاق من المنجمين يؤثرون فلك نصف النهار على الأفق بسهولة تحصل بذلك فى بعض أعمالهم لأن اختلاف دوائره فى سائر الاوقات اختلاف واحد وبعضهم يؤثر استعمال الأفق لأن الطلوع منه والغروب فيه أظهر للعيان وهو الموافق لما نحن فيه ثم منهم من يقدم الليل فيفتتح اليوم بغروب الشمس ويختم بغروبها من اليوم القابل وعلى ذلك عمل المسلمين وأهل الكتاب وهو مذهب العرب لأن شهورهم مبنية

على مسير القمر وأوائلها مقدّرة برؤية الهلال . ومنهم من يقـدّم النهار على الليل فيفتتح اليوم بطلوع الشمس ويختم بطلوعها من اليوم القابل وهو مذهب الروم والفرس . ويحكى أن الاسكندر سأل بعض الحكماء عن الليل والنهار أيهما قبل صاحبه فقال هما فى دائرة واحدة والدائرة لا يعلم لها أول ولا آخر ولا أعلى ولا أسفل

المذهب الثـانى — وهو مذهب الفقهاء أن اليوم عبارة عن النهار دون الليـل حتى لو قال لزوجته أنت طالق يوم يقدم فلان فقدم ليلا لم يقع الطلاق على الصحيح ثم القائلون بذلك نظروا الى الليل والنهار باعتبارين طبيعى وشرعى . أما الطبيعى فالليل من لدن غروب الشمس واستتارها بحدبة الارض الى طلوعها وظهورها من الأفق والنهار من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيبوبة نصفها فى الأفق فى المغرب وسائر الامم يستعملونه كذلك . وأما الشرعى فالليـل من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى وهو المراد بالخيط الأبيض من قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) والنهار من الفجر الثانى الى غروب الشمس وبذلك تتعلق الأحكام الشرعيـة فى الصوم والصـلاة وغيرهما . واعلم أن الشمس فى الليـل تكون غائبة تحت الارض فاذا قربت منا فى حال غيبتها أحسسنا بضيائها المحيط بظل الارض الذى هو الليل وهـذا الضياء طليعة أمامها يطلع فى السحر بياض مستطيل مسـتدق الاعلى وهو الفجر الكاذب اذ لا حكم له فى الشريعة ويشبه بذنب السرحان لانتصابه واستطالتـه ودقتـه ويبقى مدة ثم يزداد هذا الضوء الى أن يأخذ طولا وعرضا وينبسط فى عرض الأفق وهو الفجر الثانى ويسمى الصادق وعليـه تترتب جميع الأحكام الشرعيـة المتعلقة بالفجر وبعده يحمر الأفق لاقتراب الشمس وسطوع ضيائها على المدورات الغريبة من الارض ويتبعه الطلوع وعنـد غروبها ينعكس الحكم فى الترتيب المتقدم فيبقى الأفق محمرا من جهة المغرب بعـد الغروب ثم تزول الحمرة ويبقى البياض الذى هو نظير الفجر الصادق وبالحمرة حكم صـلاة العشاء عنـد الشافعية وبالبياض حكمها عنـد الحنفية ثم يزداد البياض ضعفا شـيأ فشيأ الى أن يغيب ثم يتبعه البياض المسـتطيل المنتصب نظير الفجر الكاذب مدة من الليـل ثم يذهب وهـذا لا حكم له فى الشرعيـات والهند لا يعدون الفجر ولا الشـفق من الليـل ولا من النهار ويجعلونهما قسما مستقلا وهذا فى غاية البعد فان الله تعـالى قسم الزمان الى ليل ونهار ولم يذكر معهما سواهما

الجملة الثانيـــــة

(فى اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والاستواء باختلاف الأمكنة)

اعلم أن البلاد والنواحى على قسمين

القسم الاول — ما يستوى فيه الليل والنهار أبدا لا يختلفان بزيادة ولا نقصان وذلك فى البلاد التى لا عرض لها وهى ما مر عليه خط الاستواء والعلة فى التساوى هى أن أصحاب الهيئة لما توهموا أن بين قطبى فلك البروج دائرة عظمى تقسم سطح السماء نصفين على السواء وسموها دائرة معدل النهار توهموا أيضا فى موازاتها دائرة أخرى تقسم سطح الارض نصفين وسموها دائرة الاستواء وخط الاستواء وكل بلد يمر عليه هذا الخط لا عرض له وذلك لانقسام الكرة فيه وطلوع الشمس أبدا على رؤس ساكنيه وميلها فى ناحيتى الشمال والجنوب بقدر واحد ودوائر الأوقات تقطع جميع الدوائر الموازية لدائرة معدل النهار بنصفين نصفين فيكون قوس النهار وهو الزمان الذى من طلوع الشمس الى غروبها مساويا لقوس الليل وهو الزمان الذى من غروب الشمس الى طلوعها فيكون الليل والنهار متساويين أبدا فى هذه المواضع فى جميع السنة

القسم الثانى — ما يختلف فيه الليل والنهار فى السنة بالاستواء والزيادة والنقصان وهى البلاد ذوات العروض والعلة فى الزيادة والنقصان ان المواضع التى تميل عن خط الاستواء الى الشمال تميل فى كل موضع منها دائرة معدل النهار الى الجنوب وتنحط الشمس ويرتفع القطب الشمالى من الافق ويصير للبلد عرض بحسب ذلك الارتفاع وبقدر بعده عن الخط واذا مالت الدائرة قطعت الآفاق كل دائرة من الدوائر الموازية لها بقطعتين مختلفتين فيكون ما فوق الارض من قسميها أعظم من الذى تحتها لأن القطب لما ارتفع ارتفعت الدوائر الشمالية فظهر من كل واحدة أكثر من نصفها وانحط مدار الشمس عن سمت الرأس الى جهة الجنوب فبعد مشرق الصيف عن مشرق الشتاء فطال النهار وقصر الليل وكلما زاد ارتفاع القطب فى الأقاليم زاد الاختلاف الذى هو بين هذه القطع الى أن تكون نهاية الاطوال حيث يكون ارتفاع القطب اثنتى عشرة درجة ونصفا وربعا وهو أول المعمور اثنتى عشرة ساعة ونصفا وربعا وحيث يكون ارتفاعه تسعا وعشرين درجة وهو آخر الاقليم الثانى ثلاث عشرة ساعة ونصفا وربعا وحيث يكون ارتفاعه ثلاثا وثلاثين درجة ونصفا وهو آخر الاقليم الثالث أربع عشرة ساعة وربعا وحيث يكون ارتفاعه تسعا وثلاثين درجة وهو آخر الاقليم الرابع أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا وحيث يكون ارتفاعه ثلاثا وأربعين درجة ونصفا وهو آخر الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وربعا وحيث يكون ارتفاعه سبعا وأربعين درجة وهو آخر الاقليم السادس خمس عشرة

ساعة ونصفا وربعا وحيث يكون ارتفاعه خمسين درجة وهو آخر الاقليم السابع ست عشرة
ساعة وربعا ولا يزال اختلاف مطالع البروج يزداد بالامعان فى الشمال و يتسع شرقا المنقلبين
و يتقاربان مع مغربيهما الى أن يلتقيا فى العرض المساوى لتمام الميل الأعظم وهو حيث
يكون ارتفاع القطب ستا وستين درجة وفى هذا الموضع يكون قطب فلك البروج فى دوره يمر
على سمت الرؤس و يكون أول السرطان فقط ظاهرا فوق الارض أبدا ومدار أول الجدى فقط
غائبا أبدا فيكون مقدار النهار الأطول أربعا وعشرين ساعة لا ليل فيه ويعرض فى هذه
المواضع عند موازاة قطب فلك البروج سمت الرؤس ان دائرة فلك البروج تنطبق حينئذ على
دائرة الأفق فيكون أول الحمل فى المشرق وأول الميزان فى المغرب وأول السرطان فى الأفق
الشمالى وأول الجدى فى الأفق الجنوبى فاذا صار قطب فلك البروج والأفق نصفين وارتفع
النصف الشرقى من فلك البروج وانخفض النصف الغربى فيطلع حينئذ ستة بروج دفعة
واحدة وهى من أول الجدى الى آخر الجوزاء وكذلك تغرب الستة الباقية دفعة واحدة وحيث
يكون ارتفاع القطب سبعا وستين درجة وربعا فهنالك يكون مدار ما بين النصف من الجوزاء
الى النصف من السرطان ظاهرا فوق الارض أبدا وما بين النصف من القوس الى النصف من
الجدى غائبا أبدا فيكون مقدار شهر من شهور الصيف نهارا كله لا ليل فيه وشهر من الشتاء
ليلا كله لا نهار فيه والعشرة الأشهر الباقية من السنة كل يوم وليلة أربعا وعشرين ساعة
وحيث يكون ارتفاع القطب تسعا وستين درجة ونصفا وربعا فهنالك مدار برجى الجوزاء
والسرطان ظاهرا فوق الارض ومدار برجى القوس والجدى غائبا تحت الارض أبدا ولذلك
يكون مقدار شهرين من الصيف نهارا كله وشهرين من الشتاء ليلا كله وحيث يكون ارتفاع
القطب ثلاثا وسبعين درجة يكون ما بين النصف من الثور الى النصف من الأسد ظاهرا أبدا
والأجزاء النظيرة لها غائبة أبدا فيكون مقدار ثلاثة أشهر من الصيف نهارا كله وثلاثة أشهر
من الشتاء ليلا كله وحيث يكون ارتفاع القطب ثمانا وسبعين درجة ونصفا فهنالك يكون
مدار الثور والجوزاء والسرطان ظاهرا أبدا والبروج النظيرة لها غائبة أبدا فيكون أربعة أشهر
من الصيف نهارا كله وأربعة أشهر من الشتاء ليلا كله وحيث يكون ارتفاع القطب أربعا
وثمانين درجة فهنالك يكون مدار ما بين النصف من الحمل الى النصف من السنبلة ظاهرا أبدا
والبروج النظيرة لها غائبة أبدا فيكون خمسة أشهر من الصيف نهارا كله وخمسة أشهر من الشتاء
ليلا كله ومما يعرض فى هذه المواضع التى تقدم ذكرها أنه اذا كان قطب فلك البروج فى دائرة
نصف النهار مما يلى الجنوب كان أول الحمل فى المشرق وأول الميزان فى المغرب وتكون البروج
الشمالية ظاهرة أبدا فوق الارض والجنوبية غائبة تحتها وهنالك يطلع ماله طلوع من آخر الفلك

فيما بين الجدى والسرطان منكوسا فيطلع الثور قبل الحمل والحمل قبل الحوت والحوت قبل الدلو وكذلك تغرب نظائرها منكوسة وحيث يكون ارتفاع القطب تسعين درجة فتصير على سمت الرأس فهنالك تكون دائرة معدل النهار منطبقة على الأفق أبدا ويكون دور الفلك رحويا موازيا للأفق ويكون نصف السماء الشمالى عن معدل النهار ظاهرا أبدا فوق الارض والنصف الجنوبى غائبا تحتها فلذلك اذا كانت الشمس فى البروج الشمالية كانت طالعة تدور حول الأفق ويكون أكثر ارتفاعها عنه بمقدار ميلها عن معدل النهار واذا كانت فى البروج الجنوبية غائبة أبدا فتكون السنة هنالك يوما واحدا ستة أشهر ليلا وستة أشهر نهارا ولا يكون لها طلوع ولا غروب فظهر من هذا أن حركة الفلك بالنسبة للآفاق إما دولابية وهى فى خط الاستواء وإما حمائلية وهى فى الآفاق المائلة عنه وإما رحوية وهى فى المواضع التى ينطبق فيها قطب العالم على سمت الرأس فسبحان من أتقن ما صنع

الجملة الثالثـــــة

(فى معرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما بتنقل الشمس فى البروج)

اعلم أن للشمس حركتين سريعة وبطيئة . أما السريعة فحركة فلك الكل بها فى اليوم والليلة من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق وتسمى الحركة اليومية . وأما الحركة البطيئة فقطعها فلك البروج فى سنة شمسية من الجنوب الى الشمال ومن الشمال الى الجنوب ولتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لا يتغيران فى أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب وان اختلفت مطالعهما قال تعالى (رب المشرق والمغرب) أى جهة الشروق وجهة الغروب فى الجملة الا أن الشمس لها غاية ترتفع اليها فى الشمال ولفلك الغاية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغربه ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الرامح ولها غاية تنحط اليها فى الجنوب ولتلك الغاية أيضا مشرق ومغرب وهو مشرق الشتاء ومغربه ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع بطن العقرب وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى (رب المشرقين ورب المغربين) وبين هاتين الغايتين مائة وثمانون مشرقا ويقابلها مائة وثمانون مغربا ففى كل يوم تطلع فى مطلع من المشرق غير الذى تطلع فيه بالامس وتغرب فى مغرب غير الذى تغرب فيه بالامس وذلك قوله تعالى (رب المشارق والمغارب) ونقطة الوسط بين هاتين الغايتين وهى التى يعتدل فيها الليل والنهار يسمى مطلع الشمس فيها مشرق الاستواء ومغرب الاستواء ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الاعزل وقد قسم علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثنى عشر قسما قالوا والمعنى فى ذلك أن الشمس فى المبدا الاول لما سارت مسيرها

الذى جعله الله خاصا بها قطعت دور الفلك التاسع فى ثلثمائة وستين يوما سميت جملة هذه الايام سنة شمسية ورسمت بحركتها هذه فى هذا الفلك دائرة عظمى على ما توهمه أصحاب الهيئة وقسمت هذه الدائرة الى ثلثمائة وستين جزأ وسموا كل جزء درجة ثم قسمت هذه الدرج الى اثنى عشر قسما على عدد شهور السنة وسموا كل قسم منها برجا وجعلوا ابتداء الاقسام من نقطة الاعتدال الربيعى لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة ووجدوا فى كل قسم من هذه الاقسام نجوما تتشكل منها صورة من الصور فسموا كل قسم منها باسم الصورة التى وجدوه عليها وكان القسم الاول الذى ابتدؤا به نجوما اذا جمع متفرقها تشكلت صورة حمل فسموها بالحمل وكذلك البواقى قال صاحب مناهج الفكر وذلك فى أول ما رصدوا وقد انتقلت الصور عن أمكنتها على ما زعموا فصار مكان الحمل الثور وهى تنتقل على رأى بطلميوس فى ثلاثة آلاف سنة وعلى رأى المتأخرين فى ألفى سنة اذا علمت ذلك فاعلم أن الدورة الفلكية فى العروض الشمالية تنقسم الى ثلثمائة وستين درجة كما تقدمت الاشارة اليه والسنة ثلثمائة وستون يوما منقسمة على الاثنى عشر برجا المتقدم ذكرها لكل برج منها ثلاثون يوما وتوزع عليها الخمسة أيام والربع يوم والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والنقصان بحسب سير الشمس فى تلك البروج فما نقص من أحدهما زيد فى الآخر وذلك أنها اذا حلت فى رأس الحمل وهى آخذة فى الارتفاع الى جهة الشمال وذلك فى السابع عشر من برمهات من شهور القبط ويوافقه الحادى والعشرون من أدار من شهور السريان وهو مارس من شهور الروم والرابع والعشرون من حردادماه من شهور الفرس اعتدل الليل والنهار فكان كل واحد منهما مائة وثمانين درجة وهو أحد الاعتدالين فى السنة ويسمى الاعتدال الربيعى لوقوعه أول زمن الربيع فيزيد النهار فيه فى كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة والليل على مائة وخمس وستين درجة ثم تنتقل الى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة وينقص الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات والليل على مائة وخمس وخمسين درجة ثم تنتقل الى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم سدس درجة وينقص الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك ويصير النهار آخرها على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخمسين درجة وذلك غاية ارتفاعها فى جهة الشمال وهذا أطول يوم فى السنة وأقصر ليلة فى السنة ويسمى سير الشمس فى هذه البروج الثلاثة شماليا صاعدا لصعودها فى جهة الشمال ثم تنتقل الشمس الى السرطان وتكر راجعة الى جهة الجنوب ويسمى ذلك المنقلب الصيفى وذلك فى العشرين من بؤنة من شهور القبط ويبقى من حزيران

من شهور السريان ويونيه من شهور الروم خمسة أيام وحينئذ يأخذ الليل فى الزيادة والنهار فى النقصان فينقص النهار فيه فى كل يوم سدس درجة ويزيد الليل كذلك فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات وزيادة الليل كذلك ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات والليل على مائة وخمس وخمسين درجة ثم تنقل الى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلث درجة فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات وزيادة الليل كذلك و يصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة والليل على مائة وخمس وستين درجة ثم تنقل الى السنبلة فينقص النهار فيها كل يوم نصف درجة ويزيد الليل كذلك فيكون نقص النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة وزيادة الليل كذلك ويصير النهار بآخرها على مائة وثمانين درجة والليل كذلك فيستوى الليل والنهار و يسمى الاعتدال الخريفى لوقوعه فى أول الخريف و يسمى سير الشمس فى هذه البروج الثلاثة شماليا هابطا لهبوطها فى الجهة الشمالية ثم تنقل الى الميزان فى الثامن عشر من توت من شهور القبط وهى آخذة فى الهبوط والنهار فى النقص والليل فى الزيادة فينقص النهار فيه كل يوم نصف درجة ويزيد الليل كذلك فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة وزيادة الليل كذلك ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة ثم تنقل الى العقرب فينقص النهار فى كل يوم ثلث درجة و يزيد الليل كذلك فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات وزيادة الليل كذلك و يصير النهار بآخره على مائة وخمس وخمسين درجة والليل على مائتين وخمس درجات ثم تنقل الى القوس فينقص النهار فيه كل يوم سدس درجة ويزيد الليل كذلك فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات وزيادة الليل كذلك ويصير النهار بآخره على مائة وخمسين درجة والليل على مائتين وعشر درجات وهو أقصر يوم فى السنة وأطول ليلة فى السنة وذلك غاية هبوطها فى الجهة الجنوبية و يسمى سير الشمس فى هذه البروج جنوبيا هابطا لهبوطها فى الجهة الجنوبية ثم تنقل الى الجدى فى السابع عشر من كيهك وتكر راجعة فتأخذ فى الارتفاع و يأخذ النهار فى الزيادة والليل فى النقصان فيزيد النهار فيه كل يوم سدس درجة و ينقص الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وخمسين درجة والليل على مائتين وخمس درجات ثم تنقل الى الدلو فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة و ينقص الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك و يصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة ثم تنقل الى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة و ينقص الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك و يصير النهار بآخره على مائة وثمانين درجة

والليل كذلك فيستوى الليل والنهار وهو رأس الحمل وقد تقدم ويسمى سير الشمس فى هذه البروج الثلاثة جنوبيا صاعدا لصعودها فى الجهة الجنوبية وهذا شأنها الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وهذا العمل انما هو فى مصر وأعمالها فاذا اختلفت العروض كان الأمر فى الزيادة والنقصان بخلاف ذلك والله أعلم

تنبيـــه - اذا أردت أن تعرف الشمس فى أى برج من البروج وكم قطعت منه فى أى وقت شئت فأقرب الطرق فى ذلك أن تعرف الشهر الذى أنت فيه من شهور القبط وتعرف أمسه

بياض بالأصـــل

الجمـــلة الرابعة

(فى بيان مايعرف به ابتداء الليل والنهار)

وقد تقدم أن النهـار الطبيعى أوله طلوع الشمس وآخره غروبها والنهار الشرعى أوله طلوع الفجر الثانى وآخره غروب الشمس فيخالفـه فى الابتداء ويوافقـه فى الانتهاء وطلوع الشمس وغروبها ظاهر يعرفه الخاص والعـام أما الفجر فان أمره خفى لا يعرفه كل أحد وقد تقدم انقسامه الى كاذب وهو الاول وصادق وهو الثانى وعليه التعويل فى الشرعيات فيحتاج الى مونح يوضحه ويظهره للعيان وقد جعل المنجمون وعلماء الميقات له نجوما تدل عليه بالطلوع والغروب والتوسـط وهى منازل القمر وعدتها ثمـانية وعشرون منزلة وهى الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والخرتان والصرفة والعواء والسمـاك والغفر والزبانان والاكليـل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسـعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت والمعنى فى ذلك أن الشمس اذا قربت من كوكب من الكواكب الثابتـة أو المتحركة سـترته وأخفته عن العيون[1] فصار يظهر نهارا ويختفى ليلا ويكون خفاؤه غيبة له ولا يزال كذلك خافيا الى أن تبعد عنه الشمس بعـدا يمكن أن يظهر معه للابصار وهو عند أول طلوع الفجر فان ضوء الشمس يكون ضعيفا حينئذ فلا يغلب نور الكوكب فيرى الكوكب فى الافق الشرقى ظاهرا وحصـة كل منزلة من هذه المنـازل من السنة ثلاثة عشر يوما وربع سبع يوم ونصف ثمن سبع يوم على التقريب كما سيأتى[2] على المنازل الثمـانية والعشرين خص كل منزلة ما ذكر من العدد والكسور ولمـا كان الأمر كذلك جعل لكل منزلة ثلاثة عشر يوما وهى ثلاث عشرة درجة من درج الفلك

(١) كذا بالاصل (٢) كذا بالاصل

وجمع ما فضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوما بعد انقضاء أيام المنازل الثمانية والعشرين فكان يوما وربعا فجعل يوم فى المنزلة التى توافق آخر السنة وهى الجبهة فكان حصتها أربعة عشر يوما وبقى ربع يوم ونسىء أربع سنين حتى صار يوما فزيد على الجبهة أيضا فكانت كواكب المنازل المذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوما ثلاث سنين وفى السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوما . فأما الشرطان وهما المنزلة الاولى فأول طلوعهما بالفجر فى الثالث والعشرين من برمودة من شهور القبط وهو الثامن عشر من نيسان من شهور السريان . وأما البطين وهو المنزلة الثانية فأول طلوعه بالفجر فى السادس من بشنس من شهور القبط وهو أول يوم من ايار من شهور السريان . وأما الثريا وهى المنزلة الثالثة فأول طلوعها بالفجر فى التاسع عشر من بشنس من شهور القبط وهو الرابع عشر من ايار من شهور السريان . وأما الدبران وهو المنزلة الرابعة فطلوعها بالفجر فى الثانى من بؤنة من شهور القبط وهو السادس والعشرون من ايار من شهور السريان . وأما الهقعة وهى المنزلة الخامسة فأول طلوعها بالفجر فى الخامس عشر من بؤنه من شهور القبط وهو التاسع من حزيران من شهور السريان . وأما الهنعة وهى المنزلة السادسة فأول طلوعها بالفجر فى الثامن والعشرين من بؤنه من شهور القبط وهو الثانى والعشرون من حزيران من شهور السريان . وأما الذراع وهو المنزلة السابعة فأول طلوعه بالفجر فى الحادى عشر من أبيب من شهور القبط وهو الخامس من تموز من شهور السريان . وأما النثرة وهى المنزلة الثامنة فأول طلوعها بالفجر فى الرابع والعشرين من أبيب من شهور القبط وهو الثامن عشر من تموز من شهور السريان . وأما الطرف وهو المنزلة التاسعة فأول طلوعه بالفجر فى السابع من مسرى من شهور القبط وهو اليوم الآخر من تموز من شهور السريان . وأما الجبهة وهى المنزلة العاشرة فأول طلوعها بالفجر فى العشرين من مسرى من شهور القبط وهو الثالث عشر من آب من شهور السريان . وأما الخرتان وهو المنزلة الحادية عشرة فأول طلوعه بالفجر فى الرابع من أيام النسىء القبطى وفى السنة الكبيسة فى الخامس منه وهو السابع والعشرون من آب من شهور السريان . وأما الصرفة وهى المنزلة الثانية عشرة فأول طلوعها بالفجر فى الثانى عشر من توت من شهور القبط وهو التاسع من أيلول من شهور السريان . وأما العواء وهى المنزلة الثالثة عشرة فأول طلوعها بالفجر فى الخامس والعشرين من توت من شهور القبط وفى الثانى والعشرين من أيلول من شهور السريان . وأما السماك وهى المنزلة الرابعة عشرة فأول طلوعها بالفجر فى الثامن من بابه من شهور القبط وهو الخامس من تشرين الاول من شهور السريان . وأما الغفر وهى المنزلة الخامسة عشرة فأول طلوعها بالفجر فى الحادى والعشرين من بابه من شهور القبط وهو الثامن عشر من تشرين الاول من شهور السريان . وأما الزبانان وهما المنزلة السادسة عشرة

فأول طلوعهما بالفجر فى الرابع من هاتور من شهور القبط وهو آخر يوم من تشرين الاول من شهور السريان . وأما الاكليل وهو المنزلة السابعة عشرة فأول طلوعه بالفجر فى السابع عشر من هاتور من شهور القبط وهو الثالث عشر من تشرين الثانى من شهور السريان . وأما القلب وهو المنزلة الثامنة عشرة فأول طلوعه بالفجر فى آخر يوم من هاتور من شهور القبط وهو السادس والعشرون من تشرين الثانى من شهور السريان . وأما الشولة وهى المنزلة التاسعة عشرة فأول طلوعها بالفجر فى الثالث عشر من كيهك من شهور القبط وهو التاسع من كانون الاول من شهور السريان . وأما النعايم وهى المنزلة العشرون فأول طلوعها بالفجر فى السادس والعشرين من كيهك من شهور القبط وهو الثانى والعشرون من كانون الاول من شهور السريان . وأما البلدة وهى المنزلة الحادية والعشرون فأول طلوعها بالفجر فى التاسع من طوبه من شهور القبط وهو الرابع من كانون الثانى من شهور السريان . وأما سعد الذابح وهو المنزلة الثانية والعشرون فأول طلوعها بالفجر فى الثانى والعشرين من طوبه من شهور القبط وهو السابع عشر من كانون الثانى من شهور السريان . وأما سعد بلع وهو المنزلة الثالثة والعشرون فأول طلوعها بالفجر فى الخامس من أمشير من شهور القبط وهو الثلاثون من كانون الآخر من شهور السريان . وأما سعد السعود وهو المنزلة الرابعة والعشرون فأول طلوعها بالفجر فى الثامن عشر من أمشير من شهور القبط وهو الثانى عشر من شباط من شهور السريان . وأما سعد الاخبية وهو المنزلة الخامسة والعشرون فأول طلوعها بالفجر أول يوم من برمهات من شهور القبط وهو الخامس والعشرون من شباط من شهور السريان . وأما الفرغ المقدم وهو المنزلة السادسة والعشرون فأول طلوعها بالفجر فى الرابع عشر من برمهات من شهور القبط وهو السابع من ادار من شهور السريان . وأما الفرغ المؤخر وهو المنزلة السابعة والعشرون فأول طلوعها بالفجر فى السابع والعشرين من برمهات من شهور القبط وهو الثانى والعشرون من ادار من شهور السريان . وأما بطن الحوت وهو المنزلة الثامنة والعشرون فأول طلوعها بالفجر فى العاشر من برموده من شهور القبط وهو الخامس من نيسان من شهور السريان وقد نظم الشيخ كمال الدين حفيد الشيخ أبى عبد الله محمد القرطبى أبياتا يعلم منها مطالع هذه المنازل بالفجر بحروف رمز ها للشهور والاعداد والكواكب وربما غلط بعض الناس فنسبها الى الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله وهى هذه

تبيص تهكع بحس بكاغ هدز * هـيزاء هلق كيجش كـكون برز
ططب طكبذ أهب أيحس باخ * بيدم بكزم بيب بكجش رمز[1]
وليس فيهما من الحشوات قط سوى * أواخر النظم فافهم شرحها التعز

(١) هنا بيت ناقص غير موجود بالاصل به تكمل الشهور والمنازل

وبيان ذلك أن الحرف الاول من كل كلمة اسم للشهر الذى تطلع فيه تلك المنزلة والحرف الآخر منها اسم المنزلة وما بين الآخر والاول عدد ما مضى من الشهر بحساب الجمل مثال ذلك التاء من تبيص كناية عن توت والصاد منها كناية عن الصرفة والياء والباء اللذان بينهما عددها بالجمل اثنا عشر اذ الياء بعشرة والباء باثنين فكأنه قال فى الثانى عشر من توت تطلع منزلة الصرفة بالفجر وكذلك البواقى الا أنه لاعبرة بأواخر البيتين وهى برز فى البيت الاول ورمز فى البيت الثانى ونظم الامام محب الدين جار الله الطبرى أبياتا كذلك على شهور السريان وهى هذه

تهس تحيغ تلز تجىء * توكق كطش كبكن نزول

كدب كويذ كلب شبيس * شهكخ أزيم أبكم بلول

نهب نحيش ا آب * أوكد حطه حبكه ضجول

والحال فى هذه الكلمات من أوائل الابيات وأواخرها وأوساطها كالحال فى الابيات المتقدمة فالتاء من تهس اشارة لتشرين الاول والسين اشارة للسماك والهاء بينهما بخمسة ففى الخامس من تشرين الاول يطلع السماك وعلى هذا الترتيب فى البواقى واعلم أن هذه المنازل لا تزال أربع عشرة منزلة منها ظاهرة فوق الارض فى نصف الفلك وأربع عشرة منزلة منها خافية تحت الارض فى نصف الفلك وهى مراقبة بعضها البعض لاستواء مقادير أبعادها فاذا طلعت واحدة فى الأفق الشرقى غربت واحدة فى الأفق الغربى وكانت أخرى متوسطة فى وسط الفلك فهى كذلك أبدا والقاعدة فى معرفة ذلك أنك تبتدئ بأى منزلة شئت وتعد منها ثمانية من الطالع فالثامنة هى المتوسطة والخامسة عشرة هى الغاربة فاذا كان الطالع الشرطين فالمتوسط النثرة والغارب الغفر وكذلك فى جميع المنازل وفى مراقبة الطالع منها للغارب يقول بعض الشعراء مقيدا لها على الترتيب بادئا بطلوع النطح وهو الشرطان وغروب الغفر حينئذ

كم أمالوا من ناطح باغتفار * وأحالوا على البطين الزبانا

والثريا تكللت فرأينا الا * قلب منها يشعر الدبرانا

هقعوا شولة وهنعوا نعاما * بعد ماذرعوا البلاد زمانا

نثروا ذبحهم بطرف بليع * جبهة السعد فى خرات خبانا

فانصرفنا وفى المقدم عوا * آخرا والسماك مد رسانا

وقال آخر

النطح يغفر والبطين مزابن * ثم الثريا تبتغى اكليلا

والقلب للدبران خل عاذر * من أجل هقعة شولة ماقيلا

تهوى الهنيعة للنعائم مثل ما * ينوى الذراع لبلدة برحيلا

والنثر يذبح عند طرف بلوعه * وبجبهة سعد غدا منقولا
ولزبره وسط الخباء أقامه * فاصرف مقدم ذكرها تعجيلا
يهوى المؤخران سماك مرة * مذ الرشاء لجيده تنكيلا

وقد نظم صاحبنا الشيخ ابراهيم الدهشورى الشهير بالسهروردى أرجوزة ذكر فيها الطالع ثم الغارب فى بيت وبعده المتوسط ثم الوتد وهو الذى يقابله تحت الارض فى بيت ثان قال

بياض بالاصل

ان طلع الشرطان

بطينها نور الزبانين خلع * فناعس الطرف رمى سعد بلع
ثريا مع الاكليل بالوقود * تنور الجبهة فى السعود
والدبران القلب منه يخفق * فالخرتان للخباء يطرق
وهقعة شولتها منهزمة * وصرفة بفرغها مقدمة
وهنعة منها النعائم نفرت * بعوة بالفرغ قد تأخرت
رمى الذراع بلدة أصابها * سماك بطن الحوت ما أصابها
فهذه جملتها مكمله * للشمس فى ثلاث عشر منزله

الجملة الخامسة

(فى ساعات الليل والنهار)

قال أصحاب الهيئة لما كان الفلك متحركا حركات متعددة يتلو بعضها بعضا جعل مقدار كل حركة منها يوما ولما كانت الشمس فى حركة من هذه الحركات تارة تكون ظاهرة لأهل الربع المعمور وتارة مستترة عنهم بحدبة الارض انقسم لذلك مقدار تلك الحركة الى الليل والنهار فالنهار عبارة عن الوقت الذى تظهر فيه الشمس على ساكنى ذلك الموضع من المعمور والليل عبارة عن الوقت الذى تخفى عنهم فيه فانه يوجد وقت الصبح فى موضع وقت طلوع الشمس فى موضع آخر وفى موضع آخر وقت الظهر وفى موضع آخر وقت المغرب وفى موضع آخر وقت نصف الليل ولما كانت منطقة البروج مقسومة الى اثنى عشر برجا وكل برج الى ثلاثين درجة وكانت الشمس تقطع هذه المنطقة بحركة فلك الكل لها فى زمان اليوم الجامع لليل والنهار قسم كل واحد منهما الى اثنى عشر جزأ وجعل قسط كل جزء منها خمس عشرة درجة وسمى ساعة ثم لما كان الليل والنهار يزيد أحدهما على الآخر ويتساويان فى الاعتدالين على ما مر اضطر الى أن تكون الساعات نوعين مستوية وتسمى المعتدلة وزمانية وتسمى المعوجة فالمستوية تختلف أعدادها فى الليل والنهار وتتفق مقاديرها بحسب طول النهار وقصره فانه ان طال كانت ساعاته أكثر وان قصر كانت ساعاته أقل

ومقدار كل ساعة منه خمس عشر درجة لا تزيد ولا تنقص والمعوجة تتفق أعدادها وتختلف مقاديرها فان زمان النهار طال أو قصر ينقسم أبدا الى اثنتى عشرة ساعة مقدار كل واحدة منها نصف سدس الليل والنهار وهى فى النهار الطويل أطول منها فى القصير والذى كانت العرب تعرفه من ذلك الزمانية دون المستوية فكانوا يقسمون كلا من الليل والنهار الى اثنتى عشرة ساعة ووضعوا لكل ساعة من ساعات الليل والنهار أسماء تخصها . فأما ساعات الليل فسموا الاولى منه الشاهد والثانية الغسق والثالثة العتمة والرابعة الفحمة والخامسة الموهن والسادسة القطع والسابعة الجوشن والثامنة الهتكة والتاسعة التباشير[1] والحادية عشرة الفجر الاول والثانية عشرة الفجر المعترض . وأما النهار فسموا الساعة الاولى منه الذرور والثانية البزوغ والثالثة الضحى والرابعة الغزالة والخامسة الهاجرة والسادسة الزوال والسابعة الدلوك والثامنة العصر والتاسعة الأصيل والعاشرة الصبوب والحادية عشرة الحدود والثانية عشرة الغروب وتروى عنهم على وجه آخر فيقال فيها البكور ثم الشروق ثم الاشراق ثم الراد ثم الضحى ثم المسوع ثم الهاجرة ثم الأصيل ثم العصر ثم الطفل بتحريك الفاء ثم الغروب ذكرهما ابن النحاس فى صناعة الكتاب قال فى مناهج الفكر ويقال ان أول من قسم النهار الى اثنتى عشرة ساعة آدم عليه السلام وضمن ذلك وصية لابنه شيث عليه السلام وعرفه ما وظف عليه كل ساعة من عمل وعبادة والله أعلم

الجملة السادسة

(فى أيام الاسبوع وفيها أربعة مدارك)

المدرك الاول

(فى ابتداء خلقها وأصل وجودها)

وقد نطق القرآن الكريم بذكر ستة أيام منها على الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقال تعالى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) وأما التفصيل فقوله تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين) والمراد بالأربعة الاولى بما فيها من اليومين المتقدمين ومثله فى كلام العرب كثير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا نام أحدكم جاء الشيطان فعقد تحت رأسه ثلاث عقد فاذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فاذا توضأ انحلت عقدتان فاذا صلى انحلت الثالثة فالمراد بقوله عقدتان عقدة والعقدة الاولى وقد ظهر بذلك ان المراد من الآية ستة أيام فقط وهو ما ورد به صريح الآيات فى غير هذه الآية

(1) العاشرة غير موجودة بالاصل

أن خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام وقد ورد ذلك مبينا فيما رواه ابن جرير من رواية ابن عباس رضى الله عنه أن اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم تسأله عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ومافيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء المدائن والشجر والعمران والخراب فهذه أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه وفى الثانية ألقى الآفة على كل شئ مما ينتفع به الناس وفى الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا قال ثم استوى على العرش قالوا أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب) قال الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره وفيه غرابة ولاذكر فى هذا الحديث ليوم السبت فى أول الخلق ولا فى آخره نعم ثبت فى صحيح مسلم من رواية أبى هريرة رضى الله عنه انه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل قال ابن كثير وهو من غرائب الصحيح وعلله البخارى فى تاريخه فقال رواه بعضهم عن أبى هريرة عن كعب الاحبار وهو أصح فقد ورد التصريح فى هذا الحديث بذكر الايام السبعة ووقوع الخلق فيها قال أبو جعفر النحاس زعم محمد بن اسحاق ان هذا الحديث أولى من الحديث الذى قبله واستدل بأن الفراغ كان يوم الجمعة وخالفه غيره من العلماء الحذاق النظار وقالوا دليله دليل على خطئه لأن الخلق فى ستة أيام يوم الجمعة منها كما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم برواية الجماعة فلو لم يدخل فى الايام لكان الخلق فى سبعة وهو خلاف ماجاء به التنزيل على أن أكثر أهل العلم على حديث ابن عباس فتبين أن الابتداء يوم الاحد اذ كان الآخر يوم الجمعة وذلك ستة أيام كما فى التنزيل قال أبو جعفر على ان الحديثين ليسا بمتناقضين لانا ان عملنا على الابتداء بالأحد فالخلق فى ستة أيام وليس فى التنزيل أنه لايخلق بعدها شيأ وان عملنا على الابتداء بالسبت فليس فى التنزيل أنه لم يخلق قبلها شيأ اذا علمت ذلك فقد حكى أبو جعفر النحاس أن مقدار كل يوم من أيام خلق السموات والارض ألف سنة من أيام الدنيا وأنه كان بين ابتدائه عز وجل فى خلق ذلك وخلق القلم الذى أمره بكتابة كل ماهو كائن الى قيام الساعة يوم وهو ألف عام فصار من ابتداء الخلق الى انتهائه سبعة آلاف عام وعليه يدل قول ابن عباس ان مدة اقامة الخلق الى قيام الساعة سبعة أيام كما كان الخلق فى سبعة أيام قال أبو جعفر وهذا باب مداره على النقل دون الآراء

المدرك الثانى

(فى أسمائها وقد اختلف فى ذلك على ثلاث روايات)

الرواية الاولى — ما نطقت به العرب المستعربة من ولد اسماعيل عليه السلام وجرى عليه الاستعمال الى الآن وهو الاحد والاثنان والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة والسبت والاصل فى ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الله عز وجل خلق يوما واحدا فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس ولا ذكر فى هذه الرواية للجمعة والسبت وقد ذكرهما الله تعالى فى كتابه العزيز قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) وقال جل وعز (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) وسيأتيان فى غير هذه الرواية عند ذكر الاختلاف فيما ابتدئ فيه الخلق منها * فالاحد بمعنى واحد ويقال بمعنى أول ورجحه النحاس وهو المطابق لتسمية الثانى بالاثنين والثالث بالثلاثاء وقيل أصله وحد بفتح الواو والحاء كما أن أناة أصلها وناة ويجمع فى القلة على آحاد وأحدات وفى الكثرة على أحود وأوحاد(١) ويحكى فى جمعه أحدا أيضا قال النحاس كأنه جمع الجمع * والاثنان بمعنى الثانى قال النحاس وسبيله أن لا يثنى وأن يقال فيه مضت أيام الاثنين الا أن يقول ذوات قال وقد حكى البصريون الأثن والجميع الثنى وقال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ان شئت أن تجمعه فكأنه مبنى للواحد قلت أثانين وحكى النحاس مثله عن كتاب الفراء فى الايام وقال انما يجوز على حيلة بعيدة وهى أن يقال اليوم الاثنان فتضم النون فتصير مثل عمران فتثنيه وتجمعه على هذا وحكى عن الفراء أيضا فى جمع الكثرة أثان فتقول مضت أثان مثل أسماء وأسام قال وقرأت على أبى اسحاق فى كتاب سيبويه فيما حكاه اليوم الثنى فنقول على هذا فى الجمع الاثناء * والثلاثاء بمعنى الثالث ويجمع على ثلاثاوات وحكى الفراء أثالث قال النحاس ويجوز أثاليث وكذا ثلاثيث مثل جمع ثلاثة لأن ألفى التأنيث كالهاء وتقول فيه مضت الثلاثاء على تأنيث اللفظ ومضى على تذكير اليوم وكذا فى الجمع تقول مضت ثلاث ثلاثاوات وثلاثة ثلاثاوات * والاربعاء بمعنى الرابع ويجمع على أربعاوات وكذا أرابيع والباء فيه عوض ما حذف فان لم تعوض قلت أرابع وأجاز الفراء أربعاآت مثل ثلاثاآت ومنعه البصريون للفرق بين ألف التأنيث وغيرها * والخميس بمعنى الخامس ويجمع فى القلة على أخمسة وفى الكثرة على خمس وخمسان كرغف ورغفان ويقال أخمساء كأنصباء وحكى عن الفراء فى الكثرة أخامس * والجمعة بضم الميم واسكانها ومعناها الجمع واختلف فى سبب تسميته بذلك فقال النحاس

لاجتماع الخلق فيه وهذا ظاهر فى ان الاسم كان بها قديما وقيل لاجتماع الناس للصلاة فيه ثم اختلف فقيل سميت بذلك فى الجاهلية واحتج له بما حكاه أبو هلال العسكرى فى كتابه الاوائل أن أول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لؤى جد النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه جمع قريشا وخطبهم فسميت جمعة وكانوا لا يعرفون قبل ذلك الا العروبة وقيل انما سميت بذلك فى الاسلام وذلك ان الانصار قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام وللنصارى كذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة لنا فاجتمعوا الى سعد بن زرارة الانصارى فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى سورة الجمعة على أن السهيلى قد قال فى الروض الانف ان يوم الجمعة كان يسمى بهذا الاسم قبل أن يصلى الانصار الجمعة . أما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكاه صاحب الاوائل فانه لما قدم المدينة مهاجرا نزل على بنى عمرو بن عوف وأقام عندهم أياما ثم خرج يوم الجمعة عائدا الى المدينة فأدركته الصلاة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى بهم الجمعة وتجمع على جمع وجمعات بالفتح والتسكين * والسبت ومعناه القطع بمعنى أنه قطع فيه الخلق على رأى من يرى أن السبت آخر أيام الجمعة وانه لا خلق فيه على ما سيأتى ذكره وقول النحاس انه مشتق من الراحة أيضا لا عبرة به لمضاهاة قول اليهود فيه على ما سيأتى ان شاء الله تعالى ويجمع فى القلة على أسبت وسبتات بالتحرك وفى الكثرة على سبوت بضم السين مثل فروح وقرح

الرواية الثانية — ما يروى عن العرب العاربة من بنى قحطان وجرهم الاولى وهو أنهم كانوا يسمون الاحد أول لانه أول أعداد الايام ويسمون الاثنين أهون أخذا من الهون والهوينا وأوهد أيضا أخذا من الوهدة وهى المكان المنخفض من الارض لانخفاضه عن اليوم الاول فى العدد ويسمون الثلاثاء جبارا بضم الجيم لانه جبر به العدد ويسمون الاربعاء دبارا بضم الدال المهملة لانه دبر ما جبر به العدد بمعنى أنه جاء دبره ويسمون الخميس مؤنسا لانه يؤنس به لبركته قال النحاس ولم يزل ذلك أيضا فى الاسلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتبرك به ولا يسافر الا فيه وقال اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها ويسمون الجمعة العروبة بفتح العين مع الالف واللام وفى لغة شاذة عروبة بغير ألف ولام مع عدم الصرف ومعناه اليوم البين أخذا من قولهم أعرب اذا أبان والمراد أنه بين العظمة والشرف اذ لم يزل معظما عند أهل كل ملة وجاء الاسلام فزاده تعظيما وقد ثبت فى صحيح مسلم من رواية أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها

ويسمونه أيضا حربة بمعنى أنه مرتفع عال كالحربة التى هى كالرمح كما يقال محراب لارتفاعه وعلو مكانته ويسمون السبت شيارا بفتح الشين المعجمة وكسرها مع الياء المثناة تحت أخذا من شرت الشئ اذا استخرجته وأظهرته من مكانه إما بمعنى أنه استخرج من الايام التى وقع فيها الخلق على مذهب من يرى أنه آخر أيام الاسبوع وان ابتداء الخلق الاحد وانتهاءه الجمعة وإما بمعنى أنه ظهر أول أيام الجمعة على مذهب من يرى أنه أول الجمعة وكان ابتداء الخلق فيه والى هذه الاسماء يشير النابغة بقوله

أؤمل أن أعيش وأن يومى * لاول أو لأهون أو جبار
أو التالى دبار فان أفتـه * فمؤنس أو عروبة أو شيار

الرواية الثالثة — ما حكاه النحاس عن الضحاك ان الله تعالى خلق السموات والارض فى ستة أيام ليس منها يوم الا له اسم أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت وقد حكى السهيلى رحمه الله أن الاسماء المتداولة بين الناس الآن مروية عن أهل الكتاب وأن العرب المستعربة لما جاورتهم أخذتها عنهم وأن الناس قبل ذلك لم يكونوا يعرفون الا الأسماء التى وضعتها العرب العاربة وهى أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت التى خلق الله تعالى فيها سائر المخلوقات علويها وسفليها وهذا يخالف ما تقدم فى الرواية الثانية عن العرب العاربة وعلى أنها أسماء للايام التى وقع فيها الخلق يحتمل أن يكون أبجد اسما للاحد على مذهب من يرى أن ابتداء الخلق يوم الأحد ويكون السبت لا ذكر له فى هذه الرواية

المـــــدرك الثالث

(فى بيان أول أيام الاسبوع وما كان فيه ابتداء الخلق منها وقد اختلف الناس فى ذلك على ثلاثة مذاهب)

المذهب الاول — ان أول أيام الاسبوع وابتداء الخلق الأحد واحتج لذلك بما تقدم من حديث ابن عباس ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله عز وجل الارض يوم الأحد الحديث وبحديثه الآخر خلق الله يوما واحدا فسماه الأحد واذا كان ابتداء الخلق الأحد لزم أن يكون أول الاسبوع الأحد

المذهب الثانى — ان أول أيام الاسبوع وابتداء الخلق السبت واحتج له بحديث أبى هريرة المتقدم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت الحديث واذا كان ابتداء الخلق السبت لزم أن يكون أول الاسبوع السبت

المذهب الثالث – ان أول أيام الاسبوع الأحد لحديث خلق الله يوما واحدا فسماه الأحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين الحديث وابتداء الخلق يوم السبت لحديث أبى هريرة المتقدم قال النحاس وهذا أحسنها

المـــــدرك الرابع

(فى التفاؤل بأيام الاسبوع والتطير بها وما يعزى لكل منها من خير أو شر على ما هو متداول بين الناس)

واعلم أنه لا أصل لذلك من الشريعة ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة وقد وردت القرعة عن جعفر الصادق رضى الله عنه فى توزيع الاعمال على الايام أنه قال السبت يوم مكر وخديعة ويوم الأحد يوم غرس وعمارة ويوم الاثنين يوم سفر وتجارة ويوم الثلاثاء يوم اراقة دم وحرب ومكالحة ويوم الاربعاء يوم أخذ وعطاء ويقال يوم نحس مستمر ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحاجات ويوم الجمعة يوم خلوة ونكاح ووجهوا هذه الدعوى بأن قريشا مكرت فى دار الندوة يوم السبت وأن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد وأن شعيبا سافر للتجارة يوم الاثنين وأن حواء حاضت يوم الثلاثاء وفيه قتل قابيل هابيل أخاه وأن فرعون غرق هو وقومه يوم الاربعاء وفيه أهلك الله عادا وثمودا وأن ابراهيم دخل على النمروذ يوم الخميس وأن الانبياء عليهم السلام كانت تنكح وتخطب يوم الجمعة وقد نظم بعض الشعراء هذه الاختيارات فى أبيات وان كان قد خالف الواضع فى مواضع فقال

لنعم اليوم يوم السبت حقا * لصيد ان أردت بلا امتراء
وفى الأحد البناء فان فيه * تبدى الله فى خلق السماء
وفى الاثنين ان سافرت فيه * سترجع بالنجاح وبالغناء
وان ترد الحجامة فى الثلاثا * ففى ساعاته هرق الدماء
وان شرب امرؤ منكم دواء * فنعم اليوم يوم الاربعاء
وفى يوم الخميس قضاء حاج * فان الله يأذن بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج حقا * ولذات الرجال مع النساء

وسيأتى الكلام على ما يتعلق من ذلك بأيام الشهر فى الكلام على الشهور فى الفصل السابع من الكتاب ان شاء الله تعالى

الطــــرف الثــانى

(فى الشهور وهى على قسمين طبيعى واصطلاحى)

القسم الاول

(الطبيعى والمــــراد به القمـــرى)

وهو مدة مسير القمر من حين يفارق الشمس الى حين يفارقها مرة أخرى وهو على ضربين

الضرب الاول

(شـــهور العـــرب)

والشهر العربى عبارة عما بين رؤية الهلال الى رؤيته ثانيا وعدد أيامه تسعة وعشرون يوما ونصف يوم على التقريب ولما كان هذا الكسر فى العدد عسر عدوا جملة الشهرين تسعة وخمسين يوما أحدهما ثلاثون وهو التام والآخر تسعة وعشرون وهو الناقص وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم حلف لا يدخل على بعض نسائه شهرا فلما مضى تسع وعشرون غدا عليهم أو راح فقيل يارسول الله حلفت لاتدخل عليهن شهرا فقال الشهر يكون تسعا وعشرين وذلك بحسب مسير النيرين الشمس والقمر بالمسير الأوسط أما بالمسير المقوم فانه يتفق اذا استكمل الشهر برؤية الهلال عيانا أن يتوالى شهران وثلاثة تامة ويتوالى كذلك ناقصة وعلى ذلك عمل العرب واليهود ولهم فى استعماله طريقتان

الطريقة الاولى

(طريقـــة العـــرب)

ومدة الشهر عندهم من رؤية الهلال الى رؤية الهلال وهو أسهل الطرق وأقربها وعليها جاء الشرع وبها نطق التنزيل قال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) وفيها جملتان

الجمــــلة الاولى

(فى أحوال الأهلة التى عليها مدار الشهور فى ابتدائها وانتهائها)

اعلم أن مسير القمر مقدر بمعرفة الشهر والسنين قال تعالى (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) والشمس تعطيه فى كل ليلة ما يستضىء به نصف سبع قرصه حتى يكمل ثم تسلبه فى الليلة الخامسة عشرة كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستتر ويروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه سئل عن القمر

فقال يمحق كل ليلة ويولد جديدا ويبعد مثل هذا عن جعفر الصادق اذا علمت ذلك فللقمر حركتان سريعة وبطيئة كما تقدم فى الشمس

أما الحركة السريعة فحركة فلك الكل به من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق فى اليوم والليلة واعلم ان الهلال اذا طلع مع غروب الشمس كان مغيبه على مضى ستة أسباع ساعة من الليل ولا يزال مغيبه يتأخر عن مغيبه فى كل ليلة ماضية هذا المقدار حتى يكون مغيبه فى الليلة السابعة نصف الليل وفى الليلة الرابعة عشرة طلوع الشمس ثم يكون طلوعه فى الليلة الخامسة عشرة على مضى ستة أسباع ساعة منها ولا يزال طلوعه يتأخر عن طلوعه فى كل ليلة ماضية بعد الابدار هذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة احدى وعشرين نصف الليل وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع الغداة واذا أردت أن تعلم على مضى كم من الساعات يغيب أو يطلع من الليل فان أردت المغيب وكان قد مضى من الشهر خمس ليال تقدير افاضربها فى ستة تكون ثلاثين فاسقطها سبعة سبعة يبقى اثنان فيكون مغيبه على مضى أربع ساعات وثلاثة أسباع ساعة وكذلك العمل فى أى ليلة شئت وان أردت الطلوع وكان قد مضى من الابدار ست ليال مثلا فاضرب ستة فى ستة يكون ستة وثلاثين فاسقطها سبعة سبعة يبقى واحد فيكون طلوعه على خمس ساعات وسبع وكذلك العمل فى أى ليلة شئت وقد قسمت العرب ليالى الشهر بعد استهلاله كل ثلاثة أيام قسما وسمتها باسم فالثلاث الاول منها هلال والثلاث الثانية قمر والثلاث الثالثة بهر والثلاث الرابعة زهر والزهر البياض والثلاث الخامسة بيض لأن الليالى تبيض بطلوع القمر فيها من أولها الى آخرها والثلاث السادسة درع لأن أوائلها تكون سوداء وسائرها بيض والثلاث السابعة ظلم والثلاث الثامنة حنادس والثلاث التاسعة دآدئ الواحدة منها دأداة على وزن فعللة والثلاث العاشرة ليلتان منها محاق وليلة سرار لامحاق الشمس القمر فيها ومنهم من يقول ثلاث غرر وغرة كل شئ أوله وثلاث شهب وثلاث زهر وثلاث تسع لأن آخر يوم منها اليوم التاسع وثلاث بهر بهر فيها اظلام الليل وثلاث بيض وثلاث درع وثلاث دهم وظلم وحنادس وثلاث دآدى ويروى عنهم أنهم يسمون ليلة ثمان وعشرين الدعجاء وليلة تسع وعشرين الدهماء وليلة ثلاثين الليلاء وهم يقولون فى أسجاعهم القمر ابن ليلة رضاع سخيله حل أهله برميله وابن ليلتين حديث أمتين كذب ومين وابن ثلاث قليل اللباث وابن أربع عتمة أم ربع لاجائع ولا مرضع وابن خمس حديث وأنس وعشاء خلفات قعس وابن ست سر وبت وابن سبع دلجة ضبع وحديث وجمع وابن ثمان قمر أضحيان وابن تسع محذو النسع ويقال الشسع وابن عشر مخنق الفجر وثلث الشهر هذا هو المحفوظ عن العرب فى كثير من الكتب قال صاحب مناهج الفكر وعثرت فى بعض المجاميع على زيادة الى آخر الشهر

وكأنها والله أعلم مصنوعة وهى على ألسنة العرب موضوعة وهى وابن احدى عشرة يرى عشاء و يرى بكرة وابن اثنتى عشرة مرهق البشر بالبدو والحضر وابن ثلاث عشرة قمر باهر يغشى الناظر وابن أربع عشرة مقبل الشباب مضىء وجنات السحاب وابن خمس عشرة قمر التمام ونفدت الايام وابن ست عشرة نقص الخلق فى الغرب والشرق وابن سبع عشرة أمكنت المقفر القفرة وابن ثمان عشرة قليل البقاء سريع الفناء وابن تسع عشرة بطىء الطلوع سريع الخشوع وابن عشرين يطلع سحرة و يغيب بكرة وابن احدى وعشرين كالقبس يطلع فى الغلس وابن اثنتين وعشرين يطيل السرى ريثما يرى وابن ثلاث وعشرين يرى فى ظلمة الليال لا قمر ولا هلال وابن خمس وعشرين دنا الأجل وانقطع الأمل وابن ست وعشرين دنا مادنا فما يرى الا سنا وابن سبع وعشرين يشق الشمس ولا يرى له حس وابن ثمان وعشرين ضئيل صغير لا يراه الا البصير

وأما حركته البطيئة فحركته من جهة الشمال الى جهة الجنوب ومن جهة الجنوب الى جهة الشمال وتنقله فى المنازل الثمانية والعشرين فى ثمانية وعشرين يوما بلياليها كالشمس فى البروج قال تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) فما تقطعه الشمس من الشمال الى الجنوب و بالعكس فى جميع السنة يقطعه القمر فى ثمانية وعشرين يوما والمنازل للقمر كالبروج للشمس وذلك أنه لما اتصل الى العرب ما حققه القدماء برصدهم من الكواكب الثابتة وكان لا غنى لهم عن معرفة كواكب ترشدهم الى العلم بفصول السنة وأزمنتها رصدوا كواكب وامتحنوها ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها لأنهم قسموا فلك الكواكب على مقدار الايام التى يقطعه القمر فيها وهى ثمانية وعشرون يوما وطلبوا فى كل قسم منها علامة تكون أبعاد ما بينها و بين العلامة الأخرى مقدار مسير القمر فى يوم وليلة وسموها منزلة الى أن تحقق لهم ثمانية وعشرون على ما تقدم ذكره فى الكلام على طلوعها بالفجر لأن القمر اذا سار سيره الوسط انتهى فى اليوم التاسع والعشرين الى المحاق الذى بدأ منه فحذفت المتكرر فبقى ثمانية وعشرين وزاد بالشرطين لأن كواكبه من جملة كواكب الحمل الذى هو أول البروج ثم هذه المنازل على قسمين شمالى وجنوبى كما فى البروج وكل قسم منها أربع عشرة منزلة فالشمالى منها ما كان طلوعه من ناحية الشام وتسمى الشامية وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال التى هى رأس الحمل والميزان صاعدا الى جهة الشمال وهى الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والخرتان والصرفة والعواء والسماك و بطلوعها يطول الليل و يقصر النهار والجنوبى منها ما كان طلوعه من ناحية اليمن وتسمى اليمانية وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطا الى جهة الجنوب وهى الغفر والزبانان والاكليل والقلب

والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبيه والفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت وبطلوعها يقصر الليل ويطول النهار ثم المنزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها ربع سبع الدور وهو جزء من ثمانية وعشرين جزأ من الفلك عبارة عن(١) لا عن الكواكب وانما الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وأخرى فعدل بالتسمية اليها وغلبت عليها ونزول القمر في هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما في المنزلة نفسها وإما فيما بينها وبين التي تليها وإما محاذيا لها خارجا عن السمت شمالا أو جنوبا وقد تقدم الكلام على عدول القمر عن بعض المنازل ونزوله في غيرها ولتعلم ان المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر موزعة عليها فالشرطان والبطين وثلث الثريا للحمل وثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة للثور وثلث الهقعة والهنعة والذراع للجوزاء والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان وثلثا الجبهة والخرتان وثلثا الصرفة للاسد وثلث الصرفة والعواء والسماك للسنبلة والغفر والزبانان وثلث الاكليل للميزان وثلثا الاكليل والقلب وثلثا الشولة للعقرب وثلث الشولة والنعائم والبلدة للقوس وسعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود للجدى وثلث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت للحوت اذا علمت ذلك فاذا أردت أن تعرف القمر في أى منزلة هو أو كم مضى له فيها من الأيام فخذ ما مضى من سنة القبط شهورا كانت أو أياما أو شهورا وأياما وابسطها أياما وأضف الى ما حصل من ذلك يومين ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر وهو عدد لبث القمر في كل منزلة من الأيام واجعل أول كل منزلة من العدد الخرتان فما بقي من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد ما مضى من المنزلة التي انتهى العدد اليها مثال ذلك أن يمضى من سنة القبط شهر توت وأربعة أيام من بابه فتبسطها أياما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف اليها يومين تصير ستة وثلاثين يوما فاطرح منها ثلاثة عشر مرتين بستة وعشرين للخرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة وهى ما مضى من المنزلة الثالثة وهى العواء وان أردت أن تعرف في أى برج هو فاحسب كم مضى من الشهر العربي يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجملة خمسة وأعط لكل برج خمسة وابدأ من البرج الذى فيه الشمس فاعط لكل برج خمسة فأينما نفد حسابك فالقمر في ذلك البرج والاعتماد في ذلك على كم مضى من الشهر العربي بالحساب دون الرؤية والله أعلم

الجملة الثانية

(في أسمائها وفيها روايتان)

الرواية الأولى — ما نطقت به العرب المستعربة وجرى عليه الاستعمال الى الآن وقد نطق القرآن الكريم بصدقها قال تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله

(١) بياض بالاصل

يوم خلق السموات والارض) والمراد شهور العرب الذين نزل القران بلغتهم ومدارها الا هلة سواء جاء الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين . الشهر الاول منها المحرم سمى بذلك لانهم كانوا يحرمون فيه القتال ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم . الشهر الثانى صفر سمى بذلك لانهم كانوا يغيرون فيه على بلاد يقال لها الصفرية ويجمع على صفرات وأصفار وصفور وصفار . الشهر الثالث ربيع الاول سمى بذلك لانهم كانوا يحصلون فيه ما أصابوه فى صفر والربيع فى اللغة الخصب وقيل لارتباعهم فيه قال النحاس والأول أولى بالصواب ويقال فى التثنية ربيعان الأولان وفى الجمع ربيعات الأولات ومن شرط فيه اضافة شهر قال فى التثنية شهرا ربيع الأولان وفى الجمع شهرات ربيع الأولات والاوائل وان شئت قلت فى القليل أشهر وفى الكثير شهور وحكى عن قطرب الأربعة الاوائل وعن غيره ربع الاوائل . الشهر الرابع ربيع الآخر والكلام فى تسميته وتثنيته وجمعه كالكلام فى ربيع الاول . الشهر الخامس جمادى الاولى سمى بذلك لجمود الماء فيه لأن الوقت الذى سمى فيه بذلك كان الماء فيه جامدا لشدة البرد ويقال فى التثنية جماديان الأوليان وفى الجمع جماديات الأوليات . الشهر السادس جمادى الآخرة والكلام فيه تسمية وتثنية وجمعا كالكلام فى جمادى الأولى . الشهر السابع رجب سمى بذلك لتعظيمهم له أخذا من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على رجبات وأرجاب وفى الكثرة على رجاب ورجوب . الشهر الثامن شعبان سمى بذلك لتشعبهم فيه لكثرة الغارات عقب رجب وقيل التشعب العود فى الوقت الذى سمى فيه وقيل لانه شعب بين شهرى رجب ورمضان ويجمع على شعبانات وشعابين على حذف الزوائد وحكى الكوفيون شعابين قال النحاس وذلك خطأ على قول سيبويه كما لا يجوز عنده فى جمع عثمان عثامين . الشهر التاسع رمضان سمى بذلك أخذا من الرمضاء لانه وافق وقت تسميته زمن الحر ويجمع على رمضانات وحكى الكوفيون رماضين والقول فيه كالقول فى شعابين ومن شرط فيه لفظ شهر قال فى التثنية شهرا رمضان وفى الجمع شهرات رمضان وأشهر رمضان وشهور رمضان . الشهر العاشر شوال سمى بذلك أخذا من شالت الابل بأذنابها اذا حملت لكونه أول شهور الحج وقيل من شال يشول اذا ارتفع ولذلك كانت الجاهلية تكره التزويج فيه لما فيه من معنى الاشالة والرفع الى أن جاء الاسلام بهدم ذلك قالت عائشة رضى الله عنها فيما ثبت فى صحيح مسلم تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى بى فى شوال فأى نسائه كان أحظى عنده منى ويجمع على شوالات وشواويل وشواول . الشهر الحادى عشر ذو القعدة ويقال بالفتح والكسر سمى بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال لكونه من الأشهر الحرم ويجمع على ذوات القعدة وحكى الكوفيون أولات القعدة وربما قالوا فى الجمع ذوات القعدة أيضا . الشهر الثانى عشر ذو الحجة سمى بذلك لان الحج فيه والكلام فى جمعه

كالكلام فى ذى القعدة . ثم من الاشهر المذكورة أربعة أشهر حرم كما قال تعالى (منها أربعة حرم)
وقد أجمعت العلماء على أن الاربعة المذكورة هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقد اختلف
فى الابتداء بعددها فذهب أهل المدينة الى أنه يبتدأ بذى القعدة فيقال ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب ويحتجون على ذلك بأن النبى صلى الله عليه وسلم عدها فى خطبة حجة الوداع كذلك
فقال السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب واختاره أبو جعفر النحاس وذهب أهل الكوفة الى أنه يبتدأ بالمحرم فيقال المحرم ورجب
وذو القعدة وذو الحجة ليأتون بها من سنة واحدة واليه ميل الكتاب قال النحاس ولا حجة لهم فيه
لانه اذا علم أن المقصود ذكرها فى كل سنة فكيف يتوهم انها من سنتين وكانت العرب فى الجاهلية
مع ما هم عليه من الضلال والكفر يعظمون هذه الاشهر ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل فيها
قاتل أبيه لم يهجه الى أن حدث فيهم النسىء فكانوا ينسئون المحرم فيؤخرونه الى صفر فيحرمونه
مكانه وينسئون رجبا فيؤخرونه الى شعبان فيحرمونه مكانه ليستبيحوا القتال فى الأشهر الحرم
واعلم أنه يجوز أن يضاف لفظ شهر الى جميع الأشهر فيقال شهر المحرم وشهر صفر وشهر ربيع
الاول وكذا فى البواقى على أن منها ثلاثة أشهر لم تكد العرب تنطق بها الا مضافة اليها وهى
شهرا ربيع وشهر رمضان ويؤيد ذلك فى رمضان ما ورد به القرآن من اضافته قال تعالى
(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) وقد روى عثمان بن الاسود عن مجاهد انه قال لا تقل
رمضان ولكن قل كما قال الله عز وجل شهر رمضان فانك لا تدرى ما رمضان وعن عطاء نحوه
وانه قال لعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى لكن قد ثبت فى الصحيحين من رواية أبى هريرة
رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا جاء رمضان أغلقت النيران وصفدت الشياطين؟
الحديث وهذا صريح فى جواز تعريته عن الاضافة وقد اختلف الناس فى ذلك على ثلاثة مذاهب
أصحها أنه يجوز تعريته عن لفظ شهر مطلقا سواء قامت قرينة أم لا فيقال جاء رمضان وصمت
رمضان وما أشبه ذلك وهو ما رجحه النووى فى شرح مسلم والثانى المنع مطلقا والثالث ان حفت
قرينة تدل على الشهر كما فى قوله صمت رمضان فقد جازت التعرية وان لم تحف قرينة لم تجز وزاد
بعضهم فيما يضاف اليه لفظ شهر رجب أيضا وقال كل شهر فى أوله حرف راء فلا يقال الا بالاضافة
ويقال فى المحرم أيضا شهر الله المحرم ويقال فى الربيعين ربيع الاول وربيع الآخر وفى الجمادين
جمادى الاولى وجمادى الآخرة قال ابن مكى ولا يقال جمادى الاول بالتذكير وجوزه فى كلامه
على تثقيف اللسان قال النحاس وانما قالوا ربيع الآخر وجمادى الآخرة ولم يقولوا ربيع الثانى
وجمادى الثانية كما قالوا السنة الأولى والسنة الثانية لانه انما يقال الثانى والثانية لما له ثالث
وثالثة ولما لم يكن لهذين ثالث ولا ثالثة قيل فيهما الآخر والآخرة كما قيل الدنيا والآخرة

على أن أكثر استعمال أهل العرب على ربيع الثانى وجمادى الثانيـة ويقال فى رجب الفرد لانفراده عن بقية الاشهر الحرم ويقال فيه أيضا رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ويقال فى شعبان المكرم لتكرمتـه وعلو قدره وفى رمضان المعظم والمعظم قدره لعظمته وشرفه وفى شوال المبارك للفرق بينه وبين شعبان خشية الالتباس فى الكتابة ويقال فى كل من ذى القعدة وذى الحجة الحرام قال النحاس وقد جاء فى ذى الحجة أيضا الأصم وروى فيه حديثا بسنده من رواية مرة الهمدانى عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أى يوم يومكم هـذا قلنا يوم النحر قال صدقتم يوم الحج الاكبر أتدرون أى شهر شهركم هذا قلنا ذو الحجة قال صدقتم شهر الله الأصم

الرواية الثانية — ماروى عن العرب العاربة وهو انهم كانوا يقولون فى المحرم المؤتمر أخذا من أمر القوم اذا كثروا بمعنى انهم يحرمون فيـه القتال فيكثرون وقيـل أخذا من الائتمار بمعنى أنه يؤتمر فيـه بترك الحرب ويجمع على مؤتمرات ومآمر ومآمير ويقولون فى صفر ناجر إما من النجر والنجار بفتح النون وكسرها الاصل بمعنى أنه أصل للحرب لانه يبتدأ فيه بعـد المحرم وإما من النجر وهو السوق الشديد لشدة سوقهم الخيل الى الحرب فيـه و إما من النجر وهو شدة الحر لشدة حرارة الحرب والحديد فيـه ويجمع على نواجر ويقولون فى شهر ربيع الاول خوان بالخاء المعجمة لان الحرب تشتد فيه فتخونهم فتنقصهم ويجمع على خوانات وخواوين وخواون ويقولون فى ربيع الآخر وبصان أخذا من الوبيص وهو البريق لبريق الحديد فيه ويجمع على وبصانات وحكى قطرب فيه بصان فيجمع على أبصة وفى الكثرة بصنان ويقولون لجمادى الاولى حنين لانهم يحنون فيـه الى أوطانهم لكونه كان يقع فى زمن الربيع ويجمع على أحنه وحنن كرغيف ورغف ويقولون لجمادى الآخرة ربا وربة لانه يجتمع به جماعة من الشهور التى ليست بحرم وهى ما بعد صفر (١) قال أبو عبيد ربان كل شئ جماعته ويجمع على ربيات وربايا مثل حبالى ومن قال ربة جمعه على مآريب ويقولون فى رجب الأصم لما تقدم من أنه لايسمع صوت السلاح ولا الاستغاثات فيـه ويجمع على أصام قال النحاس ولا تقل صم لانه ليس بنعت كما انك لو سميت رجلا أحمر جمعته على أحامر ولم تجمعه على حمر ويقولون فى شعبان عادل بمعنى أنهم يعدلون فيه عن الاقامة لتشعبهم فى القبائل ويجمع على عوادل ويقولون فى رمضان ناتق لكثرة المال عندهم فيه لاغارتهم على الاموال فى الذى قبله ويجمع على نواتق ويقولون فى شوال وعل أخذا من قولهم وعل الى كذا اذا لجأ اليه لانهم يهربون فيـه من الغارات لأن بعـده الأشهر الحرم فيلجئون فيـه الى أمكنة يتحصنون فيها ويجمع على أوعال ككتف وأكتاف وفى الكثرة وعول ويقولون فى ذى القعدة ورنة والواو فيـه منقلبة عن هـمزة أخـذا من أرن اذا تحرك لأنه الوقت الذى

يتحركون فيه الى الحج أومن الارون وهو الدنو لقربه من الحج ويجمع على ورنات وورنان كجفان ويقولون فى ذى الحجة برك لانه معدول عن بارك غير مصروف أو على التكثير كما يقال رجل حكم وهو مأخوذ من البركة لأن الحج فيه أو من برك الجمل كأنه الوقت الذى تبرك فيه الابل للموسم ويجمع على بركان مثل نغر ونغران وفى هـذه الاسماء خلاف عند أهل اللغـة والمشهور ما تقدم ذكره وقد نظم بعضهم ذلك فى أبيات على الترتيب فقال

. (١)بمؤتمـــر وناجرا بـــدأنا * وبالخوان يتبعه البصان
وربا ثم أبده عليــــــه * يعود أصم صم به السنان
وورنة بعدها برك فتمت * شهور الحول يعربها البيان

ثم للنـاس فى اخراج أول الشهر العربى طرق أسهلها أن تعرف أول يوم من المحرم ثم تعـد كم مضى من السـنة من الشهور بالشهر الذى تريد أن تعـرف أوله وتقسمها نصـفين فان كان النصف صحيحا أضفت على الجملة مثل نصفه وان كان مكسورا كملته وأضفته على الجملة ثم تبتدئ من أول يوم من السـنة وتعد منه أياما على توالى أسمـاء الايام بعدد ما حصـل معك من الأصـل والمضاف فحيث انتهى عددك فذلك اليوم هو أول الشهر مثال ذلك فى الصحيح النصف ان أردت أن تعرف أول يوم من شـعبان وكان أول المحرم يوم الاحد مثلا فتعد من أول المحرم الى شـعبان وتدخل شـعبان فى العدد فيكون ثمـانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعـة فتضف الاربعـة الى الثمـانية يكون اثنى عشر ثم تبتدئ من يوم الاحد الذى هو أول المحرم فتعد الاحد والاثنين والثـلاثاء والاربعاء والخميس والجمعـة والسبت ثم الاحد والاثنين والثـلاثاء والاربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثنى عشر فى يوم الخميس فيكون أول شـعبان يوم الخميس ومثاله فى المكسور النصف اذا أردت أن تعـرف أول رمضان أيضـا وكان أول المحرم الاحد كما تقدم فتعد ما مضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها الى الأصـل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعـة عشر ثم تبتدئ عدد الايام من أول المحرم وهو الاحد كما تقـدم فيكون انتهاء الرابع عشر فى يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت ومن الطرق المعتبرة فى ذلك أن تنظر فى الثالث من أيام النسىء من شهور القبط كم مضى من الشهر العربى يوم فما كان جعلته أصـلا لتلك السـنة فاذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذى أنت فيه فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة وانظر كم مضى من السنة القبطية شهر فخذ لكل شهرين يوما فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا وزد على ذلك يومين

(١) هكذا بالاصل

أصلا أبدا ثم انظر كم مضى يوم من الشهر القبطى الذى أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فما بقى فهو عدد ما مضى من الشهر العربى ومنه يعرف أوله ومثال ذلك نظرت فى الثالث من أيام النسىء فوجدت الماضى من الشهر العربى ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت فى الشهور القبطية فوجدت الشهر الذى أنت فيه امشير مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية وهو توت الى امشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذى معك من أيام النسىء وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية ثم تنظر فى الشهر القبطى الذى أنت فيه وهو امشير تجده قد مضى منه يومان فتضيفهما على المجموع يكون عشرة وهو الماضى من الشهر العربى الذى أنت فيه ومنه يعرف أوله

الضرب الثانى

(شهور اليهود)

والشهر عندهم من الاجتماع الى الاجتماع وهو اقتران الشمس والقمر فى آخر الشهر ولذلك توافق شهورهم فى التقدير شهور العرب ولا تخالف أوائلها الا بيوم واحد فى بعض الاجزاء لأسباب فى ملتهم ولكنها لا تطابق شهرا لشهر فان شهور العرب غير مكبوسة وشهور اليهود مكبوسة وهذه الطريقة لا تعرف الا بتقويم الكواكب ومعرفة سير الشمس والقمر ولذلك لا يعرف شهور اليهود منهم الا الآحاد وشهورهم وهى اثنا عشر شهرا بعضها ثلاثون وبعضها تسعة وعشرون على ما يقتضيه مسير الشمس والقمر وفى السنة الكبيسة عندهم تكون ثلاثة عشر شهرا كما سيأتى وشهورهم توافق شهور السريان فى بعض أسمائها دون بعض . الاول تشرى . الشهر الثانى حشوان . الشهر الثالث كسلا . الشهر الرابع طابات . الشهر الخامس شباط . الشهر السادس ادار . الشهر السابع نيسان . الشهر الثامن ايار . الشهر التاسع سيوان . الشهر العاشر تموز . الشهر الحادى عشر آب . الشهر الثانى عشر أول . وفى السنة التى يكبسون فيها بعد كل سنة أو بعد كل سنتين على ما سيأتى بيانه يكبسون شهرا كاملا بعد ادار وهو الشهر السادس من شهورهم ويسمونه ادار الثانى وسيأتى ذلك مفصلا فى الكلام على السنين ان شاء الله تعالى وقد تقدم أنها توافق شهور العرب الا فى القليل الا أنها يدخلها الكبس لأمور فى ملتهم وسيأتى الكلام على كبسهم عند ذكر السنين ان شاء الله تعالى

القسم الثانى

(من الشهور الاصطلاحى والمراد به الشمسى)

وهى مدة قطع الشمس مدار برج من بروج الفلك الاثنى عشر وذلك ثلاثون يوما وثلاثة عشر يوما تقريبا وعليه عمل القبط والفرس والسريان والروم وهى على صنفين

الصـــــنف الاول

(ما يكون كل شهر من شهور السـنة ثلاثين يوما وما فضـل عن ذلك
جعل نسيا بين الشهور وهو شهور القبط والفرس)

فاما شهور القبط وتنسب لدقلطيانوس الملك فكل شهر منها ثلاثون يوما وأيام النسىء فى آخر الثانى عشر منها وهى خمسة أيام . الشهر الاول منها توت ودخوله فى العشرين من آب من شهور السريان وآخره السادس والعشرون من ايلول منها فيه يدرك الرطب ويكثر السفرجل والعنب الشتوى وتبتدئ المحمضات وأول يوم منه يوم النيروز وهو رأس سنة القبط وفى سابعه يبتدئ لقط الزيتون وفى سابع عشره عيـد الصليب فيـه تفتح أكثر الترع بمصر وفى ثامن عشره أول فصل الخريف وفى تاسع عشره يبتدى هيجان السوداء فى البدن وفى العشرين منه يفصد البلسان وفى الحادى والعشرين منه يبتدئ بيض النعام وفى الرابع والعشرين منه أول ذى ماه من شهور الفرس وفى الثامن والعشرين منه يذهب الحر وفى التاسع والعشرين منه أول رعى الكراكى وفى الثلاثين منه وهو آخره بزرع الهليون . الشهر الثانى بابه ودخوله فى السابع والعشرين من ايلول من شهور السريان وآخره السادس والعشرون من تشرين الاول منها فيه يبذر كل مالا تشق له الارض كالبرسيم وغيره وفى آخره تشق الارض بالصعيد وفيه يحصد الارز ويطيب الرمان وتضع الضأن والمعز والبقر الحبسية ويستخرج دهن الآس والنينوفر ويدرك التمر والزبيب وبعض المحمضات وفى ثالثه رأس سنة السريان وفى رابعه أول تشرين الاول من شهورهم وفى خامسه عرس النيل وفى سادسه يطيب شرب الدواء وفى سابعه نهاية زيادة النيل وفى ثامنه يكره خروج الدم وفى حادى عشره يبتدئ النيل فى النقص وفى ثالث عشره بداية الوخم وفى رابع عشره يكثر الناموس وفى خامس عشره يبتدئ زرع القرط وفى سادس عشره تبتدئ كثرة السعال وفى تاسع عشره يبتدئ زرع السلجم وفى الثانى والعشرين منه يبتدئ صلاح المواشى وفى الثالث والعشرين منه تبتدئ كثرة الغيوم وفى الرابع والعشرين منـه تبتدئ أهل مصر الزرع وفى السابع والعشرين منه يبتدئ سمن الحيتان وفى الثامن والعشرين منه أول المد وفى التاسع والعشرين منه أول الليالى البلق . الشهر الثالث هتور ودخوله فى السابع والعشرين من تشرين الاول وآخره الخامس والعشرون من تشرين الثانى فيـه يزرع القمح ويطلع البنفسج والمنثور وأكثر البقول ويجمع ما بقى من الباذنجان وما يجرى مجراه ويحمل العنب من قوص وفى ثانيـه يبتدئ حصاد الارز وفى خامسـه أول تشرين الثانى من شهور السريان وفيه يبتدئ برد المياه وفى سادسه أول المطر الوسمى وفى سابعه يبتدئ أهل الشام الزرع

وفى ثامنه يبتدئ هبوب الرياح الجنوبية وفى تاسعه يبتدئ زرع الخشخاش وفى حادى عشره يبتدئ اختفاء الهوام وفى ثالث عشره يبتدئ غليان البحر وفى رابع عشره تعمى الحيات وفى سادس عشره يجمع الزعفران وفى ثامن عشره تكثر الوحوش وفى الثانى والعشرين منه يغلق البحر الملح وتمتنع السفن من السفر فيه لشدة الرياح وفى الثالث والعشرين منه تبتدئ سخونة بطن الارض وفى الرابع والعشرين منه أول اسفيدارماه من شهور الفرس . الشهر الرابع كيهك ودخوله فى السادس والعشرين من تشرين الثانى من شهور السريان وآخره الخامس والعشرون من كانون الاول منها فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب ويدرك النرجس والبنفسج وتتلاحق الحمضات وفى أوله ابتداء أربعينيات مصر وفى ثالثه يبتدئ موت الذباب وفى خامسه أول كانون الاول من شهور السريان وفى سابعه آخر الليالى البلق وأول الليالى السود وفى حادى عشره يبتدئ الشجر فى رمى أوراقه وفى ثانى عشره تظهر البراغيث وفى سابع عشره أول فصل الشتاء وهو أول أربعينيات الشام وفى ثامن عشره يتنفس النهار وفى الحادى والعشرين منه يكثر الطير الغريب بمصر وفى الثالث والعشرين منه أول مردوماه من شهور الفرس وهو نوروزهم وأول سنتهم وفى الخامس والعشرين منه يهيج البلغم وفى السادس والعشرين منه تلقح الابل وفى السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء فى الليل وفى الثلاثين منه يبتدئ تقليم الكروم . الشهر الخامس طوبه ودخوله فى السادس والعشرين من كانون الاول من شهور السريان وآخره الرابع والعشرون من كانون الثانى منها فى زرع القمح فيه تغرير وفيه تشق الارض للقصب والقلقاس ويتكامل النرجس وفى أوله تبيت الرياح الشديدة وفى ثانيه يدرك القرط وفى سادسه أول كانون الثانى من شهور السريان وفى عاشره آخر أربعينيات مصر وفى حادى عشره أول نصب الكروم وفى ثانى عشره يشتد البرد وفى ثالث عشره يبتدئ زرع المقاثى وفى سابع عشره يبتدئ غرس الاشجار وفى ثامن عشره تبتدئ كثرة الندا وهو آخر الليالى السود وفى تاسع عشره يبتدئ وقوع الثلج بالشام وغيره وفى الرابع والعشرين منه يبتدئ صفوماء النيل وفى التاسع والعشرين منه يبتدئ اختلاف الرياح . الشهر السادس أمشير ودخوله فى الخامس والعشرين من كانون الثانى من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من شباط منها فيه تغرس الاشجار وتقلم الكروم ويدرك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور وفى رابعه يبتدئ افراخ النخل وفى سادسه أول شباط من شهور السريان وفى حادى عشره يبتدئ انتاج الطيور وزرع بقول الصيف وفى ثانى عشره يبتدئ تحرك دواب البحر وفى الثانى والعشرين منه ثانى جمرة فاترة ويبتدئ مرض الاطفال ويبتدئ خروج ورق الشجر وفى الثالث والعشرين منه يبتدئ خروج الدواب للمرعى وفى الرابع والعشرين منه أول

حوداماه من شهور الفرس وفى الخامس والعشرين منـه يبتـدئ هيجان الرياح وفى السابع والعشرين منه تبتدئ ثالث جمرة حامية وفى الثامن والعشرين منه أول المفرطات وفى التاسع والعشرين منـه آخرنهى ابقراط . الشهر السابع برمهات ودخوله فى الرابع والعشرين من شـباط من شهور السريان وآخره الخامس والعشرون من أدار فيـه تزهر الاشجار وتعقد أكثر الثمار ويزرع أوائل السمسم ويقلع الكتان ويدرك الفول والعدس وفى ثانيـه يحمد خروج الدم وهو أول الاعجاز وفى ثالث عشره تفتح الحيات أعينها وفى خامس عشره تطيب الالبان وفى سادس عشره يبتدئ خروج دود القز وفى ثامن عشره يهيج الدم وفى تاسع عشره ظهور الهوام وفى العشرين منه يزرع السمسم وفى الرابع والعشرين منه أول بيرماه من شهور الفرس وفى السادس والعشرين منه يبتدئ شرب المسهل وفى السابع والعشرين منه خروج الذباب الازرق . الشـهر الثامن برموده ودخوله فى السادس والعشرين من ادار من شـهور السريان وآخره الرابع والعشرون من نيسان منها فيه تقطف أوائل عسل النحل وفيه تكثر الباقلاء وينفض جوز الكتان ويكثر الورد الاحمر والبطن الاول من الجيز ويقلع بعض الشعير ويدرك الخيارشنبر وفى أوله يؤكل الفريك وفى رابعه يعصر دهن البلسان وفى خامسه تبتدئ كثرة الزهور وفى سادسه أول نيسان من شهور السريان وفى ثانى عشره يخاف على بعض الزرع وفى ثامن عشره آخر قلاع الكتان وفى العشرين منـه ينهى عن أكل البقول وفى الثانى والعشرين منـه ظهور الكمأة وفى الثالث والعشرين منـه انختام الكبير للزرع وفى الرابع والعشرين منـه أول مردماه من شهور الفرس وفى الخامس والعشرين منـه نهاية مد الفرات وفى الثامن والعشرين منـه يبيض النعام . الشهر التاسع بشنس ودخوله فى الخامس والعشرين من نيسـان من شهور السريان وآخره التاسـع والعشرون من ايار منهـا فيـه يكثر التفاح القاسمى ويبتدئ التفاح المسكى والبطيخ العبدلى والحوفى والمشمش والخوخ الزهرى والورد الابيض وفى نصـفه يبذر الارز ويحصـد القمح وفى سادسه أول ايار من شهور السريان وفى رابع عشره يجمع الخشخاش وفى ثامن عشره يجمع العصفر وفى الحادى والعشرين منه تبتدئ برودة الارض وفى الرابع والعشرين منه أول شهر برماه من شهور الفرس . الشهر العاشر بؤنه ودخوله فى الخـامس والعشرين من ايار من شهور السريان وآخره الثـالث والعشرون من حزيران منها فيه يكثر الحصرم ويطيب بعض العنب والتين البونى وهو الديفور والخوخ الزهرى والمشعر والكمثرى البوهى والقراصيا والتوت ويطلع البلح ويقطف جمهور العسل وفى ثالثه يبتدئ توحم النيـل وفى سادسه يكمل الدرياق وفى سابعـه أول حزيران من شهور السريان وفى تاسـعه يبتدئ مهب الريح الشمالية وفى عاشره يبتـدئ تنفس النيـل وفى خامس عشره

تحرك شهوة الجماع وفى ثانى عشره عيد ميكائيل فى ليلته يوزن من الطين زنة ستة عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع فى مكان ويوزن عند طلوع الشمس فما زاد كان بكل خروبة زادت على الستة عشر ذراع وفى ثالث عشره يبتدئ نقص الفرات وفى رابع عشره تهب الرياح السمايم وفى تاسع عشره تذهب البراغيث وفى العشرين منه تهيج الصفراء وفى الثانى والعشرين منه يعقد الجوز ويقوى اندفاع النيل وفى الرابع والعشرين منه يثور وجع العين وهو أول مهرماه من شهور الفرس وفى السابع والعشرين منه يؤخذ قاع النيل وفى الثامن والعشرين منه ينادى عليه وفى التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ . الشهر الحادى عشر أبيب ودخوله فى الرابع والعشرين من حزيران من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من تموز منها فيه يكثر العنب والتين ويقل البطيخ العبدلى ويطيب البلح وتقطف بقايا العسل وتقوى زيادة النيل وفى رابعه أول نهى ابقراط وفيه يموت الجراد وفى سابعه أول تموز من شهور السريان وفى عاشره يبتدئ وقع الطاعون وفى ثانى عشره تبتدئ قوة السمايم وفى ثالث عشره تدرك الفاكهة وفى سابع عشره تغور العيون وفى ثامن عشره يجمع السماق وفى الثانى والعشرين منه يدرك الفستق وفى الرابع والعشرين منه أول ابارماه من شهور الفرس وفى السادس والعشرين منه طلوع الشعرى اليمانية وفى التاسع والعشرين منه يدرك نخل الحجاز . الشهر الثانى عشر مسرى ودخوله فى الرابع والعشرين من تموز من شهور السريان وآخره السابع والعشرون من آب منها فيه يعمل الخل ويدرك البسر والموز وتتغير طعوم الفاكهة لغلبة الماء على الارض ويدرك الليمون التفاحى ويبتدئ ادراك الرمان وفى رابعه نقصان الدجلة وفى خامسه أول العصير وفى ثامنه أول آب من شهور السريان وفى ثانى عشره فصال المواشى وفى رابع عشره تقل الالبان وفى خامس عشره تسخن المياه وفى سابع عشره تختلف الرياح وفى ثامن عشره يحذر لسع الهوام وفى الثانى والعشرين منه آخر العصير وفى الرابع والعشرين منه يهيج النعام وفى الخامس والعشرين منه تكثر الغيوم وفى الثامن والعشرين منه آخر السمايم وفى التاسع والعشرين منه أول ادرماه من شهور الفرس . أيام النسئ ودخولها فى الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف السنة الكبيسة وغيرها . وقد وضع الناس طرقا لاخراج أول الشهر القبطى بالحساب أقربها أن تعرف يوم النيروز ثم عد ما مضى من الشهور القبطية بالشهر الذى تريد أن تعرف أوله فما كان فأضعفه فما تحصل فأسقط منه واحدا أبدا ثم اسقط الباقى سبعة سبعة فما فضل فعد من يوم النيروز الى آخر الباقى بعد الاسقاط على توالى الايام فأينما انتهى العدد فذلك اليوم هو أول الشهر المطلوب مثال ذلك كان يوم النيروز الاحد وأردنا أن نعرف أول أمشير عددنا كم مضى من أول الشهور القبطية وعددنا منها أمشير وجدنا ذلك ستة أضعفناها

صارت اثنى عشر اسقطنا منها واحدا بقى احد عشر اسقطنا منها سبعة بقى أربعة عددنا من يوم النيروز وهو الاحد أربعة فكان آخرها يوم الاربعاء فعلمنا أن أول أمشير الاربعاء

وأما شهور الفرس فهى اثنا عشر شهرا كل شهر منها ثلاثون يوما وأيام النسىء خمسة أيام فى آخر الشهر السابع منها وهو أبان ماه . الشهر الاول منها افرودين ماه فى الرابع والعشرين من كيهك من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من طوبه منها وأول يوم منه نيروز الفرس ورأس سنتهم . الشهر الثانى ارديهشتماه ودخوله فى الرابع والعشرين من طوبه من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من أمشير منها . الشهر الثالث حردادماه ودخوله فى الرابع والعشرين من أمشير من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من برمهات منها . الشهر الرابع تيرماه ودخوله فى الرابع والعشرين من برمهات من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من برموده منها . الشهر الخامس تردماه ودخوله فى الرابع والعشرين من برموده من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بشنس منها . الشهر السادس شهر يرماه ودخوله فى الرابع والعشرين من بشنس من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بؤنه منها . الشهر السابع ابان ماه ودخوله فى الرابع والعشرين من بؤنه من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من أبيب منها . أيام النسىء وتسمى بالفارسية الاندركاه[1] ودخولها فى الرابع والعشرين من مسرى وآخرها الثامن والعشرون منها . الشهر الثامن دى ماه ودخوله فى التاسع والعشرين من مسرى من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من توت . الشهر التاسع بهمن ماه ودخوله فى الرابع والعشرين من توت من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بابه منها . الشهر العاشر اسفندارماه ودخوله فى الرابع والعشرين من بابه من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من هاتور منها . الشهر الحادى عشر ودخوله فى الرابع والعشرين من هاتور من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من كيهك منها . الشهر الثانى عشر

ولكل يوم من أيام الشهر عندهم اسم خاص يزعمون أنه اسم ملك من الملائكة موكل به وقد علم مما تقدم من شهور القبط ما يقع فى هذه الشهور من والفواكه وغيرها

الصنف الثانى

(من الشهور الاصطلاحية ما يختلف عدده بالزيادة والنقصان فيكون بعض الشهور فيه ثلاثين وبعضها أقل وبعضها أكثر وهو شهور السريان والروم)

فاما شهور السريان وتنسب للاسكندر فاثنا عشر شهرا منها أربعة كل شهر منها ثلاثون يوما وشهر واحد ناقص عن الثلاثين وسبعة زائدة عليها . الشهر الاول منها تشرين الاول وهو

(١) من أيام النسىء الى آخر الفصل غير محرر وفيه بياض بالاصل

احد وثلاثون يوما ودخوله فى الرابع من بابه من شهور القبط وآخره الرابع من هاتور منها ويوافقه اكتوبر من شهور الروم وهو الشهر العاشر منها . الشهر الثانى تشرين الثانى وهو ثلاثون يوما ودخوله فى الخامس من هاتور من شهور القبط وآخره الرابع من كيهك منها ويوافقه نونبر من شهور الروم وهو الشهر الحادى عشر منها . الشهر الثالث كانون الاول وهو احد وثلاثون يوما ودخوله فى الخامس من كيهك من شهور القبط وآخره الخامس من طوبه منها ويوافقه دجنبر من شهور الروم وهو الشهر الثانى عشر منها . الشهر الرابع كانون الثانى وهو احد وثلاثون يوما ودخوله فى السادس من طوبه من شهور القبط وآخره السادس من أمشير منها ويوافقه ينير من شهور الروم وهو الشهر الاول منها . الشهر الخامس اشباط و يقال شباط وهو ثمانية وعشرون يوما ودخوله فى السابع من أمشير وآخره الرابع من برمهات منها ويوافقه فبرير من شهور الروم وهو الثانى من شهورهم . الشهر السادس ادار وهو احد وثلاثون يوما ودخوله فى الخامس من برمهات من شهور القبط وآخره الخامس من برموده منها ويوافقه مارس من شهور الروم وهو الثالث من شهورهم . الشهر السابع نيسان وهو ثلاثون يوما ودخوله فى السادس من برموده من شهور القبط وآخره الخامس من بشنس منها ويوافقه ابريل من شهور الروم وهو الرابع من شهورهم . الشهر الثامن ايار وهو احد وثلاثون يوما ودخوله فى السادس من بشنس من شهور القبط وآخره السادس من بؤنه منها ويوافقه مايه من شهور الروم وهو الخامس من شهورهم . الشهر التاسع حزيران وهو ثلاثون يوما ودخوله فى السابع من بؤنه من شهور القبط وآخره السادس من أبيب منها ويوافقه يونيه من شهور الروم وهو السادس من شهورهم . الشهر العاشر تموز وهو احد وثلاثون يوما ودخوله فى السابع من أبيب من شهور القبط وآخره السابع من مسرى منها ويوافقه يوليه من شهور الروم وهو السابع من شهورهم . الشهر الحادى عشر آب وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله فى الثامن من مسرى من شهور القبط وآخره الثالث من توت منها ويوافقه اغشت من شهور الروم وهو الثامن من شهورهم . الشهر الثانى عشر ايلول وهو ثلاثون يوما ودخوله فى الرابع من توت من شهور القبط وآخره الثالث من بابه منها ويوافقه ستنبر من شهور الروم وهو التاسع من شهورهم وبذهابه يذهب الحر جملة وفى ذلك يقول أبو نواس

مضى أيلول وارتفع الحرور * وأخبت نارها الشعرى العبور

وقد نظمها صاحبنا الشيخ ابراهيم الدهشورى فى أبيات ابتدأ فيها بأيلول فقال

وابدأ بأيلول من السريانى * تشرين الاول يتبعه الثانى

كانون كانون شباط يطلع * ادار نيسان ايار يتبع

ثم حزيران وتموز وآب * تبارك الرحمن يهدى من أحب

وقد نظم الشيخ أبو عبدالله الكيزانى رحمه الله أبياتا ذكر فيها الاشهر التى منها ثلاثون يوما والناقصة عن الثلاثين ولم يتعرض للزائدة على الثلاثين وليست بالطائل وهى هذه

شـــهور الروم ألوان * زيادات ونقصان
فتشرينهـــم الثانى * وأيـــلول ونيسان
ثـــلاثون ثـــلاثون * ســـواه وحـــزيران
شباط خص بالنقص * وقدر النقص يومان

ونظم صاحب مناهج الفكر تداخلها مع شهور القبط فى ارجوزة فجاءت فى غاية الحسن والوضوح الا أن فيها طولا وهى هذه

متى تشا معرفة التداخل * من أول الشهور فى المنازل
فعدّ من توت بلا تطويل * أربعة فهى ابتـدا ايلول
وبابة كذاك مع تشرين * الاول السابق فى السنين
والخامس المعدود من هتور * أول تشرينهـم الاخـــير
أول كانون بغـير دلسه * اذا نقصت من كيهك خمسه
وطـوبة ان مر منه سـته * أتاك كانون الاخير بغتـه
ومن شـــباط أول يوافق * سابع أمشير حساب صادق
أول اذار اذا جعلتــه * لبرمهات خامسا وجـدته
أول نيسان لدى التجـريد * السادس المعدود من برمود
ومثـــله ايار مع بشنس * واحـــدة مقرونة بخمس
أما حزيران فحـسبونه * أوله السابـع من بؤنه
كذلك السابـع من أبيب * أول تمـوز بلا تكذيب
أول آب عنـد من يحصـل * ثامن مسرى ذاك مالا يجهل

وبالغ بعض المتأخرين فنظم معنى هـذه الارجوزة فى بيت واحد الحرف الاول من الكلمة منه للشهر السريانى والحرف الاخير للشهر القبطى ومابينهما لعدد الايام التى اذا مضت من ذلك الشهر القبطى دخل ذلك الشهر السريانى وهو

ادت تدب تهه كهك كوط أزا * أهب نوب أوب حزب تزا أحم

فالالف من أدت اشارة لايلول من شهور السريان وهو آخر شهورهم والتاء اشارة لتوت من شهور القبط وهو أول شهورهم والدال من أدت بأربعـة فى الرابع من توت يدخل ايلول والتاء

من تدب اشارة لتشرين الاول والباء اشارة لبابه والدال بينهما بأربعة فنى الرابع من بابه يدخل تشرين الاول والتاء من تهه اشارة لتشرين الثانى والهاء الاخيرة اشارة لهتور والهاء المتوسطة بينهما بخمسة فنى الخامس من هاتور يدخل تشرين الثانى والكاف الاولى من كهك اشارة لكانون الاول والكاف الاخيرة اشارة لكيهك والهاء بينهما بخمسة فنى الخامس من كيهك يدخل كانون الاول والكاف من كوط اشارة لكانون الثانى والطاء اشارة لطوبه والواو بينهما بستة فنى السادس من طوبه يدخل كانون الثانى والالف الاولى من أزا اشارة لاشباط والالف الاخيرة اشارة لامشير والزاى بينهما بسبعة فنى السابع من أمشير يدخل اشباط والالف من أهب اشارة لادار والباء اشارة لبرمهات والهاء بينهما بخمسة فنى الخامس من برمهات يدخل ادار والنون من نوب اشارة لنيسان والباء اشارة لبرموده والواو بينهما بستة فنى السادس من برموده يدخل نيسان والالف من أوب اشارة لايار والباء اشارة لبشنس والواو بينهما بستة فنى السادس من بشنس يدخل ايار والحاء من حزب اشارة لحزيران والباء اشارة لبؤنه والزاى بينهما بسبعة فنى السابع من بؤنه يدخل حزيران والتاء من تزا اشارة لتموز والالف اشارة لابيب والزاى بينهما بسبعة فنى السابع من أبيب يدخل تموز والالف من احم اشارة لآب والميم اشارة لمسرى والحاء بينهما بثمانية فنى الثامن من مسرى يدخل آب

وأما شهور الروم وتنسب لاغسطس ملك الروم وهو قيصر الاول فاثناعشر شهرا بعضها ثلاثون يوما وبعضها زائد على الثلاثين وبعضها ناقص عنها كما فى شهور السريان وهى مطابقة لشهور السريان فى العدد مخالفة لها فى الاسماء والترتيب . الشهر الاول ينير ويوافقه كانون الثانى من شهور السريان وهو الرابع من شهورهم وفى أول يوم منه يكون القلنداس ويوقد أهل الشام فى ليلته نيرانا عظيمة لاسيما مدينة انطاكية وكذلك سائر بلاد الشام وأرض الروم وسائر بلاد النصارى . الشهر الثانى فبرير ويوافقه شباط من شهور السريان وهو الخامس من شهورهم . الشهر الثالث مارس ويوافقه ادار من شهور السريان وهو السادس من شهورهم . الشهر الرابع ابريل ويوافقه نيسان من شهور السريان وهو السابع من شهورهم . الشهر الخامس مايه ويوافقه ايار من شهور السريان وهو الثامن من شهورهم . الشهر السادس يونيه ويوافقه حزيران من شهور السريان وهو التاسع من شهورهم . الشهر السابع يوليه ويوافقه تموز من شهور السريان وهو العاشر من شهورهم . الشهر الثامن اغشت ويوافقه آب من شهور السريان وهو الحادى عشر من شهورهم . الشهر التاسع شتنبر ويوافقه أيلول من شهور السريان وهو الثانى عشر من شهورهم . الشهر العاشر اكتوبر ويوافقه تشرين الاول من شهور السريان وهو الاول من شهورهم . الشهر الحادى عشر نونبر ويوافقه تشرين الثانى من شهور السريان

وهو الثانى من شهورهم . الشهر الثانى عشر دجنبر و يوافقه كانون الاول من شهور السريان وهو الثالث من شهورهم وقد نظمها الشيخ ابراهيم الدهشورى فقال

ينير فبرير مارس للروم * ابريل مايه خامس المعلوم
يتيه ويليه أغشت ثم شتنبر * اكتوبر نوفمبر دجنبر

الطرف الثالث

(فى السنين وفيه ثلاث جمل)

الجملة الاولى

(فى مدلول السنة والعام)

يقال السنة والعام والحول وقد نطق القرآن بالاسماء الثلاثة قال تعالى (فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) فأتى بذكر السنة والعام فى آية واحدة وقال جل وعز (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) وقد تختص السنة بالجدب والعام بالخصب وبذلك ورد القرآن الكريم فى بعض الايات قال تعالى (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) فعبر بالعام عن الخصب وقال جل ذكره (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) فعبر بالسنين عن الجدب على انه قد وقع التعبير بالسنين عن الخصب أيضا فى قوله تعالى (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله) أما الحول فانه يقع على الخصب والجدب جميعا

الجملة الثانية

(فى حقيقة السنة وهى على قسمين طبيعية واصطلاحية كما تقدم فى الشهور)

القسم الاول

(السنة الطبيعية وهى القمرية)

وأولها استهلال القمر فى غرة المحرم وآخرها سلخ ذى الحجة من تلك السنة وهى اثنا عشر شهرا هلاليا قال تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض) وعدد أيامها ثلثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم تقريبا ويجتمع من هذا الخمس والسدس يوم فى كل ثلاث سنين فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويبقى من ذلك بعد اليوم

الذى اجتمع شئ فيجتمع منه ومن خمس اليوم وسدسه فى السنة السادسة يوم واحد وكذلك الى أن يبقى الكسر أصلا بأحد عشر يوما عند تمام ثلاثين سنة وسمى تلك السنين كبائس العرب قال السهيلى كانوا يؤخرون فى كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته فلما كانت سنة حجة الوداع وهى سنة تسع من الهجرة عاد الحج الى وقته اتفاقا فى ذى الحجة كما وضع أولا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الحج ثم قال فى خطبته التى خطبها يومئذ ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعنى أن الحج قد عاد فى ذى الحجة وفى بعض التعاليق ان سنى العرب كانت موافقة لسنى الفرس فى الدخول والانسلاخ فحدث فى أحوالهم انتقالات فسد عليهم بها الكبس فى أول السنة السادسة من ملك أغيطش وذلك بعد ملك ذى القرنين بمائتين وثمانين سنة وأربعين يوما فسنوا كبس الربع من ذلك اليوم فى كل سنة فصارت سنيهم بعد ذلك الوقت محفوظة المواقيت وقيل لم تزل العرب فى جاهليتها على رسم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لا تنسأ سنيها الى أن جاورتهم اليهود فى يثرب فأرادت العرب أن يكون حجهم فى أخصب وقت من السنة وأسهل زمان للتردد بالتجارة فعلموا الكبس من اليهود والله أعلم أى ذلك كان

القسم الثانى

(الاصطلاحية وهى الشمسية)

وشهورها اثنا عشر شهرا كما فى السنة الطبيعية الا أن كل طائفة راعت عدم دوران سنيها جعلت فى أشهرها زيادة فى الايام إما جملة واحدة وإما متفرقة وسمتها نسيأ بحسب ما اصطلحوا عليه كما ستقف عليه فى مصطلح كل قوم ان شاء الله تعالى وعدد أيامها عند جميع الطوائف من القبط والفرس والسريان والروم وغيرهم ثلثمائة يوم وخمسة وستون يوما وربع يوم فتكون زيادتها على العربية عشرة أيام وثمانية أعشار يوم وخمسة أسداس يوم وقد قال بعض حذاق المفسرين فى قوله تعالى (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) انه ان حمل على السنين القمرية فهو على ظاهره من العدد وان حمل على السنين الشمسية فالتسع الزائدة هى تفاوت زيادة الشمسية على القمرية لأن فى كل ثلثمائة سنة تسع سنين لا تخل بالحساب أصلا قال صاحب مناهج الفكر ولذلك كانوا فى صدر الاسلام يسقطون عند رأس كل ثلاث وثلاثين سنة عربية سنة ويسمونها سنة الازدلاف لأن كل ثلاث وثلاثين سنة عربية اثنتان وثلاثون سنة شمسية تقريبا قال وانما حملهم على ذلك الفرار من اسم النسىء الذى أخبر الله تعالى انه زيادة فى الكفر ثم المعتبرون السنة الشمسية اختلفت مصطلحاتهم فيها بحسب اختلاف مقاصدهم

المصطلح الاول ــ مصطلح القبط وقد اصطلحوا على أن جعلوا شهرهم ثلاثين يوما كما تقدم فاذا انقضت الاثنا عشر شهرا أضافوا اليها خمسة أيام يسمونها أيام النسيء يفعلون ذلك ثلاث سنين متوالية فاذا كانت السنة الرابعة أضافوا الى خمسة النسيء المذكورة ما اجتمع من الربع يوم الزائد على الخمسة أيام فى السنة الشمسية فتصير ستة أيام ويجعلونها كبيسة فى تلك السنة وبعض ظرفائهم يسمى الخمسة المزيدة السنة الصغيرة قال أصحاب الزيجات وأول ابتدائهم ذلك فى زمن أغيطش وكانوا من قبل يتركون الربع الى أن تجتمع أيام سنة كاملة وذلك فى ألف سنة وأربعمائة واحدى وستين سنة ويسقطونها من سنيهم وعلى هذا المصطلح استقر عملهم بالديار المصرية فى الاقطاعات والزرع والخراج وما شاكل ذلك

المصطلح الثانى ــ مصطلح الفرس وشهورهم كشهور القبط فى عدد الأيام على ما تقدم فاذا كان آخر شهر أبان ماه وهو الشهر السابع من شهورهم أضافوا اليه الخمسة الايام الباقية وجعلوه خمسة وثلاثين يوما وتسمى الفرس هذه الايام الخمسة الاندركاه ولكل يوم منها عندهم اسم خاص كما فى أيام الشهر ولما لم يجز فى معتقدهم كبس السنة بيوم واحد بعد ثلاث سنين كما فعل القبط كانوا يؤخرونه الى أن يتم منه فى مائة وعشرين سنة شهر كامل فيلقونه وتسمى السنة التى يلقى فيها مهرك قال المسعودى فى مروج الذهب وانما أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لأن أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر وعلى هذا المصطلح كان يجبى الخراج للخلفاء وتمشى الاحوال الديوانية فى بداية الأمر وعليه العمل فى العراق وبلاد فارس الى الآن

المصطلح الثالث ــ مصطلح السريان وشهورهم على ما تقدم من كونها تارة ثلاثين يوما وتارة زائدة عليها وتارة ناقصة عنها وانما فعلوا ذلك حتى لا يلحقهم النسيء فى شهورهم اذ الأيام الخمسة المذكورة الزائدة على شهور القبط والفرس موزعة على رؤس الزوائد من شهورهم وذلك ان من شهورهم سبعة أشهر يزيد كل شهر منها يوما على الثلاثين وهى تشرين الاول وكانون الاول وكانون الثانى وادار وايار وتموز وآب فتكون الزيادة سبعة أيام يكمل منها شباط وهو ثمانية وعشرون يوما بيومين يبقى خمسة أيام وهى نظير النسيء فى سنة القبط والفرس ويبقى بعد ذلك الربع يوم الزائد على الخمسة أيام فى السنة الشمسية فاذا انقضت ثلاث سنين متواليات جمعوا الأرباع الثلاثة الملغاة الى الربع الرابع فيجتمع منها يوم فيجعلونه نظير اليوم الذى كبسه القبط ويضيفونه الى شباط فيصير تسعة وعشرين يوما

المصطلح الرابع ــ مصطلح اليهود وشهورهم وان كانت قمرية كالعربية كما تقدم فقد اضطروا الى أن تكون سنتهم شمسية لأنهم أمروا فى التوراة أن يكون عيد الفطر فى زمان الفريك

فلم يتأت لهم ذلك حتى جعلوا سنتهم قسمين الاول بشيطا ومعناه بسيطة وهى القمرية والثانى معبارت ومعناه كبيسة وهم يكبسون شهرا كاملا ومعبارت اسم موضوع عندهم على الكامل فانه لما كان فى بطنها زيادة عليها كانت هذه السنة مثلها باضافة الشهر المكبوس اليها وكل واحدة من السنين ثلاثة أنواع أحدها حسارين ومعناه ناقصة وهى التى يكون الشهر الثانى والثالث منها وهما مرحسوان وكسلا وناقصين وكل واحد منهما تسعة وعشرون يوما والنوع الثانى شلاميم ومعناه تامة وهى التى يكون فيها كل شهر من الشهرين المذكورين تاما والنوع الثالث كسدران ومعناه معتدلة وهى التى تكون أشهرها ناقص يتلوه تام وهذا يلزم من جهة انهم لا يجيزون أن يكون رأس سنتهم يوم أحد ولا يوم أربعاء ولا يوم خميس . وأما معبارت فانها تكون فى كل تسع عشرة سنة سبع مرات ويسمون الجملة محزورا ومعناه الدور وهذه السبعة لا تكون على التوالى وانما تكون تارة سنتان بشيطان يتلوهما معبارت وتارة سنة بشيطا يتلوها معبارت كل ذلك حتى لا تخرم عليهم قاعدة الثلاثة أيام التى لا يختارونها أن تكون أول سنتهم فاذا انقضى ادار من هذه السنة كبسوا شهرا وسموه ادار الثانى فاذا انقضت التسع عشرة سنة أعادوا دورا ثانيا وعملوا فيه كذلك وعلى هذا أبدا

أما مصطلح المنجمين فالسنة عندهم من حلول الشمس فى أول نقطة من رأس الحمل الى حلولها فى آخر نقطة من الحوت ومنهم من يجعلها من حلول الشمس فى أول نقطة من رأس الميزان الى حلولها فى آخر نقطة من السنبلة والاول هو المعروف وتساهل بعضهم فقال هى من كون الشمس فى نقطة ما من فلك البروج الى عودها الى تلك النقطة ويقال ان سنة الجند والمرتزقة بالديار المصرية كانت أولا على هذا المصطلح وبه يعملون فى الاقطاعات ونحوها

الجملة الثالثة

(فى فصول السنة الأربعة وفيه ثلاثة مهايع)

المهيع الاول

(فى الحكمة فى تغيير الفصول الاربعة فى السنة)

واعلم أن الفصول تختلف بحسب اختلاف طبائع السنة لتباين مصالح أوقاتها حكمة من الله تعالى . قال بطليموس تحتاج الأبدان الى تغيير الفصول فالشتاء للتجميد والصيف للتحليل والخريف للتدريج والربيع للتعديل وعلى ذلك يقال ان أصل وضع الحمام أربعة بيوت بعضها دون بعض على التدريج ترتيبها على الفصول الاربعة

المهيع الثـانى

(فى كيفية انقسام السنة الشمسية الى الفصول)

واعلم أن دائرة منطقة البروج لما قاطعت دائرة معدّل النهار على نقطتين متقابلتين(١) مال عنها فى جهتى الشمـال والجنوب بقـدر واحد فالنقطة التى تجوز عليها الشمس من ناحيـة الجنوب الى الشمـال عن معدّل النهار تسمى نقطة الاعتـدال الربيعى وهى أول الحمل والنقطة التى تجوز عليها من الشمـال الى الجنوب تسمى نقطة الاعتدال الخريفى وهى أول الميزان ويتوهم فى الفلك دائرة ثالثة معترضة من الشمـال الى الجنوب تمرّ على أقطاب تقابل الدائرة المخطوطة على الفلكين تقطع كل واحد من فلك معـدّل النهـار وفلك البروج بنصفين فوجب أن يكون قطعها لفلك البروج على النقطتين اللتين هما فى غاية الميل والبعد عن معدّل النهار فى جهتى الشمـال والجنوب فتسمى النقطة الشمـالية نقطة المنقلب الصيفى وهو أول السرطان وتسمى النقطة الجنوبيـة نقطة المنقلب الشـتوى وهى أول الجدى واختلاف طبائع الفصول عن حركة الشمس وتنقلها فى هـذه النقط فانها اذا تحركت من الحمل وهو أول البروج الشمـالية أخذ الهواء فى السخونة لقربهـا من سمت الرؤس وتواتر الاسخان الى أن تصـل الى أول السرطان وحينئذ يشـتدّ الحرّ فى السرطان والأسـد الى أن تصـل الى الميزان فحينئذ يطيب الهواء ويعتدل ثم يأخذ الهواء فى البرودة ويتواتر الى أول الجدى وحينئذ يشتدّ البرد فى الجدى والدلو لبعد الشمس عن سمت الرؤس الى أن تصل الى الحمل فتعود الشمس الى أول حركتها

المهيـع الثـالث

(فى ذكر الفصول وأزمنتها وطبائعها وماحصة كل فصل منها من البروج والمنازل وهى أربعـة فصول)

الاول – فصل الربيع : وابتداؤه عنـد حلول الشمس برأس الحمل وقد تقـدّم ومدته أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم وأوّله حلول الشمس رأس الحمل وآخره عند قطعها برج الجوزاء وله من الكواكب القمر والزهرة ومن المنازل الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع بما فى ذلك من التداخل كما مرّ ومن الساعات الاولى والثانية والثالثة ومن الرياح الجنوب وطبعه حارّ رطب وله من السـنّ الطفولية والحداثة ومن الاخلاط الدم ومن القوى الهاضمة ومنه تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء فيطلع النبات وتزهر الاشجـار وتورق ويهيج الحيوان للسـفاد وتذوب الثـلوج وتنبع العيون وتسـيل الأودية

---

(١) هكذا بالاصل

وأخذت الارض زخرفها وازينت فتصير كأنها عروس تبدت لخطابها فى مصبغات ثيابها ويقال اذا نزلت الشمس رأس الحمل تصرم الشتاء وتنفس الربيع واختالت الارض فى وشيها البديع وتبرجت النظارة فى معرض الحسن والنضارة ومن كلام الوزير المعرى لو كان زمن الربيع شخصا لكان مقبلا ولو أن الايام حيوان لكان حليا ومجللا لأن الشمس تخلص فيه من ظلمات حوت السماء خلاص يونس من ظلمات حوت الماء واذا وردت الحمل وافت أحب الاوطان اليها وأعز أماكنها عليها وكان عبدوس الخزاعى يقول من لم يبتهج بالربيع ولم يستمتع بأنواره ولا استروح بنسيم أزهاره فهو فاسد المزاج محتاج الى العلاج ويروى عن بقراط الحكيم مثله وفيه بدل قوله فهو فاسد المزاج فهو عديم حس أو سقيم نفس ولجلالة محل هذا الفصل فى القلوب ونزوله من النفوس منزلة الكاعب الخلوب كانت الملوك اذا عدمته استعملت ما يضاهى زهره من البسط المصورة المنقشة والنمارق المفوفة المرقشة وقد كان لأنوشروان بساط يسميه بساط الشتاء مرصع بأزرق الياقوت والجواهر وأصفره وأبيضه وأحمره وقد جعل أخضره مكان أغصان الأشجار وألوانه بموضع الزهر والنوار ولما أخذ هذا البساط فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى واقعة القادسية حمل اليه فيما أفاء الله على المسلمين فلما رآه قال ان أمة أدت هذا الى أميرها الأمينة ثم مزقه فوقع منه لعلى عليه السلام قطعة فى قسمه مقدارها شبر فى شبر فباعها بخمسة عشر ألف دينار وقد أطنب الناس فى وصف هذا الفصل ومدحه وأتوا بما يقصر عن شرحه وتغالى الشعراء فيه غاية التغالى وفضلوا أيامه ولياليه على الايام والليالى وما أحلى قول البحترى

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا * من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز فى غسق الدجى * أوائل ورد كن بالامس نوما
يفتحها برد الندا فكأنما * يبث حديثا بينهن مكتما
ومن شجر رد الربيع رداءه * كما نشرت ثوبا عليه منمنما
أحل فأبدا للعيون بشاشة * وكان قذا للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الجو حتى كأنما * يجىء بأنفاس الأحبة نعما

وأحلى منه قول أحمد بن محمد العلوى

أو ما ترى الأيام كيف تبرجت * وربيعها وال عليها قيم
لبست به الارض الجمال لحسنها * متأزر ببروده متعمم
أنظر الى وشى الرياض كأنه * وشى تنشره الأكف منمنم
والنور يهوى كالعقود تبددت * والورد يخجل والأقاحى تبسم

والطل ينظم فوقهن لئالئا * قدزان منهن الفرادى التوأم
و يكاد يذرى الدمع نرجسها اذا * أضحى و يقطر من شقائقها الدم

ومنها

أرض تباهيها السماء اذا دجى * ليل ولاحت فى دجاها الأنجم
فلخضرة الجو اخضرار رياضها * ولزهر زهر ونور ينجم
وكما يشق سنا المجرة جوه * واد يشق الارض طام مفعم
لم يبق الا الدهر اذ باهت به * وحيا يجود به ملث مرهم

وقول الآخر

طرق الحياء ببره المشكور * أهلا به من زائر ومزور
وحبا الرياض غلالة من وشيه * بغرائب التفويف والتحبير
وأعارها حليا تأتى الغيث فى * ترصيعه بجواهر المنثور
بورد كورد الياقوت قا * رن أبيضا كصاعد الكافور
ومعصفر شرق وأصفر فاقع * فى أخضر كالسندس المنشور
فكأن أزرقه بقايا اثمد * فى أعين مكحولة بفتور
كملت صفات الدهر فيه فناب عما غاب من أنواعه بحضور

وقول الآخر

اشرب هنيأ قد أتاك زمان * متعطر متهلل نشوان
فالارض وشي والنسيم معنبر * والماء راح والطيور قيان

الثانى ـ فصل الصيف : وهو أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم وابتداؤه اذا حلت الشمس رأس السرطان وانتهاؤه اذا أتت على آخر درجة من السنبلة فيكون له من البروج السرطان والاسد والسنبلة وهذه البروج تدل على السكون وله من الكواكب المريخ والشمس ومن المنازل النثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك بتداخل فيه وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة ومن الرياح الصبا وطبعه حار يابس وله من السن الشباب ومن الاخلاط المرة الصفراء ومن القوى القوة النفسية والحيوانية وللعرب فى هذا الفصل وغرات وهى الحرور منها وغرة الشعرى ووغرة الجوزاء ووغر سهيل أولها أقواها حرا يقال ان الرجل فى هذه الوغرة يعطش بين الحوض والبئر واذا طلع سهيل ذهبت الوغرات وتسمى الرياح التى فى هذه الوغرات البوارح سميت بذلك[1] لانها تأتى من يسار

(١) كذا بالاصل

الكعبة كبارح الطير اذا أتتك من يسارك وقد أولع الناس بين لفحات الحر وسمومه وأوافيه ببدائع تقلع عن قلب الصب غمام غمومه وفى ذلك قول بعضهم أوقدت الظهيرة نارها وأذكت أوارها فأذابت دماغ الضب وألهبت قلب الصب هاجرة كأنها من قلوب العشاق اذا اشتعلت فيها نار الفراق حر تهرب له الحرباء من الشمس وتستجير بعترا كم الرمس لا يطيب معه عيش ولا ينفع معه ثلج ولا خيش فهو كالقلب المهجور أو كالتنور المسجور ووصف بعضهم وهو ذو الرمة حر هاجرة فقال

وهاجرة حرها واقد * نصبت لحاجبها حاجبى

تلوذ من الشمس اطلاؤها * لياذ الغريم من الطالب

وتسجد للشمس حرباؤها * كما يسجد القس للراهب

وقال سوار بن المضرس

وهاجرة تشتوى بالسموم * جنادبها فى رؤس الأكم

اذا الموت أخطأ حرباءها * رمى نفسه بالعمى والصمم

وقال أبو العلاء المعرى

وهجيرة كالهجر موج سرابها * كالبحر ليس لمائها من طحلب

وافى به الحرباء عودى منبر * للظهر الا انه لم يخطب

وقال آخر

ورب يوم حره منضج * كأنه أحشاء ظمآن

كأنما الارض على رضفة * والجو محشو بنيران

وبالغ الأمير ناصر الدين بن النقيسى فقال من أبيات

فى زمان يشوى الوجوه بحر * ويذيب الجسوم لو كن صخرا

لا تطير النسور فيه اذا ما * وقفت شمسه وقارب ظهرا

يشتكى الصب ما اشتكى الضب فيه * ولحربائه الى الظل حرا

ويود الغصن الرطيب به لو * أنه من لحائه يتعرا

وقال أيضا يصف ليلة شديدة الحر

يا ليلة بت بها ساهرا * من شدة الحر وفرط الاوار

كأننى فى جنحها محرم * لو أن للعورة منى استتار

وكيف لا أحرم فى ليلة * سماؤها بالشهب ترمى الجمار

على ان أبا على بن رشيق قد فضله على فصل الشتاء فقال

فصل الشتاء مبين لا خفاء به * والصيف أفضل منه حين يغشاكا
فيه الذى وعد الله العباد به * فى جنة الخلد ان جاؤه نساكا
أنهار خمر وأطيار وفاكهة * ماشئت من ذا ومن هذا ومن ذاكا
فقل لمن قال لولا ذاك لم يك ذا * اذا تفضل على أخواك دنياكا
سم الشتاء بعباس تصب غرضا * من الصواب وسم الصيف ضحاكا

الثالث — فصل الخريف : وهو أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم وأوله عند حلول الشمس رأس الميزان وذلك فى الثامن عشر من توت واذا بقى من أيلول ثمانية أيام وآخره اذا أتت الشمس على آخر درجة من القوس فيكون له من البروج الميزان والعقرب والقوس وهذه البروج تدل على الحركة وله من الكواكب زحل ومن الساعات السابعة والثامنة والطالع فيه مع الفجر من المنازل الغفر والزبانان والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة بتداخل فيه وهو بارد يابس له من السن الكهولة تهيج فيه المرة السوداء وتقوى فيه القوة الماسكة وتهب فيه الرياح الشمالية وفيه يبرد الهواء ويتغير الزمان وتنصرم الثمار ويتغير وجه الارض وتهزل البهائم وتموت الهوام وتحجز الحشرات ويطلب الطير المواضع الدفئة وتصير الارض كأنها كهلة مدبرة ويقال فصل الخريف ربيع النفس كما أن الربيع ربيع العين فانه ميقات الاقوات وموسم الثمار وأوان شباب الاشجار والنفوس فى آثاره مربع وللجسوم بمواقع خيراته مستمتع وقد وصفه الصابى فقال الخريف أصح فصول السنة زمانا وأسهلها أوانا وهو أحد الاعتدالين المتوسطين بين الانقلابين حين أبدت الارض ثمرتها وخرجت عن زبدتها واطلقت السماء حوافل انوائها وآذنت بانسكاب مائها وصار الوارد كمثون المبارد صفاء من كدرها وتهديا من عكرها واطرادا مع نفحات الهواء وحركات الرياح الشجواء واكتست الماشية وبرها القشيب والطائر ريشه العجيب ومن كلام ابن شبل كل ما نظهر الربيع نواره ففى الخريف تجنى ثماره وقال أبو بكر الصنوبرى

ماقضى فى الربيع حق المروآ * ت مضيع لحقها فى الخريف
نحن منه على تلقى شتاء * يوجب القصف أو وداع مصيف
فى قميص من الزمان رقيق * ورداء من الهواء خفيف
يرعد الماء فيه خوفا اذا ما * لمسته يد النسيم الضعيف

وقال ابن الرومى يصفه

لولا فواكه أيلول اذا اجتمعت * من كل فن ورق الجو والماء

اذا الماحفلت نفسى اذا اشتملت * علىّ هائلة الخالين عبراء
ياحبذا ليل ايلول اذا بردت * فيه مضاجعنا والريح شهواء
وجش القرّ فيه الجلد والتأمت * من الضجيعين أجسام وأحشاء
واسفر القمر السارى بصفحته * يرى لها فى صفاء الماء لألاء
بل حبذا نفحة من ريحه سحرا * يأتيك فيها من الريحان أنباء
قل فيه ماشئت من فضل تعهده * فى كل يوم يد لله بيضاء

وقال عبد الله بن المعتز يصفه ويفضله على الصيف من أبيات

طاب شرب الصباح فى ايلول * برد الظل فى الضحى والاصيل
وخفت لفحة الهوا جرعنا * واسترحنا من النهار الطويل
وخرجنا من السموم الى بر * د نسيم وطيب ظل ظليل
فكأنا نزداد قربا من الجنـ * ـة فى كل شارق وأصيل
ووجوه البقاع تنتظر الغيـ * ـث انتظار المحب رد الرسول

وقريب منه قول الآخر

اشرب على طيب الزمان فقد حدا * بالصيف للندمان أطيب حاد
وأشمنا بالليل برد نسيمه * فارتاحت الارواح فى الاجساد
وافاك بالانداء قدام الحيا * فالارض للامطار فى استعداد
كم فى ضمائر تربها من روضة * بمسيل ماء أو قرارة واد
تبدو اذا جاء السحاب بقطره * فكأنما كنا على ميعاد

ومما يقرب منه قول جحظة البرمكى

لا تصغ للوم ان اللوم تضليل * واشرب ففى الشرب للاحزان تحليل
فقد مضى القيظ واجتثت رواحله * وطابت الريح لما آل أيلول
وليس فى الارض بيت يشتكى حرها * الا وناظره بالطل مكحول

وبالغ بعضهم فسوى بينه وبين فصل الربيع فقال فى ضمن تهنئة لبعض اخوانه

هنيت اقبال الخريـ * ـف وفزت بالوجه الوضى
تم اعتدالا فى الكما * ل لجاء فى خلق سوى
لحكى الربيع بحسنه * ونسيم رياه الذكى
وينوب ورد الزعفرا * ن له عن الورد الجنى

وأبلغ منه قول الآخر يفضله على فصل الربيع الذى هو سيد الفصول ورئيسها

محاسن للخريف لهن فخر * على زمن الربيع وأى فخر
به صار الزمان امام برد * يراقب نزحه وعقيب حر

ومع ذلك فالاطباء تذمه لاستيلاء المرة السوداء فيه ويقولون ان هواءه مردى متى تشبث بالجسم لايمكن تلافيه وفى ذلك يقول بعض الشعراء

خذ فى التدبر فى الخريف فانه * مستوبل ونسيمه خطاف
يجرى مع الايام جرى نفاقها * كصديقها ومن الصديق يخاف

الرابع — فصل الشتاء : وهو احد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم ودخوله عند حلول الشمس رأس الجدى وذلك فى الثامن عشر من كيهك واذا بقى من كانون الاول ثمانيــة أيام وآخره اذا أتت الشمس على آخر درجة من الحوت فيكون له من البروج الجدى والدلو والحوت وهذه البروج تدل على السكون والطالع فيه مع الفجر سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر والرشا فيه تهب رياح الدبور وهو بارد رطب فيه يهيج البلغم وتضعف قوى الابدان له من السن الشيخوخة ومن القوى البدنية القوة الدافعة وفيه يشتد البرد ويخشن الهواء ويتساقط ورق الشجر وتنحجز الحيات وتكثر الانواء ويظلم الجو وتصير الارض كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت وله من الكواكب المشترى وعطارد ومن الساعات العاشرة والحادية عشرة ويقال اذا حلت الشمس الجدى مد الشتاء رواقه وحل نطاقه ودبت عقارب البرد لاسبه ونفع مدخر الكسب كاسبه والبلغاء فى وصف حال من أظله ملح تدفع عن المقرور متى استعد بها طله ووبله . فمن ذلك قول بعضهم يصف شدة البرد برد يغير الألوان ويقشف الابدان ويجمد الريق فى الاشداق والدمع فى الآماق برد حال بين الكلب وهريره والاسد وزئيره والطير وصفيره والماء وخريره ومن كلام الفاضل فى ليلة جد خرها وجد جرها الى يوم تود البصلة لو ازدادت قصا الى قصها والشمس لو جرت النار الى قرصها أخذه بعضهم فقال

ويومنا أرياحـــه قـــرة * تخمش الابدان من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

ولابن حكينا البغدادى

البس اذا قدم الشتاء برودا * وافرش على رغم الحصير لبودا
الريق فى اللهوات أصبح جامدا * والدمع فى الآماق صار برودا
واذا رميت بفضل كاسك فى الهوا * عادت اليك من العقيق عقودا

وترى على برد المياه طيورها * تختار حر النار والسفودا
ياصاحب العودين لاتهملهما * حرق لنا عودا وحرك عودا

ولبعضهم

شتاء تقلص الاشداق منه * وبرد يجعل الشبان شيبا
وأرض تزلق الاقدام فيها * فما تمشى بها الا دبيبا

ومن كلام الزمخشرى

أقبلت يابرد ببرد أجرد * تفعل بالأوجه فعل المبرد
أظل فى البيت كمثل المقعد * منقبضا تحت الكساء الاسود
لو قيل لى أنت أمير البلد * فهات للبيعة كفا بعقد

ومن كلام أبى عبد الله بن أبى الخصال يصف ليلة باردة من رسالة والكلب قد صافح خيشومه ذنبه وأنكر البيت وطنبه والتوى التواء الحباب واستدار استدارة الحباب وجلده الجليد وضربه الضريب وصعد أنفاسه الصعيد فحماه مباح ولاهرير ولانباح ومن شعر الحماسة فى وصف ليلة شديدة البرد

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من أندائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

ولأبى القاسم التنوخى

وليلة ترك البرد البلاد بها * كالقلب أسعر نارا فهو مثلوج[1]
فان بسطت يدا لم تنبسط خصرا * وان تقل فبقول فيه تشبيج
فنحن منه ولم نخرس ذوو خرس * ونحن فيه ولم نفلج مفاليج

وقال بعضهم يصف يوما باردا كثير الضباب

يوم من الزمهرير مقرور * عليه جيب السحاب مزرور
وشمسه حرة مخدرة * ليس لها من ضبابه نور
كأنما الجو حشوه ابر * والارض من تحته قوارير

وحكى أن اعرابيا اشتد به البرد فأضاءت نار فدنا منها ليصطلى وهو يقول اللهم لاتحرمنيها فى الدنيا ولا فى الآخرة أخذه بعضهم فقال وهو فى غاية المبالغة

أيارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالى عالم لاتعلم
فان كنت يوما مدخلى فى جهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

(١) كذا بالاصل

وقد اعتنى الناس بمدحه فقال بعضهم لو لم يكن من فضله الا أنه تغيب فيه الهوام وتنحجز الحشرات ويموت الذباب ويهلك البعوض ويبرد الماء ويسخن الجوف ويطيب العناق(١) ويظهر الفرش ويكثر الدخن وتلدحرة البيت وتابعه بعض الشعراء فقال

تركت مقدمة الخريف جيده * وبدا الشتاء جديده لا ينكر
مطر يروق الصحو منه وبعده * صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان والانواء غيث ظاهر * لك وجهه والصحو غيث مضمر

وقال أبو الفتح كشاجم

اذن الشتاء بلهوه المستقبل * فدنت أوائله بغيث مسبل
متكاثف الانواء منغدق الحيا * هطل الندا هرج الرعود بجلجل
جاءت بعزل الجدب فيه فبشرت * بالخصب أنواء السماك الأعزل

وقد ولع الناس بذكر الاعتداد لها قديما وحديثا . قيل لأعرابى ما أعددت للبرد فقال طول الرعدة وتقرفص القعدة وذوب المعدة أخذه ابن سكرة فقال

قيل ما أعددت للبر * د وقد جاء بشده قلت دراعة عرى * تحتها جبة رعده

واعلم ان ما تقدم من أزمان الفصول الاربعة هو المصطلح المعروف والطريق المشهور وقد ذكر الالى فى كتاب الدر أن العرب قسمت السنة أربعة أجزاء فجعلوا الجزء الاول الصفرية وسموا مطره الوسمى وأوله عندهم سقوط عرقوة الدلو السفلى وآخره سقوط الهقعة وجعلوا الجزء الثانى الشتاء وأوله سقوط الهقعة وآخره سقوط الصرفة وجعلوا الجزء الثالث الصيف وأوله سقوط العواء وآخره سقوط الشولة وجعلوا الجزء الرابع القيظ وسموا مطره الخريف وأوله سقوط النعائم وآخره سقوط عرقوة الدلو العليا وذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب طريقا آخر فقال الربيع يذهب الناس الى أنه الفصل الذى يتبع الشتاء ويأتى فيه الورد والكمأة والنور ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف فى ذلك فنهم من يجعل الربيع الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف وبعده فصل الشتاء ثم فصل الصيف وهو الوقت الذى تسميه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذى تسميه العامة الصيف ومنهم من يسمى الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمى الفصل الذى يلى الشتاء وتأتى فيه الكمأة والنور الربيع الثانى وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع وفى بعض التعاليق ان من العرب من جعل السنة ستة أزمنة . الاول الوسمى وحصته من السنة شهران ومن المنازل أربع منازل وثلثا منزلة وهى العواء والسماك والغفر والزبانان وثلثا الاكليل . الثانى الشتاء وحصته من السنة شهران ومن المنازل أربع منازل وثلثا منزلة وهى ثلث الاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة

(١) كذا بالاصل

وثلث الذابح . الثالث الربيع وحصته من السنة شهران ومن المنازل أربع منازل وثلثا منزلة وهى ثلثا الذابح وبلع والسعود والأخبية والفرغ المقدم . الرابع الصيف وحصته من السنة شهران ومن المنازل أربع منازل وثلثا منزلة وهى الفرغ المؤخر وبطن الحوت والشرطين والبطين وثلثا الثريا . الخامس الحيم وحصته من السنة شهران ومن المنازل أربع منازل وثلثا منزلة وهى ثلث الثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع وثلث النثرة . السادس الخريف وحصته من السنة شهران ومن المنازل أربع منازل وثلثا منزلة وهى ثلثا النثرة والطرف والجبهة والخرتان والصرفة والاوائل من علماء الطب يقسمون السنة الى الفصول الاربعة الا أنهم يجعلون الشتاء والصيف أطول زمانا وأزيد مدة من الربيع والخريف فيجعلون الشتاء أربعة أشهر والصيف أربعة أشهر والربيع شهرين والخريف شهرين اذ كانا متوسطين بين الحر والبرد وليس فى مدتهما طول ولا فى زمانهما اتساع . واعلم أن ما تقدم من تفضيل بعض الفصول على بعض انما هو أقاويل الشعراء وأفانين الأدباء تفننا فى البلاغة والا فالواضع حكيم جعل هذه الفصول مشتملة على الحر تارة وعلى البرد أخرى لمصالح العباد ورتبها ترتيبا خاصا على التدرج يفهم ذلك أهل العقول وأرباب الحكمة جلت صنعته أن تكون عرية عن الحكمة أو موضوعة فى غير موضعها (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير)

الطـــرف الرابع
فى أعياد الامم ومواسمها وفيه خمس جمل

الجمـــلة الاولى
(فى أعيادا لمسلمين)

واعلم أن الذى وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان عيد الفطر وعيد الاضحى والسبب فى اتخاذهما ما رواه أبو داود فى سننه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان فقالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد بدلكم خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر فأول ما بدئ به من العيدين عيد الفطر وذلك فى سنة اثنتين من الهجرة وروى ابن باطيش فى كتاب الأوائل أن أول عيد ضحى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين

من الهجرة وخرج الى المصلى للصلاة وحينئذ فيكون العيدان قد شرعا فى سنة واحدة ثم قد ابتدعت الشيعة عيدا ثالثا وسموه عيد الغدير وسبب اتخاذهم له مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلى كرّم الله وجهه يوم غدير خم وهو غدير على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة الطريق تصب فيه عين وحوله شجر كثير وهى الغيطة التى تسمى خم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع نزل بالغدير وآخى بين الصحابة ولم يؤاخ بين على و بين أحد منهم فرأى النبى صلى الله عليه وسلم منه انكسارا فضمه اليه وقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبىّ بعدى والتفت الى أصحابه وقال من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وكان ذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة والشيعة يحيون ليلة هذا العيد بالصلاة ويصلون فى صبحها ركعتين قبل الزوال وشعارهم فيه لبس الجديد وعتق العبيد وذبح الأغنام والحاق الاجانب بالاهل فى الاكرام والشعراء والمترسلون يهنون الكبراء منهم بهذا العيد

الجملة الثانية

(فى أعياد الفرس)

وكان دينهم المجوسية وأعيادهم كثيرة جدّا حتى ان على بن حمزة الاصبهانى عمل فيها كتابا ذكر فيه أسباب اتخاذهم لها وسبب سلوكهم فيها وقد اقتصرنا منها على المشهور الذى ولع الشعراء بذكره واعتنى الأمراء بأمره وهى سبعة أعياد

العيد الاول النيروز ـ وهو تعريب نوروز ويقال ان أول من اتخذه جمشاد أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس ومعنى شاد الشعاع والضياء وان سبب اتخاذهم لهذا اليوم عيدا ان الدين كان قد فسد قبله فلما ملك جدّده وأظهره فسمى اليوم الذى ملك فيه نوروز أى اليوم الجديد وفى بعض التعاليق أن جمشاد ملك الأقاليم السبعة والجن والانس فاتخذ له عجلة ركبها وكان أول يوم ركبها فيه أول يوم من شهر افرودين ماه وكان مدة ملكهم لا يريهم وجهه فلما ركبها أبرز لهم وجهه وكان له حظ من الجمال وافر فجعلوا يوم رؤيتهم له عيدا وسموه نوروزا ومن الفرس من يزعم أنه اليوم الذى خلق الله فيه النور وأنه كان معظما قبل جمشاد و بعضهم يزعم أنه أول الزمان الذى ابتدأ الفلك فيه بالدوران ومدته عندهم ستة أيام، ولها اليوم الاول من شهر افرودين ماه الذى هو أول شهور سنتهم و يسمون اليوم السادس النوروز الكبير لأن الأكاسرة كانوا يقضون فى الايام الخمسة حوائج الناس على طبقاتهم ثم ينتقلون الى مجالس أنسهم مع ظرفاء خواصهم . وحكى ابن المقفع أنه كان من عادتهم فيه أن يأتى الملك رجل من الليل قد أرصد لما يفعله

مليح الوجه فيقف على الباب حتى يصبح فاذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان و يقف حيث يراه فيقول له من أنت ومن أين أقبلت وأين تريد وما اسمك ولأى شئ وردت وما معك فيقول أنا المنصور واسمى المبارك ومن قبل الله أقبلت والملك السعيد أردت وبالهناء والسلامة وردت ومعى السنة الجديدة ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وعليه حنطة وشعير وجلبان وحمص وسمسم وأرز من كل واحد سبع سنبلات وسبع حبات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديدان فيضع الطبق بين يدى الملك ثم تدخل عليه الهدايا و يكون أول من يدخل بها عليه وزيره ثم صاحب الخراج ثم صاحب المعونة ثم الناس على طبقاتهم ثم يقدم للملك رغيف كبير من تلك الحبوب مصنوع موضوع فى سلة فيأكل منه و يطعم من حضر ثم يقول هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد يحتاج أن يجدد فيه ما أخلق من الزمان وأحق الناس بالفضل والاحسان الرأس لفضله على سائر الاعضاء ثم يخلع على وجوه دولته و يصلهم و يفرق عليهم ما وصل اليه من الهدايا . وأما عوام الفرس فكانت عادتهم فيه رفع النار فى ليلته ورش الماء فى صبيحته ويزعمون أن ايقاد النيران فيه لتحليل العفونات التى أبقاها الشتاء فى الهواء و يقال انما فعلوا ذلك تنويها بذكره واشهارا لأمره وقالوا فى رش الماء انما هو بمنزلة الشهرة لتطهير الابدان مما انضاف اليها من دخان النار الموقدة فى ليلته وقال آخرون ان سبب رش الماء فيه ان فيروز بن يزدجرد لما استتم سورجى وهى أصبهان القديمة لم تمطر سبع سنين فى ملكه ثم مطرت فى هذا اليوم ففرح الناس بالمطر وصبوا من مائه على أبدانهم من شدة فرحهم به فصار ذلك سنة عندهم فى ذلك اليوم من كل عام وما أحلى قول بعضهم يخاطب من يهواه و يذكر ما يعتمد فى النيروز من شب النيران وصب الامواه

كيف ابتهاجك بالنيروز ياسكنى * وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فتارة كلهيب النار فى كبدى * وتارة كتوالى عبرتى فيه
أسلتنى فيه ياسؤلى الى وصب * فكيف تهدى الى من أنت تهديه

وأول من رسم هدايا النيروز والمهرجان فى الاسلام الحجاج بن يوسف الثقفى ثم رفع ذلك عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه واستمر المنع فيه الى أن فتح باب الهدية فيه أحمد بن يوسف الكاتب فانه أهدى فيه للمأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندى فى طوله وعرضه وكتب معه هذا يوم جرت فيه العادة باتحاف العبيد السادة وقد قلت

على العبد حق وهو لاشك فاعله * وان عظم المولى وجلت فواضله
ألم ترنا نهدى الى الله ماله * وان كان عنه ذا غنى فهو قابله
فلو كان يهدى للجليل بقدره * لقصر عنه البحر يوما وساحله

ولكننا نهدى الى من نجـــله * وان لم يكن فى وسعنا ما يشاكله

وكتب سعيد بن حميد الى صديق له يوم نيروز هذا يوم سهلت فيه السـنة للعبيد الاهداء للملوك فتعلقت كل طائفــة من البرّ بحسب القــدرة والهمة ولم أجد فيما أملك ما يفى بحقك ووجدت تقريظك أبلغ فى أداء ما يجب لك ومن لم يؤت فى هديته الامن جهة قدرته فلا طعن عليه هذا ما يتعلق بنيروز الفرس من ذكر الهدايا فيه وايقاد النار ورش الماء وأول من سنه . وأما تعلقه بالخراج فسيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى عند الكلام على جباية الخراج فى فن الدونة

العيد الثانى من أعياد الفرس المهرجان — وهو فى السادس والعشرين من تشرين الاول من شهور السريان وفى السـادس عشر من مهرماه من شهور الفرس وفى التـاسع من أبيب من شهور القبط و بينه و بين النيروز مائة وسبعة وستون يوما وهــذا الأوان فى وسط زمان الخريف وفى ذلك يقول الشاعر

أحب المهرجان لأن فيه * سرورا للملوك ذوى السناء

وبابا للمصـــير الى أوان * تفتح فيـــه أبواب السماء

ومدته ستة أيام و يسمى اليوم السادس منه المهرجان الاكبر كما يسمى اليوم السادس من أيام النيروز عندهم النيروز الاكبر قال المسعودى وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم وكان لهـــم ملك يسمى مهر يســـير فيهم بالعنف والعسف فمات فى النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمى ذلك اليوم مهرجان وتفســـيره نفس مهر ذهبت والفرس تقدّم فى لغتها ما تؤخره العرب فى كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهى الفارسية الاولى وزعم آخرون أن مهر بالفارسية حفاظ وجان الروح وفى ذلك يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

اذا ما تحقق بالمهـــرجا * ن من ليس يعرف معناه غاظا

ومعناه ان غلب الفرس فيه * فسموه للروح فيـــه حفاظا

و يقال انما ظهر فى عهد افريدون الملك ومعنى هذا الاسم أدرك الثار وذلك أن افريدون أخذ بثار جدّه جم شاد من الضحاك بأنه كان أفسد دين المجوسية وخرج على جم شاد فأخذ منه الملك وقتله فلما غلبه افريدون قتله بجبل دنباوند وأعاد المجوسية الى ما كانت فاتخذ الفرس يوم قتله عيدا وسموه مهرجان والمهر الوفاء وجان سلطان وكان معناه سلطان الوفاء وزعم بعض الفرس أن الضحاك هو النمرود وافريدون هو ابراهيم عليه الســلام بلغتهم و يقــال ان المهرجان هو اليوم الذى عقد فيـــه التـاج على رأس أزدشير بن بابك أول ملوك الفرس الساسانيـــة وكان مذهب الفرس فى المهرجان أن يدهن ملكهم بدهن البان تبركا وكذلك العوام وأن يلبس القصب والوشى و يتوج بتاج عليـــه صورة الشمس وجعلها الدائرة عليها و يكون أول من يدخل اليـــه

الموبذان بطبق فيه أترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وعناب وتفاح وعنقود عنب أبيض وسبع طاقات آس قد زمزم عليها ثم تدخل الناس على طبقاتهم بمثل ذلك وربما كانوا يذهبون الى تفضيله على النيروز وفيه يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

أخا الفرس ان الفرس تعلم أنه * لأطيب من نيروزها مهرجانها
لادبار أيام بغم هواؤها * واقبال أيام يسر زمانها

وقال المسعودى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء فيغيرون فيه الفرش والآلات وكثيرا من الملابس

العيد الثالث السدق — ويسمى آبان روز ويعمل فى ليلة الحادى عشر من شهر بهمن ماه من شهور الفرس وسنتهم فيه ايقاد النيران بسائر الأدهان والولوع بها حتى انهم يلقون فيها سائر الحبوب و يقال ان سبب اتخاذهم لهذا العيد أن الأب الاول وهو عندهم كيومرت لما كمل له من ولده مائة ولد زوج الذكور بالأناث وصنع لهم عرسا أكثر فيه وقود النيران ووافق ذلك الليلة المذكورة فاستسنت ذلك الفرس بعده وقد ولعت الشعراء بوصف هذه الليلة فقال أبو القاسم المطرز يصف سدقا عمله السلطان ملكشاه بدجلة أشعل فيه النيران والشموع فى السماريات من أبيات

وكل نار على العشاق مضرمة * من نار قلبى أو من ليلة السدق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت * بسدفة الليل فيها تغرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الارض بسطا من جواهرها * ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا أنها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
اعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق
فى مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلا ثغره عن واضح يقق

وقال ابن حجاج من أبيات يمدح بها عضد الدولة أيضا

ليلتنا حسنها عجيب * بالقصف والتيه قد تحقق
لنارها فى السما لسان * عن نور ضوء الصباح ينطق
والجو منه قد صار جمرا * والنجم منه قد كاد يحرق
ودجلة أضرمت حريقا * بألف نار وألف زورق
فماؤها كله جحيم * قد فار مما يغلى ويعبق

وقال عبد العزيز بن نباتة من أبيات يمدح بها عضد الدولة أيضا

لعمرى لقد أذكى الهمام بأرضه * مشهرة بنيانها الفجر صاليا
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها * وتحسد أيام الشهور الليااليا
قلادة مجد أغفل الدهر نظمها * عليه (١) وقد السنين الخواليا
هى الليلة الغراء فى كل شتوة * تغادر جيد الدهر أبلج حاليا

العيد الرابع الشركان — وهو فى الثالث عشر من تيرماه من شهور الفرس زعموا أن أرس رمى سهمه لما وقعت المصالحة بين منوجهر وقراسياب التركى من المملكة على رميـة سهم فامتد السهم من جبال طبرستان الى أعالى طخارستان

العيد الخامس أيام الفرودجان — وهى خمسة أيام أولها السادس والعشرون من ابان ماه من شهور الفرس ومعناه تربيـة الروح لانهم كانوا يعملون فيها أطعمة وأشربة لأرواح موتاهم ويزعمون أنها تغتذى بها

العيد السادس ركوب الكوسج — ويعمل فى أول يوم من ادرماه من شهور الفرس وسنتهم فيه أن يركب فى كل بلد من بلادهم رجل كوسج قد أعد لما يصنع به بأ كل الاطعمة الحارة كالجوز والثوم واللحم السمين ونحوها ويشرب الشراب الصرف أياما قبـل حلول الشهر فاذا حل الشهر لبس غلالة سابورية وركب بقرة وأخذ على يده غرابا ويتبعه الناس يصبون عليه الماء ويضربونه بالثلج ويروحون عليه بالمراوح وهو يصيح بالفارسية كرم كرم أى الحر الحر يفعل ذلك سبعة أيام ومعه أوباش الناس ينهبون ما يجدون من الامتعة فى الحوانيت وللسلطان عليهم مال فاذا وجدوا بعـد عصر اليوم السابع ضربوا وحبسوا قال المسعودى ولا يعرف ذلك الا بالعراق وأرض العجم وأهل الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ويقال ان هـذا الفعل كان يتداوله أهل كل بيت منهم كوسج وحكى الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار أن سبب ذلك أن كوسجا كان يشرب فى هذه الأيام الدواء ويطلى بدنه فيها فغلب عليها وفى ذلك يقول الشاعر

قد ركب الكوسج ياصاح * فانزل على الزهرة والراح
وانعم بآدرماه عيشا وخذ * من لذة العيش بأفياح

والسنة عندهم منقسمة على أقسام فى أول كل قسم منها خمسـة أيام تسمى الكنبهارات زعم زرادشت أن فى كل يوم خلق الله تعالى نوعا من الخليقة فهم يتخذونها أعيادا لذلك

العيد السابع عيد بهمنجة — ويتخذونه فى يوم بهمن من شهر بهمن ماه وسنتهم فيـه أنهم يأكلون فيـه البهمن الأبيض باللبن الخالص على أنه ينفع الحفظ ورؤساء خراسان يعملون فيـه الدعوات على طعام يطبخون فيه كل حب مأكول ولحم حيوان يؤكل ويحضر ما يوجد فى ذلك الوقت من بقل أونبات فهذه أعياد الفرس المشهورة الدائرة بين عامتهم وخاصتهم

الجملة الثالثة

(فى أعياد القبط)

اعلم أن أعياد القبط كثيرة وقد أتينا على ذكر تفصيلها سردا فى خلال شهور القبط مع ذكر غيرها وأوردنا كل عيد منها فى يومه من شهور القبط وربما ذكرنا بعضها أيضا فى شهور السريان والروم على أن منها مالا يتعلق بوقت مقيد كالفصح الأكبر عندهم فانه متعلق بفطرهم من صومهم الأكبر وهو غير مؤقت بوقت معين بل يتغير بالتقديم والتأخير قليلا على ماسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى ونحن نقتصر فى هذا الفصل على المشهور من أعيادهم دون غيره ونبين أوقاتها ونشرح أسبابها وهى أربعة عشر عيدا وهى على ضربين كبار وصغار

الضرب الاول

(الكبار وهى سبعة)

العيد الاول البشارة ويعنون به بشارة غبريال وهو جبريل على زعمهم لمريم عليها السلام بميلاد عيسى صلوات الله عليه يعملونه فى التاسع والعشرين من برمهات من شهور القبط . الثانى الزيتونه وهو عيد الشعانين وتفسيره بالعربية التسبيح يعملونه فى سابع أحد من صومهم وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة وهو يوم ركوب المسيح لليعفور وهو الحمار فى القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . الثالث الفصح وهو العيد الكبير عندهم يعملونه يوم الفطر من صومهم الأكبر يزعمون أن المسيح قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم وأقام فى الأرض أربعين يوما آخرها يوم الخميس ثم صعد الى السماء قاتلهم الله أنى يؤفكون . الرابع خميس الاربعين ويسميه الشاميون السلاق وهو الثانى والاربعون من الفطر يقولون ان المسيح عليه السلام تسلق فيه من تلاميذه الى السماء بعد القيام ووعدهم بارسال الفارقليط وهو روح القدس عندهم . الخامس عيد الخميس وهو عيد العنصرة يعملونه بعد خمسين يوما من القيام وهو فى السادس والعشرين من بشنس ويقولون ان روح القدس حلت فى التلاميذ وتفرقت عليهم ألسنة الناس فتكلموا بجميع الألسنة وذهب كل واحد منهم الى بلاد لسانه الذى تكلم به يدعوهم الى دين المسيح . السادس الميلاد وهو اليوم الذى يقولون ان المسيح ولد فيه ببيت لحم قرية من أعمال فلسطين ويعملونه فى التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط وهم يقولون انه ولد يوم الاثنين فيجعلون عشية الاحد ليلة الميلاد فيوقدون فيها المصابيح بالكنائس ويزينونها . السابع الغطاس يعملونه فى الحادى عشر من طوبه من شهور القبط يقولون ان يحيى بن زكريا عليه السلام

ويتعتونه بالمعمدان غسل عيسى عليه السلام ببحيرة الاردن وأن عيسى لما خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة والنصارى يغمسون أولادهم فيه فى الماء على أنه يقع فى شدة البرد الأن عقبه يحمى الوقت يقول المصريون غطستم صيفتم ونورزتم شتيتم

الضرب الثانى

(من أعياد القبط الاعياد الصغار وهى سبعة أيضا)

الاول الختان ويعملونه فى سادس بؤنة من شهور القبط ويقولون ان المسيح ختن فى هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد . الثانى الاربعون يعملونه فى الثامن من شهر أمشير من شهور القبط ويقولون ان سمعان الكاهن دخل بعيسى عليه السلام مع أمه بعد أربعين يوما من ميلاده الهيكل وبارك عليه تلك عقول أضلها باريها والا فأين مقام الكاهن من مقام عيسى عليه السلام وهو روح الله وكلمته . الثالث خميس العهد يعملونه قبل الفصح بثلاثة أيام وشأنهم أن يأخذوا اناء ويملؤنه ماء ويبارك عليه ثم يغسل البطريرك به أرجل جميع النصارى الحاضرين ويزعمون أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه فى هذا اليوم يعلمهم التواضع وأخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض والعامة من النصارى يسمون هذا الخميس خميس العدس وهم يطبخون فيه العدس على ألوان . الرابع سبت النور وهو قبل الفصح بيوم يقولون ان النور يظهر على مقبرة المسيح فى هذا اليوم فتشتعل منه مصابيح كنيسة القمامة بالقدس قال صاحب مناهج الفكر وغيره وما ذاك الا من تحيلاتهم النيرنجية التى يفعلها القسيسون منهم ليستميلوا بها عقول عوامهم الضعيفة وذلك أنهم يعلقون القناديل فى بيت المذبح ويتحيلون فى ايصال النار اليها بأن يمدوا على جميعها شريطا من حديد فى غاية الدقة مدهونا بدهن البلسان ودهن الزئبق فاذا صلوا وجاء وقت الزوال فتحوا المذبح فتدخل الناس اليه وقد اشتعلت فيه الشموع ويتوسل بعض القوم الى أن يعلق النار بطرف الشريط الحديد فتسرى عليه فتتقد القناديل واحدا بعد واحد اذ من طبيعة دهن البلسان علوق النار فيه بسرعة مع أدنى ملامسة فيظن من حضر من ذوى العقول الناقصة أن النار نزلت من السماء فأوقدت القناديل فالحمد لله على الاسلام . الخامس حد الحدود وهو بعد الفصح بثمانية أيام يعملونه أول أحد بعد الفطر لأن الآحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات وأثاث البيوت ومنه يأخذون فى الاستعداد للمعاملات والامور الدنيوية . السادس التجلى ويعملونه فى الثالث عشر من مسرى من شهور القبط وآخره السابع والعشرون منها يقولون ان المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه بعد أن رفع فى هذا اليوم وتمنوا عليه ان يحضر لهم ايليا وموسى عليهما السلام فأحضرهما لهم بمصلاة بيت المقدس

ثم صعد وصعداء السابع عيد الصليب وهو فى السابع عشر من توت من شهور القبط والنصارى يقولون ان قسطنطين بن هيلانى انتقل عن اعتقاد اليونان الى اعتقاد النصرانية وبنى كنيسة قسطنطينية العظمى وسائر كنائس الشام ويزعمون أن سبب ذلك أنه كان مجاورا للبرجان فضاق بهم ذرعا من كثرة غاراتهم على بلاده فهم أن يصانعهم ويفرض لهم عليه اتاوة فى كل عام ليكفوا عنه فرأى ليلة فى المنام أن ملائكة نزلت من السماء ومعها أعلام عليها صلبان فحاربت البرجان فانهزموا فلما أصبح عمل أعلاما وصور فيها صلبانا ثم قاتل بها البرجان فهزمهم فسأل من كان فى بلده من التجار هل يعرفون فيما طافوه من البلاد دينا هذا زيه فقالوا له دين النصرانية وانه فى بلد القدس والخليل من أرض الشام فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم اليه وأن يقصوا شعورهم ويحلقوا الحاهم وانما فعل ذلك لانهم يزعمون أن رسل عيسى عليه السلام كانوا قد وردوا على اليونان قبل يأمرونهم بالتعبد بدين النصرانية فأعرضوا عنهم ومثلوا بهم هذه المثلة نكالا لهم ففعلوا ذلك تأسيا بهم ولما تنصر قسطنطين خرجت أمه هيلانى الى الشام فبنت به الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى زعمت النصارى أن المسيح صلب عليها فحملت اليها فغشتها بالذهب واتخذت ذلك اليوم عيدا وسيأتى الكلام على ذلك مفصلا فى ترجمة قسطنطين فى خاتمة الكتاب عند ذكر الملوك الذين استولوا على الديار المصرية وفيما ذكرناه هنا مقنع والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد صار من أعيادهم المشهورة بالديار المصرية النيروز وهو أول يوم من سنتهم وان لفظة النيروز فارسية معربة وكأن القبط والله أعلم اتخذوا ذلك على طريقة الفرس واستعاروا اسمه منهم فسموا اليوم الاول من سنتهم أيضا نيروزا وجعلوه عيدا قال فى مناهج الفكر وهم يظهرون فيه من الفرح والسرور وايقاد النيران وصب الامواه أضعاف ما يفعله الفرس ويشاركهم فيه العوام من المسلمين قال المسعودى وأهل الشام يعملون مثل ذلك فى أول سنتهم أيضا وهو أول يوم من ينير من شهور الروم ويوافقه كانون الثانى وهو الشهر الرابع من شهور السريان وذلك فى السادس من طوبه من شهور القبط ويسمونه القلنداس الا أن أهل مصر يزيدون فيه التصافع بالانطاع وربما حملهم ترك الاحتشام على أن يتجرؤا على الرجل المطاع ولولا أن ولاة الأمر يردعونهم ويمنعونهم من ذلك لمنعوا الطريق من السالك وهم مع ذلك من ظفروا به لا يتركونه الا بما يرضيهم والذى استقر عليه الحال بالديار المصرية الى آخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة أنهم يقتصرون على رش الامواه والتصافع وترك الاحتشام دون ايقاد النيران الا من يفعل ذلك من النصارى فى بيته أو خاصته . ولهم أعياد ومواسم سوى ما تقدم ذكرها صاحب التذكرة ونحن نذكرها على ترتيب شهور القبط وهى : عيد سيغورس وعيد متى الانجيلى وهما فى الثانى من توت . عيد سمعان الحبيس وهو فى الرابع من توت .

عيدماما وهوفى الخامس من توت . عيدشعيا وهوفى السادس من توت . عيدساويرس وهو فى السابع من توت . عيدموسى النبى عليه السلام وهوفى الثامن من توت . عيد توما التلميذ وهوفى التاسع من توت . وخروج نوح عليه السلام من السفينة ومولد مريم عليها السلام وهما فى العاشر من توت . عيد باسيليوس وهوفى الحادى عشر من توت . عيد ميخائيل وصوم جدليا وهما فى الثالث عشر من توت . عيد سمعان الحبيس وعيد تادرس الشهيد وهما فى الرابع عشر من توت . عيد اسفانوس وهوفى السادس عشر من توت وصوم كيور وهوفى العشرين من توت ونياحة أبى جرج وهى فى الثانى والعشرين من توت . عيد أولاد الفرس وهوفى الثالث والعشرين من توت . عيد البصابات وهوفى السادس والعشرين من توت . عيد اسطاوا وانتقال يوحنا وهما فى السابع والعشرين من توت . عيد اجرو يفون وهوفى أول بابه . عيد سوسنان وهوفى الثانى من بابه . عيد يعقوب بن حلفا وهوفى الخامس من بابه . عيد أبو بولا وهوفى السابع من بابه . عيد توما وهوفى الثامن من بابه . عيد أبى مسرجه وهو فى العاشر من بابه . عيد يعقوب وهوفى الحادى عشر من بابه وشهادة متى وهى فى الثانى عشر من بابه . عيد الفرات وهوفى الثالث عشر من بابه وشهادة يوحنا وهى فى العشرين من بابه وتذكار السيدة وهوفى الحادى والعشرين من بابه . عيد لوقا وهوفى الثانى والعشرين من بابه . عيد أبى جرج وهوفى الثالث والعشرين من بابه ودخول السيدة الهيكل وهوفى الحادى والعشرين من بابه . عيد يعقوب ويوسف وهوفى السادس والعشرين من بابه . عيد أبى مقار وهو فى السابع والعشرين من بابه . عيد مرقص وهوفى آخر يوم من بابه . عيد بطرس البطرك وهوفى أول يوم من هاتور . عيد زكريا وهوفى الرابع من هاتور واجتماع التلاميذ وهو فى السادس من هاتور وتكريز أبى جرج وهوفى السابع من هاتور وعيد الاربع حيوانات وهو فى الثامن من هاتور وتذكار الثلثمائة وثمانية عشر وهوفى التاسع من هاتور ونياحة اسحاق وهو فى العاشر من هاتور . عيد ميكائيل وهوفى الثانى عشر من هاتور وشهادة أبى مينا وهو فى الخامس عشر من هاتور . عيد فيلبس الرسول وهوفى التاسع عشر من هاتور . عيد أساسياس وهوفى العشرين من هاتور . عيد شمعون وهوفى الحادى والعشرين من هاتور وتذكار الشهداء وهوفى الثانى والعشرين من هاتور . عيد مركوريوس وهوفى الرابع والعشرين من هاتور . عيد أبى مقورة وهوفى الخامس والعشرين من هاتور . عيد ادفيانيوس وهوفى السادس والعشرين من هاتور . عيد يعقوب المقطع وهوفى السابع والعشرين من هاتور . عيد باهور وهوفى الثانى من كيهك . عيد اندراس وهوفى الرابع من كيهك . عيد سيورس وهوفى الخامس من كيهك . عيد بزباره وهوفى السابع من كيهك . عيد ايامين وهوفى الثامن من كيهك .

عيدمارى نقولا وهو فى العاشر من كيهك . عيد سمعان وهو فى الرابع عشر من كيهك ونياحة يوحنا وهى فى السادس عشر من كيهك وصوم الميلاد وهو فى الثالث والعشرين من كيهك وقتل الاطفال وهو فى الثالث من طوبه . عيد يوحنا الانجيلى وهو فى الرابع من طوبه وعيد توما وهو فى السابع من طوبه . عيد الختان وهو فى الثامن من طوبه . عيد ابراهيم وهو فى التاسع من طوبه وصوم الغطاس وأوله العاشر من طوبه وصوم العذارى وهو فى الثالث عشر من طوبه . عيد ملسوس وهو فى الرابع عشر من طوبه . عيد غاريوس وهو فى الخامس عشر من طوبه . عيد قيلانوس وهو فى السادس عشر من طوبه . عيد يوحنس وهو فى التاسع عشر من طوبه ونزول الانجيل وتذكار السيدة وهما فى العشرين من طوبه وصوم نينوى وهو فى الحادى والعشرين من طوبه ومقتل يحيى وهو فى الرابع والعشرين من طوبه . عيد أبى بشاره وهو فى الخامس والعشرين من طوبه . عيد الشهداء وهو فى السادس والعشرين من طوبه . عيد طيمارس الرسول وهو فى السابع والعشرين من طوبه وآخر نياحة نقولا وهو فى اليوم الآخر من طوبه . عيد العذارى وعيد يهوذا وهما فى الأول من أمشير . عيد مقار وهو فى الثانى من أمشير ونياحة تيادرس وهو فى السادس من أمشير ونياحة برصوما وهو فى التاسع من أمشير . عيد بيطن وشهادة يعقوب وهما فى العاشر من أمشير . عيد أبى مسرجة وهو فى الرابع عشر من أمشير . عيد قيلانوس وهو فى السادس عشر من أمشير . عيد يعقوب الرسول وهو فى السابع عشر من أمشير . عيد بطرس الشهيد وهو فى التاسع عشر من أمشير ونزول السيدة من الجبل وهو فى الحادى والعشرين من أمشير وشهادة سدرس وهو فى السادس والعشرين من أمشير ووجود رأس يوحنا وهو فى اليوم الآخر من أمشير . عيد الحلبانة وهو فى الثالث من شهر برمهات . عيد ارمانوس وهو فى السابع من برمهات . عيد المعمودة وهو فى التاسع من برمهات وظهور الصليب وهو فى العاشر من برمهات . عيد أبى مينا وهو فى الحادى عشر من برمهات . عيد ميلاخى وهو فى الثانى عشر من برمهات . عيد الياس الشهيد وهو فى السابع عشر من برمهات ونياحة بولص وهى فى الثانى والعشرين من برمهات . عيد العازر وهو فى الثالث والعشرين من برمهات . عيد الشعانين وهو فى الرابع والعشرين من برمهات . عيد المرسونة وهو فى الخامس والعشرين من برمهات وغسل الارجل وهو فى الثامن والعشرين من برمهات وجمعة الصلبوت وهو فى التاسع والعشرين من برمهات . عيد مرقص الانجيلى وهو فى اليوم الآخر من برمهات . عيد توما البطرك وهو فى الثانى من برموده . عيد حزقيال النجيب وهو فى الخامس من برموده . عيد مرقص وهو فى السابع من برموده والأخذ بالجديد وهو فى الثامن من برموده . عيد يوحنا الأسقف

وهو فى الحادى عشر من برموده . عيد جرجس وهو فى الثالث عشر من برموده . عيد أبى متى وهو فى السادس عشر من برموده . عيد يعقوب . عيد سنوطه وهما فى التاسع عشر من برموده وذكران الشهداء وهو فى الحادى والعشرين من برموده . عيد ساويرس وهو فى السادس والعشرين من برموده . عيد أبى نيطس وهو فى السابع والعشرين من برموده . عيد أصحاب الكهف وهو فى التاسع والعشرين من برموده . عيد مرقص الانجيلى وهو فى اليوم الآخر من برموده . عيد تيادرس وهو فى الثانى من بشنس . عيد شمعون وهو فى الثالث من بشنس . عيد الخندس وهو فى الرابع من بشنس ونياحة يعقوب وهو فى السابع من بشنس . عيد دفرى سوه وهو فى السادس من بشنس . عيد أساساس وهو فى السابع من بشنس وصعود المسيح عندهم فى الثامن من بشنس . عيد دير القصير وهو فى الحادى والعشرين من بشنس ونزول السيد الى مصر وهو فى الرابع والعشرين من بشنس . عيد سوس وهو فى الخامس والعشرين من بشنس . عيد توما التلميذ وهو فى السادس والعشرين من بشنس . عيد سمعون العجاس وهو فى السابع والعشرين من بشنس . عيد طيمارس وهو فى التاسع والعشرين من بشنس . عيد الورد بالشا وهو فى اليوم الآخر من بشنس . عيد أبى مقار وهو فى الثانى من بؤنه ووجود عظام لوقا وهو فى الثالث من بؤنه . عيد توما . عيد مامور وهما فى الرابع من بؤنه . عيد يوحنا ونزول صحف ابراهيم عليه السلام وهما فى التاسع من بؤنه . عيد أبى مينا وهو فى الخامس عشر من بؤنه . عيد أبى مقار وهو فى السادس عشر من بؤنه . عيد السيدة وهو فى الحادى والعشرين من بؤنه . عيد اتريب وهو فى الثالث والعشرين من بؤنه . عيد أبى مينا وهو فى والعشرين من بؤنه وتذكار تيادرس وهو فى أول أبيب ونياحة بولص وهو فى الثانى من أبيب والثالث منه أيضا . وعيد المعينه وعيد القصرية وهما فى الخامس من أبيب . وعيد أبى سنوبه وهو فى السابع من أبيب . وعيد اسنباط وهو فى الثامن من أبيب . وشهادة هرون وعيد سمعان وهما فى التاسع من أبيب . وعيد تادرس نطيره وهو فى العاشر من أبيب . وعيد أبى هور وهو فى الثانى عشر من أبيب . وعيد أبى مقار وهو فى الرابع عشر من أبيب . وعيد اقدام السريانى وهو فى الخامس عشر من أبيب . وعيد يوحنا وزكريا وهو فى السادس عشر من أبيب . وعيد يعقوب التلميذ وهو فى السابع عشر من أبيب . وعيد بولاق وهو فى التاسع عشر من أبيب . وعيد تادرس الشهيد وهو فى العشرين من أبيب . وعيد السيدة وعيد ميخائيل وهما فى الحادى والعشرين من أبيب . وعيد سمعان البطرك وعيد شنوده وهما فى الثالث والعشرين من أبيب . وعيد سمنود وهو فى الرابع والعشرين من أبيب . وعيد مرقوريوص وهو فى الخامس والعشرين من أبيب . وعيد حزقيل النبى عليه السلام وهو فى السابع والعشرين

من أبيب ورفعة ادريس عليه السلام وعيد مريم وهما فى الثامن والعشرين من أبيب . وحرم السيد وهو فى اليوم الآخر من أبيب . وعيد الخندق وهو فى اليوم الاول من مسرى . وعيد أبى مينا وهو فى اليوم الثانى من مسرى . وعيد سمعان المعمودى وهو فى الثالث من مسرى ودخول نوح السفينة وهو فى الثامن من مسرى . وعيد طور سينا وعيد السيدة وهما فى التاسع من مسرى . وعيد اللباس وهو فى العاشر من مسرى وشهادة انطونيوس وعيد العدوية وهو فى الخامس عشر من مسرى . وعيد يعقوب الشهيد وهو فى السابع عشر من مسرى . وعيد أبى مقار وهو فى الثامن عشر من مسرى . وعيد اليسع وهو فى التاسع عشر من مسرى . وعيد أصحاب الكهف وهو فى العشرين من مسرى وصوم الاربعين وهو فى الحادى والعشرين من مسرى . وعيد الجوزه بدمشق وهو فى الثالث والعشرين من مسرى . وعيد صوفيل وهو فى السادس والعشرين من مسرى . وعيد ابراهيم واسحاق وهو فى الثامن والعشرين من مسرى . وعيد موسى الشهيد وشهادة يوحنا وهو فى اليوم الآخر من مسرى

الجملة الرابعة

(فى أعياد اليهود وهى على ضربين)

الضرب الاول

(مانطقت به التوراة بزعمهم وهى خمسة أعياد)

العيد الاول رأس السنة يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه عيد رأس هيشا أى عيد رأس الشهر وهو أول يوم من تشرى يتنزل عندهم منزلة عيد الاضحى عندنا و يقولون ان الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بذبح اسماعيل ابنه فيه وفداه بذبح عظيم

العيد الثانى عيد صومار يا و يسمونه الكبود وهو عندهم الصوم العظيم الذى يقولون ان الله تعالى فرض عليهم صومه ومن لم يصمه قتل عندهم ومدة هذا الصوم خمسة وعشرون ساعة يبدأ فيها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرى و يختم بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر وربما سموه العاشور ويشترط فيه لجواز الافطار عندهم رؤية ثلاثة كواكب عند الافطار وهى عندهم تمام الاربعين الثالثة التى صامها موسى عليه السلام ولا يجوز أن يقع هذا الصوم عندهم فى يوم الاحد ولا فى يوم الثلاثاء ولا فى يوم الجمعة ويزعمون أن الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ماخلا الزنا بالمحصنة وظلم الرجل أخاه و جحد ربوبية الله تعالى

العيد الثالث عيد المظلة وهو سبعة أيام أولها الخامس عشر من تشرى وكلها أعياد عندهم واليوم الآخر منها يسمى عرابا أى شجر الخلاف وهو أيضا لهم يجلسون فى هذه الايام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون والخلاف وسائر الشجر الذى لا ينتشر ورقه على الارض ويزعمون أن ذلك تذكار منهم لاظلال الله اياهم فى التيه بالغمام

العيد الرابع عيد الفطير ويسمونه الفصح ويكون فى الخامس عشر من نيسان وهو سبعة أيام أيضا يأكلون فيها الفطير وينظفون بيوتهم فيها من خبز الخمير لان هذه الايام عندهم هى الايام التى خلص الله فيها بنى اسرائيل من يد فرعون وأغرقه فخرجوا الى التيه فجعلوا يأكلون اللحم والخبز الفطير وهم بذلك فرحون وفى أحد هذه الايام غرق فرعون

العيد الخامس عيد الاسابيع ويسمى عيد العنصره وعيد الخطاب ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع واتخاذهم لهذا العيد فى السادس من سيوان من شهور اليهود وهو الثالث والعشرون من بشنس من شهور القبط يقولون انه اليوم الذى خاطب الله فيه بنى اسرائيل من طور سينا وفى جملة هذا الخطاب العشر كلمات وهى وصايا تضمنت أمرا ونهيا وضمنت التوفيق لمن جعلها حفظا ورعيا وهو حج من حجوجهم وحجوجهم ثلاثة الاسابيع والفطير والمظلة وهم يعظمونه ويأكلون فيه القطايف ويتفننون فى عملها ويجعلونها بدلا عن المن الذى أنزل الله عليهم فى هذا اليوم ويسمى هذا العيد أيضا عشرتا ومعناه الاجتماع

الضرب الثانى

(ما أحدثه اليهود زيادة على ما زعموا أن التوراة نطقت به وهو عيدان)

العيد الاول الفوز وهو عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة يهدى فيه بعضهم الى بعض وهم يقولون ان سبب اتخاذهم له أن بختنصر لما أجلى من كان ببيت المقدس من اليهود الى عراق العجم أسكنهم بجى وهى احدى مدينتى اصفهان ثم ذهبت أيام الكلدانيين وملكت الفرس الأولى والاخيرة فلما ملك ازدشير بن بابك وتسميه اليهود بالعبرانية احشادوس وكان له وزير يسمونه بلغتهم هيمون ولليهود يومئذ حبر يسمى بلغتهم مردوخاى فبلغ أزدشير أن له ابنة عم من أحسن أهل زمانها وأكملهم عقلا وطلب تزويجها منه فأجابه لذلك فحظيت عنده حظوة صار بها مردوخاى قريبا منه فأراد هيمون اصغاره واحتقاره حسدا له وعزم على اهلاك طائفة اليهود التى فى جميع مملكة أزدشير فرتب مع نواب الملك فى جميع الأعمال أن يقتل كل أحد منهم من يعلمه من اليهود وعين له يوما وهو النصف من ادار وانما خص هذا اليوم دون سائر الايام لأن اليهود يزعمون أن موسى ولد فيه وتوفى فيه وأراد بذلك المبالغة فى نكايتهم ليتضاعف الحزن عليهم بهلاكهم وبموت موسى

واتضح لمردوخاى ذلك من بعض بطانة هيمون فأرسل الى ابنة عمه يعلمها بما عزم عليه هيمون فى أمر اليهود وسألها اعلام الملك بذلك وحضها على اعمال الحيلة فى خلاص نفسها وخلاص قومها فأعلمت الملك بالحال وذكرت له انما حمله على ذلك الحسد على قربنا منك ونصيحتنا لك فأمر بقتل هيمون وقتل أهله وأن يكتب لليهود بالأمان والبر والاحسان فى ذلك اليوم فاتخذوه عيدا واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام وفى هذا العيد يصورون من الورق صورة هيمون ويملؤن بطنها نخالة وملحا و يلقونها فى النار حتى تحترق يخدعون بذلك صبيانهم

العيد الثانى — عيد الحنكة وهو ثمانية أيام يوقدون فى الليلة الاولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا وفى الليلة الثانية سراجين وهكذا الى أن يكون فى الليلة الثامنة ثمانية سرج وهم يذكرون أن سبب اتخاذهم لهذا العيد أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وفتك باليهود وافتض أبكارهم فوثب عليه أولاد كهانهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسيرا وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم فى كل ليلة الى تمام ثمان ليال فاتخذوا هذه الايام عيدا وسموه الحنكة ومعناه التنظيف لانهم نظفوا فيه الهيكل من اقذار شيعة الجبار و بعضهم يسميه الربانى

الجملة الخامسة

(فى أعياد الصابئين)

ومدار أعيادهم على الكواكب وأعيادهم عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة وهى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد فى بيوت شرفها وذلك ان من البروج ما يقوم لهذه الكواكب مقام قصر العز للملك يشتهر فيه ويعلو و يشرف وفيها درجات معلومة ينسب الشرف اليها ومنها ما يخمل فيه ويفسد حاله ويكون ذلك أيضا فى درجات معلومة تقابل درجات الشرف به من البرج المقابل ويسمى ذلك هبوطا فزحل شرفه فى احدى وعشرين درجة من الميزان و يهبط فى مثلها من الحمل والمشترى يشرف فى خمس عشرة درجة من السرطان و يهبط فى مثلها من الجدى والمريخ يشرف فى ثمان عشرة درجة من الجدى و يهبط فى مثلها من السرطان والزهرة تشرف فى تسع وعشرين درجة من الحوت وتهبط فى مثلها من السنبلة وعطارد شرفه فى خمس عشرة درجة من السنبلة و يهبط فى مثلها من الحوت وكذلك الشمس تشرف فى تسع عشرة درجة من الحمل وتهبط فى مثلها من الميزان والقمر يشرف فى ثلاث درجات من السنبلة و يهبط فى مثلها من الحوت وهم يعظمون اليوم الذى تنزل الشمس فيه الحمل و يلبسون فيه أفخر ثيابهم وهو عندهم من أعظم الاعياد وكانت ملوكهم تبنى الهياكل وتجعل لها أعيادا بحسب الكواكب التى بنيت على اسمها فيه

البـــاب الثـانى
من المقـــالة الاولى
فيما يحتاج اليه الكاتب من الامور العملية وهو الخط وتوابعه ولواحقه وفيه فصلان

الفصــل الاول
(فى ذكر آلات الخط ومباديه وصوره وأشكاله وما ينخرط فى سلك ذلك وفيه ثلاثة أطراف)

الطـــرف الاول
(فى الدواة وآلاتها وفيـــه مقصدان)

المقصـــد الاول
(فى نفس الدواة وفيه أربع جمل)

الجمـــلة الاولى
(فى فضلها)

قد أخرج ابن أبى حاتم من رواية أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خلق الله النون وهى الدواة وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما خلق الله النون وهى الدواة وخلق القلم فقال اكتب فقال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وهذا الخبر والأثر دالان على أن المراد بالنون فى الآية هو الدواة وان فسره بعضهم بغير ذلك إذ الدواة هى المناسبة فى الذكر لذكر القلم وتسطير الكتابة فى قوله تعالى (ن والقلم وما يسطرون) وبالجملة فان الدواة هى أم آلات الكتابة وسمطها الجامع لها ولا يخفى ما يجب من الاهتمام بأمرها والاحتفال بشأنها فقد قال عبد الله بن المبارك من خرج من بيته بغير محبرة وأداة فقد عزم على الصدقة قال المدائنى يعنى بالأداة مثل السكين والمقلمة وأشباهها قال محمد بن شعيب بن سابور مثل الكاتب بغير دواة كمثل من يسير الى الهيجاء بغير سلاح

الجملة الثانية

(فى أصلها فى اللغة)

قال أبو القاسم بن عبد العزيز تقول العرب دواة ودويات فى أدنى العدد وفى الكثير دوى ودوى بضم الدال وكسرها ويقال أيضا دواء ودواء بضم الدال وكسرها ودوايا مثل حوايا وادويت دواة أى اتخذت دواة ورجل دوّاء بفتح الدال وتشديد الواو اذا كان يبيعها كقولك عطار وبزاز

الجملة الثالثة

(فيما ينبغى أن تتخذ منه وما تحلى به)

أما ما تتخذ منه فينبغى أن تتخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمنا كالابنوس والساسم والصندل وهذا اعتمادمنه على ما كان يعتاده أهل زمانه ويتعاناه أهل عصره . قلت وقد غلب على الكتاب فى زماننا من أهل الانشاء وكتاب الاموال اتخاذ الدوى من النحاس الاصفر والفولاذ وتغالوا فى أثمانها وبالغوا فى تحسينها والنحاس أكثر استعمالا والفولاذ أقل لعزته ونفاسته واختصاصه بأعلى درجات الرياسة كالوزارة وما ضاهاها . وأما دوى الخشب فقد رفضت وتركت الا الابنوس والصندل الاحمر فانه يتعاناه فى زماننا قضاة الحكم وموقعوهم وبعض شهود الدواوين . وأما التحلية فقال الحسن بن وهب سبيل الدواة أن يكون عليها من الحلية أخف ما يكون وعمكن أن يحلى به الدوى فى وثاقة ولطف ليأمن من أن تنكسر أو تنقصم فى مجلسه قال وحق الحلية أن تكون ساذجة بغير حفر ولا تثنيات فيها ليأمن من مسارعة القذى والدنس اليها ولا يكون عليها نقش ولا صورة وحق هذه الحلية مع ما ذكره ابن وهب أن تكون من النحاس ونحوه دون الفضة والذهب على أن بعض الكتاب فى زماننا قد اعتاد التحلية بالفضة ولا يخفى أن حكم ذلك حكم الضبة فى الاناء فتحرم مع الكبر والزينة وتكره مع الصغر والزينة والكبر والحاجه وتباح مع الصغر والحاجة من كسر ونحوه كما قرره أصحابنا الشافعية رحمهم الله نعم يحرم التكفيت بالذهب والفضة وكذلك التمويه به اذا كان يحصل منه بالعرض على النار شئ والله أعلم

الجملة الرابعة

(فى قدرها وصفتها)

قال الحسن بن وهب سبيل الدواة أن تكون متوسطة فى قدرها لا بالقصيرة فتقصر أقلامها وتقبح ولا بالكثيفة فيثقل محملها وتجحف فلا بد لصاحبها أن يحملها ويضعها بين يدى ملكه أو أميره

فى أوقات مخصوصة ولا يحسن أن يتولى ذلك غيره قال الفضل ويكون طولها بمقدار عظم الذراع أو فويق ذلك قليلا لتكون مناسبة لمقدار القلم . قلت وقد اختلفت مقاصد أهل الزمان فى هيئة الدواة من التدوير والتربيع فأما كتاب الانشاء فانهم يتخذونها مستطيلة مدورة الرأسين لطيفة القد طلبا للخفة ولانهم انما يتعاونون فى كتابتهم الدرج وهو غير لائق بالدواة فى الجملة على أن الصغير من الدرج لا يأبى جعله فى الدواة المدورة وأما كتاب الاموال فانهم يتخذونها مستطيلة مربعة الزوايا ليجعلوا فى باطن غطائها ما استخفوه مما يحتاجون اليه من ورق الحساب الديوانى المناسب لهذه الدواة فى القطع وعلى هذا الانموذج يتخذ قضاة الحكم وموقعوهم أدويتهم الا أنها فى الغالب تكون من الخشب كما تقدم واعلم أنه ينبغى للكاتب أن يجتهد فى تحسين الدواة وتجويدها وتصوينها ولله المدائنى حيث يقول

جود دواتك واجتهد فى صونها * ان الدوى خـــزائن الآداب

وأهدى أبو الطيب عبد الرحمن بن أحمد بن زيد بن الفرح الكاتب الى صـــديق له دواة ابنوس محلاة وكتب معها

لم أر سوداء قبلها ملكت * نواظر الخلق والقلوب معا
لا الطول أزرى بها ولا قصر * لكن أتت للوصول مجتمعا
فوقك جنح من الظلام بها * وبارق باِئتلافها لمعـــا
خـذها الدر بها تنظمـــه * يروق فى الحسن كل من سمعا

أما المحـبرة المفردة عن الدواة فقد اختلف الناس فيها فنهم من رجحها ومالوا الى اتخاذها لخفة حملها وقالوا بها يكتب القرآن والحديث والعلم وكرهها بعضهم واستقبحها من حيث انها آلة النسخ الذى هو من أشد الحرف وأتعبها وأقلها مكسبا ويروى أن شعبة رأى فى يد رجل محبرة فقال ارم بها فانها مشؤمة لا يبقى معها أهل ولا ولد ولا أم ولا أب

الطــــرف الثــانى

(فى الآلات التى يشتمل عليها الدواة وهى سبع عشرة آلة أول كل آلة منها ميم)

الآلة الاولى

(المزبر بكسر الميم وهو القلم أخذا له من قولهم زبرت الكتاب اذا أتقنت كتابته ومنه سميت الكتب زبرا كما فى قوله تعالى (وانه لفى زبر الاولين) وفى حديث أبى بكر انه دعا فى مرضه بدواة ومزبر أى قلم وفيه جملتان)

الجمـــلة الاولى

(فى فضـــله)

(عن الوليد بن عبادة بن الصامت رضى الله عنه) قال دعانى أبى حين حضره الموت فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال يارب وما أكتب قال اكتب القـدر وما هو كائن الى الابد رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال حسن غريب وابن أبى حاتم واللفظ له وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه ان أول ما خلق الله القـلم والحوت فقال له اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب كل شئ كان الى يوم القيامة ثم قرأ ن والقلم رواه الطـبرانى ووقفه ابن جرير على ابن عبـاس وفى رواية قال ابن عباس أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وما أكتب قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم الى يوم قيـام الساعة ثم خلق النون ورفع بخار المـاء ففتقت منه السماء وبسطت الارض على ظهر النون فاضطرب النون فمـادت الارض فأثبتت بالجبال فانها لتفخر على الارض لانها أثبتت عليها رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وروى محمد بن عمر المدائنى بسنده الى مجاهد أن أول ما خلق الله البراع ثم خلق من البراع القلم فقال له اكتب قال ما أكتب قال ما هو كائن قال فزبر القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وأخرج بسنده الى ابن عباس قال أول ما خلق الله البراع وهو القصب المثقب فقـال اكتب قضائى فى خلقى الى يوم القيامة ويروى أنه لما خلقه الله تعالى نظر اليه فانشق بنصفين ثم قال اجر قال يارب بما أجر قال بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وكان منه تبت يدا أبى لهب ويروى أن خلقه قبـل خلق السموات والارض بخمسين ألف ســنة واعلم أن القلم أشرف آلات الكتابة وأعلاها رتبـة اذ هو المبـاشر للكتابة دون غيره وغـيره من آلات الكتابة كالأعوان وقد قال تعالى (ن والقلم وما يسـطرون) فأقسم به وذلك فى غاية الشرف ولله أبو الفتح البستى حيث يقول

اذا أقسم الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعـــة * مدا الدهر ان الله أقسم بالقلم

وقال تعالى (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم) فأضاف التعليم بالقلم الى نفسه قال ابن الهيثم من جلالة القلم ان الله عز وجل لم يكتب كتابا الا به لذلك أقسم به قال المدائنى وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قلم قلما يكتب به علما أعطاه الله شجرة فى الجنة خير من الدنيا وما فيها وقد قيل الأقلام مطايا الفطن ورسل الكرم وقال عبد الحميد القلم شجرة ثمرها الألفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة وفيه رى العقول الكامنة وقال جبل بن يزيد القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الاسماع وقال ابن المقفع القلم بريد العلم يحث على البحر[1] ويبحث عن خفى النظر وقال أحمد ابن يوسف ما عبرات الغوانى فى خدودهن بأحسن من عبرات الأقلام وقيل القلم الطلسم الأكبر وقيل البيان اثنان بيان لسان وبيان بنان ومن فضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باق على الأبد وما ينبثه اللسان تدرسه الأيام ويقال عقول الرجال تحت أسنة أقلامها بنوء الأقلام يصوب غيث الحكمة وقال جعفر بن يحيى لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم قال ابن المعتز القلم مجهز لجيوش الكلام تخدمه الارادة ولا يمل من الاستزادة كأنه يقبل بساط سلطان أو يفتح نور بستان . ومن انشاء الوزير ضياء الدين بن الأثير الجزرى من جواب كتبه للعماد الاصفهانى وكيف لا يكون ذلك وقلمها والبراع الذى نفثت الفصاحة فى روعه وكمنت الشجاعة بين ضلوعه فاذا قال أراك كيف تنسق الفرائد فى الأجياد . ومن كلام أبى حفص بن برد الاندلسى ما أعجب شأن القلم يشرب ظلمة ويلفظ نورا قد يكون قلم الكاتب أمضى من شباة المحارب القلم سهم ينفذ المقاتل وشفرة تطبح بها المفاصل ومن كلام العميد عمر بن عثمان الكاتب قلم يطلق الآجال والارزاق وينفث السم والدرياق قلم ترق عن الادراك حركاته وتحلى بالنفائس فتكاته يسرع ولا انحدار السيل الى قراره وانقداح الضوء من شراره معطوفة الغايات على المبادى مصروفة الاعجاز الى الهوادى واذا صال أراك كيف اختلاف الرماح بين الآساد وله خصائص أخرى يبدعها ابداعا فاذا لم يأت بها غيره تطبعا أتى بها هو طبعا فطورا يرى إماما يلقى درسا وطورا يرى ماشطة تجلو عرسا وطورا يرى ورقاء تصدح فى الاوراق وطورا يرى جوادا مخلقا بخلوق السباق وطورا أفعوانا مطرقا والعجب انه لا يزهو الا عند الاطراق ولطالما نفث سحرا وجلب عطرا وأدار فى القرطاس خمرا وتصرف فى صنوف الغناء فكان فى الفتح عمر وفى الهدى عمارا وفى الكيد عمرا فلا تحظى به دولة الا فخرت على الدول واستغنت عن الخيل والخول وقال الاسكندر لولا القلم ما قامت الدنيا ولا استقامت المملكة وكل شئ تحت العقل واللسان لانهما الحاكمان على كل شئ

(١) كذا بالاصل

والقلم يريكهما صورتين ويوجدكهما شكلين وقال بعض حكماء اليونان أمور الدنيا تحت شيئين السيف والقلم والسيف تحت القلم وقال آخر فاقت صنعة القلم عند سائر الأمم جمع الحكم فى صحون الكتب وقال العتابى ببكاء القلم تبسم الكتب وقال البحترى الأقلام مطايا الفطن وقال أبودلف العجلى القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه الفكر ويصوغ ما يسبكه اللب وقال سهل بن هارون القلم أنف الضمير اذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره وقال ثمامة ما أثرته الاقلام لم تطمع فى درسه الأيام وقال هشام بن الحكم أحسن الصنيع صنيع القلم والخط الذى هو جنى العقول وقال على بن منصور بنور القلم تضىء الحكمة وقال الجاحظ من عرف النعمة فى بيان اللسان كان بفضل النعمة فى بيان القلم أعرف وقال غيره بالقلم تزف بنات العقول الى خدور الكتب وقال المأمون لله در القلم كيف يحوك وشى المملكة وقال بعض الاعراب القلم ينهض بما يطلع بحمله اللسان ويبلغ ما لا يبلغه البيان وقال بعضهم القلم يجعل للكتب ألسنا ناطقة وأعينا ملاحظة وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الاخوان عند المشاهدة وقال أوميرس الحكيم الخط شىء أظهره العقل بواسطة من القلم فلما قابل النفس عشقته بالعنصر وقال مرطس الحكيم الخط بالقلم ينمى الحكمة وقال جالينوس القلم الطلسم الأكبر وقال بقراط القلم على ايقاع الوتر والمهنة المنطقية مقدمة على المهنة الطبيعية وقال بليناس القلم طبيب المنطق وقال ارسطاطاليس القلم العلة الفاعلة والمداد العلة الهيولانية والخط العلة الصورية والبلاغة العلة التمامية وقد أكثر الشعراء القول فى شرف القلم وفضله فمن ذلك قول أبى تمام الطائى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب وذلت خوفه الامم
فالموت والموت لاشىء يغالبه * مازال يتبع ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقوله

لك القلم الأعلى الذى بشباته * تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهى حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الجلى وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهى أسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت * ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف * ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل

وقول أبى هلال العسكرى

أنظر الى قلم ينكس رأســه * ليضم بين موصــل ومفصــل
تنظــر الى مخلاب ليث ضيغم * وغرار مسنون المضارب مفصل
يبدو لناظره بلون أصــفر * ومدامع سود وجسم منحــل
فالدرج أبيض مثل خد واضح * يثنيه أسود مثل طرف أكحل
قسم العطايا والمنايا فى الورى * فاذا نظرت اليــه فاحذر وأمل
طعمان شوب حلاوة بمــرارة * كالدهر يخلط شــهده بالحنظل
فاذا تصرف فى يديك عنانه * ألحقت فيــه مؤملا بمؤمل
ومذللا بمعـــزز ولربما * ألحقت فيه معــززا بمذلل

وقوله

لك القلم الجارى ببؤس وأنعم * فمنهــا بواد ترتجى وعــوائد
اذا ملأ القرطاس سود سطوره * فتلك أســود تتقى وأساود
وتلك جنان تجتنى ثمراتهــا * ويلقاك من أنفاسهن بوارد
وهن برود مالهـــن مناسج * وهن عقود مالهـــن معاقد
وهن حياة للولى رضــيــة * وهن حقوق للعدو رواصــد

الجمـــلة الثـانية

(فى اشـــتقاقه)

وقد اختلف فى ذلك فقيل سمى قلما لاستقامته كما سميت القداح أقلاما فى قوله تعالى (اذ يلقون أقلامهــم أيهم يكفل مريم) قال بعض المفسرين تشاحوا فى كفالتها فضربوا عليها بالقــداح والقــداح مما يضرب بها المثل فى الاســتقامة وقيل هو مأخوذ من القلام وهو شجر رخو فلما ضارعه القلم فى الضعف سمى قلما وقيل سمى قلما لقلم رأســه فقد قيل انه لا يسمى قلما حتى يبرى أما قبل ذلك فهو قصبة كما لا يسمى الرمح رمحا الا اذا كان عليه سنان والا فهو قناة ومنه قلامة الظفر والى ذلك يشير أبو الطيب الأزدى بقوله

قــلم قــلم أظفار العــدى * وهو كالاصبع مقصوص الظفر
أشــبه الحيــة حــتى انه * كلما عمــر فى الايدى قصر

وقيــل لأعرابى ما القلم ففكر ساعة وقلب يده ثم قال لا أدرى فقيل له توهمه قال هو عود قلم من جوانبه كتقليم الظفر فسمى قلما

الجملة الثالثة

(فى صفته)

قال ابراهيم بن العباس لغلام بين يديه يعلمه الخط ليكن قلمك صلبا بين الدقة والغلظ ولا تبره عند عقدة فان فيه تعقيد الامور ولا تكتب بقلم ملتوى ولاذى شق غير مستوى وان أعوزك البحرى والفارسى واضطررت الى الاقلام النبطية فاختر منها مايميل الى السمرة وقال ابراهيم ابن محمد الشيبانى ينبغى للكاتب أن يتخير من أنابيب القصب أقله عقدا وأكثفه لحما وأصلبه قشرا وأعدله استواء وقال العتابى سألنى الاصمعى يوما بدار الرشيد أى الأنابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر فقلت ما نشف بالهجير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه من التبرية القشور الدرية الظهور الفضية الكسور وكتب على بن الازهر الى صديق له يستدعى منه أقلاما أما بعد فانا على طول الممارسة لهذه الكتابة التى غلبت على الاسم ولزمت لزوم الرسم فحلت محل الانساب وجرت مجرى الالقاب وجدنا الاقلام الصخرية أجرى فى الكواغد وأمرّ فى الجلود كما أن البحرية منها أسلس فى القراطيس وألين فى المعاطف وأشدّ لتصرف الخط فيها ونحن فى بلد قليل القصب رديئه وقد أحببت أن تتقدم فى اختيار أقلام صخرية وتتنوق فى اقتنائها قبلك وتطلبها من مظانها ومنابتها من شطوط الانهار وأرجاء الكروم وأن تتيمن باختيارك منها الشديدة الصلبة النقية الجلود القليلة الشحوم الكثيرة اللحوم الضيقة الاجواف الرزينة المحمل فانها أبقى على الكتابة وأبعد من الحفاء وان تقصد بانتقائك الرقاق القضبان المقومات المتون الملس المعاقب الصافية القشور الطويلة الانابيب البعيدة ما بين الكعوب الكريمة الجواهر المعتدلة القوام المستحكمة يبسا وهى قائمة على أصولها لم تعجل عن ابان ينعها ولم تؤخر الى الاوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء وعفن الانداء فاذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعا رفيقا ثم عبأت منها حزما فيما يعبونها من الأوعية وتكتب معه بعدتها وأصنافها من غير تأخير ولا توان وأهدى ابن الحرون الى رجل من اخوانه الكتاب أقلاما وكتب اليه انه لما كانت الكتابة أبقاك الله أعظم الامور وقوام الخلافة وعمود المملكة أتحفتك من آلتها بما يخف محمله وتثقل قيمته ويعظم نفعه ويجل خطره وهى أقلام من القصب النابت فى الصخر الذى نشف بحر الهجير فى قشره ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه وهى كاللآلئ المكنونة فى الصدف والانوار المحجوبة فى السدف تبرية القشور درية الظهور فضية الكسور قد كستها الطبيعة جوهرا كالوشى المحبر ورونقا كالديباج المنير ومن كتاب لأبى الخطاب الصابئ يصف فيه أقلاما أهداها فى جملة أصناف وأضفت اليها أقلاما سليمة من المعايب مبراة من المثالب جمة المحاسن بعيدة عن المطاعن

لم يزنها طول ولا قصر ولا ينقصها ضعف خور ولا يشينها لين ولا رخاوة ولم يعبها كزازة ولا قساوة وهى آخذة بالفضائل من جميع جهاتها مستوفيـة للمادح بسائر صفاتها صلبـة المعاجم لدنة المقاطع موفية القدود والألوان محمودة المخبر والعيان وقد استوى فى الملاسة خارجها وداخلها وتناسب فى السلاسة عاليها وسافلها نبتت بين الشمس والظل واختلف عليها الحرّ والقرّ فلا لفحها وقدان الهواجر ولفعها سماء شهر ناجر ووقدها الشفان بصرده وقذفها الغمام ببرده وصانتها الانواء بصيبها واستهلت عليها السحائب بشآبيبها فاستمرت مرائرها على احكام واستحصد سحلها بالابرام جاءت شتى الشيات متغايرة الهيآت متباينـة المحال والبلدان تختلف بتباعد ديارها وتأتلف بكرم نجارها فمن أنابيب قنا ناسبت رماح الخط فى أجناسها وشاكلت الذهب فى ألوانها وضاهت الحرير فى لمعانها مضابطة الحفاء نمرة القوى لا يسبطها القط ولا يشعب بها الخط ومن مصرية بيض كأنها قباطى مصر نقاء وعرق البيض صفاء غذاها الصعيد من ثراه بلبه وسقاها النيل من نميره وعذبه فجاءت ملتئمة الأجزاء سليمة من الالتواء تستقيم شقوقها فى أطوالها ولا تنكب عن يمينها ولا شمالها مقترن بها صفراء كأنها معها عقيان قرن بلجين أو ورق خط بعين تختال فى صفر ملاحفها وتميس فى مذهب مطارفها بلون غياب الشمس وصبغ ثياب الورس ومن منقوشة تروق العين وترنق النفس ويهدى حسنها الاريحية الى القلوب ويحل الطرف لها حبوة الحليم اللبيب كأنها اختلاف الدهر اللامع وأصناف الثمر اليانع ومن بحرية موشية الليط رائقة التخطيط كان داخلها قطرة دم أو حاشية رداء معلم وكان خارجها أرقم أو متن وادمغم نشرت ألوانا تزرى بورد الخدود وأبدت قامات تفضح تأود القدود ومن كلام ابن الزيات خير الأقلام ما استحكم نضجه وخف بزره قد تساعدت عليه السعود فى فلك البروج حولا كاملا تؤلفه بمختلف أركانها وطباعها ومتباين أنوائها وأنحائها حتى اذا بلغ أشده واستوى وشقت بوازله ورقت شمائله وابتسم من غشائه وتادى من لحائه وتعرى عنه ثوب المصيف بانقضاء الخريف وكشف عن لون البيض المكنون والصدف المخزون قطع ولم يعجل عن تمام مصلحته ولم يؤخر الى الاوقات المخوفة عاهاتها عليه من خصر الشتاء وعفن الانداء فجاء مستوى الأنابيب معتدلها مثقف الكعوب مقومها وقد حرر الوزير أبو على بن مقلة رحمه الله مناط الحاجة من هذه الاوصاف واقتصر على الضرورى منها فى ألفاظ قلائل فقال خير الأقلام ما استحكم نضجه فى جرمه ونشف ماؤه فى قشره وقطع بعد القاء بزره وبعد أن اصفر لحاؤه ودق شحمه وصلب شحمه وثقل حجمه

الجملة الرابعة

(فى مساحة الأقلام فى طولها وغلظها)

قال ابن مقلة خير الاقلام ما كان طوله من ستة عشر أصبعا الى اثنتى عشر وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة الى الخنصر وهذا وصف جامع لسائر أنواع الاقلام على اختلافها وقال فى موضع آخر أحسن قدود القلم أن لا يتجاوز به الشبر بأكثر من جلفته ويشهد له قول الشاعر

فتى لو حوى الدنيا لأصبح عاريا * من المال معتاضا ثيابا من الشكر
له ترجمان أخرس اللفظ صامت * على قاب شبر بل يزيد على الشبر

وقال الشيخ عماد الدين الشيرازى أحمد الاقلام ما توسطت حالاته فى الطول والقصر والغلظ والدقة فان الدقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل فيبقى مائلا الى ما بين الثلث والغليظ المفرط لا تحمله الانامل وقال فى الحلية اذا كانت الصحيفة لينة ينبغى أن يكون القلم لين الأنبوب وفى لحمه فضل وفى قشره صلابة وان كانت صلبة كان يابس الأنبوب صلبه ناقص الشحم لان حاجته الى كثرة المداد فى الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته اليه فى الصحيفة الصلبة فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد ويكفى فى الصحيفة الصلبة ما وصل اليها فى القلم الصلب الخالى من المداد والله جل ذكره أعلم

الجملة الخامسة

(فى برى القلم وفيه خمسة أنظار)

النظر الاول

(فى اشتقاقه)

وأصل معناه يقال بريت القلم ابريه بريا وبراية غير مهموز وهو قلم مبرى وأنا بار للقلم بغير همز أيضا قال الشاعر

يا بارى القوس بريا ليس يحكمه * لا تفسد القوس أعط القوس باريها

ويقال أيضا بروت القلم والعود برو ابالواو والياء أفصح ويقال لما سقط منه حالة البرى براية بضم الموحدة فى أوله على وزن نزالة وحثالة والفعالة اسم لكل فضلة تفضل من الشئ وتقول فى الأمر ابر قلمك

النظر الثانى

(فى الحث على معرفة البراية)

قال الحسن بن وهب يحتاج الكاتب الى خلال منها جودة برى القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التأتى لامتطاء الانامل وارسال المدة بعد اشباع الحروف والتحرز عند فراغها من الكشوف وترك الشكل على الخطا والاعجام على التصحيف ومن كلام المقر العلائى ابن فضل الله طيب الله مهجعه من لم يحسن الاستمداد وبرى القلم والقط وامساك الطومار وقسمة حركة اليد حال الكتابة فليس هو من الكتابة فى شئ ويحكى أن الضحاك كان اذا أراد أن يبرى قلما توارى بحيث لا يراه أحد ويقول الخط كله القلم وكان الانصارى اذا أراد أن يبرى فعل ذلك فاذا أراد أن يقوم من الديوان قطع رؤس الاقلام حتى لا يراها أحد وقال اسحاق ابن حماد لا حذق لغير مميز لصنوف البراية ورأى ابراهيم بن المحبس رجلا يأخذ على جارية قلم الثلث فقال أعلمتها البراية قال لا قال كيف تحسن أن تكتب بما لا تحسن برايته تعليم البراية أكبر من تعليم الخط قال المقر العلائى ابن فضل الله ورأيت بخط أبى على بن مقلة رحمه الله نعم نعم ملاك الخط حسن البراية ومن أحسنها سهل عليه الخط ولا يقتصر على علم فن منها دون فن فانه يتعين على من تعاطى هذه الصناعة أن يحفظ كل فن منها على مذهبه من زيادة فى التحريف ومن النقصان منه ومن اختلاف طبقاته ومن وعى قلبه كثرة أجناس قط الاقلام كان مقتدرا على الخط ولا يتعلم ذلك الا عاقل والقلم للكاتب كالسيف للشجاع وقال الضحاك بن عجلان القلم من أجناس الاقلام كاللحن من أجناس الألحان فى الصناعة والبراية الواحدة من أجناس البراية كذلك ومن كلام المقر العلائى ابن فضل الله جودة البراية نصف الخط ومنهم من ذهب الى أن العبرة بحسن الصنعة دون برى القلم حتى حكى الغزالى رحمه الله فى نتيجة الملوك أن الصاحب بن عباد كان وزيرا لبعض الملوك وكان معه ستة وزراء غيره فكانوا يحسدونه ولم يزالوا حتى ذكروا للملك أنه لا يحسن براية القلم وعمدوا الى أقلامه فكسروا رؤسها ثم ان الملك أمره بكتب كتاب فى المجلس فوجد أقلامه كلها مكسرة الرؤس فأخذ قلما منها وكتب به الى أن انتهى الى آخر الكتاب بخط فائق رائق فقال له الملك ان هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن برى القلم فقال ان أبى علمنى كاتبا ولم يعلمنى نجارا

النظر الثالث — فى معرفة محل البراية من القلم . قال ابراهيم بن محمد الشيبانى يجب أن يكون البرى من جهة نبات القصبة يعنى من أعلاها اذا كانت قائمة على أصلها فان محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس والى هذا المعنى أشار أبو تمام الطائى بقوله فى أبياته المتقدمة

* وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهى أسافل *

وقال أبو القاسم اذا أخذ القلم ليبريه فلا يخلو من استقامة فى البنية أو اعوجاج فى الخلقة فان كان مستويا فالبرية من رأسه وهو حيث استدق وان كان معوجا ودعت الضرورة اليه فالبرية من أسفله لان أسفله أقل التواء من أعلاه

النظر الرابع — فى كيفية امساك السكين حال البرى قال ابن البربرى . اذا بدأت بالبراية فأمسك السكين باليد اليمنى والانبوبة باليسرى وضع ابهامك اليمنى على قفا السكين ثم اعتمد على الانبوبة اعتمادا رفيقا

النظر الخامس — فى صنعة البراية . قال العتابى سألنى الأصمعى يوما بدار الرشيد أى نوع من البرى أصوب وأكتب فقلت البرية المستوية القطة التى عن يمين سنها برية تأمن معها الجة عند المدة والمطة للهواء فى شقها فتيق والريح فى جوفها حريق والمداد فى خرطومها رقيق واعلم أنه ربما حسن الخط باعتبار براية القلم وان لم يكن على قواعد الخط وهندسته فقد قيل ان الاحول المحرر كان عجيب البراية للقلم فكان خطه رائقا بهجا من غير احكام ولا اتقان قال الانصارى المحرر كنت أكتب فى ديوان الاحول فقربت منه وأخذت من خطه وسرقت من دواته قلما من أقلامه فجاد خطى به فلاحت منه نظرة الى دواتى فرأى القلم فعرفه فأخذه وأبعدنى وكان اذا أراد أن يقوم من مجلسه أو ينصرف قطع رؤس أقلامه كلها واعلم أن البرى يشتمل على معان

المعنى الاول

(فى صفته ومقداره فى الطول والتقعير)

قال الوزير أبو على بن مقلة رحمه الله ويجب أن يكون فى القلم الصلب أكثر تقعيرا وفى الرخو أقل وفى المعتدل بينهما وصفته أن تبتدئ بنزولك بالسكين على الاستواء ثم تميل القطع الى ما يلى رأس القلم ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الابهام أو كمنا قير الحمام والى ذلك أشار الشيخ علاء الدين السرمرى رحمه الله فى أرجوزته بقوله

وطولها كعقدة الابهام لا * أعلى ولا أدنى يكون أرذلا

قال الاستاذ أبو الحسن بن البواب رحمه الله كل قلم تقصر جلفته فان الخط يجىء به أوقص والوقص قصر العنق ولذلك سمى متفاعل فى عروض الكامل اذا حذفت منه التاء أوقص وكأنه يريد بالقصر ما دون عقدة الابهام وقد قال ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب أطل خرطوم قلمك فقيل له أله خرطوم قال نعم وأنشد

كأن انوف الطير فى عرصاتها * خراطيم أقلام تخط وتعجم

وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان لزغبان وكان يكتب بقلم قصير البراية أتريد أن يجود خطك قال نعم قال فأطل جلفة قلمك وأسمنها وحرف القطـة وأيمنها قال زغبان ففعلت ذلك فجاد خطى وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله اذا طالت البراية فانه يجىء الخط بها أخف وأضعف وأجلى واذا قصرت جاء الخط بها أصفى وأثقل وأقوى

المعنى الثـانى

(النحت)

قال الوزير أبو على بن مقلة وهو نوعان نحت حواشيه ونحت بطنه أما نحت حواشيه فيجب أن يكون متساويا من جهتى السن معا ولا يحمل على احدى الجهتين فيضعف سـنه بل يجب أن يكون الشق متوسطا الجلفة القلم دق أو غلظ قال ويجب أن يكون جانباه مسيفين والتسييف أن يكون أعلاه ذاهبا نحو رأس القلم أكثر من أسـفله فيحسن جرى المداد من القلم قال وأما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الاقلام فى صـلابة الشحم ورخاوته فأما الصلب الشحمة فينبغى أن ينحت وجهـه فقط ثم يجعل مسطحا وعرضـه كقدر عرض الخط الذى يؤثر الكاتب أن يكتبه وأما الرخو الشحمة فيجب أن يسـتأصل شحمته حتى ينتهى الى الموضـع الصلب من جرم القلم لانك ان كتبت بشحمته تشظى القـلم ولم يصف جريانه ومن كلام ابن البربرى لا تقصع البراية ولا تخـالف بين حدى القلم فان ذلك حياكة واذا كان كذلك يكون القلم أحول ثم الجلفة على انحاء منها أن يرهف جانبى البرية ويسمن وسطها شيأ يسـيرا وهذا يصلح للبسوط والمعلق والمحقق . ومنهـا ما تسـتأصل شحمته كلها وهذا يصلح للرسـل والممزوج والمفتح . ومنها ما يرهف من جانبـه الأيسر ويبقى فيه بقية فى الأيمن وهـذا يصلح للطوامير وما شابهها . ومنها ما يرهف من جانبى وسطه ويكون مكان القطة منه أعرض مما تحتها وهـذا يصلح فى جميع قلم الثلث وفروعه

المعنى الثـالث

(الشـــق وفيـــه مهيعان)

(المهيع الاول فى فائدته)

قال الوزير أبو على بن مقلة رحمه الله لو كان القـلم غير مشقوق ما استمرت به الأنامل ولا اتصل الخط للكـاتب ولكثر الاسـتمداد وعدم المشق ولمـال المداد الى أحد جنبى القـلم على قدر فتل الكـاتب له

(المهيع الثانى فى صفة الشق وفيه مدركان)

المدرك الاول فى قدره فى الطول — قال ابن مقلة ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم فى صلابته ورخاوته فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه الى مقدار نصف الفتحة أو ثلثيها والمعنى فيه أنه اذا زاد على ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة وفسد الخط حينئذ واذا كان كذلك أمن من ذلك وأما الصلب فينبغي أن يكون شقه الى آخر الفتحة وربما زاد على ذلك بمقدار افراطه فى الصلابة وقد نظم ذلك الشيخ علاء الدين السرمرى رحمه الله فى أرجوزته فقال

واعلم بأن الشق أيضا يختلف * بحسب الاقلام فافهم ما أصف
فان يكن معتدلا شق الى * مقدار ثلث الجلفة انقل واقبلا
والرخو للنصف أو الثلثين زد * والصلب بالفتحة الحق تستفد
وربما زادوا على ذاك اذا * أفرط فى الصلابة اعرف ذا وذا

المدرك الثانى فى محله من الجلفة فى العرض — وقد تقدم من كلام ابن مقلة رحمه الله فى المعنى الثالث أنه يجب أن يكون الشق متوسطا لجلفة القلم وعليه جرى الاستاذ أبو الحسن ابن البواب رحمه الله فقال وليكن غلظ السنين جميعا سواء قال ويجوز أن يكون الأيمن أغلظ من الأيسر دون العكس على كل حال وهذا انما يتأتى اذا كانت الكتابة آخذة من جهة اليمين الى جهة اليسار أما اذا كانت آخذة من جهة اليسار الى جهة اليمين كالقبطية فانه يكون بالعكس من ذلك لأنه يقوى الاعتماد على اليسار دون اليمين

المعنى الرابع

(القط وفيه مهيعان)

(المهيع الاول فى اشتقاقه ومعناه)

يقال قططت القلم أقطه قطا فأنا قاط وهو مقطوط وقطيط اذا قطعت سنه وأصل القط القطع والقط والقد متقاربان الا أن القط أكثر ما يستعمل فيما يقع السيف فى عرضه والقد ما يقع فى طوله وكان يقال اذا علا الرجل الشئ بسيفه قده واذا عرضه قطه وذلك أن مخرج الطاء والدال متقاربان فأبدل أحدهما من الآخر كما يقال مط حاجبيه ومد حاجبيه

(المهيع الثانى فى صفته)

واعلم أن أجناس القط تختلف بحسب مقاصد الكتاب وهو المقصود الأعظم من البراية وعليه مدار الكتابة قال الضحاك بن عجلان من وعى قلبه كثرة أجناس قط الاقلام كان مقتدرا على الخط

وقال المقر العلائى ابن فضل الله تغمده الله برحمته كان بعض الكتاب اذا أخذ الانبوبة ليبريها تفرس فيها قبل ذلك واذا أراد أن يقط توقف ثم تحرى فتوقف ثم يقط على تثبت قال الشيخ عماد الدين ابن العفيف والقط على نوعين . النوع الاول المحرف وطريق بريه أن يحرف السكين فى حال القط وهو ضربان قائم ومصوب أما القائم فهو ما جعل فيه ارتفاع الشحمة كارتفاع القشرة وأما المصوب فهو ما كان القشر فيه أعلى من الشحم . النوع الثانى المستوى وهو ما تساوى سناه وأجودها المحرف وقد صرح بذلك الوزير أبو على بن مقلة فقال وأجدها ما كان ذا سن مرتفع من الجهة اليمنى ارتفاعا قليلا اذا كان القلم مصوبا وهذا معنى التحريف وذلك اذا كانت الكتابة آخذة من جهة اليمين الى جهة اليسار كما تقدم عند ذكر سنى القلم بخلاف ما اذا كان آخذا من جهة اليسار الى جهة اليمين قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله وأجودها المحرفة المعتدلة التحريف وأفسدها المستوية لأن المستوى أقل تصرفا من المحرف قال وقد كان بعض من لا يعتد به يقط القلم على ضد ما يعتمده الاستاذون فيصير الشحم من القلم هو المشرف على ظاهره فكان خطه لا يجىء الا رديئا واذا كانت القطة على الضد من ذلك كان الكاتب متصرفا فى الخط متمكنا من القرطاس قال الوزير بن مقلة واضجع السكين قليلا اذا عزمت على القط ولا تنصبها نصبا يريد بذلك أن تكون القطة أقرب الى التحريف وأن تكون مصوبة قال الشيخ شمس الدين بن أبى رقيبة سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله عن الكتابة بالاقلام والتحريف والتدوير فقال الرقاع والتواقيع أميل الى التدوير بين بين قطة مربعة والنسخ والمحقق والمشعر أميل الى التحريف والمحقق أكثر تحريفا منهما وقد فسر ابن الوحيد قول ابن البواب لكن جملة ما أقول بأنه ما بين تحريف الى تدوير ان المعنى ان لكل قلم قط صفة فقطة الريحانى أشدها تحريفا ثم يقل التحريف فى كل نوع من أنواع قط الاقلام حتى تكون الرقاع أقلها تحريفا

النظر السادس

(فى معرفة صفات القلم فيما يتعلق بالبراية وما لكل من سنى القلم من الحروف)

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف من لم يدر وجه القلم وصدره وعرضه فليس من الكتابة فى شئ وقد فسر ذلك الوزير أبو على بن مقلة فقال اعلم ان للقلم وجها وصدرا وعرضا فأما وجهه فحيث تضع السكين وأنت تريد قطه وهو ما يلى لحمة القلم وأما صدره فهو ما يلى قشرته وأما عرضه فهو نزولك فيه على تحريفه قال وحرف القلم هو السن العليا وهى اليمنى

الجملة السادسة

(فى مساحة رأس القلم)

ومقدارها من حيث موضع القطة وتفرعها عن قلم الطومار ونسبتها من مساحته على اختلاف مقاديرها فى الدقة والغلظ والتوسط وما ينبغى أن يكون فى دواة الكاتب من الاقلام . أما مساحة رأس القلم فاعلم أن رؤس الاقلام تختلف باختلاف الاقلام التى جرى الاصطلاح عليها بين الكتّاب وأعظمها وأجلها وأكثرها مساحة فى العرض هو قلم الطومار وهو قلم كانت الخلفاء تعلم به فى المكاتبات وغيرها وصفته أن يؤخذ من لب الجريد الاخضر ويؤخذ منه من أعلى الفتحة ما يسع رؤس الانامل ليتمكن الكاتب من امساكه فانه اذا كان على غير هذه الصورة ثقل على الانامل ولا تحتمله ويتخذ أيضا من القصب الفارسى ولابد من ثلاث شقوق لتسهل الكتابة به ويجرى المداد فيه ولهم قلم دونه يسمى مختصر الطومار وبه يكتب النوّاب والوزراء ومن ضاهاهم الاعتماد على المراسيم ونحوها وقدّروا مساحة عرضه من حيث البراية بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون معترضات وهو أصل لما دونه من الاقلام فقلم الثلثين من هذه النسبة مقدّر بست عشرة شعرة وقلم النصف مقدّر باثنتى عشرة شعرة وقلم الثلث مقدّر بثمان شعرات ومختصر الطومار ما بين الكامل منه والثلثين وكل من هذه الاقلام فيه ثقيل وهو ما كان الى الشبع أميل وخفيف وهو ما كان الى الدقة أقرب اذا تقرر ذلك فطول الالف فى كل قلم معتبر بأن تضرب نسبة عرضه فى مثله ويجعل طولها نظير ذلك ففى قلم الطومار يضرب مقدار عرضه وهو أربع وعشرون شعرة فى مثلها خمسمائة وست وسبعين شعرة وهو طولها وفى قلم الثلث تضرب نسبة عرضه من الطومار وهو ثمان شعرات فى مثلها بأربع وستين فيكون طولها أربعا وستين شعرة وكذلك الجميع فاعلمه . وأما عدد أقلام الدواة فقد قال الوزير أبو على بن مقلة ينبغى أن تكون أقلامه على عدد ما يؤثره من الخطوط وكأنه يريد أن يكون فى دواته قلم مبرى للقلم الذى هو بصدد أن يحتاج الى كتابته ليجده مهيأ فلا يتأخر لأجل برايته

الآلة الثانية

(المقلمة)

وهى المكان الذى يوضع فيه الاقلام سواء كان من نفس الدواة أو أجنبيا عنها وقد لا تعدّ من الآلات لكونها من جملة أجزاء الدواة غالبا

الآلة الثالثة

(المدية والنظر فيها من وجهين)

الوجه الاول فى معناها واشتقاقها — قال الجاحظ يقال بضم الميم وفتحها وكسرها وتجمع على مدى وهى السكين وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الأخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا الى سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لاتفعل رحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال أبو هريرة ان سمعت بالسكين الا يومئذ ما كنا نقول الا المدية ثم الاصل فى السكين التذكير قال أبو ذؤيب

يرى ناصحا لى ما بدا فاذا خلا * فذلك سكين على الحلق حاذق

قال الكسائى ومن أنث أراد المدية وأنشد

فعيث فى السنام غداة قر * بسكين موثقة النصاب

و يقال سكينة بالهاء وهو قليل وفى حديث المبعث أنه لما شق الملك بطنه صلى الله عليه وسلم قال ائتنى بالسكينة وتجمع على سكاكين سميت مدية أخذا من مدى الأجل وهو آخره لأنها تأتى بالأجل فى القتل على آخره وسميت سكينا لأنها تسكن حركة الحيوان بالموت ونصاب السكين أصلها ونصاب كل شئ أصله قال الشاعر

وان نصابى ان سألت وأسرتى * من الناس حى يقتنون المزنما

أى وان أصلى ويقال أنصبت السكين اذا جعلت لها نصابا كما يقال أقبضتها اذا جعلت لها مقبضا وأقربتها اذا جعلت لها قرابا وأغلفتها اذا جعلت لها غلافا والحديدة الذاهبة فى النصاب سيلان و يقال أحددت السكين فأنا أحده احدادا وحد السكين نفسه صار حادا وأحد فهو محد وسكين حاد فاذا أمرت من أحده قلت أحدده ومن حده قلت حده

الوجه الثانى فى صفتها — قال بعض الكتاب هى مسن الاقلام تستحد بها اذا كلت وتطلق بها اذا وقفت وتلها اذا تشعثت فيجب المبالغة فى سقيها واحدادها ليتمكن من البرى فيصفو جوهر القلم ولا تنشظى قطته و ينبغى أن لا يستعملها فى غير البراية لئلا تكل وتفسد قال الصولى وأحدد سكينك ولا تستعملها لغير ذلك قال الوزير أبو على بن مقلة رحمه الله واستحد السكين حدا ولتكن ماضية جدا فانها اذا كانت كالة جاء الخط رديئا مضطربا وقال الشيخ عماد الدين ابن العفيف فساد البراية من بلادة السكين قال محمد بن عمر المدائنى ينبغى أن تكون لطيفة القد

معتدلة الحد فقد كره المبالغة فى سقيها لتمكن البارى من بريها ولا عيب فى حملها فى الكم والخف فقد روى المدائنى عن الاعمش عن ابراهيم أنه قال اتخاذ الرجل السكين فى خفه من المروءة قالوا وأحسنها ما عرض صدره وأرهف حده ولم يفضل عن القبضة نصابه واستوى من غير اعوجاج قال الشيخ عماد الدين بن العفيف ورأيت والدى وجماعة من الكتاب يستحسنون العقابية وهى التى صدرها أعرض من أسفلها ووصف بعضهم سكينا فقال وسكين عتيقة الحديد وثيقة الشفرة محكمة النصاب جامعة الاسباب أحد من البين وأحسن من اجتماع محبين وأمضى من الحسام فى برى الاقلام ولله القائل فى وصفها

أنا ان شئت عدة لعدو * حين يخشى على النفوس الحمام
أنا فى السلم خادم لدواة * وبحدى تقوم الاقلام

الآلة الرابعة

(المقط بكسر الميم كما ضبطه الجوهرى فى الصحاح الا أنه قال فيه مقطة بالتأنيث)

قال الصولى ينبغى أن يكون المقط صلبا فمقتضى القطة مستوية لا مشظية قال الوزير أبو على ابن مقلة رحمه الله اذا قططت فلا تقط الا على مقط أملس صلب غير مثلم ولا خشن لئلا يتشظى القلم وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف ويتعين أن يكون من عود صلب كالابنوس والعاج ويكون مسطح الوجه الذى يقط عليه ولا يكون مستديرا لانه اذا كان مستديرا تشظى القلم وربما تهلت القطة فتأتى الادارات والتشعيرات غير جيدة قلت وينبغى أن لا يكون مع ذلك مانعا كالحديد والنحاس ونحوه فان ذلك يفسد السكين ولا تجىء القطة صالحة

الآلة الخامسة

(المحبرة وهى المقصود من الدواة وتشتمل على ثلاثة أصناف)

الصنف الاول

(الجونة)

وهى الظرف الذى فيه الليقة والحبر قال بعض فضلاء الكتاب وينبغى أن تكون شكلا مدور الرأس يجتمع على زاويتين قائمتين يوقذهما خط ولا يكون مربعا على حال لانه اذا كان مربعا يتكاثف المداد فى زواياه فيفسد المداد واذا كان مستديرا كان أبقى للمداد وأسعد فى الاستمداد

الصـــــنف الثانى

(الليقـــة)

وسميها العرب الكرسف تسمية لها باسم القطن الذى تتخذ منــه فى بعض الاحوال كما سيأتى والنظر فيها من وجهين

الوجه الاول فى اشتقاقها — يقـال ألقت الدواة ولقتها أخذا من قولهم فلان لا يليق كفه درهما أى لا تحبسه ولا تمسكه وأنشد الكسائى

كفاك كف ما تليق درهـما * جودا وكف تعط بالسيف الدما

يصفه بالجود أى كفاك ماتمسك درهما ويقال ما لاقت المرأة عند زوجها أى ما علقت قال المبرد دخل الاصمعى على الرشيد بعد غيبة غابها فقال له كيف حالك يا أصمعى فقال ما ألاقتنى نحولك أرض يا أمير المؤمنين فأمسك الرشـيد عنه فلما تفرق أهل المجلس قال له ما معنى ألاقتنى قال ماحبستنى فقال لا تكلمنى فى مجلس العامة بما لا أعلم قال الجاحظ ولا تستحق اسم الليقة حتى تلاق فى الدواة بالنقس وهو المداد

الوجه الثانى فيما تتخذ منه وتتعاهد به — قال بعض الكتاب تكون من الحرير والصوف والقطن ويقال فيه الكرسف والبرس والطوط والعطب والاولى أن تكون من الحرير الخشن لان انتفاشها فى المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة قال بعض الكتاب ويتعين على الكاتب أن يتفقد الليقة ويطيبها بأجود ما يكون فانها تراح على طول ولله القائل

متظرف شهدت عليه دواته * ان الفتى لا كان غير ظريف

ان التفقد للدواة فضـيلة * موصوفة للكاتب الموصوف

وكان بعض الكتاب يطيب دواته بأطيب ما عنده من طيب نفسه فسئل عن ذلك فقال لأنى أكتب به اسم الله تعالى واسم رسوله صلى الله عليه وسلم واسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وربما سبق القلم بغير ارادتنا فنلحسه بألسنتنا ونمحوه بأكمامنا قال الشيخ علاء الدين السرمرى ويتعين على الكاتب تجديد الليقة فى كل شهر وانه حين فراغه من الكتابة يطبق المحبرة لاجل ما يقع فيها من التراب ونحوه فيفسد الخط ونظم ذلك فى أرجوزته فقال

وجدد الليقـة كل شـــهر * فشـيخنا كان بهـذا يغرى

لاجل ما يقع فيهـا من قذى * فينشى من ذاك فى الخط أذى

وينبغى له مع ذلك أن يصونها عن الاشـياء القذرة كالبصاق ونحوه فقد حكى محمد بن عمر المدائنى أن بعض العلماء رأى صبيا يبصق فى دواته فزجره وقال لمعلمه امنع الصبيان عن مثل هذا

فانما يكتبون به كلام الله قال محمد بن عمر المدائنى كأنه تحرج أن يكتب القرآن بمداد غير نظيف قال المدائنى وكان بلغنى عن ابن عباس أنه أجاز أن يبصق الرجل فى دواته فسألت احمد بن عمرو البزار عن ذلك فأنكره وقال هذا حديث كذب وضعه عاصم بن سليمان الكودن وكان كذابا ذكرته لابى داود الطيالسى فقال هو كذاب يجب أن تعرفوا كذبه صنفوا له مسئلة حتى يحدثكم بحديث فقال جئت أنا وعمر بن موسى الحارثى فى جماعة فقال له عمر ما تقول فى الرجل يبزق فى الدواة و يستمد منها وكان قد ذهب بصره فقال حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن عمر أنه كان يبزق فى الدواة و يستمد منها ثم قال وحدثنا هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس مثل ذلك قال فهمز بعض أصحابنا وقال كان ابن عباس لا يبصر قال ففهم فقال نعم كان ابن عباس لا يرى بذلك بأسا

الصنف الثالث

(المداد والحبر وما ضاهاهما والنظر فيه من أربعة أوجه)

الوجه الاول

(فى تسميتهما واشتقاقهما)

أما المداد فسمى بذلك لانه يمد القلم أى يعينه وكل شئ مددت به شيأ فهو مداد قال الاخطل

رأت بارقات بالأكف كأنها * مصابيح سرج أوقدت بمداد

سمى الزيت مدادا لان السراج يمد به فكل شئ أمددت به الليقة مما يكتب به فهو مداد وقال ابن قتيبة فى قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) هو من المداد لا من الامداد ويقال أمد القلم فى الخير مثل (وأمددناهم بفاكهة ولحم) ومده فى الشر مثل (ونمد له من العذاب مدّا) و يقال فيه أيضا نقس ونقس بكسر النون وفتحها مع اسكان القاف ومع السين المهملة فيهما والكسر أفصح و يجمع على أنقاس . وأما الحبر فأصله اللون يقال فلان ناصع الحبر يراد به اللون الخالص الصافى من كل شئ قال ابن أحمر يذكر امرأة

شبيهة فاحم جعد * وأبيض ناصع الحبر

يريد سواد شعرها و بياض لونها وفى الخبر يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره بكسر الحاء المهملة والسين فيهما وفتحهما قال ابن الاعرابى حبره حسنه وسبره هيئته وقال المبرد قال التوزى سألت الفراء عن المداد لم سمى حبرا فقال يقال للعالم حبر وحبر يعنى بفتح الحاء وكسرها فأرادوا مداد حبر أى مداد عالم فحذفوا مداد وجعلوا مكانه حبرا قال فذكرت ذلك للأصمعى

فقال ليس هذا بشئ انما هو لتأثيره يقال على اسنانه حبر اذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب الى السواد والحبر الأثر يبقى فى الجلد وأنشد

لقد أشمتت بى آل فيد وغادرت * بجلدى حبرا بنت مصان باديا

أراد بالحبر الأثر يعنى أثر الكتابة فى القرطاس قال المبرد وأنا أحسب أنه سمى بذلك لان الكتاب تحبر به أى تحسن أخذا من قولهم حبرت الشئ تحبيرا اذا حسنته

الوجه الثانى

(فى شرف المداد والحبر واختيار السواد لذلك)

فى الخبر يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة فيوضع أحدهما فى كفة الميزان والآخر فى الكفة الأخرى فلا يرجح أحدهما على الآخر قال بعض الحكماء صورة المداد فى الأبصار سوداء وفى البصائر بيضاء وقد قيل كواكب الحكم فى ظلم المداد ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره منه فقال له ياهذا ان المداد من المروءة وأنشد أبو زيد

اذا ما المسك طيب ريح قوم * كفتنى ذاك رائحة المداد

وما شئ بأحسن من ثياب * على حافاتها حمم السواد

وقال بعض الأدباء عطروا دفاتر الآداب بسواد الحبر وكان فى حجر ابراهيم بن العباس قرطاس يمشق فيه كلاما فأسقط فسحه بكمه فقيل له لو مسحته بغيره فقال المال فرع والقلم أصل والاصل أحق بالصون من الفرع وأنشد فى ذلك

انما الزعفران عطر العذارى * ومداد الدوى عطر الرجال

وأنشد غيره

من كان يعجبه ان مس عارضه * مسك يطيب منه الريح والنسما

فان مسكى مداد فوق أنملتى * إذ الاصابع يوما مست القلما

على أن بعضهم قد أنكر ذلك وقال المداد فى ثوب الكاتب سخافة ودناءة منه وقلة نظافة قال أبو العالية تعلمت القرآن والكتابة وما شعر بى أهلى وما رؤى فى ثوبى مداد قط وأنشدوا

دخيل فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد

يشبه ثوبه للمحو فيه * اذا أبصرته ثوب الحداد

فدع عنك الكتابة لست منها * ولو لطخت وجهك بالمداد

وقال فارس بن حاتم ببريق الحبر تهتدى العقول لخبايا الحكم لانه أبقى على الدهر وأنمى للذكر وأزيد للأجر واعلم أن المداد ركن من أركان الكتابة وعليه مدار الربع منها وأنشدوا فى ذلك

ربع الكتابة فى سواد مدادها * والربع حسن صناعة الكتاب
والربع من قلم تسوّى بريه * وعلى الكواغد رابع الاسباب

قال بعض العلماء رحمهم الله وانما اختير فيه السواد دون غيره لمضادته لون الصحيفة قال وليس شىء من الألوان يضاد صاحبه كضادة السواد للبياض قال الشاعر

فالوجه مثل الصبح مبيض * والفرع مثل الليل مسودّ
ضدّان لما اجتمعا حسنا * والضدّ يظهر حسنه الضدّ

ويقال فى المداد أسود قاتم وهو أول درجات السواد وحالك وحانك وحلكوك وحلبوب وداجى ودجوجى وديجور وأدهم ومدهام قال المدائنى حدثنى بذلك محمد بن نصر عن أحمد ابن الضحاك عن أبى عبيدة كتب جعفر بن حدار بن محمد الى دعلج بن محمد يستهديه مدادا

ياأخى للسواد لاللمداد * وصديقى من بين هذا العباد
والذى فيه ألف مجد طريف * قدأمدت بألف مجد تلاد
أنا أشكو اليك حال دواتى * أصبحت تقتضى قميص حداد

ولله منصور بن اسماعيل حيث يقول

وسواد مقلتها مثلها * وأجفانها من لجين صقيل
اذا أذرفت عبرة خلتها * كغالية فوق خدأسيل

الوجه الثالث

(فى صنعتهما وفيه نظران)

النظر الاول

(فى مادتهما)

واعلم أن الموادلذلك منها ما يستعمل بأصله ولا يحتاج فيه الى كبير علاج وتدبير كالعفص والزاج والصمغ وماأشبهها ومنها ما يحتاج الى علاج وتدبير وهو الدخان قال أبو القاسم خلوف ابن شعبة الكاتب ويتوخى فى الدخان أن يكون من شىء له دهنية ولا يكون من دخان شىء يابس فى الاصل لان دخان كل شىء مثله وراجع اليه قال أحمد بن يوسف الكاتب كان يأتينا رجل فى أيام خمارويه بمداد لم أر أنعم منه ولا أشد سوادا منه فسألته من أى شىء استخرجته فكتم ذلك عنى ثم تلطفت به بعد ذلك فقال لى من دهن بزر الفجل والكتان أضع دهن ذلك فى مسارج وأوقدها ثم أجعل عليها طاسا حتى اذا انفد الدهن رفعت الطاس وجمعت ما فيها بماء الآس والصمغ العربى

وانما جمعه بماء الاس ليكون سواده مائلا الى الخضرة والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير قال صاحب الحلية وان شئت أخذت من دخان مقالى الحمص وشبهه ويلقى عليه ماء ويؤخذ ما يعلو فوقه ويجمعه بماء الآس والعسل والكافور والصمغ العربى والملح وتمده وتقطعه شوابير والدخان الاول أجود والله أعلم

النظر الثانى

(فى صنعتهما وفيه مسلكان)

(المسلك الاول فى صنعة المداد وبه كانت كتابة الاولين من أهل الصنعة وغيرهم)

قال الوزير أبو على بن مقلة رحمه الله وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتصفيته ثم يلقى فى طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله ومن العسل رطل واحد ومن الملح خمسة عشر درهما ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما ومن العفص عشرة دراهم ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير فى هيئة الطين ثم يترك فى اناء ويرفع الى وقت الحاجة وما ذكره فيه اشارة الى أنه لا ينحصر فى سخام النفط بل يكون من دخان غيره أيضا كما تقدم نعم ذكر صاحب الحلية أنه يحتاج مع ذلك الى الكافور ليطيب رائحته والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه وقيل ان الكافور يقوم مقام الملح فى غير الطيب

(المسلك الثانى فى صنعة الحبر وهو صنفان)

الصنف الاول ــ ما يناسب الكاغد أى الورق وهو حبر الدخان ونحن نذكر منه صفات ان شاء الله تعالى . صفة يؤخذ من العفص الشامى قدر رطل يدق جريشا وينقع فى ستة أرطال ماء مع قليل من الآس وهو المرسين أسبوعا ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام ثم يصفى ثانيا ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربى ومن الزاج القبرسى كذلك ثم يضاف اليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة ولا بد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمتنع بالصبر وقوع الذباب فيه ويحفظ بالعسل على طول الزمن ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر بعد أن تسحق الدخان بكلوة كفك بالسكر النبات والزعفران الشعر والزنجار الى أن تجيد سحقه ولا تمعنه فى صلاية ولا هاون يفسد عليك

الصنف الثانى ــ ما يناسب الرق ويسمى الحبر الراسى ولا دخان فيه ولذلك يجىء بصاصا براقا وبه اضرار للبصر فى النظر اليه من جهة بريقه ويفسد الكاغد على طول ونحن نذكر منه .

صفة حبر وهى يؤخذ من العفص الشامى رطل واحد فيجرش و يلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال ويجعل فى طنجير ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لينة حتى ينضج وعلامة نضجه أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بصاصة ثم يلقى عليه من الصمغ العربى ثلاثة أواق ومن الزاج أوقية ثم يصفى ويودع فى اناء جديد و يستعمل عند الحاجة . صفة حبر سفرى يعمل على البارد من غير نار يؤخذ العفص فيجرش جرشا جيدا و يسحق لكل أوقية عفص درهم واحد من الزاج ودرهم من الصمغ العربى و يلقى عليه ويرفع الى وقت الحاجة فاذا احتاج اليه صب عليه من الماء قدر الكفاية واستعمله

الوجه الرابع

(فى ليـــق الافتتاحات)

وهى ما يكتب به فواتح الكلام من الابواب والفصول والابتداآت ونحوها ولا مدخل لشئ من ذلك فى فنى الانشاء والديونة الا الذهب فانه يكتب به فى الطغراوات فى كتب القانات وفى الاسماء الجليلة منها كما سيأتى فى موضعه من المكاتبات من فن الانشاء ان شاء الله تعالى وباقى ذلك انما يحتاج اليه كتاب النسخ الا أنه لا بأس بالعلم به فانه كمال الكاتب ونحن نذكر منه ما الغالب استعماله وهو أصناف

الصنف الاول ــ الذهب وطريق الكتابة به أن يحل ورق الذهب وصفة حله أن يؤخذ ورق الذهب الذى يستعمل فى الطلاء ونحوه فيجعل مع شراب الليمون الصافى النقى و يفتل فيه فى اناء صينى أو نحوه حتى يضمحل جرمه فيه ثم يصب عليه الماء الصافى النقى ويغسل من جوانب الاناء حتى يمتزج الماء والشراب و يترك ساعة حتى يرسب الذهب ثم يصفى الماء عنه و يؤخذ ما رسب فى الاناء فيجعل فى مفتلة زجاج ضيقة الأسفل ويجعل معه قليل من الليقة والنزر اليسير من الزعفران بحيث لا يخرجه عن لون الذهب وقليل من ماء الصمغ المحلول و يكتب به فاذا جف صقل بمصقلة من جزع حتى يأخذ حده ثم يزمك بالحبر من جوانب الحرف

الصنف الثانى ــ اللازورد وأنواعه كثيرة وأجودها المعدنى وباقى ذلك مصنوع لا يناسب الكتابة وانما يستعمل فى الدهانات ونحوها وطريق الكتابة به أن يذاب بالماء ويلقى عليه قليل من ماء الصمغ العربى ويجعل فى دواة كدواة الذهب المتقدم ذكرها وكلما رسب حرك بالقلم ولا يكثر به الصمغ كى لا يسود ويفسد

الصنف الثالث ــ الزنجفر وأجوده المغربى وطريق الكتابة به أن يسحق بالماء حتى ينعم وان سحق بماء الرمان الحامض فهو أحسن ثم يضاف عليه ماء الصمغ ثم يلاق بليقة كما يلاق الحبر ويجعل فى دواة و يكتب به

الصنف الرابع — المغرة العراقية وهى مما يكتب به فى نفائس الكتب وربما كتب بها عن الملوك فى بعض الاحيان وطريقه فى الكتابة كما فى الزنجفر والله أعلم

الآلة السادســـة

(الملواق بكسر الميم)

وهو ما تلاق به الدواة أى تحرك به الليقة قال بعض الكتاب وأحســن ما يكون من الابنوس لئلا يغيره لون المداد قال ويكون مستدبرا مخروطا عريض الرأس ثخينه

الآلة السـابعة

(المــرملة)

واسمها القديم المتربة جعلا لها آلة للتراب اذ كان هو الذى يترب به الكتب وتشتمل على شيئين

الاول — الظرف الذى يجعــل فيــه الرمل وهو المسمى بذلك ويكون من جنس الدواة ان كانت الدواة نحاسا أو من النحاس ونحوه ان كانت خشبا على حسب ما يختاره رب الدواة ومحلها من الدواة ما يلى الكاتب مما بين المحبرة وباطن الدواة مما يقابل المنشأة الآتى ذكرها ويكون فى فمها شباك يمنع من وصول الرمل الخشن الى باطنها وربما اتخذت مرملة أخرى أكبر من ذلك تكون فى باطن الدواة لاحتمال أن تضيق تلك عن الكفاية لصغرها وأرباب الرئاسة من الوزراء والامراء ونحوهم يتخذون مرملة كبيرة تقارب حبة الرانج لها عنق فى أعلاها تكون فى الغالب من جنس الدواة من نحاس ونحوه وربما اتخذت من خشب لقضاة الحكم ونحوهم ومما ألغز فيها القاضى شهاب الدين بن بنت الأعز

ظريفة الشكل والتمثال قد صنعت * تحكى العروس ولكن ليس تغتـلم
كأنها من ذوى الألباب خاشــعة * تبكى الدماء على ماسـطر القـلم

وتسمى المتربة أيضا وفى ذلك يقول الوجيه المناوى

يا مادحا امرا ولم يأته * ولم ينل منــه ولا جرّ به
لا تغبط الكاتب فى حاله * فانه المسكين ذو المتربه

الثانى — الرمل وقد اختار الكتاب لذلك الرمل الأحمر دون غيره لأنه يكسو الخط الاسود من البهجة ما لا يكسوه غيره من أصناف الرمل وخيره ما كان دقيقا وهو على أنواع . النوع الاول ما يؤتى به من الجبل الأحمر الملاصق للجبل المقطم من الجهة الشرقية وهو أكثر الانواع وأعمها وجودا بالديار المصرية . النوع الثانى يؤتى به من الواحات وهو رمل متحجر شديد الحمرة يتخذ منه الكتاب حجارة لطافا تحت بالسكين ونحوها على الكتابة وأكثر ما يستعملها كتاب الصعيد والفيوم وما والاهما .

النوع الثالث يؤتى به من جزيرة ببحر القلزم من نواحى الطور وهو رمل رقيق أصفر اللون قريب من الزعفران وله بهجة على الخط الا أنه عزيز الوجود . النوع الرابع رمل بين الحمرة والصفرة به شذور بصاصة يخالها الناظر شذور الذهب وهو عزيز الوجود جدا وبه يرمل الملوك ومن شابههم

الآلة الثامنة

(المنشأة وتشتمل على شيئين أيضا)

الاول — الظرف وحاله كحال المرملة فى الهيئة والمحل من الدواة من جهة الغطاء الا أنه لاشباك فى فمه ليتوصل الى اللصاق وربما اتخذ بعض ظرفاء الكتاب منشأة أخرى غير التى فى صدر الدواة من رصاص على هيئة حق لطيف ويجعلها فى باطن الدواة كالمرملة المتوسطة فان اللصاق قد يتغير بمكثه فى النحاس بخلاف الرصاص

الثانى — اللصاق وهو على نوعين أحدهما النشا المتخذ من البر وطريقه أن يطبخ على النار كما يطبخ للقماش الا أنه يكون أشد منه ثم يجعل فى المنشأة وهو الذى يستعمله كتاب الانشاء ولا يعدلون على غيره لسرعة اللصاق به وموافقة لونه للورق فى نصاعة البياض والثانى المتخذ من الكثيرا وهو أن تبل الكثيرا بالماء حتى تصير فى قوام اللصاق ثم تجعل فى المنشأة وكثيرا ما يستعمله كتاب الدواوين وهو سريع التغير الى الخضرة ولا يسرع اللصاق به وينبغى أن يستعمل فى اللصاق فى الجملة الماورد والكافور لتطيب رائحته

الآلة التاسعة

(المنفذ وهى آلة تشبه المخرز)

يتخذ لخرم الورق وينبغى أن يكون محل الحاجة منها متساويا فى الدقة والغلظ أعلاه وأسفله سواء لئلا تختلف أثقاب الورق فى الضيق والسعة خلا أن يكون ذبابه دقيقا ليكون أسرع وأبلغ فى المقصود وحكمه فى النصاب فى الطول والغلظ حكم المدية وقد سبق وأكثر من يحتاج الى هذه الآلة من الكتاب كتاب الدواوين وربما احتاج اليها كاتب الانشاء فى بعض أحواله

الآلة العاشرة

(الملزمة)

قال الجوهرى الملزم بالكسر خشبتان يشد أوساطهما بحديدة تكون مع الصياقلة والأبارين ولم يزد على ذلك وهى آلة تتخذ من النحاس ونحوه ذات دفتين يلتقيان على رأس الدرج حال الكتابة ليمنع الدرج من الرجوع على الكاتب ويحبس بمحبس على الدفتين

الآلة الحادية عشرة

(المفرشـــة)

وهي آلة تتخذ من خرق كتان بطانة وظهارة أو من صوف ونحوه تفرش تحت الأقلام وما في معناها مما يكون في بطن الدواة

الآلة الثانية عشرة

(الممسحة وتسمى الدفتر أيضا)

وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد والغالب في هـذه الآلة أن تكون مدورة مخزومة من وسطها وربمـا كانت مسـتطيلة ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة وفيها يقول القاضي الفاضل رحمه الله

ممسحة نهارها * يجن ليـل الظلم كأنها مذ خلقت * منديل كم القلم

وقال نور الدين علي بن سعيد المغربي فيها

وممسحة لاحت كأفق تبددت * به قطع الظلمـاء والصبح طالع
ولمـا أطال الليل فيهـا وروده * حكته ومدت للصباح المطالع

وقال المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر

وممسحة تناهى الحسن فيها * فأضحت في الملاحة لا تبارى
ولا تـكر على القـلم الموافق * اذا في وصلها خلع العـذارا

الآلة الثالثة عشرة

(المســقاة)

وهي آلة لطيفــة تتخذ لصب الماء في المحبرة وتسمى الماوردية أيضا لأن الغالب أن يجعـل في المحبرة عوض الماء ماوردا لتطيب رائحتها وأيضا فان المياه المسـتخرجة كماء الورد والخلاف والريحان ونحو ذلك لا تحل الحبر ولا تفسـده بخلاف الماء وتكون هـذه الآلة في الغـالب من الحلزون الذي يخرج من البحر الملح وربمـا كانت من نحاس ونحوه والمعنى فيها أن لا تخرج المحبرة من مكانها ولا يصب من اناء واسع الفم كالكوز ونحوه فربمـا زاد الصب على قدر الحاجة

الآلة الرابعة عشرة

(المســطرة)

وهي آلة من خشب مستقيمة الجنبين يسطر عليها ما يحتاج الى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها وأكثر من يحتاج اليها المذهب

الآلة الخامسة عشرة

(المصقلة)

وهى التى يصقل بها الذهب بعد الكتابة وهى من آلات الدواة لا محالة

الآلة السادسة عشرة

(المهرق)

بضم الميم وفتح الراء وهو القرطاس الذى يكتب فيه ويجمع على مهارق قلت وعدّ صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثارى منها المداد وهو ظاهر والمخيط وفى عدّه بعد

الآلة السابعة عشرة

(المسن)

وهو آلة تتخذ لاحداد السكين وهو نوعان أكهب اللون ويسمى الرومى وأخضر وهو على نوعين حجازى وقوصى والرومى أجودها والحجازى أجوده الأخضر

الطرف الثالث

(فيما يكتب فيه وهو أحد أركان الكتابة الأربعة كما سبقت الاشارة اليه فى بعض الأبيات المتقدمة وفيه ثلاث جمل)

الجملة الاولى

(فيما نطق به القرآن الكريم من ذلك) وقد نطق القرآن بثلاثة أجناس من ذلك

الاول اللوح قال تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) قرأ العامة بفتح اللام على أن المراد اللوح واحد الالواح سمى بذلك لأن المعانى تلوح بالكتابة فيه ثم اختلفوا فقرأ نافع برفع محفوظ على أنه نعت للقرآن بتقدير بل هو قرآن مجيد محفوظ فى لوح وصفه بالحفظ لحفظه عن التغيير والتبديل والتحريف قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقرأ الباقون بالجر على نعت اللوح قال أبو عبيد وهو الوجه لأن الآثار الواردة فى اللوح المحفوظ تصدق ذلك وهو أم القرآن منه نسخ القرآن الكريم والكتب المنزلة ومنه تنسخ الملائكة أعمال الخلق قال ابن عباس وهو لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وأصله فى حجر ملك وقال أنس اللوح المحفوظ فى جبهة اسرافيل عليه السلام وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش قال ابن عباس وفى صدر اللوح مكتوب لا اله الا الله وحده لا شريك له دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله

فمن آمن بالله وصــدّق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة وسمى محفوظا لأن الله تعالى حفظه عن الشياطين وقيل حفظه عما ضمنه وقيل اللوح صدر المؤمن وقرأ يحيى بن يعمر فى لوح بضم اللام وهو الهواء يقال لما بين السماء والارض اللوح والمعنى أنه شئ يلوح للملائكة فيقرؤنه وهو ذو نور وعلو وشرف وقد ورد فى القرآن بلفظ الجمع قال تعالى (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصــيلا لكل شئ) يريد ألواح التوراة قال الكلبى كانت من زبرجدة خضراء وقال سعيد ابن جبير من ياقوتة وقال مجاهد من زمرد أخضر وقال أبو العاليــة والربيع بن أنس من برد وقال الحسن من خشب وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الالواح التى أنزلت على موسى من ســدر الجنة وكان طول كل لوح منها اثنى عشر ذراعا وقال وهب بن منبــه من صخرة صماء ألانها الله له فقطعها بيده ثم قطعها بأصابعه واختلف فى عددها فقيل سبعة رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيــل لوحان رواه أبو صالح عن ابن عباس أيضا وجمعت على عادة العرب فى ايقاع الجمع على التثنية كما فى قوله تعــالى (وكنا لحكمهم شاهدين) يريد داود وسليمان عليهما الســلام واختاره الفرّاء وقيل عشرة قاله ابن منبه وقيل تسعة قاله مقاتل وقال أنس نزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير . الثانى الرق بفتح الراء قال تعالى (والطور وكتاب مسطور فى رق منشور) قال المبرد هو ما يرقق من الجلود ليكتب فيه قال المعــافى بن أبى السيار ومن ثم استبعد حمله على اللوح المحفوظ والمنشور المبسوط واختلف فى الكتاب المسطور فيه فقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن وقيل ما كتبه الله تعالى لموسى وهو يسمع صرير الاقلام . الثالث القرطاس والصحيفة وهما بمعنى واحد وهو الكاغد . أما القرطاس فقال تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقــال الذين كفروا ان هـــذا الا سحر مبين) قال ابن أبى الســيار القرطاس كاغد يتخــذ من بردى مصر وكل كاغد قرطاس قال والجمهور على كسرهــا وضمها أبو زيد وعكرمة وطلحة و يحيى بن يعمر والذى حكاه الجوهرى عن أبى زيد يخالف ذلك فانه قال فيه قرطس بفتح القاف من غير ألف بعــد الراء والمراد بالكتاب فى الآية الكريمة المكتوب لا نفس الصحيفة قاله المعافى . وأما الصحيفة فانها لم ترد الا بلفظ الجمع قال تعالى (أم لم ينبأ بمــا فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى) وقال جل وعز (إنّ هـــذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وتجمع أيضا على صحائف وسمى المصحف مصحفا لجمعه الصحف قال الجوهرى وسمى التصحيف تصحيفا للخطا فى الصحيفة

الجمـــــلة الثــانية

(فيمــا كانت الامم السالفة تــكتب فيه فى الزمن القديم)

وقد كانت الامم فى ذلك متفاوتة فكان أهل الصــين يكتبون فى ورق يصــنعونه من الحشيش والكلا وعنهم أخذ الناس صنعة الورق وأهــل الهند يكتبون فى خرق الحرير الابيض والفرس

يكتبون فى الجلود المدبوغة من جلود الجواميس والبقر والغنم والوحوش ولذلك كانوا يكتبون فى اللخاف بالخاء المعجمة وهى حجارة بيض رقاق وفى النحاس والحديد ونحوهما وفى عسب النخل بالسين المهملة وهى الجريد الذى لاخوص عليه واحدها عسيب وفى عظم أكتاف الابل والغنم وعلى هذا الاسلوب كانت العرب لقربهم منهم واستمر ذلك الى أن بعث النبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن والعرب على ذلك فكانوا يكتبون القرآن حين ينزل ويقرؤه عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فى اللخاف والعسب فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال عند جمعه القرآن فجعلت أتتبع القرآن من العسب واللخاف وفى حديث الزهرى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فى العسب وربما كتب النبى صلى الله عليه وسلم بعض مكاتباته فى الادم كما سيأتى فى موضعه ان شاء الله تعالى وأجمع رأى الصحابة رضى الله عنهم على كتابة القرآن فى الرق لطول بقائه أولأنه الموجود عندهم حينئذ وبقى الناس على ذلك الى أن ولى الرشيد الخلافة وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس أمر أن لا يكتب الناس الا فى الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فانه متى محى منه فسد وان كشط ظهر كشطه وانتشرت الكتابة فى الورق الى سائر الاقطار وتعاطاها من قرب وبعد واستمر الناس على ذلك الى الآن

الجملة الثالثة

(فى بيان أسماء الورق الواردة فى اللغة ومعرفة أجناسه)

الورق بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير واحده ورقة وجمعه أوراق وجمع الورقة ورقات وبه سمى الرجل الذى يكتب وراقا وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قرطاسا وصحيفة كما مر بيانه ويسمى أيضا الكاغد بغين ودال مهملة ويقال للصحيفة أيضا طرس وتجمع على طروس ومهرق بضم الميم واسكان الهاء وفتح الراء المهملة بعدها قاف وتجمع على مهارق وهو فارسى معرب قاله الجوهرى وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرفا صقيلا متناسب الأطراف صبورا على مرور الزمان وأعلى أجناس الورق فيما رأينا البغدادى وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء وقطعه وافر جدا ولا يكتب فيه فى الغالب الا المصاحف الشريفة وربما استعمله كتاب الانشاء فى مكاتبات القانات ونحوها كما سيأتى بيانه فى المكاتبات السلطانية ودونه فى الرتبة الشامى وهو على نوعين نوع يعرف بالحموى وهو دون القطع البغدادى ودونه فى القدر وهو المعروف بالشامى وقطعه دون القطع الحموى ودونهما فى الرتبة الورق المصرى وهو أيضا على قطعين القطع المنصورى وقطع العادة والمنصورى أكبر قطعا وقلما يصقل وجهاه جميعا أما العادة فان فيه ما يصقل وجهاه ويسمى فى عرف الوراقين المصلوح وغيره عندهم

على رتبتين عال ووسط وفيـه صنف يعرف بالفوى صغير القطع خشن غليظ خفيف الغرف لا ينتفع به فى الكتابة يتخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك وانما نبهت على ذلك وان كان واضحا لأمرين أحدهما أن لا تخلى كتابنا من بيان الورق الذى هو أحد أركان الكتابة الثانى انه قد ينتقل الكتاب الى اقليم لا يعرف فيه تفاصيل أمر الورق المصرى كما لا تعرف المصريون ورق غير مصر معرفتهم بورق مصر فيقع الاطلاع على ذلك لمن أراده ودون ذلك ورق أهل الغرب والفرنجه فهو ردىء جدا سريع البلى قليل المكث ولذلك يكتبون المصاحف غالبا فى الرق على العادة الاولى طلبا لطول البقاء وسيأتى الكلام على مقادير قطع الورق عند أهل التوقيع وأهل الدونة عند ذكر ورق كل فن وما يناسبه من القطع ان شاء الله تعالى

تم الجزء الاول يتلوه ان شاء الله تعالى أول الجزء الثانى الفصل الثانى من الباب الثانى من المقالة الاولى فى الكلام على نفس الخط

فى التاسع والعشرين من ربيع الاول سنة ١٣٢٣ الموافق لثالث يونيه سنة ١٩٠٥

تنبيـــــــه

نتقدم بين يدى طالبى الاستفادة من كتاب صبح الأعشى بأن ادارة الكتبخانة الخديوية لما عزمت على نشر أنوار هذا الكتاب بين طالبى المعارف والآداب لم يكن لديها من الجزء الاول منه سوى نسخة واحدة أخذت بآلة الأشعة الشمسية عن نسخة فى كتبخانة اكسفورد ولما وردت الينا وأردنا الشروع فى الطبع وجدناها سقيمة جدا كثيرة التحريف والتصحيف قل أن تسلم صحيفة منها من ذلك فبحثنا طويلا ونقبنا كثيرا فيما وصلت اليه أيدينا من فهارس كتبخانات المعمورة فلم نقف لهذا الجزء فيها على عين ولا أثر ولما كان الشروع فى طبعه متحتما ونشره بين الفضلاء لازدياد رغبتهم فيه لازما استحضرنا ما أمكن الحصول عليه من الاصول التى اعتمد عليها المؤلف فى تأليفه وجعلناها الامام المقدم والمرشد المعين على اصلاح فساد هذا الجزء والله يعلم مقدار ما لحقنا من العناء فيه والكد فى تصحيحه وتحريره حتى بدا والحمد لله على غاية ما يمكن أن تصل اليه قوى الانسان ومع هذا فانا لا نأمن أن يكون قد فاتنا الشئ بعد الشئ مما يبصر فيغفر خصوصا فى تراجم فصوله التى كاد يخرج بها المؤلف الى الاسهاب فعذرا معاشر العلماء فان العصمة بيد الله والكمال لله وحده اه

محمد الببلاوى
وكيل الكتبخانة
الخديوية

احمد المهى
مغير عربى بالكتبخانة
الخديوية

PUBLICATIONS DE LA BIBLIOTHÈQUE KHÉDIVIALE

1. CATALOGUE SOMMAIRE DE LA SECTION ORIENTALE (en arabe), 2 volumes, 1259 (=1872) et 1292 (=1875).
2. CATALOGUE RAISONNÉ DE LA SECTION ORIENTALE (en arabe); sect. arabe en 7 parties (8 volumes), 1301-1308 (=1883-1891), le premier volume réimprimé (1893).
3. CATALOGUE TURQUE, PERSAN et JAVANAIS, 2 volumes, 1306 (=1889).
4. CATALOGUE EUROPÉEN, vol. I, *L'Égypte*, 1892.
5. GUIDE DE LA SALLE D'EXPOSITION (en arabe et en français, 1897.
6. RAPPORT SUR LA GESTION DE LA BIBLIOTHÈQUE KHÉDIVIALE, 1888, 1891, 1897.
7. DESCRIPTION DE L'ÉGYPTE, par Ibn Doukmak, 1893.
8. CHRONIQUE DE IBN IYÂS, 3 volumes, 1894.
9. INDEX DES NOMS pour N[os] 7 et 8, 2 volumes, 1896.
10. KITÂB IL ASÂR IL FIKRÎYA, 1897.
11. CATALOGUE OF THE ARABIC COINS IN THE KHÉDIVIAL LIBRARY, by Stanley Lane-Poole, 1897.
12. KITÂB IL TUHFA IL SANIYA, par Ibn il Gi'ân, 1898.
13. DESCRIPTION DU FAYOUM AU VII[e] SIÈCLE DE L'HÉGIRE, par Abou Osman il Naboulsi, 1899.
14. CATALOGUE DE LA SECTION EUROPÉENNE, vol. II. *L'Orient*, 1899.
15. CATALOGUE DE LA SECTION EUROPÉENNE, vol. I. *L'Égypte*, 1901, 2[me] édition.
16. PALÉOGRAPHIE ARABE, 1905.

PUBLICATIONS DE LA BIBLIOTHEQUE KHÉDIVIALE

N° XVII.

L'ART DU STYLE

PAR

ABOU-L ABBAS AHMAD AL KALKACHANDI

Vol. I. – II.
en 1 volume



LE CAIRE
IMPRIMERIE NATIONALE
1903